البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء الرابع

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
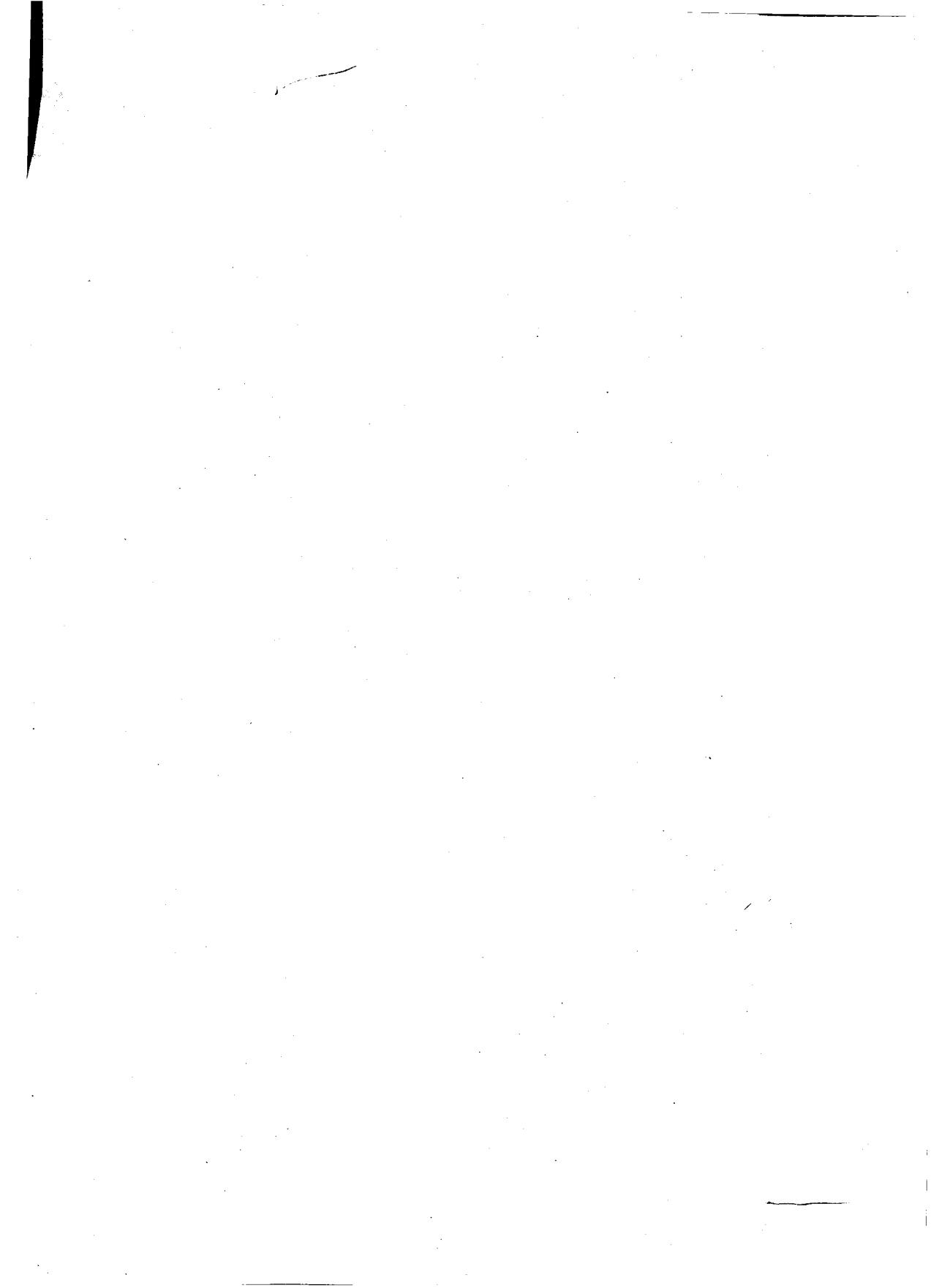
بسم الله الرحمن الرحيم

بابُ كيفَ[1] بَدَأ الوَحْىُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وذِكْرِ أولِ شىءٍ أُنْزِلَ عليه مِن القرآنِ العظيمِ

كان ذلك وله ﷺ مِن العُمْرِ أربعون سنةً، وحكَى ابنُ جَريرٍ[2]، عن ابنِ عبّاسٍ، وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، أنَّه كان عُمْرُه إذ ذاك، ثلاثًا وأربعين سنةً.

قال البُخارِىُّ[3]: حدَّثَنا يَحيى بنُ بُكَيْرٍ، حدَّثَنا الليثُ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنَّها قالت: أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الوَحْىِ الرُّؤْيا الصَّادِقةُ[4] [٥٨/٢و] فى النومِ، فكانَ لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُم حُبِّبَ إليه الخَلَاءُ، فكانَ يَخْلُو بغارِ حِراءَ فيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللياليَ ذواتِ العَدَدِ قبلَ أن يَنْزِعَ إلى أهلِه،

---

(١) فى ص: «كيفية».

(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٢.

(٣) البخارى (٣، ٦٩٨٢).

(٤) فى الأصل: «الصالحة». وهو لفظ رواية البخارى فى بدء الوحى (٣).

ويتزوَّدُ لذلك ، ثُم يَرْجِعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ لمثلِها ، حتى فَجِئَه[1] الحقُّ ، وهو فى غارِ حِراءَ ، فجاءَه الملَكُ ، فقال : اقرأْ . فقال : « مَا أَنَا بقارِئٍ » . قال : « فَأَخَذَنِى فغطَّنى حتَّى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : اقْرَأْ . فقلتُ : مَا أَنَا بقارئٍ؛ فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثانيةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّى الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بقَارِئٍ. فَأَخَذَنِى فَغَطَّنِى الثَّالِثَةَ [2]حتَّى بلَغ مِنِّى الجَهْدَ[2] ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [القلم : ١- ٥] » . فرَجَعَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَرْجُفُ فُؤَادُه[3] ، فدَخَل على خديجةَ بنتِ خُويْلِدٍ ، فقال : « زَمِّلُونِى زَمِّلُونِى » . فزَمَّلُوه حتّى ذهَبَ عنه الرَّوْعُ ، فقال لخديجةَ ، وأخبرَها الخبرَ : « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِى » . فقالتْ خديجةُ : [4]كَلَّا وَاللَّهِ[4] ، لا يُخْزِيك اللَّهُ أبدًا ؛ إنَّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المعدومَ ، وتُعِينُ على نوائبِ الحقِّ . فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ به[5] وَرَقَةَ ابنَ نَوْفَلِ [6]بنِ أسدٍ[6] بنِ عبدِ العُزَّى ، [7]ابنَ عَمِّ خديجةَ[7] ، وكان امْرَءًا[8] تَنَصَّرَ فى الجاهليَّةِ ، وكان يَكْتُبُ الكِتابَ العِبْرَانِىَّ ، فيَكْتُبُ مِن الإنجيلِ بالعِبرانيَّةِ ما

---

(١) فى الأصل ، م : « جاءه » . وهو لفظ رواية البخارى فى بدء الوحى (٣) .

(٢ - ٢) سقط من : ص . وهذا السقط يوافق لفظ رواية بدء الوحى .

(٣) كذا فى النسخ . وهو لفظ رواية بدء الوحى . وفى رواية التعبير : « بوادره » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وهو لفظ بدء الوحى . وفى التعبير : « كلا أبشر فوالله » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ ، وهو لفظ بدء الوحى . وفى التعبير : « وهو ابن عم خديجة أخو أبيها » .

(٨) بعده في الأصل ، م : « قد » .

شاءَ اللَّهُ أن يَكتُبَ ، وكان شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ ، فقالتْ له خديجةُ : يا بنَ عَمِّ ! اسمَعْ مِن ابنِ أخيك . فقال له وَرقةُ : يا بنَ أخى ، ماذا تَرى ؟ فأخبَرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خبرَ ما رَأَى ، فقال له وَرقةُ : هذا النَّاموسُ الذى كان نُزِّلَ[1] على موسى ، يا ليتَنى فيها جَذَعًا ، ليتَنى أكونُ حيًّا إذ يُخرِجُك قومُك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَوَ مُخْرِجِيَّ هم ؟ » فقال : نعم ، لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودِيَ . وإن يُدْرِكْنى يومُك أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُم لم يَنْشَبْ وَرقةُ أن تُوُفِّيَ ، وَفَتَرَ الوحىُ فَتْرةً حتى حَزِن رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنا ، حُزْنًا غَدَا منه مِرارًا كى يَتَرَدَّى مِن رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبالِ ، فكُلَّما أَوْفَى بذِرْوةِ جَبلٍ لكى يُلْقِيَ نفسَه تَبَدَّى له جبريلُ ، فقال : يا محمدُ ، إنَّك رسولُ اللَّهِ حقًّا . فيَسْكُنُ لذلك جَأْشُه ، وتَقَرُّ نفسُه ، فيَرْجِعُ ، فإذا طالتْ عليه فَتْرةُ الوحْيِ غَدَا لمِثْلِ ذلك[2] ، فإذا أَوْفَى بذِرْوةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جبريلُ ، فقال له مِثلَ ذلك . هكذا وقَع مُطَوَّلًا فى بابِ التعبيرِ مِن « البخاريِّ »[3] . قال ابنُ شِهابٍ[4] : وأخبَرَنى أبو سَلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أنَّ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنصاريَّ قال - وهو يُحَدِّثُ عن فَتْرةِ الوحْيِ فقال فى حديثِه - : « بَيْنَا أَنَا أَمْشِى إذ سمِعْتُ صَوْتًا مِن السَّماءِ ، فرفَعْتُ

---

(١) فى الأصل ، م : « ينزل » . فى بدء الوحى : « نزَّل اللَّه » . وفى التعبير : « أنزل » .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « قال » .

(٣) هذه الجملة تشعر بأن المصنف - رحمه اللَّه - ساق هذه الرواية من كتاب التعبير ، لذا قمنا بفرق النسخ على هذه الرواية ، وأثبتنا ما يوافقها ، وأما ما اجتمعت عليه النسخ ويخالف رواية كتاب التعبير فأثبتناه وأشرنا إلى بعضه فى الحواشى ، ولم نستقص لعدم إثقال الكتاب بالحواشى ، ولا نظن أن المصنف أراد دمج روايتى بدء الوحى والتعبير فهذا ليس صنيعه ، ولا سيما حافظ مثله ، ولكن لا نكاد نجزم - بما لدينا من نسخ خطية والمطبوعة - أن هذه رواية بدء الوحى أو التعبير . وسياق ورود الروايات والمتابعات الآتية فى النص تشعر بأنه أراد إثبات رواية بدء الوحى . فاللَّه أعلم .

(٤) البخارى (٤) .

بَصَرِى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءَنى بحِراءَ جَالسٌ على كُرْسِيٍّ بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ، [٥٨/٢ظ] فرُعِبْتُ منه ، فرجَعْتُ ، فقُلْتُ : زَمِّلُونى ، زَمِّلُونى . فأنزَلَ اللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١- ٥] . فَحَمِىَ الوحىُ وتَتَابَعَ » . ثم قال البُخارىُّ[١] : تابعَه عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ ، وأبو صالحٍ ، يَعْنِى عن اللَّيْثِ ، وتابعَه هلالُ بنُ ردَّادٍ[٢] ، عن الزُّهرِىِّ . وقال يُونُسُ ومَعْمَرٌ[٣] : بَوادرُه . وهذا الحديثُ قد روَاه الإمامُ البخارىُّ[٤] ، رَحِمه اللَّهُ ، فى كتابِه فى مواضعَ منه ، وتكلَّمْنا عليه مُطَوَّلًا فى أولِ شرحِ البخارىِّ ، فى كتابِ بَدْءِ الوَحْيِ[٥] ، إسنادًا ومَتْنًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأخرَجَه مسلمٌ[٦] فى صحيحِه مِن حديثِ اللَّيْثِ به ، ومِن طريقِ يُونُسَ ومَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، كما عَلَّقَه البخارىُّ[٣] عنهما ، وقد رَمَزْنا فى الحواشى على زياداتِ مسلمٍ ورواياتِه . وللَّهِ الحمدُ ، وانتهى سِياقُه إلى قولِ وَرَقةَ : أنصُرْك نَصْرًا مُؤَزَّرًا .

---

(١) متابعة عبد اللَّه بن يوسف أسندها فى أحاديث الأنبياء (٣٣٩٢) ، والتفسير (٤٩٢٦) . وانظر تغليق التعليق ٢/ ١٦. ومتابعة عبد اللَّه بن صالح أبى صالح ، وهلال بن رداد ، أسندهما الحافظ فى تغليق التعليق ٢/ ١٦، ١٧.

(٢) فى م : « داود » . انظر تهذيب الكمال ١١/ ٧٨.

(٣) رواية يونس فى التفسير (٤٩٥٣) . ورواية معمر فى التفسير (٤٩٥٦) ، والتعبير (٦٩٨٢) .

(٤) البخارى (٣، ٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٣ - ٤٩٥٥، ٦٢١٤، ٦٩٨٢) .

(٥) هذه إشارة إلى أن للمصنف رحمه اللَّه شرحا لصحيح البخارى ، ولكنه لم يكمله . انظر شذرات الذهب ٦/ ٣٣١.

(٦) مسلم (١٦٠) .

فقولُ أمِّ المؤمنين عائشةَ : أولُ ما بُدِئَ به مِن الوَحْيِ الرُّؤْيا الصَّالحةُ ، فكان لا يَرَى رُؤْيا إلا جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . يُقَوِّى ما ذكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ[1] ابنِ يَسارٍ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ[2] اللَّيْثِيِّ ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « فجاءنى جبريلُ وأنا نائمٌ بنَمَطٍ[3] مِن دِيباجٍ فيه كتابٌ ، فقال : اقرَأْ . فقلتُ : ما أَقرَأُ ؟ فغَتَّنى[4] ، حتى ظننتُ أنَّه الموتُ ، ثم أَرْسَلَنِى » . وذكَر نحوَ حديثِ عائشةَ سواءً . فكان هذا كالتَّوْطِئَةِ لِمَا يأتِى بعدَه مِن اليَقَظَةِ ، وقد جاء مُصَرَّحًا بهذا فى مغازِى مُوسى بنِ عُقْبَةَ ، عن الزُّهْرِيِّ أنَّه رأَى ذلك فى المنامِ ، ثُم جاءه المَلَكُ فى اليَقَظَةِ[5] .

وقد قال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ الأَصْبهانِيُّ[6] فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ » : حدَّثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثنا مِنْجابُ[7] بنُ الحارثِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ الأَجْلَحِ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقمةَ بنِ قيسٍ ، قال : إنَّ أولَ ما يُؤْتَى به الأنبياءُ فى المنامِ حتى تَهْدَأَ قلوبُهم ، ثم يَنْزِلُ الوحىُ بعدُ . وهذا مِن قِبَلِ عَلْقَمةَ بنِ قَيْسٍ نَفْسِه ، وهو كلامٌ حَسَنٌ يُؤَيِّدُه ما قَبْلَه ، ويؤيِّدُه ما بَعْدَه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٦.

(٢) فى الأصل ، م : « عمر » . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٢٢٣.

(٣) النمط : ضرب من البسط له خمل رقيق . النهاية لابن الأثير ٥/ ١١٩. والقاموس المحيط (ن م ط) .

(٤) غتّنى : ضغطنى ضغطا شديدا . الوسيط (غ ت ت) .

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٠. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٤٢.

(٦) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٩٣. إلى أبى نعيم .

(٧) فى م : « جناب » . وفى ص : « خباب » . انظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٧٩.

ذِكْرُ[1] عُمْرِهِ ﷺ، وقتَ بِعْثَتِه، وتاريخِها

قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثَنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ، عن داودَ بنِ أبي هِندٍ، عن عامرٍ الشَّعْبيِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، نزَلَتْ عليه النبوَّةُ وهو ابنُ أربعينَ سنَةً، فقُرِنَ بنُبُوَّتِه إسْرافِيلُ ثلاثَ سنين، فكان يُعَلِّمُه الكلمةَ والشيءَ، ولم يَنزلِ القرآنُ، فلمَّا مضتْ ثلاثُ سنين قُرِنَ بنبوَّتِه جبريلُ، فنَزَلَ القرآنُ على لسانِه عشرين سنَةً؛ عشْرًا بمكةَ، وعشْرًا بالمدينةِ، فمات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنَةً.

فهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الشَّعْبِيِّ، وهو يَقتضِى أنَّ إسرافيلَ قُرِنَ معه بعدَ الأربعين ثلاثَ سنين، ثُم جاءه جبريلُ.

وأمّا الشيخُ شِهابُ الدينِ أبو شَامةَ[3]، فإنَّه قد قال: وحديثُ عائشةَ لا يُنافِي هذا، فإنَّه يَجوزُ أن يكونَ أولَ أمرِه الرُّؤْيا، ثم وُكِلَ به إسرافيلُ فى تلك المدةِ التى كان يَخْلُو فيها بِحِراءَ، فكان يُلْقِي إليه الكلمةَ [٢/٩٥و] بسُرْعةٍ، ولا يُقيمُ معه؛ تدريجًا وتمرينًا إلى أنْ جاءه جبريلُ، فعلَّمَه بعدَما غطَّه ثلاثَ مراتٍ. فحكَتْ عائشةُ ما جرى له مع جبريلَ، ولم تَحْكِ ما جرى له مع إسرافيلَ اختصارًا للحديثِ، أو لم تكنْ وقَفتْ على قصةِ إسرافيلَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا يَحيى عن[5] هِشامٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ

---

(١) سقط من: م.

(٢) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٩٣. إلى الإمام أحمد فى تاريخه.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٠٩.

(٤) المسند ١/ ٢٢٨. (إسناده صحيح).

(٥) فى النسخ: «بن». وهو خطأ. والمثبت من المسند.

عبّاسٍ : أُنْزِلَ على النبىِّ ﷺ ، وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعين ، فمَكَثَ بمكةَ عشْرًا ، وبالمدينةِ عشْرًا ، وماتَ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين . وهكذا روَى يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، وسعيدُ بنُ المسيَّبِ[1] ، ثُم روَى أحمدُ[2] ، عن غُنْدَرٍ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، كلاهما عن هِشامٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأُنزِلَ عليه القرآنُ وهو ابنُ أربعين سنَةً ، فمكَثَ بمكةَ ثلاثَ عشْرةَ سنَةً ، وبالمدينةِ عشْرَ سِنِينَ ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّين سنةً .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا عفَّانُ ، حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، أنبأَنا عمارُ بنُ أبى عمَّارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أقامَ النبىُّ ﷺ بمكةَ خَمْسَ عشْرةَ سنةً ؛ سبعَ سنين يَرَى الضَّوْءَ ، ويَسْمَعُ الصَّوتَ ، وثمانىَ سِنينَ يُوحَى إليه ، وأقامَ بالمدينةِ عشْرَ سنين .

قال أبو شامَةَ : وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَرَى عجائبَ قبلَ بِعْثَتِه ؛ فمِن ذلك ما فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى لَأعْرِفُ حَجَرًا بمكةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ ، إنِّى لَأعرِفُه الآنَ » . انتهى كلامُه .

وإنَّما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يُحِبُّ الخَلَاءَ والانفِرادَ عن قومِه ؛ لِمَا يَرَاهم عليه مِن الضلالِ المبينِ ؛ مِن عِبادَةِ الأوثانِ ، والسجودِ للأصنامِ ، وقَوِيَت مَحَبَّتُه

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٩٢، عن يحيى بن سعيد، وسعيد بن المسيب .
(٢) المسند ١/ ٢٣٦، ٢٤٩. (إسناده صحيح) .
(٣) المسند ١/ ٢٧٩. (إسناده صحيح) .
(٤) مسلم (٢٢٧٧) .

للخَلْوَةِ عندَ مُقارَبَةِ إيحاءِ اللَّهِ إليه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)] ، عن عبدِ الملِكِ [(٢)] بنِ عبدِ[(٣)] اللَّهِ[(٢)] بنِ أبي سُفْيانَ بنِ العلاءِ بنِ جاريةَ[(٤)] ، قال : وكان واعيةً[(٥)] ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، قال : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَخْرُجُ إلى حِراءَ ، في كلِّ عامٍ شَهْرًا مِن السنةِ ، يَتَنَسَّكُ فيه - وكان مِن نُسُكِ قُرَيْشٍ في الجاهليةِ - يُطْعِمُ مَن جاءه مِن المساكينِ ، حتى إذا انصرَفَ مِن مُجاوَرَتِه[(٦)] ، لم يَدْخُلْ بيتَه حتّى يطوفَ بالكعبةِ . وهكذا رَوَى[(٧)] عن[(٨)] وَهْبِ بنِ كَيْسَانَ أنه سَمِعَ عُبيدَ بنَ عُمَيْرٍ ، يُحَدِّثُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ مثلَ ذلك . وهذا يَدُلُّ على أنَّ هذا كان مِن عادةِ المُتَعَبِّدِينَ في قُرَيْشٍ ؛ أنَّهم يُجاوِرُونَ في حِراءَ للعِبادةِ . ولهذا قال أبو طالبٍ في قصيدتِه المشهورةِ[(٩)] :

وَثَوْرٍ ومَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكانَهُ ... ورَاقٍ لِبِرٍّ[(١٠)] في حِراءٍ ونَازِلِ

هكذا صَوْبُه ، على روايةِ هذا البيتِ ، كما ذكرَه السُّهَيْلِيُّ[(١١)] ، وأبو شَامَةَ ،

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٠، ١٠١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) كذا في م ، ص ، وسيرة ابن إسحاق . وفي سيرة ابن هشام : « عبيد » .

(٤) في النسخ : « حارثة » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق . وانظر الإكمال ٢/ ٦.

(٥) واعية : حافظا .

(٦) في ص : « مهاجرته » .

(٧) أي ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٨) سقط من : ص .

(٩) الروض الأنف ٣/ ٩٠. وستأتي القصيدة كاملة في ١٣٥- ١٤٢.

(١٠) في م ، ص : « ليرقى » . وهو لفظ رواية ابن هشام في السيرة ١/ ٢٣٥.

(١١) الروض الأنف ٣/ ٩٠.

وشيخُنا الحافظُ [٢/٥٩ظ] أبو الحَجَّاجِ المِزِّيُّ ، رحِمَهم اللَّهُ . وقد تصحَّفَ على بعضِ الرُّواةِ ، فقال[1] فيه :

* وراقٍ لِيَرْقَى فى حِراءٍ[2] ونازِلِ *

وهذا رَكيكٌ ومخالفٌ للصوابِ . واللَّهُ أعلمُ .

وحِرَاءُ ، يُقْصَرُ ويُمَدُّ ، ويُصْرَفُ ويُمْنَعُ ، وهو جَبَلٌ بأعلى مكةَ على ثلاثِ أميالٍ منها ، عن يَسَارِ المارِّ إلى [3]مِنًى ، له[3] قُلَّةٌ[4] مُشْرِفةٌ على الكعبةِ مُنْحَنِيةٌ ، والغارُ فى تلك الحَنْيةِ . وما أحسنَ ما قال رُؤْبةُ بنُ العَجَّاجِ[5] :

فَلَا وربِّ الآمِناتِ[6] القُطَّنِ ... وربِّ رُكْنٍ مِن حِراءٍ مُنْحَنِى

وقولُه فى الحديثِ : والتحنُّثُ التعبُّدُ . تفسيرٌ بالمعنى ، وإلا فحقيقةُ التحنُّثِ مِنْ حيثُ[7] البِنْيَةُ ، فيما قاله السُّهَيْلِىُّ[8] ، الدخولُ فى الحِنْثِ ، ولكن سُمِعَتْ ألفاظٌ قليلةٌ فى اللغةِ ، معناها الخروجُ مِن ذلك الشىءِ ، فتَحنَّثَ أى خَرَجَ مِن الحِنْثِ ، وتحوَّبَ[9] وتَحَرَّجَ وتأثَّمَ ، وتهجَّدَ و[10] هو تَرْكُ الهُجُودِ ، وهو النومُ

---

(١) أى ابن هشام أو زياد . وانظر كلام السهيلى فى الروض . وخزانة الأدب ٢/ ٦١.

(٢) فى الأصل ، م : « حر » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) القلة : قلة كل شيء قمته وأعلاه . الوسيط (ق ل ل) .

(٥) ديوان رؤبة ص ١٦٣.

(٦) فى الأصل : « الآمنا » .

(٧) فى الأصل ، م : « حنث » .

(٨) الروض الأنف ٢/ ٣٩٠.

(٩) فى الأصل : « تموت » . وتحوب : ترك الحوب وهو الإثم . الوسيط (ح و ب) .

(١٠) زيادة من : ص .

لِلصلاةِ ، وتَنجَّسَ ، وتَقذَّرَ . أوردَهَا أبو شامةَ . وقد سُئِلَ ابنُ الأَعْرابِيِّ عن قولِه : يتَحنَّثُ أى يتعبَّدُ . فقال : لا أَعرِفُ هذا ، إنما هو يتحنَّفُ ، مِن الحَنِيفِيَّةِ دِينِ إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ . قال ابنُ هِشامٍ[1] : والعربُ تَقُولُ : التَّحَنُّثُ ، والتحنُّفُ . يُبْدِلُونَ الفاءَ مِن الثَّاءِ ، كما قالوا : جدَثَ[2] وجدَفَ[3] . كما قال رُؤْبَةُ[4] :

* لو كان أَحْجارى مع الأجدافِ[5] *

يُرِيدُ الأجداثَ . قال[6] : وحدَّثَنى أبو عُبَيْدَةَ أَنَّ العربَ تَقولُ : « فُمَّ » . فى مَوضِعِ « ثُمَّ » . قُلْتُ : ومِن ذلك قولُ بعضِ المفسِّرين [7]فى قولِه تعالى[7] : ﴿ وَفُومِهَا ﴾ [البقرة : ٦١] أَنَّ المرادَ ثُومُها .

وقد اختلَفَ العلماءُ فى تَعبُّدِه عليه السَّلامُ ، قبلَ البِعْثَةِ ، هل كان على شَرعٍ أمْ لا ؟ وما ذلك الشَّرْعُ ؟ فقيل : شَرْعُ نوحٍ . وقيل : شَرْعُ إبراهيمَ . وهو الأَشْبَهُ الأَقْوى . وقيل : موسى . وقيل : عيسى . وقيل : كلُّ ما ثبَتَ أنَّه شَرْعٌ عندَه اتَّبَعَه وعمِلَ به . ولبَسْطِ هذه الأقوالِ ومناسباتِها مَواضِعُ أُخَرُ فى أصولِ الفقهِ[8] . واللَّهُ أعلمُ .

وقولُه : حتى فَجِئَه الحقُّ وهو بغارِ حِراءَ . أى جاءَ بَغْتَةً على غيرِ مَوْعِدٍ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥.

(٢) فى م ، ص : « جدف » .

(٣) فى النسخ : « جذف » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) ديوان رؤبة ص ١٠٠

(٥) فى النسخ : « الأحذاف » . والمثبت من الديوان .

(٦) السيرة لابن هشام ١/ ٢٣٦.

(٧ - ٧) زيادة من : ص .

(٨) انظر العدة فى أصول الفقه لأبى يعلى ٣/٧٥٣ وما بعدها .

كما قالَ تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ الآيةَ [القصص: ٨٦] . وقد كان نزولُ صَدْرِ هذه السورةِ الكريمةِ ، وهى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ وهى أولُ ما نزَلَ مِن القرآنِ - كما قرَّرْنا ذلك فى « التفسيرِ »[(١)] ، وكما سيأتى أيضًا - فى يومِ الاثنَيْنِ ، كما ثبتَ فى « صحيحِ مسلمٍ »[(٢)] عن أبى قَتادَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عن صومِ يومِ الاثنَيْنِ ، فقال : « ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه ، ويومٌ أُنزِلَ علىَّ فيه » .

وقال ابنُ عباسٍ[(٣)] : وُلِدَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ ، يومَ الاثنين ، ونُبِّئَ يومَ الاثنين . وهكذا قال عُبَيْدُ بنُ عُمَيرٍ ، وأبو جعفرٍ الباقِرُ ، وغيرُ واحدٍ مِن العلماءِ ، أنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أُوحِىَ إليه يومَ الاثنين ، وهذا ما لا خلافَ فيه بينَهم .

ثُم قيل : كان ذلك فى شهرِ ربيعِ الأولِ [٢/٦٠و] كما تقدَّمَ[(٤)] عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ أنَّه وُلِدَ ، عليه السَّلامُ ، فى الثانى عشَرَ مِن ربيعِ الأولِ يومَ الاثنَيْنِ ، وفيه بُعِثَ ، وفيه عُرِجَ به إلى السَّماءِ . والمشهورُ أنه بُعِثَ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فى شهرِ رمضانَ . كما نصَّ على ذلك عُبَيدُ بنُ عُمَيرٍ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ[(٥)] وغيرُهما . قال ابنُ إسحاقَ[(٦)] مُستدِلًّا على ذلك بما قال اللَّهُ تعالى :

---

(١) التفسير ٨/ ٤٥٩.
(٢) مسلم (١١٦٢) .
(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٣.
(٤) تقدم ٣/ ٣٧٥.
(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٩. وتاريخ الطبرى ٢/ ٣٠٠.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٩، ٢٤٠.

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] . فقيل : فى ثانى[١] عشرِه . وروَى الوَاقِدِىُّ[٢] بسَنَدِه ، عن أبى جَعْفرٍ البَاقِرِ ، أنَّه قال : كان ابتداءُ الوَحْيِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الاثنين ، لسَبْعَ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ . وقيل : فى الرابعِ والعشرينَ منه .

قال الإمامُ أحمدُ[٣] : حدَّثنا أبو سعيدٍ مولى بنى هاشمٍ ، حدَّثنا عِمْرَانُ أبو العَوَّامِ ، عن[٤] قَتادَةَ ، عن أبى المَلِيحِ ، عن واثلةَ بنِ الأَسْقَعِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « أُنْزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ فى أولِ ليلةٍ مِن رمضانَ ، وأُنْزِلَتِ التوراةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِن رمضانَ ، والإنجيلُ لثلاثَ عشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ ، وأُنْزِلَ القرآنُ لأربعٍ وعِشْرين خَلَتْ مِن رمضانَ » . وروَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ[٥] فى « تفسيرِه » عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ مرفوعًا نحوَه ، ولهذا ذهَبَ جماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعين ، إلى أنَّ ليلةَ القَدْرِ ليلةُ أربعٍ وعِشرين .

وأمّا قولُ جِبريلَ : اقرأ . فقال : « ما أنا بقارئٍ » . فالصحيحُ أنَّ قولَه : « ما أنا بقارئٍ » نَفْيٌ ، أى لَسْتُ ممَّن يُحْسِنُ القراءةَ . وممَّن رَجَّحه النَّوَوِىُّ ، وقَبْلَه الشيخُ أبو شامةَ ، ومَن قال : إنَّها استفهاميةٌ . فقولُه بعيدٌ ؛ لأنَّ الباءَ لا تُزَادُ[٦] فى الإثباتِ . ويُؤَيِّدُ الأولَ روايةُ أبى نُعَيْمٍ[٧] مِن حديثِ المُعْتَمِرِ بنِ سُليمانَ ، عن

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٩٤، عن الواقدى به .
(٣) المسند ٤/ ١٠٧. (السلسلة الصحيحة ١٥٧٥) .
(٤) بعده فى الأصل : « أبى » .
(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ١٨٩. إلى ابن مردويه عن جابر موقوفا عليه .
(٦) بعده فى الأصل : « إلا » .
(٧) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٢، ٧٦٣، عن المعتمر به .

أبيه : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو خائفٌ يُرْعَدُ : « ما قرَأْتُ كتابًا قطُّ ، ولا أُحْسِنُه ، وما أكتُبُ وما أقْرَأُ » . فأخذَه جبريلُ فَغَتَّه غتًّا شديدًا ثُم ترَكَه ، فقال له : اقرَأْ . فقال محمدٌ ﷺ : « ما أرى شيئًا أَقْرَأُه ، وما أقْرَأُ ، وما أكتُبُ » يُرْوىَ : « فغطَّنى » ، كما فى « الصحيحين »[1] . و« غَتَّنى » . ويُرْوَى : « قد غَتَّنى »[2] أى خنَقَنى . « حتّى بلَغَ منى الجَهْدَ » يُرْوَى بضَمِّ الجيمِ ، وفَتْحِها ، وبالنَّصْبِ ، وبالرَّفْعِ ، وفَعَلَ به ذلك ثلاثًا .

قال أبو سُليمانَ الخَطَّابِىُّ : وإنما فعَلَ ذلك به ؛ ليَبْلُوَ صبْرَه ، ويُحسنَ تأديبَه ؛ فيَرْتاضَ لاحتمالِ ما كَلَّفَه به مِن أعباءِ النبوةِ ، ولذلك كان يَعْتَرِيه مثلُ حالِ المحمومِ ، وتَأْخُذُه الرُّحَضَاءُ ؛ أى البُهْرُ[3] والعرَقُ . وقال غيرُه : إنما فعَلَ ذلك لأمورٍ منها ؛ أنْ يَسْتَيْقِظَ لعَظَمةِ ما يُلْقَى إليه ، بعدَ هذا الصَّنيعِ المُشِقِّ على النفوسِ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] ، ولهذا كان ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، إذا جاءه الوَحْىُ ، يَحْمَرُّ وجهُه ويَغِطُّ ، كما يَغِطُّ البَكْرُ[4] من الإبِلِ ، ويَتَفَصَّدُ جبينُه عرَقًا ، فى[5] اليومِ الشديدِ [٢/ ٦٠ظ] البردِ .

وقولُه : فرجَعَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى خديجةَ يَرْجُفُ فؤادُه . وفى

---

(١) البخارى (٣، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).
(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٩٨.
(٣) البهر : تتابع النفس من الإعياء. الوسيط (ب هـ ر) .
(٤) غَطَّ : ردَّد النفس فى خياشيمه . الوسيط (غ ط ط) . والبَكر : الفتى من الإبل . الوسيط (ب ك ر) .
(٥) بعده فى الأصل ، ص : « مثل » .

روايةٍ[1] : بوادرُه . جمعُ بادرةٍ . قال أبو عُبَيْدٍ[2] : وهى لَحْمَةٌ بينَ المَنْكِبِ[3] والعُنُقِ . وقال غيرُه : هى عُروقٌ تَضْطَرِبُ عندَ الفَزَعِ . وفى بعضِ الرواياتِ : تَرْجُفُ بآدِلِه . واحدتُها بادلةٌ . وقيل : بادلٌ ، وهو : ما بينَ العُنُقِ والتَّرْقُوَةِ . وقيل : أصلُ الثَّدْيِ . وقيل : لَحْمُ الثَّدْيَيْنِ . وقيل غيرُ ذلك .

فقال : « زمِّلونى زمِّلونى » . فلمّا ذهَبَ عنه الرَّوْعُ ، قال لخديجةَ : « ما لى ؟ أىُّ شىءٍ عرَضَ لى ؟ » وأخبرَها ما كان مِن الأمرِ ، ثُم قال : « لقد خشِيتُ على نَفْسى » . وذلك لأنَّه شاهَدَ أمرًا لم يَعْهَدْه قبلَ ذلك ، ولا كان فى خَلَدِه[4] . ولهذا قالت خديجةُ : أَبْشِرْ ، كلّا واللَّهِ ، لا يُخْزِيك اللَّهُ أبدًا . قيل : مِن الخِزْيِ . وقيل : مِن الحزْنِ . وهذا لعِلْمِها - بما أَجرَى اللَّهُ به جميلَ العوائدِ فى خَلْقِه - أنَّ مَنْ كان مُتَّصِفًا بصفاتِ الخيرِ لا يُخْزَى فى الدُّنيا ولا فى الآخرةِ ، ثُم ذكَرَتْ له مِنْ صفاتِه الجَليلةِ[5] ، ما كان مِنْ سَجاياه الحسَنةِ ، فقالتْ : إنَّك لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ الحديثَ - وقد كان مشهورًا بذلك ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه ، عندَ المُوافِقِ والمُفارِقِ - وتَحْمِلُ الكَلَّ . أى عن غيرِك ، تُعْطِى صاحبَ العَيْلَةِ ما يُريحُه مِن ثِقَلِ مُؤْنَةِ عِيالِه ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ . أى تَسْبِقُ إلى فعْلِ الخَيْرِ ، فتُبادِرُ إلى إعطاءِ الفقيرِ ، فَتَكْسَبُ حَسَنتَه قبلَ غيرِك ، ويُسَمَّى الفقيرُ

---

(١) البخارى (٤٩٥٣) .

(٢) فى النسخ : « عبيدة » . وهو خطأ . وتفسيره فى كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام ونقل كلامه النووى فى شرح مسلم ٢/ ٢٠٠ .

(٣) فى الأصل : « الكتف » .

(٤) الخلد : البال والنفس .

(٥) فى الأصل : « الجميلة » .

مَعْدُومًا ؛ لأنَّ حياتَه ناقصةٌ ، فوجودُه وعدمُه سَوَاءٌ ، كما قال بعضُهم[1] :

لیسَ مَن ماتَ فاستراحَ بِمَيْتٍ إنَّما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحياءِ

وقال أبو الحسنِ التِّهاميُّ[2] ، فيما نقلَه عنه القاضى عِياضٌ فى « شَرْحِ مُسْلِمٍ » :

عُدَّ ذا الفقرِ مَيِّتًا وكِسَاهُ كَفَنًا باليًا ومأواه قَبْرًا

وقال الخَطَّابيُّ[3] : الصوابُ : وتُكْسِبُ المُعْدَمَ[4] . أى تَبْذُلُ إليه ، أو يَكونُ [5] وتُكْسب المعدوم[5] : تُعْطِيهِ مالًا يَعيشُ به . واختار شيخُنا الحافظُ أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ أنَّ المُرادَ بالمعدومِ هاهنا المالُ المُعْطَى ، أى يُعْطِى المالَ لمَن هو عادِمُه . ومَن قال : إنَّ المرادَ أنَّك تَكْسَبُ باتِّجارِك المالَ المعدومَ ، أو النفيسَ القليلَ النظيرِ ، فقد أبعد النُّجْعةَ ، وأغرَقَ فى النَّزْعِ ، وتكلَّفَ ما ليس له به عِلْمٌ ؛ فإنَّ مِثْلَ هذا لا يُمْدَحُ به غالبًا ، وقد ضَعَّفَ هذا القولَ عِياضٌ والنَّوَوِىُّ[6] وغيرُهما . واللَّهُ أعلمُ .

وتَقْرِى الضَّيْفَ . أى تُكْرِمُه فى تقديمِ قِراهُ ، وإحسانِ مأْواه ، وتعِينُ عَلَى نَوائِبِ الحقِّ . ويُرْوَى : الخَيْرِ ، أى ؛ إذا وقَعَتْ نائبةٌ لأحدٍ فى خيرٍ أعَنْتَ فيها ، وقمتَ مع صاحبِها حتَّى يَجِدَ سِدَادًا مِن عَيْشٍ أو قَوامًا مِن عَيْشٍ .

وقولُه : ثُم أَخَذَتْه فانْطَلَقَتْ به إلى ابنِ عمِّها وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ ، وكانَ شَيْخًا

---

(١) البيت لعدى بن الرعلاء، وهو فى « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت ٤٤٨، و« أمالى ابن الشجرى » ١/ ١٥٢.

(٢) ديوان أبى الحسن التهامى ص ٣٧.

(٣) انظر فتح البارى ١/ ٢٤.

(٤) فى فتح البارى : المعدم بلا واو.

(٥ - ٥) فى م « تلبس العدم ».

(٦) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٢٠١.

[٢/ ٦١و] كبيرًا قَدْ عَمِىَ. وقد قدَّمْنا[١] طَرَفًا مِن خبرِه مع ذِكْرِ زَيْدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيْلٍ، رحِمَه اللَّهُ، وأنَّه كان مِمَّن تَنَصَّرَ فى الجاهليةِ، ففارَقَهم وارتحَلَ إلى الشامِ، هو وزيدُ بنُ عَمرٍو، وعثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ، وعُبيدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، فتَنَصَّرُوا كلُّهم؛ لأنَّهم وجَدُوه أَقْرَبَ الأديانِ، إذ ذاك، إلى الحقِّ، إلَّا زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، فإنَّه رأى فيه دَخَلًا وتَخْبِيطًا وتَبْدِيلًا وتَحْرِيفًا وتَأْوِيلًا، فأبَتْ فِطْرَتُه الدُّخولَ فيه أيضًا، وبَشَّروه الأحبارُ والرهبانُ بوجودِ نَبِيٍّ، قد أَزِفَ زَمانُه واقترَبَ أوانُه، فرجَعَ يَتَطَلَّبُ ذلك، واستمرَّ على فِطْرَتِه وتَوْحيدِه، لكن اخْتَرَمَتْه المَنِيَّةُ قبلَ البِعْثَةِ المحمديّةِ، وأَدْرَكَها[٢] ورقةُ بنُ نَوْفلٍ، وكان يَتَوَسَّمُها فى رسولِ اللَّهِ ﷺ كما قدَّمْنا[٣]، بما كانتْ خديجةُ تَنْعَتُه له وتَصِفُه له، وما هو مُنْطَوٍ عليه مِن الصِّفاتِ الطاهرةِ الجميلةِ، وما ظَهَرَ عليه مِن الدلائلِ والآياتِ، ولهذا لمّا وَقَعَ ما وقَع، أخذَتْ بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وجاءتْ به إليه، فوقَفَتْ به عليه، وقالتْ: ابنَ عمٍّ، اسمَعْ مِن ابنِ أخيك. فلمّا قَصَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَ ما رأى، قال وَرَقَةُ: سُبُّوحٌ سُبُّوحٌ، هذا النَّاموسُ الذى أُنْزِلَ على موسَى. ولم يَذْكُرْ عِيسى، وإن كان متأخِّرًا بعدَ موسى؛ لأنه كانتْ شريعتُه مُتَمِّمَةً ومُكَمِّلةً لشريعةِ موسَى، عليهما السَّلامُ، ونَسَخَتْ بعضَها، على الصحيحِ مِن قولِ العلماءِ، كما قال: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقَوْلُ وَرَقَةَ هذا كما قالتِ الجِنُّ: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ

(١) تقدم فى ٣/ ٣١٨ - ٣٢٢.

(٢) فى ص: «أردفها».

(٣) تقدم فى ٣/ ٤٦٣.

بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

ثُم قال وَرَقَةُ: يَا لَيتَنِي فِيهَا جَذَعًا. أى يا ليتنى أكونُ اليومَ[1] شابًّا، مُتَمَكِّنًا مِن الإيمانِ، والعِلْمِ النافعِ، والعملِ الصالحِ.

يَا لَيتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخرِجُكَ قَوْمُكَ. يعنى: حتَّى أَخْرُجَ معَكَ وأَنْصُرَكَ، فعندَها قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم؟!» قال السُّهَيْلِيُّ[2]: وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ فِراقَ الوطنِ شديدٌ على النُّفوسِ.

فقال: نعم، إنَّه لم يَأْتِ أحدٌ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإن يُدْرِكْنى يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. أى؛ أَنْصُرْكَ نَصْرًا عزيزًا أبَدًا[3].

وقولُه: ثُم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أن تُوُفِّيَ. أى تُوُفِّيَ بعدَ هذه القِصةِ بقليلٍ[4]، رحِمَه اللَّهُ ورَضِيَ عنه، فإنَّ مثلَ[5] هذا الذى صَدَرَ عنه، تَصْديقٌ بما وجَدَ، وإيمانٌ بما حصَلَ مِن الوَحْيِ، ونيةٌ صالحةٌ للمُستقبَلِ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا حَسَنٌ، عن ابنِ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنى أبو الأسودِ، عن عُرْوَةَ، عن عائشةَ، أنَّ خديجةَ سألتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عن وَرَقَةَ ابنِ نَوْفَلٍ، فقال: «قد رَأَيْتُه[7]، فرَأَيْتُ عَلَيه ثِيابَ بَياضٍ، فأَحْسَبُه لو كانَ مِن

---

(١) فى ص: «الآن».

(٢) الروض الأنف ٢/ ٤٢١.

(٣) كذا فى النسخ. ولعلها: «أيدا». أى قويًا.

(٤) ليست فى: الأصل.

(٥) فى ص: «قيل».

(٦) المسند ٦/ ٦٥. قال صاحب الفتح الربانى ٢٠/ ١٧٤: رجاله ثقات، وإن كان فى إسناده ابن لهيعة، فقد صرح بالتحديث، فالحديث حسن.

(٧) بعده فى المسند: «فى المنام».

أَهْلِ النَّارِ لم يَكُنْ عَلَيه ثِيابُ بَياضٍ » . [١] وهذا إسنادٌ حَسَنٌ ، لكن رواه الزُّهْرِيُّ وهِشامٌ ، عن عُرْوَةَ مُرْسَلًا [٢] . فاللَّهُ أعلمُ [١] .

ورَوَى الحافظُ أبو يَعْلَى [٣] ، [٤] عن سُرَيجِ [٥] بنِ يُونُسَ ، عن إسماعيلَ ، عن [٤] مُجالِدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سُئِلَ عن وَرَقَةَ [٢/ ٦١ظ] بنِ نَوْفَلٍ ، فقال [٦] : « أَبْصَرْتُه فى بُطْنانِ [٧] الجَنَّةِ وعَلَيْهِ السُّنْدُسُ » [٨] وسُئِلَ عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، فقال : « يُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ أُمَّةً وَحْدَه » . وسُئِلَ عن أبى طالبٍ ، فقال : « أَخْرَجْتُه مِن غَمْرَةٍ مِن جَهَنَّمَ إلى ضَحْضاحٍ [٩] مِنْهَا » . وسُئِلَ عن خديجةَ ؛ لأنَّها ماتتْ قبلَ الفرائضِ وأحكامِ القرآنِ ، فقال : « أَبْصَرْتُهَا عَلَى نَهَرٍ فى الجَنَّةِ فى بَيْتٍ مِن قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ » . إسنادٌ حَسَنٌ ، ولبعضِه شواهدُ فى « الصحيحِ » [١٠] . واللَّهُ أعلمُ [٨] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ [١١] : حدَّثَنا عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثَنا أبو

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٧ - مخطوط - من طريق الزهرى عن عروة مرسلا .

(٣) مسند أبى يعلى (٢٠٤٧) مع تقديم وتأخير فى المتن . كما أخرجه بلفظه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٦، ٧٦٧ - مخطوط - من طريق أبى يعلى به .

(٤ - ٤) فى ص : « من حديث » .

(٥) فى الأصل ، م : « شريح » . والمثبت من مسند أبى يعلى . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢٢١ .

(٦) بعده فى الأصل ، م : « قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض » .

(٧) بطنان : جمع بَطْن . والبطن من كل شىء جوفه . الوسيط (ب ط ن) .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) الضحضاح : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ، ما يبلغ الكعبين ، واستعاره للنار . اللسان (ضحضح) .

(١٠) البخارى (١٧٩٢، ٣٨١٩) . من حديث عبد الله بن أبى أوفى .

(١١) كشف الأستار (٢٧٥٠، ٢٧٥١) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٤١٦ : رواه البزار متصلا ومرسلا ، ورجال المسند والمرسل رجال الصحيح .

أسامةَ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، (١عن أبيه١)، عن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ له جَنَّةً أو جَنَّتَيْنِ». وكذا رواه ابنُ عَساكِرَ[٢] مِن حديثِ أبي سَعيدٍ الأَشَجِّ، عن أبي معاويةَ، عن هِشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ. وهذا إسنادٌ جيدٌ، ورُوِيَ مُرْسَلًا[٢]، وهو أَشْبَهُ.

ورَوَى الحافظان البَيْهَقِيُّ وأبو نُعَيْمٍ في كتابَيْهما «دلائلِ النبوةِ»[٣] مِن حديثِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن يُونُسَ بنِ عَمرٍو، عن أبيه، عن عمرِو بنِ شُرَحْبيلٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لخديجةَ: «إِنِّي إذا خَلَوْتُ وَحْدي سَمِعْتُ نِداءً، وقد خَشِيت واللَّهِ أنْ يكونَ لهذا أمرٌ». قالت: معاذَ اللَّهِ! ما كان اللَّهُ[٤] لِيَفْعَلَ ذلك بك، فواللَّهِ[٥] إنَّك لَتُؤَدِّي الأمانةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ. فلمَّا دخَلَ أبو بكرٍ، وليس رسولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَّ، ذكَرَتْ له خديجةُ فقالتْ: (٦يا عَتِيقُ٦)، اذهبْ مع محمدٍ إلى وَرَقَةَ. فلمَّا دخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أخَذَ بيدِه أبو بكرٍ فقال: انطلِقْ بنا إلى وَرَقَةَ. قال: «ومَن أخبرَكَ؟» قال: خديجةُ. فانطَلَقَا إليه فَقَصَّا عليه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي إذا خَلَوتُ وَحْدي سَمِعْت نِداءً خَلْفي: يا محمدُ، يَا محمدُ. فأَنْطَلِقُ هارِبًا في[٧]

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٧٦٧. مخطوط.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٢/١٥٨.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل للبيهقي.

(٥) سقط من: ص.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) في الأصل: «من».

الأَرْضِ » . فقال له : لا تَفْعَلْ ، إذَا أَتاك فَاثْبُتْ ، حَتَّى تَسْمَعَ ما يَقُولُ لك ، ثُم ائتِنِى فَأَخْبِرنِى . فلمَّا خَلا ناداه : يا محمدُ ، قُلْ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : ١- ٧] . قُلْ : لا إله إلا اللَّهُ . فأَتَى وَرَقَةَ ، فذكَرَ له ذلك ، فقال له وَرَقَةُ : أَبْشِرْ ثُم أَبْشِرْ ، فأنا أشْهَدُ أَنَّك الذى بشَّرَ بك ابنُ مَرْيَمَ ، وأنَّك على مِثْلِ ناموسِ موسى ، وأنَّك نَبىٌّ مُرْسَلٌ ، وأنَّك ستُؤْمَرُ بالجِهادِ بعدَ يومِك هذا ، ولئِنْ أَدْرَكَنى ذلك لأُجاهِدَنَّ معَك . فلمّا تُوُفِّىَ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد رَأَيْتُ القَسَّ فى الجَنَّةِ عليه ثِيابُ الحريرِ ؛ لأنَّه آمَنَ بى وصَدَّقَنى » . يعنى وَرَقَةَ . هذا لفظُ البَيْهَقِىِّ ، وهو مُرْسَلٌ ، وفيه غَرابةٌ ، وهو كَوْنُ الفاتحةِ أولَ ما نزَلَ .

وقد قَدَّمْنا مِن شِعْرِه ما يَدُلُّ على إضمارِه الإيمانَ ، (١)وعَقْدِه عليه(١) ، وتَأَكُّدِه عندَه ، وذلك حينَ أخبرَتْه خديجةُ ما كان مِن أَمرِه مع غلامِها مَيْسَرَةَ ، وكيفَ كانت الغَمامَةُ تُظَلِّله فى هَجِيرِ القَيْظِ ، فقال وَرَقَةُ فى ذلك أشْعارًا(٢) قَدَّمْناها(٣) قبلَ هذا ، منها قولُه :

(٤)لَجِجْتُ وكُنْتُ فى الذِّكْرَى لَجُوجًا ... لأَمْرٍ طالَما بعثَ النَّشيجَا
[٢/ ٦٢و] ووَصْفٍ مِن خديجةَ بعدَ وَصْفٍ ... فقد طالَ انتِظارى يا خَديجَا(٤)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) الأبيات فى تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام ص ١٠٢، ١٠٣.
(٣) تقدم فى ٣/ ٤٧٠ - ٤٧٤.
(٤ - ٤) سقط من : ص .

(١ ببطنِ المكّتَيْنِ على رجائى حديثَكِ أن أرى منه خُروجَا

بما خَبَّرتِنا مِن قَوْلِ قَسٍّ مِن الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أن يَعُوجَا ١)

بأنَّ محمدًا سيسودُ قومًا ويَخْصِمُ مَن يكونُ له حَجيجَا

ويُظْهِرُ فى البلادِ ضياءَ نورٍ يُقيمُ به البريَّةَ أَنْ تَموجَا[٢]

فيَلْقَى[٣] مَن يُحارِبُه خسارًا ويَلْقَى مَن يُسالِمُه فُلُوجَا

فيا ليتى إذا[٤] ما كانَ ذاكم شَهِدْتُ وكُنْتُ أَوَّلَهم وُلوجا

٥) وُلوجًا فى ٥) الذى كَرِهَتْ قريشٌ ولَو عَجَّتْ[٦] بمكَّتِها عَجيجَا

أُرَجِّى بالّذى كرِهوا جميعًا إلى ذى العرشِ إذ سَفَلوا عُروجَا

فإن يَبْقَوْا وأَبْقَ يَكُنْ أُمورٌ يَضِجُّ الكافرونَ لها[٧] ضَجيجَا

وقال أيضًا فى قصيدتِه الأخرى:

وأَخبارَ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عن محمدٍ يُخَبِّرُها عنه إذا غابَ ناصحُ

بأنَّ ابنَ عبدِ اللّهِ أحمدَ مُرْسَلٌ إلى كلِّ مَن ضُمَّتْ عليه الأباطِحُ[٨]

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى م، ص: «تعوجا».

(٣) فى الأصل، ص: «ويلقى».

(٤) فى ص: «إذ». والبيت من شواهد النحاة فى شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ١/ ١١١.

(٥ - ٥) فى الأصل، م: «ولو كان». والبيت أيضا فى شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٤٧.

(٦) عجت: ارتفعت أصواتها.

(٧) فى الأصل: «بها».

(٨) الأباطح: جمع أبطح، وهو المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه أبطح مكة. الوسيط (ب ط ح).

وظنّي به أنْ سوف يُبْعَثُ صادِقًا كما أُرسِلَ العَبْدانِ هُودٌ وصالحُ

وموسَى[1] وإبراهيمُ حتَّى يُرى له بهاءٌ ومنشورٌ مِن الذِّكْرِ[2] واضحُ

ويَتْبَعُه حيًّا لُؤَىُّ بنِ غالبٍ شبابُهم والأشْيَبونَ الجَحاجِحُ[3]

فإن أَبْقَ حتَّى يُدْرِكَ الناسَ دَهْرُه فإنِّى به[4] مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فارِحُ

وإلا فإنِّى يا خديجةُ فاعْلَمى عن أَرْضِكِ فى الأَرضِ العريضَةِ سائحُ

وقال يُونُسُ بنُ[5] بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[6]، قال وَرَقَةُ:

فإن يَكُ حَقًّا يا خديجةُ فاعلمى حديثَكِ إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ

وجبريلُ يأتيه وميكالُ معْهُما مِن اللَّهِ وحْىٌ يَشْرَحُ الصَّدْرَ مُنْزَلُ

يَفوزُ به مَنْ فَازَ فيها بتوبةٍ ويَشْقَى به العَاتى[7] الغَرِيرُ[8] المضلَّلُ

فريقانِ مِنهمْ فِرقةٌ فى جِنانِه وأُخرى بأحوازِ الجحيمِ تُعلَّلُ

إذا ما دَعَوْا بالوَيْلِ فيها تَتابَعَتْ مَقامِعُ فى هاماتِهِمْ ثَمَّ تُشْعَلُ

فسُبحانَ مَن تَهوِي الرِّياحُ بأمْرِه ومَنْ هو فى الأيامِ ما شاءَ يَفْعَلُ

ومَنْ عَرْشُه فَوقَ السَّماواتِ كلِّها وأقضاؤُه فى خَلْقِه لا تُبدَّلُ

---

(١) فى الأصل: «نوح».

(٢) فى م، ص: «الحق».

(٣) جمع جحجح، وهو السيد السمح الكريم.

(٤) فى الأصل: «إذا».

(٥) فى الأصل، م: «من».

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٣، ١٠٤.

(٧) فى النسخ: «العانى». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٥٠.

(٨) الغرير: المغرور.

وقال ورقةُ أيضًا :

يا لَلرِّجالِ وصَرْفِ الدَّهْرِ والقدَرِ ... ومَا لشىءٍ قَضَاهُ اللَّهُ من غِيَرِ

[٢/٦٢ظ] (١) حتى خديجةُ تَدْعُونى لأُخْبِرَها ... وما لها بخَفِىِّ الغَيْبِ مِن خَبَرِ

جاءتْ لتَسْأَلَنى عنه لأُخْبِرَها ... أَمْرًا أُراه سيَأْتِى الناسَ مِن أُخَرِ (١)

فخبَّرَتْنى بأمرٍ قد سَمِعْتُ به ... فيما مَضَى مِن قديمِ الدَّهْرِ والعُصُرِ

بأنَّ أحمدَ يَأْتيه فيُخْبِرُه ... جبريلُ أنَّكَ مَبعوثٌ إلى البَشَرِ

فقُلْتُ عَلَّ الذى تَرْجِينَ (٢) يُنجِزُه ... لكِ الإلهُ فَرَجِّى الخيرَ وانتَظِرِى

وأَرْسِلِيه إلينا كى نُسَائِلَه ... عَن أَمْرِه ما يَرَى فى النومِ والسَّهَرِ

فقالَ حينَ أتانا مَنطِقًا عَجَبًا ... يَقِفُّ (٣) منه أعالى الجِلْدِ والشَّعَرِ

إنِّى رَأَيْت أَمينَ اللَّهِ واجَهَنى ... فى صورةٍ أُكْمِلَتْ (٤) من أعظم (٤) الصُّوَرِ

ثُم استمرَّ فكاد الخوفُ يَذْعَرُنى ... مِمَّا يُسلِّمُ مِنْ حَولى مِن الشَّجَرِ

فقُلْتُ ظَنِّى وما أَدْرِى أَيَصْدُقُنى ... أن سوفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ

وسوف أُبْلِيكَ (٥) إنْ أَعْلَنْتَ دَعْوَتَهم ... مِن الجهادِ بِلا مَنٍّ (٦) ولا كَدَرِ

(١ - ١) فى النسخ :

حتى خديجة تدعونى لأخبرها ... أمرًا أراه سيأتى الناس من أخر

والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٢) فى ص : « حين » .

(٣) قَفَّ الشعر : تقبض واقشعر .

(٤ - ٤) فى سيرة ابن إسحاق : « فى أهيب » . وفى الدلائل للبيهقى : « من أهيب » .

(٥) فى م : « يبليك » .

(٦) فى الأصل : « مر » .

هكذا أورَدَ ذلك الحافظُ البَيْهَقِيُّ مِن « الدلائلِ »[1] ، وعندى فى صِحَّتِها عن وَرَقَةَ نَظَرٌ . واللَّهُ أعْلَمُ .

[2] وقال ابنُ إسحاقَ[3] : حدَّثَنى عبدُ الملِكِ بنُ عبدِ[4] اللَّهِ بنِ أبى سفيانَ بنِ العلاءِ بنِ جاريةَ الثَّقَفِيُّ ، وكان واعِيةً[5] ، عن بعضِ أهلِ العِلْمِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ - حينَ أرادَ اللَّهُ كرامَتَه وابتَدَأَه بالنبوةِ - كان إذا خَرَجَ لحاجةٍ أَبْعَدَ حتى تَحَسَّرَ[6] [7] عنه البيوتُ[7] ، ويُفْضِى إلى شِعابِ مَكَّةَ وبطونِ أَوْدِيتِها ، فلا يَمُرُّ بحَجَرٍ ولا شَجَرٍ إلا قال : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . قال : فيَلْتَفِتُ حولَه ؛ عن يمينِه وعن شِمالِه وخلْفَه فلا يَرَى إلا الشجرَ والحِجارةَ ، فمَكَثَ كذلك يَرَى ويَسْمَعُ ما شاء اللَّهُ أن يَمْكُثَ ، ثُم جاءه جبريلُ ، عليه السلامُ ، بما جاء مِن كرامةِ اللَّهِ ، وهو بحِرَاءَ فى رمضانَ[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وحدَّثَنى وَهْبُ بنُ كَيْسَانَ مولى آلِ الزُّبَيْرِ ، قال : سمِعْت عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ، وهو يقولُ لعُبَيْدِ بنِ عُمَيرِ بنِ قَتادةَ اللَّيْثِىِّ : حَدِّثْنا يا عُبَيْدُ ، كيفَ كان بَدْءُ ما ابتُدِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن النبوةِ حينَ جاءَه جِبْريلُ . قال : فقال عُبَيْدٌ - وأنا حاضِرٌ ، يُحَدِّثُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ومَن عندَه

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٠، ١٥١.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٠، ١٠١، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٣٤.
(٤) كذا فى النسخ ، وسيرة ابن إسحاق . ووقع فى سيرة ابن هشام : « عبيد » .
(٥) فى الأصل ، م : « داعية » . تقدم شرحها فى الصفحة ١٢.
(٦) تحسر عنه البيوت : تنكشف عنه ويبتعد عنها .
(٧ - ٧) فى النسخ : « الثوب عنه » . والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٥، ٢٣٨.

مِن الناسِ - : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُجاوِرُ فى حِراءَ فى كُلِّ سنةٍ شَهْرًا[(١)] .

قالَ : وكان ذلك مِمَّا تَحَنَّثُ[(٢)] به قريشٌ فى الجاهليةِ . والتَّحَنُّثُ التَّبَرُّرُ ، فكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُجاوِرُ ذلك الشهرَ مِن كلِّ سنةٍ ، يُطْعِمُ مَن جاءه مِن المساكينِ ، فإذا قضَى جِوارَه مِن شَهْرِه ذلك ، كان أولَ ما يَبْدَأُ به إذا انصرَفَ مِن جِوارِه الكعبةُ ، قبلَ أن يَدْخُلَ بيتَه ، فيَطُوفُ بها سَبْعًا أو ما شاء اللَّهُ مِن ذلك ، ثُم يَرْجِعُ إلى بيتِه ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أرادَ اللَّهُ به فيه ما أرادَ مِن كرامتِه مِن السنةِ التى بَعَثَه فيها ، وذلك الشهرُ رمضانُ ، خَرَجَ إلى حِرَاءَ كما كان يَخْرُجُ لِجِوارِه ، ومعه أهلُه ، حتى إذا كانتِ الليلةُ التى أَكْرَمَه اللَّهُ فيها برسالتِه ورَحِمَ العِبادَ به ، جاءه جِبرِيلُ بأمرِ اللَّهِ تعالى . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فجاءَنِى جِبريلُ[(٣)] وأَنَا نَائِمٌ بنَمَطٍ مِن دِيباجٍ فِيه كِتابٌ ، فقال : اقرأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . قال : فغَتَّنِى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه الموتُ ، ثُم أَرْسَلَنى ، فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . قالَ : فغَتَّنِى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه المَوْتُ ثُم أَرْسَلَنِى ، فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ما أَقْرَأُ . [(٤)]قالَ : فغتَّنى حتَّى ظَنَنْتُ أنَّه[(٥)] الموتُ ، ثُم أَرْسَلَنى فقالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : ماذا أَقْرَأُ ؟[(٤)] ما أَقُولُ ذلك إلَّا افتداءً[(٦)] منه أن يَعُودَ لى بمِثْلِ ما صنَعَ بى ، فقالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ

---

(١) بعده فى م : « يتحنث » .

(٢) فى الأصل ، م : « يحبب » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى م : « به » .

(٦) فى النسخ : « اقتدا » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وافتدى منه بكذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . اللسان (ف د ى) .

﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾» . قال : « فقَرأْتُها ، ثم انْتَهَى ، وانصَرَفَ [٢/٦٣و] عَنِّى وَهَبَبْتُ مِن نَوْمى فكَأَنَّما كَتَبَ فى قَلْبِى كِتابًا » . قال : « فخَرَجْتُ حتَّى إذا كُنْتُ فى وَسَطٍ مِن الجَبَلِ سَمِعتُ صَوْتًا مِن السَّماءِ يَقولُ : يا محمدُ ، أنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وأنا جِبْرِيلُ . قال : فرفَعْتُ رَأْسى إلى السَّماءِ أَنْظُرُ فإذا جِبْرِيلُ فى صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍّ قَدَمَيْهِ فى أُفُقِ السَّماءِ ، يَقولُ : يا محمدُ ، أنت رَسولُ اللَّهِ وأنا جِبْرِيلُ . فوقَفْتُ أَنْظُرُ إليه ، فما أَتَقَدَّمُ وما أَتَأَخَّرُ ، وجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهى عنه فى آفاقِ السَّماءِ ، فَما أَنْظُرُ فى ناحِيَةٍ مِنها إلَّا رَأَيْتُه كذلك ، فمازِلْتُ واقِفًا ما أَتَقَدَّمُ أَمامِى وما أَرْجِعُ وَرائى ، حتى بَعَثَتْ خديجَةُ رُسُلَها فى طَلَبِى ، فبَلَغُوا مَكَّةَ ورَجَعوا إليها وأنا واقِفٌ فى مَكانى ذلك ، ثم انْصَرَفَ عنى ، وانْصَرَفْتُ راجِعًا إلى أهْلى حتى أَتَيْتُ خَديجةَ فَجَلَسْتُ إلى فخِذِها مُضيفًا[١] إليها ، فقالتْ : يا أبا القاسِمِ ، أينَ كنتَ ؟ فواللَّهِ لقد بعَثْتُ رُسُلى فِى طَلَبِك حتى بلَغوا مَكَّةَ ، ورَجَعوا إليَّ . ثُم حَدَّثْتُها بالَّذِى رَأَيْتُ ، فقالتْ : أَبْشِرْ يا بنَ عَمٍّ ، واثْبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيدِه ، إنِّى لأَرْجو أن تَكونَ نَبيَّ هذه الأُمَّةِ . ثُم قامتْ فجمَعَتْ عليها ثِيابَها ثُم انطلَقَتْ إلى وَرَقَةَ بنِ نَوفلٍ ، فأخبَرَتْه بما أخبَرَها به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال وَرَقَةُ : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ، والذى نَفْسُ وَرَقَةَ بيدِه ، لئِن كُنْتِ صَدَقْتِنى ، يا خديجةُ ، لقد جاءَه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يَأْتى موسَى ، وإنَّه لنَبيُّ هذه الأُمَّةِ ، وقُولى له : فَلْيَثْبُتْ . فرجَعَتْ خديجةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبَرَتْه بقولِ وَرَقَةَ ، فلمّا قَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ جِوارَه وانْصَرَفَ صَنَعَ كما كان يَصْنَعُ ، بَدَأَ بالكعبةِ فطاف بها

---

(١) مضيفا : مستأنسا . الوسيط (ض ى ف) .

فلَقِيَه وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ ، وهو يَطوفُ بالكعبةِ ، فقال : يا بنَ أخى ، أَخْبِرْنِى بما رأيتَ وسمِعْتَ . فأخبَرَه ، فقال له وَرَقَةُ : والذى نفسى بيدِه ، إنَّك لنبِىُّ هذه الأُمَّةِ ، ولقد جاءَك الناموسُ الأكبرُ الذى جاءَ موسَى ، ولَتُكَذَّبَنَّهْ ولَتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ ولَتُقَاتَلَنَّهْ[1] ، ولئن أنا أدْرَكْتُ ذلك اليومَ لأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُه . ثُم أَدْنَى رَأْسَه منه فقبَّل يَأْفوخَهُ[2] ، ثُم انصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى منزِله .

وهذا الذى ذكَره عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ كما ذكَرْناه كالتَّوطِئةِ لِمَا جاءَ بعدَه مِن اليقظةِ كما تقدَّمَ[3] مِن قَوْلِ عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها : فكانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ويُحْتَمَلُ أنَّ هذا المنامَ كان بعدَ ما رآه فى اليقظةِ صبيحةَ لَيْلَتِئِذٍ ، وَيحتَمِل أنَّه كان بعدَه بمدةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال موسَى بنُ عُقْبَةَ[4] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، قال : وكان فيما بلَغَنا أولَ ما رَأَى - يَعْنى رسولَ اللَّهِ ﷺ - أنَّ اللَّهَ تعالى أَراه رُؤْيَا فى المنامِ ، فشَقَّ ذلك عليه فذكَرَها لامْرَأَتِه خديجةَ ، فعَصَمَها اللَّهُ عن التَّكْذيبِ ، وشرَحَ صَدْرَها للتَّصْديقِ ، فقالتْ : أَبْشِرْ ؛ فإنَّ اللَّهَ لن[5] يَصْنَعَ بك إلا خَيْرًا . ثُم إنَّه خرَجَ مِن عندِها ثُم رجَعَ إليها فأخبرَها أنَّه رأَى بَطْنَه شُقَّ ، ثُم غُسِلَ وطُهِّرَ ، ثُم أُعيدَ كما كان . قالتْ : هذا واللَّهِ خيرٌ فأَبْشِرْ . ثُم اسْتَعْلَنَ له جِبريلُ وهو بأعلى مَكَّةَ ، فأَجْلَسَه على مَجْلِسٍ كريمٍ مُعْجِبٍ ، كان النبىُّ ﷺ يقولُ : « أَجْلَسَنى

---

(١) الهاء فى هذه الأفعال للسكت .

(٢) اليأفوخ : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره . القاموس المحيط (أ ف خ) .

(٣) تقدم فى صفحة : ٥ ، ٩ .

(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ١٤٢/٢ - ١٤٥ . من طريق موسى بن عقبة به .

(٥) فى الأصل ، م : « لم » .

على بِساطٍ كهيئةِ [٦٣/٢ظ] الدُّرْنُوكِ[1] فيه الياقوتُ واللؤلؤُ». فبشَّرَه برسالةِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، حتى اطمأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له جِبريلُ: اقْرَأْ. فقال: «كيف أَقْرَأُ؟» فقالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

قال: ويَزْعُمُ ناسٌ أنَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أولُ سورةٍ أُنْزِلَتْ عليه. واللَّهُ أعلمُ.

قال: فقَبِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رسالةَ ربِّه، واتَّبَعَ ما جاءَه به جِبْريلُ مِن عندِ اللَّهِ، فلمّا انصرَفَ مُنْقَلِبًا إلى بَيْتِه جعَلَ لا يَمُرُّ على شَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلا سَلَّمَ عليه، فرجَعَ إلى أهلِه مَسْرورًا مُوقِنًا أنه قد رأَى أمْرًا عظيمًا، فلمَّا دخَلَ على خديجةَ، قال: «أرأَيْتُكِ التى كُنْتُ أُحَدِّثُكِ أنّى رأَيْتُه فى المنامِ؟ فإنَّه جِبْريلُ اسْتَعْلَنَ إلىَّ، أَرْسَلَه إلىَّ ربى، عزَّ وجلَّ». وأخبرَهَا بالذى جاءَه مِن اللَّهِ، وما سمِعَ منه. فقالتْ: أَبْشِرْ، فواللَّهِ لا يَفْعَلُ اللَّهُ بك إلَّا خَيْرًا، واقْبَلِ الذى جاءَكَ مِن أَمْرِ اللَّهِ، فإنَّه حَقٌّ، وأَبْشِرْ فإنَّك رسولُ اللَّهِ حَقًّا. ثُم انطَلَقَتْ مكانَها فأَتَتْ غُلامًا لعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ نَصْرانِيًّا مِن أهلِ نِينَوَى يُقالُ له: عَدَّاسٌ. فقالت له: يا عَدَّاسُ، أُذَكِّرُكَ باللَّهِ إلا ما أخبَرْتَنى هل عندَكَ عِلْمٌ مَن جِبْريلُ؟ فقال عَدَّاسٌ[2]: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، ما شأنُ جبريلَ يُذْكَرُ بهذه الأرضِ، التى أهلُها أهلُ الأوثانِ! فقالتْ: أَخْبِرْنى بعِلْمِك فيه. قال: فإنَّه أمينُ اللَّهِ بينَه وبينَ النبيِّين، وهو صاحبُ موسَى وعيسَى، عليهما السَّلامُ.

---

(١) الدرنوك: ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل. اللسان (درنك).

(٢) زيادة من: ص.

فرجَعَتْ خديجةُ مِن عندِه فجاءَتْ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ، فذكَرَتْ له ما كان مِن أَمْرِ النبيِّ ﷺ وما أَلْقاه إليه جِبْريلُ، فقال لها وَرَقَةُ: يا بُنَيَّةَ أخى، ما أَدْرِى لعلَّ صاحبَكِ النبيُّ الذى يَنْتَظِرُ أهلُ الكِتابِ، الذى يَجِدونَه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ، وأُقْسِمُ باللَّهِ لَئن كان إيّاه، ثُم أَظْهَر دُعاءَه[1] وأنا حَىٌّ، لَأُبْلِيَنَّ اللَّهَ فى طاعةِ رسولِه وحُسْنِ مُؤازَرَتِه للصَّبْرِ والنَّصْرِ. فماتَ وَرَقَةُ، رَحِمَه اللَّهُ.
قال الزُّهْرِىُّ[2]: فكانتْ خديجةُ أوَّلَ مَن آمَنَ باللَّهِ وصدَّقَ رسولَه ﷺ.

قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[3]، بعدَ إيرادِه ما ذكَرْناه: والذى ذُكِرَ فيه مِن شَقِّ بَطْنِه يُحْتَمَلُ أن يكونَ حِكايةً منه لِمَا صُنِعَ به فى صِباهُ - يَعْنِى شَقَّ بَطْنِه عندَ حليمةَ - ويَحْتَمِل أن يكونَ شُقَّ مَرَّةً أُخرى، ثُمَّ ثالثةً حينَ عُرِجَ به إلى السَّماءِ. واللَّهُ أعلمُ.

[4]وقد ذكَرَ الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[5] فى ترجمةِ وَرَقَةَ بإسنادِه إلى سُليمانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمىِّ، قال: بلَغَنا أنَّ اللَّهَ تعالى بعَثَ محمدًا رسولًا على رأسِ خمسينَ سنةً مِن بناءِ الكعبةِ، وكان أولَ شىءٍ اختصَّه به مِن النبوةِ والكرامةِ رُؤْيا كان يَراها، فقصَّ ذلك على زوجتِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ، فقالتْ له: أَبْشِرْ، فواللَّهِ لا يَفْعَلُ اللَّهُ بك إلا خيرًا. فبينَما هو ذاتَ يومٍ فى حِراءَ، وكان يَفِرُّ إليه مِن قومِه، إذ نَزَلَ عليه جِبْريلُ، فدَنا منه، فخافَه رسولُ اللَّهِ ﷺ مخافةً[4]

(١) فى م: «دعواه».
(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.
(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٤٦.
(٤ - ٤) سقط من: ص.
(٥) تاريخ دمشق ١٧/ ٧٦٢، ٧٦٣. مخطوط.

(1) شديدةً ، فوضَعَ جبريلُ يَدَه على صَدْرِه ومِن خَلْفِه بينَ كَتِفَيْه ، فقال : اللهمَّ احطُطْ وِزْرَه ، واشرَحْ صَدْرَه ، وطَهِّرْ قَلْبَه ، يا محمدُ ، [٢/ ٦٤و] أَبْشِرْ ؛ فإنَّك نبيُّ هذه الأُمَّةِ ، اقْرَأْ . فقال له نبيُّ اللَّهِ ، وهو خائفٌ يُرْعَدُ : « ما قَرَأْتُ كتابًا قَطُّ ، ولا أُحْسِنُه ، وما أَكْتُبُ ، وما أَقْرَأُ » . فأخَذَه جِبريلُ ، فغَتَّه غَتًّا شديدًا ثُم ترَكَه ، ثُم قالَ له : اقْرَأْ . فأعادَ عليه مِثْلَه ، فأجْلَسَه على بِساطٍ كهيئةِ الدُّرْنوكِ ، فرأَى فيه مِن صَفائِه وحُسْنِه كَهَيْئةِ اللؤلؤِ والياقوتِ ، وقال له : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ الآياتِ . ثُم قالَ له : لا تَخَفْ يا محمدُ ، إنَّك رسولُ اللَّهِ . ثم انصرَفَ ، وأقبَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ هَمُّه ، فقالَ : « كيفَ أَصْنَعُ وكيفَ أقولُ لقومى ؟ » ثُم قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو خائفٌ ، فأَتاه جِبْريلُ مِن أمامِه (2) فى صورةِ نفسِه ، فأبْصَر (2) رسولُ اللَّهِ ﷺ أمرًا عظيمًا ملأَ صدْرَه ، فقال له جِبْريلُ : لا تَخَفْ ، يا محمدُ ، جِبْريلُ رسولُ اللَّهِ إلى أنبيائِه ورسُلِه ، فأَيْقِنْ بكَرامةِ اللَّهِ ، فإنَّك رسولُ اللَّهِ . فرجَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَمُرُّ على شَجَرٍ ولا حَجَرٍ إلا هو ساجِدٌ يقولُ : السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ . فاطمأنَّتْ نفسُه وعَرَفَ كَرامةَ اللَّهِ إيَّاه ، فلمّا انتَهى إلى زوجتِه خديجةَ أبصَرَتْ ما بوجهِه مِن تَغَيُّرِ لونِه فأفزَعَها ذلك ، فقامَتْ إليه فلمّا دنَتْ منه جعَلَتْ تَمْسَحُ عن وجهِه ، وتَقولُ : لعلَّك لبعضِ ما كُنْتَ تَرَى وتَسْمَعُ قبلَ اليومِ . فقال : « يا خديجةُ ، أرَأَيْتِ الذى كُنْتُ أَرَى فى المنامِ والصوتَ الذى كُنْتُ أَسْمَعُ فى اليَقَظَةِ وأُهالُ منه ؟ فإنَّه جِبْريلُ قد استَعْلَنَ (3) لى ، وكلَّمَنى ، وأقْرَأَنى كلامًا فَزِعْتُ مِنه ، ثُم عادَ إلىَّ (1)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢ - ٢) فى النسخ : « وهو فى صعرته ، فرأى » .

(٣) فى الأصل : « استعلم » .

(١)فأخبَرَنى أنّى نبىُّ هذه الأُمَّةِ فأقبَلْتُ راجعًا ، فأقبَلْتُ على شَجَرٍ وحِجارةٍ ، فقُلْن : السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ » . فقالَتْ خديجةُ : أَبْشِرْ ، فواللَّهِ لقد كُنْتُ أَعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لن يَفْعَلَ بك إلا خيْرًا ، وأَشْهَدُ أنَّك نبىُّ هذه الأُمَّةِ الذى تَنْتَظِرُه اليَهودُ ، قد أَخبَرَنى به ناصحٌ ؛ غلامى وبَحِيرَى الراهبُ وأمَرَنى أنْ أتزَوَّجَك منذُ أكثرَ مِن عشرينَ سنةً . فلم تَزَلْ برسولِ اللَّهِ ﷺ حتى طعِمَ وشرِبَ وضحِك ، ثُم خرَجَتْ إلى الراهبِ ، وكان قريبًا مِن مكَّةَ ، فلمّا دنَتْ منه وعرَفَها . قال : ما لكِ يا سيِّدةَ نِساءِ قريشٍ ؟ فقالَتْ : أقبَلْتُ إليك لتُخْبِرَنى عن جِبْريلَ . فقالَ : سُبْحانَ اللَّهِ ربِّنا القُدّوسِ ! ما بالُ جِبْريلَ يُذْكَرُ فى هذه البِلادِ التى يَعْبُدُ أهلُها الأَوْثَانَ ؟! جِبْريلُ أمينُ اللَّهِ ورسولُه إلى أنبيائِه ورسُلِه ، وهو صاحبُ موسَى وعيسَى . فعَرَفَتْ كَرامةَ اللَّهِ لمحمدٍ ، ثُم أتَتْ عَبْدًا لعُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ يُقالُ له : عَدَّاسٌ . فسأَلَتْه فأخبَرَها بمثلِ ما أخبَرَها به الراهبُ وأَزْيَدَ . قال : جِبْريلُ كان مع موسَى حينَ أغرَقَ اللَّهُ فِرْعَونَ وقومَه ، وكان معَه حينَ كلَّمَه اللَّهُ على الطُّورِ ، وهو صاحبُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ الذى أيَّدَه اللَّهُ به . ثُم قامَتْ مِن عندِه فأتَتْ وَرَقَةَ ابنَ نَوْفَلٍ ، فسأَلَتْه عن جِبْريلَ ، [٢/ ٦٤ظ] فقالَ لها مِثْلَ ذلك ، ثُم سأَلَها : ما الخبرُ ؟ فأَحْلَفَتْه أن يَكْتُمَ ما تَقولُ له ، فَحَلَفَ لها ، فقالت له : إنَّ ابنَ عبدِ اللَّهِ ذكَرَ لى - وهو صادقٌ ، أَحْلِفُ باللَّهِ ما كذَبَ ولا كُذِبَ - أنَّه نزَلَ عليه جِبْريلُ بحِراءَ ، وأنَّه أخبَرَه أنَّه نبىُّ هذه الأُمَّةِ وأقْرَأَه آياتٍ أُرْسِلَ(٢) بها . قال : فذُعِرَ وَرَقَةُ لذلك ، وقال : لئن كان جِبْريلُ قد استَقَرَّتْ قَدَماه على الأَرْضِ ، لقد نَزَلَ على خيرِ أهلِ الأرضِ ، وما نَزَلَ إلا على نبىٍّ ، وهو صاحبُ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، يُرْسِلُه اللَّهُ(١)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) بعده فى الأصل : « اللَّه » .

(١) إليهم، وقد صدَقْتُكِ عنه، فأَرْسِلى إلىَّ ابنَ عبدِ اللَّهِ أَسْأَلُه وأَسْمَعُ مِن قَوْلِه وأُحَدِّثُه؛ فإنِّى أخافُ أن يكونَ غيرَ جِبْرِيلَ؛ فإنَّ بعضَ الشياطينِ يَتَشَبَّهُ به لِيُضِلَّ به بعضَ بنى آدمَ، ويُفْسِدَهم حتّى يَصيرَ الرجلُ بعدَ العَقْلِ الرَّضِىِّ مُدَلَّهًا(٢) مجنونًا. فقامتْ مِن عندِه وهى واثقةٌ باللَّهِ أن لا يَفْعَلَ بصاحبِها إلا خيْرًا، فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَخْبَرَتْه بما قالَ وَرَقَةُ، فأنزلَ اللَّهُ تعالى: ﴿ نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ١، ٢] الآيات. فقال لها: «كلّا واللَّهِ، إنَّه لَجبْريلُ». فقالَتْ له: أُحِبُّ أن تأْتِيَه فتُخْبِرَه؛ لعلَّ اللَّهَ أن يَهْدِيَه. فجاءَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقالَ له وَرَقَةُ: هذا الذى جاءَك، جاءَك فى نورٍ أو ظُلْمةٍ؟ فأَخْبَرَه رسولُ اللَّهِ ﷺ عن صِفَةِ جِبْرِيلَ، وما رآه مِن عَظَمتِه وما أَوْحاه إليه، فقالَ وَرَقَةُ: أَشْهَدُ أنَّ هذا جِبْرِيلُ، وأنَّ هذا كَلامُ اللَّهِ، فقد أمَرَكَ بشىءٍ تُبَلِّغُه قَوْمَك، (٣) وإنَّه لأَمْرُ نُبُوَّةٍ (٣)، فإنْ أُدْرِكْ زَمانَك أَتَّبِعْك. ثُم قال: أَبْشِرِ ابنَ عبدِ المُطَّلِبِ بما بَشَّرَك اللَّهُ به.

قال: وذاعَ(٤) قولُ وَرَقَةَ وتَصْديقُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فشَقَّ ذلك على المَلأِ مِن قومِه. قالَ: وفتَرَ الوَحْىُ، فقالوا: لو كانَ مِن عندِ اللَّهِ لَتتابَعَ، ولكنَّ اللَّهَ قَلاه. فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ١، ٢] و﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ [الشرح: ١] بكمالِهما (١).

وقال البَيْهَقِىُّ(٥): حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثَنا أبو العباسِ، حدَّثَنا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) رجل مُدَلَّه: إذا كان ساهى القلب، ذاهل العقل. اللسان (د ل هـ).

(٣ - ٣) فى الأصل: «فقال أمرك أمر».

(٤) فى الأصل: «فشاح».

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥١، ١٥٢.

أحمدُ بنُ عبدِ الجبّارِ ، حدَّثنا يونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى إسماعيلُ بنُ أبى حَكيمٍ مَوْلَى[1] الزُّبَيْرِ ، أنَّه حُدِّثَ[2] عن خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، أنَّها قالَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فيما بيَّنَه مِمّا أكرَمَه اللَّهُ به مِن نُبُوَّتِه : يا بنَ عَمِّ ، تستطيعُ أنْ تُخْبِرَنى بصاحبِك هذا الذى يَأْتيك إذا جاءَك ؟ فقالَ : « نَعَمْ » . فقالَتْ : إذا جاءَك فأَخْبِرْنى . فبَيْنا رسولُ اللَّهِ ﷺ عندَها إذ جاءَ جِبْريلُ فرَآه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يَا خَديجَةُ ، هذا جِبْرِيلُ » . فقالَتْ : أتَراه الآنَ ؟ قال : « نَعَمْ » . قالتْ : فاجْلِسْ إلى شِقِّى الأَيْمَنِ . فتَحَوَّلَ فَجَلَسَ ، فقالَتْ : أتراه الآنَ ؟ قال : « نَعَمْ » . قالتْ : فتَحَوَّلْ فاجْلِسْ فى حِجْرِى . فتَحَوَّلَ فجلَسَ فى حِجْرِها ، فقالَتْ : هل تَراه الآنَ ؟ قال : [3]« نَعَمْ » . فتَحَسَّرَتْ رَأْسَها ، فشالتْ خِمارَها ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى حِجْرِها ، فقالَتْ : هل تَراه الآنَ ؟ قال[3] : « لا » . قالتْ : ما هذا بشيطانٍ ، إنَّ هذا لَمَلَكٌ ، يا بنَ عَمِّ ، فاثْبُتْ وأَبْشِرْ . ثُم [٢/٦٥و] آمَنَتْ به ، وشَهِدَتْ أنَّ ما جاء به هو الحقُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فحدَّثْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ حَسَنٍ هذا الحديثَ ، فقالَ : قد سَمِعْتُ أُمِّى فاطمةَ بنتَ الحُسَيْنِ تُحَدِّثُ بهذا الحديثِ ، عن خديجةَ إلّا أنِّى سَمِعْتُها تقولُ : أَدْخَلَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ بينَها وبينَ دِرْعِها فذهَبَ عندَ ذلك جِبْريلُ ، عليه السَّلامُ .

قال البَيْهَقِىُّ[5] : وهذا شىءٌ كانت خديجةُ تَصْنَعُه تَسْتَثْبِتُ به الأمرَ احتياطًا

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « آل » . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٣.

(٢) فى الأصل ، م : « حدثه » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٣٩.

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٢.

لدِينِها وتَصْديقًا، فأمّا النبيُّ ﷺ فقد كان وَثِقَ بما قال له جِبْرِيلُ وأَراه مِن الآياتِ التى ذكَرْناها مَرَّةً بعدَ أُخرى، وما كانَ مِن تَسْلِيمِ الشَّجَرِ والحَجَرِ عليه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم تَسْليمًا.

وقد قال مُسْلِمٌ فى «صحيحِه»[1] : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ، حدَّثَنا يَحيَى بنُ أبى[2] بُكَيْرٍ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، حدَّثَنى سِماكُ بنُ حَرْبٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنِّى لأَعْرِفُ حَجَرًا بمكةَ كان يُسَلِّمُ علىَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ، إنِّى لَأَعْرِفُه الآنَ».

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[3] : حدَّثَنا سُلَيْمانُ بنُ مُعاذٍ، عن سِماكِ بنِ حَرْبٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «إنَّ بمكةَ حجَرًا كان يُسَلِّمُ علىَّ لياليَ بُعِثْتُ، إنِّى لَأعْرِفُه إذا مَرَرْتُ عليه».

ورَوَى البَيْهَقِىُّ[4] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الرحمنِ السُّدِّىِّ الكبيرِ، عن عبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، قال: كُنّا مع رَسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ فخرَجَ فى بعضِ نَواحيها، فما استَقْبَلَه شَجَرٌ ولا جَبَلٌ إلّا قال: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ. وفى روايةٍ[5] : لقد رأَيْتُنى أَدْخُلُ معه الوادِىَ، فلا يَمُرُّ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١١ .

(٢) سقط من: م، ص. انظر تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠.

(٣) لم نجده فى مسند أبى داود الطيالسى الذى بين أيدينا. والحديث أخرجه الترمذى (٣٦٢٤) من طريق أبى داود الطيالسى به. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٦٥). ووقع فى صحيح سنن الترمذى بلفظ: «لا أعرفه» بالنفى. والذى فى طبعة الشيخ أحمد شاكر و«عارضة الأحوذى» ١٣/ ١١٠: «لأعرفه» بلام التوكيد. وهذا أيضا الذى فى مصادر التخريج الآتية: مسلم (٢٢٧٧)، والمسند ٥/ ١٠٥، ومعجم الطبرانى الكبير ٢/ ٢٧٣، ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٥٣.

(٤) الدلائل للبيهقى ١٥٣/٢ ضعيف. (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٧).

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٥٤.

بحجرٍ ولا شَجَرٍ إلّا قال: السَّلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ. وأنا أَسْمَعُه.

فَصْلٌ

قال البُخاريُّ في رِوايتِه المُتَقَدِّمةِ[1]: ثُم فَتَرَ الوَحْيُ فَتْرةً[2] حتّى حَزِنَ النبيُّ ﷺ فيما بَلَغَنا حُزْنًا غَدا منه مِرارًا كي يَتَرَدَّى مِن رُءُوسِ شَواهِقِ الجبالِ، فكُلَّما أَوْفَى بذِرْوَةِ جَبلٍ لكي يُلْقِيَ نَفْسَه تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فقال: يا محمدُ، إنَّك رسولُ اللَّهِ حقًّا. فيَسْكُنُ لذلك جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نفسُه فيَرْجِعُ، فإذا طالتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غدا لِمِثْلِ ذلك، فإذا أَوْفَى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى له جِبْرِيلُ، فقال له مثلَ ذلك.

وفي «الصحيحَيْنِ»[3] مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِيِّ، قال: سَمِعْتُ أبا سَلَمَةَ بنَ[4] عبدِ الرحمنِ يُحَدِّثُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عن فَتْرةِ الوَحْيِ، قال: «فبينَما أَنا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوتًا مِن السَّماءِ، فرفَعْتُ بَصَرِي[5]، فإذا المَلَكُ الَّذي جاءَني بحِراءَ قاعِدٌ على كُرْسِيٍّ بينَ السَّماءِ والأرض، فجُئِثْتُ[6] منه فَرَقًا حتى هَوَيْتُ إلى

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٧ .
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) البخاري (٤٩٢٥)، ومسلم (١٦١).
(٤) سقط من: م.
(٥) بعده في م، ص: «قبل السماء».
(٦) جُئِث: فزِع.

الأرضِ ، فجِئْتُ أَهْلى ، فقُلْتُ : زَمِّلونى زَمِّلونى[1] » . فأَنزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ قال : ثُم حَمِىَ الوَحْىُ وتَتابَعَ . فهذا كانَ أولَّ ما نزَلَ مِن القرآنِ[2] بعدَ فَتْرَةِ الوَحْىِ[2] لا مُطْلَقًا ، ذاك[3] قولُه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ . وقد ثبَتَ عن جابرٍ أنَّ أوَّلَ ما نَزَلَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾[4] [٢/ ٦٥ظ] واللائقُ حَمْلُ كَلامِه ما أمْكَنَ على ما قُلْناه ، فإنَّ فى سِياقِ كَلامِه ما يَدُلُّ على[5] تَقَدُّمِ مَجِىءِ المَلَكِ الذى عَرَفَه ثانيًا بما عَرَفَه به أوَّلًا إليه .

ثُم قولُه : يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوَحْىِ . دليلٌ على تَقَدُّمِ الوَحْىِ على هذا الإيحاءِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ثبَتَ فى « الصَّحيحَيْن »[6] مِن حديثِ علىِّ بنِ المبارَكِ ، وعندَ مُسْلِمٍ ، والأَوْزَاعِىِّ ، كِلاهما عن يَحْيَى بنِ أبى كَثيرٍ ، قال : سأَلْتُ أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الرحمنِ : أىُّ القرآنِ أُنْزِلَ قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ . فقلتُ : أوِ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[7] فقال : سأَلْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ : أىُّ القرآنِ أُنْزِلَ قبلُ ؟ فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ . فقلتُ : و﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[7] ؟

---

(١) بعده فى الصحيحين : « فدثرونى » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) اسم الإشارة يعود على المطلق ، أى أول ما نزل مطلقا .
(٤) البخارى (٤٩٢٤) .
(٥) سقط من : الأصل .
(٦) البخارى (٤٩٢٢) ، ومسلم من طريق على بن المبارك (١٦١/٢٥٨) ، ومن طريق الأوزاعى (٢٥٧/ ١٦١) .
(٧ - ٧) سقط من : ص .

فقال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّي جاوَرْتُ بحِراءَ شَهْرًا، فلمَّا قَضَيْتُ جِوارِي نَزَلْتُ، فاسْتَبْطَنْتُ[1] الوادىَ فنُودِيتُ، فنَظَرْتُ بينَ يدَىَّ، وخَلْفِي، وعن يَمِيني، وعن شِمالي فلم أَرَ شَيْئًا، ثُم نَظَرْتُ إلى السَّماءِ، فإذا هو على العَرْشِ في الهَواءِ، فأَخَذَتْنِي رِعْدَةٌ - أو قال: وَحْشَةٌ - فأَتَيْتُ خديجةَ فأَمَرْتُهم فدثَّرُوني». فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. حتى بلَغ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

وقالَ في روايةٍ[2]: «فإذا المَلَكُ الَّذي جاءَني بحِراءَ جالِسٌ على كُرْسِيٍّ بينَ السَّماءِ والأَرْضِ فجُئِثْتُ مِنه». وهذا صَرِيحٌ في تَقَدُّمِ إتْيانِه إليه وإنزالِه الوَحْىَ مِن اللَّهِ عليه، كما ذكَرْناه. واللَّهُ أعلمُ.

ومِنهم مَن[3] زعَمَ أنَّ أولَ ما نَزَلَ بعدَ فَتْرَةِ الوَحْيِ سورةُ ﴿وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ إلى آخِرِها. قالَه محمدُ بنُ إسحاقَ[4]. وقال بعضُ القُرَّاءِ: ولهذا كَبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ في أولِها فَرِحًا. وهو قولٌ بعيدٌ يَرُدُّه ما تَقدَّمَ مِن روايةِ صاحبَيِ «الصَّحيحِ» مِن أنَّ أولَ القرآنِ نُزُولًا بعدَ فَتْرةِ الوَحْيِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ولكن نَزَلَتْ سورةُ ﴿وَالضُّحَى﴾ بعدَ فَتْرةٍ أُخرى كانتْ ليالىَ يسيرةً، كما ثبَتَ في «الصحيحَيْنِ» وغيرِهما[5] مِن حديثِ الأسودِ بنِ قَيْسٍ، عن جُنْدَبِ بنِ

---

(١) استبطن الوادى: دخله. الوسيط (ب ط ن).

(٢) البخارى (٤)، ومسلم (١٦١).

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٥، ١١٦.

(٥) البخارى (١١٢٤، ١١٢٥، ٤٩٥٠، ٤٩٥١، ٤٩٨٣)، ومسلم (١٧٩٧)، والترمذى (٣٣٤٥)، والنسائى فى الكبرى (١١٦٨١).

عبدِ اللّهِ البَجَلِيِّ ، قال : اشتكى رسولُ اللّهِ ﷺ فلم يَقُمْ ليلةً أو ليلتَيْن أو ثلاثًا ، فقالتِ امرأةٌ : ما أرى شيطانَك إلّا ترَكَك . فأنزَلَ اللّهُ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ .

وبهذا الأمرِ[1] حَصَلَ الإرسالُ إلى الناسِ ، وبالأولِ حصَلَتِ النبوةُ .

وقد قال بعضُهم : كانتْ مدةُ الفَتْرَةِ قريبًا مِن سَنَتَيْن أو سنتَيْن ونِصْفٍ . والظَّاهِرُ ، واللّهُ أعلمُ ، أنَّها المدةُ التى اقترَنَ معه ميكائيلُ كما قال الشَّعْبِيُّ وغيرُه . ولا يَنْفِى هذا تَقَدُّمَ إيحاءِ جِبْرِيلَ إليه أولًا : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ثُم [2]حَصَلَتِ الفترةُ التى اقْتَرَنَ معه مِيكائيلُ ، ثُم[2] اقترَنَ به جِبْرِيلُ بعدَ نُزولِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ [3]ثُم حَمِىَ[3] الوَحْىُ بعدَ هذا وتَتابَعَ – أى تَدارَكَ شيئًا بعدَ شىءٍ – وقامَ حينَئذٍ رسولُ اللّهِ ﷺ ، فى الرِّسالةِ أَتَمَّ القِيامِ وشَمَّرَ ، عن ساقِ العَزْمِ ، ودَعا إلى اللّهِ القريبَ والبعيدَ ، والأحرارَ والعبيدَ ، فآمَنَ به حينَئذٍ كلُّ لبيبٍ نجيبٍ سعيدٍ ، واستمرَّ على مُخالفَتِه وعِصيانِه كُلُّ جبّارٍ عَنيدٍ ، فكانَ أولَ مَن بادَرَ إلى التَّصْديقِ مِن الرِّجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، ومِن [٢/٦٦و] الغِلْمانِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، ومِن النِّساءِ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ زوجتُه ، عليه السَّلامُ ، ومِن المَوالى مَوْلاه زيدُ بنُ حارثةَ الكَلْبِىُّ ، رَضِىَ اللّهُ عنهم وأَرْضاهم . وتقدَّمَ[4] الكَلامُ على إيمانِ وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ بما وجَد من الوَحْيِ ، وماتَ فى الفَتْرَةِ ، رَضِىَ اللّهُ عنه .

---

(١) يعنى قوله تعالى : « قم فأنذر » .

(٢ - ٢) ليست فى : م .

(٣ - ٣) فى ص : « ولهذا جىء » .

(٤) تقدم فى صفحة ٧ .

فصلٌ

فى مَنْعِ الجانِّ ومَرَدَةِ الشَّياطِينِ من استراقِ السَّمْعِ حيـنَ أُنْزِلَ القرآنُ ؛ لِئلَّا يَخْتَطِفَ أحدُهم منه ولو حَرْفًا واحدًا ، فيُلْقِيَه على لِسانِ وَلِيِّه فيَلْتَبِسَ الأَمْرُ ويَخْتَلِطَ الحقُّ

فكانَ مِن رحمةِ اللَّهِ وفَضْلِه ولُطْفِه بخَلْقِه أن حَجَبَهُم عن[1] السَّماءِ ، كما قال اللَّهُ تعالى إخبارًا عنهم فى قولِه[2] : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : ٨- ١٠] . وقال تعالى[3] : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء : ٢١٠- ٢١٢] .

قال الحافظُ أبو نُعَيمٍ[4] : حدَّثَنا سُليمانُ بنُ أحمدَ ، وهو الطَّبَرانِىُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ أبى مَرْيَمَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ يُوسُفَ الفِرْيابِىُّ ، حدَّثَنا إسرائيلُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الجِنُّ يَصْعَدونَ إلى السَّماءِ يَسْتَمِعونَ الوَحْىَ ، فإذا سَمِعوا[5] الكَلِمةَ زادوا فيها تِسْعًا ؛ فأمّا الكَلِمةُ فتكونُ حَقًّا ، وأمّا ما زادوا فيَكونُ باطلًا ، فلما بُعِثَ

---

(١) فى ص : « من » .

(٢) بعده فى ص : « لهم » . التفسير ٨/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) التفسير ٦/ ١٧٥.

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من مختصر دلائل أبى نعيم . وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٣/ ٣٦، عن إسرائيل به .

(٥) فى م : « حفظوا » . وفى ص : « خطفوا » .

النبيَّ ﷺ مُنِعوا مَقاعدَهم ، فذكَروا ذلك لإبليسَ - ولم تَكُنِ النجومُ يُرْمَى بها قبلَ ذلك - فقال لهم إبليسُ : هذا لِأمرٍ قد حدَثَ في الأرضِ . فبعَثَ جنودَه فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قائمًا يُصَلِّى بينَ جَبَلَيْن فأتَوه فأخْبَروه ، فقالَ : هذا الأمرُ الذى قد حدَثَ فى الأرضِ .

وقال أبو عَوانَةَ[(١)] ، عن أبى بِشْرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : انطلَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأصحابُه عامِدينَ إلى سوقِ عُكَاظٍ ، وقد حِيلَ بينَ الشياطينِ وبينَ خبَرِ السَّماءِ ، وأُرْسِلَت عليهم الشُّهُبُ ، فرجَعتِ الشياطينُ إلى قومِهم ، فقالوا : ما لكم؟ قالوا : حِيلَ بينَنا وبينَ خبَرِ السَّماءِ ، وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُبُ . فقالوا : ما ذاك إلَّا مِن شىءٍ حدَثَ ، فاضرِبوا مشارقَ الأرْضِ ومغارِبَها . فمرَّ النَّفَرُ الذين أخَذوا نحوَ تِهامَةَ ، وهو بنَخْلَةَ[(٢)] عامدينَ إلى سُوقِ عُكَاظٍ ، وهو يُصَلِّى بأصحابِه صلاةَ الفجرِ ، فلمّا سَمِعوا القرآنَ استَمَعُوا له ، فقالوا : هذا الذى حالَ بيننا وبينَ خبَرِ السَّماءِ . فرَجَعوا إلى قومِهم ، فقالوا : يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢] . فأَوْحَى اللَّهُ إلى نبيِّه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] الآية . أخْرَجاه فى « الصحيحَيْن »[(٣)] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٢٥، ٢٢٦، من طريق أبى عوانة به .

(٢) فى النسخ : « بنخل » . والمثبت من البخارى (٤٩٢١) . قال ابن حجر فى الفتح ٨/ ٦٧٤: موضع بين مكة والطائف ، ووقع فى رواية مسلم « بنخل » بلا هاء ، والصواب إثباتها . قال البكرى فى معجم ما استعجم ٤/ ١٣٠٤: ونخلة : على لفظ واحدة النخل ، موضع على ليلة من مكة ، وهى التى ينسب إليها بطن نخلة ، وهى التى ورد فيها الحديث ليلة الجن .

(٣) البخارى (٤٩٢١) ، ومسلم (٤٤٩) .

وقال أبو بَكْرِ بنُ أبى شَيْبةَ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن عَطاءِ بنِ السّائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، [٦٦/٢ظ] عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : إنَّه لم تَكُنْ قبيلةٌ مِن الجِنِّ إلا ولهم مقاعدُ للسَّمْعِ ، فإذا نزَلَ الوَحْىُ سمِعَتِ الملائكةُ صوتًا كصوتِ الحديدةِ ألقَيْتَها على الصَّفا[2] . قال : فإذا سمِعَتِ الملائكةُ خرُّوا سُجَّدًا ، فلم يَرْفَعوا رءُوسَهم حتى يَنْزِلَ ، فإذا نزَلَ ، قال بعضُهم لبعضٍ : ماذا قال ربُّكم ؟ فإن كانَ مِما[3] يَكونُ فى السَّماءِ قالوا : الحقَّ ، وهو العلىُّ الكَبيرُ . وإن كان مِما يَكونُ فى الأرضِ مِن أمرِ الغيبِ ، أو موتٍ ، أو شىءٍ مِمّا يَكونُ فى الأَرْضِ تكلَّموا به ، فقالوا : يَكونُ كذا وكذا . فتَسْمَعُه الشياطيـنُ فيُنْزِلونَه على أوليائِهم ، فلمّا بُعِث محمدٌ ﷺ دُحِروا[4] بالنُّجومِ ، فكانَ أولَ مَن عَلِمَ بها ثَقِيفٌ ، فكانَ ذو الغَنَمِ منهم يَنطَلِقُ إلى غَنَمِه فيَذْبَحُ كلَّ يومٍ شاةً ، وذو الإبِلِ فيَنْحَرُ كلَّ يومٍ بعيرًا ، فأَسْرَعَ الناسُ فى أموالِهم ، فقالَ بعضُهم لبعضٍ : لا تَفْعَلوا ، فإنْ كانتِ النجومُ التى يَهْتَدونَ بها وإلّا فإنَّه لأمرٍ حدَثَ . فنَظَروا فإذا النجومُ التى يُهْتَدَى بها كما هى لم يَزُلْ منها شىءٌ فكَفُّوا ، وصرَفَ اللَّهُ الجِنَّ فسَمِعوا القرآنَ ، فلمّا حضَروه قالوا : أنصِتُوا . وانطلَقَتِ الشَّياطيـنُ إلى إبليسَ فأخبَروه ، فقال[5] : هذا حَدَثٌ حدَثَ فى الأَرْضِ ، فَأْتونِى مِن كلِّ أرضٍ

---

(١) المصنف (١٨٣٩١) .

(٢) الصفا : جمع صَفاة ، وهى الحجر العريض الأملس. الوسيط (ص ف و) .

(٣) فى ص : « ممن » .

(٤) دحره : دفعه ، وأبعده ، وطرده . الوسيط (د ح ر) .

(٥) فى الأصل : « فقالوا » .

بتُرْبةٍ . فأتَوْه بتُرْبةِ تِهامَةَ ، فقالَ : هٰهنا الحدَثُ . [(١] ورواه البَيْهَقِيُّ[(٢)] والحاكِمُ مِن طريقِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ [١)] به[(٣)] .

وقال الواقِدِيُّ[(٤)] : حدَّثنى أسامةُ بنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن عُمَرَ بنِ عَبْدانَ[(٥)] العَبْسِيِّ ، عن ابنِ[(٦)] كعبٍ ، قال : لم يُرْمَ بنَجْمٍ منذُ رُفِعَ عيسى حتّى تَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فرُمِىَ بها ، فرأَتْ قريشٌ أَمْرًا لم تَكُنْ تَراه فجعَلوا يُسَيِّبُونَ أنعامَهم ويُعْتِقونَ أَرِقَّاءَهُم[(٧)] يَظُنُّون أنَّه الفَناءُ ، فبلَغَ ذلك مِن فِعْلِهم أهلَ الطائفِ ، ففَعَلَتْ ثَقِيفٌ مِثْلَ ذلك ، فبلَغَ عبدَ ياليلَ بنَ عَمرٍو ما صنَعَتْ ثقيفٌ ، قال : ولِمَ فعلْتم ما أَرَى ؟ قالوا : رُمِىَ بالنُّجومِ فرأَيْناها تَهافَتُ مِن السَّماءِ . فقال : إنَّ إفادةَ المالِ بعدَ ذَهابِه شَديدٌ ، فلا تَعْجَلوا ، وانظُروا ؛ فإن تَكُنْ نُجومًا تُعْرَفُ ، فهو عندَنا مِن فناءِ الناسِ ، وإن كانَتْ نُجومًا لا تُعْرَفُ ، فهو لأمرٍ قد حدَثَ . فنظَروا فإذا هى لا تُعْرَفُ فأخبَروه ، فقال : الأمرُ فيه مُهْلةٌ بعدُ ، هذا عندَ ظهورِ نبىٍّ . فما مَكَثوا إلا يسيرًا حتى قَدِمَ عليهم أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ إلى أموالِه فجاءَ عبدُ ياليلَ ، فذاكَرَه أمرَ النُّجومِ ، فقالَ أبو سُفيانَ : ظَهَرَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ يَدَّعِى أنه نبىٌّ مُرْسَلٌ . فقالَ عبدُ ياليلَ : فعندَ ذلك رُمِىَ بها .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) الدلائل ٢/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ١١١، إلى الواقدى وأبى نعيم .

(٥) فى الأصل ، ص : « عبد الله » .

(٦) سقط من : الأصل ، م . انظر الخصائص ، وسبل الهدى والرشاد ٢/ ٢٦٧.

(٧) فى الأصل : « أرقابهم » .

وقال سَعيدُ بنُ منصورٍ[1]، عن خالدٍ، عن[2] حُصَيْنٍ، عن عامرٍ الشَّعْبيِّ، قال: كانَتِ النجومُ لا يُرْمَى بها حتى بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فسيَّبوا أنعامَهم وأَعْتَقوا رقيقَهم. فقال عبدُ ياليلَ: انْظُروا، فإنْ كانَتِ النجومُ التى تُعْرَفُ فهو عندَ فَناءِ الناسِ، وإن كانَتْ لا تُعْرَفُ فهو لأمرٍ قد حدَثَ. فنَظَروا فإذا هى لا تُعْرَفُ. قالَ: فأمْسِكوا. فلم يَلْبثوا إلا يسيرًا حتى جاءَهم خروجُ النبىِّ ﷺ.

[٦٧/٢و] وروَى البَيْهَقِيُّ[3]، والحاكمُ مِن طريقِ العَوْفِيِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: لم تَكُنْ سماءُ الدُّنيا تُحْرَسُ فى الفَتْرةِ بينَ عيسىَ ومحمدٍ، صَلواتُ اللَّهِ عليهما وسلامُه. فلعلَّ مُرادَ مَن نَفَى ذلك أنَّها لم تَكُنْ تُحْرَسُ حِراسَةً شديدةً، ويَجِبُ حَمْلُ ذلك على هذا لِمَا ثبَتَ فى الحديثِ[4] مِن طريقِ عبدِ الرزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِيِّ، عن علىِّ بنِ الحُسَيْنِ، عن ابنِ عبّاسٍ، رضِىَ اللَّهُ عنهما: بينَا رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ إذ رُمِىَ بنَجْمٍ فاستَنار، فقال: «ما كُنْتُم تَقُولونَ إذا رُمِىَ بهذا؟» قالوا: كُنَّا نَقولُ: ماتَ عظيمٌ، ووُلِدَ عظيمٌ. فقالَ: «لا، ولكن ...». فذكَرَ الحديثَ كما تقدَّمَ[5] عندَ خَلْقِ السماءِ وما فيها مِن الكواكبِ فى أولِ بَدْءِ الخَلْقِ. ولِلَّهِ الحمدُ.

---

(١) لم نجده فى المطبوع من سنن سعيد بن منصور. وقد أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٤١، عن سعيد ابن منصور به.

(٢) فى الأصل، م: «بن».

(٣) الدلائل ٢/ ٢٤١.

(٤) المسند ١/ ٢١٨. (إسناده صحيح).

(٥) تقدم تخريجه فى ١/ ٧٩.

وقد ذكَرَ ابنُ إسحاقَ فى «السيرةِ»[1] قصةَ رَمْيِ النُّجومِ، وذكَرَ عن كبيرِ ثَقيفٍ أنَّه قالَ لهم فى النَّظَرِ فى النُّجومِ: إنْ كانَتْ أعلامَ السَّماءِ أو غيرَها. ولكن سمّاه عمرَو بنَ أميَّةَ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال السُّدِّىُّ[2]: لم تكُنِ السَّماءُ تُحْرَسُ إلّا أن يَكونَ فى الأَرْضِ نبىٌّ أو دِينٌ لِلَّهِ ظاهرٌ، وكانتِ الشياطينُ قبلَ محمدٍ ﷺ، قد اتخذَتِ المَقاعدَ فى سماءِ الدُّنْيا، يَسْتَمِعونَ ما يَحْدُثُ فى السَّماءِ مِن أَمْرٍ، فلمّا بَعَثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ نبيًّا رُجِموا ليلةً مِن الليالى، ففَزِعَ لذلك أهلُ الطائفِ، فقالوا: هلَكَ أهلُ السَّماءِ. لِمَا رَأَوْا مِن شِدَّةِ النارِ فى السَّماءِ، واختلافِ الشُّهُبِ، فجعَلوا يُعْتِقون أَرِقَّاءَهم، ويُسَيِّبونَ مَواشِيَهم، فقالَ لهم عبدُ ياليِلَ بنُ عمرِو بنِ عُمَيْرٍ: وَيْحَكم يا مَعْشَرَ أَهْلِ الطائفِ! أَمْسِكوا عن أموالِكم، وانْظُروا إلى معالمِ النُّجومِ، فإن رأَيْتُموها مُسْتَقِرَّةً فى أَمْكِنَتِها، فلَمْ[3] يَهْلِكْ أَهْلُ السَّماءِ، وإنَّما هو مِن أجْلِ[4] ابنِ أبى كَبْشَةَ، وإن أنتم لم تَرَوْها فقد هَلَكَ أهلُ السَّماءِ. فنَظَروا فرأَوْها فكَفُّوا عن أموالِهم، وفزِعَتِ الشياطينُ فى تلك الليلةِ فأَتَوْا إبليسَ، فقال: ائْتُونى مِن كلِّ أرضٍ بقبضةٍ مِن تُرابٍ. فأَتَوْه، فَشَمَّ، فقال: صاحبُكم بمكَّةَ. فبعَثَ سَبْعةَ نَفَرٍ مِن جِنِّ نَصِيبِينَ، فقَدِموا مكَّةَ، فوجَدوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ الحَرامِ يَقْرَأُ القرآنَ، فدَنَوا منه حِرْصًا على القرآنِ حتى كادت كَلاكِلُهم[5] تُصيبُه، ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٦.

(٢) التفسير ٨/ ٢٦٨.

(٣) فى ص: «فلن».

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) الكلاكل: الصدور. اللسان (كلكل).

أَسْلَموا ، فأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْرَهم على نبيِّه ﷺ .

وقال الوَاقِدِىُّ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن ابنِ أبى حكيمٍ - يعنى إسماعيلَ[2] - عن عطاءِ بنِ يَسارٍ ، عن أبى هُرَيرةَ ، قال : لمَّا بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصْبَحَ كلُّ صَنَمٍ مُنَكَّسًا ، [3]فأتَتِ الشياطينُ إبْليسَ[4] ، فقالوا له : ما على الأَرْضِ مِن صَنَمٍ إلَّا وقد أَصْبَحَ مُنَكَّسًا[3] . قال : هذا نبىٌّ قد بُعِثَ ، فالْتَمِسُوه فى قُرَى الأَرْيافِ . فالتَمَسُوه ، فقالوا : لم نَجِدْه . فقال : أنا صاحبُه . فخرَجَ يَلْتَمِسُه ، فنُودِىَ : عليك بجَبَّةِ[5] القَلْبِ[6] . يعنى مكَّةَ ، فالتَمَسَه بها ، فوجَدَه بها عندَ قَرْنِ الثَّعالِبِ[7] ، فخرَجَ إلى الشياطينِ ، فقال : إنِّى قد وجَدْتُه معَه جِبْريلُ ، فما عندَكم؟ قالوا : نُزَيِّنُ الشَّهَواتِ فى أَعْيُنِ أصحابِه ، ونُحَبِّبُها إليهم . [٦٧/٢ظ] قالَ : فلا آسَى إذًا .

وقال الوَاقِدِىُّ[8] : حدَّثَنى طَلْحةُ بنُ عَمْرٍو ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : لمَّا كانَ اليومُ الذى تَنَبَّأَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعَتِ الشياطينُ السَّماءَ ، ورُمُوا بالشُّهُبِ ، فجاءُوا إلى إبْليسَ فذكَروا ذلك له ، فقال : أَمْرٌ قد حدَثَ ؛ هذا نبىٌّ قد خرَجَ[9] ، عليكم بالأرضِ المُقَدَّسةِ ؛ مَخرَجِ بنى

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٧٨) من طريق الواقدى به .
(٢) فى النسخ : « إسحاق » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٣.
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .
(٥) فى النسخ : « بجنبة » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٦) فى م ، ص : « الباب » .
(٧) قرن الثعالب : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة . معجم البلدان ٤/ ٧٢.
(٨) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٧٩) من طريق الواقدى به .
(٩) فى الأصل : « بعث » .

إسْرائيلَ . قال : فذهَبوا إلى الشامِ ، ثُم رجَعوا إليه فقالوا : ليس بها أحدٌ . فقال إبْليسُ : أنا صاحبُه . فخرَجَ فى طلَبِه بمكَّةَ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحِراءَ مُنْحَدِرًا معَه جِبْريلُ ، فرجَع إلى أصحابِه ، فقال : قد بُعِثَ أحمدُ ومعَه جِبْريلُ ، فما عندَكم ؟ قالوا : الدُّنْيا نُحَبِّبُها إلى الناسِ . قال : فذاك إذًا .

قال الْوَاقِدىُّ[1] : وحدَّثَنى طَلْحةُ بنُ عَمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : كانت الشياطينُ يَسْتَمِعونَ الوَحْىَ ، فلمّا بُعِثَ محمدٌ ﷺ مُنِعوا ، فشَكَوا ذلك إلى إبْليسَ ، فقال : لقد حدَثَ أَمْرٌ . فَرَقِىَ فوقَ أبى قُبَيْسٍ - وهو أولُ جبلٍ وُضِعَ على[2] الأرضِ - فرأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى خلفَ المَقامِ ، فقال : أَذْهَبُ فأَكْسِرُ عُنُقَه . فجاء يَخْطِرُ[3] ، وجِبريلُ عندَه ، فرَكَضَه جِبْريلُ رَكْضةً طرَحَه فى كذا وكذا ، فوَلَّى الشَّيْطانُ هارِبًا . ثُم روَاه الواقِدِىُّ ، وأبو أحمدَ الزُّبَيْرِىُّ ، كلاهما عن رَباحِ بنِ أبى مَعْروفٍ ، عن قَيْسِ بنِ سَعْدٍ ، عن مُجاهِدٍ ، فذكَرَ مِثْلَ هذا ، وقالَ : فرَكَضَه برِجْلِه فَرَماه بعَدَنَ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٨٠) من طريق الواقدى به .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « وجه » .

(٣) خطر فى مشيه : اهتز وتبختر . الوسيط (خ ط ر) .

فَصْــلٌ

فى كَيْفِيَّةِ إتيانِ الوَحْيِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ

قد تقدَّمَ[1] كَيْفيَّةُ ما جاءَه جِبْريلُ فى أولِ مَرَّةٍ، وثانى مَرَّةٍ أيضًا.

وقال مالكٌ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنها، أنَّ الحارثَ بنَ هِشامٍ سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: يا رسولَ اللَّهِ، كيف يَأْتيكَ الوحىُ؟ فقال: «أَحْيَانًا يَأْتِينِى[2] مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وهو أَشَدُّه علىَّ، فَيَفْصِمُ عنى وقد وعَيْتُ ما قال، وَأَحْيانًا يَتَمَثَّلُ لِىَ المَلَكُ رَجُلًا فيُكَلِّمُنى فأَعِى ما يَقولُ». قالتْ عائشةُ، رَضِىَ اللَّهُ عنها: ولقد رأَيْتُه ﷺ يَنْزِلُ عليه الوَحْىُ فى اليومِ الشديدِ البَرْدِ، فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جبينَه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. أخْرَجاه فى «الصَّحِيحَيْنِ»[3] مِن حديثِ مالكٍ به.

ورَوَاه الإمامُ أحمدُ[4]، عن عامرِ بنِ صالحٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ به نحوَه. وكذا رَواه عَبْدةُ بنُ سُلَيْمانَ[5]، وأنسُ بنُ عِياضٍ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ. وقد رَواه أيوبُ السَّخْتِيانىُّ[6]، عن هِشامٍ، عن أبيه، عن الحارثِ بنِ هِشامٍ، أنَّه

---

(١) تقدم فى صفحة ٦، ٩.

(٢) بعده فى ص: «فى».

(٣) البخارى (٢). والحديث لم نجده فى مسلم عن مالك بل أخرجه مسلم (٨٧/٠٠٠) فى كتاب الفضائل من طريق سفيان بن عيينة ومحمد بن بشر، كلاهما عن هشام به. انظر التحفة ١٢/١٩٣.

(٤) المسند ٦/١٥٨.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣/٣٣٤٦) عن عبدة بن سليمان به.

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٣/٣٣٤٤) عن أيوب السختيانى به.

قال : سألْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقُلْتُ : كيف يَأْتيك الوَحْىُ ؟ فذكَرَه ، ولم يَذْكُرْ عائشةَ .

وفى حديثِ الإفْكِ[1] ، قالت عائشةُ : فواللَّهِ ، ما رامَ[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَه[3] ، ولا خرَجَ أحَدٌ مِن أهلِ البَيْتِ حتى أُنْزِلَ عليه ، فأخَذَه ما كان يَأْخُذُه مِن البُرَحاءِ[4] ، حتّى إنَّه كانَ يَتَحَدَّرُ مِنه مِثْلُ [٦٨/٢و] الجُمانِ[5] مِن العَرَقِ ، وهو فى يومٍ شاتٍ ؛ مِن ثِقَلِ الوَحْيِ الذى يَنْزِلُ عليه .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عبدُ الرَّزّاقِ ، أخبرَنى يُونُسُ بنُ سُلَيْمٍ ، قال : أَمْلَى علىَّ يُونُسُ بنُ يَزِيدَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن عُرْوةَ ، عن[7] عبدِ الرحمنِ بنِ عبدٍ القارِىِّ ، سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ يَقولُ : كان إذا نزَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ الوَحْىُ ، يُسْمَعُ عندَ وَجْهِه كدَوِىِّ النَّحْلِ . وذكَرَ تَمامَ الحديثِ فى نُزولِ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] . وكذا رَواه التِّرْمِذِىُّ ، والنَّسائِىُّ[8] مِن حَديثِ عبدِ الرزَّاقِ . ثُم قال النَّسائِىُّ : مُنكَرٌ ، لا نَعْرِفُ أحدًا رَواه غيرَ يُونُسَ بنِ سُلَيْمٍ ، ولا نَعْرِفُه .

---

(١) البخارى (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) ما رام رسول اللَّه ﷺ مجلسه : ما فارقه .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) البرحاء : الشدة والمشقة . اللسان (ب ر ح) .

(٥) الجمان : اللؤلؤ .

(٦) المسند ١/ ٣٤. (إسناده صحيح) .

(٧) فى النسخ : « بن » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦٣.

(٨) الترمذى (٣١٧٣)، والنسائى فى الكبرى (١٤٣٩) . ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٢٠).

وفى «صحيحِ مُسْلِمٍ» وغيرِه[1]، مِن حديثِ الحسنِ، عن حِطّانَ بنِ عبدِ اللَّهِ الرَّقَاشِيِّ، عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامتِ، قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزَلَ عليه الوَحْىُ كَرَبَه ذلك وتَرَبَّدَ[2] وَجْهُه - وفى رِوايةٍ[3]: وغمَّضَ عَيْنَيْه. وكُنَّا نَعْرِفُ ذلك مِنه.

وفى «الصَّحِيحَيْنِ»[4] حديثُ زيدِ بنِ ثابتٍ حيـنَ نَزَلَتْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥]. [5]فلمّا شكَى ابنُ أُمِّ مَكْتومٍ ضَرارتَه نَزَلَتْ[5]: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]. قال: وكانت فَخِذُ رسولِ اللَّهِ ﷺ على فَخِذى، وأنا أَكْتُبُ، فلمّا نزَلَ الوَحْىُ كادت فَخِذُه تَرُضُّ فَخِذى.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[6] مِن حديثِ همامِ بنِ يَحْيَى، عن عطاءٍ، عن [7]صَفْوانَ بنِ يَعْلَى بنِ أُمَيَّةَ[7]، عن يَعْلَى بنِ أُمَيَّةَ، قال: قال لى عمرُ: أَيَسُرُّكَ أنْ تَنْظُرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو يُوحَى إليه؟ فرفَعَ طَرَفَ الثوبِ عن وجهِه، وهو يُوحَى إليه بالجِعْرَانَةِ[8]، فإذا هو مُحْمَرُّ الوجهِ، وهو يَغِطُّ كما يَغِطُّ البَكْرُ.

وثبَتَ فى «الصحيحَيْنِ»[9] مِن حديثِ عائشةَ: لَمَّا نزَلَ الحِجابُ، وإنَّ

---

(١) مسلم (١٦٩٠)، والنسائى فى الكبرى (٧١٤٣، ٧٩٨٠).

(٢) تربد وجهه: تغير إلى الغبرة. النهاية ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٤٤.

(٤) البخارى (٢٨٣١، ٢٨٣٢، ٤٥٩٢)، ومسلم (١٨٩٨).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) مسلم (١١٨٠).

(٧ - ٧) سقط من: النسخ. والمثبت من مصدر التخريج.

(٨) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهى إلى مكة أدنى. معجم ما استعجم ٢/ ٣٨٤.

(٩) البخارى (٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (٢١٧٠).

سَوْدَةَ خرَجَتْ بعدَ ذلك إلى المَناصعِ[1] لَيلًا ، فقال عمرُ : قد عرَفْناكِ يا سَوْدةُ . فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسألَتْه - وهو جالسٌ يَتَعَشَّى ، والعَرْقُ[2] فى يدِه - فأَوْحَى اللَّهُ إليه ، والعَرْقُ فى يدِه ، ثُم رفَعَ رَأْسَه ، فقال : « إنَّه قد أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخرُجْنَ لِحاجَتِكُنَّ » . فدلَّ هذا على أنَّه لم يكنِ الوَحْىُ يُغَيِّبُ عنه إحْسَاسَه بالكُلِّيَّةِ ؛ بدليلِ أنه جالسٌ [3]لم يَسقُطْ[3] ، ولم يَسْقُطِ العَرْقُ أيضًا مِن يدِه ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه دائمًا عليه .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[4] : حدَّثَنا عبّادُ بنُ منصورٍ ، حدَّثَنا عِكْرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أُنْزِلَ عليه الوَحْىُ تَرَبَّدَ لذلك جسدُه ووجهُه ، وأمسكَ عن أصحابِه ، ولم يُكَلِّمْه أحَدٌ مِنهم .

وفى مُسْنَدِ أحمدَ[5] وغيرِه مِن حديثِ ابنِ لَهِيعَةَ ، حَدَّثَنى يَزِيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن عَمْرِو بنِ الوليدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل تُحِسُّ بالوَحْيِ ؟ قال : « نعم ، أَسْمَعُ صَلاصِلَ[6] ، ثُم أَثْبُتُ عندَ ذلك ، وما مِن مرَّةٍ يُوحَى إِلَىَّ إلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسى تَفِيظُ[7] منه » .

---

(١) المناصع : جمع مَنْصَع ، وهى المواضع التى يتخلى فيها لقضاء الحاجة . النهاية ٥/ ٦٥.

(٢) العرق : العظم أخذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة . الوسيط (ع ر ق) .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) لم نجده فى المطبوع من مسند أبى داود الطيالسى . وقد عزاه فى سبل الهدى والرشاد ٢/ ٣٤٦، ٣٤٧، إلى أبى داود الطيالسى .

(٥) المسند ٢/ ٢٢٢. (إسناده صحيح) . والحديث عزاه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٦، إلى أحمد والطبرانى ، وقال : إسناده حسن .

(٦) الصلاصل : جمع صلصلة ، والصلصلة : صوت الحديد إذا حرك . النهاية ٣/ ٤٦.

(٧) فاظ فلان : مات . ويقال : فاظت نفسه وروحه . الوسيط (ف ى ظ) .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[1] : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ الحَجَّاجِ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ ابنُ زِيادٍ ، حدَّثنا عاصمُ [٦٨/٢ظ] بنُ كُلَيْبٍ ، [2]حدَّثنا أبى[2] ، عن خالِه الفَلَتانِ[3] بنِ عاصمٍ ، قال : كُنَّا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأُنْزِلَ عليه ، وكان إذا أُنْزِلَ عليه دامَ بَصَرُه مفتوحةً عَيْناه ، وفرَّغ سمعَه وقلْبَه لِمَا يَأْتيه مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

ورَوَى أبو نُعَيْمٍ[4] مِن حديثِ قُتَيْبَةَ ، حدَّثنا عليُّ بنُ غُرابٍ ، عن الأَحْوَصِ ابنِ حَكِيمٍ ، عن أبى عَوْنٍ[5] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزَلَ عليه الوحىُ صُدِعَ ، وغلَّفَ رأْسَه بالحِنَّاءِ . هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا أبو معاويةَ شَيْبانُ[7] ، عن لَيْثٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ ، قالتْ : إنِّى لآخِذَةٌ بزِمامِ

---

(١) مسند أبى يعلى (١٥٨٣) .

(٢ - ٢) سقط من سند أبى يعلى فى مسنده ، وقد أشار إلى ذلك محقق المسند فى حاشية رقم ٢ ص ٣/ ١٥٧. والسند كاملا مذكور فى الإحسان (٤٧١٢) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٢٨٠، ٧/ ٩: رجال أبى يعلى ثقات .

وقد أخرج الحديث ابن حبان (٤٧١٢) عن أبى يعلى به . (إسناده قوى) .

(٣) فى الأصل ، م : « العليان » . انظر الإصابة ٥/ ٣٧٧.

(٤) عزاه صاحب الكنز إلى أبى نعيم فى كتاب الطب (١٨٤٧٠) . والحديث أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٣٠٢٨) عن الأحوص بن حكيم به . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٩٥: رواه البزار ، وفيه الأحوص بن حكيم وقد وثق ، وفيه ضعف كثير ، وأبو عون لم أعرفه .

(٥) فى الأصل ، م : « عوانة » . انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ١٩١.

(٦) المسند ٦/ ٤٥٥.

(٧) فى م ، ص : « سنان » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٢.

العَضْبَاءِ ، ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذْ نَزَلَتْ عليه المائدةُ كُلُّها ، وكادتْ مِن ثِقَلِهَا تَدُقُّ عَضُدَ الناقةِ . وقد روَاه أبو نُعَيْمٍ[1] مِن حديثِ الثَّوْرِىِّ ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] أيضًا : حدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، حَدَّثَنى حُيَىٌّ[3] بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : أُنزِلَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ سورةُ « المائدةِ » ، وهو راكبٌ على راحلتِه ، فلم تَسْتَطِعْ أنْ تَحْمِلَه ، فنزَلَ عنها . ورَوَى ابنُ مَرْدَوَيْهِ[4] مِن حديثِ صَبَّاحِ بنِ سَهْلٍ ، عن عاصمٍ الأَحْوَلِ ، حدَّثَتْنى أمُّ عَمرٍو ، عن عمِّها ، أنَّه كان فى مَسِيرٍ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فنزَلَتْ عليه سورةُ « المائدةِ » ، فانْدَقَّ عُنُقُ الراحلةِ مِن ثِقَلِها . وهذا غريبٌ مِن هذا الوَجْهِ .

ثُم قد ثَبَتَ فى « الصحيحَيْنِ »[5] نُزُولُ سورةِ « الفَتْحِ » على رسولِ اللَّهِ ﷺ مَرْجِعَه مِن الحُدَيْبِيَةِ ، وهو على راحلتِه ، فكأنَّه يكونُ تارةً وتارةً ، بحَسَبِ الحالِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَرْنا أنواعَ الوَحْيِ إليه ﷺ ، فى أولِ « شَرْحِ البُخارِىِّ » ، وما ذكَرَه الحَلِيمِىُّ وغيرُه مِن الأئمةِ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم .

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٥٢، وعزاه إلى أبى نعيم فى الدلائل .
(٢) المسند ٢/ ١٧٦. (إسناده صحيح) .
(٣) فى النسخ : « جبر » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٨.
(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٥٢. وعزاه إلى ابن مردويه .
(٥) البخارى (٤٨٣٣) ، ومسلم (١٧٨٦) .

فَصْلٌ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٦ - ١٩] . وقال تعالى[2] : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] . وكان هذا فى الابتداءِ ؛ كان عليه السلامُ ، مِن شِدَّةِ حِرْصِه على أخْذِه مِن المَلَكِ ما يُوحَى إليه عن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، لَيُساوِقُه[3] فى التِّلاوةِ ، فأمرَه اللَّهُ تعالى أنْ يُنْصِتَ لذلك حتّى يَفْرُغَ مِن الوَحْى ، وتَكَفَّلَ له أنْ يَجْمَعَه فى صَدْرِه ، وأنْ يُيَسِّرَ عليه تِلاوَتَه وتَبْليغَه ، [4]وأنْ يُبَيِّنَه له[4] ، ويُفَسِّرَه ، ويُوَضِّحَه ، ويُوقِفَه على المرادِ منه ، ولهذا قال : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ ﴾ أى ؛ فى صَدْرِك [٢/ ٦٩و] ﴿ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ أى ؛ وأنْ تَقْرَأَه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أى ؛ تَلاه عليك المَلَكُ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أى ؛ فاسْتَمِعْ له وتَدَبَّرْهُ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ وهو نظيرُ قولِه : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ .

وفى « الصحيحَيْنِ »[5] مِن حديثِ موسى بنِ أبى عائشةَ ، عن سَعيدِ بنِ

---

(١) التفسير ٨/ ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) التفسير ٥/ ٣١٢، ٣١٣.

(٣) ساوقه : تابعه وسايره وجاراه . الوسيط (س و ق) .

(٤ - ٤) سقط من : ص . وانظر التفسير ٥/ ٣٠٣.

(٥) البخارى (٥، ٤٩٢٧ - ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤) ، ومسلم (٤٤٨) .

جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعالِجُ مِن التَّنْزِيلِ شِدَّةً ؛ فكان يُحَرِّكُ شَفَتَيْه ، فأنزلَ اللَّهُ : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال : جَمْعَهُ في صَدْرِك ، ثم تقرؤه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فاسْتَمِعْ له وأَنْصِتْ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ قال : فكان إذا أَتاه جِبْريلُ أَطْرَقَ[١] ، فإذا ذَهَبَ قرَأَه كما وعَدَه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ .

فَصْــلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : ثُم تَتابَعَ الوَحْيُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو مُصَدِّقٌ بما جاءَه مِنه ، قد قبِلَه بقَبولِه ، وتَحَمَّلَ منه ما حَمَلَه ، على رِضا العبادِ وسُخْطِهم ، وللنُّبُوَّةِ أثقالٌ ومُؤْنَةٌ[٣] ، لا يَحمِلُها ولا يَسْتَضْلِعُ بها إلا أهلُ القوَّةِ والعَزْمِ مِن الرُّسُلِ ، بعَوْنِ اللَّهِ وتَوْفيقِه ؛ لِمَا يَلْقَوْنَ من الناسِ ، وما يُرَدُّ عليهم مِمَّا جاءوا به عن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فمَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ما أمَرَ اللَّهُ ، على ما يَلْقَى مِن قومِه مِن الخلافِ والأذى .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : وآمَنَتْ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وصَدَّقَتْ بما جاءَه مِن اللَّهِ ، ووازَرَتْه[٥] على أمْرِهِ ، وكانتْ أوَّلَ مَن آمنَ باللَّهِ ورسولِه ، وصدَّق بما جاءَ

(١) أطرق : أمال رأسه إلى صدره ، وسكت فلم يتكلم . الوسيط (ط ر ق) .
(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١١١، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠.
(٣) المؤنة : الشدة .
(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١١٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠.
(٥) وازره على الأمر : أعانه وقواه . الوسيط (و ز ر) .

مِنه، فخفَّفَ اللَّهُ بذلك (١ عن رسولِه ١)؛ لا يَسْمَعُ شيئًا يَكْرَهُه؛ مِنْ رَدٍّ عليه، وتَكْذيبٍ له فيُحْزِنُهُ ذلك، إلا فَرَّجَ اللَّهُ عنه بها إذا رجَعَ إليها تُثَبِّتُه، وتُخَفِّفُ عليه، وتُصَدِّقُه، وتُهَوِّنُ عليه أمْرَ الناسِ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأَرْضاها.

قال ابنُ إسحاقَ[٢]: وحدَّثنى هِشامُ بنُ عُرْوةَ، عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خديجةَ بِبَيْتٍ مِن قَصَبٍ[٣]، لَا صَخَبَ[٤] فيه، وَلَا نَصَبَ». وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى «الصَّحِيحيْن»[٥] مِن حديثِ هِشامٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: القَصَبُ هلهنا اللُّؤْلُؤُ المجَوَّفُ.

قال ابنُ إسحاقَ[٦]: وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ جميعَ ما أنعَمَ اللَّهُ به عليه وعلى العِبادِ مِن النبوةِ سِرًّا، إلى مَن يَطْمَئِنُّ إليه مِن أهلِه.

وقال موسَى بنُ عُقْبَةَ، عن الزُّهْرِىِّ[٧]: كانتْ خديجةُ أولَ مَنْ آمَنَ باللَّهِ، وصَدَّقَ رَسُولَه، قبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلاةُ.

قلتُ: يَعْنى الصلواتِ الخمسَ ليلةَ الإسراءِ، فأمّا أصلُ الصّلاةِ، فقد وَجَبَ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤١.

(٣) قال النووى فى شرح مسلم ١٥/ ٢٠٠: قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف. وقيل: قصب من ذهب منظوم بالجوهر. قال أهل اللغة: القصب من الجوهر ما استطال منه فى تجويف. قالوا: ويقال لكل مجوف: قصب. وقد جاء فى الحديث مفسرا ببيت من لؤلؤة محياة، وفسروه بمجوفة. قال الخطابى وغيره: المراد بالبيت هنا القصر.

(٤) صخب: اختلاط الأصوات.

(٥) البخارى (٣٨١٨، ٥٢٢٩، ٦٤٠٠)، ومسلم (٢٤٣٤، ٢٤٣٥).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٣. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٠٦، عن ابن إسحاق.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٤٣، عن موسى بن عقبة عن الزهرى.

فى حياةِ خديجةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، كما سنُبَيِّنُه .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانتْ خديجةُ أولَ مَن آمَنَ باللَّهِ ورسولِه ، وصَدَّقَ بما جاءَ به ، ثُم إنَّ جِبْريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتُرِضَتْ عليه الصَّلاةُ ، فهَمَزَ له بعَقِبِه فى ناحيةِ الوادى [٦٩/٢ظ] فانفجَرَتْ له عينٌ مِن ماءِ زَمْزَمَ ، فتَوَضَّأَ جِبْريلُ ومحمدٌ ، عليهما السَّلامُ ، ثُم صلَّى رَكْعتَيْنِ ، وسجَدَ أَرْبَعَ سَجَدَاتٍ ، ثُم رَجَعَ النبىُّ ﷺ وقد أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَه ، وطابت نَفْسُه ، وجاءَه ما يُحِبُّ مِن اللَّهِ ، فأخَذَ بيَدِ خديجةَ حتى أَتَى بها العَيْنَ ، فتَوَضَّأَ كما تَوَضَّأَ جِبْريلُ ، ثُم ركَعَ رَكْعَتَيْن ، وأَرْبعَ سَجَدَاتٍ ، ثُم كان هو وخديجةُ يُصَلِّيان سِرًّا .

قلتُ : صلاةُ جِبْريلَ هذه غيرُ[2] الصَّلاةِ التى صَلَّاهَا به عندَ البيتِ مَرَّتَيْنِ ، فَبَيَّنَ له أوقاتَ الصلواتِ الخمسِ ؛ أولَها[3] وآخِرَها ؛ فإنَّ ذلك كان بعدَ فَرْضِيَّتِها ليلةَ الإسراءِ ، وسيَأْتى بيانُ ذلك ، إن شاءَ اللَّهُ ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١١٢، ١١٧. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠، ٢٤٤.
(٢) فى الأصل : « عين » .
(٣) سقط من : « الأصل » .

فصـل

(١) فى ذِكْرِ (١) أولِ مَن أسْلَمَ ،

(٢) ثم ذِكْرِ (٢) مُتقدّمى الإسلامِ

مِن (٣) الصحابةِ (٤) رَضِى اللّهُ عنهم (٤)

قال ابنُ إسحاقَ[٥] : ثُم إنَّ عَلِيَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضِيَ اللَّهُ عنه ، جاءَ بعدَ ذلك بيومٍ ، وهما يُصَلِّيان ، فقال علىٌّ : يا محمدُ ، ما هذا ؟ قال : دِينُ اللَّهِ الذى اصْطَفَى لنفسِه ، وبعَثَ به رُسُلَه ، فأدْعُوكَ إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، وإلى عبادتِه ، وكُفْرٍ[٦] باللَّاتِ والعُزَّى . فقال عَلِىٌّ : هذا أمرٌ لم أَسْمَعْ به قبلَ اليومِ ، فلستُ بِقَاضٍ أمْرًا حتى أُحَدِّثَ به أبا طالبٍ . فكَرِهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُفْشِيَ عليه سِرَّه قبلَ أَنْ يَسْتَعْلِنَ أمْرَه ، فقال له : « يا علىُّ ، إذا لم تُسْلِمْ فاكْتُمْ » . فمكَثَ علىٌّ تلك الليلةَ ، ثُم إنَّ اللَّهَ أَوْقَعَ فى قلبِ علىٍّ الإسلامَ ،

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « و » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « وغيرهم » .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١١٨ .

(٦) فى م : « أن تكفر » .

فأصْبَح غَادِيًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتّى جاءَه، فقال: ماذا عَرَضْتَ علىَّ يا محمدُ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه لا شريكَ له، وتَكْفُرُ باللَّاتِ والعُزَّى، وتَبْرَأُ مِن الأندادِ». ففعَلَ علىٌّ وأَسْلَمَ، ومكَث يَأْتِيهِ على خَوْفٍ مِن أبى طالبٍ، وكتَمَ علىٌّ إسلامَه ولم يُظْهِرْه، وأسلَمَ ابنُ حارِثةَ، يَعْنى زَيْدًا، فمَكَثا قريبًا مِن شَهْرٍ، يَخْتَلِفُ علىٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانَ مما أنْعَمَ اللَّهُ به على علىٍّ أنَّه كان فى حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: حدَّثَنى ابنُ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: وكانَ مِن نِعْمةِ اللَّهِ علَى علىٍّ أنَّ قُرَيْشًا أصابَتْهم أزمةٌ شديدةٌ، وكانَ أبو طالبٍ ذا عيالٍ كثيرةٍ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمِّهِ العباسِ، وكان مِن أَيْسَرِ بنى هاشمٍ: «يا عباسُ، إنَّ أخاك أبا طالبٍ كثيرُ العيالِ، وقد أصابَ الناسَ ما تَرى مِن هذه الأَزْمةِ، فانطلِقْ حتى نُخَفِّفَ عنه مِن عيالِه». فأخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا فضَمَّه إليه، فلم يَزَلْ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حتَّى بعَثَه اللَّهُ نبيًّا، فاتَّبَعَه علىٌّ وآمَنَ به وصَدَّقَه.

وقال يُونُسُ[2] بنُ بُكَيْرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى يَحْيَى بنُ أبى الأَشْعَثِ الكِنْدىُّ، مِن أهلِ الكوفةِ، حدَّثنى إسماعيلُ بنُ[3] إياسِ بنِ[4] عُفَيِّفٍ، عن أبيه، عن جدِّه عُفَيِّفٍ - وكان عُفَيِّفٌ[5] أخا الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦.

(٢) سقط من: ص.

(٣) بعده فى النسخ: «أبى». والمثبت من سيرة ابن إسحاق ص ١١٩. وانظر لسان الميزان ١/ ٣٩٥.

(٤) فى ص: «عن».

(٥) بعده فى ص: «جد». وهو خطأ. انظر أسد الغابة ٤/ ٤٨، والإصابة ٤/ ٥١٥.

لأُمّه – أنّه قال[1] : كنتُ امرَءًا تاجرًا فقدِمْتُ مِنًى أيامَ الحَجّ ، وكان العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ [٢/٧٠و] امْرَءًا تاجرًا ، فأتَيتُه أبْتاعُ منه وأَبِيعُه . قال : فبينا نحن إذ خرَجَ رَجُلٌ مِن خِباءٍ[2] فقام يُصَلّى تِجاهَ الكعبةِ ثُم خرَجَتِ امرأةٌ فقامت تُصَلّى ، وخَرَجَ غلامٌ فقام يُصَلّى معه ، فقلتُ : ياعباسُ ، ما هذا الدِّينُ ؟ إنَّ هذا الدينَ ما نَدْرِى ما هو . فقال : هذا محمدُ بنُ عبدِ اللّهِ يَزْعُمُ أنَّ اللّهَ أَرْسَلَه ، وأنَّ كُنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ سَتُفْتَحُ عليه ، وهذه امرأتُه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ آمنَتْ به ، وهذا الغُلامُ ابنُ عَمِّه عَلِىُّ بنُ أبى طالبٍ آمَنَ به . قال عُفَيِّفٌ : فلَيتَنى كنتُ آمنتُ يومَئذٍ فكنتُ أكونُ ثانيًا . وتابعَه إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عن ابنِ إسحاقَ[3] ، وقال في الحديثِ : إذْ خَرَجَ رجلٌ مِن خِباءٍ قَريبٍ مِنه ، فنظَرَ إلى السماءِ فلمّا رآها قد مالتْ قام يُصَلّى . ثُم ذكَرَ قِيامَ خديجةَ وراءَه .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عُبَيْدٍ المُحارِبِىُّ ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ خُثَيْمٍ[5] ، عن أسدِ بنِ عَبْدةَ البَجَلِىِّ ، عن يَحيى بنِ عُفَيِّفٍ ، [6]عن عُفَيِّفٍ[6] ، قال : جئتُ زَمَنَ[7] الجاهليةِ إلى مكةَ ، فنزَلْتُ على العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فلمّا طَلَعَت الشمسُ وحلَّقَتْ في السماءِ ، وأنا أَنْظُرُ إلى الكعبةِ ، أقبلَ شابٌّ فرَمَى ببَصَرِه إلى السَّماءِ ، ثُم اسْتَقْبَلَ الكعبةَ فقامَ مُسْتَقْبِلَها ، فلم يَلْبَثْ حتى

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١١٩.

(٢) الخباء : بيت من وبر أو شعر أو صوف ، يكون على عمودين أو ثلاثة . الوسيط (خ ب أ) .

(٣) ذكر متابعة إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٣.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١١. قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٣/ ١٢٤١: حديث حسن جدا .

(٥) فى ص : « خيثم » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤١٣.

(٦ - ٦) سقط من : النسخ . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الإصابة ٤/ ٥١٥.

(٧) فى الأصل ، ص : « من » .

جاءَ غلامٌ (١ فقامَ عن يمينِه ١) ، فلم يَلْبَثْ حتى جاءت امرأةٌ فقامتْ خَلْفَهما ، فركَعَ الشابُّ فركَعَ الغلامُ والمرأةُ ، (١ فرفَعَ الشابُّ فرفعَ الغلامُ والمرأةُ ١) ، فخرَّ الشابُّ ساجدًا فسجَدا معه ، فقلتُ : يا عباسُ ، أمرٌ عظيمٌ ! فقال : (١ أمرٌ عظيمٌ ١) . فقال : أتَدْرِى مَن هذا ؟ فقلتُ : لا . فقال : هذا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، ابنُ أخى ، (١ أتَدْرِى مَن الغلامُ ؟ قلتُ : لا . قال : هذا علىُّ ابنُ أبى طالبٍ ١) ، أتَدْرِى مَن هذه المرأةُ التى خَلْفَهما ؟ قلتُ : لا . قال : هذه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ زَوجةُ ابنِ أخى ، وهذا حدَّثنى أنَّ ربَّك ربَّ السَّماءِ (٢) أمَرَه بهذا الذى تَراهم عليه ، وايْمُ اللَّهِ ما أَعْلَمُ على ظَهْرِ الأَرْضِ كُلِّها أحدًا (٣ على هذا الدينِ ٣) غيرَ هؤلاءِ الثلاثةِ .

وقال ابنُ جَرِيرٍ (٤) : حدَّثنى ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا عيسَى بنُ سَوادَةَ بنِ (٥) الجَعْدِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، وربيعةُ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ ، وأبو حازِمٍ ، والكَلْبىُّ ، قالوا : علىٌّ أولُ مَن أسْلَمَ . قال الكَلْبىُّ : أسلَمَ وهو ابنُ تِسْعِ سِنِين .

وحدَّثنا (٦) ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : أولُ ذَكَرٍ آمَنَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وصلَّى معه وصَدَّقَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، وهو ابنُ عَشْرِ سِنِين ، (٧ وكان فى حِجْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ الإسلامِ ٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) بعده فى الأصل ، م : « والأرض » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٢.
(٥) بعده فى م ، ص : « أبى » .
(٦) القائل الطبرى . تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٢.
(٧ - ٧) سقط من : ص .

قال الوَاقِدِىُّ[1] : [2]أخْبَرَنا إبراهيمُ بنُ[3] نافعٍ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مُجاهِدٍ، قال: أسْلَمَ علىٌّ وهو ابنُ عَشْرِ سِنِين. قال الواقِدىُّ[2][4] : وأجْمَعَ أصحابُنا على أنَّ عليًّا أسْلَمَ بعدَ ما تَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بسَنَةٍ. وقال محمدُ بنُ كَعْبٍ[5] : أولُ مَنْ أسلَمَ مِن هذه الأُمَّةِ خديجةُ، وأولُ رَجُلَيْن أسْلَما أبو بكرٍ، وعلىٌّ، وأسلَمَ علىٌّ قبلَ أبى بكرٍ، وكان علىٌّ يَكْتُمُ إيمانَه خَوْفًا مِن أبيه، حتى لَقِيَه أبوه، قال: أسْلَمْتَ؟ قال: نَعَمْ. قال: وآزِرِ ابنَ عَمِّكَ وانصُرْه. قال: وكان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ أولَ مَن أظْهَرَ الإسلامَ.

ورَوَى ابنُ جَرِيرٍ فى «تاريخِه»[6] مِن حديثِ شُعْبَةَ، عن أبى بَلْجٍ، عن عَمرِو بنِ مَيْمونٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: أولُ مَن صَلَّى علىٌّ.

وحدَّثنا [7]زكريا بنُ يحيى الضريرُ، حدَّثنا[7] [٢/٧٠ظ] عبدُ الحميدِ بنُ بَحْرٍ[8]، حدَّثَنا شَرِيكٌ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ، عن جابرٍ، قال: بُعِثَ النبىُّ ﷺ يومَ الاثنينِ، وصلَّى علىٌّ يومَ الثلاثاءِ.

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٤، من طريق الواقدى به.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى النسخ: «عن». والمثبت من مصدر التخريج. انظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٤، من طريق الحارث عن ابن سعد عن الواقدى به.

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٣، عن محمد بن كعب.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠.

(٧ - ٧) سقط من: النسخ، واستدرك من تاريخ الطبرى ٢/٣١٠ .

(٨) فى النسخ: «يحيى». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر لسان الميزان ٣/ ٣٩٥، ٣٩٨.

ورَوَى[1] مِن حديثِ شُعبةَ، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن أبي حمزةَ[2] - رَجُلٍ مِن الأَنصارِ - سَمِعْتُ زيدَ بنَ أَرْقَمَ، يَقولُ: أولُ مَن أَسْلَمَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، عليُّ بنُ أبي طالبٍ. قال: فذكَرْتُه للنَّخَعِيِّ فأنكَرَه، وقال: أبو بكرٍ أولُ مَن أَسْلَمَ.

ثُم قال[3]: حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسَى، حدَّثَنا العَلاءُ، عن المِنْهالِ بنِ عَمْرٍو، عن عبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ، سمِعْتُ عَلِيًّا يقُولُ: أنا عبدُ اللَّهِ، وأخو رسولِه، وأنا الصِّدِّيقُ الأكبرُ، لا يقُولُها بعدى إلَّا كاذبٌ مُفْتَرٍ، صَلَّيْتُ قَبْلَ الناسِ بسبعِ سِنين. وهكذا رَوَاه ابنُ ماجه[4]، عن محمدِ بنِ إسماعيلَ الرازيِّ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ ابنِ موسَى العَبْسيِّ[5] - وهو شيعيٌّ مِن رجالِ الصحيحِ - عن العَلاءِ بنِ صالحٍ الأَسَديِّ[6] الكوفيِّ وثَّقوه[7]، ولكن قال أبو حاتِمٍ[8]: كان مِن عُتُقِ الشِّيعةِ. وقال عليُّ بنُ المَدِينيِّ[8]: روَى أحاديثَ مناكيرَ، والمِنهالُ بنُ عَمرٍو ثقةٌ، وأمّا شيخُه عبّادُ بنُ عبدِ اللَّهِ - وهو الأَسَديُّ الكوفيُّ - فقد قال فيه عليُّ

---

(١) أى ابن جرير. تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠. كما أخرجه الترمذى (٣٧٣٥) من طريق الطبرى به. قال الألبانى: صحيح الإسناد عن زيد، متصل عن النخعى. (صحيح سنن الترمذى ٧/ ٢٩٣).

(٢) فى ص: «جمرة». انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤٦.

(٣) القائل الطبرى. تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٠.

(٤) ابن ماجه (١٢٠). قال الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٨: هذا كذب على عليٍّ. وقال الألبانى: باطل (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٣).

(٥) فى الأصل، م: «الفهمى». انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

(٦) فى النسخ: «الأزدى». انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥١١.

(٧) ذكر ذلك المزى فى تهذيب الكمال ٢٢/ ٥١٢، فقال: قال عباس الدُّورى، وأبو بكر بن أبى خيثمة عن يحيى بن معين، وأبو داود: ثقة.

(٨) ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٣/ ١٠١.

ابنُ المَدِينيّ[1] : هو ضعيفُ الحديثِ . وقال البُخارِيُّ[2] : فيه نَظَرٌ . وذكَرَه ابنُ حِبّانَ في « الثقاتِ »[3] . وهذا الحديثُ مُنكَرٌ بِكلِّ حالٍ ، ولا يَقولُه عليٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، وكيفَ يُمْكِنُ أن يُصَلِّيَ قبلَ الناسِ بسبعِ سِنين ؟! هذا لا يُتَصَوَّرُ أصلًا . واللَّهُ أعلمُ . وقال آخَرون[4] : أولُ مَن أسلَمَ مِن هذه الأمةِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ . والجَمْعُ بينَ الأقوالِ كلِّها أنَّ خديجةَ أولُ مَن أسلَمَ مِن النساءِ ، وظاهرُ السِّياقاتِ ، وقبلَ الرجالِ أيضًا . وأولُ مَن أسلَمَ مِن الموالى زيدُ بنُ حارثةَ ، وأولُ مَن أسلَمَ مِن الغِلْمانِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ ، فإنَّه كان صغيرًا دونَ البُلوغِ ، على المشهورِ ، وهؤلاءِ كانوا ، إذ ذاك ، أهلَ البيتِ ، وأولُ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، وإسلامُه كانَ أنفعَ °مِن إسلامِ° مَن تقدَّمَ ذِكْرُهم ؛ إذ كانَ صَدْرًا[6] مُعَظَّمًا ، ورئيسًا في قريشٍ مُكَرَّمًا ، وصاحبَ مالٍ ، وداعِيةً إلى الإسلامِ ، وكان مُحَبَّبًا مُتَأَلِّفًا يَبْذُلُ المالَ في طاعةِ اللَّهِ ورسولِه ، كما سيَأْتى تَفْصيلُه .

قال يُونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[7] : ثُم إنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ لقِيَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالَ : أحَقٌّ ما تقولُ قريشٌ يا محمدُ مِنْ تَرْكِك آلهتَنا ، وتَسْفيهِك عقولَنا ، وتَكْفيرِك آباءَنا[8] ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بلى ، إنّى رسولُ اللَّهِ

---

(١) ذكره الذهبى فى ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦٨.
(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٣٢.
(٣) الثقات ٥/ ١٤١.
(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٤، ٣١٥.
(٥ - ٥) سقط من : الأصل.
(٦) صدر القوم : رئيسهم. الوسيط (ص د ر).
(٧) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٠.
(٨) فى الأصل : « إيانا ».

ونبيُّه ، بَعَثَنِى لأُبَلِّغَ رسالتَه ، وأَدْعُوك إلى اللَّهِ بالحقِّ ، فواللَّهِ إنَّه لَلْحَقُّ ، أَدْعوك يا أبا بكرٍ ، إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، ولا تَعْبُدْ غيرَه ، والموالاةِ على طاعتِه » . وقرأَ عليه القرآنَ ، فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ ، فأسلَمَ وكفَرَ بالأصنامِ ، وخلَعَ الأندادَ وأقرَّ بحقِّ الإسلامِ ، ورجَعَ أبو بكرٍ وهو مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : [٢/٧١و] حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الحُصَينِ التميمِىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما دَعَوْتُ أَحَدًا إلى الإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ عِنْدَهُ كَبْوةٌ[2] وَتَرَدُّدٌ وَنَظَرٌ ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ مَا عَكَمَ عنه حينَ ذكَرْتُه ، وَلَا تَرَدَّدَ فيه » . عَكَمَ ، أى تَلَبَّثَ . وهذا الذى ذكَرَه ابنُ إسحاقَ فى قولِه : فلم يُقِرَّ ولم يُنْكِرْ . مُنْكَرٌ ؛ فإنَّ ابنَ إسحاقَ وغيرَه[3] ذكَروا أنَّه كان صاحبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قبلَ البِعْثَةِ ، وكان يَعْلَمُ مِن صِدْقِه ، وأمانتِه ، وحُسْنِ سَجِيَّتِه[4] ، وكَرَمِ أخْلاقِه ، ما يَمْنَعُه مِن الكَذِبِ على الخَلْقِ ، فكيفَ يَكْذِبُ على اللَّهِ ؟! ولهذا بمجرَّدِ ما ذَكَرَ له أنَّ اللَّهَ أرسلَه ، بادَرَ إلى تَصْدِيقِه ، ولم يَتَلَعْثَمْ ، ولا عَكَمَ ، وقد ذكَرْنا كيفيةَ إسلامِه فى كتابِنا الذى أفرَدْناه فى سيرتِه ، وأوْرَدْنا فضائِلَه وشَمَائِلَه ، وأَتْبَعْنا ذلك بسيرةِ الفاروقِ أيضًا ، وأوْرَدْنا ما رَواه كلٌّ منهما عن النبىِّ ﷺ مِن الأحاديثِ ، وما رُوِىَ عنه مِن الآثارِ والأحكامِ والفَتاوَى ، فبلَغَ ذلك ثلاثَ مُجَلَّداتٍ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢.

(٢) الكبوة : الوقفة عند الشيء يدعى إليه الإنسان أو يطلب منه . الوسيط (ك ب و) .

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٦٤، ١٦٥. وتاريخ دمشق ٣٠/ ٤٦.

(٤) فى الأصل : « شجيته » . والسجية : الطبيعة والخلق .

وقد ثبت في « صحيحِ البُخارِيِّ »[1] ، عن أبي الدَّرْداءِ في حديثٍ ما كان بينَ أبي بكرٍ وعمرَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما ، مِن الخصومةِ ؛ وفيه : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إلَيْكم ، فَقُلْتُم : كَذَبْتَ . وَقَال أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ . وواسانِي بِنَفْسِه وَمالِه ، فهل أنتم تَارِكُوا لي صَاحبي ؟ » . مَرَّتَيْنِ ، فما أُوذِيَ بعدَها ، وهذا كالنَّصِّ على أنَّه أوَّلُ مَن أَسْلَمَ ، رضِيَ اللَّهُ عنه .

وقد روَى التِّرمِذِيُّ ، وابنُ حِبَّانَ[2] مِن حديثِ شُعْبَةَ ، عن سعيدٍ الجُرَيْرِيِّ[3] ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيدٍ قال : قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه : ألستُ أحقَّ الناسِ بها ، ألسْتُ أولَ مَن أسلَمَ ، ألسْتُ صاحبَ كذا ؟

وروَى ابنُ عَساكِرَ[4] مِن طريقِ بُهْلُولِ بنِ عُبَيْدٍ ، حدَّثَنا أبو إسحاقَ السَّبِيعِيُّ ، عن الحارثِ ، سَمِعْتُ عَلِيًّا ، يَقولُ : أولُ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، وأولُ مَن صَلَّى مع النبيِّ ﷺ مِن الرجالِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ . وقال شُعْبَةُ : عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبي حمزةَ ، عَن زيدِ بنِ أَرْقَمَ قال : أولُ مَن صَلَّى معَ النبيِّ ﷺ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ[5] .

وقد تقدَّم روايةُ ابنِ جَرِيرٍ[6] لهذا الحديثِ مِن طريقِ شُعبةَ ، عن عَمرِو بنِ

---

(١) البخاري (٣٦٦١، ٤٦٤٠).

(٢) الترمذي (٣٦٦٧) ، والإحسان (٦٨٦٣). صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٨).

(٣) في ص : « الجزيري » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٣٨.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٨.

(٥) بعده في الأصل ، م : « رواه أحمد والترمذي والنسائي من حديث شعبة ، وقال الترمذي : حسن صحيح » . والظاهر أنه لم يروه أحد من المذكورين بهذا اللفظ من حديث شعبة . بل المروي عندهم من حديث شعبة ؛ ما تقدم في صفحة ٦٦ من رواية ابن جرير حاشية (١) ، . وهو في مسند أحمد ٤/ ٣٦٨، ٣٧١. والترمذي (٣٧٣٥) . والنسائي في الكبرى (٨١٣٧) .

(٦) تقدم في صفحة ٦٦.

مُرَّةَ ، عن أبى حَمزةَ[1] ، عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ ، قال : أولُ مَن أسلَمَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ . قال عَمرُو بنُ مُرَّةَ : فذكَرْتُه لإبراهيمَ النَّخَعِىِّ فأنكَرَه ، وقال : أولُ مَن أسلَمَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

ورَوَى الوَاقِدىُّ[2] بأسانيدِه ، عن أبى أَرْوَى الدَّوْسىِّ[3] ، وأبى سَلَمةَ[4] بنِ عبدِ الرحمنِ و[5] جماعةٍ مِن السَّلَفِ : أولُ مَنْ أسلَمَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ .

وقال يَعقوبُ بنُ سُفيانَ[6] : حَدَّثَنا أبو بكرٍ الحُمَيْدىُّ ، حدَّثَنا سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن مالكِ بنِ مِغْوَلٍ ، عن رَجُلٍ ، قال : سُئِلَ ابنُ عباسٍ : مَن أَوَّلُ مَن آمَنَ ؟ فقال : أبو بكرٍ ، أمَا سمِعْتَ قولَ حسانَ[7] :

إذا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِن أخى ثِقَةٍ ... فاذكُرْ أَخاكَ أبا بَكْرٍ بما فَعَلا
خَيْرَ البَرِيَّةِ أَوْفَاهَا وأعدَلَها ... بعدَ النبىِّ وأولاها بما حَمَلا
والتالىَ الثانىَ المحمودَ مَشهَدُه ... وأَوَّلَ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلَا
[٧١/٢ظ] عاشَ حَميدًا لأمرِ اللَّهِ مُتَّبِعًا ... بأمْرِ صاحِبِهِ الماضى وما انتقَلا

وقد رَواه أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ[8] ، حدَّثَنا شيخٌ لنا ، عن مُجَالِدٍ ، عن عامرٍ ، قال : سألتُ ابنَ عباسٍ - أو : سُئل ابنُ عباسٍ - : أىُّ الناسِ أولُ إسلامًا ؟ قال :

(١) فى ص : « جمرة » . وهو خطأ . انظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤٦.
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣/ ١٧١، عن محمد بن عمر الواقدى به .
(٣) فى ص : « الروس » . انظر أسد الغابة ٦/ ٩.
(٤) فى الأصل ، م : « مسلم » . وهو خطأ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ١١٥.
(٥) فى الأصل ، م : « فى » .
(٦) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٣.
(٧) ديوان حسان ص ٢١١، ٢١٢.
(٨) مصنف ابن أبى شيبة (١٨٤٣٣) .

أَمَا سَمِعْتَ قولَ حسانَ بنِ ثابتٍ . فذكَره ، وهكذا روَاه الهيثمُ بنُ عَدِىٍّ[1] ، عن مُجَالِدٍ ، عن عامرٍ الشَّعْبِىِّ : سأَلْتُ ابنَ عباسٍ . فذكَره .

وقال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[2] : حدَّثَنى سُرَيجُ بنُ يُونُسَ ، حدَّثَنا يُوسُفُ بنُ المَاجِشُونِ ، قال : أَدْرَكتُ مشيختَنا منهم ؛ محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، وربيعةُ بنُ أبى عبدِ الرحمنِ ، وصالحُ بنُ كَيْسَانَ ، وعثمانُ بنُ محمدٍ ، لا يَشُكُّونَ أَنَّ أولَ القومِ إسلامًا أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قلتُ : وهكذا قال إبراهيمُ النَّخَعِىُّ[3] ، ومحمدُ بنُ كَعْبٍ[4] ، ومحمدُ بنُ سِيرِينَ[5] ، وسعدُ بنُ إبراهيمَ ، وهو المشهورُ عن جمهورِ أهلِ السنّةِ .

ورَوَى ابنُ عَسَاكِرَ[6] ، عن سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، ومحمدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهما قالا : لم يَكُنْ أولَهم إسلامًا ، ولكن كان أفضلَهم إسلامًا . قال سعدٌ : وقد آمَنَ قبلَه خمسةٌ .

وثبت فى « صحيحِ البُخَارِىِّ »[7] ، مِن حديثِ هَمَّامِ بنِ الحارثِ ، عن عَمَّارِ ابنِ يَاسرٍ قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وما معه إلَّا خَمسَةُ أَعْبُدٍ ، وامرأتانِ ، وأبو بكرٍ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٠، والطبرى فى تاريخه ٢/ ٣١٥. كلاهما من طريق الهيثم بن عدى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٣، من طريق عبد اللَّه بن محمد أبى القاسم البغوى به .

(٣) تقدم فى الصفحة السابقة .

(٤) الذى تقدم عن محمد بن كعب ، أن أول من أسلم هو على بن أبى طالب .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٧.

(٦) تاريخ دمشق ٣٠/ ٤٥، ٤٦.

(٧) البخارى (٣٦٦٠، ٣٨٥٧) .

وروَى الإمامُ أحمدُ[1] ، وابنُ مَاجَه[2] ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ ، عـن زِرٍّ ، عـن ابنِ مسعودٍ قال : أولُ مَن أظهَرَ الإسلامَ سبعةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [3]وأبو بكرٍ[3] ، وعمارٌ ، وأمُّه سُمَيَّةُ ، وصُهَيْبٌ ، وبلالٌ ، والمِقْدَادُ ، فأمّا رسولُ اللَّهِ ﷺ فمنعَه اللَّهُ بِعَمِّهِ ، وأمّا أبو بكرٍ فمنعه اللَّهُ بقَوْمِه ، وأمّا سائرُهُم فأخَذَهم المشركون فألْبَسوهم أدْرُعَ الحديدِ وصَهَرُوهم فى الشمسِ ، فما مِنهم مِن أحدٍ إلَّا وقد واتاهم[4] على ما أَرادوا ، إلَّا بلالًا فإنَّه هانَتْ عليه نفسُه فى اللَّهِ ، وهانَ على قومِه ، فأخَذوه فأعطَوْه الوِلْدَانَ ، فجعَلوا يَطُوفُونَ به فى شِعَابِ مكةَ ، وهو يَقولُ : أَحَدٌ أَحَدٌ . وهكذا رواه الثَّوْرِيُّ[5] ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مُرْسَلًا .

فأمّا ما روَاه ابنُ جريرٍ[6] قائلًا : أخبرَنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا كِنانةُ بنُ جَبَلَةَ[7] ، عن إبراهيمَ بنِ طَهْمانَ ، عن حَجَّاجٍ ، عن قتادةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن محمدِ بنِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، قال : قلتُ لأبى : أكانَ أبو بكرٍ أوَّلَكم إسلامًا ؟ قال : لا ، ولقد أسلَمَ قبلَه أكثرُ مِن خمسين ، ولكن كان أفضلَنا إسلامًا . فإنَّه حديثٌ مُنكَرٌ إسنادًا ومَتْنًا .

قال ابنُ جريرٍ[8] : وقال آخَرون : كان أولَ مَن أسلَمَ زيدُ بنُ حارثةَ . ثُم

---

(١) المسند ١/ ٤٠٤. (إسناده صحيح) .
(٢) ابن ماجه (١٥٠) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢) .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) فى ص : « أتاهم » . وواتاه على الأمر : طاوعه .
(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٣٨، عن الثورى به .
(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٦.
(٧) فى الأصل ، م : « حبلة » . وهو تصحيف . وفى ص : « حميلة » . وانظر لسان الميزان ٤/ ٤٩٠.
(٨) تاريخ الطبرى ٢/ ٣١٦.

رَوَى مِن طريقِ الواقِدِىِّ[1] ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، سأَلْتُ الزُّهْرِىَّ : مَن أولُ مَن أَسْلَمَ مِن النساءِ؟ قال : خديجةُ . قلتُ : فمِن الرجالِ؟ قال : زيدُ بنُ حارثةَ . وكذا قال عُروةُ ، وسليمانُ بنُ يَسارٍ ، وغيرُ واحدٍ : أولُ مَن أَسْلَمَ مِن الرجالِ زيدُ بنُ حارثةَ[2] . وقد أَجابَ أبو حنيفةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بالجَمْعِ بينَ هذه الأقوالِ بأنَّ أولَ مَن أسلَمَ مِن الرجالِ الأحرارِ أبو بكرٍ ، ومِن النساءِ خديجةُ ، ومِن الموالى زيدُ بنُ حَارثةَ ، ومِن الغِلْمَانِ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعينَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : فلمّا أسلَمَ أبو بكرٍ وأظهَرَ إسلامَه دعا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، وكانَ أبو بكرٍ رجلًا مَأْلَفًا لقومِه مُحَبَّبًا سَهْلًا ، وكان أَنْسَبَ قريشٍ لقريشٍ ، [٧٢/٢و] وأعلَمَ قريشٍ بما كانَ فيها مِن خيرٍ وشَرٍّ ، وكانَ رجلًا تاجرًا ذا خُلُقٍ و[4] مَعْرُوفٍ ، وكان رجالُ قومِه يَأْتونَه ويَأْلَفونَه ، لغيرِ واحدٍ مِن الأمرِ ؛ لعِلْمِه ، وتِجارتِه ، وحُسْنِ مجالستِه ، فجعَلَ يَدْعو إلى الإسلامِ مَن وَثِقَ به مِن قومِه مِمَّن يَغْشاه ويَجْلِسُ إليه ، فأسلَمَ على يديه فيما بلَغَنى الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وعثمانُ بنُ عفّانَ ، وطَلْحَةُ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ ، وسعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ ، وعبدُ الرحمنِ ابنُ عَوْفٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، فانطلَقُوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعَهم أبو بكرٍ ، فعرَضَ عليهم الإسلامَ ، وقرَأَ عليهم القرآنَ ، وأنبأَهم بحقِّ الإسلامِ فآمَنوا ، وكان هؤلاءِ النَّفَرُ الثمانيةُ الذين سبَقوا إلى الإسلامِ ، فصدَّقوا رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى ص : « الزهرى » .

(٢) أخرج ذلك كله ، الطبرى فى تاريخه ٣١٦/٢، ٣١٧.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ٢٤٩/١.

(٤) ليست فى : ص.

وآمَنوا بما جاءَ مِن عندِ اللَّهِ .

وقال محمدُ بنُ عُمَرَ الوَاقِدِيُّ[1] : حدَّثنى الضحَّاكُ بنُ عثمانَ ، عن مَخْرَمةَ ابنِ سليمانَ الوالبيِّ ، عن إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ[2] طَلْحةَ ، قال : قال طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : حَضَرْتُ سوقَ بُصْرَى ، فإذا راهبٌ فى صَومعتِه يَقولُ : سَلُوا أهلَ المَوْسِمِ : أفيهم رجلٌ مِن أهلِ الحَرَمِ ؟ قال طَلْحةُ : قلتُ : نعم أنا . فقال : هل ظهَرَ أحمدُ بعدُ ؟ قلتُ : ومَن أحمدُ ؟ قال : ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، هذا شَهْرُه الذى يَخْرُجُ فيه ، وهو آخِرُ الأَنبياءِ ، مَخْرَجُه مِن الحَرَمِ ، ومُهاجَرُه إلى نَخْلٍ وحَرَّةٍ[3] وسِباخٍ[4] ، فإيَّاك أن تُسْبَقَ إليه . قال طَلْحةُ : فوقَعَ فى قلْبى ما قال ، فخرَجْتُ سريعًا حتى قَدِمْتُ مكةَ ، فقلتُ : هل كانَ مِن حَدَثٍ ؟ قالوا : نعم ، محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأمينُ تَنبَّأَ ، وقد اتَّبَعَه ابنُ أبى قُحافَةَ . قالَ : فخرَجْتُ حتى دَخَلْتُ على أبى بكرٍ ، فقلت : أتبِعتَ هذا الرَّجُلَ ؟ قال : نعم ، فانْطَلِقْ إليه ، فادْخُلْ عليه ، فاتَّبِعْه ؛ فإنَّه يَدْعو إلى الحقِّ ، فأَخبَرَه طَلْحةُ بما قالَ الراهبُ . فخرَجَ أبو بكرٍ بطلحةَ فدخَلَ به على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأسلَمَ طلحةُ ، وأَخْبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ بما قالَ الراهبُ ، فَسُرَّ بذلك ، فلمّا أسلَمَ أبو بكرٍ وطلحةُ أخَذَهما نَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ العَدَويَّةِ - وكان (٥ يُدْعَى أسدَ ٥) قريشٍ - فشَدَّهما فى حَبْلٍ واحدٍ ، ولم يَمْنَعْهما بنو تَيْمٍ[6] ؛ فلذلك سُمِّى أبو بكرٍ وطَلْحةُ القَرِينَيْنِ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/١٦٥ - ١٦٧، من طريق الواقدى به .
(٢) بعده فى النسخ : « أبى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ١٧٢ .
(٣) الحرة : أرض ذات حجارة سود نَخِرات كأنها أحرقت بالنار . اللسان (ح ر ر) .
(٤) سباخ : جمع سَبَخة ، وهى أرض ذات ملح ونز . اللسان (س ب خ) .
(٥ - ٥) فى ص : « من أشد » . وهو لفظ رواية أخرى بسند ثان عند البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٦٦ .
(٦) فى ص : « تميم » .

وقال النبيُّ ﷺ : « اللهم اكفِنا شرَّ ابنِ العَدَويَّةِ » . رواه البَيْهَقِيُّ[1] .

وقال الحافظُ أبو الحسنِ خَيْثمةُ بنُ سليمانَ الأَطْرابُلُسيُّ[2] : حدَّثَنا عبدُ[3] اللَّهِ ابنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ العُمَرىُّ قاضى المِصِّيصَةِ[4] ، حدَّثَنا أبو بكرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عُبَيْدِ[5] اللَّهِ بنِ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ عِمْرانَ بنِ موسَى بنِ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، حدَّثَنى أبى عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ [6]بنُ محمدِ[6] بنِ عِمرانَ بنِ[7] إبراهيمَ ابنِ محمدِ بنِ طَلْحةَ ، حدَّثَنى أبى محمدُ بنُ عِمْرانَ ، عن القاسمِ بنِ محمدِ ابنِ أبِى بكرٍ ، عن عائشةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنها ، قالَتْ : خرَجَ أبو بكرٍ يريدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وكانَ له صَديقًا فى الجاهليةِ ، فلَقِيَه فقال : يا أبا القاسمِ ، فُقِدْتَ مِن مجالسِ قومِك ، واتَّهَموك بالعَيْبِ لآبائِها وأمهاتِها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى رسولُ اللَّهِ أَدْعوك إلى اللَّهِ » . فلمّا فرَغَ مِن كلامِه أسلَمَ أبو بكرٍ ، فانطلَقَ عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وما بينَ الأَخْشَبَيْنِ أحدٌ أكثرُ سرورًا منه بإسلامِ أبى بكرٍ ، ومضَى أبو بكرٍ فراحَ لعثمانَ بنِ عَفَّانَ ، وطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، والزُّبَيْرِ بنِ العوَّامِ ، وسعدِ بنِ أبى وقّاصٍ ، فأَسْلَموا ، ثُم جاءَ الغدَ بعثمانَ بنِ مَظْعُونٍ ، وأبى عُبَيْدةَ بنِ الجرَّاحِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، [٧٢/٢ظ] وأبى

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ١٦٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٨/٣٠ - ٥١، من طريق أبى الحسن خيثمة بن سليمان به .

(٣) فى م، ص : « عبيد » .

(٤) المصيصة : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . معجم البلدان ٤/ ٥٥٨.

(٥) فى الأصل : « عبد » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل، ص .

(٧) سقط من : ص .

سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسدِ ، والأَرْقمِ بنِ أبى الأَرقمِ ، فأسلَموا ، رضِىَ اللَّهُ عنهم . قال عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ[1] : فحدَّثَنى أبى محمدُ بنُ عمرانَ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن عائشةَ ، قالتْ : لمّا اجتمَعَ أصحابُ النبىِّ ﷺ فكانوا ثمانيةً وثلاثين رجلًا أَلَحَّ أبو بكرٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الظُّهورِ ، فقال : « يا أبا بكرٍ ، إنَّا قَليلٌ » . فلم يَزَلْ أبو بكرٍ يُلِحُّ حتى ظهَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وتفرَّق المسلمونَ فى نواحى المسجدِ ، كلُّ رجلٍ فى عشيرتِه ، وقامَ أبو بكرٍ فى الناسِ خطيبًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ ، فكان أولَ خطيبٍ دَعا إلى اللَّهِ وإلى رسولِه ﷺ ، وثارَ المشركون على أبى بكرٍ وعلى المسلمين ، فَضُرِبُوا فى نواحى المسجدِ ضَرْبًا شديدًا ، ووُطِئَ أبو بكرٍ ، وضُرِبَ ضَرْبًا شديدًا ، ودنا منه الفاسقُ عُتْبةُ بنُ ربيعةَ ، فجعَلَ يَضْرِبُه بنَعْلَيْن مَخْصُوفَيْن[2] ويُحَرِّفُهما لوجهِه ، ونَزا[3] على بَطْنِ أبى بكرٍ حتى ما يُعْرَفُ وجهُه مِن أنفِه ، وجاء بنو تَيْمٍ يَتَعادَوْن ، فأجْلَتِ المشركين عن أبى بكرٍ ، وحمَلَتْ بنو تيمٍ أبا بكرٍ فى ثوبٍ حتى أَدْخَلوه مَنْزِلَه ، ولا يَشُكُّونَ فى مَوْتِه ، ثُم رجَعَتْ بنو تَيْمٍ ، فدخلوا المسجدَ ، وقالوا : واللَّهِ لئن ماتَ أبو بكرٍ لنَقْتُلَنَّ عتبةَ بنَ رَبيعةَ . فرجَعوا إلى أبى بكرٍ ، فجعَلَ أبو قُحافَةَ وبنو تَيْمٍ يُكَلِّمون أبا بكرٍ حتى أَجابَ ، فتكَلَّمَ آخِرَ النهارِ ، فقال : ما فعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فمسُّوا منه بألسنتِهم وعذَلوه[4] ، ثُم قاموا ، وقالوا لأُمِّه أُمِّ الخَيْرِ : انْظُرِى أن تُطْعِميه شيئًا ، أو تَسْقِيه إيّاه . فلمَّا خَلَتْ به أَلَحَّتْ عليه ، وجعَلَ يَقولُ : ما فعَلَ

---

(١) فى الأصل : « عمر » .

(٢) خصف النعل : خاطه بالمخيط .

(٣) نزا عليه : وثب .

(٤) عذله : لامه .

رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقالتْ : واللَّهِ ما لى عِلْمٌ بصاحبِك . فقال : اذْهَبِى إلى أمِّ جَميلٍ بنتِ الخطَّابِ فاسْأليها عنه . فخرَجَتْ حتّى جاءتْ أمَّ جَميلٍ ، فقالَتْ : إنَّ أبا بكرٍ يَسْألُكِ عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ . فقالتْ : ما أَعْرِفُ أبا بكرٍ ولا محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، وإن كنتِ تُحِبِّينَ أن أذهَبَ معَكِ إلى ابنِك ؟ قالتْ : نَعَمْ . فمضَتْ معَها حتى وجَدَتْ أبا بكرٍ صَرِيعًا دَنِفًا[1] ، فدَنَتْ أمُّ جَميلٍ ، وأعلَنَتْ بالصِّيَاحِ ، وقالتْ : واللَّهِ إنَّ قومًا نالوا هذا مِنك لأَهلُ فِسْقٍ وكُفْرٍ ، وإنِّى لأَرْجو أن يَنْتَقِمَ اللَّهُ لكَ . قال : فما فعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قالتْ : هذه أمُّكَ تَسْمَعُ . قال : فلا شىءَ عليكِ منها . قالت : سالِمٌ صالِحٌ . قال : أينَ هو؟ قالتْ : فى دارِ ابنِ أبى[2] الأَرقمِ . قال : فإنَّ للَّهِ علىَّ ألا أذوقَ طَعَامًا ولا أَشْرَبَ شَرَابًا أو[3] آتِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ . فأَمْهَلَتا حتى إذا هدَأَتِ الرِّجْلُ وسكَنَ الناسُ ، خرَجَتا به يَتَّكِئُ عليهما حتّى أَدْخَلَتاه على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قالَ : فأَكَبَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقَبَّلَه وأَكَبَّ عليه المسلمون ، ورَقَّ له رسولُ اللَّهِ ﷺ رِقَّةً شديدةً ، فقال أبو بكرٍ : بأبى وأمِّى ، يا رسولَ اللَّهِ ليس بى بأسٌ إلَّا ما نالَ الفاسقُ[4] مِن وَجْهِى ، وهذه أمِّى بَرَّةٌ بولدِها ، وأنت مبارَكٌ فَادْعُها إلى اللَّهِ ، وادعُ اللَّهَ لها ؛ عسَى اللَّهُ أنْ يَسْتَنْقِذَها بك مِن النارِ . قال : فدعَا لها رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم دَعاها إلى اللَّهِ ، فأسْلَمَتْ ، وأَقاموا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الدارِ شَهْرًا ، وهم تِسعةٌ

(١) الدنف : المريض الذى اشتد مرضه وأشفى على الموت . الوسيط (د ن ف) .
(٢) سقط من : النسخ ومصدر التخريج . انظر أسد الغابة ١/ ٧٤ .
(٣) « أو » هنا بمعنى « إلّا » أو « حتى » والفعل بعدها ينصب بأن مضمرة وجوبا .
(٤) فى الأصل : « الناس » .

وثلاثون رجلًا ، وقد كانَ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ أسْلَمَ يومَ ضُرِبَ أبو بكرٍ ، ودَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ ولأبى [٧٣/٢و] جَهْلِ بنِ هشامٍ ، فأصبَحَ عمرُ ، وكانتِ الدعوةُ يومَ الأربعاءِ فأسلمَ عمرُ يومَ الخميسِ ، فكبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأهلُ البيتِ تَكْبيرةً سُمِعَتْ بأعْلَى مكةَ ، وخرَجَ أبو الأرقمِ - وهو أَعْمى كافرٌ - وهو يَقولُ : اللهمَّ اغفِرْ[١] لبَنِيَّ غيرَ[٢] الأَرْقمِ فإنه كفَرَ . فقام عمرُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ عَلامَ نُخْفِي دينَنا ، ونحن على الحقِّ ويَظْهَرُ دينُهم وهم على الباطلِ ؟! قال : « يا عُمَرُ ، إنَّا قليلٌ ، قد رأيْتَ ما لَقِينا » . فقال عمرُ : فوالذى بعثَك بالحقِّ ، لا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فيه بالكفْرِ إلا أَظْهَرْتُ فيه الإيمانَ . ثُم خرَجَ فطافَ بالبيتِ ، ثُم مرَّ بقريشٍ وهى تَنْتَظِرُه ، فقال أبو جهلِ بنُ هِشَامٍ : يَزْعُمُ فلانٌ أنك صَبأْتَ . فقال عمرُ : أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شَريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . فوثَبَ المشركون إليه ، ووثَبَ على عُتْبَةَ فبَرَكَ عليه ، فجعَلَ يَضْرِبُه ، وأَدْخَلَ أُصْبُعَه فى عَيْنَيْه ، فجعَلَ عُتْبَةُ يَصيحُ فتَنَحَّى الناسُ فقامَ عمرُ ، فجعَلَ لا يَدْنو منه أحدٌ إلَّا أخَذَ شَريفَ مَن دَنا منه ، حتَّى أعْجَزَ الناسَ ، واتَّبَعَ المجالسَ التى كانَ يُجالِسُ فيها فيُظْهِرُ الإيمانَ ، ثُم انصرَفَ إلى النبيِّ ﷺ وهو ظاهرٌ عليهم ، قال : ما عليك بأبى وأمِّى ، واللَّهِ ما بَقِىَ مَجْلِسٌ كنتُ أَجْلِسُ فيه بالكفرِ إلَّا أظْهَرْتُ فيه الإيمانَ غيرَ هائبٍ ولا خائفٍ . فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وخرَجَ عمرُ أمامَه ، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ حتى طافَ بالبيتِ وصَلَّى الظُّهْرَ مُعْلِنًا[٣] ، ثُم انصرَفَ إلى دارِ الأرقمِ ومعه عمرُ ، ثُم

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م ، ص : « عبيد » .

(٣) فى النسخ : « مؤمنا » . والمثبت من مصدر التخريج .

انصرَفَ عمرُ وحْدَه ، ثُم انصرَفَ[1] النبيُّ ﷺ. والصحيحُ أنَّ عمرَ إنَّما أسلَمَ بعدَ خروجِ المهاجِرين إلى أرضِ الحبشةِ ، وذلك فى السنةِ السادسةِ مِن البِعْثةِ ، كما سيأْتى فى مَوْضِعِه إنْ شاء اللَّهُ ، وقد استَقْصَيْنا كيفيةَ إسلامِ أبى بكرٍ وعمرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، فى كتابِ سيرَتِهما على انفِرادِها ، وبسَطْنا القولَ هنالك ، وللَّهِ الحمدُ.

وثبَت فى « صحيحِ مُسْلمٍ »[2] مِن حديثِ أبى أُمَامَةَ ، عن عمرِو بنِ عَبَسَةَ السُّلَمِىِّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أولِ ما بُعِثَ وهو بمكةَ ، وهو حينَئذٍ مُسْتَخْفِيًا ، فقلتُ : ما أنت[3] ؟ قال : « أنا نبىٌّ » . فقلتُ : وما النبىُّ ؟ قال : « رسولُ اللَّهِ » . قلتُ : آللَّهُ أرسَلَك ؟ قال : « نعم » . قلتُ : بم أرسَلَك ؟ قال : « بأن تَعْبُدَ اللَّهَ وحْدَه لا شريكَ له ، وتَكْسِرَ الأصنامَ ، وتَصِلَ الأرحامَ » . قال : قلتُ : نِعْمَ ما أرسلَك به ، فمَن معك على هذا ؟ قال : « حُرٌّ وعبدٌ » . - يَعْنِى أبا بكرٍ وبلالًا - قال : فكانَ عَمْرٌو يَقولُ : لقد رأيتُنى وأنا رُبُعُ الإسلامِ . قال : فأسْلَمْتُ . قلتُ : فأَتَّبِعُك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لا ، ولكنِ الحَقْ بقومِك ، فإذا أُخبِرْتَ أنِّى قد خَرَجْتُ فاتَّبِعْنى » . ويُقالُ : إنَّ معنى قولِه ، عليه السلامُ : « حُرٌّ وعَبْدٌ » . اسمُ جِنْسٍ ، وتفسيرُ ذلك بأبى بكرٍ وبلالٍ فقط فيه نَظَرٌ ؛ فإنَّه قد كانَ جماعةٌ قد أسْلَموا قبلَ عمرِو بنِ عَبَسَةَ ، وقد كانَ زيدُ ابنُ حارثةَ أسلَمَ قبلَ بلالٍ أيضًا ، فلعلَّه أخبَرَ أنَّه رُبُعُ الإسلامِ بحَسَبِ عِلْمِه ؛ فإنَّ

---

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) مسلم (٨٣٢) .

(٣) قال النووى فى شرح صحيح مسلم ٦/ ١١٥: إنما قال : ما أنت ؛ ولم يقل : من أنت . لأنه سأله عن صفته لا عن ذاته ، والصفات مما لا يعقل .

المسلمين كانوا إذ ذاك يَسْتَسِرُّون بإسلامِهم لا يَطَّلِعُ على أمْرِهم كثيرُ أحدٍ مِن قراباتِهم، دعِ الأجانبَ، دعْ أهلَ الباديةِ مِن الأَعرابِ. واللَّهُ أعلمُ.

وفي «صحيحِ البخاريِّ»[1] مِن طريقِ أبي أُسامةَ، [٢/٧٣ظ] عن هاشمِ بنِ هاشمٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: سمِعْتُ سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ يَقولُ: ما أسلَمَ أحدٌ في اليومِ الذي أسلَمْتُ فيه، ولقد مكَثْتُ سبْعةَ أيامٍ، وإنِّي لثُلُثُ الإسلامِ. أمّا قولُه: ما أسلَمَ أحدٌ في اليومِ الذي أسلَمْتُ فيه. فسَهْلٌ، ويُرْوَى[2]: إلَّا في اليومِ الذي أسلَمْتُ فيه. وهو مُشكِلٌ؛ إذ يَقْتَضِي أنَّه لم يَسْبِقْه أحدٌ بالإسلامِ، وقد عُلِمَ أنَّ الصِّدِّيقَ، وعَلِيًّا، وخديجةَ، وزيدَ بنَ حارثةَ أَسْلَموا قبلَه، كما قد حَكَى الإجماعَ على تقدُّمِ إسلامِ هؤلاءِ غيرُ واحدٍ، منهم؛ ابنُ الأثيرِ[3]، ونصَّ أبو حنيفةَ[4]، رَحِمه اللَّهُ، على أنَّ كلًّا مِن هؤلاءِ أسلَمَ قبلَ أبناءِ[5] جِنْسِه. واللَّهُ أعلمُ. وأمّا قولُه: ولقد مكَثْتُ سبعةَ أيامٍ، وإنِّي لثُلُثُ الإسلامِ. فمُشْكِلٌ، وما أدْرِي على ماذا يُوضَعُ عليه إلَّا أن يكونَ أَخْبَرَ بحَسَبِ ما عَلِمَه. واللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ[6]: حدَّثَنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ، وهو ابنُ مَسْعُودٍ، قال: كنتُ غُلَامًا يافِعًا[7] أَرْعَى غَنَمًا لعُقْبَةَ بنِ

---

(١) البخارى (٣٨٥٨).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٢٠/٢٩٨.

(٣) الكامل ٢/٥٧. وأسد الغابة ٢/٢٨٣، ٧/٨٧.

(٤) تقدم فى صفحة ٧٣.

(٥) سقط من: ص.

(٦) مسند أبى داود (٣٥٣).

(٧) يفع الغلام: شب وترعرع، أو شارف الاحتلام وناهز البلوغ، وكذا الفتاة. الوسيط (ى ف ع).

أبى مُعَيْطٍ بمكةَ ، فأتى عَلَىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ - وقد فرَّا مِن المشركين - فقال - أو : فقالا - : عندَك يا غلامُ لَبَنٌ تَسْقِينا ؟ قلتُ : إنى مُؤْتَمَنٌ ، ولستُ بساقيكما . فقال : هل عندَك مِن جَذَعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ بعدُ ؟ قلتُ : نعم . فأتيتُهما بها ، فاعتَقَلَها أبو بكرٍ ، وأخذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الضَّرْعَ ، فدَعا فَحَفَل[1] الضَّرْعُ ، وأتاه أبو بكرٍ بصخرةٍ مُتقَعِّرةٍ فحَلَبَ فيها ثُمَّ شَرِبَ هو وأبو بكرٍ ، ثُم سَقيانى ، ثُم قالَ للضَّرْعِ : « اقلِصْ » . فقلَصَ ، فلمّا كان بعدُ أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : علِّمْنِى مِن هذا القولِ الطيبِ - يعنى القرآنَ - فقال : « إنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ » . فأَخذْتُ مِن فِيه سبعينَ سُورَةً ما ينازِعُنِى فيها أَحَدٌ . وهكذا رَوَاه الإمامُ أحمدُ[2] ، عن عفَّانَ ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ به . ورَواه الحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ[3] ، عن أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ به .

وقال البَيْهَقِىُّ[4] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ بنُ بَطَّةَ الأَصْبهانىُّ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ الجَهْمِ ، حدَّثَنا الحسينُ بنُ الفَرَجِ ، حدَّثَنا محمدُ ابنُ عُمَرَ ، حدَّثَنى جعفرُ بنُ محمدِ بنِ خالدِ بنِ الزُّبَيْرِ ، (٥عن أبيه - أو٥) عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ - قالَ : كانَ إسلامُ خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ قديمًا ، وكانَ أولَ إخوتِه أسْلَمَ ، وكان بَدْءُ إسلامِه أنَّه رأى فى المنامِ أنَّه وُقِفَ به على شَفِيرِ[6] النارِ ، فذكَرَ مِن سَعَتِها ما اللَّهُ أعلمُ به ، ويَرَى فى النومِ

---

(١) حفل الضرع : اجتمع فيه اللبن .

(٢) المسند ١/ ٣٧٩، ٤٦٢. (إسناده صحيح) .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٧٢، من طريق الحسن بن عرفة به .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٧٢، ١٧٣.

(٥ - ٥) كذا بالنسخ . وغير موجودة بمصدر التخريج .

(٦) الشفير : الحرف والجانب والناحية .

كأنَّ آتيًا أتاه يَدْفَعُه فيها ، ويَرَى رسولَ اللَّهِ ﷺ آخِذًا بحَقْوَيْه لا يَقَعُ ، فَفَزِعَ مِن نومِه ، فقال : أحْلِفُ باللَّه ، إنَّ هذه لرُؤيا حقٌّ . فلَقِيَ أبا بكرِ بنَ أبى قُحافةَ فذكَرَ ذلك له ، فقال (1)أبو بَكْرٍ(1) : أُرِيدَ بك خيرٌ ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فاتَّبِعْه ؛ فإنَّك ستَتَّبِعُه وتَدْخُلُ معه فى الإسلامِ ، والإسلامُ يَحْجِزُكَ أن تَدْخُلَ فيها ، وأبوك واقعٌ فِيها . فلَقِىَ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأَجْيادَ[2] ، فقال : يا محمدُ ، إلامَ تَدْعُو ؟ قال : « أَدْعو إلى اللَّهِ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، وتَخْلَعُ ما أنت عليه مِن عِبادةِ حَجَرٍ لا يَسْمَعُ ، ولا يُبْصِرُ ، ولا يَضُرُّ ، ولا يَنْفَعُ ، ولا يَدْرِى مَن عَبَدَه مِمَّن لم يَعْبُدْه . [٧٤/٢و] قال خالدٌ : فإنِّى أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ . فَسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بإسلامِه ، وتغيَّبَ خالدٌ وعَلِمَ أبوه بإسلامِه ، فأرسلَ فى طَلَبِه فأُتِيَ به ، فأنَّبَه وضرَبَه بمِقْرَعةٍ[3] فى يدِه حتَّى كسَرَها على رأسِه ، وقال : واللَّهِ ، لأَمْنَعَنَّكَ القُوتَ . فقال خالدٌ : إن منَعْتَنى ، فإنَّ اللَّهَ يَرْزُقُنى ما أَعيشُ به . وانصَرَفَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكانَ يُكْرِمُه[4] ويَكونُ معَه .

(١ - ١) ليست فى : الأصل ، م .

(٢) أجياد : موضع من بطحاء مكة ، من منازل قريش البطاح . معجم ما استعجم ١/ ١١٥ .

(٣) المقرعة : خشبة يضرب بها .

(٤) فى ص ، ومصدر التخريج : « يلزمه » .

ذِكْرُ[1] إسلامِ حَمْزَةَ

ابنِ عبدِ المُطَّلِبِ عَمِّ النبىّ ﷺ

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ : عن محمدِ بنِ إسحاقَ[2] ، حدَّثنى رجلٌ مِن[3] أسْلَمَ – وكان واعيةً – أنَّ أبا جَهْلٍ اعترَضَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عندَ الصَّفَا فآذاه ، وشَتَمَه ، ونالَ مِنه ما يَكْرَهُ مِن العَيْبِ لدِينِه ، فذُكِرَ ذلك لحمزةَ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فأقبَل نحوَه حتى إذا قامَ على رأْسِه رفَع القَوْسَ فضرَبَه بها ضَرْبَةً شَجَّه مِنها شَجَّةً مُنْكَرةً ، وقامَتْ رجالٌ مِن قريشٍ مِن بنى مَخْزُومٍ إلى حَمزةَ ؛ لِيَنْصُروا أبا جَهْلٍ منه ، وقالوا : ما نراك يا حمزةُ إلَّا قد صَبَأْتَ . قال حمزةُ : وما يَمْنَعُنى وقد استبَان لى مِنه ، و[4] أنا[5] أَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأنَّ الذى يَقولُ حَقٌّ ، فواللَّهِ لا أَنْزِعُ ، فامْنَعونى إن كنتُم صادِقِينَ . فقالَ أبو جهلٍ : دَعُوا أبا عُمارَةَ ؛ فإنِّى واللَّهِ لقد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سَبًّا قبيحًا . فلمّا أَسْلَمَ حمزةُ عَرَفَتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد عَزَّ وامتَنَعَ ، فَكَفُّوا عما كانوا يَتناوَلونَ منه ، وقال حمزةُ فى ذلك شِعْرًا .

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٥١، ١٥٢ مطولا . وسيرة ابن هشام ١/ ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) فى الأصل ، م : « ممن » .

(٤) زيادة من سيرة ابن إسحاق .

(٥) فى الأصل ، م : « ما » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم رجَعَ حمزةُ إلى بيتِه ، فأتاه الشيطانُ فقالَ : أنت سيدُ قريشٍ ، اتَّبَعْتَ هذا الصابِئَ وترَكْتَ دِينَ آبائِك ، لَلموتُ خَيْرٌ لك مما صنَعْتَ . فأقبلَ على[2] حمزةَ بَثُّه[3] ، وقال : ما صنَعْتُ ! اللهم إن كان رُشْدًا فاجعَلْ تَصْديقَه فى قَلْبى ، وإلَّا فاجْعَلْ لى مما وقَعْتُ فيه مَخْرَجًا . فباتَ بليلةٍ لم يَبِتْ بمثلِها ؛ مِن وَسْوَسَةِ الشيطانِ حتى أَصْبَحَ فغَدا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا بنَ أخى ، إنِّى قد وقَعْتُ فى أمْرٍ لا أَعْرِفُ المَخْرَجَ منه ، وإقامةُ مثلى على ما لا أَدْرِى ما هو أَرَشَدٌ هو أم غَىٌّ ، شديدٌ ، فحدِّثْنِى حديثًا ؛ فقد اشتَهَيْتُ يا بنَ أخى أن تُحَدِّثَنى . فأقبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فذَكَّرَه ووَعَظَه ، وخَوَّفَه وبَشَّرَه ، فألْقَى اللَّهُ فى نَفْسِه الإيمانَ بما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : أَشْهَدُ أنَّك الصادِقُ شهادةَ الصِّدْقِ ، فأَظْهِرْ يا بنَ أخى دينَك ، فواللَّهِ ما أُحِبُّ أنَّ لى ما أظلَّتْه السماءُ وأنِّى على دِينى الأولِ . فكانَ حمزةُ مِمَّنْ أعزَّ اللَّهُ به الدِّينَ . وهكذا رَواه البَيْهَقِىُّ ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يُونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ به[4] .

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « على نفسه » . وفى ص : « نفسه » . والبث : أشد الحزن . تاج العروس (ب ث ث) .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢١٣.

ذِكْرُ إسلامِ أبى ذَرٍّ، رَضِىَ اللهُ عنه

قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[(١)] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ يعقوبَ الحافظُ ، حدَّثَنا الحُسَيْنُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ الرُّومىِّ ، حدَّثَنا النَّضْرُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا عِكرِمةُ بنُ عمارٍ ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوليدِ ، عن مالكِ بنِ مَرْثَدٍ ، عن أبيه ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : كنتُ رُبُعَ الإسلامِ ، أسلَمَ قبلى ثلاثةُ [٢/٧٤ظ] نَفَرٍ ، وأنا الرابعُ ، أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ، أَشْهَدُ أن لا إلَه إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . فرأيتُ الاسْتِبْشارَ فى وَجْهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . هذا سياقٌ مختصَرٌ .

وقال البُخارىُّ[(٢)] : إسلامُ أبى ذَرٍّ ، حدَّثَنا عَمرُو بنُ عباسٍ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مَهْدِىٍّ ، عن المُثَنَّى ، عن أبى جَمْرَةَ[(٣)] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لمَّا بلَغَ أبا ذَرٍّ مَبْعَثُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال لأخيه : اركَبْ إلى هذا الوادى ، فاعلَمْ لى عِلْمَ هذا الرجلِ الذى يَزْعُمُ أنَّه نبىٌّ يَأْتيه الخبرُ مِن السماءِ ، واسْمَعْ مِن قولِه ثُم ائْتِنى . فانطَلَقَ الأَخُ[(٤)] حتى قَدِمَه[(٥)] ، وسمِعَ مِن كلامِه ، ثُم رجَعَ إلى أبى ذَرٍّ ، فقال له : رأَيتُه يَأْمُرُ بمكارمِ الأخلاقِ ، وكلامًا[(٦)] ما هو بالشِّعرِ . فقال : ما شَفَيْتَنِى مما أَرَدْتُ . فتزوَّدَ ، وحمَل شَنَّةً فيها ماءٌ حتى قدِمَ مكةَ ، فأتى المسجدَ فالتمسَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢١٢.

(٢) البخارى (٣٨٦١).

(٣) فى النسخ : «حمزة». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣١.

(٤) فى النسخ : «الآخر». والمثبت من صحيح البخارى.

(٥) أى قدم الوادى .

(٦) التقدير : وسمعته يقول كلاما . قاله ابن حجر فى الفتح .

رسولَ اللَّهِ ﷺ ولا يَعْرِفُه، وكرِه أن يَسْأَلَ عنه، حتى أَدْرَكَه بعضُ الليل اضطجَعَ، فرآه عليٌّ فعرَفَ أنه غريبٌ، فلمّا رآه تَبِعَه، فلم يَسْأَلْ واحدٌ منهما صاحِبَه عن شيءٍ حتى أصبَحَ، ثُم احتَمَلَ قِرْبَتَه وزادَه إلى المسجدِ، وظَلَّ ذلك اليومَ ولا يَراه النبيُّ ﷺ حتى أَمْسى، فعادَ إلى مَضْجَعِه، فمرَّ به عليٌّ فقال: أَمَا آنَ للرجلِ يَعْلَمُ منزلَه؟ فأقامَه فذهَبَ به معَه لا يَسْأَلُ واحدٌ منهما صاحبَه عن شيءٍ، حتى إذا كان يومُ الثالثِ، فعادَ (١ عَلِيٌّ مثلَ ١) ذلك فأقامَ معَه، فقال: ألا تُحَدِّثُنى ما الذى أَقْدَمَك؟ قال: إن أعطيتَنى عَهْدًا وميثاقًا لتُرْشِدَنِّى، فَعَلْتُ. ففَعَلَ فأخبَرَه، قال: فإنَّه حَقٌّ،وإنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فإذا أصبَحْتَ فاتَّبِعْنى، فإنِّى إن رأيتُ شيئًا أَخافُ عليك قمتُ كأنى أُريقُ الماءَ، وإن مضَيْتُ فاتَّبِعْنِى حتى تَدْخُلَ مَدْخلى. ففَعَلَ، فانطلَقَ يَقْفُوه حتى دخَلَ على النبيِّ ﷺ، ودخَل معه، فسَمِعَ مِن قَوْلِهِ وأسلَمَ مكانَه. فقالَ له النبيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ فأَخْبِرْهم حتى يَأْتِيَك أَمْرِى». فقال: والذى بعثَك بالحقِّ لأَصْرُخَنَّ بها بينَ ظَهْرانَيْهم، فخرَجَ حتى أتى المسجِدَ فنادَى بأعْلَى صوتِه: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ. ثُم قامَ فضرَبوه حتى أضجَعوه، فأَتَى العباسُ فأَكَبَّ عليه، فقال: ويْلَكم! ألسْتُم تَعْلَمون أنَّه مِن غِفارٍ، وأنَّ طريقَ تجارتِكم إلى الشامِ؟ فأنقَذَه منهم، ثُم عادَ مِن الغَدِ بمثلِها فضرَبوه، وثاروا إليه، فأَكَبَّ العباسُ عليه. هذا لفظُ البخاريِّ. وقد جاءَ إسلامُه مبسوطًا فى «صحيحِ مسلمٍ» وغيرِه:

فقال الإمامُ أحمدُ[٢]: حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ المغيرةِ،

(١ - ١) كذا فى النسخ. وفى صحيح البخارى: «علىّ على مثل».

(٢) المسند ٥/ ١٧٤، ١٧٥.

حدَّثَنا حُمَيْدُ بنُ هلالٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الصامتِ قال : قال[1] أبو ذَرٍّ : خرَجْنا مِن قومِنا غِفارٍ - وكان يُحِلُّونَ الشهرَ الحرامَ - أنا وأخى أُنَيْسٌ وأُمُّنا ، فانطلَقْنا حتى نَزَلْنا على خالٍ لنا ذى مالٍ وذى هيئةٍ ، فأكرَمَنا خالُنا وأحسَنَ إلينا ، فحَسَدَنا قومُه ، فقالوا له : إنَّك إذا خرَجْتَ عن أهلِك خَلَفَك إليهم أُنَيْسٌ . فجاءَ خالُنا فنَثَا[2] ما قيل له ، فقلْتُ له : أَمَّا ما مَضَى مِن مَعْرُوفِك فقد كَدَّرْتَه ، ولا جِماعَ لنا فيما بعدُ . قال : فقرَّبْنا صِرْمتَنا[3] فاحتَمَلْنا عليها وتَغَطَّى [٢/٧٥و] خالُنَا ثوبَه وجعَل يَبْكِى . قال : فانطَلَقْنا حتى نَزَلْنا حَضْرةَ مكَّةَ[4] . قال : فنافَرَ[5] أُنَيْسٌ رَجُلًا[6] عن صِرمتِنا وعن مثلِها ، فأَتَيا الكاهنَ فخيَّرَ أُنَيْسًا ، فأَتانا بصِرْمتِنا ومِثْلِها ، وقد صلَّيْتُ يا بنَ أخى قبلَ أَنْ أَلْقَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ سِنين . قال : قلْتُ : لِمَن؟ قال : للَّهِ . قلْتُ : فأينَ تَوَجَّهُ؟ قال : حيثُ وَجَّهَنِى اللَّهُ . قال : وأُصَلِّى عِشاءً حتى إذا كانَ مِن آخرِ الليلِ أُلْقِيتُ[7] كأنِّى خِفاءٌ[8] حتى تَعْلُوَنى الشَّمْسُ . قال : فقال أُنَيْسٌ : إنَّ لى حاجةً بمكةَ فاكْفِنى[9] حتى آتيَك .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) بعده فى المسند « عليه » . ونثا الذى قيل له : أظهره ، وحدث به . النهاية ٥/ ١٦ .

(٣) الصرمة : القطعة من الإبل ، قيل : هى ما بين العشرين إلى الثلاثين . وقيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين . اللسان (ص ر م) .

(٤) حضرة مكة : أى عندها أو قريباً منها . انظر النهاية ١/ ٣٩٩ .

(٥) قال صاحب اللسان : وفى حديث أبى ذر : نافر أخى أنيس فلانا الشاعر . أراد أنهما تفاخرا أيهما أجود شعرا . اللسان (ن ف ر) . وانظر الفتح الربانى ٢٢/ ٣٦٧ .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧) فى الأصل ، م : « ألفيت » .

(٨) الخفاء : الكساء ، وكل شىء غطيت به شيئا ، فهو خفاء . النهاية ٢/ ٥٧ .

(٩) فى النسخ : « فألقنى » . والمثبت من مسند أحمد .

قال : فانطلَقَ فراثَ[1] عليَّ ، ثُم أَتانى فقلتُ : ما حبَسَك ؟ قال : لَقِيتُ[2] رجلًا يَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ أرسلَه على دينِك . قال : فقلْتُ : مَا يَقولُ الناسُ له ؟ قال : يَقولون : إنَّه شاعرٌ وساحرٌ . وكانَ أُنَيْسٌ شاعرًا . قال : فقال : لقد سمِعْتُ الكُهّانَ فما يَقولُ بقولِهم ، وقد وضَعْتُ قولَه على أَقْراءِ الشِّعْرِ[3] ، فواللَّهِ ما يَلْتَئِمُ[4] لسانُ أحدٍ أنَّه شِعْرٌ ، وواللَّهِ إنَّه لصادقٌ وإنَّهم لكاذِبونَ . قال : فقلْتُ له : هل أنت كافِيَّ[5] حتى أَنْطَلِقَ ؟ قال : نعَمْ ، وكُنْ مِن أهلِ مكةَ على حَذَرٍ ؛ فَإِنَّهم قد شَنِفوا له[6] وتجهَّموا له[7] . قال : فانطلَقْتُ حتى قَدِمْتُ مكةَ فتضعَّفْتُ[8] رجلًا منهم ، فقلْتُ : أينَ هذا الرجلُ الذى تَدْعُونَه الصابئَ ؟ قال : فأشارَ إلىَّ ، [9]قال : الصَّابِئَ[9] . فمالَ أهلُ الوادى علىَّ بكلِّ مَدَرَةٍ[10] وعَظْمٍ حتى خَرَرْتُ مَغْشيًّا علىَّ ، فارتفَعْتُ حينَ ارتفَعْتُ كأنِّى نُصُبٌ أحمرُ[11] ، فأتيْتُ زَمْزَمَ فشَرِبْتُ مِن مائِها ، وغسَلْتُ عنى الدمَ ، ودخَلْتُ بينَ الكعبةِ وأستارِها ، فلَبِثْتُ به يابنَ أخى ثلاثين مِن بينِ[12] يومٍ وليلةٍ ، ما لى طعامٌ إلا ماءُ زَمْزَمَ ،

---

(١) راث : أبطأ .

(٢) فى ص : « رأيت » .

(٣) أقراء الشعر : طرقه وأنواعه .

(٤) فى الأصل : « تعلثم » . ويلتئم : يجتمع . وانظر الفتح الربانى ٢٢/ ٣٦٧.

(٥) فى الأصل : « كاتمى » .

(٦) شنفوا له : أبغضوه . اللسان (ش ن ف) .

(٧) تَجَهَّم له : إذا استقبله بوجه كريه . اللسان (ج هـ م) .

(٨) أى نظرت إلى أضعفهم فسألته .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل ، م .

(١٠) المدرة : قطعة الطين اليابس . اللسان (م د ر) .

(١١) قال ابن الأثير : يريد أنهم ضربوه حتى أدموه ، فصار كالنصب المحمر بدم الذبائح . النهاية ٥/ ٦١.

(١٢) سقط من : الأصل ، م .

فَسَمِنْتُ حتى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي[1] وما وجَدْتُ على كَبِدى سَخْفةَ[2] جوعٍ . قال : فبَيْنا أهلُ مكةَ فى ليلةٍ قمراءَ إضْحِيانَ[3] ، وضَرَبَ اللَّهُ على أَسْمِختِهِ[4] أهلِ مكةَ ، فما يَطوفُ بالبيتِ غيرُ امرأتين ، فأَتتا علىَّ وهما تدْعُوانِ إسافًا ونائِلةَ . فقلْتُ : أَنْكِحا أحَدَهما الآخر . فما تَناهما ذلك . فقلْتُ : وهَنٌ[5] مِثْلُ الخَشَبةِ غيرَ أنّى لم أَكْنِ[6] . قال : فانطلَقَتا تُوَلْوِلان[7] وتَقولانِ : لو كانَ هـٰهنا أحدٌ مِن أنفارِنا ! قال : فاستقبلَهما رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، وهما هابطانِ مِن الجبلِ ، فقال : ما لكما ؟ فقالَتا : الصابئُ بينَ الكعبةِ وأستارِها . قالا : ما قال لكما ؟ قالتا : قال لنا كلمةً تَمْلَأُ الفمَ . قال : وجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ هو وصاحبُه حتى اسْتَلَمَ الحَجَرَ وطافَ بالبيتِ ، ثُم صلَّى . قالَ : فأتيتُه فكنتُ أولَ مَن حَيَّاه بتحيةِ أهلِ الإسلامِ ، فقال : « عليكَ[8] ورحمةُ اللَّهِ ، مِمَّن[9] أنت ؟ » قال : قلتُ : مِن غِفارٍ . قال : فأَهْوَى بيدِه فوضَعَها على جَبْهَتِه . قال :

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم ١٦/ ٢٨: قوله : حتى تكسرت عكن بطنى . يعنى انثنت لكثرة السمن وانطوت .

(٢) سخفة الجوع : رقته وضعفه وهزاله .

(٣) ليلة إضحيان : مضيئة .

(٤) فى الأصل ، م : « أشحمة » .
قال النووى : الأسمخة : جمع سماخ ، وهو الخرق الذى فى الأذن يفضى إلى الرأس . شرح مسلم ١٦/ ٢٩.

(٥) الهن والهنة : بتخفيف نونهما كناية عن كل شىء ، وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر . والمعنى : أفصح باسمه ، فيكون قد قال : أير - ذَكر - مثل الخشبة ، وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك . (الفتح الربانى) ٢٢/ ٣٦٨.

(٦) فى النسخ : « أركن » . والمثبت من المسند .

(٧) الولولة : الدعاء بالويل .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « السلام » .

(٩) فى النسخ : « من » . وهو لفظ صحيح مسلم . والمثبت من المسند .

فقلتُ في نَفسي : كَرِهَ أن انتَمَيْتُ إلى غِفارٍ ! قال : فأَرَدْتُ أن آخُذَ بيدِه فقذَفَني صاحبُه وكان أَعْلَمَ به مني . قال : متى كُنْتَ هـٰهنا ؟ قال : قلتُ : كنتُ هـٰهنا منذُ ثلاثين مِن بينِ ليلةٍ ويومٍ . قال : فمَنْ كانَ يُطْعِمُك ؟ قلْتُ : ما كانَ لى طعامٌ إلّا ماءُ زَمْزَمَ ، فسمِنْتُ حتى تكسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنى ، وما وجَدْتُ على كبدِى سَخْفةَ جوعٍ . قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّها مُباركةٌ ؛ إنَّها طَعَامُ طُعْمٍ » . قال : فقالَ أبو بكرٍ : ائذنْ لى يا رسولَ اللَّهِ [٢/٧٥ظ] في طَعامِه الليلةَ . قال : ففعَلَ . قال : فانطلَقَ النبيُّ ﷺ وانطلَقْتُ معَهما ، حتى فتَحَ أبو بكرٍ بابًا ، فجعَلَ يَقْبِضُ لنا مِن زَبيبِ الطائفِ . قال : فكانَ ذلك أولَ طعامٍ أكَلْتُه بها ، فلبِثْتُ ما لبِثْتُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى قد وُجِّهْتُ إلى أرْضٍ ذاتِ نَخْلٍ ، ولَا أَحسَبُها إلّا يَثْرِبَ ، فهل أنتَ مُبَلِّغٌ عنى قومَك ، لعل اللَّهَ يَنْفَعُهم بك ويَأْجُرُك فيهم ؟ » . قال : فانطَلَقْتُ حتى أَتَيْتُ أخى أُنَيْسًا . قال : فقال لى : ما صنَعْتَ ؟ قال : قلتُ : صنَعْتُ أنِّى أسلَمْتُ وصدَّقْتُ . قال : فما بى رغبةٌ عن دينِك ، فإنِّى قد أسلَمْتُ وصدَّقْتُ . ثُم أَتَيْنا أُمَّنا ، فقالَتْ : ما بى رغبةٌ عن دينِكما ، فإنِّى قد أسلَمتُ وصدَّقْتُ . فتحمَّلْنا حتّى أتَيْنا قومَنا غِفارًا . قال : فأسلَمَ بعضُهم قبلَ أن يَقْدَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، وكانَ يَؤُمُّهم خُفافُ ابنُ إيماءَ بنِ رَحَضَةَ[1] الغِفاريُّ ، وكانَ سَيِّدَهم يومَئذٍ ، وقالَ بَقِيَّتُهم : إذا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أسلَمْنا . فقدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأسلَمَ بقيَّتُهم . قال : وجاءَتْ أَسْلَمُ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إخوانُنا نُسْلِمُ على الذى أسلموا عليه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « غِفارٌ غَفَرَ اللَّهُ لها ، وأَسْلَمُ سَالَمَها اللَّهُ » . ورَوَاه مسلمٌ[2] ،

---

(١) في النسخ : « رخصة » . والمثبت من المسند . وانظر أسد الغابة ١/ ١٨٨. والإصابة ٢/ ٤٨٠.
(٢) مسلم (٢٤٧٣) .

عن هُذْبَةَ[١] بنِ خالدٍ، عن سُلَيمانَ بنِ المغيرةِ به نحوَه. وقد رَوَى[٢] قصةَ إسلامِه على وجهٍ آخَرَ، وفيه زياداتٌ غريبةٌ. فاللَّهُ أعلمُ. وتقدَّم ذِكْرُ إسلامِ سلمانَ الفارسيِّ فى كتابِ البِشاراتِ بمَبْعَثِه[٣]، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

---

(١) وقع فى صحيح مسلم: «هداب». قال الحافظ ابن حجر فى التقريب ٢/ ٣١٥: هدبة بن خالد بن الأسود القيسى، ويقال له: هَدَّاب.

(٢) أى مسلم، فى صحيحه (٢٤٧٤).

(٣) تقدم فى ٣/٤٥٥ - ٥٠١.

ذِكْرُ إِسْلامِ[1] ضِمادٍ

رَوَى مسلمٌ والبَيْهَقِيُّ[2] مِن حديثِ داودَ بنِ أبي هندٍ، عن عَمْرِو بنِ سعيدٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: قدِمَ ضِمادٌ مكةَ، وهو رجلٌ مِن أَزْدِ شَنُوءَةَ[3]، وكان يَرْقِى مِن هذه الرِّيحِ[4]، فسمِعَ سُفهاءَ مِن (5) سُفَهاءِ النّاسِ (5) يَقولون: إنَّ محمدًا مجنونٌ. فقال: أينَ هذا الرجلُ لعلَّ اللَّهَ أن يَشْفِيَه على يَدَىَّ؟ فلقِيتُ محمدًا، فقلْتُ: إنّى أَرْقِى مِن هذه الرِّياحِ، وإنَّ اللَّهَ يَشْفِى على يدىَّ مَن شاء، فهلُمَّ. فقال محمدٌ: «إنَّ الحمدَ للَّهِ نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه، مَن يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ لَه، ومَن يُضْلِلْ فلا هادىَ له، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَه». ثلاثَ مرّاتٍ. فقال: واللَّهِ لقد سمِعْتُ قولَ الكَهَنَةِ، وقولَ السَّحَرَةِ، وقولَ الشعراءِ، فما سمِعْتُ مثلَ هؤلاءِ الكلماتِ، فهَلُمَّ يَدَك أُبايِعْك على الإسلامِ. فبايَعَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له: «وعلى قومِكَ؟» فقال: وعلى قَوْمى. فبعَثَ النبىُّ ﷺ (6) سَرِيَّةً[7]، فمَرُّوا (6) بقومِ ضِمادٍ، فقالَ صاحِبُ الجَيْشِ للسَّرِيَّةِ: هل أَصَبْتُم مِن هؤلاءِ القومِ شيئًا؟ فقال رجلٌ مِنهم: أَصَبْتُ مِنهم

---

(1) سقط من: الأصل.

(2) مسلم (868)، والدلائل 2/223، 224.

(3) أزد شنوءة: قبيلة من اليمن..

(4) قال النووى: والمراد بالريح هنا الجنون ومس الجن. شرح مسلم 6/157.

(5 - 5) فى م، ص: «سفه مكة». وفى رواية مسلم: «أهل مكة».

(6 - 6) سقط من: ص.

(7) فى النسخ: «جيشا». والمثبت من مصدرى التخريج. والسرية: قطعة من الجيش، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة. الوسيط (س ر ى).

مِطْهَرةً[1]. فقال: رُدَّها عليهم؛ فإنَّهم قومُ ضِمادٍ. وفى روايةٍ[2]: فقال له ضِمادٌ: أَعِدْ عَلَىَّ كَلِماتِك هؤلاءِ؛ فلقد بلَغْنَ ناعُوسَ[3] البحرِ.

وقد ذكَرَ أبو نُعَيْمٍ فى «دلائلِ النبوةِ»[4] إسلامَ مَن أسلَمَ مِن الأعيانِ فَصْلًا طويلًا، واستَقْصَى ذلك استِقْصاءً حَسَنًا، رحِمَه اللَّه وأثابَه.

وقد سَرَدَ ابنُ إسحاقَ[5] أسماءَ مَن أسلَمَ قديمًا مِن الصحابةِ، رضِىَ اللَّهُ عنهم، قال: ثم أسلَمَ أبو عُبَيْدةَ، وأبو سَلَمَةَ، [٧٦/٢و] والأَرْقَمُ بنُ أبى الأَرْقَمِ، وعثمانُ بنُ مَظْعونٍ، وعُبَيْدةُ بنُ الحارثِ، وسعيدُ بنُ زيدٍ، وامرأتُه فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ، وأسماءُ بنتُ أبى بكرٍ، وعائشةُ بنتُ أبى بكرٍ، وهى صغيرةٌ، وقُدامةُ بنُ مَظْعونٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَظْعونٍ، وخَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ، وعُمَيرُ ابنُ أبى وَقَّاصٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ، ومسعودُ بنُ القارِىِّ[6]، وسَلِيطُ بنُ عَمْرٍو، وعَيَّاشُ بنُ أبى ربيعةَ، (7) وامرأتُه أسماءُ بنتُ سَلَمَةَ بنِ مُخَرِّبَةَ[8](7)

---

(١) مطهرة: الإناء الذى يتوضأ به ويتطهر به. اللسان (ط هـ ر).

(٢) انظر صحيح مسلم (٨٦٨).

(٣) فى الأصل: «قابوس». وفى م، ص: «قاموس». وهو لفظ إحدى روايات صحيح مسلم. والمعنى: وسط البحر. وانظر شرح مسلم ٦/ ١٥٧.

(٤) الدلائل لأبى نعيم (١٨٧، ١٩٠ - ١٩٢، ١٩٧ - ١٩٩).

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٤، ١٢٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢ - ٢٦٢.

(٦) كذا اسمه فى النسخ وسيرة ابن إسحاق. وقد ذكر نسبه ابن هشام فى السيرة، فنسبه إلى أبيه ربيعة، وقد اختلفوا فى اسم أبيه. انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٥، أسد الغابة ٥/ ١٦٤، الإصابة ٦/ ٩٧.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) فى النسخ، وسيرة ابن إسحاق: «مخرمة». والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر الإكمال ٧/ ٢١١، وأسد الغابة ٧/ ١١.

(١ التَّميميَّةُ(٢) ، وخُنَيْسُ بنُ حُذافةَ ، وعامرُ بنُ ربيعةَ ١) ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ ، وأبو أحمدَ بنُ جَحْشٍ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، وامرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وحَاطبُ بنُ الحارثِ ، وامرأتُه (٣ فاطمةُ بنتُ المجَلَّلِ ، وأخوه حَطَّابُ بنُ الحارثِ ، وامرأتُه ٣) فُكَيْهةُ بنتُ يَسارٍ ، ومَعْمَرُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرٍ الجُمَحِىُّ ، والسائِبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعونٍ ، والمُطَّلِبُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ(٤) ، وامرأتُه رَمْلَةُ بنتُ أبى عَوْفِ بنِ صُبَيْرَةَ(٥) بنِ سُعَيدِ بنِ (٦ سعدِ بنِ ٦) سَهْمٍ ، والنحَّامُ ، واسمُه نُعَيمُ(٧) بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أَسِيدٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَولى أبى بكرٍ ، وخالدُ ابنُ سعيدٍ ، وأُمَيْنَةُ(٨) ابنةُ خَلَفِ بنِ أَسْعدَ(٩) بنِ عامرِ بنِ بَياضةَ مِن(١٠) خُزاعةَ ، وحَاطِبُ بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسٍ ، وأبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ ربيعةَ ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ (١١ بنِ عبدِ مَنافِ ١١) بنِ عَرِينِ(١٢) بنِ ثَعْلَبَةَ التَّميمىُّ ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى النسخ: «التيمى». وفى سيرة ابن إسحاق: «التميمى». والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر أسد الغابة ٧/ ١١.

(٣ - ٣) سقط من: النسخ. وفى سيرة ابن إسحاق: «أسماء بنت المجلل أخت بنى عامر بن لؤى، والخطاب بن حارث، وامرأته» والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٤) فى النسخ: «مناف». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. وانظر أسد الغابة ٥/ ١٨٩.

(٥) فى م: «صبيرة»، وفى ص: «صبرة». وفى سيرة ابن إسحاق: «صبير». والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام. وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٤.

(٦ - ٦) سقط من النسخ وسيرة ابن إسحاق. والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨.

(٧) فى الأصل: «مغنم».

(٨) كذا فى النسخ، ومصدرى التخريج. واختلف فى اسمها، فقيل: أمينة. ولعله الصواب. وقيل: أميمة. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٩ حاشية (٥). وأسد الغابة ٧/ ٢٦، والإصابة ٧/ ٥٠٩، ٥٢٧.

(٩) فى النسخ: «سعد». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر أسد الغابة ٧/ ٢٦. والإصابة ٧/ ٥٠٩.

(١٠) فى الأصل، م: «بن».

(١١ - ١١) سقط من: النسخ. والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٣٢.

(١٢) فى الأصل: «عوين». وفى ص: «عويمر». وانظر أسد الغابة ٥/ ٤٣٢.

حَليفُ بنى عَدِىٍّ ، وخالدُ بنُ البُكَيْرِ ، وعامرُ بنُ البُكَيْرِ ، وعاقلُ بنُ البُكَيْرِ ، وإياسُ بنُ البُكَيْرِ بنِ عبدِ ياليلَ بنِ ناشبِ بنِ غِيَرَةَ بنِ[1] سَعْدِ بنِ لَيْثٍ ، وكان اسمُ عاقلٍ غافلًا ، فسمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عاقِلًا ، وهم حُلفَاءُ بنى عَدِىِّ بنِ كَعْبٍ ، وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ ، وصُهَيْبُ بنُ سِنانٍ ، ثُم دخَلَ الناسُ أَرسالًا[2] مِن الرجالِ والنساءِ حتى فَشَا أمرُ الإسلامِ بمكةَ وتُحُدِّثَ به .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثُم أَمَرَ اللَّهُ رَسولَه ﷺ ، بعدَ ثلاثِ سِنِين مِن البِعْثةِ بأنْ يَصْدَعَ بما أُمِرَ ، وأن يَصْبِرَ على أَذى المشركِينَ . قال : وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا صلَّوْا ذهبوا فى الشِّعابِ ، واسْتَخْفَوا بصلاتِهم مِن قومِهم ، فبينَا سَعدُ بنُ أبى وَقَّاصٍ فى نَفَرٍ يُصَلُّون بشِعَابِ مكةَ إذ ظَهَرَ عليهم بعضُ المشركِينَ ، فناكَروهم وعابوا عليهم ما يَصْنَعونَ حتى قاتلوهم ، فضرَبَ سعدٌ رجلًا مِن المشركينَ بلَحْيِ[4] جَمَلٍ فشجَّه ، فكان أولَ دمٍ أُهَرِيقَ فى الإسلامِ . وروَى الأُمَوِىُّ فى « مغازيه » مِن طريقِ الوقَّاصىِّ عن الزُّهْرِىِّ ، عن عامرِ بنِ سَعْدٍ ، عن أبيه . فذكَرَ القصةَ بطولِها ، وفيه أَنَّ المشجوجَ هو عبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ ، لَعَنَه اللَّهُ .

---

(١) فى النسخ : « من بنى » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر أسد الغابة ١/ ١٨١.

(٢) أرسالا : جماعات .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٤) اللحى : أحد اللحيَيْن اللَّذَيْن هما حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لحى . قال ابن سيده : يكون للإنسان والدابة . انظر اللسان (ل ح ى) .

بـابُ

أمرِ اللهِ رسولَه ﷺ[1]، بـإبلاغِ الرسالةِ إلى الخاصِّ والعامِّ، وأمْرِه له بالصَّبْرِ، والاحتمالِ، والإعراضِ عن الجاهِلين المُعانِديـنَ المُكَذّبين بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليهم، وإرسالِ الرسولِ الأعظمِ إليهم، وذِكْرِ ما لَقِيَ مِن الأذيَّةِ مِنهم هو وأصحابُه، رَضِيَ اللهُ عنهم

قال اللَّهُ تعالى[2]: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء: ٢١٤- ٢٢٠]. وقال تعالى[3]: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وقال تعالى[4]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ

(١ - ١) فى م: «الأمر».

(٢) التفسير ١٧٦/٦ - ١٨٢.

(٣) التفسير ٢١٦/٧.

(٤) التفسير ٢٦٩/٦ - ٢٧١.

عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]. أى؛ إنَّ الذى فرَض عليك وأوجَبَ عليك تَبْليغَ[1] القرآنِ لرادُّك إلى الدارِ الآخرةِ وهى المَعادُ، فيَسْأَلُك عن ذلك، كما قالَ [٧٦/٢ظ] تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]. وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] والآياتُ والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جِدًّا، وقد تَقَصَّيْنا الكَلامَ على ذلك فى كتابِنا «التفسيرِ»، وبَسَطْنا مِن القولِ فى ذلك عندَ قولِه تعالى فى سورةِ «الشعراءِ»: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾. وأورَدْنا أحاديثَ جَمَّةً فى ذلك، [2]فمِن ذلك[2]:

قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيْرٍ، عن الأَعمشِ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتى النبىُّ ﷺ الصَّفَا فصَعِدَ عليه ثُم نادى: «يا صَبَاحَاه»[4]. فاجتَمَعَ الناسُ إليه بينَ رجلٍ يَجِىءُ إليه وبينَ رجلٍ يَبْعَثُ رسولَه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ، يا بَنِى فِهْرٍ، [5]يا بَنِى لُؤَىٍّ[6]، [5] أَرَأَيْتُم لَو أَخْبَرْتُكم أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هذا الجبلِ تُرِيدُ أن تُغِيرَ عليْكم، صَدَّقْتُمونى؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «فإنِّى نَذِيرٌ لكم بين يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ».

---

(١) فى النسخ: «بتبليغ». ولعل ما أثبتناه الصواب. انظر التفسير ٦/ ٢٦٩.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) المسند ١/ ٣٠٧. (إسناده صحيح).

(٤) قال ابن الأثير: هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه. يقول: قد غشِيَنا العدُوُّ. النهاية ٣/ ٦، ٧.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) فى الأصل، م: «كعب». وهو لفظ الرواية الآتية. والمثبت من المسند.

فقال أبو لَهَبٍ – لعَنه اللَّهُ – : تبًّا لك سائرَ اليومِ ، أمَا دعَوْتَنا إلَّا لهذا ؟ وأنزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] . وأخرَجاه[(١)] مِن حديثِ الأَعْمَشِ [(٢)] به نحوَه[(٢)] .

وقال أحمدُ[(٣)] : حدَّثَنا مُعاويةُ بنُ عمرٍو ، حدَّثَنا زائدةُ ، حدَّثَنا عبدُ الملِكِ ابنُ عُمَيْرٍ ، عن موسَى بنِ طَلْحةَ ، عن أبى هُرَيْرةَ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فعَمَّ وخَصَّ ، فقال : « يا معشرَ قريشٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ ، [(٤)] يا معشرَ بَنِى كَعْبٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ ، يا معشرَ بَنِى هَاشِمٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ ، يا معشرَ بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكم مِن النَّارِ[(٤)] ، يا فاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِن النَّارِ ، فإنِّى واللَّهِ لَا أَمْلِكُ لكم مِن اللَّهِ شَيْئًا ، إلَّا أنَّ لكُم رَحِمًا سَأَبُلُّها[(٥)] بِبِلالِها[(٦)] » . ورواه مُسْلِمٌ[(٧)] مِن حديثِ عبدِ الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ ، وأخرَجاه فى « الصحيحَيْنِ »[(٨)] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، وله طُرُقٌ أُخَرُ ، عن أبى هُرَيْرَةَ فى « مُسْنَدِ أَحْمَدَ » وغيرِه[(٩)] .

---

(١) البخارى (٤٧٧٠، ٤٨٠١، ٤٩٧١، ٤٩٧٢)، ومسلم (٢٠٨) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المسند ٢/ ٣٦٠.

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) سأبلها : أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئا . النهاية ١/ ١٥٣.

(٦) البلال : جمع بَلَل . وقيل : هو كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره . المصدر السابق ١/ ١٥٣.

(٧) مسلم (٢٠٤) .

(٨) البخارى (٢٧٥٣، ٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) .

(٩) المسند ٢/ ٣٣٣، ٣٦١، ٥١٩، والبخارى (٣٥٢٧)، ومسلم (٢٠٦) .

وقال أحمدُ[1] أيضًا: حدَّثَنا وَكِيعٌ، ثنا[2] هشامٌ، عن أبيه، عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها، قالت: لمَّا نزَلَت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا فاطِمَةُ بِنْتَ محمدٍ، يا صَفِيةُ بنتَ عبدِ المُطَّلِبِ، يا بنى عبدِ المُطَّلِبِ، لا أَمْلِكُ لكم مِن اللَّهِ شيئًا، سَلونى مِن مالى ما شِئْتُم».

ورَواه مُسْلِمٌ[3] أيضًا.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ فى «الدَّلائِلِ»[4]: أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ[5] الحافظُ، حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، قال: فحدَّثَنى مَن سمِعَ عبدَ اللَّهِ ابنَ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ - واستكْتَمَنى اسمَه - عن ابنِ عباسٍ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، قال: لمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَرَفْتُ أنِّى إن بادَأْتُ بها قومى رَأيتُ منهم ما أَكْرَهُ فصَمَتُّ، فجاءَنى جِبريلُ، عليه السَّلامُ، فقال: يا محمدُ، إن لم تَفْعَلْ ما أَمَرَكَ به رَبُّكَ عَذَّبَكَ رَبُّكَ[6]». قال علىٌّ[7]: فدعانى، فقالَ: «يا عَلِىُّ، إنَّ اللَّهَ قد أَمَرَنى أن أُنْذِرَ عشيرتى الأَقْرَبِينَ، فاصْنَعْ لنا يا عَلِىُّ شَاةً على صاعٍ مِن

---

(١) المسند ٦/ ١٣٦، ١٨٧.

(٢) فى الأصل، م: «بن». وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٣٢.

(٣) مسلم (٢٠٥).

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/١٧٨ - ١٨٠.

(٥) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٥٣.

(٦) فى الأصل، م: «بالنار».

(٧) سقط من: م.

طعامٍ ، وأَعِدَّ لنا عُسَّ[1] لبَنٍ ، ثُم اجمَعْ لى بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ » . ففعَلْتُ [٢/٧٧و] فاجتَمَعوا له ، وهم يومئذٍ أربعون رجلًا ، يَزيدونَ رجلًا أو يَنْقُصونَ ، فيهم أعمامُه ؛ أبو طالبٍ ، وحمزةُ ، والعباسُ ، وأبو لَهَبٍ الكافرُ الخَبيثُ ، فَقَدَّمْتُ إليهم تلك الجَفْنَةَ ، فأخَذَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، منها حِذْيةً[2] ، فشقَّها بأسْنانِه ثُم رمَى بها فى نواحيها ، وقال : « كُلوا بسمِ اللَّهِ » . فأَكَلَ القومُ حتى نَهِلوا[3] عنه ما يُرَى إلا آثارُ أصابِعِهم ، واللَّهِ إنْ كان الرجلُ لَيَأْكُلُ مِثْلَها . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهم يا علىُّ » . فجِئتُ بذلك القَعْبِ[4] ، فشرِبوا منه حتى نَهِلُوا[5] جميعًا ، وايْمُ اللَّهِ إن كانَ الرجلُ لَيَشْرَبُ مِثْلَه ، فلمَّا أرادَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُكَلِّمَهم بدَرَه أبو لَهَبٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، فقال : لَهَدَّ[6] ما سَحَرَكُمْ صاحبُكم . فتفرَّقوا ، ولم يُكَلِّمْهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا كان الغدُ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « [7]يا علىُّ[7] ، عُدْ لنا بمِثْلِ الذى كنتَ صَنَعْتَ لنا بالأمسِ مِن الطعامِ والشَّرابِ ؛ فَإِنَّ هَذَا الرَّجلَ قد بَدَرَنى إلى مَا سَمِعْتَ قبلَ أن أُكَلِّمَ القومَ » . ففعلْتُ ثُم جمعتُهم له ، فصنعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كما صنَعَ بالأمسِ ، فأكَلوا

---

(١) العس : القدح العظيم .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع طولا .

(٣) نهلوا : من النهل . قال صاحب التاج : والنهل - محركة - من الطعام ما أُكل . وقد ورد فى كلام بعضهم : أكل من الطعام حتى نهل . قال شيخنا : والظاهر أنه من المجاز ، وعلاقته لزوم الشرب للأكل غالبًا . تاج العروس (ن هـ ل) .

(٤) القعب : قدح ضخم غليظ .

(٥) نهل الشارب : شرب حتى رَوِى .

(٦) لهد : كلمة يتعجب بها . النهاية ٥/٢٥٠ .

(٧ - ٧) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

حتى نَهِلوا عنه ، وايمُ اللَّهِ ، إن كانَ الرجلُ لَيَأْكُلُ مِثْلَها ، ثُم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اسْقِهم ، يا عليُّ » . فجِئْتُ بذلك القَعْبِ فشَرِبوا منه حتى نَهِلوا جميعًا ، وايمُ اللَّهِ إن كانَ الرجلُ منهم لَيَشْرَبُ مِثْلَه ، فلمّا أرادَ رسولُ اللَّهِ أن يُكَلِّمَهم ، بدرَه أبو لَهَبٍ ، لعَنه اللَّهُ ، إلى الكَلامِ ، فقالَ : لَهَدَّ ما سَحَرَكم صاحبُكم ! فتَفَرَّقوا ولم يُكَلِّمْهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا كانَ الغدُ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عليُّ ، عُدْ لنا بمِثْلِ الذى كنْتَ صَنَعْتَ بالأمسِ مِن الطعامِ والشرابِ ، فإنَّ هذا الرَّجُلَ قد بدَرَنى إلى ما سَمِعْتَ قبلَ أن أُكَلِّمَ القومَ » . ففعَلْتُ ثُم جَمَعْتُهم له ، فصنَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ كما صنَعَ بالأمسِ ، فأَكَلوا حتى نَهِلوا عنه ، ثُم سقَيْتُهم مِن ذلك القَعْبِ حتى نَهِلوا عنه[(1)] ، وايمُ اللَّهِ ، إن كانَ الرجلُ منهم[(2)] لَيَأْكُلُ مِثْلَها ويَشْرَبُ مِثْلَها ، ثُم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، إنِّى وَاللَّهِ ما أَعْلَمُ شَابًّا مِن العَرَبِ جاءَ قومَه بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكم به ؛ إنِّى قد جِئْتُكم بِأَمْرِ الدنيا وَالآخِرَةِ » . هكذا رَواه البَيْهَقِيُّ مِن طريقِ يُونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن شَيْخٍ أَبْهَمَ اسمَه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ به .

وقد رَواه أبو جعفرِ بنُ جَرِيرٍ[(3)] ، عن محمدِ بنِ حُمَيْدٍ الرازىِّ ، عن سَلَمَةَ بنِ الفَضْلِ الأَبْرَشِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الغَفَّارِ[(4)] أبى مَرْيَمَ[(4)] بنِ القاسمِ ، عن المِنْهالِ بنِ عَمرٍو ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن علىٍّ ، فذكَرَ مِثْلَه ، وزادَ بعدَ قولِه : « وإنِّى قد جِئْتُكم بخيرِ الدنيا والآخِرَةِ » : « وقد

---

(1) سقط من : م .
(2) سقط من : الأصل ، م .
(3) تاريخ الطبرى ٢/٣١٩ - ٣٢١.
(٤ - ٤) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٦٩.

أَمَرَنى اللَّهُ أن أَدْعُوَكم إليه، فَأَيُّكم يُؤازِرُنِى على هذا الأَمْرِ على أَن يَكُونَ أَخِى». [(1)] وكذا وكذا [(1)]. قال: فأحْجَمَ القومُ عنها جميعًا، وقلتُ - [(2)] ولإنى لأَحْدَثُهم سِنًّا [(2)] وأَرْمَصُهم [(3)] عَيْنًا، وأعظَمُهم بَطْنًا، وأَحْمَشُهُم [(4)] ساقًا -: أنا يا نبيَّ اللَّهِ، أكونُ وزيرَك عليه. فأخَذَ برقبتى، فقال: «إنَّ هَذَا أَخِى [(2)] وَكَذَا وكذا [(2)] فَاسْمَعُوا له وَأَطِيعُوا». قال: فقامَ القومُ يَضْحَكون ويَقولون لأبى طالبٍ: قد أمَرَك أن تَسْمَعَ لابنِك وتُطيعَ! تفرَّدَ به عبدُ الغفارِ بنُ القاسمِ أبو مَرْيَمَ، وهو كذّابٌ شيعيٌّ، اتَّهَمَه عليُّ بنُ المدينيِّ وغيرُه بوَضْعِ الحديثِ، وضعَّفَه الباقون [(5)]. ولكن رَوَى ابنُ [(6)] أبى حَاتمٍ فى «تفسيرِه» [(7)] عن أبيه، عن الحُسَيْنِ بنِ عيسى بنِ مَيسَرَةَ [٧٧/٢ظ] الحارثيِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ القُدُّوسِ، عن الأَعْمَشِ، عن المِنْهَالِ بنِ عَمرٍو، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ قال: قال عليٌّ: لمَّا نزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اصْنَعْ لِى رِجْلَ شَاةٍ بِصاعٍ مِن طعامٍ، وإِنَاءً لَبَنًا، وَادْعُ لِى بَنِى هَاشِمٍ». فدعَوْتُهم، وإنَّهم يومَئذٍ لأَربعونَ غيرَ رجلٍ، أو أربعون ورجلٌ. فذَكَرَ القِصَّةَ كنَحْوِ ما تقدَّمَ، إلى أن قالَ: وبَدَرَهم [(8)] رسولُ اللَّهِ ﷺ الكلامَ،

(١ - ١) كذا فى النسخ. وفى تاريخ الطبرى: «ووصيى وخليفتى فيكم».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) فى ص: «أرقصهم». والرَّمَص: وسخ أبيض يجتمع فى جانب العين.

(٤) فى النسخ: «أخمشهم». والمثبت من التاريخ. وأحمش الساقين: دقيقهما. تاج العروس (ح م ش).

(٥) انظر تفصيل ما قيل فيه، فى ميزان الاعتدال ٢/ ٦٤٠، ٦٤١.

(٦) سقط من: ص.

(٧) عزاه المصنف فى تفسيره ٦/ ١٨٠ إلى ابن أبى حاتم.

(٨) فى الأصل: «بدأهم».

فقال : « أيُّكم يَقْضِى عنِّى دَيْنِى ويَكُونُ خَلِيفَتِى فِى أَهْلِى ؟ » ، قال : فسكَتوا وسكَتَ العباسُ خَشْيةَ أن يُحيطَ ذلك بمالِه ، قال : وسكَتُّ أَنا لسِنِّ العباسِ ، ثُم قالَها مَرَّةً أُخرى ، فسكَتَ العباسُ ، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أنت ؟ » قال : وإنِّى يومَئذٍ لأَسْوَأُهم هَيْئةً ، وإنِّى لأَعْمَشُ العينيْن ، ضَخْمُ البَطْنِ ، حَمْشُ[1] الساقيْنِ . وهذه الطريقُ فيها شاهدٌ لِما تقدَّمَ ، إلا أنَّه لم يَذْكُرِ ابنَ عباسٍ فيها . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ [2]فى « مسندِه »[2] مِن حديثِ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأَسَدىِّ ، وربيعةَ بنِ ناجذٍ[3] ، عن علىٍّ نحوَ ما تقدَّمَ ، أو كالشاهدِ له . واللَّهُ أعلمُ .

ومعنى قولِه فى هذا الحديثِ : « مَنْ يَقْضِى عنِّى دَيْنى ويَكونُ خَليفتى فى أهلى » . يَعْنى : إذا مِتُّ ، وكأنَّه ﷺ خَشِىَ إذا قامَ بإبلاغِ الرِّسالةِ إلى مُشْرِكى العرَبِ أن يَقْتُلوه ، فاسْتَوْثَقَ مَن يَقومُ بعدَه بما يُصْلِحُ أهْلَه ، ويَقْضِى عنه ، وقد أَمَّنَه اللَّهُ مِن ذلك فى قولِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ الآية [المائدة : ٦٧] .

والمقصودُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَمَرَّ يَدْعو إلى اللَّهِ تعالى لَيْلًا ونَهارًا ، وسِرًّا

---

(١) فى النسخ : « خمش » . والمثبت من التفسير .

(٢ - ٢) سقط من : ص . والحديث فى المسند ١/ ١١١ . (إسناده حسن) .

(٣) فى الأصل : « ماجد » . وفى ص : « ناخذ » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٤٥ . والحديث فى المسند ١/ ١٥٩ . (إسناده صحيح) .

وجِهارًا، لا يَصْرِفُه عن ذلك صارِفٌ ولا يَرُدُّه عنه رَادٌّ، ولا يَصُدُّه عنه صادٌّ، يَتَّبِعُ الناسَ فى أندِيتِهم ومَجامِعِهم ومَحافِلِهم، وفى المواسِمِ، ومواقفِ الحجِّ؛ يَدْعو مَن لقِيَه؛ مِن حُرٍّ وعَبْدٍ، وضعيفٍ وقوىٍّ، وغنىٍّ وفقيرٍ، جميعُ الخلقِ فى ذلك عندَه شَرَعٌ[1] سواءٌ، وتسلَّط عليه وعلى مَن اتَّبَعَه مِن آحادِ الناسِ - مِن ضعفائِهم - الأشِدّاءُ الأقوياءُ مِن مُشْرِكى قريشٍ بالأذِيَّةِ القَوْلِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ، وكانَ مِن أشدِّ الناسِ عليه عمُّه أبو لَهَبٍ - واسمُه عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ - وامرأَتُه أمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى[2] بنتُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ أختُ أبى سُفيانَ، وخالَفَه فى ذلك عمُّه أبو طَالِبِ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أحبَّ خَلْقِ اللَّهِ إليه طَبْعًا[3]، فكان يَحْنُو عليه ويُحْسِنُ إليه، ويُدافِعُ عنه [4]ويُحامى[4]، ويُخالِفُ قومَه فى ذلك، مع أنَّه على دينِهم وعلى خُلَّتِهم[5]، إلا أنَّ اللَّهَ تعالى قد امتَحَنَ قلبَه بحبِّه حُبًّا طَبْعيًّا لا شَرْعيًّا، فكان استمرارُه على دينِ قومِه مِن حِكمةِ اللَّهِ تعالى، ومما صنَعَه لرسولِه مِن الحِمايةِ، إذ لو كانَ أسلَمَ أبو طالبٍ لَمَا كانَ له عندَ مُشْرِكى قريشٍ وَجاهَةٌ ولا كلمةٌ، ولا كانوا يَهابونَه ويَحْتَرِمونه، ولَاجْتَرَءُوا عليه، ولَمَدُّوا أيْدِيَهم وأَلْسِنَتَهم بالسُّوءِ إليه، وربُّك يَخْلُقُ ما يَشاءُ ويَختارُ، وقد قَسَّمَ خَلْقَه أنواعًا وأجناسًا، فهذان العَمَّانِ كافرانِ؛ أبو طالبٍ وأبو لَهَبٍ، ولكنَّ هذا يَكونُ فى القيامةِ فى ضَحْضاحٍ مِن نارٍ، وذلك فى

---

(١) شرع: متساوون، لا فضل لأحدهم على الآخر. اللسان (ش ر ع).

(٢) سقط من: الأصل. انظر التفسير ٨/ ٥٣٥.

(٣) الطبع: الخلق.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى ص: «ملتهم». والخلة: الصداقة والمحبة التى تخللت القلب فصارت خلاله، أى فى باطنه. الوسيط (خ ل ل).

الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النارِ ، وأَنْزَلَ اللَّهُ فيه سورةً في كِتابِه تُتْلَى على المنابرِ ، وتُقْرَأُ في المواعظِ والخُطَبِ ، تَتَضَمَّنُ أَنَّه سَيَصْلَى [٧٨/٢و] نارًا ذاتَ لَهَبٍ ، وامرأَتُه حمالةَ الحَطَبِ .

قال الإمامُ أحمدُ[١] : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ أبي العباسِ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي الزِّنادِ ، عن أبيه ، قال : أخبَرَني[٢] رجلٌ يُقالُ له : ربيعةُ بنُ عِبَادٍ . مِن بني الدِّيلِ - وكانَ جاهليًّا فأسْلَمَ - قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ في الجاهليةِ في سُوقِ ذِي المجازِ[٣] ، وهو يَقولُ : « يا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . تُفْلِحُوا » . والناسُ مُجْتَمِعونَ عليه ، ووراءَه رجلٌ وضيءُ الوَجْهِ ، أَحْوَلُ ، ذو غَدِيرَتَيْنِ[٤] يَقولُ : إنَّه صَابِئٌ كاذبٌ . يَتْبَعُه حيث ذهَبَ ، فسأَلْتُ عنه فقالوا : هذا عَمُّهُ أبو لَهَبٍ . ثُم رَواه هو والبَيْهَقِيُّ[٥] مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الزِّنادِ بنحوِه .

وقال البَيْهَقِيُّ[٦] أيضًا : حدَّثَنا أبو طاهرٍ الفقيهُ[٧] ، حدَّثَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحُسينِ[٨] القَطَّانُ ، حدَّثَنا أبو الأزهرِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ،

---

(١) المسند ٤/ ٣٤١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٢: رواه أحمد وابنه ،.. وأحد أسانيد عبد الله ابن أحمد ثقات الرجال .

(٢) في الأصل ، م : « أخبر » .

(٣) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة على ناحية كَبْكَب عن يمين الإمام ، على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام . معجم البلدان ٤/ ٤١٦.

(٤) الغديرتان : الذؤابتان اللتان تسقطان على الصدر . اللسان (غ د ر) .

(٥) المسند ٣/ ٤٩٢. والدلائل للبيهقي ٢/ ١٨٦.

(٦) الدلائل للبيهقي ٢/ ١٨٥.

(٧) سقط من : الأصل . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

(٨) في الأصل ، م : « الحسن » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣١٨.

حدَّثنا محمدُ بنُ عَمْرٍو[1] ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن ربيعةَ الدِّيلِيِّ[2] ، قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بذى المَجَازِ يَتْبَعُ الناسَ فى منازِلِهم يَدْعوهم إلى اللَّهِ ، ووراءَه رجلٌ أحولُ تَقِدُ[3] وَجْنَتاه[4] ، وهو يَقولُ : أَيُّها الناسُ ، (5 لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينِكم ودينِ آبائِكم . قلتُ : مَن هذا ؟ قيلَ : هذا أبو لَهَبٍ .

ثُم رَواه[6] مِن طريقِ شُعْبَةَ ، عن الأَشْعَثِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن رجلٍ مِن كِنانةَ ، قال : رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذى المَجَازِ ، وهو يَقولُ : « يَا أَيُّها النَّاسُ 5) ، قولُوا : لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ . تُفْلِحُوا » . وإذا رَجُلٌ خلفَه يُسْفِى[7] عليه التُّرابَ ، وإذا هو أبو جَهْلٍ ، وإذا هو يَقولُ : يا أَيُّها الناسُ ، لا يُغَرَّنَّكم هذا عن دينِكم ، فإنَّما يُرِيدُ أن تَتْرُكوا عِبادةَ اللاتِ والعُزَّى . كذا قال : أبو جَهْلٍ . والظاهرُ أنَّه أبو لَهَبٍ ، وسنَذْكُرُ بقيَّةَ تَرجَمتِه عندَ ذِكْرِ وَفَاتِه ، (8 وذلك بعدَ وَقْعةِ بَدْرٍ 8) ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

وأما أبو طالبٍ فكانَ فى غايةِ الشَّفَقةِ والحُنُوِّ الطبيعىِّ ، كما سَيَظْهَرُ مِن صنائعِه ، وسَجاياه ، واعتِمادِه فيما يُحامِى به عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، رضِىَ اللَّهُ عنهم .

---

(١) فى الأصل ، م : « عمر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢١٢، ٥٠٧ .
(٢) فى الدلائل : « الدؤلى » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٢١٣ .
(٣) وقد الشىء : تلألأ .
(٤) الوجنة : ما ارتفع من الخدين .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل .
(٦) أى البيهقى ، الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٦ .
(٧) أسفى : إذا نقل السَّفيا ، وهو التراب . اللسان (س ف و) .
(٨ - ٨) سقط من : ص .

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن طَلْحةَ بنِ يَحْيى [1]بنِ طلحةَ بنِ[1] عُبَيْدِ[2] اللَّهِ، عن[3] موسَى بنِ طلحةَ، أخبرَنى عَقِيلُ بنُ أبى طالبٍ، قال: جاءَتْ قريشٌ إلى أبى طالبٍ فقالوا: إنَّ ابنَ أخيك هذا قد آذانا فى نادِينا ومسجدِنا؛ فانْهَه عنا. فقال: يا عَقِيلُ، انطَلِقْ فأْتِنى بمحمدٍ. فانطلَقْتُ إليه فاسْتَخْرَجْتُه مِن كِبْسٍ[4] - أو قال: حِفشٍ[5] - يَقولُ: بيتٍ صغيرٍ. فجاءَ به فى[6] الظهيرةِ فى شِدةِ الحرِّ، فلمّا أتاهم، قال: إنَّ بنى عمِّك هؤلاء زعَموا أنَّك تُؤْذيهم فى ناديهِم ومسجدِهم، فانْتَهِ عن أذاهم. فَحَلَّق رسولُ اللَّهِ ﷺ بيصرِه إلى السماءِ، فقال: «تَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟». قالوا: نَعَمْ! قال: «فما أَنَا بِأَقْدَرَ [على[7]] أن أَدَعَ ذلك مِنكم على أن [8]تستَشْعِلوا منها شُعْلةً[8]». فقال أبو طالبٍ: واللَّهِ ما كَذَبَ ابنُ أخى قطُّ، فارجِعوا. رَواه البخاريُّ فى «التاريخِ»[9]، عن محمدِ بنِ العَلاءِ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ. ورَواه البَيْهَقِيُّ[10]، عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ عنه به، وهذا لفظُه.

(1 - 1) فى النسخ: «عن». وفى الدلائل: «بن». والمثبت من التاريخ الكبير للبخارى ٧/ ٥٠، ٥١. وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤١.

(٢) فى الأصل، م: «عبد». وكذا فى الدلائل. وانظر المصدرين السابقين.

(٣) فى الأصل، م: «بن». وانظر المصدرين السابقين.

(٤) فى الأصل، م: «كنس». وفى ص: «لبس». والمثبت من الدلائل. قال ابن الأثير، بعد أن ساق الحديث: والكبس بالكسر بيت صغير. ويروى بالنون من الكِناس، وهو بيت الظبى. النهاية ٤/ ١٤٣.

(٥) فى الأصل، م: «خنس». وفى ص: «حنش». والمثبت من الدلائل. والحفش: البيت الصغير.

(٦) فى الأصل: «إلى».

(٧) زيادة من الدلائل.

(٨ - ٨) فى الأصل، م: «تشتعلوا منه بشعلة». وفى ص: «يستشغلوا منه بشغلة». والمثبت من الدلائل.

(٩) التاريخ الكبير ٧/ ٥٠، ٥١.

(١٠) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٦. وانظر السلسلة الصحيحة (٩٢).

ثُم رَوَى البَيْهَقِيُّ[1] مِن طريقِ يُونُسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى يَعقوبُ بنُ عتبةَ[2] بنِ المُغيرةِ بنِ الأَخْنَسِ ، أنَّه حُدِّثَ أنَّ قريشًا حينَ قالَتْ لأبى طالبٍ هذه المقالةَ بَعَثَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له : يا بنَ أخى ، إنَّ قومَكَ قد جاءونى ، فقالوا كذا وكذا ، فَأَبْقِ علىَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلْنِى مِن الأَمْرِ ما لا أُطيقُ أنا ولا أنت ، فاكْفُفْ عن قومِك ما يَكْرَهونَ مِن قولِك . فظنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قد بَدَا لعَمِّه فيه ، وأنَّه خاذِلُه ومُسْلِمُه ، وضعُفَ عن القيامِ معه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عَمِّ ، لو وُضِعَتِ الشمسُ فِى يمينِى ، [٢/٧٨ظ] والقمرُ فى يسارى ، ما تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حتى يُظْهِرَه اللَّهُ أو أَهلِكَ فى طَلَبِهِ » . ثُم اسْتَعْبَرَ[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ فبَكَى ، فلمّا وَلَّى قال له حينَ رأَى ما بلَغَ الأمرُ برسولِ اللَّهِ ﷺ : يا بنَ أخى . فأَقْبَلَ عليه ، فقال : امضِ على أمْرِك وافعلْ ما أحبَبْتَ ، فواللَّهِ لا أُسْلِمُك لشىءٍ أبدًا . قال ابنُ إسحاقَ : ثُم قال أبو طالبٍ فى ذلك :

واللَّهِ لنْ يَصِلُوا إليكَ بِجَمْعِهِم ... حتى أُوَسَّدَ فى الترابِ دَفِينَا

فامضِى لأمْرِك ما عليكَ غَضاضَةٌ ... أَبشِرْ وقَرَّ بذاكَ منكَ عُيونَا

ودَعَوْتَنى وعلِمْتُ[4] أنَّكَ ناصحى ... فلقدْ صدقْتَ وكنتَ قِدْمُ[5] أمينا

وعرَضْتَ دِينًا قد عرَفْتُ بأنَّه ... مِن خيرِ أديانِ البرِيَّةِ دينَا

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٧. ضعيف (السلسلة الضعيفة ٩٠٩).

(٢) فى الدلائل : « عقبة » . وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٣٥٠.

(٣) استعبر فلان : جرت دمعته .

(٤) فى الدلائل : « زعمت » . وهما بمعنًى . وانظر الوسيط (ز ع م) .

(٥) فى الدلائل : « قبل » . والقدم : من أسماء الزمان . يقال : كان كذا قدما . أى فى الزمان القديم . الوسيط (ق د م) .

لـولا الملامـةُ أو حِـذارِىَ سُـبَّـةً لوجَدتَنى سَمْحًا بذاك مُبِينَا

ثُم قال البَيْهَقِىُّ[(١)] : وذكَرَ ابنُ إسحاقَ[(٢)] لأبى طالبٍ فى ذلك أشعارًا ، وفى كلِّ ذلك دَلالةٌ على أنَّ اللَّهَ تعالى عصَمَه بعَمِّه مع خلافِه إيَّاه فى دينِه ، وقد كان يَعْصِمُه - حيثُ لا يَكونُ عَمُّه - بما شاءَ ، لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه .

وقال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[(٣)] : حدَّثَنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنى رجلٌ مِن أهلِ مِصْرَ قديمًا منذُ بِضْعٍ وأربعين سنةً ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ[(٤)] عباسٍ فى قِصَّةٍ طويلةٍ جرَتْ بينَ مُشْرِكى مكةَ وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا قام عنهم[(٥)] رَسولُ اللَّهِ ﷺ قال أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ : يا معشرَ قُرَيْشٍ ، إنَّ محمدًا قد أَبَى إلا ما تَرَوْنَ ؛ مِن عَيْبِ دينِنا ، وشَتْمِ آبائِنا ، وتَسْفيهِ أَحْلامِنا ، وسَبِّ آلهتِنا ، وإنّى أُعاهِدُ اللَّهَ لَأَجْلِسُ له غَدًا بِحَجَرٍ ، فإذا سجَدَ فى صلاتِه ، فضَخْتُ[(٦)] به رأْسَه ، فلْيَصْنَعْ بعدَ ذلك بنو عبدِ مَنافٍ ما بَدَا لهم . فلمّا أَصْبَحَ أبو جَهْلٍ ، لعنَه اللَّهُ ، أخَذَ حَجَرًا ، ثُم جلَسَ لرَسولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُه ، وغَدا رسولُ اللَّهِ ﷺ كما كانَ يَغْدُو ، وكانت قِبْلَتَه الشامُ ، فكانَ إذا صَلَّى صَلَّى بينَ الرُّكْنَيْنِ الأسودِ واليمانىِّ ، وجعَلَ الكعبةَ بينَه وبينَ الشامِ ، فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى ، وقد غَدَت قريشٌ فجلَسوا فى أنديَتِهم يَنتَظِرون ، فلمَّا سَجَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ احتَمَلَ

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٨.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٠، ١٣١، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٩٠ عن يونس به. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٨.

(٤) سقط من : الأصل.

(٥) زيادة من : ص.

(٦) فضخ الرأس : كسرها. الوسيط (ف ض خ).

أبو جَهْلٍ الحَجَرَ ، ثُم أقبَلَ نحْوَه ، حتى إذا دَنَا منه رجَعَ مُنْبَهِتًا مُمْتَقَعًا لونُه مَرْعُوبًا ، قد يَبِسَتْ يَداه على حَجَرِه ، حتى قذَفَ الحَجَرَ مِن يدِه ، وقامَتْ إليه رِجالٌ مِن قريشٍ ، فقالوا : ما بك يا أبا الحَكَمِ ؟ فقال : قمتُ إليه ؛ لأَفْعَلَ ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلمّا دَنَوْتُ منه عَرَضَ لى دونَه فَحْلٌ مِن الإبلِ ، واللَّهِ ما رأَيْتُ مِثْلَ هامَتِه ، ولا قَصَرَتِه[1] ، ولا أنيابِه لِفَحْلٍ قطُّ ، فَهَمَّ أن يَأْكُلَنى . قال ابنُ إسحاقَ : فَذُكِرَ لى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ذلك جبريلُ ، لَو دَنَا منى[2] لَأَخَذَه » .

وقال البَيْهَقِيُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنى أبو النَّضْرِ الفقيهُ ، حدَّثَنا عثمانُ الدَّارِمِيُّ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثَنا الليثُ بنُ سَعْدٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوَةَ ، عن أَبانِ بنِ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن أبيه ، عن عبّاسِ بنِ عبـدِ المُطَّلِبِ ، قال : كنتُ يَومًا فى المسجدِ [٧٩/٢و] فأقبلَ أبو جَهْلٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، فقال : إنَّ للَّهِ عَلَىَّ إن رأَيْتُ محمدًا ساجدًا أن أَطَأَ على رقبتِه . فخرَجْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى دخَلْتُ عليه فأخبَرْتُه بقولِ أبى جَهْلٍ ، فخَرَجَ غَضْبانَ حتى جاءَ المَسْجِدَ ، فعجَّلَ أن يَدْخُلَ مِن البابِ فاقْتَحَمَ الحائطَ ، فقلتُ : هذا يَومُ شرٍّ . فاتَّزَرْتُ ثُم اتَّبَعْتُه ، فدخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقرَأَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق : ١، ٢] . فلمَّا بلَغَ شأنَ أبى جَهْلٍ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦، ٧] . فقال إنسانٌ لأبى جَهْلٍ : يا أبا الحَكَمِ ، هذا محمدٌ .

---

(١) القصرة : العنق وأصل الرقبة . النهاية ٤/ ٦٨.
(٢) فى الأصل ، م : « منه » .
(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٩١.

فقال أبو جَهْلٍ : ألا تَرَوْن ما أَرَى ؟ واللَّهِ لقد سَدَّ أُفُقَ السماءِ عليَّ . فلمّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ آخِرَ السورةِ سَجَدَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أَخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن عبدِ الكريمِ ، عن عِكْرِمَةَ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : قال أبو جَهْلٍ : لئن رأَيْتُ محمدًا يُصَلِّى عندَ الكعبةِ لأَطَأَنَّ على عُنُقِه . فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « لو فَعَلَ لأَخَذَتْه الملائِكَةُ عِيَانًا » . ورَواه البُخَارِيُّ[2] ، عن يَحْيَى ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ به . وقال داودُ بنُ أبى هِنْدٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : مَرَّ أبو جَهْلٍ بالنبيِّ ﷺ ، وهو يُصَلِّى ، فقال : أَلم أَنْهَك أن تُصَلِّيَ يا محمدُ ؟ لقد علِمْتَ ما بها أحدٌ أكثرُ[3] نادِيًا[4] منِّى . فانتَهَرَه النبيُّ ﷺ ، فقال جبريلُ : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٧، ١٨] . واللَّهِ لو دعَا نادِيَه لأَخذَتْه زَبانيةُ العَذَابِ . رَواه أحمدُ ، والتِّرمِذيُّ وصحَّحَه ، والنَّسائيُّ[5] مِن طريقِ داودَ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ يَزيدَ أبو يَزيدَ[7] ، حدَّثَنا فُراتٌ ، عن عبدِ الكريمِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال أبو جَهْلٍ : لَئِن رأَيْتُ النبيَّ ﷺ يُصَلِّى عندَ الكعبةِ لآتِيَنَّه حتى أَطَأَ على عُنُقِه . قال : فقال : « لو فعَلَ

---

(١) المسند ١/ ٣٦٨. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٤٩٥٨).

(٣) فى الأصل: «أكبر».

(٤) نادى الرجل: أهله وعشيرته.

(٥) المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده صحيح). والترمذى (٣٣٤٩). صحيح الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦٨). والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٤).

(٦) المسند ١/ ٢٤٨. (إسناده صحيح).

(٧) فى الأصل، م: «زيد». وانظر تعجيل المنفعة ص ٣٨، وشرح المسند ٤/ ٥١.

لأخَذَتْه الملائكةُ[1] عِيانًا » .

وقال أبو جَعْفَرِ بنُ جَرِيرٍ[2] : حدَّثَنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ واضحٍ ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ أبي[3] إسحاقَ ، عن الوليدِ بنِ العَيْزارِ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : قال أبو جهْلٍ : لَئِن عادَ محمدٌ يُصَلِّى عندَ المَقامِ لأَقْتُلَنَّه . فأنزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] حتى بلَغ هذه الآيةَ : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق : ١٥- ١٨] . فجاءَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّى ، فقيل : ما يَمْنَعُك ؟ قال : قد اسْوَدَّ ما بيني وبيْنَه مِن الكَتائبِ[4] . قال ابنُ عباسٍ : واللَّهِ لو تحرَّكَ لأَخَذَتْه الملائكةُ ، والناسُ يَنْظُرونَ إليه .

وقال ابنُ جَرِيرٍ[5] : حدَّثَنا ابنُ[6] عبدِ الأَعْلَى ، حدَّثَنا المُعْتَمِرُ[7] ، عن أبيه ، عن نُعَيمِ بنِ أبي هِندٍ ، عن أبي حَازِمٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال أبو جَهْلٍ : هل يُعَفِّرُ محمدٌ وَجْهَه بينَ أظهُرِكم ؟ قالوا : نعَمْ . قال : فقال : واللَّاتِ والعُزَّى لئِن رأَيْتُه يُصَلِّى كذلك لأَطَأَنَّ على رقَبتِه ، ولأُعَفِّرَنَّ وَجْهَه فى الترابِ . فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يُصَلِّى ؛ لِيَطَأَ على رقَبتِه ، قال : فما فَجِئَهم منه إلا

---

(١) فى الأصل ، م : « الزبانية » .

(٢) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٥٦.

(٣) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨٨.

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى القطعة العظيمة من الجيش . النهاية ٤/ ١٤٨.

(٥) تفسير الطبرى ٣٠/ ٢٥٦.

(٦) سقط من : ص . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٨.

(٧) فى تفسير الطبرى : « ابن ثور » . وهو خطأ . وانظر التفسير ٨/ ٤٦١. وتهذيب الكمال . ٢٨/ ٢٥٠.

وهو يَنْكُصُ على عَقِبَيْه ، ويَتَّقِي بيَدَيْه . قال : فقيل له : ما لَكَ ؟ فقال : إنَّ بيني وبيْنَه خَنْدَقًا مِن نارٍ وَهَوْلًا[1] وأجْنِحةً . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو دَنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْه المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا » . قال : وأنزلَ اللَّهُ تعالى - لا أَدْرِى فى حديثِ أبى هُرَيْرَةَ أمْ لا - : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ إلى آخِرِ السورةِ . وقد روَاه أحمدُ ومُسْلِمٌ ، والنَّسائيُّ ، وابنُ أبى حَاتِمٍ ، والبَيْهَقِيُّ[2] مِن حديثِ [٧٩/٢ظ] مُعْتَمِرِ بنِ سُلَيمانَ بنِ طَرْخانَ التَّيْمِيِّ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَريرٍ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : ما رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا على قريشٍ غيرَ يومٍ واحدٍ ؛ فإنَّه كان يُصَلِّى ، ورَهْطٌ مِن قريشٍ جُلُوسٌ ، وسَلَى جَزُورٍ قريبٌ منه ، فقالوا : مَن يَأْخُذُ هذا السَّلَى فيُلْقيَه على ظَهْرِه ؟ فقال عُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ : أنا . فأخَذَه فألْقاه على ظَهْرِه ، فلم يَزَلْ ساجدًا حتى جاءَتْ فاطِمَةُ فأخَذَتْه عن ظَهْرِه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم عليك بهذا الملأِ مِن قريشٍ ، اللهم عليك بِعُتْبَةَ بنِ رَبيعَةَ ، اللهم عليك بِشَيْبَةَ بنِ رَبيعَةَ ، اللهم عليك بأبى جهلِ بنِ هِشامٍ ، اللهم عليك بِعُقْبَةَ بنِ أَبى مُعَيْطٍ ، اللهم عليك بِأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ - أو أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ - » . [4]شُعْبَةُ الشَّاكُّ[4] . قال عبدُ اللَّهِ[5] : فلقد رأَيْتُهم

---

(١) الهول : الخوف والأمر الشديد . النهاية ٥/ ٢٨٣.

(٢) المسند ٢/ ٣٧٠. ومسلم (٢٧٩٧) . والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٣) . والدلائل للبيهقى ٢/ ١٨٩ . والحديث ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ١٢٦. والدر المنثور ٦/ ٣٧٠، ولم يعزه إلى ابن أبى حاتم ، وقد عزاه المصنف فى تفسيره ٤٦١/٨ إلى ابن أبى حاتم .

(٣) المسند ١/ ٤١٧. (إسناده صحيح) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . وانظر شرح المسند ٥/ ٢٧٣.

(٥) هو ابن مسعود الصحابى راوى الحديث .

قُتِلُوا يومَ بَدْرٍ جميعًا ، ثم سُحِبوا إلى القَلِيبِ غيرَ أُبَيٍّ ، أو أُمَيَّةَ ، فإنَّه كانَ رجلًا ضَخْمًا فَتَقَطَّعَ . وقد رواه البُخاريُّ فى مواضعَ مُتَعَدِّدةٍ من « صحيحِه » ، ومُسْلِمٌ[1] مِن طُرُقٍ ، عن أبى[2] إسحاقَ به ، والصوابُ أميةُ بنُ خلفٍ ؛ فإنَّه الذى قُتِلَ يومَ بَدْرٍ ، وأخوه أُبَيٌّ إنما قُتِلَ يَومَ أُحُدٍ ، كما سيأْتِى بيانُه ، والسَّلَى : هو الذى يَخْرُجُ مع ولدِ الناقةِ كالمَشِيمَةِ لولدِ المرأةِ .

وفى بعضِ ألفاظِ « الصحيحِ »[3] : إنَّهم لمَّا فَعَلوا ذلك استَضْحَكوا حتى جعَلَ بعضُهم يَمِيلُ على بعضٍ ؛ أى يَمِيلُ هذا على هذا مِن شدةِ الضَّحِكِ ، لعَنَهم اللَّهُ . وفيه أنَّ فاطمةَ لمَّا ألقَتْه عنه أقبَلَتْ عليهم فسَبَّتْهم ، وأنَّه ﷺ لمَّا فرَغَ مِن صلاتِه رفَعَ يَدَيْه يَدْعو عليهم ، فلمَّا رأَوْا ذلك ، سكَنَ عنهم الضَّحِكُ ، وخَافُوا دَعْوتَه ، وأنَّه ﷺ دعا على الملأِ منهم جُمْلَةً ، وعَيَّنَ فى دُعائِه سبْعةً ، وقَعَ فى أكثرِ الرِّواياتِ تسميةُ[4] ستةٍ منهم ، وهم ؛ عُتبةُ ، وأخوه شَيْبةُ ابنا ربيعةَ ، والوليدُ بنُ عُتبةَ ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ، وعُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ . قال أبو[5] إسحاقَ[6] : ونَسِيتُ السابعَ . قلتُ : وهو عُمارَةُ بنُ الوليدِ . وقَعَ تَسميتُه فى « صحيحِ البُخاريِّ »[7] .

---

(١) البخارى (٢٤٠، ٥٢٠، ٢٩٣٤، ٣١٨٥، ٣٨٥٤، ٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤) .
(٢) فى الأصل ، م : « ابن » . وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٠٢.
(٣) البخارى (٥٢٠) ، ومسلم (١٧٩٤) .
(٤) سقط من : ص .
(٥) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من صحيح مسلم .
(٦) مسلم (١٧٩٤) .
(٧) البخارى (٥٢٠) .

قصة الإراشيّ

قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[1]، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثَنا عبدُ المَلِكِ بنُ أبى سُفيانَ الثَّقَفِىُّ، قال: قَدِمَ رجلٌ من إراشٍ[2] بإبلٍ له مكةَ، فابتاعَها منه أبو جَهْلِ ابنُ هِشامٍ، فمَطَله بأثمانِها، فأقبَلَ الإراشىُّ حتى وقَف على نادى قريشٍ - ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ فى ناحيةِ المسجدِ - فقال: يا مَعْشَرَ قريشٍ، مَن رجلٌ يُعْدِينى[3] على أبى الحكَمِ بنِ هِشامٍ؛ فإنّى غريبٌ وابنُ سبيلٍ، وقد غلَبَنى على حَقِّى؟ فقال أهلُ المجلسِ: تَرَى ذلك [4]الرَّجُلَ؟- وهُم[4] يَهْزَءُون به، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا يَعْلَمون ما بينَه وبينَ أبى جهلٍ مِن العَداوةِ - اذهبْ إليه فهو يُؤَدِّيك عليه. فأقبَلَ الإراشىُّ حتى وقَفَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فذكَرَ ذلك له، فقامَ مَعَه، فلمَّا رأَوْه قامَ معه، قالوا لرجلٍ مِمَّن معَهم: اتَّبِعْه فانظُرْ ماذا يَصْنَعُ؟ فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى جاءَه فضَرَب عليه بابَه، فقال: مَن هذا؟ قال: «محمدٌ، فاخرُجْ». فخرَجَ إليه وما فى وَجْهِه قَطرةُ دمٍ، وقد انتُقِعَ لونُه، فقال: «أَعْطِ هذا الرجلَ حَقَّه». فقال: لا تَبْرَحْ حتى أُعْطِيَه الذى له. فدخَلَ فخرَجَ إليه بحقِّه فدفَعَه إليه، ثُم انصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، [٢/٨٠و] وقال

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٦، ١٧٧، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) إراش: بالكسر والشين معجمة موضع. معجم البلدان ١/ ١٨١.

(٣) كذا فى النسخ. وفى مصدرى التخريج: «يؤدينى». وهما بمعنى. أى يعيننى على أخذ الحق منه. وانظر الروض الأنف ٣/ ٣٨٨.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

للإراشيّ : « الحَقْ بشأْنِك » . فأقبَلَ الإراشيُّ حتى وَقَف على ذلك المجلسِ ، فقال : جزَاه اللَّهُ خيْرًا ؛ فقد أخَذْتُ الذى لى . وجاءَ الرجلُ الذى بَعَثوا معَه ، فقالوا : وَيْحَك ماذا رأَيْتَ ؟ قال : عَجَبًا مِن العَجَبِ ، واللَّهِ ما هو إلا أن ضَرَب عليه بابَه فخرَجَ وما معَه رُوحُه ، فقال : « أَعْطِ هذا الرجلَ حقَّه » . فقال : نَعَمْ ، لا تَبْرَحْ حتى أُخْرِجَ إليه حقَّه . فدخَلَ فأَخْرَجَ إليه حقَّه فأَعْطاه ، ثُم لم يَلْبَثْ أن جاءَ أبو جهلٍ ، فقالوا له : وَيْلَك ما لكَ ، فواللَّهِ ما رأَيْنا مِثْلَ ما صنَعْتَ ؟ فقال : وَيْحَكم ، واللَّهِ ما هو إلا أن ضَرَب علىَّ بابى وسمِعْتُ صَوْتَه فمُلِئْتُ رُعْبًا ، ثُم خرَجْتُ إليه ، وإنَّ فوقَ رأسِهِ لَفَحْلًا مِن الإبلِ ، ما رأَيْتُ مِثْلَ هامتِهِ ، ولا قَصَرَتِه ، ولا أنيابِه لِفَحْلٍ قَطُّ ، فواللَّهِ لو أبَيْتُ لأَكَلَنى .

فصل

وقال البُخاريُّ[1] : حدَّثنا عَيَّاشُ بنُ الوليدِ ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ ، حدَّثنى الأَوزاعيُّ ، عن يَحْيَى بنِ أبى كَثيرٍ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمىِّ ، حدَّثنى عُروةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، سأَلْتُ [2]ابنَ عَمْرِو بنِ العاصِ[2] ، فقلتُ : أخْبِرْنى بأشدِّ شىءٍ صَنَعَه المشركون برسولِ اللَّهِ ؟ قال : بينَما النبىُّ ﷺ يُصَلِّى فى حِجْرِ الكعبةِ ، إذ أقبلَ[3] عُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ فوضَعَ ثَوْبَه على عُنُقِه فخَنَقَه خَنْقًا شديدًا ، فأَقبَلَ أبو بكرٍ ، رضِىَ اللَّهُ عنه ، حتى أخَذَ بمَنْكِبِه ودفَعَه عن النبىِّ ﷺ ، وقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية [غافر : ٢٨] . تابَعَه ابنُ إسحاقَ[4] ، قال : أخبَرَنى يَحْيى بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو .

وقال عَبْدَةُ[5] ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، قال : قيل لعمرِو بنِ العاصِ . وقال محمدُ بنُ عَمرٍو[6] ، عن أبى سَلَمَةَ ، حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ . قال

---

(١) البخارى (٣٨٥٦) .

(٢ - ٢) فى النسخ : « ابن العاص » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عليه » .

(٤) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله أحمد فى المسند ٢/ ٢١٨. (إسناده صحيح) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٦.

(٥) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله النسائى فى الكبرى (١١٤٦٢) ، وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٧.

(٦) ذكره البخارى معلقًا (٣٨٥٦) ، ووصله ابن حبان فى صحيحه ، الإحسان (٦٥٦٩) . (إسناده حسن) . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٨.

البَيْهَقِيُّ[1] : وكذلك رَوَاه سُلَيمانُ بنُ بِلالٍ ، [2]عن هِشامٍ[2] بنِ عُرْوةَ كما رَوَاه عَبْدَةُ . انفرَدَ به البُخاريُّ ، وقد رَوَاه فى أماكنَ مِن « صحيحِه »[3] ، وصرَّحَ فى بعضِها بعبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، وهو أَشْبَهُ لروايةِ عُرْوةَ عنه ، وكونُه عن عمرٍو أَشْبَهُ ؛ لتقدُّمِ هذه القصةِ .

وقد رَوَى البَيْهَقِيُّ[4] ، عن الحاكِمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عَن يُونُسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ : حدَّثَنى يَحْيَى بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه عُرْوَةَ ، قال : قلْتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ : ما أَكْثَرُ ما رأَيْتَ قريشًا أصابتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فيما كانَتْ تُظْهِرُه مِن عَداوتِه ؟ فقال : لقد رأَيْتُهم وقد اجتَمَعَ أشرافُهم يومًا فى الحِجْرِ ، فذكَرُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : ما رأَيْنا مِثْلَ ما صَبَرْنا عليه مِن هذا الرجلِ قطُّ ؛ سفَّهَ أحلامَنا ، وشتَمَ آباءَنا ، وعابَ دينَنا ، وفرَّقَ جماعتَنا ، وسبَّ آلهتَنا ، وصبَرْنا[5] منه على أمْرٍ عظيمٍ ، أو كما قالوا[6] . فبينَما هم فى ذلك طلَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأقبَلَ يَمْشِى حتى استَلَمَ الرُّكْنَ ، ثُم مرَّ بهم طائفًا بالبيتِ ، فغَمَزُوه ببعضِ القَوْلِ ، فعَرَفْتُ ذلك فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فمَضَى ، فلمَّا مَرَّ بهم الثانيةَ غَمَزُوه بمثلِها ، فعرَفْتُها فى وَجْهِه ، فمَضَى ، ثُم مَرَّ الثالثةَ فغمَزوه بمثلِها ، فقال : « أَتَسْمَعونَ يا معشرَ قريشٍ ، أما والذى نفسى بيدِه لقد جِئْتُكم بالذَّبْحِ » . فأخذَتِ القومَ كلِمتُه حتى ما مِنهم مِن رجلٍ

---

(1) الدلائل ٢/ ٢٧٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص . وانظر تغليق التعليق ٤/ ٨٧.

(3) البخارى (٣٦٧٨، ٤٨١٥) .

(4) الدلائل ٢/ ٢٧٥.

(5) فى الأصل ، م : « صرنا » .

(6) بعده فى الأصل ، م : « قال » .

إلَّا وكأنَّما على رأسِه طائرٌ واقعٌ، حتى إنَّ أشدَّهم [٢/٨٠ظ] فيه وَصاةً[(١)] قبل ذلك لَيَرْفَؤُه[(٢)] حتى إنَّه لَيَقولُ: انصَرِفْ يا أبا القاسمِ راشدًا، فما كنتَ بِجَهُولٍ. فانصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا كان الغَدُ اجتَمَعوا فى الحِجْرِ وأنا مَعهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ذكَرْتُم [(٣)]ما بلَغَ منكم[(٣)] وما بلَغَكم عنه، حتى إذا بادَأَكم بما تَكْرَهون ترَكْتُموه! فبينَما هم على ذلك طَلَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فوثَبوا إليه وَثْبَةَ رجلٍ واحدٍ، فأحاطوا به يَقولون: أنتَ الذى تَقولُ كذا وكذا؟ لِمَا كان يَبْلُغُهم مِن عَيْبِ آلهتِهم ودِينِهم، فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نعم أنا الذى أقولُ ذلك». ولقد رأَيْتُ رجلًا منهم أخَذَ بمجامعِ ردائِه، وقامَ أبو بكرٍ يَبْكِى[(٤)] دونَه، ويَقولُ: ويْلَكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ ثُم انصَرَفوا عنه، فإنَّ ذلك لَأَكْثَرُ ما رأَيْتُ قريشًا بلغتْ منه قطُّ.

فصلٌ: فى تَأْلِيبِ الملأِ مِن قريشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه، واجتماعِهم بعمِّه أبى طالبٍ، القائمِ فى مَنْعِه[(٥)] ونُصْرَتِه، وحرصِهم عليه أنْ يُسْلِمَه إليهم، فأَبَى عليهم ذلك بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه.

قال الإمامُ أحمدُ[(٦)]: حدَّثَنا وَكِيعٌ، عن حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد أُوذِيتُ فى اللَّهِ وما يُؤْذَى أحدٌ،

---

(١) الوصاة: الوصية.
(٢) يرفؤه: يُسَكِّنُه ويرفق به ويدعو له. النهاية ٢/ ٢٤١، ٢٤٢.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) فى الأصل، م: «ينكى». وفى تفسير ابن كثير ٧/ ١٣٠ «وإن عينيه ليسيلان».
(٥) سقط من: الأصل. وفى ص: «صفه».
(٦) المسند ٣/ ١٢٠.

وأُخِفْتُ فى اللَّهِ وما يُخَافُ أحدٌ ، ولقد أَتَتْ علىَّ ثلاثون ، مِن بينِ يومٍ وليلةٍ ، وما لِى ولِبِلَالٍ[1] طعامٌ[2] يأْكُلُه ذو كَبِدٍ ، إلَّا ما يُوارِى إبْطُ بِلَالٍ[3] » . وأَخْرَجه الترمذِىُّ ، وابنُ ماجه مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ به[4] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : وحَدِبَ[6] على رسولِ اللَّهِ ﷺ عمُّه أبو طالبٍ ، ومَنَعَه ، وقامَ دُونَه ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على أمرِ اللَّهِ ، مُظْهِرًا لدينِه ، لا يَرُدُّه عنه شىءٌ ، فلَمّا رأتْ قريشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يُعْتِبُهم[7] مِن شىءٍ أنكروه عليه ؛ مِنْ فِراقِهم وعَيْبِ آلهتِهم ، ورأَوْا أنَّ عمَّه أبا طالبٍ قد حَدِبَ عليه ، وقامَ دونه فلَم يُسْلِمْه لهم ، مشَى رجالٌ مِن أشرافِ قريشٍ إلى أبى طالبٍ ؛ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا رَبِيعَةَ بنِ عبدِ شمسٍ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَىٍّ ، وأبو سفيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، وأبو البَخْتَرِىِّ ، واسمُه العاصُ ابنُ هشامِ بنِ الحارثِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ ، والأَسودُ بنُ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، وأبو جَهْلٍ ، واسمُه عَمْرُو بنُ هِشَامِ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، والوليدُ بنُ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومِ بنِ يَقْظَةَ

---

(١) كذا بالنسخ ، وهو لفظ الترمذى وابن ماجه . وفى المسند : « ولعيالى » .

(٢) فى الأصل ، م : « ما » .

(٣) قال فى الفتح الربانى ١٩/ ١٢٨: والمعنى : ما كان لنا من الطعام إلا شىء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه .

(٤) الترمذى (٢٤٧٢) ، وابن ماجه (١٥١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠١٢) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٢٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٦٤.

(٦) فى ص : « حدث » . وحدب : عطف .

(٧) فى ص : « يعينهم » . ويعتبهم : يرضيهم ، ويزيل عتابهم .

ابنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجَّاجِ بنِ عامرِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىٍّ ، والعاصُ بنُ وائلِ بنِ سُعَيْدِ بنِ سَهْمٍ - قال ابنُ إسحاقَ : أو مَن مشَى منهم - فقالوا : يا أبا طالبٍ ، إنَّ ابنَ أخيك قد سَبَّ آلهَتَنا ، وعابَ دينَنا ، وَسَفَّهَ أحلامَنا ، وضَلَّلَ آباءَنا ، فإمّا أنْ تَكُفَّه عنا ، وإمّا أنْ تُخَلِّىَ بينَنا وبينَه ، فإنّك على مِثْلِ ما نحن عليه مِن خِلَافِه ، فنَكْفِيكَه . فقال لهم أبو طالبٍ قولًا رفيقًا ، ورَدَّهم رَدًّا جميلًا ، فانْصَرَفوا عنه . ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ما هو عليه ، يُظْهِرُ دينَ اللَّهِ ويَدْعُو إليه ، ثم شَرِىَ[1] الأمرُ بينَه وبينَهم ، حتى تَبَاعَدَ الرجالُ وتَضَاغَنُوا ، وأَكْثَرَتْ قريشٌ ذِكْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بينَها ، فتَوامَرُوا[2] فيه ، وحَضَّ بعضُهم بعضًا عليه ، ثُم إنَّهم مَشَوْا إلى أبى طالبٍ [٢/٨١و] مرةً أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالبٍ ، إنَّ لك سِنًّا وشَرَفًا ومنزلةً فينا ، وإنَّا قد اسْتَنْهَيْناك مِن ابنِ أخيك ، فلم تَنْهَه عنّا ، وإنَّا واللَّهِ لا نَصْبِرُ على هذا ؛ مِن شَتْمِ آبائِنا ، وتَسْفِيهِ أحلامِنا ، وعَيْبِ آلهتِنا ، حتى تَكُفَّه عنا ، أو نُنازِلَه وإيَّاك فى ذلك ، حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقَيْنِ . أو كما قالوا . ثُم انْصَرَفوا عنه ، فعَظُمَ على أبى طالبٍ فِرَاقُ قومِه وعدَاوَتُهم ، ولم يَطِبْ نفسًا بإسلامِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولا خِذْلَانِه .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثَنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ ، أنه حُدِّثَ أنَّ قريشًا حينَ قالوا لأبى طالبٍ هذه المقالةَ ، بعَثَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ،

---

(١) فى النسخ : « سرى » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وشرى : كثر واشتد .

(٢) فى م ، ص : « فتذامروا » . وتوامروا : تشاوروا . وأصله الهمز . انظر النهاية ١/ ٦٦ .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٥ ، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٦ . وقد تقدم نحوه فى صفحة ١٠٨ ، عند البيهقى ، من طريق محمد بن إسحاق به .

فقال له : يا بنَ أَخى ، إنَّ قومَك قد جاءُونى ، فقالوا لى كذا وكذا - للذى قالوا له - فأَبْقِ علىَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلْنِى مِن الأمرِ ما لا أُطِيقُ . قال : فظَنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنه قد بَدَا لعمِّه فيه بَدَاءٌ[1] ، وأنَّه خاذِلُه ومُسْلِمُه ، وأنَّه قد ضَعُفَ عن نُصْرَتِه والقيامِ معه . قال : فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمِّ ، واللَّهِ لو وَضَعُوا الشمسَ فى يَمِينِى ، والقمرَ فى يَسَارِى على أنْ أَتْرُكَ هذا الأمرَ حتى يُظْهِرَه اللَّهُ ، أو أَهْلِكَ فيه ما تَرَكْتُه »[2] . قال : ثم اسْتَعْبَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فبكَى ثم قامَ ، فلما وَلَّى نادَاه أبو طالبٍ فقال : أَقْبِلْ يا بنَ أخى . فأَقْبَلَ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : اذهبْ يا بنَ أخى فقُلْ ما أحببتَ ، فواللَّهِ لا أُسْلِمُك لشىءٍ أبدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم إنَّ قريشًا حينَ عَرَفوا أنَّ أبا طالبٍ قد أَبَى خِذلانَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وإسلامَه ، وإجماعَه لفِراقِهم فى ذلك وعداوتَه ، مَشَوْا إليه بعُمارةَ بنِ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، فقالوا له - فيما بَلَغَنى - : يا أبا طالبٍ ، هذا عُمارةُ ابنُ الوليدِ ، أنهدُ[3] فَتًى فى قريشٍ وأجملُه ، فَخُذْه ، فَلَكَ عقلُه ونَصْرُه ، واتَّخِذْه وَلَدًا ، فهو لك ، وأَسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالَفَ دينَك ودينَ آبائِك ، وفرَّقَ جماعةَ قومِك ، وسَفَّه أحلامَها فنَقْتُلَه ، فإنَّما هو رجلٌ برجلٍ . قال : واللَّهِ لَبِئْسَ ما تَسُومُونَنِى ، أَتُعْطُوننى ابنَكم أَغْذُوه لكم ، وأُعْطِيكم ابْنِى تَقْتُلُونه ! هذا واللَّهِ ما لا يكونُ أبدًا . قال : فقال المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ بنِ نَوْفَلِ بنِ

---

(١) فى الأصل : « بد » . وفى م ، ص : « بدو » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام . وبداء : رأىٌ .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٣٣ .

(٣) فى الأصل : « أبهى » . وفى ص : « أبهر » . وأنهد : أشد وأقوى .

عبدِ مَنَافِ بنِ قُصَىّ : واللّهِ يا أبا طالبٍ لقد أنْصَفَك قومُك وجَهَدُوا على التخلُّصِ مما تَكْرَهُ ، فما أَرَاك تُرِيدُ أنْ تَقْبَلَ منهم شيئًا . فقال أبو طالبٍ للمُطْعِمِ : واللّهِ ما أَنْصَفُونى ، ولكنَّك قد أَجْمَعْتَ خِذلانى ، ومظاهرةَ القومِ علىَّ ، فاصْنَعْ ما بَدَا لك . أو كما قال ، فَحَقِبَ[1] الأمرُ ، وحَمِيَتِ الحربُ ، وتنابذَ القومُ ، ونادَى بعضُهم بعضًا ، فقال أبو طالبٍ عندَ ذلك يُعَرِّضُ بالمُطْعِمِ بنِ عَدِىّ ، ويَعُمُّ مَن خَذَلَه مِن بنى عبدِ مَنَافٍ ، ومَن عاداه مِن قبائلِ قريشٍ ، ويَذْكُرُ ما سَأَلوه ، وما تَبَاعَدَ مِن أمرِهم :

ألَا قُلْ لعمرٍو والوليدِ ومُطْعِمٍ ... ألَا ليتَ حَظِّى مِن حِياطَتِكم بَكْرُ[2]

مِن الخُورِ حَبْحَابٌ كثيرٌ رُغاؤُه ... يُرَشُّ على الساقَين مِن بولِه قَطْرُ[3]

تَخَلَّفَ خلفَ الوِرْدِ ليس بلاحِقٍ ... إذا ما علا الفَيْفَاءَ قيلَ له وَبْرُ[4]

أرى أخَوَيْنا مِن أبِينا وأُمِّنا ... إذا سُئِلا قالا إلى غيرِنا الأمرُ

[٨١/٢ظ] بلى لهما أمرٌ ولكنْ تَجَرْجَما ... (٥كما جَرْجَمَتْ٥) مِن رأسِ ذى عَلَقٍ[6] الصخرُ

أَخُصُّ خُصوصًا عبدَ شمسٍ ونَوْفَلًا ... هما نَبَذَانا مثلَ ما نُبِذَ الجَمْرُ[7]

هما أَغْمَزَا للقومِ فى أَخَوَيْهما ... فقد أصبَحا منهم أَكُفُّهما صُفْرُ[8]

---

(١) فى الأصل : « فخفت » . وحقب : اشتد .

(٢) البكر : الفَتِىُّ من الإبل .

(٣) الخور : جمع خائر ، وهو الضعيف . حبحاب : قصير .

(٤) الوبر : حيوان من ذوات الحوافر ، فى حجم الأرنب ، ويكثر فى لبنان . الوسيط (و ب ر) . والمراد ، أنه يشبه الجمل بهذا الحيوان لصغره . أو يصغر فى العين لعلو المكان وبُعده .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « تحرجما كما حرجمت » . وجرجم : سقط .

(٦) ذو علق : اسم جبل .

(٧) فى الأصل : « الخمر » .

(٨) الصفر : الخالى من الآنية وغيرها . شرح غريب السيرة ١٦٦/١ .

هما أَشْرَكا فى المجدِ مَن لا أَبَا لَه　　　مِن الناسِ إلا أن يُرَسَّ[1] له ذِكْرُ

وتَيْمٌ ومَخْزُومٌ وزُهْرَةُ منهمُ　　　وكانُوا لنا مولًى إذا بُغِىَ النصرُ

فواللّهِ لا تَنْفَكُّ منّا عداوةٌ　　　ولا منكمُ ما دام[2] مِن نَسْلِنا شَفْرُ[3]

قال ابنُ هشامٍ[4] : وترَكْنا منها بَيْتَيْن أَقْذَعَ[5] فيهما .

---

(١) يرس : يُذكَر .

(٢) فى الأصل : « قام » .

(٣) شفر : أحد .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٨.

(٥) أقذع : سبَّ بالألفاظ القبيحة .

فصــل

فى مبالغتِهم فى الأذِيَّةِ

لآحــادِ المسلمِــين المستَضْـعفِين

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ قريشًا تَذَامَرُوا بينَهم على مَن فى القبائلِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثَبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَن فيها مِن المسلمِين ، يُعَذِّبُونهم ويَفْتِنُونهم عن دينِهم ، ومنَع اللَّهُ منهم رسولَ اللَّهِ ﷺ بعمِّه أبى طالبٍ ، وقد قامَ أبو طالبٍ - حينَ رأَى قريشًا يَصْنَعُون ما يَصْنَعُون - فى بنى هاشمٍ وبنى المُطَّلِبِ ، فدَعَاهم إلى ما هو عليه مِن منعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والقيامِ دونَه ، فاجْتَمَعوا إليه ، وقامُوا معه ، وأَجَابوه إلى ما دعَاهم إليه - إلّا ما كان مِن أبى لَهَبٍ عدوِّ اللَّهِ - فقال فى ذلك ، يَمْدَحُهم ويُحَرِّضُهم على ما وافَقُوه عليه مِن الحَدَبِ والنُّصْرَةِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ :

إذا اجتَمَعَتْ يومًا قريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعبدُ مَنَافٍ سِرُّها[2] وصميمُها

وإنْ حُصِّلَتْ أشرافُ عبدِ منافِها ... ففى هاشمٍ أشرافُها وقديمُها

وإن فَخَرَتْ يومًا فإنَّ محمدًا ... هو المصطفَى مِن سرِّها وكريمُها

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٨. وانظر سيرة ابن إسحاق ص ١٢٩.

(٢) سرها : أى أصلها . الوسيط (س ر ر) .

تداعَتْ قريشٌ غثُّها وسَمِينُها ... علينا فلم تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها

وكنَّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إذ ما ثَنَوا صُعْرَ الرِّقابِ نُقِيمُها

ونَحْمِي حِمَاها كلَّ يومِ كَرِيهَةٍ ... ونَضْرِبُ عن أحجارِها مَنْ يَرُومُها

بنا انْتَعَشَ العُودُ الذَّوَاءُ[1] وإنَّما ... بأَكْنَافِنا تَنْدَى وتَنْمِى أُرُومُها

فصل

فيما اعترَضَ به المشركون على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما تَعَنَّتُوا عليه[2] فى أسئِلَتِهم إيَّاه أنواعًا مِن الآياتِ، وخَرْقِ العاداتِ، على وجهِ العنادِ، لا على وجهِ طلبِ الهُدَى والرشادِ؛ فلهذا لم يُجَابُوا إلى كثيرٍ مما طَلَبوا، ولا ما إليه رَغِبُوا؛ لعِلْمِ الحقِّ سبحانَه أنهم لو عايَنُوا وشاهَدُوا ما أَرادوا، لاستمَرُّوا فى طُغْيانِهم يَعْمَهُون، ولَظَلُّوا فى غَيِّهم وضَلَالِهم يَتَرَدَّدُون.

قال اللَّهُ تعالى[3]: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩- ١١١]. وقال تعالى[4]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ [٢/٨٢و] حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ

(١) الذواء: اليابس الضعيف. يقال: ذوى العود. أى يبس وضعف. الوسيط (ذ و ى).

(٢) فى الأصل، م: «له». وعنت عليه: شق عليه وشدد.

(٣) التفسير ٣/٣٠٩ - ٣١١.

(٤) التفسير ٤/ ٢٣٠، ٢٣١.

ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]. وقال تعالى[(١)]: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى[(٢)]: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣]. وقد تكلَّمْنا على هذه الآياتِ وما يُشابِهُها فى أماكِنِها فى «التفسيرِ» وللَّهِ الحمدُ.

وقد روَى يُونُسُ وزيادٌ[(٣)]، عن ابنِ إسحاقَ، عن بعضِ أهلِ العلمِ - وهو شيخٌ مِن أهلِ مِصْرَ يُقالُ له: محمدُ بنُ أبى محمدٍ - عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ وعِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: اجتَمَع عِلْيَةٌ مِن أشرافِ قريشٍ - وعَدَّدَ أسماءَهم - بعدَ غروبِ الشمسِ، عندَ ظَهْرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابْعَثُوا إلى محمدٍ فَكَلِّمُوه، وخاصِمُوه حتى تُعْذِرُوا فيه. فبَعَثُوا إليه: إنَّ أشرافَ قومِك قد اجتَمَعوا لك لِيُكَلِّمُوك. فجاءَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ سريعًا، وهو يَظُنُّ أنه قد بَدَا لهم فى أمرِه بَدَاءٌ، وكان حريصًا، يُحِبُّ رُشْدَهم، ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم، حتى جلَس إليهم، فقالوا: يا محمدُ، إنّا قد بَعَثْنا إليك لِنُعْذِرَ فيك، وإنّا واللَّهِ لا

---

(١) التفسير ٥/٨٧ - ٨٩.

(٢) التفسير ٥/١١٥ - ١١٨.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٩٥، ورواه الطبرى فى تفسيره ١٥/ ١٦٤، من طريق يونس بن بكير به.

نَعْلَمُ رجلًا مِن العربِ أَدْخَلَ على قومِه ما أَدْخَلْتَ على قومِك ؛ لقد شَتَمْتَ الآباءَ ، وعِبْتَ الدِّينَ ، وسَفَّهْتَ الأحلامَ ، وشَتَمْتَ الآلهةَ ، وفَرَّقْتَ الجماعةَ ، وما بَقِيَ مِن قبيحٍ إلّا وقد جئتَه فيما بينَنا وبينَك ، فإنْ كنتَ إنما جِئْتَ بهذا الحديثِ تَطْلُبُ مالًا ، جَمَعْنا لك مِن أموالِنا حتى تكونَ أكثرَنا مالًا ، وإنْ كنتَ إنّما تَطْلُبُ الشرفَ فينا ، سَوَّدْناك علينا ، وإنْ كنتَ تُرِيدُ مُلْكًا ، مَلَّكْناك علينا ، وإن كان هذا الذى يَأْتِيك رَئِيًّا تَراه قد غَلَبَ عليك - وكانوا[1] يُسَمُّون التابعَ مِن الجنِّ الرَّئِيَّ - فرُبَّما كان ذلك ، بذَلْنا أموالَنا فى طلبِ الطِّبِّ حتى نُبْرِئَك منه ، أو نُعْذِرَ فيك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما بى ما تَقُولُون ، ما جِئْتُكم بما جِئْتُكم به أَطْلُبُ أموالَكم ، ولا الشرفَ فِيكم ، ولا المُلْكَ عليكم ، ولكنَّ اللَّهَ بَعَثَنِى إلَيْكُم رسولًا ، وأَنْزَلَ علىَّ كتابًا ، وأمَرَنى أنْ أَكونَ لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلَّغْتُكُم رسالةَ رَبِّى ، ونَصَحْتُ لكم ، فإنْ تَقْبَلُوا منِّى ما جِئْتُكم به ، فهو حَظُّكم مِن الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه علىَّ ، أَصْبِرْ لأَمرِ اللَّهِ ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينى وبينَكم » .- أو كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ - فقالوا : يا محمدُ ، فإنْ كنتَ غيرَ قابلٍ منّا ما عرَضْنا عليك ، فقد عَلِمْتَ أنه ليس أحدٌ مِن الناسِ أضيَقَ بلادًا ، ولا أقلَّ مالًا ، ولا أشدَّ عيشًا منّا ، فَسَلْ لنا ربَّك الذى بَعَثَك بما بعَثَك به ، فلْيُسَيِّرْ عنَّا هذه الجبالَ التى قد ضَيَّقَتْ علينا ، ولْيَبْسُطْ لنا بلادَنا ، ولْيُجْرِ فيها أنهارًا كأنهارِ الشامِ والعراقِ ، ولْيَبْعَثْ لنا مَن مضَى مِن آبائِنا ، ولْيَكُنْ فيمَن يُبْعَثُ لنا منهم قُصَىُّ بنُ كِلَابٍ ، فإنّه كان شيخًا صَدُوقًا ، فنَسْأَلَهم عما تقولُ ؛ أحقٌّ هو أم باطلٌ ؟ فإنْ فعلتَ ما سَأَلْناك وصَدَّقُوك ، صَدَّقْناك وعرَفْنا به منزلتَك

---

(١) فى النسخ : « وكان » .

عندَ اللّهِ ، وأنّه بعَثَك رسولًا كما تقولُ . فقال لهم رسولُ اللّهِ ﷺ : « ما بهذا بُعِثْتُ ، إنّما جِئْتُكم مِن عندِ اللّهِ بما بَعَثَنِى به ، فقد بَلَّغْتُكم ما أُرْسِلتُ به إليكم ، فإنْ تَقْبَلُوه ، فهو حَظُّكم فى الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه[1] علىَّ ، أَصْبِرْ لأمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بينِى وبينَكم » . قالوا : فإنْ لم تفعلْ لنا هذا ، [٢/٨٢ظ] فخُذْ لنفسِك ؛ فسَلْ رَبّك أنْ يَبْعَثَ لنا مَلَكًا يُصَدِّقُك بما تقولُ ، ويُرَاجِعُنا عنك ، وتَسْأَلُه فيَجْعَلُ لنا جِنانًا وكنوزًا وقصورًا من ذهبٍ وفضةٍ ، ويُغْنِيك عما نَراك تَبْتَغِى ، فإنّك تَقُومُ فى الأَسواقِ ، وتَلْتَمِسُ المعايشَ كما نَلْتَمِسُه ، حتى نَعْرِفَ فضلَ منزلتِك مِن ربِّك ، إنْ كنتَ رسولًا كما تَزْعُمُ . فقال لهم : « ما أنا بفاعلٍ ، ما أنا بالذى يَسْأَلُ ربَّه هذا ، وما بُعِثْتُ إليكم بهذا ، ولكنَّ اللّهَ بَعَثَنى بشِيرًا ونذيرًا ، فإنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكم به ، فهو حَظُّكم فى الدنيا والآخرةِ ، وإنْ تَرُدُّوه علىَّ ، أَصْبِرْ لأَمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بينى وبينَكم » . قالوا : فأَسْقِطِ السماءَ كما زَعَمْتَ أنَّ ربَّك إنْ شاء فعَل ، فإنّا لن نُؤْمِنَ لك إلّا أنْ تَفْعَلَ . فقال : « ذلك إلى اللّهِ ، إنْ شاء فعَل بكم ذلك » . فقالوا : يا محمدُ ، ما عَلِمَ ربُّك أنّا سنَجْلِسُ معك ونَسْأَلُك عما سَأَلْناك عنه ، ونَطْلُبُ منك ما نَطْلُبُ ، فيَتَقَدَّمَ إليك ويُعْلِمَك ما تُرَاجِعُنا به ، ويُخْبِرَك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا إذا لم نَقْبَلْ منك ما جِئْتَنا به ؟ فقد بَلَغَنا أنّه إنّما يُعَلِّمُك هذا رجلٌ باليَمَامَةِ يقالُ له : الرحمنُ . وإنّا واللّهِ لا نُؤْمِنُ بالرحمنِ أبدًا ، فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمدُ ، أمَا واللّهِ لا نَتْرُكُك وما فعلتَ بنا حتى نُهْلِكَك أو تُهْلِكَنا . وقال قائلُهم : نحن نَعْبُدُ الملائكةَ وهى بناتُ اللّهِ . وقال قائلُهم : لن نُؤْمِنَ لك حتى تَأْتِيَنا باللّهِ

---

(١) فى الأصل ، م : « تردوا » .

والملائكةِ قَبِيلًا . فلما قالوا ذلك ، قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وقامَ معه عبدُ اللَّهِ ابنُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ، وهو ابنُ عمَّتِه عاتِكَةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ ، فقال : يا محمدُ ، عرَض عليك قومُك ما عَرَضُوا فلم تَقْبَلْه منهم[1] ، ثم سَأَلوك لأنفسِهم أمورًا ؛ ليَعْرِفُوا بها منزلَتَك مِن اللَّهِ فلم تَفْعَلْ ، ثُم سَأَلوك أنْ تُعَجِّلَ ما تُخَوِّفُهم به مِن العذابِ ، فواللَّهِ لا أُومِنُ لك أبدًا ، حتى تَتَّخِذَ إلى السماءِ سُلَّمًا ، ثم تَرْقَى فيه[2] وأنا أَنْظُرُ حتى تَأْتِيَها وتَأْتِيَ معك بنُسْخَةٍ منشورةٍ ، ومعك أربعةٌ مِن الملائكةِ يَشْهَدُون لك أنَّك كما تقولُ ، وايْمُ اللَّهِ ، لو فعلتَ ذلك لَظَنَنْتُ أنِّى لا أُصَدِّقُك . ثُم انْصَرَفَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وانْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه حزينًا أَسِفًا ؛ لِمَا فاتَه مما طَمِعَ فيه مِن قومِه حينَ دَعَوْه ، ولِمَا رأَى مِن مُبَاعَدَتِهم إيّاه .

وهذا المجلسُ الذى اجْتَمَع عليه هؤلاء المَلَأُ مجلسُ ظلمٍ وعُدوانٍ وعنادٍ ؛ ولهذا اقْتَضَتِ الحكمةُ الإلهيةُ والرحمةُ الربانيةُ ألَّا يُجَابُوا إلى ما سَأَلوا ؛ لأنَّ اللَّهَ عَلِمَ أنَّهم لا يُؤْمِنُون بذلك ، فيُعاجِلَهم بالعذابِ .

كما قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عثمانُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا جريرٌ ، عن الأَعْمَشِ ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ . قال : سأَل أهلُ مكةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَجْعَلَ لهم الصَّفَا ذهبًا ، وأن يُنَحِّىَ عنهم الجبالَ فيَزْدَرِعُوا[4] ، فقيل له : إنْ شِئْتَ أنْ

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « منه » .

(٣) المسند ١/ ٢٥٨ . (صحيح) .

(٤) أى ، يزرعوا مكانها .

تَسْتَأْنِيَ بهم[1] ، وإنْ شِئْتَ أنْ تُؤْتِيَهم الذى سأَلُوا ، فإنْ كفَرُوا أُهْلِكُوا كما أَهْلَكْتُ مَن قبلَهم[2] . قال : « لا ، بل أَسْتَأْنِى بهم » . فأنْزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ ﴾ الآية [الإسراء : ٥٩] . وهكذا رَوَاه النَّسائِيُّ مِن حديثِ جَرِيرٍ به[3] .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثنا سفيانُ ، [٨٣/٢و] عن سَلَمَةَ ابنِ كُهَيْلٍ ، عن عِمْرَانَ (٥) أبى الحكَمِ (٥) ، عن ابنِ عباسٍ قال : قالت قريشٌ للنبىِّ ﷺ : ادْعُ لنا ربَّك يَجْعَلْ لنا الصَّفَا ذَهَبًا ونُؤْمِنْ بك . قال : « وتَفْعَلُون[6] ؟ » قالوا : نَعَمْ . قال : فدَعَا ، فأتَاه جبريلُ فقال : إنَّ ربَّك يَقْرَأُ عليك السلامَ ويقولُ لك : إنْ شئتَ أَصْبَحَ الصَّفَا لهم ذهبًا ، فمَن كفَر منهم بعدَ ذلك عَذَّبْتُه عذابًا لا أُعَذِّبُه أحدًا مِن العالَمِين ، وإنْ شئتَ فتحتُ لهم بابَ الرحمةِ والتوبةِ . قال : « بَل بابُ[7] التوبةِ والرحمةِ » . وهذان إسْنادان جَيِّدَان ، وقد جاءَ مُرْسَلًا عن جماعةٍ مِن التابِعِين[8] ؛ منهم سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، وقَتَادَةُ ، وابنُ جُرَيْجٍ ، وغيرُ واحدٍ .

---

(١) أى تمهلهم .

(٢) بعده فى الأصل : « من القرون » . وبعده فى م ، ص : « الأمم » . وهذه الزيادة غير موجودة فى المسند ، ولا فى سنن النسائى الكبرى . وانظر جامع المسانيد للمصنف ٣٠/ ١٩١.

(٣) النسائى فى الكبرى (١١٢٩٠) .

(٤) المسند ١/ ٢٤٢. (صحيح) .

(٥ - ٥) فى النسخ : « بن حكيم » . وفى المسند : « بن الحكم » . وكلاهما خطأ . فقد قال الحافظ فى تعجيل المنفعة ص ٣١٩:... والصواب عمران بن الحارث أبوالحكم ، كما فى صحيح مسلم وغيره . فالمثبت من مصادر ترجمته . وانظر سبب وقوع الخطأ فى اسم الراوى ، فى شرح المسند ٤/ ٢٦. كما أفاده الشيخ أحمد شاكر، رحمه الله . وراجع تهذيب الكمال ٢٢/ ٣١٣، ٣١٤.

(٦) فى النسخ : « وتفعلوا » . والمثبت من المسند .

(٧) سقط من : م .

(٨) انظر الدر المنثور ٤/ ١٩٠.

وروَى الإمامُ أحمدُ والترمذىُّ[1] ، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ ، حدَّثنا يحيى بنُ أيوبَ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن علىِّ بنِ يَزِيدَ ، عن [2] القاسمِ ، عن أبى أُمَامَةَ [2] ، عن النبىِّ ﷺ قال : « عرض علىَّ رَبِّى ، عَزَّ وجَلَّ ، أنْ يَجْعَلَ لِى بَطْحَاءَ مكةَ ذهبًا ، فقلتُ : لا يا ربِّ ، أَشْبَعُ يومًا وأَجُوعُ يومًا - أو نحوَ ذلك - فإذا جُعْتُ ، تَضَرَّعْتُ إليك وذكَرْتُك ، وإذا شَبِعْتُ ، حَمِدْتُك وَشَكَرْتُك » . لفظُ أحمدَ . وقال الترمذىُّ : هذا حديثٌ حسنٌ ، وعلىُّ بنُ يَزِيدَ يُضَعَّفُ فى الحديثِ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى شيخٌ مِن أهلِ مِصْرَ قَدِمَ علينا منذُ بِضْعٍ وأربعين سنةً ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بَعَثَتْ قريشٌ النَّضْرَ بنَ الحارثِ ، وعُقْبَةَ بنَ أبى مُعَيْطٍ إلى أَحْبَارِ يهودَ بالمدينةِ ، فقالوا لهما : سَلُوهم عن محمدٍ ، وصِفَا لهم صِفَتَه ، وأَخْبِرَاهم بقولِه ، فإنَّهم أهلُ الكتابِ الأولِ ، وعندَهم عِلْمُ ما ليس عندَنا مِن عِلْمِ الأنبياءِ . فخرَجا حتى قَدِمَا المدينةَ ، فسَأَلا أَحْبَارَ يهودَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ووَصَفَا لهم أَمْرَه وبعضَ قولِه ، وقالا : إنَّكم أهلُ التوراةِ ، وقد جِئْنَاكم لِتُخْبِرُونا عن صاحبِنا هذا . قال : فقالت لهم أَحْبَارُ يهودَ : سَلُوه عن ثلاثٍ نَأْمُرُكم بهنَّ ، فإنْ أَخْبَرَكم بهنَّ فهو نبىٌّ مُرْسَلٌ ، وإنْ لم يَفْعَلْ فالرجلُ مُتَقَوِّلٌ ، فَرَوا فيه رَأْيَكم ؛ سَلُوه عن فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فى الدَّهْرِ الأَوَلِ ، ما كان مِن أمرِهم ؟ فَإِنَّه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ ، وسَلُوه عن رجلٍ طَوَّافٍ

---

(١) المسند ٥/ ٢٥٤، والترمذى (٢٣٤٧). ضعيف (ضعيف الترمذى ٤٠٨).

(٢ - ٢) فى الأصل : « القاسم بن أبى أسامة » . وهو خطأ . والقاسم هو ابن عبد الرحمن الشامى ، أبو عبد الرحمن . انظر تهذيب الكمال ٣٨٣/٢٣ - ٣٩١.

(٣) تقدم تخريجه فى ٥٤٢/٢ حاشية (٤)، ٥٦٢.

طَافَ مشارقَ الأرضِ ومغارِبَها ، ما كان نَبَؤُه[1] ؟ وسَلُوه عن الرُّوحِ ، ما هى ؟ فإنْ أَخبَرَكم بذلك فإنَّه نبىٌّ فاتَّبِعُوه ، وإن لم يُخْبِرْكم ، فهو رجلٌ مُتَقَوِّلٌ ، فاصْنَعُوا فى أمرِه ما بَدَا لكم . فأَقبلَ النَّضْرُ وعُقْبَةُ حتى قَدِمَا على قريشٍ فقالا : يا معشرَ قريشٍ ، قد جِئْنَاكم بفَصْلِ ما بينَكم وبينَ محمدٍ ، قد أَمَرَنا أَحْبَارُ يهودَ أنْ نَسْأَلَه عن أمورٍ . فأَخْبَرَاهم بها ، فجاءُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا محمدُ ، أَخبِرْنا . فسَأَلوه عما أَمَرُوهم به ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُخْبِرُكم غدًا بما سَأَلْتُم عنه » . ولم يَسْتَثْنِ[2] ، فانْصَرَفوا عنه ، ومكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً ، لا يُحْدِثُ اللَّهُ[3] إليه فى ذلك وَحْيًا ، ولا يَأْتِيه جبريلُ ، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكةَ ، وقالوا : وَعَدَنا محمدٌ غدًا ، واليومُ خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً ، قد أَصْبَحْنا فيها لا يُخْبِرُنا بشىءٍ مما سَأَلْناه عنه ، وحتى أَحْزَنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُكْثُ الوحيِ عنه ، وشَقَّ عليه ما يَتَكَلَّمُ به أهلُ مكةَ ، ثم جاءَه جبريلُ ، عليه السلامُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، بسورةِ « أصحابِ[4] الكَهفِ » ، فيها مُعَاتَبَتُهُ إيَّاه على حزنِه [٢/٨٣ظ] عليهم ، وخبرُ ما سَأَلوه عنه مِن أمرِ الفتيةِ والرجلِ الطَّوَّافِ ، وقولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] . وقد تَكَلَّمْنا على ذلك كلِّه فى « التفسيرِ »[5] مُطَوَّلًا ، فمَن أَرادَه فعليه بكَشْفِه مِن هناك . ونزَل قولُه : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ص : « بناؤه » .

(٢) أى لم يقل : إن شاء اللَّه . وانظر ما تقدم فى ٢/ ٥٧٠.

(٣) سَقَط لفظ الجلالة من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) التفسير ٥/١١١ - ١١٤، ١٣٤ - ١٤٧، ١٨٥ - ١٩٥.

أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]. ثم شرَع فى تفصيلِ أمرِهم، واعْتَرَضَ فى الوَسَطِ بتَعليمِه[1] الاستثناءَ، تحقيقًا لا تعليقًا، فى قولِه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]. ثم ذكَر قصةَ موسى؛ لتَعَلُّقِها بقصةِ الخَضِرِ، ثم ذى القرنَيْنِ، ثم قال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣]. ثُم شرَح أمرَه وحكَى خبرَه، وقال فى سورةِ «سبحانَ»: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾. أى خَلقٌ عجيبٌ مِن خَلقِه، وأمرٌ مِن أمرِه، قال لها: كُونِى. فكانت، وليس لكم الاطِّلَاعُ على كلِّ ما خَلَقه، [2]وتَفْسيرُ كَيْفِيَّتِه[2] فى نفسِ الأَمرِ [3]يَصْعُبُ عليكم[3]، بالنسبةِ إلى قُدرةِ اللَّهِ تعالى وحكمتِه؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقد ثبَت فى «الصحيحَيْنِ»[4]، أنَّ اليهودَ سَأَلوا عن ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، فتَلَا عليهم هذه الآيةَ. فإمّا أنَّها نزلتْ مرةً ثانيةً، أو ذَكَرها جوابًا، وإن كان نُزولُها متقدِّمًا، ومَن قال: إنها إنَّما نَزَلَتْ بالمدينةِ. واسْتَثْنَاها مِن سورةِ «سبحانَ»، ففى قولِه نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ولمّا خَشِيَ أبو طالبٍ دَهْمَاءَ[6] العربِ، أن يَرْكَبُوه مع

(١) أى فى وسط السورة، والضمير عائد إلى النبى ﷺ. أى تعليم اللَّه له.

(٢ - ٢) فى م، ص: «وتصوير حقيقته».

(٣ - ٣) فى ص: «يضعف علمكم».

(٤) البخارى (١٢٥، ٤٧٢١، ٧٢٩٧، ٧٤٥٦، ٧٤٦٢)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧٢.

(٦) دهماء العرب: عامتهم وسوادهم.

قومِه ، قال قصيدَتَه التى تَعَوَّذَ فيها بحرمِ مكةَ ، وبمكانِه منها ، وتَوَدَّدَ فيها أشرافَ قومِه ، وهو على ذلك يُخْبِرُهم وغيرَهم فى شعرِه أنه غيرُ مُسْلِمٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ولا تارِكه لشىءٍ أبدًا حتى يَهْلِكَ دُونَه ، فقال :

ولمّا رَأَيْتُ القومَ لا وُدَّ فيهِمُ ... وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوسائلِ

وقد صارَحُونا بالعداوةِ والأَذَى ... وقد طاوَعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ

وقد حالَفوا قومًا علينا أَظِنَّةً[1] ... يَعَضُّون غَيْظًا خَلْفَنا بالأناملِ

صَبَرْتُ لهم نفسي بسمراءَ سَمْحَةٍ ... وأبيضَ عَضْبٍ من تُراثِ المَقَاوِلِ[2]

وأَحْضَرْتُ عندَ البيتِ رَهْطِى وإِخْوَتِى ... وأَمْسَكْتُ من أثوابِه بالوصائلِ

قيامًا معًا مُستقبِلينَ رِتاجَه ... لَدَى حيثُ يَقضِى حَلْفَه[3] كلُّ نافِلِ[4]

وحيثُ يُنِيخُ الأَشْعَرُون رِكابَهم ... بمُفْضَى السُّيولِ مِن إسافٍ ونائلِ

مُوَسَّمَةَ الأَعْضادِ أو قَصَراتِها ... مُخَيَّسَةً بينَ السَّدِيسِ وبازِلِ[5]

تَرَى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينةً ... بأعناقِها معقودةً كالعَثَاكِلِ[6]

أعوذُ بربِّ الناسِ[7] مِن كلِّ طَاعِنٍ ... علينا بسُوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ[8]

---

(١) فى الأصل : « أعزة » .

(٢) أبيض عضب : سيف قاطع . المقاول : جمع قَيل ، وهو المَلِك ، ويجمع على أقيال .

(٣) فى الأصل : « حقه » .

(٤) الرتاج : المغلاق ، وهو ما يغلق به الباب . نافل : متبرئ .

(٥) موسمة : مُعَلَّمة . قصرات : جمع قصرة ، وهى أصل العنق . مخيسة : مذللة . السديس : البعير الذى دخل فى السنة الثامنة . البازل : البعير الذى طلع نابه .

(٦) العثاكل : جمع عِثكال وعُثكول ، وهو العِذق ، والشِّمراخ الذى عليه البُسر .

(٧) فى الأصل ، ص : « البيت » .

(٨) فى الأصل : « مماطل » .

ومِنْ كاشِحٍ يَسْعَى لنا بِمَعِيبَةٍ	ومِنْ مُلحِقٍ فى الدِّينِ ما لم نُحاوِلِ
وثَوْرٍ ومَن أَرْسَى ثَبِيرًا مكانَه	وراقٍ لِبِرٍّ[1] فى حِرَاءٍ ونازِلِ[2]
وبالبيتِ حقٌّ البيتِ مِن بطنِ مكةٍ	[٨٤/٢و] وباللّهِ إنَّ اللّهَ ليس بغافِلِ
وبالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَه	إذا اكْتنَفوه بالضُّحَى والأَصائِلِ
ومَوْطِئِ إبراهيمَ فى الصَّخرِ رَطْبَةً	على قدَمَيْه حافيًا غيرَ ناعِلِ
وأشْواطِ بينَ المَرْوَتَيْن إلى الصَّفَا	وما فيهما مِن صورةٍ وتماثِلِ[3]
ومَن حَجَّ بيتَ اللّهِ مِن كلِّ راكبٍ	ومِن كلِّ ذى نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ
وبالمَشْعَرِ الأَقْصَى إذا عَمَدوا له	إلالًا إلى مُفْضَى الشِّراجِ القوابلِ[4]
وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عَشِيَّةً	يُقِيمون بالأَيْدِى صُدورَ الرَّواحلِ
وليلةِ جَمْعٍ والمنازِلِ مِن مِنًى	وهل فوقَها مِن حُرمةٍ ومنازِلِ
[5]وجَمْعٍ إذا ما المُقْرِباتُ أَجَزْنَه	سِراعًا كما يَخْرُجْنَ مِن وَقْعِ وابلِ[5][6]
وبالجمرةِ الكُبرَى إذا صَمَدوا لها	يَؤُمُّون قَذْفًا رأسَها بالجنادلِ
وكِنْدَةَ إذْ هم بالحِصَابِ عَشِيَّةً	تُجِيزُ بهم حُجّاجُ بَكْرِ بنِ وائلِ[7]

---

(١) البيت تقدم فى صفحة ١٢.

(٢) ثور وثبير وحراء: جبال بمكة.

(٣) التماثل: التماثيل. وأسقطت الياء للضرورة الشعرية.

(٤) إلال: كسَحاب وكِتاب؛ جبل بعرفات، أو جَبل رمليٌ عن يمين الإمام بعرفة. شراج: جمع شَرْج، وهو مسيل الماء. القوابل: المتقابلة.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل.

(٦) المقربات: المقربة والمقرب من الخيل: التى تُدنى وتُكرَّم ولا تُترك أن ترُود. اللسان (ق ر ب).

(٧) الحصاب: موضع الجمار. اللسان (ح ص ب).

حَلِيفانِ شَدًّا عقدَ ما احْتَلَفا له ... ورَدًّا عليه عاطِفاتِ الوسائلِ

وحَطْمِهِمُ سُمْرَ الصِّفَاحِ[1] وسَرْحَه ... وشِبْرِقَه وَخْدَ النَّعَامِ الجوافلِ[2]

فهل بعدَ هذا مِنْ مَعاذٍ لعائذٍ ... وهل مِن مُعيذٍ يتَّقِى اللّهَ عاذلِ

يُطاعُ بنا [3]العِدَى ووَدُّوا لوَ[3] أنَّنا ... تُسَدُّ بِنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُلِ

كذَبْتُمْ وبيتِ اللّهِ نَتْرُكُ مَكَّةً ... ونَظْعَنُ إلّا أمرُكم فى بلابلِ[4]

كَذَبْتُمْ وبيتِ اللّهِ نُبْزَى محمدًا ... ولمَّا نُطاعِنْ[5] دُونَه ونُناضِلِ[6]

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَه ... ونَذْهَلَ عن أبْنائِنا والحلائِلِ

ويَنْهَضَ قومٌ بالحديدِ إليكمُ ... نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصلِ[7]

وحتى نَرَى ذا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَه ... مِن الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المتحامِلِ

وإنّا لَعَمْرُ اللّهِ إنْ جَدَّ ما أَرَى ... لَتَلْتَبِسَنْ أسْيافُنا بالأَماثلِ

بكَفَّىْ فتًى مِثْلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ[8] ... أخِى ثِقَةٍ حامِى الحَقيقةِ باسِلِ

شُهورًا وأيامًا وحَوْلًا مُجَرَّمًا[9] ... علينا وتَأْتِى حِجَّةٌ بعدَ قابلِ

---

(١) فى م : «الرماح».

(٢) الحطم : الكَسْر فى أى وجهٍ كان ، وقيل : هو كسر الشىء اليابس خاصةً كالعظم ونحوه . السمر : شجر الطلح . الصفاح : جمع صفح ، وهو سطح الجبل . السرح : شجر عظام . الشبرق : نبات غضٌّ . الوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو فى المشى . الجوافل : المسرعة .

(٣ - ٣) فى م : «أمر العدا ود». والعدى : جمع عادٍ .

(٤) بلابل : جمع بلبال وبلبالة ؛ وهو شدة الهمّ والوسواس .

(٥) فى الأصل ، م : «نقاتل».

(٦) نبزى: نُسْلَب ونُغلَب عليه .

(٧) الروايا : جمع راوية ، وهى الإبل التى تحمل الماء والأسقية .

(٨) السميدع : الكريم السيد الجميل الجسيم الموطَّأ الأكناف . اللسان (سمدع) .

(٩) فى الأصل ، م: «محرما»، وفى ص: «مجرعا». والمثبت من السيرة . ومجرما : كاملا .

وما تَرْكُ قومٍ - لا أَبَا لَكَ - سيِّدًا   يَحُوطُ الذِّمارَ غيرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ[1]

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه   ثِمَالَ اليتامى عِصْمَةً للأرامِلِ[2]

يَلُوذُ به الهُلَّاكُ مِن آلِ هاشِمٍ   فهُمْ عندَه فى رحمةٍ[3] وفَوَاضِلِ

لَعَمْرِى لقد أَجْرَى أَسِيدٌ وبِكْرُه   إلى بُغْضِنا وجَزَّآنا لآكلِ

وعثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقُنْفُذٌ   ولكنْ أَطاعَا أمْرَ تلك القبائلِ

أطاعَا أُبَيًّا وابنَ عبدِ يَغُوثِهم   ولم يَرْقُبا فِينا مَقالةَ قائلِ

كما قد لَقِينا مِن سُبَيْعٍ ونَوْفَلٍ   وكلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لم يُجامِلِ

فإنْ يُلْفَيا أو يُمْكِنِ اللّهُ منهما   نَكِلْ لهما صاعًا بصاعِ المُكايِلِ

وذاك أبو عمرٍو أَبَى غيرَ بُغْضِنا   لِيُظْعِنَنا فى أهلِ شاءٍ وجامِلِ[4]

يُنَاجِى بنا فى كلِّ مُمْسًى ومُصْبَحٍ   فناجِ أبا عَمْرٍو بنا ثُم خَاتِلِ[5]

ويُؤْلِى لنا باللّهِ ما إنْ يَغُشُّنا   بلى قد نَراه[6] جَهْرةً غيرَ حائِلِ

أَضاقَ عليه بغضُنا كلَّ تَلْعَةٍ   [٨٤/٢ظ] مِن الأرضِ بينَ أَخْشُبٍ فَمَجادِلِ[7]

---

(١) الذمار : ما ينبغى حمايته . الذرب : الفاحش المنطق . مواكل : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره .

(٢) ثمال اليتامى : غِياثُهم ، أى يقوم بهم ويكفلهم .

(٣) فى ص : « نعمة » .

(٤) جامل : القطيع من الإبل برعاته وأربابه . القاموس المحيط (ج م ل) .

(٥) خاتله : خدعه .

(٦) فى م : « تراه » .

(٧) التلعة : ما ارتفع من الأرض . وقال السهيلى فى الروض ٩٧/٣ ، ٩٨ : « قوله : من الأرض بين أخشب فمجادل . أراد الأخاشب ، وهى جبال مكة ، وجاء به على أخشب ؛ لأنه فى معنى أَجْبُل - جمع جبل -... والمجادل جمع مجدل ، وهو القصر ، كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق » .

وسائِلْ أبا الوليدِ ماذا حَبَوْتَنا بسَعْيِك فينا مُعْرِضًا كالمُخَاتِلِ

وكنتَ امْرَءًا مِمَّن يُعاشُ بِرأْيِه ورَحْمتِه فينا ولستَ بجاهِلِ

فعُتْبةُ لا تَسْمَعْ بنا قولَ كَاشِحٍ حَسودٍ كذوبٍ مُبْغِضٍ ذي دَغاولِ[1]

ومَرَّ أبو سُفْيانَ عنِّيَ[2] مُعْرِضًا [3]كما مَرَّ[3] قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ المَقَاوِلِ

يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مِياهِه ويَزْعُمُ أنِّي لستُ عنكم بغافلِ

ويُخْبِرُنا فِعْلَ المُناصِحِ أنَّه شَفيقٌ ويُخْفِي عارماتِ الدواخلِ[4]

أمُطْعِمُ لم أَخْذُلْك في يومِ نَجْدَةٍ ولا مُعْظِمٍ عندَ الأُمورِ الجلائلِ

ولا يومِ خَصْمٍ إذْ أَتَوْك أَلِدَّةٌ[5] أُولِي جَدَلٍ مِن الخصومِ المساجلِ[6]

أَمُطْعِمُ إنَّ القومَ سامُوك خُطَّةً وإنِّي متى أُوكَلْ فلستُ بوائلِ[7]

جزى اللَّهُ عنَّا عبدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا عُقوبةَ شرٍّ عاجلًا غيرَ آجلِ

بميزانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ[8] شَعيرةً له شاهدٌ مِن نفسِه غيرُ عائلِ

لقد سَفُهَتْ أحلامُ قَومٍ تبدَّلوا بني خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطلِ[9]

ونحن الصَّمِيمُ مِن ذُؤَابَةِ هاشمٍ وآلِ قُصَيٍّ في الخُطُوبِ الأَوائلِ

---

(١) الدغاول: الدواهي، والغوائل. اللسان (د غ ل).

(٢) في ص: «عنا».

(٣ - ٣) في الأصل، ص: «كأنه».

(٤) الدواخل: جمع داخلة، وداخلة الرجل: باطن أمره.

(٥) في الأصل، ص: «أشدة».

(٦) في ص: «المساحل». والمساجل: من المُساجَلَة، وهي المُفاخرة.

(٧) وائل: ناج.

(٨) في م: «يخيس». وأخس: نَقَصَ.

(٩) قيضا: عوضا. الغياطل: بنو سهم.

وسَهْمٌ ومَخْزُومٌ تَمَالَوْا وأَلَّبوا … علينا العِدَى مِن كل طِمْلٍ وخامِلِ [(١)]

فعبدَ منافٍ أنتمُ خيرُ قَوْمِكم … فلا تُشْرِكوا فى أَمْرِكم كلَّ واغلِ [(٢)]

لَعَمْرِى لقد وَهَنْتُمُ وعَجَزْتُمُ … وجِئْتم بأمْرٍ مخطئٍ للمَفَاصلِ [(٣)]

وكنتم حديثًا حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ … ألان حِطَابُ [(٤)] أَقْدُرٍ ومَرَاجلِ [(٥)]

لِيَهْنِ بنى عبدِ مَنَافٍ عقوقُنا … وخِذْلانُنا وتَرْكُنا فى المعاقلِ

فإنْ نَكُ قومًا نَتَّئِرْ ما صنَعْتُمُ … وتَحْتَلِبوها لِقْحةً غيرَ باهلِ [(٦)]

[(٧)] وسائطُ كانت فى لُؤَىِّ بنِ غالبٍ … نَفَاهم إلينا كلَّ صَقْرٍ حُلاحِلِ [(٨)]

ورهطُ نُفَيلٍ شرُّ مَن وَطِئَ الحَصى … وألأَمُ حافٍ مِن مَعَدٍّ وناعلِ [(٧)]

فأَبْلِغْ قُصَيًّا أنْ سيُنْشَرُ أَمرُنا … وبَشِّرْ قُصَيًّا بعدَنا بالتّخاذُلِ

ولو طَرَقَتْ ليلًا قُصَيًّا عظيمةٌ … إذًا ما لجَأْنا دُونَهم فى المداخِلِ

ولو صدَقوا ضَرْبًا خلالَ بُيُوتِهم … لَكُنَّا أُسًى عندَ النساءِ المَطافلِ [(٩)]

فَكُلُّ صديقٍ وابنُ أُخْتٍ نَعُدُّه … لَعَمْرِى وجدْنا غِبَّه غيرَ طائلِ

---

(١) الطمل: الرجل الفاحش.

(٢) الواغل: الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم ولم يدعوه إليه.

(٣) مخطئ للمفاصل: بعيد عن الصواب.

(٤) فى م: «أحطاب»، وحطاب: جمع حاطب.

(٥) أقدر: يعنى القُدُور. وقوله: «ألان». يريد: الآن.

(٦) نتئر: نأخذ بثأرنا منكم. واللقحة: الناقة ذات اللبن. والباهل: الناقة مباحة الحلب.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) الحلاحل: السيد فى عشيرته، الشجاع الركين فى مجلسه.

(٩) أسى: جمع أسوة. والمطافل جمع مُطفل؛ وهى ذات الطِّفْل من الإنسان والوحش معها طفلها.

سوى أنَّ رَهْطًا مِن كِلابِ بنِ مُرَّةٍ ... بَـرَاءٌ إلـينا مِـن مَـعَـقَّـةِ خـاذلِ

[1]وهَنَّا لهمْ حتى تَبَدَّدَ جَمْعُهمْ ... ويَحْسُرَ عنا كُلُّ باغٍ وجاهلِ

وكانَ لنا حَوْضُ السِّقايةِ فيهمُ ... ونحن الكُدَى مِن غالبٍ والكواهلِ[2]

شبابٌ مِن المُطَّيَّبينَ وهاشمٍ ... كبِيضِ السُّيوفِ بينَ أيدى الصَّياقِلِ[3]

فما أدْركوا ذَحْلًا ولا سَفَكُوا دَمًا ... ولا حالَفوا إلا شِرَارَ القبائلِ[4]

بضَرْبٍ تَرَى الفِتيانَ فيه كأنَّهم ... ضَوارى أُسودٍ فوقَ لَحْمٍ خَرادِلِ[5]

بنى أَمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكِيَّةٍ ... بنى جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بنِ عاقِلِ[6]

ولكنَّنا نَسْلٌ كِرامٌ لِسادةٍ ... بهم نُعِيَ الأقوامُ عندَ البَواطلِ[1]

ونِعْمَ ابنُ أُختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ ... زُهيرٌ حُسامًا مُفْرَدًا مِن حَمائلِ

أَشَمُّ مِن الشُّمِّ البهاليلِ يَنْتَمِى ... إلى حَسَبٍ فى حَوْمَةِ المجْدِ فَاضِلِ[7]

لَعَمْرِى لقد كُلِّفْتُ وَجْدًا بأحمدٍ ... وإخوتِه دَأْبَ المحُبِّ المُواصِلِ[8]

فمَن مِثْلُه فى الناسِ أىُّ مُؤَمَّلٍ ... إذا قاسَه الحُكَّامُ عندَ التَّفاضُلِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) الكدى: جمع كدية، وهى الصخرة العظيمة الشديدة. والكواهل: جمع كاهل وهو سند القوم وعهدتهم.

(٣) الصياقل: جمع صيقل وهو مَن صناعته جلاء السيوف.

(٤) الذحل: الثأر.

(٥) الخرادل: من خَرْدَل اللحم؛ أى قطَع أعضاءه وافرةً.

(٦) هندكية: ذات أصل هندى.

(٧) البهاليل: جمع بُهْلُول، وهو السيد الجامع لصفات الخير.

(٨) زاد ابن هشام بعده:

فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل

حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ ... يُوالِى إلَـهًا ليس عنه بغافلِ

(١ كريمُ المَساعِى ماجدٌ وابنُ ماجدٍ ... له إرْثُ مَجْدٍ ثابتٍ غيرِ نَاصلِ ١)(٢)

(٣ وأيَّدَه ربُّ العِبادِ بنَصْرِه ... وأَظْهَرَ دِينًا حَقُّه غيرُ زائلِ ٣)

فواللَّهِ لولا أنْ أَجِىءَ بسُبَّةٍ ... تُجَرُّ على أشْياخِنَا فى المَحافلِ

[٢/٨٥و] لكُنَّا اتَّبَعْناه على كُلِّ حالةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غيرَ قولِ التَّهازُلِ

لقد عَلِمُوا أنَّ ابْنَنَا لا مُكذَّبٌ ... لَدَيْنا ولا يُعنَى بقولِ الأباطلِ

فأَصْبَحَ فينا أحمدٌ فى أَرُومَةٍ ... تُقَصِّرُ عنها سَوْرَةُ المُتطاوِلِ(٤)

حَدِبْتُ بنفسى دُونَه وحَمَيْتُه ... ودافعْتُ عنه بالذُّرَا والكَلاكِلِ(٥)

قال ابنُ هِشامٍ(٦) : هذا ما صَحَّ لى مِن هذه القصيدةِ ، وبعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ يُنْكِرُ أكثَرَها .

قلتُ : هذه قصيدةٌ عظيمةٌ فصيحةٌ(٧) بليغةٌ جِدًّا ؛ لا يستطيعُ أنْ يَقولَها إلّا

(١ - ١) هذا البيت زيادة من النسخ . ولعله من زيادات الأموى كما سيذكر المصنف .

(٢) ناصل : زائل .

(٣ - ٣) هكذا موضع هذا البيت فى النسخ ، وقد وقع فى السيرة قبل آخر بيتين ، واللَّذَيْن لم يذكرهما الحافظ ابن كثير . وسنذكرهما فى الحاشية .

(٤) سورة : شدة وبطش .

(٥) الذُّرا : ما استتر به ، ويقال : أنا فى ذرا فلان : فى كنفه . ويقال : تَذَرَّى بفلان : احتمى به وصار فى كنفه . الوسيط (ذ ر و) . والكلاكل : جمع كلكل وكلكال وهو الصدر ، أو هو ما بين الترقوتين . الوسيط (كلكل) . وزاد ابن هشام بعدها هذين البيتين :

رجال كرام غير ميل نماهم ... إلى الخير آباء كرام المحاصل

فإن تك كعب من لؤى صقيبة ... فلابد يوما مرة من تزايل

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٠.

(٧) زيادة من : ص .

مَن نُسِبَتْ إليه، وهى أفحلُ مِن المعلَّقاتِ السَّبْعِ، وأبلَغُ فى تأديةِ المعنى (1 مِنها جميعًا 1)، وقد أورَدَها الأُمَوِىُّ فى «مَغازِيه» مطوَّلةً بزياداتٍ أُخَرَ. واللَّهُ أعلمُ.

(1 - 1) فى الأصل، م: «فيها جميعها».

فصـل

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّهم عَدَوْا على مَن أَسْلَمَ واتَّبَعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن أصحابِه ، فوثَبَتْ كلُّ قبيلةٍ على مَن فيها مِن المسلمينَ ، فجعَلُوا يَحْبِسونَهم ويُعَذِّبونَهم بالضربِ والجوعِ والعطشِ ، وبرَمْضاءِ مكةَ إذا اشْتدَّ الحرُّ ؛ مَن استَضْعَفوه منهم ، يَفْتِنونَهم عن دينِهم ، فمنهم مَن يُفْتَنُ مِن شدةِ البلاءِ الذى يُصِيبُهم ، ومِنهم مَن يَصْلُبُ لهم ، ويَعْصِمُه اللَّهُ منهم ، فكان بِلالٌ مولَى أبى بكرٍ لبعضِ بنى جُمَحَ مُوَلَّدًا[2] مِن مُوَلَّدِيهم ، وهو بِلالُ بنُ رَباحٍ ، وكان اسمُ أُمِّه حَمامةَ ، وكان صادقَ الإسلامِ ، طاهرَ القلبِ ، وكان أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ يُخْرِجُه إذا حَمِيَتِ الظهيرةُ ، ثُم يَأْمُرُ بالصخرةِ العظيمةِ فتُوضَعُ على صَدْرِه ، ثُم يقولُ له : لا واللَّهِ ، لا تَزالُ هكذا حتى تَموتَ ، أو تَكْفُرَ بمحمدٍ وتَعْبُدَ اللَّاتَ والعُزَّى . فيقولُ وهو فى ذلك : أَحَدٌ أَحَدٌ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فحدَّثَنى هشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : كان وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ به وهو يُعَذَّبُ بذلك ، وهو يقولُ : أحدٌ أحدٌ . فيقولُ : أحدٌ أحدٌ واللَّهِ يا بلالُ . ثُم يُقْبِلُ على أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ ، ومَن يَصْنَعُ ذلك به مِن بنى جُمَحَ فيقولُ :

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٧.

(٢) المُوَلَّد من الرجال : العربى غير المحض ، ومَن ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم وتأدب بآدابهم . الوسيط (و ل د) .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٨.

أَحلِفُ باللَّهِ، لَئِنْ قَتَلْتُموه على هذا لَأَتَّخِذَنَّه حَنَانًا[1].

قلتُ: قد استَشكَلَ بعضُهم هذا، مِن جهةِ أنَّ ورقة تُوُفِّىَ بعدَ البِعْثَةِ فى فترةِ الوَحيِ، وإسلامُ مَن أسلَمَ إنَّما كان بعدَ نزولِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ فكيف يَمُرُّ وَرَقَةُ ببلالٍ وهو يُعَذَّبُ؟ [2]وفيه نظرٌ. ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[3] مرورَ أبى بكرٍ ببلالٍ وهو يُعَذَّبُ[2]، فاشتراه مِن أُمَيَّةَ بعبدٍ له أسودَ، فأَعْتَقَه وأَراحَه مِن العذابِ، وذكَر مُشْتَرَاه لجماعةٍ ممَّن أسلم مِن العبيدِ والإماءِ[4]؛ منهم بلالٌ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وأمُّ عُبَيْسٍ[5]، وزِنِّيرَةُ[6] التى أُصِيبَ بصرُها ثم رَدَّه اللَّهُ تعالى لها، والنَّهْدِيَّةُ وابنتُها، اشتراهما[7] مِن بنى عبدِ الدَّارِ، بَعَثَتْهما سَيِّدَتُهما تَطْحَنانِ لها، فسَمِعَها وهى تقولُ لهما: واللَّهِ لا أُعْتِقُكما أبدًا. فقال أبو بكرٍ: حِلًّا[8] يا أمَّ فلانٍ. فقالت: حِلًّا، أنت أَفْسَدْتَهما فأَعْتِقْهما. قال: فبكم هما؟ قالت بكذا وكذا. قال: قد أَخَذْتُهما، وهما حُرَّتَان، أَرْجِعَا إليها طَحِينَها. قالتا: أَوَ نَفْرَغُ منه يا أبا بكرٍ ثُم نَرُدُّه إليها؟ قال: ذلك إنْ شِئْتُما. واشتَرَى جاريةَ بنى مُؤَمَّلٍ - حَىٌّ مِن بنى عَدِىٍّ - كان عُمَرُ يَضْرِبُها على الإسلامِ.

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ١/ ٤٥٢: الحنان: الرحمة والعطف. والحنان الرزق والبركة. أراد: لأجعلن قبره موضع حنان، أى مظنة من رحمة اللَّه. النهاية ١/ ٤٥٢.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٧١. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨، ٣١٩.

(٥) فى النسخ: «عميس». والمثبت من مصدرى التخريج. وانظر أسد الغابة ٧/ ٣٦٥. والإصابة ٨/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧) فى م: «اشتراها».

(٨) أى، تحللى من يمينك.

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فحدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى عَتِيقٍ ، عن عامرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن بعضِ أهلِه قال : قال أبو قُحَافَةَ لأبى بكرٍ : يا بُنَىَّ ، إنِّى أَرَاك تُعْتِقُ ضِعافًا ، فلو أنَّك إذْ فعلتَ ما فعلتَ أَعْتَقْتَ رجالًا جُلَدَاءَ ، يَمْنَعُونك ويَقُومُون دونَك ! قال : فقال أبو بكرٍ : يا أَبَتِ ، إنِّى إنَّما أُرِيدُ ما أُرِيدُ . قال : فيُتَحَدَّثُ أنه ما أُنْزِلَ هؤلاءِ الآياتُ إلّا فيه وفيما قال أبوه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ - ٧] . [٢/٨٥ظ] إلى آخرِ السورةِ .

وقد تَقَدَّمَ ما رَوَاه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَه[(٢)] ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن زِرٍّ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : أولُ مَن أَظْهَرَ الإسلامَ سبعةٌ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعَمَّارٌ ، وأمُّه سُمَيَّةُ ، وصُهَيْبٌ ، وبلالٌ ، والمِقْدَادُ ، فأمَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ فمَنَعَه اللَّهُ بعمِّه ، وأبو بكرٍ منَعَه اللَّهُ بقومِه ، وأمّا سائرُهم فأخَذَهم المشركون ، فألْبَسُوهم أَدْرَاعَ الحديدِ وصَهَرُوهم فى الشمسِ ، فما منهم مِن أحدٍ إلّا وقد واتَاهم على ما أَرَادوا إلّا بلالًا ، فإنَّه هانتْ عليه نفسُه فى اللَّهِ تعالى ، وهانَ على قومِه ، فأَخَذُوه فأَعْطَوْه الوِلْدَانَ ، فجعَلُوا يَطُوفُون به فى شِعَابِ مكةَ ، وهو يقولُ : أحدٌ أحدٌ . ورَوَاه الثَّوْرِىُّ ، عن مَنْصُورٍ ، عن مجاهدٍ مُرْسَلًا[(٢)] .

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : وكانت بنو مَخْزُومٍ يَخْرُجُون بعمارِ بنِ ياسرٍ ، وبأبيه

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧١، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٩.
(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٢ .
(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٩.

وأُمِّه - وكانوا أهلَ بيتِ إسلام - إذا حَمِيَتِ الظهيرةُ يُعَذِّبُونهم برَمْضَاءِ مكةَ ، فيَمُرُّ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيقولُ - فيما بَلَغَنى - : « صَبْرًا آلَ ياسرٍ ، مَوْعِدُكم الجنةُ » .

وقد روَى البَيْهَقِيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن إبراهيمَ بنِ عِصْمَةَ العَدْلِ ، حدَّثَنا السَّرِيُّ بنُ خُزَيْمَةَ ، حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا هشامُ بنُ أبى عبيدِ اللَّهِ ، عن أبى الزُّبَيْرِ ، عن جابرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بعمارٍ وأهلِه وهم يُعَذَّبُون فقال : « أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وآلَ[2] ياسِرٍ ، فإنَّ موعدَكم الجَنَّةُ » . فأمَّا أُمُّه [3]فقَتَلُوها ؛ تأْبَى[3] إلّا الإسلامَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا وَكِيعٌ عن سفيانَ ، عن مَنْصُورٍ ، عن مجاهدٍ قال : أولُ شهيدٍ كان فى[5] الإسلامِ استُشهِدَ أمُّ عمارٍ سُمَيَّةُ ، طَعَنَها أبو جَهْلٍ بحربةٍ فى قُبُلِها[6] . وهذا مُرْسَلٌ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] : وكان أبو جَهْلٍ الفاسقُ الذى يُغْرِى بهم فى رجالٍ مِن قريشٍ ، إذا سَمِعَ بالرجلِ قد أسلَم له شَرَفٌ ومَنَعَةٌ ، أَنَّبه وخَزَّاه ، وقال : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لنُسَفِّهَنَّ حِلْمَك ، ولَنُفَيِّلَنَّ[8] رأيَك ،

---

(1) فى الدلائل ٢/ ٢٨٢. وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٣٨٨، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(2) كذا فى النسخ والمستدرك ، وفى الدلائل : « أو آل » .

(3 - 3) فى الأصل ، م : « فيقتلوها فتأبى » .

(4) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٢، من طريق الإمام أحمد به .

(5) بعده فى الأصل ، م : « أول » .

(6) فى الأصل ، م : « قلبها » .

(7) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠.

(8) فى م : « لنفلين » . ولنفيّلن رأيك : لنقبحنه ونخطئنه .

ولَنَضَعَنَّ شرفَك. وإنْ كان تاجرًا قال: واللَّهِ لنُكْسِدَنَّ تجارتَك، ولنُهْلِكَنَّ مَالَكَ. وإن كان ضعيفًا ضَرَبه وأَغْرَى به. لعَنَه اللَّهُ وقَبَّحه.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: وحدَّثنى حَكِيمُ بنُ جُبَيْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ: أكان المشركون يَبْلُغُون مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن العذابِ ما يُعْذَرون به فى تركِ دينِهم؟ قال: نَعَمْ واللَّهِ، إنْ كانوا لَيَضْرِبُون أحدَهم ويُجِيعُونه ويُعَطِّشُونه، حتى ما يَقْدِرُ أنْ يَسْتَوِىَ جالسًا مِن شِدَّةِ الضُّرِّ الذى به، حتى يُعْطِيَهم ما سَأَلُوه مِن الفتنةِ، حتى يقولوا له: اللاتُ والعُزَّى إلـٰهُكَ[2] مِن دونِ اللَّهِ؟ فيقولُ: نَعَمْ. افْتِدَاءً منهم؛ مما يَبْلُغُون مِن جَهْدِهم.

قلتُ: وفى مِثْلِ هذا أَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية [النحل: ١٠٦]. فهؤلاء كانوا مَعْذُورين بما حصَل لهم مِن الإهانةِ والعذابِ البليغِ، أَجارَنا اللَّهُ مِن ذلك بحَوْلِه وقوتِه.

وقال الإمامُ أَحمدُ[3]: حدَّثنا أبو معاويةَ، حدَّثنا الأَعْمَشُ، عن مسلمٍ، عن مَسْرُوقٍ، عن خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ، قال: كنتُ رجلًا قَيْنًا[4]، وكان لى على العاصِ بنِ وائلٍ دَيْنٌ، فأَتَيْتُه أَتَقَاضَاه، فقال: لا واللَّهِ، لا أَقْضِيك حتى تَكْفُرَ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٧٢، ١٧٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠..

(٢) فى الأصل، م: «إلهان».

(٣) فى المسند ٥/ ١١١.

(٤) القين: الحداد.

بمحمدٍ . فقلتُ : لا واللهِ لا أكْفُرُ بمحمدٍ حتى تَمُوتَ [٨٦/٢و] ثم تُبْعَثَ . قال : فإنِّى إذا متُّ ثم بُعِثْتُ ، جِئْتَنى ولِى ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأُعْطِيك . فأَنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [مريم: ٧٧- ٨٠]. أخْرَجاه فى «الصحيحَيْن» ، وغيرِهما[1] مِن طرقٍ ، عن الأَعْمَشِ به . وفى لفظِ للبخارىِّ[2] : كنتُ قَيْنًا بمكةَ ، فعَمِلْتُ للعاصِ بنِ وائلٍ سَيْفًا ، فجئتُ أَتَقاضاه . فذكَر الحديثَ .

وقال البخارِىُّ[3] : حدَّثَنا الحُمَيْدِىُّ ، حدَّثَنا سفيانُ ، حدَّثَنا بَيانٌ[4] وإسماعيلُ ، قالا : سَمِعْنا قيسًا يقولُ : سَمِعْتُ خَبَّابًا يقولُ : أَتَيْتُ النبىَّ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بِبُرْدَةٍ وهو فى ظلِّ الكعبةِ ، وقد لَقِينا مِن المشركين شِدَّةً ، فقلتُ : أَلَا تَدْعُو اللَّهَ ؟ فقعَد وهو مُحْمَرٌّ وجهُه . فقال : «قد كان مَن كان قَبْلَكم لَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحديدِ ، ما دونَ عِظامِه مِن لحمٍ أو عَصَبٍ ، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينِه ، ويُوضَعُ المِنْشَارُ على مَفْرِقِ رأسِه فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ ، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينِه ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمْرَ ، حتى يَسِيرَ الراكبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَ مَوْتَ ، ما يَخَافُ إلَّا اللَّهَ عزَّ وجلَّ» . زاد بَيَانٌ[4] : «والذِّئبَ على غَنَمِه» . وفى

---

(١) البخارى (٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٢، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥) ، ومسلم (٢٧٩٥) ، والترمذى (٣١٦٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) البخارى (٢٢٧٥، ٤٧٣٣) .

(٣) البخارى (٣٨٥) .

(٤) فى الأصل ، م : «بنان» . وهو بيان بن بشر الأحمسى البجلى . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣.

روايةٍ[1] : « ولكنَّكم تَسْتَعْجِلُون » . انْفَرَدَ به البخاريُّ دونَ مسلمٍ . وقد رُوِىَ [2] مِن وجهٍ آخرَ ، عن خَبَّابٍ ، وهو مُخْتَصَرٌ مِن هذا[3] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، عن[2] سفيانَ ، ح[5] وابنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن سعيدِ بنِ وَهْبٍ ، عن خَبَّابٍ قال : شَكَوْنا إلى النبيِّ ﷺ شِدةَ الرَّمْضَاءِ ، فما أَشْكَانا . [6] يَعْنِى فى الصلاةِ ، وقال ابنُ جعفرٍ : فلم يُشْكِنا . وقال أيضًا[7] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ داودَ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ وَهْبٍ يقولُ : سَمِعْتُ خَبَّابًا يقولُ : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الرَّمْضَاءَ فلم يُشْكِنا[6] . قال شُعْبَةُ : يَعْنِى فى الظُّهْرِ[8] ، ورَوَاه مسلمٌ والنَّسائىُّ والبَيْهَقِىُّ[9] ، مِن حديثِ أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ ، عن سعيدِ بنِ وَهْبٍ ، عن خَبَّابٍ ، قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حرَّ الرَّمْضَاءِ - زاد البَيْهَقِىُّ : فى وجوهِنا وأَكُفِّنا - فلم يُشْكِنا . وفى رِوايةٍ[10] : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الصلاةَ فى الرَّمْضَاءِ ، فلم يُشْكِنا . ورَوَاه ابنُ

---

(١) البخارى (٣٦١٢) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) وهو الروايات الآتية .

(٤) فى المسند ٥/ ١١٠.

(٥) ليست فى النسخ . والمثبت من المسند .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) المسند ٥/ ١٠٨.

(٨) فى م : « الظهيرة » .

(٩) مسلم (٦١٩) ، والنسائى (٤٩٦) ، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٤٣٨، ٢/ ١٠٤.

(١٠) مسلم (١٨٩/٦١٩) .

ماجه[1] ، عن عليّ بنِ محمدٍ الطَّنَافِسِيّ ، عن وَكِيعٍ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبى إسحاقَ ، عن حارثَةَ بنِ مُضَرِّبٍ العَبْدِيّ ، عن خَبَّابٍ قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يُشْكِنا . والذى يَقَعُ لى - واللَّهُ أعلمُ - أنَّ هذا الحديثَ مُخْتَصَرٌ مِن الأولِ ، وهو أنَّهم شَكَوْا إليه ﷺ ما يَلْقَوْن مِن المشركِين مِن التعذيبِ بِحَرِّ الرَّمْضَاءِ ، وأنَّهم يَسْحَبُونهم على وجوهِهم فيَتَّقُون بأَكُفِّهم ، وغيرِ ذلك مِن أنواعِ العذابِ ، كما تَقَدَّمَ عن ابنِ إسحاقَ وغيرِه ، وسألوا منه ﷺ أنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لهم على المشركين ، أو يَسْتَنْصِرَ عليهم ، فوَعَدَهم ذلك ولم يُنْجِزْه لهم فى الحالةِ الراهنةِ ، وأخبَرَهم عمَّن كان قَبْلَهم ؛ أنَّهم كانوا يَلْقَوْن مِن العذابِ ما هو أشدُّ مما أصابَهم ، ولا يَصْرِفُهم ذلك عن دِينِهم ، ويُبَشِّرُهم أنَّ اللَّهَ سَيُتِمُّ هذا الأمرَ ، ويُظْهِرُه ، ويُعْلِيه ، ويَنْشُرُه ، ويَنْصُرُه فى الأَقاليمِ والآفاقِ ، حتى يَسِيرَ الراكبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ ، لا يَخافُ إلّا اللَّهَ عزَّ وجلَّ ، والذئبَ على غَنَمِه ، « ولكنَّكم تَسْتَعْجِلُون » . ولهذا قال : شَكَوْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حَرَّ الرَّمْضَاءِ فى وجوهِنا وأَكُفِّنا ، فلم يُشْكِنا . أىْ ، لم يَدْعُ لنا فى الساعةِ الراهنةِ ، فمَن اسْتَدَلَّ بهذا الحديثِ على عدمِ الإبْرادِ ، [٨٦/٢ظ] أو على وجوبِ مباشرةِ المُصَلَّى بالكَفِّ ، كما هو أحدُ قَوْلَىِ الشافعىِّ ، ففيه نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) ابن ماجه (٦٧٥) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٥٤٩) .

بـــابُ

مجادلةِ المشرِكين رسولَ اللهِ ﷺ، وإقامتِه الحُجَّةَ الدامغةَ عليهم، واعترافِهم فى أنفسِهم بالحقِّ، وإنْ أَظْهَرُوا المخالفةَ؛ عِنَادًا، وحَسَدًا، وبَغْيًا، وجُحُودًا

قال إسحاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ[(1)]: حدَّثَنا عبدُ الرزاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن أيوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ الوليدَ بنَ المُغيرَةِ جاءَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقرَأ عليه القرآنَ، فكأنَّه رَقَّ له، فبلَغَ ذلك أبا جَهْلٍ، فأتاه فقال: يَا عَمِّ، إنَّ قومَك يُرِيدون[(2)] أنْ يَجْمَعُوا لك مالًا. قال: لِمَ؟ قال: لِيُعْطُوكَه، فإنَّك أتيتَ محمدًا لِتَعْرِضَ لِمَا قِبَلَه. قال: قد عَلِمَتْ قريشٌ أنِّى مِن أكثرِها مالًا. قال: فَقُلْ فيه قولًا يَبْلُغُ قومَك أنَّك مُنْكِرٌ له. قال: وماذا أقولُ؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أَعْلَمُ[(3)] بالأشعارِ منى، ولا أعْلَمُ بِرَجَزِه، ولا بقَصِيدِه منى، ولا

---

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٥٠٦. وعنه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٩٨ - كما سيأتى - كلاهما من طريق إسحاق بن راهويه به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط البخارى ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

(2) كذا فى النسخ، وفى المستدرك والدلائل: «يرون».

(3) فى الأصل، م: «أعرف».

بأَشعارِ الجِنِّ ، واللَّهِ ما يُشْبِهُ الذى يقولُ شيئًا مِن هذا ، وواللَّهِ إنَّ لِقَولِه الذى يقولُه حلاوةً ، وإنَّ عليه لَطَلَاوَةً ، وإنَّه لَمُثْمِرٌ أَعْلَاه ، مُغْدِقٌ أسفلُه ، وإنه لَيَعْلُو ولا يُعْلَى ، وإنَّه لَيَحْطِمُ ما تحتَه . قال : لا يَرْضَى عنك قومُك حتى تقولَ فيه . قال : فدَعْنِى[1] حتى أُفَكِّرَ فيه . فَلَمَّا فَكَّرَ قال : هذا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ؛ يَأْثُرُه عن غيرِه . فنزَلَتْ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ الآيات [المدثر : ١١ - ١٣] . هكذا رَوَاه البَيْهَقِيُّ ، عن الحاكمِ ، عن [2]أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ علىٍّ[2] الصَّنْعَانِىِّ بمكةَ ، عن إسحاقَ به . وقد رَوَاه حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن عِكْرِمَةَ مُرْسَلًا[3] ، وفيه أنَّه قرَأَ عليه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقال البَيْهَقِيُّ[4] : عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجَبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ - أو عِكْرِمَةَ - عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرَةِ اجْتَمَعَ ونفرٌ مِن قريشٍ ، وكانَ ذا سِنٍّ فيهم ، وقد حضَر المَوْسِمُ[5] ، فقال : إنَّ وفودَ العربِ ستَقْدَمُ عليكم فيه ، وقد سَمِعُوا بأمرِ صاحبِكم هذا ، فأَجْمِعوا فيه رأيًا واحدًا ولا

---

(١) فى النسخ : « قف عنى » . والمثبت من المستدرك والدلائل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « عبد الله بن محمد » . وفى ص : « عبد الله بن محمد بن على » . والمثبت من المستدرك والدلائل .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ١٩٩.

(٤) فى الدلائل ٢/١٩٩ - ٢٠١.

(٥) فى م : « المواسم » .

تَخْتَلِفوا فيُكَذِّبَ بعضُكم بعضًا ، ويَرُدَّ قولُ بعضِكم بعضًا . فقيلَ : يا أبا عبدِ شمسٍ ، فقُلْ وأَقِمْ لَنا رَأْيًا نَقومُ به ، فقال : بل أنتم ، فقولوا وأنا أَسْمَعُ . فقالوا : نَقولُ : كاهِنٌ . فقالَ : ما هو بكاهِنٍ ، فقد رأيتُ الكُهّانَ ، فما هو بزَمْزَمَةِ الكُهّانِ . فقالوا : نَقولُ : مجنونٌ . فقالَ : ما هو بمجنونٍ ، ولقد رأَيْنا الجُنونَ وعَرَفْناه ، فما هو بخَنْقِه ولا تَخالُجِه[1] ولا وسوستِه . فقالوا : نَقولُ : شاعرٌ . فقالَ : ما هو بشاعرٍ ، قد عرَفْنا الشِّعْرَ برَجَزِه ، وهَزَجِه ، وقَريضِه ، ومقبوضِه ، ومبسوطِه ، فما هو بالشِّعْرِ . قالوا : فنَقولُ : هو ساحرٌ . قال : ما هو بساحرٍ ، قد رأَيْنا السُّحّارَ وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثِه ولا بعَقْدِه . قالوا : فما نَقولُ يا أبا عبدِ شَمْسٍ ؟ قال : واللَّهِ إنَّ لِقولِه لَحَلاوةً ، وإنَّ أصلَه لمُغْدِقٌ[2] ، وإنَّ فَرْعَه لجَنًى[3] ، فما أنتم بقائلين مِن هذا شيئًا إلا عُرِفَ أنَّه باطلٌ ، وإنَّ أقربَ القولِ لأَنْ تقولوا : ساحرٌ . فتقولوا : هو ساحرٌ يُفَرِّقُ[4] بينَ المرءِ وأبيه[5] ، وبينَ المرءِ وزوجتِه ، وبينَ المرءِ وأخيه ، [٨٧/٢و] وبينَ المرءِ وعشيرتِه . فتَفَرَّقوا عنه بذلك ، فجعَلوا يَجْلِسُون للناسِ حتى قَدِمُوا المَوْسِمَ ، لا يَمُرُّ بهم أحدٌ إلا حَذَّروه إيّاه ، وذكَروا لهم أمْرَه ، وأنزَلَ اللَّهُ فى الوَليدِ قولَه : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ الآياتِ . وفى أولئك النَّفَرِ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) الخنق : الغيظ . والتخالج : التحرك والاضطراب .

(٢) كذا فى الدلائل ، الأصل ، م . وفى ص : « لغدق » . وقد وقع فى سيرة ابن إسحاق ص ١٣٢ : « وإن أصله لعذق » .

وقال السهيلى : وقول الوليد : « إن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة » استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وقوى ، وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هى : العَذق بفتح العين . الروض الأنف ٣/ ٧٩، ٨٠.

(٣) الجنى : اسم لما يجتنى من الثمر .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « بين المرء ودينه و » .

(٥) فى ص : « ابنه » .

جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩١- ٩٣].

قلْتُ: وفى ذلك قال اللَّهُ تعالى، إخبارًا عن جَهْلِهم وقلةِ عَقْلِهم[1]: ﴿ بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥]. فحَارُوا ماذا يَقولون فيه، فكلُّ شىءٍ يَقولونه باطلٌ؛ لأنَّ مَن خرَج عن الحقِّ مهما قاله أَخْطَأَ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٩].

وقال الإمامُ عَبْدُ بنُ حُميدٍ فى «مُسنَدِه»[2]: حدَّثنى أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ، حدَّثنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن الأَجْلَحِ، هو ابنُ عبدِ اللَّهِ الكِنْدِىُّ، عن الذَّيَّالِ بنِ حَرْمَلَةَ الأَسدىِّ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: اجتَمَعَ قريشٌ يومًا فقالوا: انْظُرُوا أَعْلَمَكم بالسحرِ والكِهَانةِ والشعرِ، فلْيَأْتِ هذا الرجلَ الذى فَرَّقَ جماعتَنا، وشتَّتَ أمْرَنا، وعابَ دينَنا، فلْيُكَلِّمْه، ولْيَنْظُرْ ماذا يَرُدُّ عليه. فقالوا: ما نَعْلَمُ أحدًا غيرَ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ. فقالوا: أنت يا أبا الوليدِ. فأَتَاه عُتْبَةُ فقال: يا محمدُ، أنت خيرٌ أم عبدُ اللَّهِ؟ فسكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: أنت خيرٌ أم عبدُ المُطَّلِبِ؟ فسكَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: إنْ كنتَ تَزْعُمُ أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عبَدوا الآلهةَ التى عِبْتَ، وإنْ كنتَ تَزْعُمُ أنَّك خيرٌ منهم، فتَكَلَّمْ حتى

---

(١) التفسير ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٣٥٨، وعزاه لعبد بن حميد. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (١٨٤٠٩). قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٢٠: فيه الأجلح الكندى، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائى وغيره، وبقية رجاله ثقات.

نَسمَعَ قولَك ، إنّا واللّهِ ما رأينا سَخْلةً[1] قطُّ أَشْأَمَ على قومِه منكَ ؛ فَرَّقْتَ جماعتَنا ، وشَتَّتَّ أمرَنا ، وعِبْتَ دينَنا ، وفَضَحْتنا فى العربِ ، حتى لقد طارَ فيهم أنَّ فى قريشٍ ساحرًا ، وأنَّ فى قريشٍ كاهنًا ، واللّهِ ما نَنْتَظِرُ إلّا مثلَ صيحةِ الحُبْلَى ، أنْ يَقُومَ بعضُنا إلى بعضٍ بالسيوفِ حتى نَتَفَانَى[2] ، أيُّها الرجلُ إنْ كان إنَّما بكَ الحاجةُ ، جمَعْنا لك حتى تَكونَ أَغْنَى قريشٍ رَجلًا ، وإنْ كانَ إنَّما بك الباءَةُ ، فاخْتَرْ أىَّ نساءِ قريشٍ شئتَ ، فلْنُزَوِّجك عَشْرًا . فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « فَرَغْتَ ؟ » قال : نَعَمْ . فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ : « ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ إلى أنْ بلَغ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ » . فقالَ عُتْبَةُ : حَسْبُكَ[3] حَسْبُك ، ما عندَك غيرُ هذا ؟ قال : « لا » . فرجَع إلى قريشٍ فقالوا : ما وراءَك ؟ قال : ما تركْتُ شيئًا أَرَى أنَّكم تُكَلِّمُونه إلّا كلَّمْتُه . قالوا : فهل أجابَك ؟ فقالَ : نعَم . ثُم قال : لا والذى نصَبَها بَنِيَّةً[4] ، ما فَهِمْتُ شيئًا مِمَّا قال غيرَ أنَّه أَنْذَرَكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ . قالوا : ويْلَك يُكَلِّمُكَ الرجلُ بالعربيةِ لا تَدْرِى ما قال ؟ ! قال : لا واللّهِ ، ما فَهِمْتُ شيئًا مِمّا قال ، غيرَ ذِكْرِ الصاعقةِ .

---

(١) السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد . الوسيط (س خ ل) وقال فى النهاية ٢/ ٣٥٠: السخل : المولود المحبب إلى والديه ، وهو فى الأصل ولد الغنم .

(٢) نتفانى : أى يفنى بعضنا بعضا .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) يريد الكعبة . وهى بنية إبراهيم عليه السلام ؛ لأنه بناها . انظر النهاية ١/ ١٥٨ .

وقد رواه البَيْهَقِيُّ وغيرُه[1] ، عن الحَاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّورِيِّ ، عن يحيى بنِ مَعِينٍ ، عن محمدِ بنِ فُضيلٍ ، عن الأَجْلَحِ به . [٢/٨٧ظ] وفيه كلامٌ ، وزادَ : وإنْ كنتَ إنَّما بك الرِّياسةُ ، عَقَدْنا أَلْويَتَنا لك ، فكُنْتَ رأسَنا[2] ما بَقِيتَ . وعندَه أنَّه لمَّا قال له : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أَمْسَكَ عُتْبَةُ[3] على فِيهِ ، وناشَدَه الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ عنه ، ولم يَخْرُجْ إلى أهلِه ، واحْتَبَسَ عنهم . فقال أبو جهلٍ : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، واللَّهِ ما نرَى عُتْبَةَ إلّا قد صَبأَ إلى محمدٍ ، وأَعْجَبَه طعامُه ، وما ذاك إلّا مِن حاجةٍ أَصَابتْه ، انطَلِقُوا بنا إليه . فأَتَوْه ، فقال أبو جَهْلٍ : واللَّهِ يا عُتْبَةُ ، ما جِئْنا إلّا أنَّك صَبَوْتَ إلى محمدٍ وأعجَبَك أمْرُه ، فإن كان بك حاجةٌ ، جمَعْنا لك مِن أموالِنا ما يُغْنِيك عن طعامِ محمدٍ . فغَضِبَ ، وأَقْسَمَ باللَّهِ لا يُكلِّمُ محمدًا أَبَدًا ، وقال : لقد عَلِمْتم أنِّى مِن أكثرِ قريشٍ مالًا ، ولكنِّى أَتَيْتُه ، - وقَصَّ عليهم القصةَ - فأجابَنِى بشىءٍ ، واللَّهِ ما هو بسحرٍ ولا بشعرٍ ولا كَهانةٍ ، قرَأ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ حتى بلَغَ ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت : ١ - ١٣] . فأَمسَكْتُ بفِيهِ ، وناشَدتُه الرَّحِمَ أنْ يَكُفَّ ، وقد عَلِمْتم أنَّ محمدًا إذا قالَ شيئًا لم يَكْذِبْ ، فخِفْتُ أنْ يَنْزِلَ عليكم العذابُ .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٢، ودلائل النبوة لأبى نعيم (١٨٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٣٥٨ إلى أبى يعلى وابن مردويه وغيرهما .

(٢) فى الأصل ، م : « رأسا » .

(٣) فى م : « عقبة » . وهو تحريف .

ثُم قال البَيْهَقِيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبى زِيادٍ مَوْلَى بنى هاشمٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ قال : حُدِّثْتُ أنَّ عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ - وكان سيِّدًا حليمًا - قال ذاتَ يومٍ وهو جالسٌ فى نادى قريشٍ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ وحدَه فى المسجدِ : يا معشرَ قريشٍ ، أَلَا أَقُومُ إلى هذا فأُكَلِّمَه[2] فأَعْرِضَ عليه أُمورًا ، لعلَّه يَقْبَلُ بعضَها ويَكُفُّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليدِ . فقامَ عُتْبَةُ حتى جلَسَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فذكَر الحديثَ فيما قال له عُتْبَةُ ، وفيما عَرَضَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المالِ ، والمُلْكِ ، وغيرِ ذلك . [3]وقال زِيادٌ[4] [عن][5] ابنِ إسحاقَ : فقالَ عُتْبَةُ : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، ألا أَقُومُ إلى محمدٍ فأُكَلِّمَه وأَعْرِضَ عليه أمورًا لعله يَقْبَلُ بعضَها فنُعْطِيه أيَّها[6] شاءَ[7] ويَكُفُّ عنا - وذلك حينَ أسلمَ حمزةُ ، ورَأَوْا أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدون ويَكْثُرون - فقالوا : بلى يا أبا الوليدِ ، فقُمْ إليه فَكَلِّمْه . فقامَ إليه عُتْبَةُ ، حتى جلَسَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : يا بنَ أخى ، إنَّكَ منا حيث قد عَلِمْت مِن السِّطَةِ[8] فى العشيرةِ ، والمكانِ فى النسَبِ ، وإنك قد أَتَيْتَ قومَك بأمرٍ عظيمٍ ، فَرَّقْتَ به جماعَتَهم ، وسَفَّهْتَ[3]

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٤، وسيرة ابن إسحاق ص ١٨٧، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣.
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) سقط من : ص .
(٥) زيادة ليستقيم الإسناد . ورواية زياد عند ابن هشام فى السيرة ١/ ٢٩٣.
(٦) فى النسخ : « إياها » . والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٧) سقط من : الأصل ، م .
(٨) فى م ، ص : « الشطر » . والمثبت من السيرة . والسطة : الشرف .

(١ به أحلامَهم، وعِبْتَ به آلهتَهم ودينَهم، وكَفَّرْتَ به مَن مضَى مِن آبائِهم، فاسْمَعْ منى حتى أَعْرِضَ عليك أمورًا تَنْظُرُ فيها، لعلَّك تَقْبَلُ منها بعضَها. قال: فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا أبا الوليدِ، أَسْمَعُ». قال: يا بنَ أخى، إن كنتَ إنَّما تُريدُ بما جِئْتَ به مِن هذا الأمرِ مالًا، جَمَعْنا لك مِن أموالِنا، حتى تَكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كُنْتَ تُريدُ به شرفًا، سَوَّدْناك علينا، حتى لا نَقْطَعَ أمرًا دونَك، وإنْ كنتَ تُريدُ به مُلْكًا، مَلَّكْناك علينا، وإنْ كان هذا الذى يَأْتيك رَئِيًّا تَراه، لا تَستطِيعُ رَدَّه عن نفسِك، طَلَبْنا لك الطِّبَّ، وبذَلْنا فيه أموالَنا، حتى نُبْرِئَك منه، فإنه رُبَّما غلَبَ التابِعُ على الرجلِ، حتى يُدَاوَى منه. أو كما قالَ له١). حتى إذا فرَغَ عُتْبَةُ (٢ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَستَمِعُ منه٢)، قال له النبىُّ ﷺ: «أَفَرَغْتَ يا أبا الوَلِيدِ؟». قال: نَعَم. قال: «فاسْمَعْ مِنِّى». قال: أَفعَلُ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فمضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُها، فلَمَّا سَمِعَ بها عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لها، وأَلْقَى بيدَيْه خَلْفَه - أو خَلْفَ ظهرِه - معتمِدًا عليهما؛ ليَسْمَعَ منه، حتى انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى السجدةِ فسجَدَها، ثُم قال: «سَمِعْتَ يا أَبا الوَلِيدِ؟». قال: سَمِعْتُ. قال: «فأنت وذاك». ثُم قامَ عُتْبَةُ إلى أصحابِه، فقال بعضُهم لبعضٍ: نَحْلِفُ باللَّهِ، لقد جاءَكم أبو الوليدِ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به. فلمَّا جلَسُوا إليه قالوا: ما وراءَك يا أبا الوليدِ؟ قال: وَرائى أنِّى واللَّهِ قد سَمِعْتُ قولًا

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

ما سَمِعْتُ مثلَه قطُّ ، واللَّهِ ما هو بالشعرِ ولا الكَهانةِ ، يا معشرَ قريشٍ أَطِيعُونى واجعَلوها بى ، خَلُّوا بينَ هذا الرجلِ وبينَ ما هو فيه واعْتَزِلُوه ، فواللَّهِ لَيَكُونَنَّ لقولِه الذى سَمِعْتُ نَبَأٌ ، فإنْ تُصِبْه العربُ ، فقد كُفِيتُموه بغيرِكم ، وإنْ يَظْهَرْ على العربِ ، فمُلْكُه مُلْكُكم ، وعِزُّه عِزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناسِ به . قالوا : سحَرَك واللَّهِ يا أبا الوليدِ بلسانِه . قال : هذا رأْيِى لكم ، فاصنَعوا ما بَدَا لكم . [٨٨/٢و] (١ثم ذكَر يُونُسُ(٢) ، عن ابنِ إسحاقَ شِعْرًا قاله أبو طالبٍ ، يَمْدَحُ فيه عُتْبَةَ١) .

وقال البَيْهَقِيُّ(٣) : أخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأَصْبَهانيُّ ، أخبرَنا أبو قُتَيْبَةَ سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ الأَدَمِيُّ بمكةَ ، حدَّثَنا أبو أيوبَ أحمدُ بنُ بِشْرٍ الطَّيَالِسِيُّ ، حدَّثَنا داودُ بنُ عمرٍو الضَّبِّيُّ ، حدَّثَنا المُثَنَّى بنُ زُرْعَةَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ . قال : لَمَّا قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أتَى أصحابَه فقال لهم : يا قومِ ، أَطِيعونى فى هذا الأمرِ اليومَ ، واعْصُونى فيما بعدَه ، فواللَّهِ لقد سَمِعْتُ مِن هذا الرجلِ كَلامًا ما سَمِعَتْ أُذُنَاىَ كَلامًا مِثْلَه ، وما دَرَيْتُ ما أَرُدُّ عليه . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ .

ثُم روَى البَيْهَقِيُّ(٤) ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٩ .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٥ .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٦ . وهو فى سيرة ابن إسحاق ص ١٦٩ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣١٥ .

عن يُونُسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثَنى الزُّهْرِىُّ ، قال : حُدِّثْتُ أنَّ أبا جَهْلٍ وأبا سفيانَ والأَخْنَسَ بنَ شَرِيقٍ ، خَرَجوا ليلةً ليَسْتَمِعوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُصَلِّى بالليلِ فى بيتِه ، فأَخَذ كلٌّ رجلٍ منهم مجلسًا ليَسْتَمِعَ منه ، وكلٌّ لا يَعْلَمُ بمكانِ صاحبِه ، فباتوا يَسْتَمِعون له ، حتى إذا أَصْبَحوا وطلَعَ الفَجْرُ تفَرَّقُوا ، فجمَعَهم الطريقُ ، فتَلَاوموا ، وقال بعضُهم لبعضٍ : لا تَعُودوا ، فلو رَآكم بعضُ سُفَهائِكم ، لأَوْقَعْتُم فى نفسِه شيئًا . ثُم انصَرَفوا ، حتى إذا كانت الليلةُ الثانيةُ ، عادَ كلٌّ رجلٍ منهم إلى مجلسِه ، فباتوا يَسْتَمِعونَ له ، حتى إذا طلَعَ الفجرُ تَفرَّقوا ، فجمَعَهم الطريقُ ، فقال بعضُهم لبعضٍ مثلَ ما قالوا أولَ مرةٍ ، ثُم انصرَفوا ، فلَمّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ ، أخَذَ كلٌّ رجلٍ منهم مجلسَه ، فباتوا يَسْتَمِعون له ، حتى إذا طلَعَ الفجرُ تَفَرَّقوا ، فجمَعَهم الطريقُ ، فقالوا : لا نَبْرَحُ حتى نَتَعَاهَدَ أن لا نَعُودَ . فتَعَاهَدوا على ذلك ثُم تفرَّقوا ، فَلَمّا أصبَحَ الأَخْنَسُ ابنُ شَرِيقٍ ، أَخَذَ عَصاه ثُم خرَج ، حتى أتَى أبا سفيانَ فى بيتِه فقال : أَخْبِرْنى يا أبا حَنْظَلَةَ عن رَأْيِك فيما سَمِعْتَ مِن محمدٍ . فقال : يا أبا ثَعْلَبَةَ ، واللَّهِ لقد سَمِعْتُ أشياءَ أَعْرِفُها وأَعْرِفُ ما يُرَادُ بها . فقالَ الأَخْنَسُ : وأنا والذى حَلَفْتَ به . ثُم خرَج مِن عندِه ، حتى أتَى أبا جَهْلٍ ، فدخَل عليه بيتَه فقال : يا أبا الحكَمِ ، ما رأيُك فيما سَمِعْتَ مِن محمدٍ ؟ فقال : ماذا سَمِعْتُ ! تَنَازَعْنا نحن وبنو عبدِ مَنَافٍ الشرَفَ ؛ أَطْعَموا فأطْعَمْنا ، وحَملوا فحمَلْنا ، وأَعْطَوْا فأَعْطَيْنا ، حتى إذا تَجَاثَيْنا على الرُّكَبِ ، وكنا كفَرَسَىْ رِهَانٍ قالوا : منَّا نبىٌّ يَأْتِيه الوحْىُ مِن السماءِ . فمتى نُدْرِكُ هذه؟ واللَّهِ لا نَسْمَعُ به أبدًا ولا نُصَدِّقُه . فقامَ عنه الأَخْنَسُ بنُ شَرِيقٍ .

(البداية والنهاية ٤/١١)

ثُم قال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو العباسِ ، حدَّثَنا أحمدُ ، حدَّثَنا يُونُسُ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، عن المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ ، قال : إنَّ أولَ يومِ عرَفْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أنِّى كنتُ[2] أَمْشى أنا وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ فى بعضِ أَزِقَّةِ مكةَ ، إذ لَقِينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبى جَهْلٍ : « يا أبا الحكَمِ ، هَلُمَّ إلى اللَّهِ وإلى رسولِه ، أَدْعُوك إلى اللَّهِ » . فقال أبو جَهْلٍ : يا محمدُ ، هل أنتَ مُنْتَهٍ عن سَبِّ آلهتِنا ؟ هل تُريدُ إلَّا أنْ نَشْهَدَ أنَّك قد بَلَّغْتَ ؟ فنحن نَشْهَدُ أنْ قد بلَّغْتَ ، [٢/٨٨ظ] فواللَّهِ لو أنِّى أعْلَمُ أنَّ ما تَقولُ حقٌّ ، لاتَّبَعْتُك . فانْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقْبَلَ علىَّ فقال : واللَّهِ إنِّى لَأَعْلَمُ أنَّ ما يَقولُ حَقٌّ ، ولكن يَمْنَعُنى شىءٌ ؛ إنَّ بنى قُصَىٍّ قالوا : فينا الحِجَابَةُ . فقُلْنا : نَعَمْ . ثُم قالوا : فينا السِّقَايَةُ . فقُلْنا : نعَمْ . ثُم قالوا : فينا النَّدْوَةُ . فقلنا : نعَمْ . ثُم قالوا : فينا اللِّواءُ . فقُلْنا : نعَمْ . ثُم أطْعَموا وأطْعَمْنا ، حتى إذا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قالوا : منّا نبىٌّ . واللَّهِ لا أَفْعَلُ .

وقال البَيْهَقِيُّ[3] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، [4]وأبو بكرٍ[4] قالا[5] : حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأَصَمُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ خالدٍ[6] ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٠٧.

(٢) سقط من : النسخ ، والمثبت من الدلائل .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٨٤.

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص . وهو الإمام العالم المحدث أحمد بن الحسن بن أحمد الحَرَشِى الحيرى ، قاضى القضاة . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦.

(٥) فى النسخ : « قال » . والمثبت من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « خلف » . والمثبت من الدلائل . وهو أحمد بن خالد بن موسى الوهبى ، وهو أخو محمد بن خالد . انظر تهذيب الكمال ١/ ٢٩٩.

حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ على أبي جَهْلٍ وأبي سُفْيانَ وهما جالِسانِ، فقال أبو جَهْلٍ: هذا نبيُّكم يا بني عبدِ شَمْسٍ. قال أبو سُفْيَانَ: وتَعْجَبُ أنْ يكونَ مِنّا نبيٌّ! فالنبيُّ يَكونُ فيمَن أقلُّ منا وأذلُّ. فقال أبو جَهْلٍ: عَجَبٌ أنْ يَخْرُجَ غلامٌ مِن بينِ شُيوخٍ نبيًّا. ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ، فأَتاهما فقال: «أمّا أنت يا أبا سفيانَ، فما للَّهِ ورَسوله غَضِبْتَ، ولكنَّك حَمِيتَ للأصلِ، وأمّا أنت يا أبا الحكَمِ، فواللَّهِ لَتَضْحَكَنَّ قليلًا، ولَتَبْكِيَنَّ كثيرًا». فقال: بِئْسَما تَعِدُنِي يا بنَ أخي مِن نُبُوَّتِك. هذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ، وفيه غرابةٌ.

وقولُ أبي جهلٍ، لعَنَه اللَّهُ، كما قال اللَّهُ تعالى مخبرًا عنه وعن أَضْرَابِه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وقال الإمامُ أحمدُ(١): حدَّثنا هُشَيْمٌ، حدَّثنا أبو بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: نزَلَتْ هذه الآيةُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوارٍ بمكةَ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠]. قال: كان إذا صَلَّى بأصحابِه رفَع صوتَه بالقرآنِ، فلمّا سَمِعَ ذلك المشركون، سَبُّوا القرآنَ وسَبُّوا مَن أنْزَلَه ومَن جاءَ به. قال: فقال اللَّهُ تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي؛ بقراءَتِك، فيَسْمَعَ المشركون، فيَسُبُّوا القرآنَ، ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ عن أصحابِك، فلا تُسْمِعَهم القرآنَ، حتى يَأْخُذوه عنك ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ

(١) في المسند ١/ ٢٣، ٢١٥. (إسناده صحيح).

سَبِيلًا ﴾ . وهكذا رواه صاحبا « الصحيح »[1] من حديثِ أبي بِشْرِ جعفرِ بنِ أبي وَحْشِيَّةَ[2] به .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : حدَّثني داودُ بنُ الحُصَيْنِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قالَ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا جَهَرَ بالقرآنِ ، وهو يُصَلِّي ، تَفَرَّقوا عنه وأَبَوْا أنْ يَسْتَمِعوا منه ، وكان الرجلُ إذا أرادَ أنْ يَسْمَعَ مِن رسولِ اللَّهِ بعضَ ما يَتْلُو وهو يُصَلِّي اسْتَرَقَ السَّمْعَ دونَهم ؛ فَرَقًا منهم ، فإنْ رأَى أنَّهم قد عرَفوا أنه يَسْتَمِعُ ، ذهَبَ خَشْيَةَ أَذاهم ، فلم يَسْتَمِعْ ، فإنْ خَفَضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَه[4] لم يَسْمَعِ الذين يَسْتَمِعون مِن قراءتِه شيئًا ، فأنزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيَتَفَرَّقوا عنك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ فلا يَسْمَعَ مَن أرادَ أنْ يَسْمَعَها مِمَّن يَسْتَرِقُ ذلك ، لعلَّه يَرْعَوِى إلى بعضِ ما يَسْمَعُ ، فيَنْتَفِعَ به ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[5] .

---

(١) البخارى (٤٧٢٢، ٧٤٩٠، ٧٥٢٥، ٧٥٤٧)، ومسلم (٤٤٦) .

(٢) فى الأصل : « وحشة » ، وفى م : « حية » ، وفى ص : « وحية » . وهو جعفر بن إياس وهو ابن أبى وحشية اليشكرى ، أبو بشر الواسطى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٥.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٨٦، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣١٣، ٣١٤.

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من السيرة .

(٥) انظر ما تقدم فى التفسير ٥/ ١٢٦، ١٢٧.

بـابُ

هجرةِ (١) مَن هاجَرَ مِن (١)

أصحابِ رسولِ اللهِ مِن مكةَ إلى

أرضِ الحَبَشَةِ ؛ (١) فِرارًا بدينِهم مِن الفتنةِ (١)

قد تقدَّمَ ذِكرُ أَذِيَّةِ المشركينَ للمستَضْعَفينَ مِن المؤمنين، وما كانوا يُعَامِلُونَهم [٢/٨٩و] به مِن الضربِ الشديدِ، والإهانةِ البالغةِ، وكان اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، قد حَجَزَهم عن رسولِه ﷺ، ومنعَه بعمِّه أبى طالبٍ، كما تقدَّمَ تفصيلُه، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ.

وروَى الوَاقِدِيُّ[٢] أنَّ خروجَهم إليها كان فى رجَبٍ، سنةَ خَمْسٍ مِن البِعْثةِ، وأنَّ أولَ مَن هاجَرَ منهم أحدَ عشَرَ رجلًا وأربعُ نِسْوةٍ، وأنَّهم انتهَوْا إلى البَحْرِ، ما بينَ ماشٍ وراكبٍ، فاسْتَأْجَروا سَفينةً بنصفِ دِينارٍ إلى الحَبَشةِ، وهم؛ عثمانُ بنُ عفّانَ، وامْرَأَتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ، وامْرَأَتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلٍ، والزُّبَيْرُ بنُ العوَّامِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ، وامرَأَتُه أُمُّ سَلَمَةَ بنتُ أبى أُمَيَّةَ،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٠٤/١ من طريق الواقدى به. كما أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠.

وعثمانُ بنُ مَظْعونٍ، وعامرُ بنُ ربيعةَ العَنْزِيُّ، وامرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمةَ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ. (1) ويُقالُ: (1) حاطِبُ بنُ عمرٍو، وسُهَيْلُ ابنُ بَيْضاءَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين. قالَ ابنُ جريرٍ[2]: وقالَ آخَرون: بل كانوا اثنَيْن وثمانين رجلًا سِوَى نسائِهم وأبنائِهم، وعمارِ بنِ ياسرٍ. فشَكَّ[3]. فإنْ كانَ فيهم، فقد كانوا ثلاثةً وثمانين رجلًا.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: فلمّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما يُصِيبُ أصحابَه مِن البلاءِ، وما هو فيه مِن العافيةِ، بمكانِه مِن اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ومِن عمِّه أبى طالبٍ، وأنه لا يَقْدِرُ على أنْ يَمْنَعَهم مِمَّا هم فيه مِن البَلاءِ، قال لهم: «لو خَرَجْتم إلى أرضِ الحبشةِ؛ فإنَّ بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عندَه أحدٌ، وهى أرضُ صِدْقٍ، حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لكم فرجًا مِمَّا أنتم فيه». فخرَج عندَ ذلك المسلمون مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أرضِ الحَبَشةِ؛ مَخافةَ الفتنةِ، وفرارًا إلى اللَّهِ بدينِهم، فكانت أولَ هجرةٍ كانت فى الإسلامِ، فكان أولَ مَن خرَج مِن

(1 - 1) فى الأصل، ص، ومصدرى التخريج: «و». والمثبت يوافق العدد المذكور فى أول الخبر - وسبب ذلك أن الحافظ ابن كثير جمع بين روايتين للواقدى إحداهما ذكر الواقدى فيها العدد «أحد عشر رجلا»، والأخرى ذكر فيها الأسماء، «اثنى عشر رجلا». فوقع الاختلاف بين العدد المجمل والأسماء المذكورة، ولكن الطبرى بين فى تاريخه 2/ 331، أن الشك وقع فى رواية ابن إسحاق بين أبى سبرة وأبى حاطب - كما سيأتى - فوقع عدد الرجال عنده عشرة. وزاد الواقدى فى روايتنا عبد اللَّه بن مسعود، فيصبح عدد الرجال أحد عشر.

والصواب ما قرره الحافظ ابن حجر فى الفتح 7/189 قائلًا: والصواب ما قال ابن إسحاق أنه اختلف فى الحادى عشر؛ هل هو أبو سبرة أو حاطب. وأما ابن مسعود، فجزم ابن إسحاق بأنه إنما كان فى الهجرة الثانية. انظر سيرة ابن هشام 1/ 322، 323. الفتح 7/ 188، 189.

(2) تاريخ الطبرى 2/ 330.

(3) أى ابن إسحاق. انظر سيرته ص 210.

(4) سيرة ابن إسحاق ص 154، وسيرة ابن هشام 1/ 321.

المسلمينَ عثمانُ بنُ عفّانَ ، وزوجتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وكذا روَى البَيْهَقِيُّ[(١)] ، مِن حديثِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن عباسٍ العَنْبَرِيِّ ، عن [(٢)]بَشَّارِ بنِ موسى[(٢)] ، عن الحسنِ بنِ زيادٍ البُرْجُمِيِّ ، حدَّثَنا قَتادَةُ قال : إنَّ أوَّلَ مَن هاجَرَ إلى اللَّهِ تعالى بأهلِه عثمانُ بنُ عفَّانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، سَمِعْتُ النَّضْرَ بنَ أنسٍ يَقولُ : سَمِعْتُ أبا حَمْزَةَ - يعنى أنسَ بنَ مالكٍ - يَقولُ : خرَج عثمانُ بنُ عفانَ ومعه امرأتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى أرضِ الحبشةِ ، فأَبْطأَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ خبَرُهما ، فَقَدِمَتِ امرأةٌ مِن قريشٍ فقالت : يا محمدُ ، قد رأيتُ خَتَنَك ومعه امرأتُه . قال : « على أيِّ حالٍ رأَيْتِهما ؟ » قالَتْ : رأيتُه قد حمَل امرأتَه على حمارٍ مِن هذه الدَّبَّابَةِ[(٣)] ، وهو يَسُوقُها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَحِبَهما اللَّهُ ، إنَّ عثمانَ أولُ مَن هاجَرَ بأهلِه بعدَ لُوطٍ عليه السلامُ » .

قال ابنُ إسحاقَ[(٤)] : وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ ، وزوجتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو - وولَدَتْ له بالحَبَشَةِ محمدَ بنَ أبى حُذَيْفَةَ - والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ ، وامرأتُه أمُّ سَلَمَةَ بنتُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ - وولَدَتْ له بها زَيْنَبَ - وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، وعامرُ بنُ ربيعةَ ، حَليفُ آلِ الخَطَّابِ ، وهو مِن بنى عَنْزِ بنِ وائلٍ ، وامرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمَةَ ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ العامِرِيُّ ، وامرأتُه أمُّ كُلْثُومٍ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧. وأخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، الدلائل : « بشر بن موسى » ، وفى ص : « يونس بن عيسى » . والمثبت كما فى تاريخ الفسوى . وهو بشار بن موسى الشيبانى - ويقال : العجلى - أبو عثمان الخفاف . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٨٣.

(٣) الدبابة : أى الضعاف التى تدب فى المشى ولا تسرع . اللسان (د ب ب) .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٦، ١٥٧، ٢٠٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٢.

بنتُ سُهَيْلِ بنِ عَمرٍو . ويُقالُ [٨٩/٢ظ] : حاطِبُ[1] بنُ عمرِو بنِ عبدِ شَمْسِ ابنِ عبدِ وُدٍّ بنِ نَصْرِ بنِ مالكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامرٍ - وهو أولُ مَن قَدِمَها فيما قيل - وسُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ ، فهؤلاءِ العَشَرَةُ أولُ مَن خرَج مِن المسلمين إلى أرضِ الحبشةِ ، فيما بَلَغَنى . قال ابنُ هِشامٍ[2] : وكانَ عليهم عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، فيما ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثُم خرَج جعفرُ بنُ أبى طالبٍ ، ومعه امرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وولَدَتْ له بها عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ ، وتَتابَعَ المسلمون حتى اجتَمَعوا بأرضِ الحبشةِ .

وقد زعَم موسى بنُ عُقْبَةَ[4] ، أنَّ الهجرةَ الأُولى إلى أرضِ الحبشةِ ، كانَتْ حينَ دخَل أبو طالبٍ ومَن حالَفَه معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الشِّعْبِ ، وفى هذا نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وزعم أنَّ خروجَ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ إنما كانَ فى الهجرةِ الثانيةِ إليها ، وذلك بعدَ عَوْدِ بعضِ مَن كانَ خرَج أولًا حينَ بلَغَهم أنَّ المشركين أسلَمُوا وصَلَّوْا ، فلمَّا قَدِمُوا مكةَ - وكانَ فيمَن قَدِمَ عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ - فلَمْ يَجِدُوا ما أُخْبِرُوا به مِن إسلامِ المشركين صحيحًا ، فرجَع مَن رجَع منهم ، ومكَث آخَرون بمكةَ ، وخرَج آخَرون مِن المسلمين إلى أرضِ الحبشةِ ، وهى الهجرةُ الثانيةُ ، كما سيَأْتِى بيانُه .

---

(١) فى النسخ ومصدرى التخريج : « أبو حاطب » . والصواب ما أثبتناه . انظر أسد الغابة ٦/ ٦٤. والإصابة ٢/ ٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٣.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٠٨، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٢٣.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥ عن موسى بن عقبة .

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] : وكان جعفرُ بنُ أبى طالبٍ فيمَن خرَج ثانيًا . وما ذكَره ابنُ إسحاقَ مِن خروجِه فى الرَّعِيلِ الأولِ أظهرُ ، كما سيأْتِى بيانُه . واللَّهُ أعلمُ . لكنَّه كان فى زُمْرَةٍ ثانيةٍ مِن المهاجرين أوَّلًا ، وهو المقدَّمُ عليهم والمُترجِمُ عنهم عندَ النَّجَاشِيِّ وغيرِه ، كما سنُورِدُه مَبْسوطًا . ثُم إنَّ ابنَ إسحاقَ سرَد الخارجين صُحبةَ جعفرٍ رَضِىَ اللَّهُ عنهم[2] ، وهم ؛ عَمْرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ، وامرأتُه فاطمةُ بنتُ صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُحَرِّثِ بنِ شِقٍّ الكِنَانِىِّ ، وأخوه خالدٌ ، وامرأتُه أُمَينَةُ بنتُ خَلَفِ بنِ أَسْعَدَ الخُزَاعِىِّ - وولَدَتْ له بها سَعيدًا ، وأَمَةَ التى تزوَّجَها بعدَ ذلك الزُّبَيْرُ ، فولَدَتْ له عَمْرًا وخالدًا - . قال : وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ ابنِ رِئَابٍ ، وأخوه عبيدُ اللَّهِ ، ومعه امرأتُه أمُّ حَبِيبَةَ بنتُ أبى سُفيانَ ، وقيسُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، مِن بنى أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ ، وامرأتُه بَرَكَةُ بنتُ يَسَارٍ مولاةُ أبى سُفيانَ ، ومُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ ، وهو مِن موالى آلِ[3] سعيدِ بنِ العاصِ . قال ابنُ هِشامٍ[4] : وهو من دَوْسٍ . قال : وَأبو موسَى الأَشْعَرِىُّ[5] عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسٍ حليفُ آلِ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ - وسنَتَكَلَّمُ معَه فى هذا[6] - وعُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ ، ويَزِيدُ بنُ زَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ ، وعَمْرُو بنُ أُمَيَّةَ بنِ الحارثِ بنِ أَسَدٍ ، وَطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ وَهْبِ بنِ أبى كَثِيرِ بنِ عَبْدٍ ، وسُوَيْبِطُ بنُ سعدِ بنِ حَرْمَلَةَ[7] ، وجَهْمُ بنُ قيسٍ

---

(١) انظر دلائل البيهقى ٢/ ٢٨٦.
(٢) انظر سيرة ابن إسحاق ص ٢٠٥ - ٢٠٨، وسيرة ابن هشام ٣٢٣/١ - ٣٣٠.
(٣) سقط من : م .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٤.
(٥) زيادة من : م .
(٦) انظر ما سيأتى فى الصفحة ١٧٢ .
(٧) فى النسخ : « حريملة » . وهو تصحيف . والمثبت من السيرة ، وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٨٧، والإصابة ٣/ ٢٢٢.

العَبْدَرِيُّ[1]، ومعَه امرأتُه أمُّ حَرْمَلَةَ بنتُ عبدِ الأَسْوَدِ بنِ خُزَيْمَةَ، وولَداه عَمْرُو بنُ جَهْمٍ، وخُزَيْمَةُ بنُ جَهْمٍ، وأبو الرُّومِ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدارِ، وفِرَاسُ بنُ النَّضْرِ بنِ الحارثِ بنِ كَلَدَةَ، وعامرُ بنُ أبى وَقَّاصٍ، أخو سَعْدٍ، والمُطَّلِبُ بنُ أَزْهَرَ بنِ عبدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، وامرأتُه رَمْلَةُ بنتُ أبى عَوْفِ ابنِ صُبَيْرَةَ[2] - وولَدَتْ له[3] بها عبدَ اللَّهِ - وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وأخوه عُتْبَةُ، والمِقْدَادُ بنُ الأَسْوَدِ، والحارثُ بنُ خالدِ بنِ صخرٍ التَّيْمِيُّ، وامرأتُه رَيْطَةُ بنتُ الحارثِ بنِ جُبَيْلَةَ - وولَدَتْ له بها موسَى، وعائشةَ، وزينبَ، وفاطمةَ - وعمرُو بنُ عثمانَ بنِ عمرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ، وشَمَّاسُ بنُ عثمانَ بنِ الشَّرِيدِ المَخْزُومِيُّ - قال[4]: وإنَّما سُمِّيَ شَمَّاسًا لحُسْنِهِ، [٢/٩٠و] وأصلُ اسمِه عثمانُ بنُ عثمانَ - وهَبَّارُ بنُ سُفيانَ بنِ عبدِ الأَسَدِ المَخْزُومِيُّ، وأخوه عبدُ اللَّهِ، وهشامُ بنُ أبى حُذَيْفَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[5] بنِ مَخْزُومٍ، وسَلَمَةُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرَةِ، وعَيَّاشُ[6] بنُ أبى رَبِيعَةَ بنِ المُغِيرَةِ، ومُعَتِّبُ بنُ عَوْفِ بنِ عامرٍ - ويُقالُ له: عَيْهَامَةُ - وهو مِن حُلَفَاءِ بنى مَخْزُومٍ. قال: وقُدَامَةُ، وعبدُ اللَّهِ أَخَوَا عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ، والسائبُ بنُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ، وحاطبُ بنُ الحارثِ بنِ مَعْمَرٍ، ومعه امرأتُه فاطمةُ بنتُ المُجَلِّلِ، وابناه

---

(١) فى الأصل، م: «العبدوى». وفى ص: «العبدونى». وهو تصحيف. والمثبت كما فى الإصابة ١/ ٥٢١.

(٢) فى م: «ضبيرة». وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٨.

(٣) زيادة من: ص.

(٤) أى ابن هشام، السيرة ١/ ٣٢٦، ٣٢٧.

(٥) فى النسخ: «عمرو». والمثبت من السيرة. وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٣٥.

(٦) فى ص: «عامر».

منها محمدٌ والحارثُ ، وأخوه حَطَّابٌ ، وامرأتُهُ فُكَيْهَةُ بنتُ يَسَارٍ ، وسُفيانُ بنُ مَعْمَرِ بنِ حَبيبٍ ، وامرأته حَسَنَةُ ، وابْناه منها جابرٌ وجُنادَةُ ، وابنُها مِن غيرِه وهو شُرَحْبِيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، (1)أحدُ الغَوْثِ بنِ مُزَاحِمِ بنِ تَمِيمٍ(1) ، وهو الذى يُقالُ له : شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَة . وعثمانُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ أُهْبَانَ بنِ وَهْبِ بنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَحَ ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، (1)وعبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ(1) بنِ سَعْدِ[2] بنِ سَهْمٍ ، وهشَامُ بنُ العاصِ بنِ وائلِ بنِ سُعَيْدٍ[3] ، وقَيْسُ ابنُ حُذَافَةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، وأخوه عبدُ اللَّهِ ، وأبو قَيْسِ بنُ الحارثِ بنِ قَيْسِ ابنِ عَدِيٍّ ، وإخوتُه الحارثُ ومَعْمَرٌ والسائبُ وبِشْرٌ وسَعِيدٌ ، أبناءُ الحارثِ[4] بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ ، (5)وأخو بِشْرِ بنِ الحارثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ(5) لأُمِّه ، وهو سَعيدُ ابنُ عمرٍو التَّمِيمِيُّ ، وعُمَيْرُ بنُ رِئَابِ بنِ حُذَيْفَةَ بنِ مُهَشِّمِ بنِ سُعَيْدِ[6] بنِ سَهْمٍ ، وحَلِيفٌ لبنى سَهْمٍ ، وهو مَحْمِيَةُ بنُ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ ، ومَعْمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ العَدَوِيُّ ، وعُرْوَةُ بنُ عبدِ العُزَّى ، وعَدِيُّ بنُ نَضْلَةَ بنِ عبدِ العُزَّى ، وابنُه النُّعْمانُ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ العامِرِيُّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو ، وسَلِيطُ ابنُ عَمْرٍو ، وأخوه السَّكْرَانُ ، ومعه زوجتُه سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، ومالكُ بنُ زَمْعَةَ[7] ، وامرأتُه عَمْرَةُ بنتُ السَّعْدِيِّ ، وحاطِبُ[8] بنُ عَمْرٍو العامِرِيُّ ،

(1 - 1) سقط من : الأصل .
(2) فى النسخ : « سعيد » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ٣/ ٢٠٦ .
(3) فى السيرة : « سعد » . وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٦٣ .
(4) بعده فى م : « وسعيد » .
(5 - 5) سقط من : م ، ص .
(6) فى ص : « سعد » . وانظر المصدر السابق ص ١٦٤ .
(7) فى النسخ : « ربيعة » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ٥/ ٢٦ .
(8) فى النسخ : « أبو حاطب » . وانظر ما تقدم صفحة ١٦٨ حاشية (1) .

وحَليفُهم سَعْدُ بنُ خَوْلَةَ - وهو مِن اليمنِ - وأبو عُبَيْدَةَ عامرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الجَرَّاحِ الفِهْرِيُّ ، وسُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ - وهى أُمُّه ، واسمُها دَعْدُ بنتُ جَحْدَمِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ ظَرِبِ بنِ الحارثِ بنِ فِهْرٍ - وهو سُهَيْلُ بنُ وَهْبِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ هلالِ[1] [2]ابنِ أُهَيْبِ[2] بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ ، وعَمْرُو بنُ أبى سَرْحِ بنِ ربيعةَ بنِ هلالِ بنِ مالكِ[3] بنِ ضَبَّةَ بنِ الحارثِ ، وعياضُ بنُ زُهيرِ بنِ أبى شَدّادِ بنِ ربيعةَ ابنِ هلالِ ابنِ مالِكِ[4] بنِ ضَبَّةَ ، [5]ويقالُ : بل ربيعةَ بنِ هلالِ بنِ مالكِ بنِ ضَبَّةَ[5] . وعمرُو بنُ الحارثِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبى شَدَّادِ بنِ رَبِيعَةَ ، وعثمانُ بنُ عبدِ غَنْمِ بنِ زُهَيْرٍ ، وسَعْدُ[6] بنُ عبدِ قيسِ بنِ لَقِيطٍ ، وأخوه الحارثُ الفِهْرِيُّون .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فكان جميعُ مَن لَحِقَ بأرضِ الحبشةِ وهاجَرَ إليها مِن المسلمين - سِوَى أبنائِهم الذين خَرَجُوا بهم صِغارًا ووُلِدوا بها - ثلاثةٌ وثمانين رجلًا ، إنْ كان عَمّارُ بنُ ياسرٍ فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه[8] .

قلتُ : وذِكْرُ ابنِ إسحاقَ أبا موسى الأَشْعَرِيَّ فيمَن هاجَرَ مِن مكةَ إلى

---

(١) فى الأصل ، ص : « بلال » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) كذا فى النسخ . ووقع فى سيرة ابن هشام « أهيب » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٢٨. والاستيعاب ٣/ ١١٧٦.

(٤) كذا فى النسخ ، ووقع فى سيرة ابن هشام : « أهيب » . وهو موافق لما فى الاستيعاب ٣/ ١٢٣٣، وأسد الغابة ٤/ ٣٢٣.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) فى م : « سعيد » . ووقع الخلاف فى اسمه ، هل هو سعد أو سعيد . انظر أسد الغابة ٢/ ٣٥٩، ٣٩٥.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢١٠، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠.

(٨) أى ابن إسحاق . وقد تقدم من رواية الطبرى .

أرضِ الحبشةِ غريبٌ جِدًّا .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا حَسَنُ بنُ موسَى ، سَمِعْتُ حُدَيْجًا[2] أخا زُهَيْرِ بنِ مُعاويةَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى النَّجاشِيِّ ، ونحن نَحْوٌ مِن ثمانين رجلًا ، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، [٩٠/٢ظ] وجعفرٌ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عُرْفُطَةَ ، وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ، وأبو موسى ، فَأَتَوُا النَّجاشِيَّ ، وبَعَثَتْ قريشٌ عَمْرَو بنَ العاصِ ، وعُمارَةَ ابنَ الوليدِ بهديَّةٍ ، فلَمّا دَخَلا على النَّجاشِيِّ ، سَجَدَا له ، ثُم ابْتَدَراه عن يمينِه وعن شمالِه ، ثُم قالا له : إنَّ نفرًا مِن بنى عَمِّنا نَزَلوا أرضَك ، ورَغِبُوا عنَّا وعن مِلَّتِنا . قال : فأينَ هم ؟ قالا : فى أرضِك ، فابْعَثْ إليهم . فبعَثَ إليهم ، فقالَ جَعْفَرٌ : أنا خطيبُكم اليومَ . فاتَّبَعُوه ، فسلَّمَ ولم يَسْجُدْ ، فقالوا له : ما لَكَ لا تَسْجُدُ للملكِ ؟ قال : إنَّا لا نَسْجُدُ إلَّا للَّهِ ، عزَّ وجلَّ . قال : وما ذاك ؟ قال : إنَّ اللَّهَ بعَثَ إلينا رسولًا ثُم أمَرَنا أنْ لا نَسْجُدَ لأَحدٍ إلّا للَّهِ عزَّ وجلَّ ، وأمَرَنا بالصلاةِ والزكاةِ . قال عَمْرٌو : فإنَّهم يُخالِفُونَك فى عيسَى بنِ مريمَ . قال : فما تَقولون فى عيسَى بنِ مَرْيَمَ وأُمِّه ؟ قالوا : نَقُولُ كما قال اللَّهُ ؛ هو كلمةُ اللَّهِ ورُوحُه أَلْقَاها إلى العذراءِ البَتُولِ ، التى لم يَمَسَّها بَشَرٌ ، ولم يَفْرِضْها[3] وَلَدٌ . قال : فرفَعَ عودًا مِن الأرضِ ثُم قال : يا معشرَ الحبشةِ والقِسِّيسِينَ والرُّهْبانِ ، واللَّهِ ما

---

(١) فى المسند ٤٦١/١ (إسناده حسن) .

(٢) فى النسخ : « خديجا » . والمثبت من المسند . وهو حديج بن معاوية بن حديج بن الرحيل الجعفى الكوفى . تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٨ .

(٣) أى ؛ لم يؤثر فيها ولم يَحُزُّها ، يعنى قبل المسيح عليه السلام . النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٣٣ .

يَزيدون على الذى نَقولُ فيه ما يَسْوَى[1] هذا، مَرْحَبًا بكم وبمَن جِئْتُم مِن عندِه، أَشْهَدُ أنَّه رسولُ اللَّهِ، وأنَّه الذى نَجِدُ فى الإنجيلِ، وأنَّه الرسولُ الذى بَشَّرَ به عيسَى بنُ مَرْيَمَ، انْزِلُوا حيث شِئْتُم، واللَّهِ لولا ما أنَا فيه مِن المُلْكِ لأَتَيْتُه حتى أَكُونَ أنا أَحْمِلُ نَعْلَيْه. وأمَرَ بهديَّةِ الآخَرَيْن فرُدَّتْ إليهما، ثُم تَعَجَّلَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ حتى أَدْرَكَ بَدْرًا، وزعَمَ أنَّ النبىَّ ﷺ استَغْفَرَ له حينَ بلَغَه موتُه. وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ، وسِياقٌ حَسَنٌ، وفيه ما يَقْتَضِى أنَّ أبا موسَى كان مِمَّن هاجَرَ مِن مكةَ إلى أرضِ الحبشةِ، إن لم يَكُنْ ذِكْرُه مُدْرَجًا مِن بعضِ الرُّواةِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رُوِىَ عن أبى إسحاقَ السَّبِيعِىِّ مِن وجهٍ آخَرَ؛ فقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»[2]: حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا محمدُ بنُ زكريَّا الغَلَابِىُّ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَجَاءٍ، حدَّثَنا إسرائيلُ، (ح) وحدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، [3]حدَّثَنا محمدُ بنُ زكريَّا، حدَّثَنا[3] الحسنُ بنُ عَلُّوَيْهِ القَطَّانُ، حدَّثَنا عبَّادُ بنُ موسى الخُتَّلِىُّ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ جَعْفَرٍ، حدَّثَنا إسرائيلُ، (ح) وحدَّثَنا أبو أحمدَ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ شِيرَوَيْهِ، حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ - هو ابنُ رَاهَوَيْهِ - حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسَى، حدَّثنا إسرائيلُ، عن أبى إسحاقَ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى مُوسَى، قال: أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نَنْطَلِقَ مع جعفرِ ابنِ أبى طالبٍ إلى أرضِ النَّجَاشِىِّ، فبلَغ ذلك قريشًا، فَبَعَثوا عمرَو بنَ العاصِ،

---

(١) فى النسخ: «سوى». والمثبت من المسند. وكأنه أشار بيده إلى شىء. وانظر ما يأتى فى ص ١٧٦، ١٧٩.

(٢) دلائل النبوة (١٩٦)، وانظر حلية الأولياء ١/ ١١٤.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

وعُمَارةَ بنَ الوليدِ ، وجمَعوا للنَّجاشِيِّ هَديةً ، وقَدِمَا على النَّجاشِيِّ ، فأتَيَاه بالهديةِ ، فقَبِلَها ، وسَجَدَا له ، ثُم قال عَمْرُو بنُ العاصِ : إنَّ ناسًا مِن أرضِنا رَغِبُوا عن دينِنا ، وهم فى أرضِك . قال لهم النَّجاشِيُّ : فى أرْضى ؟! قالا : نَعَمْ . فبَعَثَ إلينا ، فقال لنا جَعْفَرٌ : لا يَتَكَلَّمْ منكم أحَدٌ ، أنا خطيبُكم اليومَ . فانْتَهَيْنا إلى النَّجاشِيِّ وهو جالسٌ فى مجلسِه ، وعَمْرُو بنُ العاصِ عن يمينِه ، وعُمَارةُ عن يسارِه ، والقِسِّيسُون جلوسٌ سِمَاطَيْنِ[1] - وقد قال لهم[2] عمرٌو وعُمَارَةُ : إنَّهم لا يَسْجُدون لك - فلمَّا انْتَهَيْنا ، بَدَرَنا مَن عندَه مِن القِسِّيسِينَ والرُّهْبَانِ : اسجُدوا للملِكِ . فقال جَعْفَرٌ : [٢/٩١و] لا نَسْجُدُ إلّا لِلَّهِ عزَّ وجلَّ[3] . فقال له النَّجاشيُّ : وما ذاك ؟ قال : إنَّ اللَّهَ بعَثَ فينا رسولًا ، وهو الرسولُ الذى بَشَّرَ به عيسَى بنُ مَرْيَمَ ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، قال[4] : ﴿ مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ ﴾ . فأمَرَنا أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ به شيئًا ، ونُقِيمَ الصلاةَ ، ونُؤْتِيَ الزكاةَ ، وأمَرَنا بالمعروفِ ، ونَهانا عن المنكرِ . فأعجَبَ النَّجاشيَّ قولُه ، فلَمّا رأى ذلك عَمْرُو بنُ العاصِ قال : أَصْلَحَ اللَّهُ المَلِكَ ، إنَّهم يُخالِفونك فى عيسَى بنِ مريمَ . فقال النَّجاشِيُّ لجعْفَرٍ : ما يَقُولُ صاحبُكم فى ابنِ مريمَ ؟ قال : يَقولُ فيه قولَ اللَّهِ ؛ هو رُوحُ اللَّهِ وكَلِمتُه ، أخرَجَه مِن العذراءِ البَتُولِ ، التى لَم يَقْرَبْها بَشَرٌ ولم يَفْرِضْها وَلَدٌ . فتَنَاوَلَ النَّجاشِيُّ عُودًا مِن الأرضِ فرفَعَه فقال :

---

(١) سماطين : صفين . الوسيط (س م ط) .

(٢) فى م ، ص : « له » .

(٣) بعده فى م ، ص : « فلما انتهينا إلى النجاشى قال : ما منعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله » . وهى زيادة ليست فى مصدرى التخريج .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من حلية الأولياء ؛ لتستقيم العبارة

يا معشرَ القِسِّيسينَ والرُّهْبانِ ، ما يَزِيدُ هؤلاءِ على ما تَقُولون[1] في ابنِ مريمَ ولا وَزْنَ هذه ، مَرْحبًا بكم وبمَن جِئْتُم مِن عندِه ، فأنا أَشْهَدُ أنّه رسولُ اللَّهِ ، وأنَّه الذى بَشَّرَ به عيسَى ، ولولا ما أنا فيه مِن المُلْكِ ، لأَتَيْتُه حتى أُقَبِّلَ نَعْلَيْه ، امْكُثُوا فى أرضى ما شِئْتُم . وأَمَرَ لنا بطعامٍ وكُسْوةٍ ، وقال : رُدُّوا على هَذَيْن هَدِيَّتَهما . وكان عمرُو بنُ العاصِ رجلًا قصيرًا ، وكان عُمارةُ رجلًا جميلًا ، وكانا أَقْبَلا فى البَحْرِ ، فشَرِبَا ، ومع عَمْرٍو امرأتُه ، فلمّا شَرِبَا ، قال عُمَارةُ لعمرٍو : مُرِ امرأتَك فلْتُقَبِّلْنى . فقال له عمرٌو : ألا تَسْتَحِى ؟! فأَخَذ عُمَارةُ عَمْرًا فرَمَى به فى البحرِ ، فجعَلَ عمرٌو يُنَاشِدُ عُمارةَ ، حتى أَدْخَلَه السفينةَ ، فحَقَد عليه عَمْرٌو فى ذلك ، فقال عمرٌو للنَّجاشيِّ : إنَّك إذا خرجْتَ ، خلَفَك عُمَارةُ فى أهلِك . فدَعا النَّجاشيُّ بعُمارةَ ، فنُفِخَ فى إحْلِيلِه فطارَ مع الوَحْشِ[2] .

وهكذا روَاه الحافظُ البَيْهَقِيُّ فى « الدلائلِ »[3] ، مِن طريقِ أبى علىٍّ الحسنِ ابنِ سَلَّامٍ السَّوَّاقِ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ موسى ، فذكَرَ بإسنادِه مِثْلَه ، إلى قولِه : فأمرَ لنا بطعامٍ وكُسْوةٍ . قال[4] : وهذا إسنادٌ صحيحٌ ، وظاهِرُه يَدُلُّ على أنَّ أبا موسى كان بمكةَ ، وأنَّه خرَجَ مع جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ إلى أرضِ الحبشةِ ، والصحيحُ عن بُرَيْدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، عن جَدِّه أبى بُرْدَةَ ، عن أبى موسى أنهم بلَغَهم مَخْرَجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهم باليمنِ ، فخرَجُوا مُهاجرين فى بضعٍ وخمسين رجلًا فى سفينةٍ ، فأَلْقَتْهم سفينتُهم إلى النَّجاشيِّ بأرضِ الحبشةِ ،

---

(١) فى م : « نقول » .

(٢) انظر ما يأتى ص ١٨٩ .

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٢٩٩.

(٤) أى البيهقى .

فوافَقوا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ وأصحابَه عندَه[1]، فأمَرَهم[2] جعفرٌ بالإقامةِ، فأقاموا عندَه حتى قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ زمَنَ خَيْبَرَ. قال[3]: فأبو موسى شَهِدَ ما جرَى بينَ جَعْفَرٍ وبينَ النَّجاشىِّ فأخْبَرَ عنه. قال: ولعلَّ الراوىَ وَهِمَ فى قولِه: أَمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ نَنْطَلِقَ. واللَّهُ أعلمُ.

وهكذا روَاه البخارىُّ فى بابِ هجرةِ الحبشةِ[4]: حدَّثَنا محمدُ بنُ العلاءِ، حدَّثَنا أبو أسامَةَ، حدَّثَنا بُرَيْدُ[5] بنُ عبدِ اللَّهِ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى موسى قال: بَلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ ونحن باليمنِ، فرَكِبْنا سفينةً، فأَلْقَتْنا سفينَتُنا إلى النَّجاشىِّ بالحبشةِ، فوافَقْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنا، فوافَقْنا النبىَّ ﷺ، حينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فقال النبىُّ ﷺ: «لكم أنتم أهلَ السفينةِ هِجْرَتانِ». وهكذا رَوَاه مسلمٌ[6]، عن أبى كُرَيْبٍ وأبى عامرٍ عبدِ اللَّهِ [٩١/٢ظ] بنِ بَرَّادِ بنِ يوسُفَ بنِ أبى بُرْدَةَ بنِ أبى موسَى، كِلاهما عن أبى أُسامَةَ به. ورواه[7] فى مواضعَ أُخَرَ مُطَوَّلًا[8]. واللَّهُ أعلمُ.

وأما قصةُ جَعْفَرٍ مع النَّجاشىِّ، فإنَّ الحافظَ ابنَ عَسَاكِرَ روَاها فى تَرْجمةِ

---

(١) فى النسخ: «عندهم». والمثبت من دلائل البيهقى، والضمير يعود على النجاشى.
(٢) فى م: «فأمره».
(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٣٠٠.
(٤) البخارى (٣٨٧٦).
(٥) فى النسخ: «يزيد». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.
(٦) مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣).
(٧) فى الأصل، م: «روياه». والضمير فى «رواه» يعود على البخارى، حيث لم يروه مسلم إلا فى الموضع السابق فى كتاب فضائل الصحابة.
(٨) البخارى (٣١٣٦، ٤٢٣٠).

جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ مِن « تاريخِه »[1] مِن روايةِ نفسِه ، ومِن روايةِ عمرِو بنِ العاصِ ، وعلى يَدَيْهما جرَى الحديثُ ، ومِن رِوايةِ ابنِ مسعودٍ كما تقدَّمَ ، وأُمِّ سلمةَ كما سيأْتى ؛ فأمّا رِوايةُ جَعْفَرٍ فإنَّها عزيزةٌ جِدًّا ، روَاها ابنُ عَسَاكِرَ[2] عن أبى القاسمِ السَّمَرْقَنْدىِّ عن أبى الحُسَيْنِ بنِ النَّقُورِ ، عن أبى طاهرٍ المخَلِّصِ ، عن أبى القاسمِ البَغَوىِّ ، قال : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمنِ الجُعْفىُّ[3] عبدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ ابنِ أبَانَ ، حدَّثَنا أسدُ بنُ عَمْرٍو البَجَلىُّ ، عن مُجَالِدِ بنِ سعيدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن أبيه . قال : بَعَثَتْ قريشٌ عَمْرَو بنَ العاصِ وعُمَارَةَ ابنَ الوليدِ بهديةٍ مِن أبى سُفيانَ إلى النَّجَاشِىِّ ، فقالوا له ونحن عندَه : قد صارَ إليك ناسٌ مِن سِفْلَتِنا وسُفَهَائِنا ، فادْفَعْهم إلينا . قال : لا ، حتى أَسْمَعَ كلامَهم . قال : فبعَث إلينا فقال : ما يقولُ هؤلاء؟ قال : قلْنا : إنَّ هؤلاءِ قومٌ يَعْبُدُون الأوثانَ ، وإنَّ اللَّهَ بَعَث إلينا رَسولًا فآمَنَّا به وصَدَّقْناه . فقال لهم النَّجاشىُّ : أَعَبِيدٌ هم لكم؟ قالوا : لا . قال : فلكم عليهم دَيْنٌ؟ قالوا : لا . قال : فخَلُّوا سبيلَهم . قال : فخرَجْنا مِن عندِه ، فقال عَمْرُو بنُ العاصِ : إنَّ هؤلاء يَقولون فى عيسَى غيرَ ما تَقولُ . قال : إنْ لم يقولوا فى عيسَى مِثْلَ قولى ، لم أَدَعْهم فى أرضى ساعةً مِن نهارٍ . فأرْسَلَ إلينا ، فكانت الدعوةُ الثانيةُ أشدَّ علينا مِن

(١) سقطت ترجمة جعفر من تاريخ ابن عساكر المطبوع والمخطوط لدينا . وهى فى مختصر تاريخ دمشق ٦٢/٦ - ٧٤.

(٢) لم نجد رواية جعفر فى مختصر تاريخ دمشق ، وقد رواها الطبرانى فى معجمه الكبير (١٤٧٨/٢) من طريق أسد بن عمرو به . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٣٠: رواه الطبرانى من طريق أسد بن عمرو عن مجالد وكلاهما ضعيف وقد وثقا .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « عن » . وهو خطأ . وأبو عبد الرحمن الجعفى هو عبد اللَّه بن عمر بن محمد ابن أبان بن صالح بن عمير القرشى الأموى . تهذيب الكمال ١٥/ ٣٤٥.

الأُولى ، قال : ما يقولُ صاحبُكم فى عيسى بنِ مَرْيَمَ ؟ قلنا : يقولُ : هو رُوحُ اللَّهِ وكَلِمَتُه ألْقَاها إلى عذراءَ بَتُولٍ . قال : فأَرْسَلَ فقال : ادْعُوا لى فلانًا القَسَّ ، وفُلانًا الراهِبَ . فأتاه ناسٌ منهم فقال : ما تَقولون فى عيسى بنِ مَرْيَمَ ؟ فقالوا : أنت أَعْلَمُنا ، فما تقولُ ؟ قال النجاشيُّ - وأخَذَ شيئًا مِن الأرضِ - قال : ما عَدا عيسَى ما قال هؤلاء مِثْلَ هذا . ثُم قال : أَيُؤْذِيكم أحدٌ ؟ قالوا : نَعَمْ . فنادَى مُنادٍ : مَن آذَى أحَدًا منهم فأَغْرِموه أربعةَ دراهِمَ . ثُم قال : أيَكْفِيكم ؟ قلنا : لا . فأَضْعَفَها . قال : فلمَّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وظهَر بها ، قلنا له : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قد ظهَرَ وهاجَرَ إلى المدينةِ ، وقُتِلَ الذين كنَّا حَدَّثْناك عنهم ، وقد أَرَدْنا الرحيلَ إليه ، فزَوِّدْنا[1] . قال : نَعَمْ . فحَمَلَنا وزَوَّدَنا ، ثُم قال : أَخْبِرْ صاحبَك بما صَنَعْتُ إليكم ، وهذا صاحبى معَكم ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّه رسولُ اللَّهِ ، وقل له يَسْتَغْفِرْ لى . قال جَعْفَرٌ : فخرَجْنا حتى أَتَيْنا المدينةَ ، فتلَقَّانى رسولُ اللَّهِ ﷺ واعْتَنَقَنى ، ثُم قال : « مَا أَدْرى أنا بفَتْحِ خَيْبَرَ أَفْرَحُ ، أَمْ بقُدُومِ جَعْفَرٍ ! » . ووافَقَ ذلك فَتْحَ خَيْبَرَ ، ثُم جلَسَ ، فقال رسولُ النَّجاشيِّ : هذا جَعْفَرٌ ، فسَلْه ما صنَعَ به صاحبُنا ؟ فقال : نَعَمْ ، فعَل بنا كذا وكذا ، وحَمَلَنا وزوَّدَنا ، وشَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رسولُ اللَّهِ ، وقال لى : قُلْ له يَسْتَغْفِرْ لى . فقامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فتَوَضَّأَ ، ثُم دَعا ثلاثَ مراتٍ : « اللهُمَّ اغْفِرْ للنجاشيِّ » . فقال المسلمونَ : آمينَ . ثُم قال جَعْفَرٌ : فقلتُ للرَّسولِ : انْطَلِقْ فأَخْبِرْ صاحبَك بما رأَيْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثُم قال ابنُ عَساكِرَ : حسنٌ غريبٌ .

---

(١) فى م ، ص : « فردنا » .

وأما روايةُ أُمِّ سَلَمَةَ[1] ، فقد قال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثني الزُّهْرِيُّ ، عن أبي بَكْرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حارثِ بنِ هِشَامٍ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنها ، أنَّها قالت : لَمَّا ضاقَتْ علينا مكةُ ، وأُوذِيَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفُتِنُوا ، [٩٢/٢و] ورَأَوْا ما يُصِيبُهم مِن البلاءِ والفِتْنَةِ في دينِهم ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذلك عنهم ، وكان رسولُ اللَّهِ في مَنَعَةٍ مِن قومِه ومِن عمِّه ، لا يَصِلُ إليه شيءٌ مما يَكْرَهُ ومما يَنَالُ أصحابَه ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ بأرضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ أحدٌ عندَه ، فالْحَقُوا ببلادِه حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لكم فرجًا ومخرجًا مِمَّا أنتم فيه » . فخرَجْنا إليها أَرْسالًا حتى اجْتَمَعْنا بها ، فنَزَلْنا بخيرِ دارٍ إلى خيرِ جارٍ آمِنِينَ على دينِنا ، ولم نَخْشَ فيها ظلمًا ، فلمَّا رأَتْ قريشٌ أنَّا قد أَصَبْنا دارًا وأَمْنًا[2] ، اجْتَمَعوا على أنْ يَبْعَثُوا إلى النجاشيِّ فينا ؛ ليُخْرِجونا مِن بلادِه ولِيَرُدَّنا عليهم ، فبَعَثُوا عَمْرَو بنَ العاصِ وعبدَ اللَّهِ بنَ أبي ربيعةَ ، فجمَعوا له هدايا ولبَطَارِقَتِه ، فلم يَدَعُوا منهم رجلًا إلَّا هَيَّئُوا له هديةً على حِدَةٍ ، وقالوا لهما : ادْفَعُوا إلى كلِّ بِطريقٍ هديتَه قبلَ أنْ تَتَكَلَّموا فيهم ، ثُم ادْفَعوا إليه هَداياه ، فإنِ استَطَعتم أنْ يَرُدَّهم عليكم قبلَ أن يُكَلِّمَهم فافْعَلُوا . فقَدِمَا عليهِ ، فلم يَبْقَ بِطْرِيقٌ مِن بَطارِقَتِه إلا قَدَّمُوا إليه هَدِيَّتَه وكَلَّموه وقالوا له : إنما قَدِمْنا على هذا المَلِكِ في سفهائِنا ، فارَقوا أقوامَهم في دينِهم ولم يَدْخُلوا في دينِكم ، فبَعَثَنا قومُهم ليَرُدَّهم المَلِكُ عليهم ، فإذا نحن كلَّمْناه فأَشِيروا عليه بأنْ يَفْعَلَ . فقالوا : نَفْعَلُ . ثُم قَدَّموا إلى النجاشيِّ هَداياه ، وكان مِنْ أحبِّ ما

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٤ - ١٩٧، وانظر سيرة ابن هشام ٣٣٤/١ - ٣٣٨. كما أخرجها أبو نعيم في الدلائل : ١٩٩ - ٢٠٣ ، والبيهقي في الدلائل ٣٠١/٢ - ٣٠٦ ، وفي السنن الكبرى ٩/٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق، كما في مختصره ٦٢/٦ - ٦٦.

(٢) بعده في الأصل، م: « غاروا منا » .

يُهْدُون إليه مِن مكةَ الأُدُمُ[1] - وذكَرَ موسى بنُ عُقْبَةَ أنهم أَهْدَوا إليه فَرَسًا وجُبَّةَ دِيباجٍ[2] - فلمَّا أَدْخَلوا عليه هَداياه، قالوا له: أيُّها الملِكُ، إنَّ فتيةً منا سفهاءَ فارقوا دينَ قومِهم، ولم يَدْخُلوا فى دينِك، وجاءُوا بدينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُه، وقد لَجئُوا إلى بلادِك، وقد بَعَثَنا إليك فيهم عشائرُهم؛ آباؤُهم وأعمامُهم وقومُهم لتَرُدَّهم عليهم، فإنَّهم أعلى بهم عَيْنًا[3]، [4]فقالت بَطارِقَتُه: صَدَقوا أيُّها الملِكُ، لو رَدَدْتَهم عليهم، كانوا هم أعلَى بهم عَيْنًا[4]؛ فإنَّهم لن يَدْخُلوا فى دينِك فتَمْنَعَهم لذلك. فغَضِبَ ثُم قال: لا، لَعَمْرُ اللَّهِ لا أَرُدُّهم عليهم حتى أَدْعُوَهم، فأُكَلِّمَهم وأَنْظُرَ ما أَمْرُهم، قومٌ لَجئُوا إلى بلادِى، واختاروا جِوَارِى على جِوارِ غيرِى، فإنْ كانوا كما يَقولون رَدَدْتُهم عليهم، وإنْ كانوا على غيرِ ذلك مَنَعْتُهم، ولم أُدْخِلْ بينَهم وبينَهم، ولم أُنْعِمْهم عَيْنًا[5] - [6]وذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[7] أنَّ أُمراءَه أَشاروا عليه بأنْ يَرُدَّهم إليهم، فقال: لا واللَّهِ حتى أَسْمَعَ كلامَهم، وأَعْلَمَ على أىِّ شىءٍ هم عليه. فلمَّا دَخَلوا عليه، سَلَّمُوا ولم يَسْجُدوا له، فقال: أيُّها الرهطُ، ألَا تُحَدِّثونى! ما لكم لا تُحَيُّونى كما يُحَيِّينى مَن أَتانِى مِن قومِكم؟ وأَخْبِرُونِى ماذا تَقولون فى عيسى، وما دينُكم؟ أَنَصارى[6]

---

(١) الأدم: جمع الأَدِيم، وهو الجلد. الوسيط (أ د م).

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٩٣، من حديث موسى بن عقبة.

(٣) قال السهيلى فى الروض الأنف ٣/ ٢٥٧: أعلى بهم عينا: أى أبصر بهم. أى: عينهم وإبصارهم فوق عين غيرهم فى أمرهم.

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من سيرة ابن إسحاق، ومختصر تاريخ دمشق.

(٥) أنعمهم عينا: أقر أعينهم.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٥، من حديث موسى بن عقبة.

(١) أنتم؟ قالوا: لا. قال: أفَيَهودٌ أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دينِ قومِكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينُكم؟ قالوا: الإسلامُ. قال: وما الإسلامُ؟ قالوا: نَعْبُدُ اللَّهَ لا نُشْرِكُ به شيئًا. قال: مَن جاءَكم بهذا؟ قالوا: جاءَنا به رجلٌ مِن أَنْفُسِنا قد عَرَفْنا وَجْهَه ونسبَه، بعَثَه اللَّهُ إلينا كما بعَثَ الرسلَ إلى مَن قَبْلَنا، فأمَرَنا بالبِرِّ والصدقةِ والوفاءِ وأداءِ الأمانةِ، ونَهَانا أنْ نَعْبُدَ الأوْثانَ، وأمَرَنا بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، فصَدَّقْناه، وعَرَفْنا كلامَ اللَّهِ، وعَلِمْنا أنَّ الذى جاءَ به مِن عندِ اللَّهِ، فلمَّا فَعَلْنا ذلك عادانا قومُنا وعادَوُا النبيَّ الصادقَ وكَذَّبُوه، وأَرادوا قتلَه، وأَرادونا على عبادةِ الأوْثانِ، فَفَرَرْنا إليك بدينِنا ودمائِنا مِن قومِنا. قال: واللَّهِ إنَّ هذا لَـمِن المِشْكاةِ التى خرَج منها أمرُ موسى. قال جَعْفَرٌ: وأمّا التحيّةُ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخْبَرَنا أنَّ تحيةَ أهلِ الجنةِ السلامُ، وأَمَرَنا بذلك، فحَيَّيْناك بالذى يُحَيِّى بعضُنا بعضًا، وأما عيسى بنُ مَرْيَمَ فعبدُ اللَّهِ ورسولُه، وكلمتُه أَلْقَاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منه، وابنُ العذراءِ البَتُولِ. فأخَذ عُودًا وقال: واللَّهِ ما زاد ابنُ مَرْيَمَ على هذا وَزْنَ هذا العودِ. فقال عظماءُ الحبشةِ: واللَّهِ لَئن سَمِعَتِ الحبشةُ لَتَخْلَعَنَّك. فقال: واللَّهِ لا أَقُولُ فى عيسى غيرَ هذا أبدًا، وما أَطَاعَ اللَّهُ الناسَ فىَّ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى، فأُطيعَ الناسَ فى دينِ اللَّهِ، معاذَ اللَّهِ مِن ذلك. وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ(١)(٢) - فأَرْسَلَ إليهم النَّجاشىُّ فجمَعَهم، ولم يَكُنْ شىءٌ أبغضَ لعَمْرِو بنِ العاصِ وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ مِن أنْ يَسْمَعَ كلامَهم، فلمَّا جاءَهم رسولُ النَّجاشىِّ اجْتَمَعَ القومُ فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) يستأنف ابن كثير رواية ابن إسحاق بعد انتقاله لرواية موسى بن عقبة.

نَقول ؟! نَقولُ واللَّهِ ما نَعْرِفُ ، وما نحن عليه مِن أمرِ دينِنا ، وما جاءَ به نبيُّنا ﷺ كائنًا فى ذلك ما كان . فلمَّا دخَلوا عليه ، كان الذى يُكَلِّمُه منهم جَعْفَرَ ابنَ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال له النَّجاشىُّ : ما هذا الدينُ الذى أنتم عليه ؟ فارَقْتُم دينَ قومِكم ، ولم تَدْخُلوا فى يهوديةٍ ولا نَصْرانيةٍ ، (١فما هذا الدينُ١) ؟ فقال له جَعْفَرٌ : أيُّها المَلِكُ ، كنا قومًا على الشركِ ؛ نَعْبُدُ الأوثانَ ، ونأْكُلُ المَيْتَةَ ، ونُسِىءُ الجِوارَ ، ونَسْتَحِلُّ المحارمَ بعضُنا مِن بعضٍ ، فى سفكِ الدماءِ وغيرِها ، لا نُحِلُّ شيئًا ولا نُحَرِّمُه ، فبعَثَ اللَّهُ إلينا نبيًّا مِن أنفُسِنا ، نَعْرِفُ وَفاءَه وصدقَه وأمانتَه ، فدَعانا إلى أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له ، ونَصِلَ الأرحامَ ، ونَحْمِىَ الجِوارَ ، ونُصَلِّىَ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ونَصُومَ له ، ولا نَعْبُدَ غيرَه .

وقال زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ[٢] : فدَعانا إلى اللَّهِ [٩٢/٢ظ] لنُوَحِّدَه ونَعْبُدَه ، ونَخْلَعَ ما كنا نَعْبُدُ نحن وآباؤُنا مِن دونِه مِن الحجارةِ والأَوثانِ ، وأمَرَنا بصِدْقِ الحديثِ ، وأداءِ الأَمانةِ ، وصلةِ الرحِمِ ، وحسنِ الجِوارِ ، والكفِّ عن المَحارمِ والدماءِ ، ونَهانا عن الفواحشِ ، وقولِ الزُّورِ ، وأكلِ مالِ اليتيمِ ، وقَذْفِ المُحْصَنَةِ ، وأمَرَنا أنْ نَعْبُدَ اللَّهَ لا نُشْرِكُ به شيئًا ، وأمَرَنا بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ - قال[٣] : فَعَدُّوا عليه أمورَ الإسلامِ - فصَدَّقْناه وآمَنَّا به ، واتَّبَعْناه على ما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، فعَبَدْنا اللَّهَ وحدَه لا شريكَ له ، ولم نُشْرِكْ به شيئًا ، وحَرَّمْنا ما حَرَّمَ علينا ، وأَحْلَلْنا ما أحَلَّ لنا ، فَعَدَا علينا قومُنا ، فعذَّبونا وفَتَنُونا عن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٣٦/١ .

(٣) كذا بالنسخ . وفى سيرة ابن هشام : « قالت » . وهو أشبه . على اعتبار أن القائل أم سلمة كما سيأتى .

دينِنا ، ليَرُدُّونا إلى عبادةِ الأوثانِ مِن عبادةِ اللَّهِ ، وأنْ نَسْتَحِلَّ ما كنا نَسْتَحِلُّ مِن الخبائثِ ، فلمَّا قَهَرُونا وظَلَمونا ، وضَيَّقُوا علينا ، وحالُوا بينَنا وبينَ دينِنا ، خرَجْنا إلى بلادِك ، واخْتَرْناك على مَن سِواك ، ورَغِبْنا فى جِوارِك ، ورَجَوْنا أنْ لا نُظْلَمَ عندَك أيُّها المَلِكُ . قالت : فقال النَّجاشىُّ : هل معك شىءٌ مِمَّا جاءَ به ؟ - وقد دَعَا أساقِفَتَه ، فأمَرَهم فنَشَروا المصاحفَ حولَه - فقال له جَعْفَرٌ : نعَمْ . قال[1] : هَلُمَّ فاتْلُ علىَّ مِمَّا جاءَ به . فقرأَ عليه صَدْرًا مِن ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم : ١] . فبكَى واللَّهِ النجاشىُّ حتى اخْضَلَّتْ لحيتُه ، وبَكَتْ أَساقِفَتُه حتى أَخْضَلُوا مَصاحفَهم ، ثُم قال : إنَّ هذا الكلامَ لَيَخْرُجُ مِن المِشْكَاةِ التى جاءَ بها موسى ، انطَلِقُوا راشدِينَ ، لا واللَّهِ لا أَرُدُّهم عليكم ولا أُنْعِمُكم عَيْنًا . فخرَجْنا مِن عندِه وكان أَتْقَى[2] الرجُلَيْن فينا عبدَ اللَّهِ بنَ أبى رَبيعةَ ، فقال عَمْرُو بنُ العاصِ : واللَّهِ لَآتِيَنَّهُ غدًا بما أَستَأْصِلُ به خَضْرَاءَهم ، ولَأُخْبِرَنَّه أنَّهم يَزْعُمون أنَّ إلَـٰهَه الذى يَعْبُدُ - عيسى بنَ مَرْيَمَ - عَبْدٌ . فقال له عبدُ اللَّهِ بنُ أبى ربيعةَ : لا تَفْعَلْ ، فإنَّهم وإن كانوا خالَفونا فإنَّ لهم رَحِمًا ولهم حَقًّا . فقال : واللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ . فلمَّا كان الغَدُ دخَل عليه فقال : أيُّها الملكُ ، إنَّهم يَقولون فى عيسى قولًا عظيمًا ، فأَرْسِلْ إليهم فسَلْهم عنه . فبعَثَ واللَّهِ إليهم ، ولم يَنْزِلْ بنا مِثْلُها ، فقال بعضُنا لبعضٍ : ماذا تَقولونَ له فى عيسَى إنْ هو سأَلكم عنه ؟ فقالوا : نَقولُ واللَّهِ الذى قاله اللَّهُ فيه ، والذى أمَرَنا نبيُّنا أنْ نَقولَه فيه . فدَخَلوا عليه وعندَه بطَارِقتُه ، فقال : ما

---

(١) من هنا يستأنف المصنف رواية يونس عن ابن إسحاق ، انظر سيرة ابن إسحاق برواية يونس . وسيرة ابن هشام برواية زياد البكائى . وأردنا التنبيه لما سيأتى من كلام المصنف حين يرجع مرة أخرى إلى رواية ابن هشام لتحرير لفظة « دبر » .

(٢) فى م ، ص : « أبقى » .

تقولون في عيسَى بنِ مَرْيَمَ؟ فقال له جَعْفَرٌ: نَقولُ: هو عبدُ اللَّهِ ورسولُه، ورُوحُه وكَلِمتُه أَلْقاها إلى مَرْيَمَ العذراءِ البَتُولِ. فدَلَّى النَّجاشيُّ يدَه إلى الأرضِ، فأخَذ عودًا بينَ أُصْبُعَيْه فقال: ما عَدَا عيسى بنُ مَرْيَمَ مِمَّا قُلْتَ هذا العُوَيْدَ. فتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُه[1]. فقال: وإنْ تَناخَرْتُم واللَّهِ، اذهَبوا فأنتم سُيُومٌ[2] في الأرضِ - والسُّيومُ[3]: الآمِنونَ في الأرضِ - مَن سَبَّكم غَرِمَ، مَن سَبَّكم غَرِم، مَن سَبَّكم غَرِمَ، ثلاثًا، ما أُحِبُّ أَنَّ لي دَبْرًا وأَنِّي آذَيْتُ رجلًا منكم. والدَّبْرُ بلسانِهم: الذَّهبُ. وقال زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ[4]: ما أُحِبُّ أنَّ لي دَبْرًا مِن ذهبٍ. قال ابنُ هِشامٍ[4]: ويُقالُ: دَبْرَى[5] وهو الجبلُ بلُغَتِهم. ثُم قال النَّجاشيُّ: فواللَّهِ ما أخَذَ اللَّهُ مِنى الرِّشْوَةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى، ولا أَطَاعَ الناسَ فىَّ، فأُطِيعَ الناسَ فيه، رُدُّوا عليهما هَداياهما فلا حاجةَ لي بها، واخْرُجَا مِن بلادى. فَخرجَا مَقْبُوحَيْنِ مَرْدودًا [٢/٩٣و] عليهما ما جاءَا به. قالت: فأَقَمْنا مع خيرِ جارٍ في خيرِ دارٍ، فلم يَنْشَبْ أنْ خرَج عليه رجلٌ مِن الحبشةِ يُنَازِعُه في مُلْكِه، فواللَّهِ ما عَلِمْنَا حُزنًا حَزِنًّا قَطُّ كان أَشَدَّ منه، فَرَقًا مِن أنْ يَظْهَرَ ذلك المِلكُ عليه، فيَأْتِيَ مَلِكٌ لا يَعْرِفُ مِن حقِّنا ما كان يَعْرِفُه، فجعَلْنا نَدْعُو اللَّهَ

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٥/ ٣٢: تناخرت بطارقته: أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور.

(٢) في الأصل: «شيوم». وهو لفظ رواية زياد عن ابن إسحاق. وانظر تفسير الكلمة بهذا اللفظ في الروض الأنف ٣/ ٢٥٦.

(٣) وهو لفظ رواية يونس عن ابن إسحاق. وانظر تفسير الكلمة بهذا اللفظ في النهاية ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٨.

(٥) في الأصل: «زيرا»، وفي م: «زبرا»، وفي ص: «ذبرا»، وفي السيرة: «دبرا». والمثبت من الروض الأنف ٣/ ٢٤٨. وانظر النهاية ٢/ ٩٩.

ونَسْتَنْصِرُه للنَّجاشيِّ ، فخرَج إليه سائرًا ، فقال أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعضُهم لبعضٍ : مَن رجلٌ يَخْرُجُ فيَحْضُرَ الوَقْعَةَ حتى يَنْظُرَ على مَن تَكونُ ؟ فقال الزُّبَيْرُ ، وكان مِن أَحْدَثِهم سنًّا : أنا . فنَفَخُوا له قِرْبَةً فجعَلَها فى صَدْرِه ، ثُم خرَج يَسْبَحُ عليها فى النِّيلِ ، حتى خرَج مِن شِقِّه الآخرِ إلى حيث الْتَقى الناسُ ، فحضَر الوَقْعَةَ ، فهزَمَ اللَّهُ ذلك المَلِكَ وقتَلَه ، وظَهَر النَّجاشيُّ عليه ، فجاءَنا الزبيرُ فجعل يَلْمَعُ[1] لنا بردائِه ويقولُ : ألَا فأَبْشِروا ، فقد أَظْهَرَ اللَّهُ النَّجاشيَّ . [2]قالت : فواللَّهِ ما عَلِمْنا أننا[3] فَرِحْنا بشيءٍ قطُّ فَرَحَنا بظُهورِ النَّجاشيِّ[2] ، ثُم أَقَمْنا عندَه حتى خرَجَ مَن خرَج منا راجعًا[4] إلى مكةَ ، وأَقَامَ مَن أَقامَ .

قال الزُّهْرِيُّ[5] : فحدَّثْتُ هذا الحديثَ عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ ، فقال عُرْوَةُ : أتَدْرِى ما قولُه : ما أخَذ اللَّهُ منى الرِّشوةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى ، فآخُذَ الرِّشْوةَ فيه ، ولا أطاعَ الناسَ فىَّ ، فأُطيعَ الناسَ فيه ؟ فقلتُ : لا ، ما حدَّثَنى ذلك أبو بكرِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، عن أُمِّ سَلَمَةَ . فقال عُرْوَةُ : فإنَّ عائشةَ حدَّثَتْنى أنَّ أباه كان مَلِكَ قومِه ، وكان له أخٌ ، له مِن صُلْبه اثنا عَشَرَ رجلًا ، ولم يَكُنْ لأَبى النَّجاشيِّ ولدٌ غيرُ النَّجاشيِّ ، فأَدَارَتِ الحبشةُ رأْيَها بينَها ، فقالوا : لو أنَّا قَتَلْنا أبا النَّجاشيِّ ومَلَّكْنا أخاه ، فإنَّ له اثنىْ عَشَرَ رجلًا

---

(١) فى النسخ : « يليح » . والمثبت من سيرة ابن هشام . ولمع بثوبه وسيفه لمعًا ، وألمع : أشار . اللسان (ل م ع) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) زيادة من : م .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٧ ، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٩ .

مِن صُلْبِه فتَوَارَثوا المُلْكَ ، لَبَقِيَتِ الحبشةُ عليهم دَهْرًا طَويلًا ، لا يَكُونُ بينَهم اختلافٌ . فعَدَوْا عليه فَقَتَلوه ومَلَّكُوا أخاه ، فدخَلَ النَّجاشيُّ لعمِّه حتى غلَبَ عليه ، فلا يُدَبِّرُ أمْرَه غيرُه ، وكان لَبِيبًا حازمًا مِن الرجالِ ، فلمَّا رأَتِ الحبشةُ مكانَه مِن عمِّه قالوا : لقد غلَب هذا الغُلامُ على أمْرِ عمِّه فما نَأْمَنُ أنْ يُمَلِّكه علينا ، وقد عرَف أنَّا قَتَلْنا أباه ، فلَئِنْ فعَل ، لم يَدَعْ مِنَّا شَرِيفًا إلا قتَلَه ، فكلِّمُوه فيه ، فلْيَقْتُلْه أو لَيُخْرِجَنَّه مِن بلادِنا . فَمَشَوْا إلىٰ عمِّه فقالوا : قد رأَيْنا مكانَ هذا الفتَى منك ، وقد عرَفْتَ أنَّا قَتَلْنا أباه وجَعَلْناك مكانَه ، وإنَّا لا نَأْمَنُ أنْ يَمْلِكَ علينا فيَقْتُلَنا ، فإما أنْ تَقْتُلَه وإما أنْ تُخْرِجَه مِن بلادِنا . قال : وَيْحَكم ! قتَلْتُم أباه بالأَمسِ وأَقْتُلُه اليومَ ؟ بل أُخْرِجُه مِن بلادِكم . فَخَرَجوا به فوَقَفُوه فى السوقِ وباعُوه مِن تاجرٍ مِن التجارِ بستِّمِائةِ درهمٍ أو بسَبْعِمائةٍ ، فقذَفَه فى سفينةٍ ، فانطَلَقَ به ، فلمَّا كان العَشِيُّ هاجَتْ سَحابةٌ مِن سحائبِ الخريفِ ، فخرَج عمُّه يَتَمَطَّرُ تحتَها ، فأصابَتْه صاعقةٌ فقتَلَتْه ، ففزِعُوا إلى ولدِه ، فإذا هم مُحْمِقون[1] ، ليس فى أحدٍ منهم خيرٌ ، فمرِجَ على الحبشةِ أمْرُهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تَعْلَمون واللَّهِ أنَّ مَلِكَكم الذى لا يُصْلِحُ أمرَكم غيرُه لَلَّذِى بِعْتُمُ الغَدَاةَ ، فإنْ كان لكم بأمرِ الحبشةِ حاجةٌ فأَدْرِكُوه قبلَ أنْ يَذْهَبَ . فَخَرَجوا فى طَلَبِه فأَدْرَكوه فرَدُّوه ، فَعَقَدوا عليه تاجَه ، وأَجْلَسوه على سَرِيرِه ومَلَّكُوه ، فقال التاجرُ : رُدُّوا علىَّ مالى كما أَخَذْتم منى غُلَامى . فقالوا : لا نُعْطِيك . فقال : إذًا واللَّهِ لَأُكَلِّمَنَّه . [2]فقالوا : وإنْ[2] . فمشَى إليه فكلَّمَه فقال : أَيُّها الملِكُ ، إنِّى

(١) محمقون : أى وجدوا حمقى .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

ابْتَعْتُ غُلامًا فقَبَضَ منى الذين باعوه ثمنَه ، ثُم عَـدَوْا على غُلَامى فنَزَعوه مِن يَدِى [٩٣/٢ظ] ولم يَرُدُّوا علىَّ مالى . فكان أولَ ما خُبِرَ به مِن صلابةِ حُكْمِه وعَدْلِه أَنْ قال : لَتَرُدُّنَّ عليه مالَه ، أو لَتَجْعَلُنَّ يدَ غُلامِه فى يدِه فلْيَذْهَبَنَّ به حيثُ شاء . فقالوا : بل نُعْطِيه مالَه . فأَعْطَوْه إيَّاه ، فلذلك يَقولُ : ما أخَذ اللَّهُ مِنى الرِّشْوَةَ ، فآخُذَ الرِّشْوَةَ حينَ رَدَّ علىَّ مُلْكِى ، وما أطاعَ الناسَ فىَّ ، فأُطِيعَ الناسَ فيه .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] : كان أبو النَّجاشىِّ مَلِكَ الحَبَشَةِ ، فمات والنَّجاشىُّ غلامٌ صغيرٌ ، فأَوْصَى إلى أخيه : إنَّ إليك مُلْكَ قومِكَ حتى يَبْلُغَ ابْنِى ، فإذا بلَغ فله المُلْكُ . فرَغِبَ أخوه فى المُلْكِ ، فباعَ النَّجاشىَّ مِن بعضِ التجارِ ، فمات عمُّه مِن ليلتِه وقَضَى ، فرَدَّتِ الحَبَشَةُ النَّجاشِىَّ ، حتى وَضَعوا التاجَ على رأسِه . هكذا ذكَرَه مختصَرًا[2] ، وسياقُ ابنِ إسحاقَ أحسنُ وأبسطُ . فاللَّهُ أعلمُ .

والذى وقَع فى سياقِ ابنِ إسحاقَ إنما هو ذِكْرُ عَمْرِو بنِ العاصِ وعبدِ اللَّهِ ابنِ أبى ربيعةَ ، والذى ذكَرَه موسى بنُ عُقْبةَ والأُمَوِىُّ وغيرُ واحدٍ ، أنهما عَمْرُو ابنُ العاصِ وعُمَارةُ بنُ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، وهو أحدُ السبعةِ الذين دَعا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تَضاحَكوا يومَ وُضِعَ سَلى الجَزُورِ على ظَهْرِه ﷺ وهو ساجدٌ عندَ الكعبةِ . وهكذا تَقَدَّمَ[3] فى حديثِ ابنِ مسعودٍ وأبى موسى الأَشْعَرِىِّ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٩٥، من حديث موسى بن عقبة .
(٢) أى هذا الجزء من الحديث .
(٣) تقدم فى صفحة ١٧٣ - ١٧٥ .

والمقصودُ أنَّهما حينَ خَرَجَا مِن مكةَ كانت زوجةُ عَمْرٍو معه، وعُمَارةُ كان شابًّا حسنًا، فاصطَحَبا فى السفينةِ، وكان عُمَارةُ طَمِعَ فى امرأةِ عمرِو بنِ العاصِ، فأَلْقَى عَمْرًا فى البحرِ لِيُهْلِكَه، فسبَح حتى رجَع إليها. فقال له عُمارةُ: لو أَعْلَمُ أنك تُحْسِنُ السِّباحةَ لَمَا أَلْقَيْتُك. فحقَدَ عمرٌو عليه، فلمّا لم يُقْضَ لهما حاجةٌ فى المُهاجِرين مِن النَّجاشىِّ وكان عُمَارةُ قد تَوَصَّلَ إلى بعضِ أهلِ النَّجاشىِّ، فوشَى به عَمْرٌو، فأمَر به النَّجاشىُّ، فسُحِرَ حتى ذهَب عقْلُه، وساحَ فى البَرِّيَّةِ مع الوحوشِ.

وقد ذكَر الأُمَوِىُّ قصتَه مُطَوَّلةً جدًّا، وأنَّه عاش إلى زمنِ إمارةِ عُمَرَ بنِ الخطابِ، وأنه تَقَصَّدَه بعضُ الصحابةِ ومسَكَه، فجعَل يقولُ: أَرْسِلْنى، أَرْسِلْنى وإلَّا مِتُّ. فلمّا لم يُرْسِلْه ماتَ مِن ساعتِه. فاللَّهُ أعلمُ[1].

وقد قيل: إنَّ قريشًا بعَثَتْ إلى النَّجاشىِّ فى أمْرِ المهاجرين مَرَّتَيْنِ؛ الأولى مع عمرِو بنِ العاصِ وعُمارةَ، والثانيةُ مع عمرٍو وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ. نَصَّ عليه أبو نُعَيْمٍ فى «الدَّلائلِ»[2] واللَّهُ أعلمُ. وقد قِيلَ: إنَّ البَعْثَةَ الثانيةَ كانت بعدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ - قاله الزُّهْرِىُّ - ليَنَالوا مِمَّن هناك ثأرًا، فلم يُجِبْهم النَّجاشىُّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرْضاه، إلى شىءٍ مِمَّا سأَلوا. فاللَّهُ أعلمُ.

[3]وقد ذكَر زِيادٌ عن ابنِ إسحاقَ[4]، أنَّ أبا طالبٍ لَمَّا رأَى ذلك مِن صنيعِ[3]

---

(١) انظر الروض الأنف ٣/٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) دلائل النبوة (١٩٦).

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٣٣٣.

(١) قريشٍ ، كتَب إلى النَّجاشىِّ أبياتًا يَحُضُّه فيها على العَدْلِ ، وعلى الإحسانِ إلى مَن نَزَل عندَه مِن قومِه (١) :

أَلَا ليتَ شِعْرِى كيفَ فى النَّأْيِ جَعْفَرٌ ... وعَمرٌو وأعداءُ العَدُوِّ الأَقارِبُ

وما نَالَتَ افعالُ النَّجاشىِّ جَعْفَرًا ... وأصحابَه أو عاقَ ذلك شاغِبُ

تَعَلَّمْ - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشْقَى لَدَيْك[٢] المُجَانِبُ

تَعَلَّمْ بأَنَّ اللَّهَ زادَك بَسْطَةً ... وأسبابَ خيرٍ كلُّها بك لازِبُ[٣]

وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ[٤] : حدَّثنى يَزِيدُ بنُ رُومَانَ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ قال : إنَّما كانَ يُكَلِّمُ النَّجاشىَّ عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، والمشهورُ أَنَّ جَعْفَرًا هو المُتَرْجِمُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

وقال زِيادٌ البَكَّائِىُّ ، عن ابنِ إسحاقَ[٥] : حدَّثنى يَزِيدُ بنُ رُومَانَ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، قالت : لمَّا ماتَ النَّجاشىُّ ، كان يُتَحَدَّثُ أنَّه لا يَزَالُ يُرَى على قبرِه نُورٌ . ورَواه أبو داودَ[٦] ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو الرَّازِىِّ ، عن سَلَمَةَ بنِ الفَضْلِ ، (٧) عن محمدِ بنِ إسحاقَ به : لمَّا مات النَّجاشىُّ ، (٧)

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى م : « إليك » .

(٣) بعده فى سيرة ابن إسحاق وسيرة ابن هشام :

وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادى نفعَها والأقاربُ

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ١٩٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠ .

(٦) أبو داود (٢٥٢٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٤٢) .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(١) رَضِىَ اللَّهُ عنه ، كنا نَتَحدَّثُ أنَّه لا يَزالُ يُرَى على قبرِه نُورٌ .

وقال زِيادٌ ، عن(١) محمدِ بنِ إسحاقَ(٢) : حدَّثَنى جَعْفَرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه قال : اجتَمَعَتِ الحَبَشَةُ فقالوا للنَّجاشيِّ : إنَّك فارَقْتَ دينَنا . وخَرَجوا عليه ، فأَرْسَلَ إلى جَعْفَرٍ وأصحابِه ، فهَيَّأَ لهم سُفُنًا وقال : ارْكَبوا فيها وكُونُوا كما أنتمْ [٩٤/٢و] فإنْ هُزِمْتُ ، فامْضُوا حتى تَلْحَقُوا بحيثُ شِئْتُم ، وإنْ ظَفِرْتُ فاثْبُتُوا . ثُم عمَد إلى كتابٍ فكتَب فيه : هو يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه ، ويَشْهَدُ أنَّ عيسَى عبدُه ورسولُه ورُوحُه ، وكلمتُه أَلْقاها إلى مَرْيَمَ . ثُم جعَلَه فى قَبَائِه(٣) عندَ المَنْكِبِ الأَيمنِ ، وخرَج إلى الحبشةِ ، وصُفُّوا له ، فقال : يا معشرَ الحبشةِ ، أَلسْتُ أحقَّ الناسِ بكم؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رَأَيْتم سِيرَتى فيكم؟ قالوا : خيرَ سيرةٍ . قال : فما لكم؟ قالوا : فارَقْتَ دينَنا ، وزعَمْتَ أنَّ عيسَى عبدٌ . قال : فما تقولون أنتم فى عيسى؟ قالوا : نَقولُ هو ابنُ اللَّهِ . فقال النَّجاشىُّ - ووضَع يدَه على صدرِه على قَبَائِه -: وهو يَشْهَدُ أنَّ عيسى بنَ مَرْيَمَ لم يَزِدْ على هذا . وإنما يَعْنِى على ما كتَب ، فرَضُوا وانصَرَفوا ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا مات النَّجاشىُّ صلَّى عليه واستَغْفَرَ له .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »(٤) مِن حديثِ أبى هريرةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نعَى النَّجاشىَّ فى اليومِ الذى مات فيه ، وخرَج بهم إلى المُصَلَّى ، فصَفَّ بهم وكَبَّرَ أربعَ تكبيراتٍ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه . الوسيط (ق ب و) .

(٤) البخارى (١٢٤٥، ١٣١٨، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٣٣، ٣٨٨٠، ٣٨٨١) ، ومسلم (٩٥١) .

وقال البخاريُّ[1] : موتُ النجاشيِّ : حدَّثَنا أبو الرَّبيعِ ، حدَّثَنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ مات النَّجاشيُّ : « مات اليومَ رجلٌ صالحٌ ، فقوموا فصَلُّوا على أخيكم أَصْحَمَةَ » .

ورُوِيَ ذلك مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وغيرِ واحدٍ[2] ، وفى بعضِ الرواياتِ تَسْمِيَتُه أَصْحَمَةَ ، وفى رِوايةٍ : مصحمةُ . وهو أَصْحَمَةُ بنُ أَبْجَرَ[3] ، وكان عبدًا صالحًا ، لَبِيبًا ، ذكيًّا ، عادلًا ، عالمًا ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرْضاه .

وقال يُونُسُ عن ابنِ إسحاقَ : اسمُ النَّجاشيِّ مصحمةُ[4] . وفى نُسخةٍ صحَّحَها البَيْهَقِيُّ[5] : أَصْحَمُ ، وهو بالعَربيَّةِ : عَطِيَّةُ .

قال[6] : وإنما النَّجاشيُّ اسمُ المَلِكِ ، كقولِك : كِسْرَى وهِرَقْلُ .

قلتُ : كذا ، ولعلَّه يُريدُ به قَيْصَرَ ، فإنه عَلَمٌ لكلِّ مَن مَلَكَ الشامَ معَ الجزيرةِ مع[7] بلادِ الرومِ ، وكِسْرَى عَلَمٌ على مَن مَلَكَ الفُرْسَ ، وفرعونُ عَلَمٌ لمَن

---

(١) البخارى (٣٨٧٧) .

(٢) رواية أنس بن مالك رواها ابن شاهين والدارقطنى فى الأفراد ، من طريق معتمر عن حميد عن أنس . كما فى الإصابة ٢٠٦/١ . ولم نجد رواية ابن مسعود . وانظر سنن الترمذى (١٠٣٩) .

(٣) فى م : « بجر » . انظر الروض الأنف ٣/ ٢٢٢.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٠١.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٢١٠.

(٦) أى ابن إسحاق .

(٧) فى م : « من » .

مَلِكَ مِصْرَ كَافِرًا[1]، والمُقَوْقِسُ لِمَن مَلَكَ الإسْكَندريَّةَ، وتُبَّعٌ لِمَن مَلَكَ اليَمَنَ والشِّحْرَ والنجاشِيُّ لِمَن مَلَكَ الحَبَشَةَ، وبَطْلَيْمُوسُ لِمَن مَلَكَ اليُونَانَ، وقيل: الهندَ. وخاقَانُ لِمَن مَلَكَ التُّرْكَ.

وقال بعضُ العلماءِ: إنما صلَّى عليه لأَنه كان يَكْتُمُ إيمانَه مِن قومِهِ، فلم يَكُنْ عندَه يومَ مات مَن يُصَلِّى عليه؛ فلهذا صلَّى عليه ﷺ. قالوا: فالغائِبُ إنْ كان قد صُلِّىَ عليه ببلدِه، لا تُشْرَعُ الصلاةُ عليه ببلدٍ أخرى، ولهذا لم يُصَلَّ على[2] النبيِّ ﷺ فى غيرِ المدينةِ، لا أهلُ مكةَ ولا غيرُهم، وهكذا أبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعثمانُ، وغيرُهم مِن الصحابةِ، لم يُنْقَلْ أنه صُلِّىَ على أحدٍ منهم فى غيرِ البلدةِ التى صُلِّىَ عليه فيها[3]. فاللَّهُ أعلمُ.

قلتُ: وشُهُودُ أبى هريرةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنهُ، الصلاةَ على النَّجاشىِّ دليلٌ على أنَّه إنَّما مات بعدَ فتحِ خَيْبَرَ، [4]فى السنة[4] التى قَدِمَ فيها بقيةُ المهاجرِين إلى الحبشةِ مع جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، يومَ فتحِ خَيْبَرَ؛ ولهذا رُوِىَ[5] أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «واللَّهِ ما أَدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ؛ بفتحِ خَيْبَرَ أم بقدومِ جَعْفَرٍ». وقَدِمُوا معهم بهَدايا وتُحَفٍ مِن عندِ النَّجاشىِّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، إلى النبىِّ ﷺ، وصُحْبَتُهم أهلُ السَّفينةِ اليَمَنِيَّةِ؛ أصحابُ أبى موسى الأَشْعَرِىِّ وقومُه مِن الأَشْعَرِيِّين، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، ومع [٩٤/٢ظ] جَعْفَرٍ وهدايا النَّجاشىِّ

---

(١) سقط من: الأصل. وفى م: «كافة».

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) انظر تفصيل المسألة فى المغنى ٤٤٦/٣.

(٤ - ٤) سقط من النسخ.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢١١/٣ من حديث جابر مرفوعا، ومن مرسل الشعبى، وقال الذهبى عن مرسل الشعبى: وهو الصواب.

ابنُ أخي النَّجاشيِّ (١ ذُو مِخْبَرٍ . أو ذو مِخْمَرٍ ١) ، أرْسَلَه لِيَخدِمَ النبيَّ ﷺ عِوَضًا عن عمِّه ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما وأرْضاهما .

وقال السُّهَيْلِيُّ[٢] : تُوُفِّيَ النَّجاشيُّ في رَجَبٍ سنةَ تِسْعٍ مِن الهجرةِ . وفي هذا نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البَيْهَقِيُّ[٣] : أنبأنا الفقيهُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الطُّوسِيُّ ، حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا هِلَالُ بنُ العَلاءِ الرَّقِّيُّ ، حدَّثَنا أبي ، العلاءُ بنُ هِلَالٍ[٤] ، حدَّثَنا (٥ أبي ، هلالُ ٥) بنُ عُمَرَ[٦] ، عن أبيه ، عن أبي غالبٍ ، عن أبي أُمَامَةَ ، (٧ قال : قَدِمَ وفدُ النَّجاشيِّ على النبيِّ ﷺ ، فقامَ يَخْدُمُهم ، فقال أصحابُه : نحن نَكْفيك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « إِنَّهم كانوا لأصحابي مُكْرِمِينَ ، وإِنِّي أُحِبُّ أنْ أُكَافِئَهم » .

ثُم قال[٨] : وأخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأَصْبَهَانيُّ ، أَنبأَنا أبو سَعِيدِ بنُ الأَعْرَابيِّ ، حدَّثَنا هِلالُ بنُ العَلاءِ ، حدَّثَنا أبي ، حدَّثنا طَلْحةُ بنُ زَيْدٍ ، عن الأَوْزَاعِيِّ ، عن يَحْيَى بنِ أبي كَثِيرٍ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي قَتَادَةَ ٧) قال : قَدِمَ وفدُ النَّجاشيِّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقامَ يَخْدُمُهم فقال أصحابُه : نحن

(١ - ١) في م : « ذو نخترا أو ذو مخمرا » . وانظر أسد الغابة ٢/ ١٧٨، والإصابة ٢/ ٤١٧.
(٢) الروض الأنف ٣/ ٢٦٢.
(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧.
(٤) في م ، ص : « مدرك » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٤٤ ، ٣٠/ ٣٤٦.
(٥ - ٥) في م ، ص : « أبو هلال » .
(٦) في النسخ ودلائل النبوة : « العلاء » . والمثبت من تهذيب الكمال ٢٢/ ٥٤٤، ٣٠/ ٣٤٦.
(٧ - ٧) سقط من : ص .
(٨) أي البيهقي ، دلائل النبوة ٢/ ٣٠٧.

نَكْفيك يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « إِنَّهم كانوا لأصحابِنا مُكْرِمِينَ ، وإِنِّى أُحِبُّ أنْ أُكَافِئَهم » . تَفَرَّدَ به طَلْحَةُ بنُ زَيْدٍ عن الأَوْزَاعِيِّ .

وقال البَيْهَقِيُّ[١] : حدَّثنا أبو الحُسَيْنِ بنُ بِشْرَانَ ، حدَّثَنا أبو عمرِو بنُ السَّمَّاكِ ، حدَّثَنا حَنْبَلُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا الحُمَيْدِيُّ ، حدَّثَنا سُفيانُ ، حدَّثنا عمرٌو ، قال : لمَّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ مِن أرضِ الحَبَشةِ ، جلَس فى بيتِه فلم يَخْرُجْ إليهم ، فقالوا : ما شَأْنُه ، ما له لا يَخْرُجُ ؟ فقال عَمْرٌو : إنَّ أَصْحَمَةَ يَزْعُمُ أنَّ صاحبَكم نبيٌّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[٢] : ولمَّا قَدِمَ عَمْرُو بنُ العاصِ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى ربيعةَ على قريشٍ ، ولم يُدْرِكُوا ما طَلَبوا مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورَدَّهم النَّجاشيُّ بما يَكْرَهُون ، وأَسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، وكان رجلًا ذا شَكِيمَةٍ لا يُرَامُ ما وراءَ ظَهْرِه ، امتَنَعَ به أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبحمزةَ ، حتى عازُّوا[٣] قريشًا ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ يَقولُ : ما كنَّا نَقْدِرُ على أنْ نُصَلِّيَ عندَ الكعبةِ حتى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فلمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قاتلَ قريشًا ، حتى صَلَّى عندَ الكعبةِ وصلَّيْنا معه .

قلتُ : وثبَت فى « صحيحِ البخاريِّ »[٤] عن ابنِ مسعودٍ أنَّه قال : مازِلْنا أَعِزَّةً منذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ .

وقال زِيادٌ البَكَّائِيُّ[٥] : حدَّثَنى مِسْعَرُ بنُ كِدَامٍ ، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ ،

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

(٣) فى الأصل : « غاروا » . وفى م : « غاظوا » . وعازه : غالبه . الوسيط (ع ز ز) .

(٤) البخارى (٣٨٦٣) .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢.

قال : قال ابنُ مسعودٍ : إنَّ إسلامَ عُمَرَ كان فتحًا ، وإنَّ هجرتَه كانت نصرًا ، وإنَّ إمارتَه كانت رحمةً ، ولقد كنا وما نُصَلِّى عندَ الكعبةِ حتى أسْلَمَ عُمَرُ ، فلمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قاتَلَ قريشًا ، حتى صلَّى عندَ الكعبةِ وصلَّيْنا معه .

قال ابنُ إسحاقَ[١] : وكان إسلامُ عمرَ بعدَ خروجِ مَن خرَج مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الحبشةِ . حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَيَّاشِ بنِ أبى ربيعةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ [٢]عبدِ اللَّهِ ، عن[٢] عبدِ اللَّهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، عن أمِّه أمِّ عبدِ اللَّهِ بنتِ أبى حَثْمَةَ قالت : واللَّهِ إنا لَنَتَرَحَّلُ إلى أرضِ الحبشةِ ، وقد ذهَب عامرٌ فى بعضِ حاجَتِنا ، إذْ أَقْبَلَ عمرُ حتى وقَف علىَّ وهو على شِرْكِه . قالت : وكنا نَلْقَى منه بلاءً[٣] ؛ أذًى لنا وشِدَّةً علينا . قالت : فقال : إنَّه لَلانطلاقُ يا أمَّ عبدِ اللَّهِ ؟ قلتُ : نعَمْ ، واللَّهِ لَنَخْرُجَنَّ فى أرضِ اللَّهِ ، آذَيْتُمونا وقَهَرْتُمونا ، [٢/٩٥و] حتى يَجْعَلَ اللَّهُ لنا مَخْرَجًا . قالت : فقال : صَحِبَكم اللَّهُ . ورأَيْتُ له رِقَّةً لم أَكُنْ أَراها ، ثُم انصَرَفَ وقد أَحْزَنَه - فيما أَرَى - خروجُنا . قالت : فجاء عامرٌ بحاجَتِه تلك ، فقلتُ له : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، لو رأَيْتَ عمرَ آنِفًا ورِقَّتَه وحُزْنَه علينا . قال : أَطَمِعْتِ فى إسلامِه ؟! قالت : قلتُ : نعَمْ . قال : لا يُسْلِمُ الذى رأَيْتِ حتى يُسْلِمَ حمارُ الخَطَّابِ . قالت : يَأْسًا منه ؛ لِمَا كان يَرَى مِن غِلْظَتِه وقسوتِه على الإسلامِ .

قلتُ : هذا يَرُدُّ قولَ مَن زعَم أنَّه كان تَمامَ الأربعين مِن المسلمين ؛ فإنَّ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٦٠. وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٢، ٣٤٣.

(٢ - ٢) سقط من : النسخ ، وسيرة ابن هشام . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٣) زيادة من : ص .

المهاجرين إلى الحبشةِ كانوا فوقَ الثمانين، اللهمَّ إلّا أنْ يُقالَ: إنه كان تمامَ الأَربعينَ بعدَ خُرُوجِ المُهاجِرينَ. ويُؤَيِّدُ هذا ما ذكَرَه ابنُ إسحاقَ هٰهنا فى قصةِ إسلامِ عمرَ وحدَه، رضِىَ اللَّهُ عنه، وسياقُها، فإنَّه قال[1]: وكان إسلامُ عُمَرَ فيما بلَغَنى أنَّ أختَه فاطمةَ بنتَ الخَطَّابِ - وكانت عندَ سعيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عمرِو ابنِ نُفَيْلٍ - كانت قد أَسلَمَتْ وأسلَمَ زوجُها سعيدُ بنُ زَيْدٍ، وهم مُسْتَخْفُون بإسلامِهم مِن عمرَ، وكان نُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ النَّحَّامُ - رجلٌ مِن بنى عَدِىٍّ - قد أسلَمَ أيضًا مُسْتَخْفِيًا بإسلامِه؛ فَرَقًا[2] مِن قومِه، وكان خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ يَخْتَلِفُ إلى فاطمةَ بنتِ الخَطَّابِ يُقْرِئُها القرآنَ، فخرَج عُمَرُ يومًا مُتَوَشِّحًا سيفَه، يُرِيدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ورَهْطًا مِن أصحابِه، فذَكَروا له أنَّهم قد اجْتَمَعوا فى بيتٍ عندَ الصَّفَا، وهم قريبٌ مِن أربعين، مِن بينِ رجالٍ ونساءٍ، ومع رسولِ اللَّهِ ﷺ عمُّه حمزةُ، وأبو بكرِ بنُ أبى قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ، وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، فى رجالٍ مِن المسلمين، مِمَّن كان أقامَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بمكةَ، ولم يَخْرُجْ فيمَن خرَج إلى أرضِ الحبشةِ، فَلَقِيَه نُعَيْمُ بنُ عبدِ اللَّهِ فقال: أينَ تُرِيدُ يا عُمَرُ؟ قال: أُرِيدُ محمدًا، هذا الصابئُ الذى فَرَّقَ أمرَ قريشٍ، وسَفَّهَ أحلامَها، وعابَ دينَها، وسَبَّ آلهتَها فأَقْتُلُه. فقال له نُعَيْمٌ: واللَّهِ لقد غرَّتْك نفسُك[3] [4]مِن نفسِك[4] يا عُمَرُ، أَتَرَى بنى عبدِ منافٍ تارِكِيك تَمْشِى على الأَرْضِ وقد قتَلْتَ محمدًا؟! أفلا تَرْجِعُ إلى أهلِ بيتِك فتُقِيمَ أمْرَهم؟ قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

وأيُّ أهلِ بيتى ؟ قال : خَتَنُكَ وابنُ عمِّك سعيدُ بنُ زيدٍ ، وأختُك فاطمةُ ، فقد واللَّهِ أسْلَما وتابَعا محمدًا على دينِه ، فعليك بهما . فرجَع عُمَرُ عامدًا[1] إلى أختِه [2]وخَتَنِه ، وعندَهما[2] خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، معه صحيفةٌ فيها « طه » يُقْرِئُهما[3] إياها ، فلمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ فى مَخْدَعٍ لهم - أو فى بعضِ البيتِ - وأخَذَتْ فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ الصحيفةَ ، فجعلَتْها تحتَ فَخِذِها ، وقد سَمِعَ عُمَرُ حينَ دَنَا إلى البابِ قراءةَ خَبَّابٍ عليهما[4] ؛ فلمَّا دخَل قال : ما هذه الهَيْنَمَةُ[5] التى سَمِعْتُ ؟ قالا له : ما سَمِعْتَ شيئًا . قال : بلى ، واللَّهِ لقد أُخبِرْتُ أنَّكما تابَعْتُما محمدًا على دينِه . وبطَش بخَتَنِه سعيدِ بنِ زيدٍ ، فقامَتْ إليه أختُه فاطمةُ بنتُ الخَطَّابِ لتَكُفَّه عن زوجِها ، فضرَبَها فشَجَّها ، فلمّا فعَل ذلك قالت له أختُه وخَتَنُه : نَعَمْ قد أَسْلَمْنا وآمَنَّا باللَّهِ ورسولِه ، فاصْنَعْ ما بَدَا لك . فلمّا رأَى عُمَرُ ما بأُختِه مِن الدمِ ، نَدِمَ على ما صنَع وارْعَوَى ، وقال لأُختِه : أَعْطِينى [٢/٩٥ظ] هذه الصحيفةَ التى سَمِعْتُكم تَقْرَءُون آنِفًا ، أَنْظُرْ ما هذا الذى جاءَ به محمدٌ . وكان عُمَرُ كاتبًا ، فلمَّا قال ذلك ، قالت له أختُه : إنا نَخْشَاك عليها . قال : لا تَخافى . وحلَف لها بآلهتِه لَيَرُدَّنَّها إذا قرَأَها إليها ، فلمَّا قال ذلك طَمِعَتْ فى إسلامِه ، فقالت له : يا أخى ، إنَّك نَجِسٌ على شِرْكِك ، وإنه لا يَمَسُّها إلّا الطاهرُ . فقامَ عُمَرُ فاغْتَسَلَ ، فأَعْطَتْه الصحيفةَ وفيها

---

(١) فى الأصل ، م : « عائدا » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « فاطمة وعندها » .

(٣) فى الأصل ، م : « يقرئها » .

(٤) فى الأصل ، م : « عليها » .

(٥) فى الأصل : « الهمهمة » . والهينمة والهمهمة : الصوت الخفى . القاموس المحيط (هـ م م) ، اللسان (هـ ن م) .

« طه » فقرأَها ، فلمَّا قرَأ منها صَدْرًا ، قالَ : ما أحسنَ هذا الكلامَ وأَكْرَمَه ! فلمَّا سَمِعَ ذلك خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ، خرَج إليه فقال له : واللَّهِ يا عُمَرُ ، إنِّى لَأَرْجُو أنْ يَكونَ اللَّهُ قد خَصَّك بدعوةِ نبيِّه ﷺ ، فإنِّى سَمِعْتُه أمْسِ وهو يَقولُ : « اللهُمَّ أَيِّدِ الإسلامَ بأَبِى الحكَمِ بنِ هِشَامٍ ، أو بعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ » . فاللَّهَ اللَّهَ يا عُمَرُ . فقال عندَ ذلك : فدُلَّنى يا خَبَّابُ على محمدٍ حتى آتِيَه فأُسْلِمَ . فقال له خَبَّابٌ : هو فى بيتٍ عندَ الصَّفَا ، معه فيه نَفَرٌ مِن أصحابِه . فأخَذ عمرُ سيفَه فَتَوَشَّحَه ، ثُم عمَدَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، فضرَب عليهم البابَ ، فلمَّا سَمِعُوا صوتَه ، قام رجلٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنظَر مِن خَلَلِ البابِ ، (1) فرَآه مُتَوَشِّحًا السيفَ (1) فرجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فَزِعٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السيفَ . فقال حَمزةُ : فَأْذَنْ له ، فإنْ كان جاءَ يريدُ خيرًا بذَلْناه ، وإنْ كان جاءَ (2) يُريدُ شرًّا قتَلْناه بسيفِه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ائْذَنْ له » . فأَذِنَ له الرجلُ ، ونهَض إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى لَقِيَه فى الحُجْرَةِ ، فأخَذ بحُجْزَتِه (3) ، أو بمَجْمَعِ ردائِه ، ثُم جبَذَه جبذَةً شَدِيدةً ، فقال : « ما جاءَ بك يا بنَ الخَطَّابِ ؟ فواللَّهِ ما أَرَى أنْ تَنْتَهِيَ حتى يُنْزِلَ اللَّهُ بك قارِعَةً » . فقال عُمَرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جِئْتُك لأُومِنَ باللَّهِ ورسولِه وبما جاءَ مِن عندِ اللَّهِ . قال : فكَبَّرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ تَكْبيرةً ، عرَف أهلُ البيتِ أنَّ عُمَرَ قد أسلَمَ ، فتفرَّقَ أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكانِهم ، وقد عَزُّوا فى

(1 - 1) فى الأصل ، م : « فإذا هو بعمر متوشح بالسيف » .

(2) زيادة من : ص .

(3) الحجزة : موضع شد الإزار من الوسط . الوسيط (ح ج ز) .

أنفسِهم حينَ أسلَمَ عُمَرُ مع إسلامِ حَمْزَةَ، وعَرَفوا أنهما سيَمْنَعانِ رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويَنْتَصِفون بهما مِن عدُوِّهم. قال ابنُ إسحاقَ[1]: فهذا حديثُ الرُّواةِ مِن أهلِ المدينةِ، عن إسلامِ عمرَ حينَ أَسْلَمَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ المَكِّىُّ، عن أصحابِه عَطَاءٍ ومُجَاهِدٍ، وعمَّن روَى ذلك، أنَّ إسلامَ عمرَ، فيما تَحَدَّثوا به عنه، أنَّه كان يقولُ: كنتُ للإسلامِ مُباعِدًا، وكنتُ صاحبَ خمرٍ فى الجاهليةِ أُحِبُّها وأَشْرَبُها، وكان لنا مَجْلِسٌ يَجْتَمِعُ فيه رجالٌ مِن قُرَيشٍ بالحَزْوَرَةِ[3]، فخرَجْتُ ليلةً أُريدُ جُلَسَائى أولئك، فلم أَجِدْ فيه منهم أحدًا، فقلتُ: لو أنِّى جئتُ فلانًا الخَمَّارَ، لَعَلِّى أَجِدُ عندَه خمرًا فأَشْرَبَ منها. فخَرَجْتُ، فجِئتُه فلم أَجِدْه. قال: فقُلْتُ: لو أنِّى جئتُ الكعبةَ فطُفْتُ سبعًا أو سَبْعَيْنِ. قال: فجِئتُ المسجدَ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى، وكان إذا صلَّى استَقْبَلَ الشامَ وجعَلَ الكعبةَ بينَه وبينَ الشامِ، وكان مُصَلَّاه بينَ الرُّكْنَيْن الأسودِ واليَمانِىِّ. قال: فقلتُ حينَ رأَيْتُه: واللَّهِ لو أنِّى اسْتَمَعْتُ لمحمدٍ الليلةَ، حتى أَسْمَعَ ما يقولُ. فقلتُ: لَئِن دنَوْتُ منه أَسْتَمِعُ منه لأُرَوِّعَنَّه. فجِئْتُ مِن قِبَلِ الحِجْرِ، فدخَلْتُ [٩٦/٢و] تحتَ ثيابِها، فجعَلْتُ أَمْشِى رويدًا، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى يَقْرَأُ القرآنَ، حتى قُمْتُ فى قِبْلَتِه مُسْتَقْبِلَه، ما بَيْنى وبينه إلّا ثيابُ الكعبةِ. قال: فلما سَمِعْتُ القرآنَ رَقَّ له قلبى، وبَكَيْتُ، ودخَلَنى الإسلامُ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٤٦ - ٣٤٨.

(٣) الحزورة: سوق بمكة.

فلم أَزَلْ فى مَكانى قائمًا ، حتى قضَى رسولُ اللّهِ ﷺ صلاتَه ثُم انصَرَفَ ، وكان إذا انصَرَفَ خرَج على دارِ ابنِ أبى حُسَينٍ - وكان مَسْكَنُه فى الدارِ الرَّقْطَاءِ التى كانت بيدِ معاويةَ - قال عُمَرُ : فتَبِعْتُه ، حتى إذا دخَل بيـنَ دارِ عباسٍ ودارِ ابنِ أَزْهَرَ أَدْرَكْتُه ، فلما سَمِعَ حِسِّى عرَفَنى ، فظَنَّ أَنِّى إِنَّما اتَّبَعْتُه لأُوذِيَه ، فنَهَمَنى[1] ثُم قال : ما جاء بك يا بنَ الخَطَّابِ هذه الساعةَ ؟ قال : قُلْتُ : جِئْتُ لِأُومِنَ باللّهِ وبرسولِه وبما جاءَ مِن عندِ اللّهِ . قال : فحمِدَ اللّهَ رسولُ اللّهِ ﷺ ثُم قال : « قد هَدَاكَ اللّهُ يا عُمَرُ ! » . ثُم مسَح صَدْرِى ودَعَا لى بالثباتِ ، ثُم انصَرَفْتُ ودخَل رسولُ ﷺ بيتَه . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فاللّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

قلتُ : وقد استَقْصَيْتُ كيفيةَ إسلامِ عُمَرَ ، رَضِىَ اللّهُ عنه ، وما ورَد فى ذلك مِن الأَحاديثِ والآثارِ مُطَوَّلًا ، فى أولِ « سيرتِه » التى أفْرَدْتُها على حِدَةٍ ، وللّهِ الحمدُ والمِنةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثَنى نافعٌ مولَى ابنِ عُمَرَ ، عن ابنِ عُمَرَ قال : لمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قال : أىُّ قُرَيْشٍ أَنْقَلُ للحديثِ ؟ فقيلَ له : جَمِيلُ بنُ مَعْمَرٍ الجُمَحِىُّ . فغَدَا عليه . قال عبدُ اللّهِ : وغدَوْتُ أَتْبَعُ أَثَرَه وأَنْظُرُ ما يَفْعَلُ ، وأنا غلامٌ أَعْقِلُ كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءَهَ فقال له : أَعَلِمْتَ يا جميلُ أَنِّى أسلَمْتُ ودخَلْتُ فى دينِ محمدٍ ؟ قال : فواللّهِ ما راجَعَه حتى قام يَجُرُّ رداءَه ، واتَّبَعَه عُمَرُ ، واتَّبَعْتُ

---

(١) نهمنى : زجرنى .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٨.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٦٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٤٨، ٣٤٩.

أبى ، حتى قامَ على بابِ المسجدِ صرَخ بأعْلى صوتِه : يا معشرَ قريشٍ - وهم فى أنديَتِهم حولَ الكعبةِ - ألَا إنَّ ابنَ الخطابِ قد صَبَأَ . قال : يَقولُ عمرُ مِن خَلْفِه : كذَب ، ولكنِّى قد أسلَمْتُ ، وشَهِدْتُ أنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . وثارُوا إليه ، فما بَرِحَ يُقَاتِلُهم ويُقاتِلُونه ، حتى قامَتِ الشمسُ على رُءُوسِهم . قال : وطَلَحَ[1] فقعَد ، وقاموا على رأسِه وهو يَقولُ : افْعَلُوا ما بَدَا لكم ، فأَحْلِفُ باللَّهِ أنْ لو قد كنَّا ثَلاثَمِائةِ رجلٍ ، لقد ترَكْناها لكم أو ترَكْتُمُوها لنا . قال : فبينَما هم على ذلك ، إذْ أَقْبَلَ شيخٌ مِن قريشٍ ، عليه حُلَّةٌ حِبَرَةٌ[2] وقميصٌ مُوَشًّى ، حتى وقَف عليهم فقال : ما شأْنُكم ؟ فقالوا : صَبَأَ عُمَرُ . قال : فَمَهْ ! رجلٌ اختارَ لنفسِه أمرًا ، فماذا تُريدونَ ؟ أَتَرَوْنَ بنى عَدِىٍّ يُسْلِمُون لكم صاحبَهم هكذا ؟! خلُّوا عن الرجلِ . قال : فواللَّهِ لكأنَّما كانوا ثوبًا كُشِطَ عنه . قال : فقلتُ لأبى بعدَ أنْ هاجَرَ إلى المدينةِ : يا أَبَتِ ، مَن الرجلُ الذى زجَر القومَ عنك بمكةَ يومَ أَسْلَمْتَ وهم يُقَاتِلُونَك ؟ قال : ذاك ، أى بُنَىَّ ، العاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمِىُّ . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ ، [3]وهو يَدُلُّ على تَأَخُّرِ إسلامِ عُمَرَ[3] ؛ لأَنَّ ابنَ عُمَرَ عُرِضَ يومَ أُحُدٍ وهو ابنُ أربعَ عَشْرَةَ سنةً ، وكانت أُحُدٌ فى سنةِ ثَلاثٍ مِن الهجرةِ ، وقد كان مُمَيِّزًا يومَ أَسْلَمَ أبوه ، فيَكونُ إسلامُه قبلَ الهجرةِ بنحوٍ مِن أربعِ سنينَ ، وذلك بعدَ البِعْثَةِ [٢/٩٦ظ] بنحوٍ مِن تِسْعِ سنينَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) طلح : تعب .

(٢) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

وقال البيهقيُّ[(1)] : حدَّثنا الحاكمُ ، أخبرَنا الأَصَمُّ ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبَّارِ ، حدَّثنا يُونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ قال : ثُم قَدِمَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ عشرون رجلًا وهو بمكةَ - أو قريبٌ مِن ذلك - مِن النَّصارَى ، حينَ ظَهَرَ خَبَرُه ، مِن أرضِ الحَبَشَةِ ، فوجَدُوه فى المجلسِ ، فكلَّموه وساءَلوه[(2)] ، ورجالٌ مِن قريشٍ فى أنديَتِهم حولَ الكعبةِ ، [(3)]فلمَّا فَرَغوا مِن مُساءَلَتِهم رسولَ اللَّهِ ﷺ عمَّا أَرَادوا ، دَعاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ[(3)] ، وتَلَا عليهم القرآنَ ، فلَمَّا سَمِعُوا ، فاضَتْ أَعْيُنُهم مِن الدمعِ ، ثُم اسْتَجابوا له ، وآمَنوا به وصَدَّقُوه ، وعرَفوا منه ما كانَ يُوصَفُ لهم فى كتابِهم مِن أمرِه ، فلمَّا قامُوا مِن عندِه ، اعْتَرَضَهم أبو جَهْلٍ فى نَفَرٍ مِن قريشٍ ، فقالوا : خَيَّبَكُم اللَّهُ مِن رَكْبٍ ، بعَثَكم مَن وراءَكم مِن أهلِ دينِكم تَرْتادونَ لهم فتَأْتُونَهم بخبرِ الرجُلِ ، فلم تَطْمَئِنَّ مَجالِسُكم عندَه حتى فارَقْتُم دينَكم وصدَّقْتُموه بما قال لكم ، ما نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنكم . أو كما قالوا ، فقالوا لهم : سلامٌ عليكم ، لا نُجاهِلُكم ، لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم ، لا نَأْلُو أنفسَنا خيرًا . فيُقالُ : إنَّ النَّفَرَ مِن نَصارى نَجْرانَ . واللَّهُ أعلمُ أيُّ ذلك كانَ . ويُقالُ - واللَّهُ أعلمُ - : إنَّ فيهم نزَلَتْ هؤلاء الآياتُ[(4)] : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

---

(1) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٦.

(2) فى م : « سألوه » .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(4) التفسير ٦/ ٢٥٣ - ٢٥٥.

وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٢- ٥٥].

فصــل

قال البَيْهَقِيُّ فى «الدَّلَائِلِ»[1] : بابُ ما جاءَ فى كِتابِ النبىِّ ﷺ إلى النَّجَاشِيِّ . ثُمَّ رَوَى عن الحاكِمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أَحمدَ بنِ عبدِ الجَبَّارِ ، عن يونسَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : هذا كِتابٌ مِن النَّبِيِّ[2] ﷺ إلى النَّجَاشِيِّ : [3]« بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ ، هذا كِتَابٌ مِنْ محمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إلى النَّجاشِيِّ[4][3] الأَصْحَمِ عَظِيمِ الحَبَشَةِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى ، وآمَنَ باللَّهِ ورَسُولِه ، وَشَهِدَ أن لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له ، لم يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ ، فَإِنِّى أنَا رَسُولُهُ ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آلِ عمران : ٦٤] . فإنْ أبَيْتَ ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَى مِنْ قَوْمِكَ » .

هكذا ذَكَرَه البَيْهَقِيُّ بعدَ قصَّةِ هِجْرَةِ الحَبَشَةِ . وفى ذِكْرِه هـٰهنا نَظَرٌ ؛ فإنَّ الظاهِرَ أنَّ هذا الكتابَ إنما هو إلى النَّجاشِيِّ الذى كان بَعْدَ المُسْلِمِ صاحِبِ جعفرٍ وأصحابِه ، وذلك حين كَتَبَ إلى مُلُوكِ الأرضِ يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٨.

(٢) بعده فى الدلائل : «محمد» .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

وجلَّ، قُبَيْلَ الفَتْحِ، كما كَتَب إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّومِ قَيْصَرِ الشامِ، وإلى كِسْرَى [٢/٩٧و] مَلِكِ الفُرسِ، وإلى صاحِبِ مِصْرَ، وإلى النَّجاشِيِّ.

قال الزُّهْرِيُّ: كانت كُتُبُ النَّبِيِّ ﷺ إليهم واحدةً. يعنى نُسخَةً واحدةً، وكلُّها فيها هذه الآيةُ، وهى مِن سورةِ «آلِ عِمْرانَ»، وهى مَدَنِيَّةٌ بلا خِلافٍ، فإنَّه مِن صَدْرِ السُّورةِ، وقد نَزَلَ ثلاثٌ وثمانُون آيةً مِن أوَّلِها فى وَفْدِ نَجْرانَ، كما قَرَّرْنا ذلك فى «التفسيرِ»[١]، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ. فهذا الكتابُ إلى الثَّانى، لا إلى الأوَّلِ، وقولُه فيه: «إلى النَّجاشِيِّ الأَصْحَمِ». لعلَّ «الأَصْحَمَ» مُقْحَمٌ مِن الرَّاوِى بحَسَبِ ما فَهِم. واللَّهُ أعلمُ.

وأَنْسَبُ مِن هذا هلهنا ما ذَكَره البَيْهَقِيُّ أيضًا[٢]، عن الحاكِمِ، عن أبى الحسنِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الفَقِيهِ، بمَرْوٍ: حَدَّثَنا حمَّادُ بنُ أحمدَ، حَدَّثَنا محمدُ ابنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنا سَلَمَةُ بنُ الفَضْلِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال: بَعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرَو بنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إلى النَّجاشِيِّ فى شأنِ جعفرِ بنِ أبى طالِبٍ وأصحابِه، وكتب معه كتابًا: «بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إلى النَّجاشِيِّ الأَصْحَمِ مَلِكِ الحَبَشَةِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فإِنِّى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ المَلِكَ القُدُّوسَ المُؤْمِنَ المُهَيْمِنَ، وأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى[٣] رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقاها إلى مَرْيَمَ البَتُولِ الطَّيِّبَةِ الحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ ونَفَخَهُ، كما خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ وَنَفَخَهُ، وَإِنِّى أَدْعُوكَ إلى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، والمُوَالَاةِ

---

(١) التفسير ٢/ ٤٦.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) بعده فى الدلائل: «ابن مريم».

عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ تَتَّبِعَنِى فَتُؤْمِنَ بِى وَبِالَّذِى جَاءَنِى ؛ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيكُم ابْنَ عَمِّى جَعْفَرًا ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا جَاءُوكَ فاقْرِهم وَدَعِ التَّجَبُّرَ ، فإِنِّى أَدْعُوكَ وجُنُودَكَ إلى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِى ، والسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى » . فكَتَب النَّجاشِىُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ : بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرحيمِ ، إلى محمدٍ رسولِ اللَّهِ ، مِن النَّجاشِىِّ الأَصْحَمِ بنِ أَبْجَرَ : سلامٌ عليك ، يا نبىَّ اللَّهِ مِن اللَّهِ ، ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه ، لا إلهَ إلَّا هو ، الذى هَدانى إلى الإسلامِ ، فقد بَلَغَنِى كتابُك يا رسولَ اللَّهِ ، فيما ذَكَرْتَ مِن أمرِ عيسى ، فوربِّ السماءِ والأَرضِ ، إنَّ عيسى ما يَزِيدُ على ما ذَكَرْتَ ، وقد عَرَفْنا ما بَعَثْتَ به إلينا وقد قَرَيْنا ابنَ عَمِّكَ وأصحابَه ، فأَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ صادِقًا مُصَدَّقًا ، وقد بايَعْتُك ، وبايعتُ ابنَ عَمِّك ، وأَسْلَمْتُ على يَدَيْه للَّهِ ربِّ العالمين ، وقد بَعَثْتُ إليك ، يا نبىَّ اللَّهِ ، بأريحا بنِ الأَصْحَمِ بنِ أَبْجَرَ ، فإنِّى لا أملِكُ إلَّا نَفْسِى ، وإنْ شِئْتَ أن آتِيَك ، فَعَلْتُ يا رسولَ اللَّهِ ، فإنِّى أَشْهَدُ أنَّ ما تقولُ حَقٌّ .

فصل

فى ذِكْرِ مُخالَفَةِ قَبائِلِ قُرَيْشٍ بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ فى نَصْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَحالُفِهم فيما بينَهم عليهم ، على أن لا يُبايِعُوهم ولا يُناكِحُوهم ، حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وحَصْرِهم إيَّاهم فى شِعْبِ أبى طالبٍ مُدَّةً طويلةً ، وكتابَتِهم بذلك صَحِيفَةً ظالمةً فاجِرةً ، وما ظَهَرَ فى ذلك كُلِّه مِن آياتِ النُّبوَّةِ ودلائلِ الصِّدقِ .

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[1] ، عن الزُّهْرِىِّ : ثُمَّ إنَّ المُشْرِكِين اشْتَدُّوا على

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٣١١ - ٣١٤. من طريق موسى بن عقبة به .

المُسلِمِين كأشَدِّ ما كانوا ، حتى بَلَغ المُسلِمِين الجَهْدُ ، واشْتَدَّ عليهم البَلاءُ ، [٢/ ٩٧ظ] واجْتَمَعَتْ قريشٌ فى مَكْرِها أن يَقْتُلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ علانِيَةً ، فلمَّا رأى أبو طالبٍ عَمَلَ القومِ ، جَمَعَ بنى عبدِ المُطَّلِبِ وأمَرَهم أن يُدْخِلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهم ، وأمَرَهم أن يَمْنَعُوه ممن أرادُوا قَتْلَه ، فاجْتَمَعُوا على ذلك ، مُسْلِمُهم وكافِرُهم ، فمنهم مَن فَعَلَه حَمِيَّةً ، ومنهم مَن فَعَلَه إيمانًا ويقينًا ، فلمَّا عَرَفَتْ قُرَيشٌ أنَّ القومَ قد مَنَعُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأجْمَعُوا على ذلك ، اجْتَمَعَ المُشركون مِن قُرَيشٍ ، فأجْمَعُوا أمْرَهم أن لا يُجالِسُوهم ، ولا يُبايِعُوهم ، ولا يَدْخُلُوا بُيُوتَهم ، حتى يُسَلِّمُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ للقَتْلِ ، وكَتَبُوا فى مَكْرِهم صَحِيفةً وعُهُودًا ومَواثِيقَ ؛ لا يَقْبَلُوا مِن بنى هاشمٍ أبَدًا صُلْحًا ، ولا تَأْخُذُهم بهم رَأْفَةٌ ، حتى يُسْلِمُوه للقتْلِ . فلَبِثَ بنو هاشمٍ فى شِعْبِهم ثلاثَ سِنِين ، واشْتَدَّ عليهم البَلاءُ والجَهْدُ ، وقَطَعُوا عنهم الأَسْواقَ ، فلا يَتْرُكُوا لهم طعامًا يَقْدَمُ مكَّةَ ولا بَيْعًا إلَّا بادَرُوهم إليه فاشْتَرَوْه ؛ يُرِيدُون بذلك أن يُدرِكُوا سَفْكَ دمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان أبو طالبٍ إذا أخَذ النَّاسُ مَضاجِعَهم ، أمَر رسولَ اللَّهِ ﷺ فاضْطَجَع على فِراشِه ؛ حتى يَرَى ذلك مَن أرادَ به مَكْرًا واغتِيالًا له ، فإذا نَوَّمَ النَّاسُ ، أمَرَ أحَدَ بَنِيه أو إخْوَتِه أو بنى عمِّه ، فاضْطَجَع على فِراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأمَر رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يَأْتِيَ بعضَ فُرُشِهم فيَنامَ عليه ، فلمَّا كان رأسُ ثلاثِ سِنِينَ ، تَلاوَمَ رجالٌ مِن بنى عبدِ مَنافٍ ومِن قُصَيٍّ ، ورجالٌ مِن سِواهم مِن قُرَيْشٍ قد وَلَدَتْهم نساءٌ مِن بنى هاشمٍ ، ورَأَوْا أنَّهم قد قَطَعُوا الرَّحِمَ واسْتَخَفُّوا بالحقِّ ، واجْتَمَعَ أمْرُهم مِن لَيْلَتِهم على نَقْضِ ما تَعاهَدُوا عليه مِن

الغَدْرِ والبَراءَةِ منه ، وبَعَثَ اللَّهُ على صَحِيفَتِهِم الأَرَضَةَ[1] ، فلَحَسَتْ كُلَّ ما كان فيها مِن عَهْدٍ ومِيثاقٍ ، ويُقالُ : كانتْ مُعَلَّقَةً فى سقفِ البيتِ ، فلم تَتْرُكِ اسمًا للَّهِ فيها إلَّا لَحَسَتْه ، وبَقِى ما كان فيها مِن شِرْكٍ وظُلْمٍ وقَطِيعَةِ رَحِمٍ ، وأَطْلَعَ اللَّهُ ، عَزَّ وجلَّ ، رسولَه على الذى صَنَع بصَحِيفَتِهم ، فذَكَر ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبى طالِبٍ ، فقال أبو طالبٍ : لا والثَّواقِبِ[2] ، ما كَذَبَنِى . فانْطَلَق يَمْشِى بعِصابَتِه مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، حتى أتى المسجدَ وهو حافِلٌ مِن قُرَيْشٍ ، فلمَّا رَأَوْهم عامِدِين لجماعَتِهم ، أنْكَرُوا ذلك ، وظَنُّوا أنهم خَرَجُوا مِن شِدَّةِ البلاءِ فأَتَوْهم ليُعْطُوهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فتَكَلَّمَ أبو طالبٍ فقال : قد حَدَثَتْ أمورٌ[3] بينَكم لم نَذْكُرْها لكم ، فَأْتُوا بصَحِيفَتِكم التى تَعاهَدْتم عليها ، فلَعَلَّه أنْ يكونَ بينَنا وبينَكم صُلْحٌ . وإنما قال ذلك ، خَشْيَةَ أن يَنْظُرُوا فى الصَّحِيفَةِ قبلَ أن يَأْتُوا بها ، فأَتَوْا بصحيفتِهم مُعْجَبِين بها ، لا يَشُكُّون أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَدْفُوعٌ إليهم ، فوَضَعُوها بينَهم ، وقالوا : قد آن لكم أن تَقْبَلُوا وتَرْجِعُوا إلى أمرٍ يَجْمَعُ قومَكم ، فإنَّما قَطَع بينَنا وبينَكم رجلٌ واحدٌ ، جَعَلْتُمُوه خطرًا لهَلَكَةِ قومِكم وعَشِيرَتِكم وفَسادِهم . فقال أبو طالبٍ : إنَّما أَتَيْتُكم لأُعْطِيَكُم أمرًا [٢/ ٩٨و] لكم فيه نَصَفٌ ؛ إنَّ ابنَ أخى قد أخْبَرَنى ، ولم يَكْذِبْنى ، أنَّ اللَّهَ بَرِىءٌ مِن هذه الصحيفةِ التى فى أيدِيكم ، ومَحا كُلَّ اسمٍ هو له فيها ، وتَرَك فيها غَدْرَكم وقَطِيعَتَكم إيَّانا ، وتَظاهُرَكم علينا بالظُّلمِ ، فإن كان الحديثُ الذى قال ابنُ أخى

---

(١) الأرضة : حشرة بيضاء مصفرة تشبه النملة ، تعيش فى مستعمرات كبيرة ، وتأكل الخشب ونحوه . الوسيط (أ ر ض) .

(٢) الثواقب : جمع ثاقب ، وهو النجم المرتفع على النجوم .

(٣) بعده فى الأصل : « بيننا و » .

كما قال ، فأَفِيقُوا ، فواللَّهِ لا نُسْلِمُه أبدًا[1] حتى نَمُوتَ مِن عندِ آخِرِنا ، وإن كان الذى قال باطلًا ، دَفَعْناه إليكم ، فقَتَلْتُمُوه أو اسْتَحْيَيْتُم . قالوا : قد رَضِينا بالذى تقولُ . ففَتَحُوا الصَّحِيفَةَ ، فوَجَدُوا الصَّادِقَ المَصْدوقَ ﷺ قد أَخْبَرَ خَبَرَها ، فلمَّا رَأَتْها قُرَيشٌ كالذى قال أبو طالبٍ ، قالوا : واللَّهِ إن كان هذا قَطُّ إلَّا سِحْرٌ مِن صاحِبِكم . فارْتَكَسُوا ، وعادُوا بِشَرِّ ما كانوا عليه مِن كُفْرِهم ، والشِّدَّةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعلى رَهْطِه ، والقِيامِ بما تَعاهَدُوا عليه ، فقال أولئك النَّفَرُ مِن بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ : إنَّ أَوْلَى بالكَذِبِ والسِّحْرِ غيرُنا ، فكيف تَرَوْن ، فإنَّا نعلمُ أنَّ الذى اجْتَمَعْتُم عليه مِن قَطِيعَتِنا ، أَقْرَبُ إلى الجِبْتِ والسِّحْرِ مِن أَمْرِنا ، ولولا أنَّكم اجْتَمَعْتُم على السِّحْرِ ، لم تَفْسُدْ صَحِيفَتُكم ، وهى فى أَيْدِيكم ؛ طَمَسَ اللَّهُ[2] ما كان فيها مِن اسمِه[3] ، وما كان فيها مِن بَغْيٍ تَرَكَه ، أفنحنُ السَّحَرَةُ أم أنتم ؟! فقال عندَ ذلك النَّفَرُ مِن بنى عبدِ منافٍ ، وبنى قُصَيٍّ ، ورجالٌ مِن قُرَيشٍ وَلَدَتْهم نساءٌ مِن بنى هاشمٍ ؛ منهم أبو البَخْتَرِيِّ ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ ، وزُهَيْرُ بنُ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، وهشامُ بنُ عَمْرٍو ، وكانت الصحيفةُ عندَه ، وهو مِن بنى عامرِ بنِ لُؤَيٍّ ، فى رجالٍ مِن أَشْرافِهم ووُجُوهِهم : نحنُ بُرَآءُ مِمَّا فى هذه الصَّحِيفَةِ . فقال أبو جَهْلٍ ، لَعَنه اللَّهُ : هذا أمرٌ قُضِىَ بلَيْلٍ . وأنْشَأ أبو طالبٍ يقولُ الشِّعْرَ فى شأنِ صَحِيفَتِهم ، ويَمْتَدِحُ النَّفَرَ الذين تَبَرَّءُوا منها ونَقَضُوا ما كان فيها مِن عَهْدٍ ، ويَمْتَدِحُ النَّجاشِيَّ .

---

(١) فى الأصل : « أحدا » .

(٢) ليست فى النسخ ، وأثبتناها من الدلائل ليظهر المعنى .

(٣) فى الدلائل : « اسم » .

قال البَيْهَقِيُّ[(١)] : وهكذا رَوَى شيخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافِظُ . يَعْنِى مِن طريقِ عن[(٢)] ابنِ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأَسْوَدِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ . يَعْنِى كسِياقِ موسى ابنِ عُقْبَةَ ، رَحِمَه اللَّهُ . وقد تَقَدَّمَ[(٣)] عن موسى بنِ عُقْبَةَ أنَّه قال : إنَّما كانتْ هِجْرَةُ الحَبَشَةِ بعدَ دُخُولِهم إلى الشِّعْبِ ، عن أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لهم فى ذلك . فاللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : والأَشْبَهُ أنَّ أبا طالبٍ إنَّما قال قَصِيدَتَه اللَّامِيَّةَ ، التى قَدَّمْنَا ذِكْرَها[(٤)] ، بعدَ دُخُولِهم الشِّعْبَ أيضًا ، فذِكْرُها هـٰهنا أنْسَبُ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُمَّ رَوَى البَيْهَقِىُّ[(٥)] من طريقِ يونسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : فلمَّا مَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ على الذى بُعِثَ به ، (٦)وقامَتْ بنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ دونَه ، وأَبَوْا أن يُسْلِمُوه ، وهم مِن خِلافِه على مِثْلِ ما قَوْمُهم عليه ، إلَّا أنَّهم أنِفوا[(٧)] أن يُسْتَذَلُّوا ويُسْلِمُوا أخاهم (٨)لِمَا قارَفَه(٨) مِن قومِه ، فلمَّا فَعَلَتْ ذلك بنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ ، وعَرَفَتْ قُرَيشٌ أن لا سَبِيلَ إلى محمدٍ[(٩)] ، اجْتَمَعُوا على أن(٦) يَكْتُبُوا فيما بينَهم على بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ ؛ أن لا يُناكِحُوهم ولا يَنْكِحُوا إليهم ، ولا يُبايِعُوهم ولا يَبْتاعُوا منهم ، وكَتَبُوا صَحِيفَةً فى ذلك ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣١٤.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تقدم فى صفحة ١٦٨ .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ١٣٥ - ١٤٢ .

(٥) دلائل النبوة ٢/٣١٤ ، ٣١٥.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل.

(٧) فى م : « اتقوا » . والمثبت موافق لما فى الدلائل .

(٨ - ٨) فى ص : « لما فارقه » . وفى الدلائل : « لمن فارقه » .

(٩) بعده فى الدلائل : « معهم » .

وعَلَّقُوها بالكعبةِ ، ثُمَّ عَدَوْا على مَن أسْلَم فأوْثَقُوهم وآذَوْهم ، واشْتَدَّ البَلاءُ عليهم ، وعَظُمَتِ الفِتنةُ ، وزُلْزِلُوا زِلزالًا شديدًا . ثُمَّ ذَكَرَ القِصَّةَ بطُولِها فى دُخُولِهم شِعْبَ أبى طالِبٍ ، وما بَلَغُوا فيه مِن فِتنةِ الجَهْدِ الشديدِ ، حتى كان [٩٨/٢ظ] يُسْمَعُ أصْواتُ صِبْيانِهم يَتَضاغَوْن[1] مِن وراءِ الشِّعْبِ ؛ مِن الجُوعِ ، حتى كَرِه عامَّةُ قُرَيشٍ ما أصابَهم ، وأظْهَرُوا كَراهِيَتَهم لصَحِيفَتِهم الظَّالِمَةِ ، وذَكَرَ أنَّ اللَّهَ برَحْمَتِه أرْسَلَ على صحيفةِ قُرَيشٍ الأَرَضَةَ ، فلم تَدَعْ فيها اسمًا هو للَّهِ إلَّا أكَلَتْه ، وبَقِى فيها الظُّلْمُ والقَطِيعَةُ والبُهْتَانُ ، فأخْبَرَ اللَّهُ تعالى بذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرَ بذلك عَمَّه أبا طالِبٍ ، ثُمَّ ذَكَر بقيَّةَ القِصَّةِ كرِوايَةِ موسى بنِ عُقْبَةَ وأَتَمَّ .

وقال ابنُ هشامٍ[2] ، عن زِيادٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ : فلمَّا رَأَتْ قُرَيشٌ أنَّ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد نَزَلُوا بَلَدًا أصابُوا منه أمْنًا وقَرارًا ، وأنَّ النَّجاشِيَّ قد مَنَع مَن لَجَأَ إليه منهم ، وأنَّ عُمَرَ قد أسْلَم ، فكان هو وحَمْزَةُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، وجَعَل الإسلامُ يَفْشُو فى القَبائِلِ ، اجْتَمَعُوا وأْتَمَرُوا أن يَكْتُبُوا كِتابًا يَتَعاقَدُون فيه على بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ ؛ على أن لا يُنْكِحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهم ، ولا يَبِيعُوهم شيئًا ولا يَبْتاعُوا منهم ، فلمَّا اجْتَمَعُوا لذلك كتَبُوا فى صَحِيفَةٍ ، ثُمَّ تعاهَدُوا وتَواثَقُوا على ذلك ، ثُمَّ عَلَّقُوا الصحيفةَ فى جَوْفِ الكعبةِ ؛ تَوْكِيدًا على أنْفُسِهم ، وكان كاتِبُ الصحيفةِ منصورَ بنَ عِكْرِمَةَ بنِ عامِرِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدَّارِ بنِ قُصَىٍّ - قال ابنُ هِشَامٍ[2] :

---

(١) يتضاغون : يصيحون من الجوع أو الألم .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٠.

ويُقالُ: النَّضْرُ بنُ الحارثِ - فدَعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فشُلَّ بعضُ أصابِعِه.
وقال الواقِدِيُّ: كان الذى كَتَبَ الصَّحِيفَةَ طَلْحَةَ بنَ أبى طلحةَ العَبْدَرِيَّ[1].

قلتُ: والمشهورُ أنَّه منصورُ بنُ عِكْرِمَةَ، كما ذَكَرَه ابنُ إسحاقَ، وهو الذى شَلَّتْ يَدُه، فما كان يَنْتَفِعُ بها، وكانت قُرَيشٌ تَقولُ بينَها: انْظُرُوا إلى منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ. قال الواقِدِيُّ[2]: وكانتِ الصَّحِيفَةُ مُعَلَّقَةً فى جَوْفِ الكعبةِ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فلمَّا فَعَلَتْ ذلك قريشٌ، انْحازَتْ بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبِ إلى أبى طالبٍ، فدَخَلُوا معه فى شِعْبِه، واجْتَمَعُوا إليه، وخَرَجَ مِن بنى هاشِمٍ أبو لَهَبٍ عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ إلى قُرَيشٍ، فظاهَرَهم. وحَدَّثَنى[4] حُسينُ[5] بنُ عبدِ اللَّهِ أنَّ أبا لَهَبٍ لَقِىَ هندَ بنتَ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، حين فارَقَ قومَه وظاهَرَ عليهم قُرَيشًا، فقال: يا بنةَ عُتْبَةَ، هل نَصَرْتُ اللَّاتَ والعُزَّى، وفارَقْتُ مَن فارَقَها وظاهَرَ عليها؟ قالتْ: نعم، فجزاك اللَّهُ خيرًا يا أبا عُتْبَةَ.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: وحُدِّثْتُ أنَّه كان يقولُ، فى بعضِ ما يقولُ: يَعِدُنى محمدٌ أشياءَ لا أراها، يَزْعُمُ أنَّها كائِنَةٌ بعدَ الموتِ، فماذا وَضَعَ فى يدِى بعدَ

---

(١) فى م: «العبدوى». وفى ص: «العبدونى». والذى فى طبقات ابن سعد عن الواقدى: «منصور ابن عكرمة العبدرى» كما سيأتى. طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩.
(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٠٩.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥١.
(٤) القائل ابن إسحاق.
(٥) فى ص: «خنيس».
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥١.

ذلك . ثُمَّ يَنْفُخُ فى يَدَيْه فيقولُ : تبًّا لكما ،لا أرَى فيكما شيئًا مِمَّا يقولُ محمدٌ . فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] .

قال ابنُ إسحاقَ[١] : فلمَّا اجْتَمَعَتْ على ذلك قُرَيشٌ ، وصَنَعُوا فيه الذى صَنَعُوا ، قال أبو طالِبٍ :

[٩٩/٢و] أَلَا أبْلِغا[٢] عَنِّى [٣]على ذاتِ بَيْنِنا[٣] لُؤَيًّا وخُصًّا مِنْ لُؤَىٍّ بنى كَعْبِ

ألم تَعْلَمُوا أنَّا وَجَدْنَا محمدًا نَبِيًّا كموسى خُطَّ فى أوَّلِ الكُتْبِ

وأنَّ عليه فى العِبادِ مَحَبَّةً ولا خيرَ مِمَّن خَصَّهُ اللَّهُ بالحُبِّ

وأنَّ الذى أَلْصَقْتُمُ[٤] مِن كِتابِكُمْ لكم كائنٌ نَحْسًا كَراغِيَةِ السَّقْبِ[٥]

أَفِيقُوا أفيقُوا قَبْلَ أنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ويُصبِحَ مَنْ لم يَجْنِ ذَنْبًا كذِى الذَّنْبِ

ولا تَتْبَعُوا أمْرَ الوُشاةِ وتَقْطَعُوا أواصِرَنا[٦] بَعْدَ المَوَدَّةِ والقُرْبِ

وتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوانًا[٧] ورُبَّما أَمَرَّ على مَنْ ذاقَهُ حَلَبُ[٨] الحَرْبِ

فلسنا ورَبِّ البيتِ نُسْلِمُ أحمدًا لِعَزَّاءَ[٩] مِن عَضِّ الزَّمانِ ولا كَرْبِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) فى الأصل : « بلغا » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « قريشا وبيتنا » .

(٤) فى الأصل ، ص : « لصقتم » .

(٥) فى الأصل ، ص : « كراعية » . والراغية : من الرُّغاء ، وهو صوت الإبل . والسَّقْب : ولدُ الناقةِ الذَّكَرُ ساعةَ يُولد . ويُشير هنا إلى ناقة صالح عليه السلام .

(٦) فى الأصل : عناصرنا .

(٧) الحرب العوان : التى قُوتِل فيها مرَّةً بعد أُخرى .

(٨) فى الأصل : « حلت » . وفى السيرة : « جلب » . وحلب الحرب : وبالها .

(٩) العَزَّاء : السَّنَة الشديدة .

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا ومنكُم سَوالِفٌ[١] وأيْدٍ أُتِرَّتْ[٢] بالقُسَاسِيَّةِ[٣] الشُّهْبِ

بِمُعْتَرَكٍ[٤] ضَيْقٍ تَرَى كِسَرَ القَنَا به والنُّسُورَ الطُّخْمَ[٥] يَعْكُفْنَ[٦] كالشَّرْبِ[٧]

كأنَّ مُجالَ[٨] الخَيْلِ فى حَجَراتِهِ[٩] ومَعْمَعَةَ الأَبطالِ[١٠] مَعْرَكَةُ الحَرْبِ

أليس أبُونا هاشِمٌ شَدَّ أَزْرَهُ وأوْصَى بَنِيهِ بالطِّعانِ وبالضَّرْبِ

ولَسْنَا نَمَلُّ الحربَ حتى تَمَلَّنا ولا نَشْتَكِى ما قد[١١] يَنُوبُ مِنَ النَّكْبِ[١٢]

ولَكِنَّنا أهلُ الحَفَائِظِ والنُّهَى[١٣] إذا طارَ أرواحُ الكُماةِ[١٤] مِنَ الرُّعْبِ

قال ابنُ إسحاقَ[١٥] : فأقامُوا على ذلك سنتَيْنِ أو ثلاثًا ، حتى جَهِدُوا ولم يَصِلْ إليهم شىءٌ إلَّا سِرًّا ، مُسْتَخْفِيًا به مَن أراد صِلَتَهم مِن قُرَيْشٍ ، وقد كان أبو جهلِ بنُ هشامٍ – فيما يَذْكُرُون – لَقِىَ حَكِيمَ بنَ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ معه

---

(١) تبن : تنفصل . وسوالف : جمع سالفة ، وهى جانب العنق .

(٢) فى الأصل : « تبارت » . وأُتِرَّت : قُطِعَتْ .

(٣) فى ص : « بالغشامية » . والقُساسِيَّة الشهب : يعنى بها السيوف ، نسبة إلى قُساس ، وهو معدن حديد لبنى أسد ، وقيل : اسم للجبل الذى فيه المعدن .

(٤) فى ص : « بمعتزل » .

(٥) الطُّخم : سُود الرءوس .

(٦) فى الأصل : « يكفن » . وفى ص : « يعطفن » .

(٧) فى ص : « كالفرب » . والشرب : الشاربون .

(٨) فى الأصل : « أمجال » . وفى ص : « يحال » . ومجال الخيل : إجالة الفرسان إياها .

(٩) الحَجَرات : أنحاء المكان .

(١٠) معمعة الأبطال : صوت الأبطال فى الحرب .

(١١) سقط من : الأصل ، ص .

(١٢) النَّكْب : المصيبة.

(١٣) الحفائظ : جمع حفيظة ، وهى الحمية والغضب . والنهى : العقول .

(١٤) الكماة : جمع كَمِىّ ، وهو من يستر نفسه بالدرع والبيضة .

(١٥) سيرة ابن هشام ١/٣٥٣، ٣٥٤.

غُلامٌ يَحمِلُ قَمحًا، يُرِيدُ به عَمَّتَه خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ، وهى عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومعه فى الشِّعْبِ، فتعَلَّقَ به وقال: أتَذْهَبُ بالطَّعامِ إلى بنى هاشِمٍ؟! واللَّهِ لا تَذهَبُ أنت وطعامُك حتى أفْضَحَكَ بمكَّةَ. فجاءَه أبو البَخْتَرِىِّ بنُ هِشامِ[1] بنِ الحارِثِ بنِ أَسَدٍ، فقال: ما لك وله؟ فقال: يَحمِلُ الطعامَ إلى بنى هاشمٍ. فقال له أبو البَخْتَرِىِّ: طَعامٌ كان لعَمَّتِه عِندَه، بَعَثَتْ إليه، أتَمْنَعُه أنْ يَأْتِيَها بطَعامِها؟! خَلِّ سَبِيلَ الرَّجُلِ. قال: فأبى أبو جهلٍ، لَعَنه اللَّهُ، [2]حتى نال أحَدُهما مِن صاحِبِه[2]، فأخَذ له أبو البَخْتَرِىِّ لَحْىَ بعيرٍ، فضَرَبَه به فشَجَّه، ووَطِئَه وَطْئًا شديدًا، وحمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ قريبٌ يَرى ذلك، وهم يَكْرَهُون أن يَبْلُغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأصحابَه، فيَشْمَتُوا بهم، ورسولُ اللَّهِ ﷺ على ذلك يَدْعُو قومَه ليلًا ونهارًا، وسِرًّا وجِهارًا، مُنادِيًا بأمرِ اللَّهِ تعالى، لا يَتَّقِى فيه أحدًا مِن النّاسِ، فجَعَلَتْ قُرَيشٌ - حينَ مَنَعَه اللَّهُ منها، وقام عَمُّه وقومُه مِن بنى هاشِمٍ وبنى عبدِ المُطَّلِبِ دُونَه، وحالُوا بينَهم وبينَ ما أرادُوا مِن البَطْشِ به - يَهمِزُونَه ويَستَهزِئُون به ويُخاصِمُونه، [٩٩/٢ظ] وجَعَلَ القُرآنُ يَنزِلُ فى قُرَيشٍ بأحْداثِهم، وفيمَن نَصَب لعَداوَتِه، منهم مَن سَمَّى لنا، ومنهم مَن نَزَلَ فيه[3] القرآنُ فى عامَّةِ مَن ذَكَر اللَّهُ مِن الكُفّارِ. فذَكَرَ ابنُ إسحاقَ[4] أبا لَهَبٍ ونُزُولَ السُّورةِ فيه، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ[5] ونُزُولَ قولِه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ

---

(١) فى السيرة: «هاشم».
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) سقط من: م.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٤، ٣٥٥. وانظر التفسير ٨/٥٣٤ - ٥٣٧.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٦. وانظر التفسير ٨/ ٥٠١، ٥٠٢.

هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، السورةِ بكمالِها فيه، والعاصَ بنَ وائِلٍ[١] ونُزُولَ قولِه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] فيه، وقد تَقَدَّمَ[٢] شيءٌ مِن ذلك، وأبا جَهْلِ بنَ هشامٍ[٣]، وقولَه للنَّبىِّ ﷺ: لتَتْرُكَنَّ سَبَّ آلِهَتِنا أو لنَسُبَّنَّ إلهَكَ[٤]. ونُزُولَ قولِ اللَّهِ فيه[٥]: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية [الأنعام: ١٠٨]. والنَّضْرَ بنَ الحارثِ بنِ كَلَدَةَ بنِ عَلْقَمَةَ[٦] -[٧] ومنهم مَن يقولُ: عَلْقَمَةُ بنُ كَلَدَةَ. قالَه السُّهَيْلِىُّ[٧] - وجُلُوسَه بعدَ النبىِّ ﷺ فى مَجالِسِه، حيثُ يَتْلُو القرآنَ ويَدْعُو إلى اللَّهِ، فيَتْلُو عليهم النَّضْرُ شيئًا مِن أخبارِ رُسْتُمَ وأسْفندِيارَ، وما جَرَى بينَهما من الحروبِ فى زَمَنِ الفُرسِ، ثم يَقولُ: واللَّهِ، ما محمدٌ بأَحْسَنَ حديثًا مِنِّى، وما حديثُه إلَّا أساطيرُ الأوَّلِين، اكْتَتَبَها كما اكْتَتَبْتُها. فأنْزَلَ اللَّهُ تعالى[٨]: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، وقولَه[٩]: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧. وانظر التفسير ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) تقدم الكلام على العاص بن وائل ص ٥٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧.

(٤) فى الأصل، م: «آلهتك». والعبارة كما جاءت فى السيرة: «أو لنسبَّنَّ إلهك الذى تعبد».

(٥) التفسير ٣/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٨، ٣٥٩. وهذا الاسم ورد فى السيرة هكذا: «النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة». وقال المحقِّقُون فى الحاشية: «فى الأصول: ابن كلدة بن علقمة. وهو تحريف». ولكنْ رأينا إثبات ما أورده الحافظ ابن كثير حتى تتسق العبارة التى جاءت بعده نقلًا عن السهيلى، وفيها موافقة ما أثبته محققو سيرة ابن هشام.

(٧ - ٧) سقط من: الأصل. وانظر عبارة السهيلى، فى الروض الأنف ٣/ ٣١٦.

(٨) التفسير ٦/ ١٠٢.

(٩) التفسير ٧/ ٢٥٠.

أَثِيمٍ ﴾[الجاثية: ٧].

قال ابنُ إسحاقَ[١]: وجَلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ، فيما بَلَغنا، يومًا مع الوليدِ ابنِ المُغيرةِ فى المسجدِ، فجاء النَّضْرُ بنُ الحارِثِ حتى جَلَس معهم، وفى المجلسِ غيرُ واحِدٍ مِن رجالِ قُرَيْشٍ، فتكَلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ فعَرَضَ له النَّضْرُ، فكَلَّمه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أفْحَمه، ثُمَّ تَلا عليه وعليهم[٢]: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨- ١٠٠]. ثُمَّ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأقْبَلَ عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ حتى جَلَس، فقال الوليدُ بنُ المُغيرةِ له: [٣]واللَّهِ ما قام[٣] النَّضْرُ بنُ الحارِثِ لابنِ عبدِ المُطَّلِبِ آنِفًا وما قَعَدَ، وقد زَعَم محمدٌ، أنَّا وما نَعْبُدُ مِن آلِهَتِنا هذه، حَصَبُ جهنَّمَ. فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى: أَمَا واللَّهِ لو وَجَدْتُه لَخَصَمْتُه، فسَلُوا محمدًا؛ أَكُلُّ مَن نَعْبُدُ مِن دونِ اللَّهِ حَصَبُ جهنَّمَ مع مَن عَبَدَه؟ فنحن نَعْبُدُ الملائكةَ، واليهودُ تَعبدُ عُزَيْرًا، والنَّصارَى تعبدُ عيسى. فعَجِبَ الوليدُ ومَن كان معه فى المَجْلِسِ مِن قَوْلِ ابنِ الزِّبَعْرَى، ورَأَوْا أنَّه قد احْتَجَّ وخاصَمَ. فذُكِرَ ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «كُلُّ مَن أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ[٤]، إِنَّهُمْ إِنَّما يَعْبُدُونَ الشَّياطِينَ وَمَنْ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨ - ٣٦٠.

(٢) التفسير ٥/ ٣٧٢، ٣٧٣.

(٣ - ٣) هذه العبارة مكررة فى: م، ص.

(٤) بعده فى الأصل، م: «فى النار».

أمَرْتُهُمْ بِعِبادَتِهِ » . فأنْزَل اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢] . أى ؛ عيسى ، وعُزَيْرٌ ، ومَن عُبِدَ مِن الأَحْبارِ والرُّهْبانِ الذين مَضَوْا على طاعةِ اللَّهِ تعالى . ونزَل فيما يَذْكُرون أنَّهم يَعْبُدُون الملائكةَ وأنَّها بناتُ اللَّهِ[2] : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] . والآياتُ بعدَها . ونزَل فى إعجابِ المُشرِكين بقَوْلِ ابنِ الزِّبَعْرَى[3] : ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧، ٥٨] . وهذا الجَدَلُ الذى سَلَكُوه باطلٌ ، وهم يَعْلَمُون ذلك ؛ لأنَّهم [٢/١٠٠و] قَوْمٌ عَرَبٌ ، ومن لُغَتِهم أنَّ « ما » لِمَا لا يَعْقِلُ ، فقَوْلُه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ . إنَّما أُرِيدَ بذلك ما كانوا يَعْبُدُونَه مِن الأَحْجارِ التى كانتْ صُوَرَ أصنامٍ ، ولا يَتَناوَلُ ذلك الملائكةَ الذين زَعَمُوا أنَّهم يَعْبُدُونَهم فى هذه الصُّوَرِ ، ولا المسيحَ ، ولا عُزَيْرًا ، ولا أَحَدًا مِن الصَّالِحِين ؛ لأنَّ اللَّفْظَ لا يَتَناوَلُهم ، لا لَفْظًا ولا مَعْنًى ، فهم يعلمون أنَّ ما ضَرَبُوه بعيسى بنِ مريمَ مِن المَثَلِ ، جَدَلٌ باطِلٌ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ثُمَّ قال[4] : ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أى عيسى ﴿ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا

---

(١) التفسير ٥/٣٧٣ - ٣٧٦.

(٢) التفسير ٥/ ٣٣١.

(٣) التفسير ٧/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٤) التفسير ٧/ ٢٢٢.

عَلَيۡهِ﴾ (١)أى ؛ بنُبُوَّتِنا(١) ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]. أى ؛ دَليلًا على تَمامِ قُدْرَتِنا على ما نَشاءُ، حيثُ خَلَقْناه مِن أُنْثَى بلا ذَكَرٍ، وقد خَلَقْنا حَوَّاءَ مِن ذَكَرٍ بلا أُنْثَى، وخَلَقْنا آدمَ لا مِن هذا ولا مِن هذا، وخَلَقْنا سائرَ بنى آدَمَ مِن ذكرٍ وأُنثَى، كما قال فى الآيةِ الأُخرَى[٢]: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ أى ؛ أَمارَةً ودَليلًا على قُدْرَتِنا الباهِرَةِ ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ﴾ [مريم: ٢١]. نَرْحَمُ بها مَن نَشاءُ.

وذَكَرَ ابنُ إسحاقَ[٣] الأَخْنَسَ بنَ شَرِيقٍ، ونُزُولَ قولِه تعالى، فيه: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] الآيات. وذَكَر الوليدَ بنَ المُغيرَةِ، حيثُ قال: أَيُنْزَلُ على محمدٍ، وأُتْرَكُ وأنا كبيرُ قُرَيشٍ وسَيِّدُها، ويُتْرَكُ أبو مسعودٍ عَمْرُو بنُ عُميرٍ[٤] الثَّقَفِىُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ ؟! فنحنُ عَظِيما القَرْيَتَيْنْ. ونُزُولَ قولِه تعالى فيه[٥]: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]. والتى بعدَها. وذَكَر أُبَىَّ بنَ خَلَفٍ[٦] حينَ قال لعُقْبَةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ: ألم يَبْلُغْنِى أَنَّكَ جالَسْتَ محمدًا، وسَمِعْتَ منه، وَجْهِى مِن وجهِك حرامٌ، إلَّا أن تَتْفُلَ فى وجهِه. ففعَلَ ذلك عَدُوُّ اللَّهِ عُقْبَةُ، لَعَنه اللَّهُ، فأنْزَل اللَّهُ[٧]: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٥/ ٢١٥، ٢١٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٠، ٣٦١. وانظر التفسير ٨/ ٢١٧.

(٤) فى الأصل، م: «عمرو»، وفى ص: «عمر». والمثبت من السيرة. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٤.

(٥) التفسير ٧/ ٢١٢، ٢١٣.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٧) التفسير ٦/ ١١٦.

﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨]. والتى بَعْدَها.

قال[(١)]: وَمَشَى أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ بعَظْمٍ بالٍ (٢)قد أَرَمَّ(٢)، فقال: يا محمدُ، أنت تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هذا بعدَما أرَمَّ؟! ثُمَّ فَتَّه بيَدِه، ثُمَّ نَفَخه فى الرِّيحِ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: «نَعَمْ، أنَا أقولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَمَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يُدْخِلُكَ[(٣)] النَّارَ». وأَنْزَل اللَّهُ تعالى[(٤)]: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] إلى آخِرِ السُّورَةِ.

قال[(٥)]: واعْتَرَض رسولَ اللَّهِ ﷺ، فيما بَلَغَنِى، وهو يَطُوفُ عندَ بابِ الكعبةِ، الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ، والوليدُ بنُ المُغيرَةِ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، والعاصُ بنُ وائِلٍ، فقالوا: يا محمدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ ما تَعْبُدُ، وتَعْبُدْ ما نَعْبُدُ، فنَشْتَرِكَ نحن وأنت فى الأمْرِ. فأنْزَل اللَّهُ فيهم[(٦)]: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] إلى آخِرِها. ولمَّا سَمِعَ أبو جهلٍ بشَجَرَةِ الزَّقُّومِ، قال: أتَدْرُون ما الزَّقُّومُ؟ هو (٧)تَمْرٌ يُضْرَبُ بالزُّبْدِ(٧). ثُمَّ قال: هَلُمُّوا فَلْنَتَزَقَّمْ! فأَنْزَل اللَّهُ تعالى[(٨)]: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. قال[(٩)]: ووَقَف

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، ٣٦٢.

(٢ - ٢) سقط من: ص. وفى السيرة: «قد ارفَتَّ». أى انكسر وتحطَّم. وأرَمَّ: بلى.

(٣) بعده فى السيرة: «الله».

(٤) التفسير ٦/٥٧٩ - ٥٨٣.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٢.

(٦) التفسير ٨/٥٢٦ - ٥٢٨.

(٧ - ٧) فى سيرة ابن هشام: «عجوة يثرب بالزبد».

(٨) التفسير ٧/ ٢٤٥.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦٣، ٣٦٤.

الوليدُ بنُ المُغيرةِ فكَلَّمَ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، [2]ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُه[2] ، وقد طَمِع في إسلامِه ، [٢/١٠٠ظ] فمَرَّ به ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - [3]عاتِكَةَ بنتِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَنْكَثَةَ[3] - الأعْمَى ، فكَلَّمَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وجَعَل يَسْتَقْرِئُه القُرآنَ ، فشَقَّ ذلك عليه حتى أضْجَرَه ، وذلك أنَّه شَغَلَه عمَّا كان فيه مِن أمرِ الوليدِ ، وما طَمِع فيه مِن إسلامِه ، فلمَّا أكْثَرَ عليه ، انْصَرَف عنه عابِسًا ، وترَكَه ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى[4] : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١، ٢] إلى قولِه : ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]. وقد قِيل[5] : إنَّ الذى كان يُحَدِّثُ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ جاءَه ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ[6] مَن عادَ مِن مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ إلى مكَّةَ ، وذلك حين بَلَغَهم إسلامُ أهلِ مكَّةَ ، وكان النَّقْلُ ليس بصحيحٍ ، ولكنْ كان له سَبَبٌ ، وهو ما ثَبَتَ فى « الصحيحِ » وغيرِه[7] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ جَلَس يومًا مع المُشْرِكِين ، وأنْزَل اللَّهُ عليه : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: ١، ٢]. يَقْرَؤُها عليهم ، حتى خَتَمَها وسَجَد ، فَسَجَدَ مَن هناك مِن المُسلِمِين والمُشْرِكِين والجِنِّ والإنْسِ . وكان لذلك سَبَبٌ ذَكَره كثيرٌ مِن المُفَسِّرِين عندَ قولِه تعالى[8] : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى

---

(١) فى السيرة : « مع » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وليست فى السيرة . وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٦٣ .

(٤) التفسير ٨/ ٣٤٢ - ٣٤٤ .

(٥) الروض الأنف ٣/ ٣٢٨ .

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٧ - ١٥٨ ، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦٤ - ٣٦٩ .

(٧) البخارى (١٠٧١، ٤٨٦٢) . والترمذى (٥٧٥) . كلاهما من حديث ابن عباس .

(٨) التفسير ٥/ ٤٣٨ - ٤٤٢ . وانظر تفسير الطبرى ١٧/ ١٨٦ - ١٩٠ . وتفسير القرطبى ١٢/ ٧٩ - ٨٦ .

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحج: ٥٢]. وذَكَروا قصَّةَ الغَرانيقِ، وقد أحْبَبْنا الإضْرابَ عن ذِكْرِها صَفْحًا؛ لِئَلَّا يَسْمَعَها مَن لا يَضَعُها على مواضِعِها، إلَّا أنَّ أصْلَ القصَّةِ فى «الصحيحِ».

قال البخاريُّ[1]: حَدَّثَنا أبو مَعْمَرٍ، حَدَّثنا عبدُ الوارِثِ، حَدَّثنا أَيُّوبُ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: سَجَد النَّبِىُّ ﷺ بالنَّجْمِ، وسَجَدَ معه المُسلِمُون والمُشرِكُون والجِنُّ والإنْسُ. انْفَرَدَ به البخارىُّ دُونَ مسلمٍ.

وقال البخاريُّ[2]: حَدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنا غُنْدَرٌ، حَدَّثنا شُعْبَةُ، عن أبى إسحاقَ، سَمِعْتُ الأسْوَدَ، عن عبدِ اللَّهِ قال: قَرَأَ النَّبِىُّ ﷺ النَّجْمَ بمكَّةَ، فسَجَدَ فيها، وسَجَدَ مَن معه، غَيْرَ شيخٍ أخَذَ كَفًّا مِن حَصًى أو تُرابٍ، فرَفَعَه إلى جَبْهَتِه، وقال: يَكْفِينِى هذا. فرَأَيْتُه بَعْدُ قُتِل كافِرًا.

ورَواه مسلمٌ، وأبو داودَ، والنَّسائىُّ مِن حديث شُعْبَةَ[3].

وقال الإمامُ أَحمدُ[4]: حَدَّثَنا إبراهيمُ، حَدَّثنا رَباحٌ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ طاوُسٍ، عن عِكْرِمَةَ بنِ خالدٍ، عن جعفرِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أبى وَداعَةَ، عن أبيه، قال: قَرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ سُورةَ «النَّجْمِ»، فسَجَد وسَجَد مَن عِندَه، فرَفَعْتُ رَأْسِى وأبَيْتُ أنْ أسْجُدَ، ولم يَكُنْ أسْلَم يومَئذٍ المُطَّلِبُ، فكان بعدَ ذلك لا يَسْمَعُ أحدًا يَقْرَؤُها إلَّا سَجَد معه. وقد رَواه النَّسائىُّ عن عبدِ الملكِ بنِ

---

(١) البخارى (٤٨٦٢).

(٢) البخارى (١٠٦٧).

(٣) مسلم (٥٧٦)، وأبو داود (١٤٠٦)، والنسائى (٩٥٨).

(٤) فى المسند ٣/ ٤٢٠.

عبدِ الحميدِ، عن أحمدَ بنِ حَنْبَلٍ به[1]. وقد يُجْمَعُ بين هذا والذى قَبْلَه، بأنَّ هذا سَجَد ولكنَّه رَفَع رأسَه اسْتِكْبارًا، وذلك الشَّيْخَ الذى اسْتَثْناه ابنُ مسعودٍ، لم يَسْجُدْ بالكُلِّيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ النّاقِلَ لَمَّا رَأَى المُشرِكِين قد سَجَدُوا مُتابَعَةً لرسولِ اللَّهِ ﷺ، اعْتَقَد أنَّهم قد أسْلَمُوا واصْطَلَحُوا معه، ولم يَبْقَ نِزاعٌ بينَهم، فطار الخَبَرُ بذلك، وانْتَشَر حتى بلَغ مُهاجِرَةَ الحَبَشَةِ بها، فظَنُّوا صِحَّةَ ذلك، فأقْبَل منهم طائفةٌ [٢/١٠١و] طامِعِين بذلك، وثَبَتَتْ جماعةٌ، وكلاهما مُحْسِنٌ مُصِيبٌ فيما فَعَل، فذَكَرَ ابنُ إسحاقَ أسماءَ مَن رَجَع[2] منهم؛ عثمانُ بنُ عفانَ، وامْرَأَتُه رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وامْرأَتُه سَهْلَةُ بنتُ سُهَيْلٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابٍ[3]، وعُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وسُوَيْبِطُ بنُ سعدٍ، وطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ، والمِقْدادُ بنُ عَمْرٍو، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ، وامْرَأَتُه أُمُّ سَلَمَةَ [4]بنتُ أبى أُمَيَّةَ[4] [5]بنِ المُغِيرَةِ[5]، وشَمَّاسُ بنُ عثمانَ، وسَلَمَةُ بنُ هشامٍ، وعَيَّاشُ بنُ أبى رَبِيعَةَ - وقد حُبِسا بمكَّةَ حتى مَضَتْ بدرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ - وعَمَّارُ بنُ ياسِرٍ - وهو مِمَّن شُكَّ فيه، أَخَرَج إلى الحبَشَةِ أمْ لا - ومُعَتِّبُ بنُ عَوْفٍ، وعثمانُ بنُ مَظْعُونٍ، وابنُه السَّائِبُ، وأخَوَاه قُدَامَةُ،

---

(١) النسائى (٩٥٧). حسن الإسناد (صحيح سنن النسائى ٩١٨).

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٦٥ - ٣٦٩.

(٣) فى الأصل، ص: «رباب».

(٤ - ٤) سقط من: ص. وفى الأصل: «بن عبد الأسد».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

وعبدُ اللَّهِ ابنا مَظْعُونٍ ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ ، وهشامُ بنُ العاصِ بنِ وائِلٍ - وقد حُبِس بمكَّةَ إلى بعدِ الخَنْدَقِ - وعامِرُ بنُ رَبِيعَةَ ، وامْرَأَتُه ليلى بنتُ أبى حَثْمَةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ مَخْرَمَةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو - وقد حُبِس حتى كان يومُ بدرٍ - فانْحاز إلى المُسلِمِين فشَهِدَ معهم بدرًا - وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ ، وامْرَأَتُه أُمُّ كلثُومٍ بنتُ سُهَيْلٍ ، والسَّكْرانُ بنُ عَمْرِو بنِ عبدِ شَمْسٍ ، وامْرَأَتُه سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ - وقد مات بمكَّةَ قبلَ الهجرةِ وخَلَف على امْرَأَتِه رسولُ اللَّهِ ﷺ - وسعدُ ابنُ خَوْلَةَ ، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، وعَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ زُهَيْرٍ ، [(١)] وسُهَيْلُ بنُ بَيْضَاءَ [(١)] ، وعَمْرُو بنُ أبى سَرْحٍ . فجَمِيعُهم ثلاثةٌ وثلاثُون رَجُلًا ، رَضِى اللَّهُ عنهم .

وقال البخارىُّ [(٢)] : [(٣)] هِجْرَةُ الحَبَشَةِ [(٣)] ، وقالتْ عائشةُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ » . فهاجَرَ مَن هاجَر قِبَلَ المدينةِ ، ورَجَع عامَّةُ مَن كان هاجَر إلى الحَبَشَةِ إلى المدينةِ . فيه عن أبى موسى ، وأسماءَ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، عن النَّبىِّ ﷺ .

وقد تَقَدَّم حديثُ أبى موسى [(٤)] ، وهو فى « الصَّحِيحَيْنِ » ، وسيأْتِى حديثُ أسْماءَ بنتِ عُمَيْسٍ بَعْدَ فتحِ خَيْبَرَ ، حينَ قَدِم مَن كان تَأَخَّرَ مِن مُهاجِرَةِ الحَبَشَةِ ، إن شاءَ اللَّهُ ، وبه الثِّقَةُ .

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) كتاب مناقب الأنصار . فتح البارى ٧/ ١٨٦، ١٨٧.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ١٧٧.

وقال البخاريُّ[1] : حَدَّثَنا يحيى بنُ حَمَّادٍ ، حَدَّثنا أبو عَوانَةَ ، عن سُليمانَ ، عن إبراهيمَ ، عن عَلْقَمَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : كُنَّا نُسَلِّمُ على النَّبيِّ ﷺ وهو يُصَلِّي ، فيَرُدُّ علينا ، فلمَّا رَجَعْنا مِن عندِ[2] النَّجاشِيِّ سَلَّمْنا عليه ، فلم يَرُدَّ علينا ، فقُلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا كُنَّا نُسَلِّمُ عليك ، فتَرُدُّ علينا[3] . قال : « إنَّ في الصَّلاةِ شُغْلًا » .

وقد رَواه البُخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والنَّسائيُّ ، مِن طُرُقٍ أُخَرَ[4] ، عن سُليمانَ بنِ مِهْرانَ[5] الأَعْمَشِ به ، وهو يُقَوِّى تأويلَ مَن تَأَوَّل حديثَ زيدِ بنِ أَرْقَمَ الثَّابِتَ في « الصَّحِيحَيْنِ »[6] : كُنَّا نَتَكَلَّمُ في الصَّلاةِ ، حتى نَزَل قولُه : ﴿ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . فأُمِرْنا بالسُّكُوتِ ، ونُهِينا عن الكلامِ . على أَنَّ المُرادَ جِنْسُ الصَّحابةِ ؛ فإنَّ زيدًا أنصارِيٌّ مَدَنِيٌّ ، وتحريمُ الكلامِ في الصلاةِ ثَبَت بمكَّةَ ؛ فتَعَيَّنَ الحَمْلُ على ما تَقَدَّم ، وأمَّا ذِكْرُه الآيةَ وهي مَدَنِيَّةٌ ، فمُشْكِلٌ ، ولَعَلَّه اعْتَقَد أنَّها المُحَرِّمَةُ لذلك ، وإنَّما كان المُحَرِّمُ له غيرَها معها . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) البخارى (٣٨٧٥) .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « فلما رجعنا من عند النجاشى لم ترد علينا » . وهذه العبارة ليست عند البخارى .

(٤) البخارى (١١٩٩، ١٢١٦) . ومسلم (٥٢٣، ٥٣٨) . وأبو داود (٩٢٤) . والنسائى فى الكبرى (٥٤٠) .

(٥) بعده فى الأصل ، م : « عن » .

(٦) البخارى (١٢٠٠، ٤٥٣٤) . ومسلم (٥٣٩) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان مِمَّن دَخَل معهم[2] بجِوارٍ ؛ عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ[3] فى جِوارِ الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، وأبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأَسَدِ فى جوارِ خالِه أبى طالبٍ ؛ فإنَّ أُمَّه بَرَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلِبِ ، فأمَّا عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ ؛ [4]فإنَّ صالحَ بنَ إبراهيمَ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ حَدَّثَنِى ، عمَّن حَدَّثه عن عثمانَ ، قال : لَمَّا رَأَى عثمانُ بنُ مَظْعُونٍ[4] ما فيه أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن البلاءِ ، وهو يَرُوحُ ويَغْدُو فى أمانٍ مِن الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ ، قال : واللَّهِ إنَّ غُدُوِّى ورَوَاحِى آمِنًا[5] فى جِوارِ رَجُلٍ مِن أهلِ الشِّرْكِ ، وأصحابى وأهلُ [٢/١٠١ظ] دِينِى يَلْقَوْن مِن البلاءِ والأَذَى فى اللَّهِ ما لا يُصِيبُنِى ، لَنَقْصٌ كثيرٌ فى نَفْسِى . فمَشَى إلى الوليدِ بنِ المُغِيرَةِ فقال له : يا أبا عبدِ شَمْسٍ ، وَفَتْ ذِمَّتُك ، قد رَدَدْتُ إليك جِوارَك . قال : لم يا بنَ أخى ؟ لَعَلَّه آذاك أحدٌ مِن قومِى ؟ قال : لا ، ولكنِّى أَرْضَى بجِوارِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ولا أُرِيدُ أن أسْتَجِيرَ بغيرِه . قال : فانْطَلِقْ إلى المسجدِ ، فارْدُدْ علىَّ جِوارِى عَلَانِيَةً كما أجَرْتُك علانيةً . قال : فانْطَلَقا ، فَخَرَجا حتى أَتَيا المسجدَ ، فقال الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ : هذا عثمانُ قد جاءَ يَرُدُّ عَلَىَّ جِوارِى . قال : صَدَق ، قد وَجَدْتُه وَفِيًّا كريمَ الجِوارِ ، ولكنِّى قد أَحْبَبْتُ أن لا أسْتَجِيرَ بغيرِ اللَّهِ ، فقد رَدَدْتُ عليه جِوارَه . ثم انْصَرَفَ عثمانُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، ولَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ ابنِ مالِكِ بنِ جعفرِ [6]بنِ كِلابٍ[6] فى مَجْلِسٍ مِن قُرَيشٍ يُنْشِدُهم ، فَجَلَسَ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ١٥٨ - ١٥٩ . وسيرة ابن هشام ١/٣٦٩ - ٣٧١.

(٢) فى السيرة : « منهم » .

(٣) فى الأصل ، ص : « عفان » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) زيادة من : ص .

(٦ - ٦) زيادة من : ص .

معهم عثمانُ، فقال لَبِيدٌ:

* ألا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّهَ باطِلُ *

فقال عثمانُ: صَدَقْتَ. فقال لبيدٌ:

* وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ *

قال عثمانُ: كَذَبْتَ؛ نعيمُ الجنَّةِ لا يَزُولُ. فقال لَبِيدٌ: يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، واللَّهِ ما كان يُؤْذَى جَلِيسُكم، فمتى حَدَث هذا فيكم؟ فقال رجُلٌ مِن القومِ: إنَّ هذا سَفِيهٌ فى سُفَهاءَ معه، قد فارَقُوا دِينَنا، فلا تَجِدَنَّ فى نَفْسِك مِن قولِه. فرَدَّ عليه عثمانُ، حتى شَرِىَ[1] أمرُهما، فقام إليه ذلك الرَّجُلُ ولَطَم عَيْنَه فَخَضَّرَها[2]، والوليدُ بنُ المُغِيرَةِ قريبٌ يَرَى ما بَلَغ عثمانَ، فقال: أمَا واللَّهِ يا بنَ أخى، إن كانتْ عَيْنُك عمَّا أصابَها لَغَنِيَّةً، ولقد كُنتَ فى ذِمَّةٍ مَنِيعَةٍ. قال: يقولُ عثمانُ: بل واللَّهِ إنَّ عَيْنِى الصَّحِيحَةَ لَفَقِيرَةٌ إلى مِثْلِ ما أصابَ أُخْتَها فى اللَّهِ، وإنِّى لَفِى جِوارِ مَن هو أعَزُّ منك وأقْدَرُ، يا أبا عبدِ شَمْسٍ. فقال له الوليدُ: هَلُمَّ يا بنَ أخى إن شِئْتَ، إلى جِوارِك فعُدْ. قال: لا.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وأمَّا أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الأسَدِ، فحَدَّثَنِى أبى إسحاقُ ابنُ يَسَارٍ، عن سَلَمَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ [4]بنِ عُمرَ[4] بنِ أبى سَلَمَةَ، أنَّه حَدَّثَه أنَّ أبا سَلَمَةَ لمَّا اسْتَجارَ بأبى طالِبٍ، مَشَى إليه رِجالٌ مِن بنى مَخْزُومٍ، فقالوا له: يا أبا طالِبٍ، هذا مَنَعْتَ منَّا ابنَ أخِيك محمدًا، فما لَكَ ولِصاحِبِنا تَمْنَعُه منَّا؟!

---

(١) يُقال: شَرِىَ الشَّرُّ بينهم؛ أى عظُم وتفاقم.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) أى سَوَّدها، ويريد أثر الكَدْمة. والعرب تسمى الأسود أخضر.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

قال : إنَّه اسْتَجارَ بي وهو ابنُ أُخْتِي ، وإن أنا لم أمْنَعِ ابنَ أُخْتِي ، لم أمْنَعِ ابنَ أخي . فقام أبو لَهَبٍ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، واللَّهِ لقد أكْثَرْتم على هذا الشيخِ ، ما تَزالُون تَتَواثَبون[1] عليه في جِوارِه مِن بينِ قومِه ، واللَّهِ لَتَنْتَهُنَّ أو لَنَقُومَنَّ معه في كُلِّ ما قام فيه ، حتى يَبْلُغَ ما أراد . قال : فقالوا : بل نَنْصَرِفُ عمَّا تَكْرَهُ يا أبا عُتْبَةَ . وكان لهم وليًّا وناصِرًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأبْقَوْا على ذلك ، فطَمِعَ فيه أبو طالِبٍ حين سَمِعَه يقولُ ما يقولُ ، ورجا أن يَقُومَ معه في شأنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال أبو طالِبٍ يُحَرِّضُ أبا لَهَبٍ على نُصْرَتِه ونُصْرَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ :

وإنَّ امْرَأً[2] أبو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ ... لَفِي رَوْضَةٍ ما إنْ يُسامُ المَظالِما

أقولُ لَهُ وأينَ منه نَصِيحَتِي ... أبا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوادَكَ[3] قائِما

ولا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ ما عِشْتَ خُطَّةً ... تُسَبُّ بها إمَّا هَبَطْتَ المَواسِما

ووَلِّ سَبِيلَ العَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... فإنَّكَ لم تُخْلَقْ على العَجْزِ لازِما

وحارِبْ فإنَّ الحَرْبَ نِصْفٌ[4] ولن تَرَى ... أخا الحربِ يُعْطِي الخَسْفَ[5] حتى يُسالِما

[٢/٢ ١٠٢و] وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظِيمَةً ... ولم يَخْذُلُوك غانِمًا أو مُغارِما

جَزَى اللَّهُ عنَّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... وتَيْمًا ومَخْزُومًا عُقُوقًا ومَأْثَما

بتَفْرِيقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وأُلْفَةٍ ... جَماعَتَنا كَيْما يَنالُوا المَحارِما

---

(١) في الأصل ، ص : « توثبون » .

(٢) يعني النبي ﷺ .

(٣) السواد : يعني به هنا شخص أبي لهب . ويريد : كثر قومك ولا تقللهم بتفرقك .

(٤) النصف : الإنصاف . والحرب نصف ، أي أنها سبب لانتصاف الإنسان من أعدائه .

(٥) الخسف : الذل ، والمعنى أن من وطن نفسه على الحرب لم يخضع ولم يذل ، إلا أن يسالمه الناس فلا يعتدي عليهم .

كَذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نُبْزَى[1] محمدًا ولَمَّا تَرَوْا يومًا لَدَى الشِّعْبِ قائِما

قال ابنُ هِشامٍ[2] : وبَقِي منها بيتٌ تَرَكْناه .

(١) فى ص : «تبرى». ونبزى : أراد : لا نبزى . وقال ابن هشام : نبزى : نُسْلَب .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٢.

ذِكْرُ عَزْمِ الصدّيقِ على الهِجْرَةِ إلى الحَبَشَةِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كان أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، كما حَدَّثَنِي محمدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائِشَةَ ، حين ضاقَتْ عليه مَكَّةُ ، وأصابَه فيها الأذى ، ورَأَى مِن تَظاهُرِ قُرَيْشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصْحابِه ما رَأَى ، اسْتَأْذَن رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرَةِ ، فأذِنَ له ، فَخَرَج أبو بكرٍ ، رَضِي اللَّهُ عنه ، مُهاجِرًا ، حتى إذا سار مِن مكَّةَ يومًا أو يَوْمَيْنِ ، لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ أخو بنى الحارِثِ [2]بنِ بكرٍ[2] بنِ عبدِ مَناةَ [3]بنِ كِنانَةَ[3] وهو يومَئذٍ سيِّدُ الأحابِيشِ[4] - [5]قال الواقِدِيُّ[6] : اسمُه الحارِثُ بنُ يَزِيدَ ، أحَدُ بنى بكرٍ ، مِن عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ . وقال السُّهَيْلِيُّ[7] : اسمُه مالِكٌ[5] - فقال : إلى أين يا أبا بكرٍ ؟ قال : أَخْرَجَنِي قومِي ، وآذَوْنِي ، وضَيَّقُوا عَلَيَّ . قال : ولِمَ ؟! فواللَّهِ إنَّك لَتَزِينُ العَشِيرَةَ ، وتُعِينُ على النَّوائِبِ ، وتَفْعَلُ المعروفَ وتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، ارْجِعْ فإنَّك فى جِوارِى . فرَجَع معه ، حتى إذا دَخَل مكَّةَ قام ابنُ الدَّغِنَةِ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنِّى قد أجَرْتُ ابنَ أبى قُحافَةَ ، فلا يَعْرِضْ له أحدٌ إلَّا بخيرٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢ - ٢) زيادة ليست فى سيرة ابن هشام .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل : « القارة » . والأحابيش حلفاء قريش من بنى كنانة ، تحالفوا تحت جبل يقال له : حُبشى . فسموا الأحابيش . وهم أحياء من القارة . انظر الاشتقاق ص ١٩٣. ولسان العرب (ح ب ش) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) طبقات ابن سعد ٥/٥٧.

(٧) الروض الأنف ٣/٣٥٢.

قالتْ[1] : فكَفُّوا عنه . قالتْ : وكان لأبى بكرٍ مسجدٌ عندَ بابِ دارِه فى بنى جُمَحَ ، فكان يُصَلِّى فيه ، وكان رجُلًا رَقِيقًا ، إذا قَرَأ القرآنَ اسْتَبْكَى . قالتْ : فَيَقِفُ عليه الصِّبْيانُ والعَبِيدُ والنِّساءُ ، يَعْجَبُون لِمَا يَرَوْن مِن هَيْئَتِه . قالتْ[2] : فمَشَى رِجالٌ مِن قُرَيشٍ إلى ابنِ الدَّغِنَةِ ، فقالوا : يا بنَ الدَّغِنَةِ ، إنَّك لم تُجِرْ هذا الرَّجُلَ ليُؤْذِيَنا ، إنَّه رَجُلٌ إذا صَلَّى وقَرَأ ما جاءَ به محمدٌ ، يَرِقُّ[3] ، وكانتْ له هَيْئَةٌ [4]ونحوٌ ، فنحن[4] نَتَخَوَّفُ على صِبْيانِنا ونِسائِنا وضُعَفائِنا أن يَفْتِنَهم ، فَأْتِهِ فَمُرْهُ بأن يَدْخُلَ بيتَه ، فَلْيَصْنَعْ فيه ما شاءَ . قالتْ : فَمَشَى ابنُ الدَّغِنَةِ إليه فقال : يا أبا بكرٍ ، إنِّى لم أُجِرْكَ لِتُؤْذِىَ قَوْمَك ، وقد كَرِهُوا مكانَك الذى أنت به ، وتَأَذَّوْا بذلك منك ، فادْخُلْ بيتَك فاصْنَعْ فيه ما أحْبَبْتَ . قال : أو أرُدُّ عليك جِوارَك وأرْضَى بجِوارِ اللَّهِ . قال : فارْدُدْ عَلَىَّ جِوارِى . قال : قد رَدَدْتُه عليك . قالت[1] : فقام ابنُ الدَّغِنَةِ فقال : يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ، إنَّ ابنَ أبى قُحافَةَ قد رَدَّ علَىَّ جِوارِى ، فَشَأْنَكم بصاحِبِكم .

وقد رَوَى الإمامُ البُخارىُّ هذا الحديثَ مُتَفَرِّدًا به[5] ، وفيه زِيادَةٌ حَسَنَةٌ ، فقال : حَدَّثَنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، قال ابنُ شِهابٍ[6] : فأخْبَرَنِى عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ أنَّ عائشةَ زَوْجَ النَّبىِّ ﷺ ، قالتْ : لم أَعْقِلْ أبَوَىَّ قطُّ

---

(١) فى النسخ : « قال » . والتصحيح من السيرة .
(٢) فى الأصل ، م : « قال » .
(٣) سقط من : الأصل . وبعده فى السيرة : « ويبكى » .
(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « ونحن » .
(٥) البخارى (٣٩٠٥) .
(٦) فى م ، ص : « هشام » .

إلَّا وهما يَدِينانِ الدِّينَ ، ولم يَمُرَّ علينا يومٌ إلَّا يَأْتِينا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهارِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً ، فلمَّا ابْتُلِيَ المُسلِمُون خَرَج أبو بكرٍ مُهاجِرًا نَحْوَ أرضِ الحَبَشَةِ ، حتى إذا بَلَغَ بَرْكَ الغِمادِ ، لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ ، وهو سَيِّدُ القارَةِ ، فقال : أين تُرِيدُ يا أبا بكرٍ ؟ فقال أبو بكرٍ : أَخْرَجَنِي قومِي ، فأُرِيدُ أن أسِيحَ فى الأرضِ فأعْبُدَ رَبِّي . فقال ابنُ الدَّغِنَةِ : فإنَّ مِثْلَك يا أبا بكرٍ لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ مِثْلُه ، إنَّك تَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَقْرِى الضَّيْفَ ، وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ ، فأنا لك جارٌ ، ارْجِعْ فاعْبُدْ رَبَّك بِبَلَدِك . فرَجَعَ وارْتَحَلَ معه ابنُ الدَّغِنَةِ ، وطاف ابنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً [٢/١٠٢ظ] فى أشْرافِ قُرَيشٍ ، فقال لهم : إنَّ أبا بكرٍ لا يَخْرُجُ مِثْلُه ولا يُخْرَجُ ، أتُخْرِجُون رَجُلًا يَكْسِبُ المعدومَ ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، ويَحْمِلُ الكَلَّ ، ويَقْرِى الضَّيْفَ ، ويُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ ؟! فلم تُكَذِّبْ[(١)] قُرَيشٌ بجِوارِ ابنِ الدَّغِنةِ ، وقالوا لابنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ أبا بكرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّه فى دارِه ، ولْيُصَلِّ فيها ، ولْيَقْرَأْ ما شاءَ ، ولا يُؤْذِينا بذلك ، ولا يَسْتَعْلِنْ به ، فإنَّا نَخْشَى أن يَفْتِنَ نِساءَنا وأبْناءَنا . فقال ذلك ابنُ الدَّغِنَةِ لأبى بكرٍ ، فلَبِثَ أبو بكرٍ بذلك يَعْبُدُ رَبَّه فى دارِه ، ولا يَسْتَعْلِنُ بصَلاتِه ، ولا يَقْرَأُ فى غيرِ دارِه ، ثُمَّ بَدا لأبى بكرٍ فابْتَنَى مسجدًا بفِناءِ دارِه ، وكان يُصَلِّى فيه ، ويَقْرَأُ[(٢)] القرآنَ ، فيَتَقَذَّفُ[(٣)] عليه[(٤)] نِساءُ المُشرِكين وأبْناؤُهم ، يَعْجَبُون منه ، ويَنْظُرُون إليه ،

---

(١) فى م : « يكذب » .

(٢) فى م : « ويقرأن » .

(٣) فى الأصل ، م : « فكان » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٣٤ : « قال الخطابى :... وأما يتقذف ، فلا معنى له إلا أن يكون من القذف ، أى يتدافعون فيقذف بعضهم بعضًا ، فيتساقطون عليه » .

(٤) سقط من النسخ ، وأثبتناه من صحيح البخارى .

وكان أبو بكرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ عَيْنَيْه إذا قَرَأ القرآنَ، فأفْزَعَ ذلك أشْرافَ قُرَيشٍ مِن المُشرِكِين، فأَرسَلُوا إلى ابنِ الدَّغِنَةِ، فقَدِمَ عليهم، فقالوا: إنَّا كُنَّا أَجَرْنا أبا بكرٍ بجِوارِك على أن يَعْبُدَ رَبَّه في دارِه، فقد جاوَزَ ذلك، فابْتَنَى مسجدًا بفِناءِ دارِه، فأعْلَنَ بالصَّلاةِ والقِراءَةِ فيه، وإنَّا قد خَشِينا أن يَفْتِنَ[1] أبناءَنا ونِساءَنا، فانْهَهُ، فإن أحَبَّ أن يَقْتَصِرَ على أن يَعْبُدَ رَبَّه في دارِه، فَعَلَ، وإن أَبَى إلَّا أن يُعْلِنَ ذلك، فَسَلْه أن يَرُدَّ إليك ذِمَّتَك، فإنَّا قد كَرِهْنا أن نُخْفِرَك[2]، ولسنا مُقِرِّين لأبي بكرٍ الاسْتِعْلانَ. قالت عائشةُ: فأتَى ابنُ الدَّغِنَةِ إلى أبي بكرٍ فقال: قد عَلِمْتَ الذي قد عاقَدْتُ [3]لك عليه[3]، فإمَّا أن تَقْتَصِرَ على ذلك، وإمَّا أن تَرُدَّ إليَّ ذِمَّتِي، فإنِّي لا أُحِبُّ أن تَسمعَ العربُ أنِّي أُخْفِرْتُ في رَجُلٍ عَقَدْتُ له. فقال أبو بكرٍ: فإنِّي أَرُدُّ إليك جِوارَك وأرْضَى بجِوارِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. ثُمَّ ذَكَر تَمامَ الحديثِ في هجرةِ أبي بكرٍ، رَضِي اللَّهُ عنه، مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، كما سيأْتِي مَبْسُوطًا.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وحَدَّثَنِي عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ، عن أبيه القاسِمِ بنِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، قال: لَقِيَه - يعني أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ، حينَ خَرَج مِن جِوارِ ابنِ الدَّغِنَةِ - سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قُرَيشٍ، وهو عامِدٌ إلى الكعبةِ، فَحَثَا على رأسِه تُرابًا، فمَرَّ بأبي بكرٍ الوليدُ بنُ المُغِيرَةِ، أو العاصُ بنُ وائِلٍ، فقال له أبو بكرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه: ألا تَرَى ما يَصْنَعُ هذا السَّفِيهُ؟ فقال: أنتَ فَعَلْتَ

(١) في الأصل، م: «يفتتن».

(٢) نخفرك: نغدر بك.

(٣ - ٣) في الأصل، م: «عليه قريش».

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٤.

ذلك بنَفْسِكَ . وهو يقولُ : أىْ رَبٌ ، ما أَحْلَمَكَ ، أىْ رَبٌ ، ما أَحْلَمَك ، أىْ ربٌ ، ما أَحْلَمَك .

فصلٌ : كلُّ هذه القِصَصِ ذَكَرَها ابنُ إسحاقَ[1] مُعْتَرِضًا بها بيـنَ تَعاقُدِ قُرَيشٍ على بنى هاشِمٍ وبنى المُطَّلِبِ ، وكِتابَتِهم عليهم الصَّحِيفَةَ الظَّالِمَةَ ، وحَصْرِهم إيَّاهم فى الشِّعْبِ ، وبيـنَ نَقْضِ الصَّحِيفةِ ، وما كان من أمرِها ، وهى أُمورٌ مُناسِبَةٌ لهذا الوقتِ ، ولهذا قال الشَّافِعِيُّ ، رَحِمَه اللَّهُ : مَنْ أراد المَغازِىَ ، فهو عِيالٌ على ابنِ إسحاقَ[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥١ - ٣٧٤.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادى فى تاريخه ١/٢١٩ . بسنده عن الشافعى .

ذِكْرُ[1] نَقْضِ الصَّحِيفَةِ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : هذا وبنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ فى مَنْزِلِهم الذى تَعاقَدَتْ فيه قُرَيشٌ عليهم ، فى الصَّحِيفَةِ التى كَتَبُوها ، ثُمَّ إنَّه قام فى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ ، ولم يُبْلِ فيها أحدٌ أحْسَنَ مِن بَلاءِ هِشامِ بنِ عَمْرِو[3] [4]بنِ رَبيعَةَ[4] ابنِ الحارِثِ بنِ حُبَيِّبِ بنِ نَصْرِ [5]بنِ جَذِيمَةَ[5] بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَىٍّ ، وذلك أنَّه كان ابنَ أخى نَضْلَةَ بنِ هاشِمِ[6] بنِ عبدِ مَنافٍ لأُمِّه ، وكان هشامٌ لبنى هاشِمٍ واصِلًا ، وكان ذا شَرَفٍ فى قَوْمِه ، فكان ، فيما بَلَغَنِى ، يَأْتِى بالبَعِيرِ ، وبنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلِبِ فى الشِّعْبِ ليلًا ، قد أوْقَرَه[7] طَعامًا ، حتى إذا بَلَغ به فَمَ الشِّعْبِ خَلَع خِطامَه[8] مِن رَأْسِه ، ثُمَّ ضَرَب على جَنْبَيْه ، فيَدخُلَ الشِّعْبَ عليهم ، ثُم يَأْتِى به قد أوْقَرَه بُرًّا ، فيَفْعَلُ به مِثْلَ ذلك ، ثُمَّ إنَّه مَشَى إلى زُهَيْرِ بنِ أبى أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ [١٠٣/٢و] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[9] بنِ مَخْزُومٍ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٧٤ - ٣٧٧.

(٣) فى ص : « عمر » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، وأثبتناه من السيرة ، وانظر نسب قريش ص ٤٣٠، ٤٣١، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٧٠.

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة ، وانظر المصدرين السابقين .

(٦) فى الأصل ، م : « هشام » .

(٧) أوقره : حَمَّلَه .

(٨) خطامه : زمامه .

(٩) فى الأصل ، م : « عمرو » .

وكانت أُمُّه عاتِكَةَ بنتَ عبدِ المُطَّلِبِ، فقال: يا زُهَيْرُ، أقد رَضِيتَ أن تأْكُلَ الطَّعامَ، وتَلْبسَ الثِّيابَ، وتَنْكِحَ النِّساءَ، وأخوالُك حيث قد عَلِمْتَ، لا يُباعُون، ولا يُبتاعُ منهم، ولا يَنْكِحُون، ولا يُنْكَحُ إليهم؟ أمَا إنِّى أَحْلِفُ باللَّهِ، لو كانوا أخوالَ أبى الحكَمِ بنِ هشامٍ، ثُمَّ دَعَوْتَه إلى مِثْلِ ما دَعاكَ إليه منهم، ما أجابَك إليه أبدًا. قال: وَيْحَكَ يا هشامُ! فماذا أَصْنَعُ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحِدٌ، واللَّهِ لو كان معى رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فى نَقْضِها. قال: قد وَجَدْتَ رَجُلًا. قال: مَن هو؟ قال: أنا. قال له زُهَيْرٌ: أَبْغِنا ثالثًا. فذَهَب إلى المُطْعِمِ ابنِ عَدِىٍّ فقال له: يا مُطْعِمُ، أقد رَضِيتَ أن يَهْلِكَ بَطْنانِ مِن بنى عبدِ مَنافٍ، وأنت شاهِدٌ على ذلك، مُوافِقٌ لقُرَيشٍ فيه؟! أمَا واللَّهِ، لَئِن أمْكَنْتُمُوهم مِن هذه، لَتَجِدُنَّهم إليها منكم سِراعًا. قال: وَيْحَك! فماذا أَصْنَعُ؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحدٌ. قال: قد وَجَدْتَ لك ثانيًا. قال: مَن؟ قال: أنا. قال: أَبْغِنا ثالثًا. قال: قد فَعَلْتُ. قال: مَن هو؟ قال: زُهَيْرُ بنُ أبى أُمَيَّةَ. قال: أَبْغِنا رابعًا. فذَهَبَ إلى أبى البَخْتَرِىِّ بنِ هشامٍ، فقال له نَحْوًا مِمَّا قال للمُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ، فقال: وهل تَجِدُ أحدًا يُعِينُ على هذا؟ قال: نعم. قال: مَن هو؟ قال: زُهَيْرُ ابنُ أبى أُمَيَّةَ، والمُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ، وأنا معك. قال: أَبْغِنا خامسًا. فذَهَبَ إلى زَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، فكَلَّمَه وذَكَر له قَرابَتَهم وحَقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمرِ الذى تَدْعُونى إليه مِن أحدٍ؟ قال: نعم. ثُمَّ سَمَّى القومَ. فاتَّعَدُوا[1] خَطْمَ[2] الحَجُونِ ليلًا بأعْلَى مَكَّةَ، فاجْتَمَعُوا هنالك، وأجْمَعُوا

---

(١) فاتعدوا: أى تواعدوا.

(٢) فى الأصل، م: «حطم». وهو لفظ إحدى نسخ السيرة. وهو تصحيف، وخطم الحجون - مكان بمكة -: مُقَدَّمُه.

أمْرَهم، وتَعاقَدُوا على القِيامِ فى الصَّحِيفَةِ حتى يَنْقُضُوها، وقال زُهَيْرٌ: أنا أبْدَؤُكم، فأكُونُ أوَّلَ مَن يَتَكَلَّمُ. فلمَّا أصْبَحُوا غَدَوْا إلى أنْدِيَتِهم، وغَدا زُهَيْرُ ابنُ أبى أُمَيَّةَ عليه حُلَّةٌ، فطافَ بالبيتِ سَبْعًا، ثُمَّ أقْبَلَ على النَّاسِ فقال: يا أهلَ مكَّةَ، أنَأْكُلُ الطَّعامَ، ونَلْبَسُ الثِّيابَ، وبنو هاشِمٍ هَلْكَى لا يَبْتاعُون ولا يُبْتاعُ منهم؟! واللَّهِ لا أقْعُدُ حتى تُشَقَّ هذه الصَّحِيفَةُ القاطِعَةُ الظَّالِمَةُ. قال أبو جهلٍ، وكان فى ناحيةِ المسجدِ: كذَبْتَ[1] واللَّهِ لا تُشَقُّ. قال زَمْعَةُ بنُ الأسْوَدِ: أنت واللَّهِ أكْذَبُ، ما رَضِينا كِتابَها حيثُ[2] كُتِبَتْ. قال أبو البَخْتَرِىُّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لا نَرْضَى ما كُتِب فيها، ولا نُقِرُّ به. قال المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ: صَدَقْتُما وكَذَب مَن قال غيرَ ذلك، نَبْرَأُ إلى اللَّهِ منها وممَّا كُتِب فيها. قال هشامُ بنُ عمرٍو نَحْوًا مِن ذلك. قال أبو جهلٍ: هَذا أمْرٌ قُضِى بلَيْلٍ، تُشُووِرَ فيه بغيرِ هذا المكانِ. وأبو طالِبٍ جالِسٌ فى ناحيةِ المسجدِ، وقام المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ إلى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّها، فوَجَدَ الأرَضَةَ قد أكَلَتْها إلَّا «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، وكان كاتِبُ الصحيفةِ منصورَ بنَ عِكْرِمَةَ، فشَلَّتْ يَدُه، فيما يَزْعُمُون.

قال ابنُ هِشامٍ[3]: وذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبى طالِبٍ: «يا عمِّ، إنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فيها اسْمًا هُوَ لِلَّهِ إلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيهَا، وَنَفَتْ مِنها الظُّلْمَ وَالْقَطِيعَةَ وَالْبُهْتَانَ». فقال: أرَبُّكَ أخْبَرَكَ بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: فواللَّهِ ما يَدْخُلُ عليك أحَدٌ. ثُمَّ خَرَجَ إلى قُرَيْشٍ فقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ ابنَ أخى أخْبَرَنى بكذا وكذا، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكم، فإن كانتْ كما قال، فانْتَهُوا عن قَطِيعَتِنا وانْزِلُوا عنها، وإن كان

---

(١) زيادة لازمة، سقطت من النسخ، وأثبتناها من السيرة.

(٢) فى م: «حين».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٧.

كاذِبًا ، دَفَعْتُ إليكم ابنَ أخى . فقال القومُ : قد رَضِينا . فتعاقَدُوا على ذلك ، ثُمَّ نَظَرُوا فإذا هى كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فزادَهم ذلك شَرًّا ، فعندَ ذلك صَنَع الرَّهْطُ مِن قُرَيشٍ فى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ ما صَنَعُوا .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فلمَّا مُزِّقَتْ وبَطَل ما فيها ، قال أبو طالِبٍ ، فيما كان مِن أمرِ أولئك القومِ الذين قاموا فى نَقْضِ الصحيفةِ ، يَمْدَحُهم :

[٢/١٠٣ظ] ألَا هل أتى بَحْرِيَّنا[(٢)] صُنْعُ رَبِّنا ... على نَأْيِهِمْ واللَّهُ بالنَّاسِ أرْوَدُ[(٣)]

فيُخْبِرَهمْ أنَّ الصَّحِيفَةَ مُزِّقَتْ ... وأنْ كُلُّ ما لم يَرْضَهُ اللَّهُ مُفْسَدُ

تَرَاوَحَها[(٤)] إفْكٌ وسِحْرٌ مُجَمَّعٌ ... ولم يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ

تَدَاعَى لها مَن ليس فيها بِقَرْقَرٍ[(٥)] ... فَطائِرُها فى رَأْسِها يَتَرَدَّدُ[(٦)]

وكانتْ كِفاءً وَقْعَةٌ[(٧)] بأثِيمَةٍ ... ليُقْطَعَ منها ساعِدٌ ومُقَلَّدُ[(٨)]

ويَظْعَنَ[(٩)] أهلُ المَكَّتَيْنِ فيَهْرُبُوا ... فَرائِصُهم[(١٠)] مِن خَشْيَةِ الشَّرِّ تُرْعَدُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) قال السهيلى : يعنى الذين بأرض الحبشة ، نَسَبهم إلى البحر لركوبهم إياه ، وهكذا وجه النسب إليه . الروض الأنف ٣/ ٣٥٦.

(٣) أرود : أرْفَق . المصدر السابق ٣/ ٣٥٨.

(٤) تَراوَحها من المُراوَحة ، والمراوحة بين العملين : أن يعمل هذا مرة وهذا مرة .

(٥) قال السهيلى : من ليس فيها بقرقر . أى ليس بذليل ؛ لأن القرقر : الأرض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ، ويجوز أن يريد به : ليس بذى هَزْل ؛ لأن القَرْقَرة : الضحك . الروض الأنف ٣/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٦) فطائرها فى رأسها يتردد : أى حظها من الشؤم والشر . المصدر السابق ٣/ ٣٥٩.

(٧) فى ص : « وقعا » . وفى السيرة : « رقعة » .

(٨) المُقَلَّد : يعنى به هنا العنق .

(٩) يظعن : يسير ويرتحل .

(١٠) فرائصهم : الفرائص : جمع فريصة ؛ وهى لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع . الوسيط (ف ر ص) .

وَيُتْرَكَ حَرَّاثٌ يُقَلِّبُ أَمْرَهُ ... أَيُتْهِمُ[1] فيها[2] عِندَ ذاك ويُنْجِدُ[3]

[4]وتَصْعَدَ بينَ الأَخْشَبَيْنِ كَتِيبَةٌ ... لها حُدُجٌ[5] سَهْمٌ وقَوْسٌ ومِرْهَدُ[6][4]

فَمَنْ يَنْشَ[7] مِن حُضَّارِ مَكَّةَ عِزُّه ... فعِزَّتُنا فى بَطْنِ مكَّةَ أَتْلَدُ[8]

نَشَأْنا بها والنَّاسُ فيها قَلائِلٌ ... فلم نَنْفَكِكْ نَزْدادُ خيرًا ونُحْمَدُ

ونُطْعِمُ حتى يَتْرُكَ النَّاسُ فَضْلَهُمْ ... إذا جَعَلَتْ أيدى المُفِيضِينَ[9] تُرْعَدُ

جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بالحَجُونِ تَتابَعُوا[10] ... على ملأٍ يَهْدِى لِحَزْمٍ ويُرشِدُ

قُعُودًا لَدَى[11] خَطْمِ[12] الحَجُونِ كأنَّهُمْ ... مَقاوِلَةٌ[13] بل هُم أعَزُّ وأمْجَدُ

---

(١) يتهم : يأتى تهامة .

(٢) فى ص : «فيه» . وفى السيرة : «فيهم» .

(٣) يُنجد : يأتى نَجْدًا أو يخرج إليه .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ص .

(٥) الحدج : جمع حدج، وهو الحِمْل . اللسان (ح د ج) .

(٦) مِرْهد : قال السهيلى : يحتمل أن يكون مقلوبًا من مَرْهَد ؛ مَفعَل من رَهَد الثوب، إذا مزّقه، ويعنى به رمحًا أو سيفًا . ويحتمل أن يكون غير مقلوب، ويكون من الرَّهيد، أى ينعم صاحبه بالظفر أو ينعم هو بالرّى من الدم . الروض الأنف ٣/ ٣٦٠.

(٧) ينش : ينشأ .

(٨) أتْلَد : أقْدَم .

(٩) قال السهيلى : يعنى أيدى المفيضين بالقداح فى الميسر، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخىّ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك : البَرَم . الروض الأنف ٣/ ٣٦٠. والميسر فى كلام السهيلى : الجزور التى تقسم .

(١٠) فى الأصل، م : «تجمعوا» .

(١١) فى الأصل، م : «لذى» .

(١٢) فى الأصل، م : «حطم» .

(١٣) مقاولة : ملوك .

أعانَ عليها كلُّ صَقْرٍ كأنَّهُ ... إذا ما مَشَى فى رَفْرَفِ الدِّرْعِ[1] أحْرَدُ[2]

جَرِىءٌ على جُلَّى[3] الخُطُوبِ كأنَّهُ ... شِهَابٌ بِكَفَّىْ قابِسٍ يَتَوَقَّدُ

مِنَ الأكْرَمِينَ مِنْ لُؤَىِّ بنِ غالِبٍ ... إذا سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ يَتَرَبَّدُ[4]

طويلُ النِّجادِ[5] خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ ... على وَجْهِهِ يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعَدُ

عظيمُ الرَّمادِ سَيِّدٌ وابنُ سيِّدٍ ... يَحُضُّ على مَقْرَى[6] الضُّيُوفِ ويَحْشُدُ

ويَبْنِى لأبناءِ العَشِيرَةِ صالحًا ... إذا نحنُ طُفْنَا فى البلادِ ويَمْهَدُ[7]

ألَظَّ[8] بهذا الصُّلْحِ كُلُّ مُبَرَّإٍ[9] ... عظيمِ اللِّواءِ أمْرُهُ ثَمَّ يُحْمَدُ

قَضَوْا ما قَضَوْا فى لَيْلِهم ثُمَّ أصْبَحُوا ... على مَهَلٍ وسائِرُ النَّاسِ رُقَّدُ

هُمُ رَجَعُوا سَهْلَ بنَ بَيْضَاءَ راضِيًا ... وسُرَّ أبو بَكْرٍ بها ومحمدُ

متى شُرِّكَ الأقْوامُ فى جُلِّ[10] أمْرِنَا ... وكُنَّا قديمًا قَبْلَها نُتَوَدَّدُ

وكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... ونُدْرِكُ ما شِئْنا ولا نَتَشَدَّدُ

فيالَ قُصَىٍّ هل لكم فى نُفُوسِكُم ... وهل لكمُ فيما يَجِىءُ به غَدُ

---

(١) قال السهيلى: رفرف الدرع: فُضولها. الروض الأنف ٣/ ٣٦١.
(٢) الأحرد: الذى فى مشيه تثاقُل، وهو من الحَرَد، وهو عيب فى الرِّجل. المصدر السابق.
(٣) الجلى: هو الأمر الشديد. الوسيط (ج ل ل).
(٤) يتربد: يتغيَّر ويتعبَّس.
(٥) النجاد: حمائل السيف. ويقال: هو طويل النجاد: طويل القامة.
(٦) المقرى من القِرَى، وهو إضافة الناس وإكرامهم.
(٧) يمهد: يقال: مهد لنفسه خيرًا. أى هيَّأه.
(٨) ألظَّ به: لَزِمَه ولم يُفارقه.
(٩) فى الأصل: «مبرأ».
(١٠) فى الأصل، م: «حل».

فإنِّى وإيَّاكُم كما قالَ قائلٌ ... لَدَيْكَ البَيانُ لو تَكَلَّمْتَ أسْوَدُ

(1) قال السُّهَيْلِىُّ[2] : أسودُ اسمُ جبلٍ قُتِل به قتيلٌ ، ولم يُعْرَفْ قاتِلُه ، فقال أولياءُ المقتولِ : لَدَيْك البيانُ لو تكلَّمْتَ أسودُ . أى : يا أسودُ ، لو تكلَّمتَ لَأَبَنْتَ لنا عمَّن قَتَلَه (1) .

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ[3] شِعْرَ حَسَّانَ ، يَمْدَحُ المُطْعِمَ بنَ عَدِىٍّ ، وهِشامَ بنَ عَمْرٍو ؛ لِقيامِهما فى نَقْضِ الصَّحِيفَةِ الظَّالِمَةِ الفاجِرَةِ الغاشِمَةِ . وقد ذَكَرَ الأُمَوِىُّ هٰهنا أشعارًا كثيرةً ، اكْتَفَيْنا بما أوْرَدَه ابنُ إسحاقَ .

وقال الواقِدِىُّ : سألْتُ محمدَ بنَ صالِحٍ وعبدَ الرحمنِ بنَ عبدِ العزيزِ : متى خَرَج بنو هاشِمٍ مِن الشِّعْبِ ؟ قالا : فى السَّنَةِ العاشرةِ[4] . يَعْنِى مِن البِعْثَةِ ، قبلَ الهِجْرَةِ بثلاثِ سِنِينَ .

قلتُ : وفى هذه السَّنَةِ بعدَ خُرُوجِهم تُوُفِّىَ أبو طالِبٍ عَمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وزوجتُه خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، كما سيأتى بَيانُ ذلك ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

(1 - 1) سقط من : الأصل.

(2) الروض الأنف 3/ 361.

(3) سيرة ابن هشام 1/ 380، 381.

(4) انظر طبقات ابن سعد 1/ 210.

فصل

وقد ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، بعدَ إبْطالِ الصَّحِيفَةِ ، قِصَصًا كثيرةً ، تَتَضَمَّنُ نَصْبَ عَداوَةِ قُرَيْشٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتَنْفِيرَ [٢/١٠٤و] أحياءِ العربِ ، والقادِمِين إلى مكَّةَ - لِحَجٍّ أو عُمْرَةٍ أو غيرِ ذلك - منه ، وإظهارَ اللَّهِ المُعجِزاتِ على يَدَيْه ؛ دَلالَةً على صِدْقِه فيما جاءَهم به مِن البَيِّناتِ والهُدَى ، وتَكْذِيبًا لهم فيما يَرْمُونَه مِن البَغْيِ والعُدْوانِ والمكْرِ والخِداعِ ، ويَرمُونه مِن الجُنُونِ والسِّحْرِ والكَهانَةِ والتَّقَوُّلِ ، واللَّهُ غالِبٌ على أمرِه ؛ فذَكَر قِصَّةَ الطُّفَيْلِ ابنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ مُرْسَلَةً[1] ، وكان سَيِّدًا مُطاعًا شَرِيفًا فى « دَوْسٍ » ، وكان قد قَدِم مكةَ فاجْتَمَعَ به أشْرافُ قُرَيشٍ وحَذَّرُوهُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونَهَوْه أن يَجْتَمِعَ به أو يَسْمَعَ كلامَه . قال : فواللَّهِ مازالوا بى ، حتى أجْمَعْتُ أن لا أسْمَعَ منه شيئًا ولا أُكَلِّمَه ، حتى حَشَوْتُ أُذُنَىَّ حينَ غَدَوْتُ إلى المسجدِ كُرْسُفًا[2] ؛ فَرَقًا مِن أن يَبْلُغَنِى شىءٌ مِن قولِه ، وأنا لا أُرِيدُ أن أسْمَعَه . قال : فَغَدَوْتُ إلى المسجدِ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يُصَلِّى عندَ الكعبةِ . قال : فقُمْتُ منه قريبًا ، فأبَى اللَّهُ إلَّا أن يُسْمِعَنى بعضَ قولِه ، قال : فسَمِعْتُ كلامًا حَسَنًا . قال : فقلتُ فى نَفْسِى : واثُكْلَ أُمِّى ، واللَّهِ إنِّى لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شاعِرٌ ، ما يَخْفَى عَلَىَّ الحَسَنُ مِن القَبِيحِ ، فما يَمْنَعُنِى أن أسْمَعَ مِن هذا الرجُلِ ما يقولُ ؛ فإن كان الذى يَأْتِى به حَسَنًا قَبِلْتُه ، وإن كان قَبِيحًا تَرَكْتُه . قال : فمَكَثْتُ حتى انْصَرَف رسولُ اللَّهِ

---

(١) قصة الطفيل بتمامها فى سيرة ابن هشام ٣٨٢/١ - ٣٨٥.

(٢) الكرسف : القطن.

ﷺ ، (١) فاتَّبَعْتُه حتى إذا دَخَل بيتَه (١) ، دخلتُ عليه فقُلْتُ : يا محمدُ ، إنَّ قَوْمَك قالوا لى كذا وكذا ، لِلذى قالوا . قال : فواللَّهِ ما بَرِحُوا بى يُخَوِّفُونَنِى أمْرَك ، حتى سَدَدْتُ أُذُنىَّ بكُرْسُفٍ ؛ لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَك ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إلا أن يُسْمِعَنِى قَوْلَك ، فسَمِعْتُ قولًا حَسَنًا ، فاعْرِضْ عَلَىَّ أمْرَك . قال : فَعَرَضَ علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلامَ ، وتَلا علىَّ القرآنَ ، فلا واللَّهِ ما سَمِعْتُ قولًا قَطُّ أحْسَنَ منه ، ولا أمرًا أعْدَلَ منه . قال : فأسْلَمْتُ وشَهِدْتُ شهادةَ الحقِّ ، وقلتُ : يا نَبِىَّ اللَّهِ ، إنِّى امْرُؤٌ مُطاعٌ فى قومِى ، وأنا راجِعٌ إليهم وداعِيهم إلى الإسلامِ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَجْعَلَ لى آيةً تكونُ لى عَوْنًا عليهم فيما أدْعُوهم إليه . قال : فقال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً » . قال : فَخَرَجْتُ إلى قومِى ، حتى إذا كنتُ بثَنِيَّةٍ تُطْلِعُنِى على الحاضِرِ (٢) ، وَقَعَ نورٌ بينَ عَيْنَىَّ مِثْلُ المِصْباحِ . قال : فقُلتُ : اللَّهُمَّ فى غيرِ وجهِى ؛ فإنِّى أخْشَى أن يَظُنُّوا أنَّها مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فى وجهِى لِفِراقِى دينَهم . قال : فتَحَوَّل فوَقَع فى رأسِ سَوْطِى . قال : فجَعَلَ الحاضِرُ يَتَراءَوْن ذلك النورَ فى رأسِ سَوْطِى كالقِنديلِ المُعَلَّقِ ، وأنا أنْهَبِطُ عليهم مِن الثَّنِيَّةِ ، حتى جِئْتُهم فأصْبَحْتُ فيهم ، فلمَّا نَزَلْتُ أتانى أبى ، وكان شيخًا كبيرًا ، فقلتُ : إليك عنِّى يا أبَتِ ، فلستُ منك ولستَ منِّى . قال : ولِمَ يا بُنَىَّ ؟ قال : قلتُ : أسْلَمْتُ وتابَعْتُ دِينَ محمدٍ ﷺ . قال : أىْ بُنَىَّ ، دِينِى دِينُك . فقلتُ : فاذْهَبْ فاغْتَسِلْ وَطَهِّرْ ثِيابَك ، ثُمَّ ائْتِنِى حتى أُعَلِّمَك ممَّا عُلِّمْتُ . قال : فذَهَبَ فاغْتَسَل وطَهَّرَ ثِيابَه . قال : ثُمَّ جاءَ فعَرَضْتُ عليه الإسلامَ ، فأسْلَمَ . قال : ثُمَّ

(١ - ١) فى م : « إلى بيته » . وفى ص : « إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخلت بيته » .

(٢) الحاضر : القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه . الوسيط (ح ض ر) .

أَتَتْنِي صاحِبتِي ، فقُلتُ : إليكِ عنِّي ، فلستُ منكِ ولستِ منِّي . قالتْ : ولِمَ ؟ بأبي أنت وأُمِّي . قال : قلتُ : فرَّق بيني وبينَكِ الإسلامُ ، وتابَعْتُ دِينَ محمدٍ ﷺ . قالتْ : فدِينِي دِينُك . قال : قُلتُ : فاذْهَبِي إلى حِنَى[1] ذِي الشَّرَى ، فتَطَهَّرِي منه . وكان ذو الشَّرَى صنمًا لدَوْسٍ ، وكان[2] الحِمَى حِمًى حَمَوْهُ له ، به وَشَلٌ[3] مِن ماءٍ يَهْبِطُ مِن جبلٍ . قالتْ : بأبي أنت وأُمِّي ، أتَخْشَى على الصِّبْيَةِ مِن ذي الشَّرَى شيئًا ؟ قال : قلتُ : لا ، أنا ضامِنٌ لذلك . قال : فذَهَبَتْ فاغْتَسَلَتْ ، ثُمَّ جاءَتْ فعَرَضْتُ عليها الإسلامَ فأسْلَمَتْ ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إلى الإسلامِ فأبْطَئُوا عَلَيَّ ، ثُمَّ جِئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٢/١٠٤ظ] بمكَّةَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّه قد غَلَبَنِي على دَوْسٍ الزِّنا ، فادْعُ اللَّهَ عليهم . قال : « اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا ، ارْجِعْ إلى قَوْمِكَ ، فادْعُهُمْ وَارْفُقْ بِهِمْ » . قال : فلم أزَلْ بأرضِ دَوْسٍ أدْعُوهم إلى الإسلامِ ، حتى هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ومَضَى بدرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ ، ثُمَّ قَدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بمَن أسْلَم معي مِن قَوْمِي ، ورسولُ اللَّهِ بخَيْبَرَ ، حتى نَزَلْتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتًا مِن دَوْسٍ ، فلَحِقْنَا برسولِ اللَّهِ ﷺ بخَيْبَرَ ، فأسْهَم لنا مع المُسلِمِين ، ثُمَّ لم أزَلْ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا فَتَحَ اللَّهُ عليه مَكَّةَ قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ابْعَثْنِي إلى ذي الكَفَّيْنِ صَنَمِ عَمْرِو بنِ حُمَمَةَ حتى أحْرِقَه . قال ابنُ إسحاقَ[4] : فَخَرَجَ إليه ، فجَعَلَ الطُّفَيْلُ وهو يُوقِدُ عليه النَّارَ يقولُ :

---

(١) كذا في الأصل ، ص . وهو لفظ روايتي ابن إسحاق وابن هشام . وفي م : « حمى » . قال ابن هشام : ويقال : « حمى ذي الشرى » . وقال السهيلي في الروض ٣/٣٧٦ : فإن صحت رواية ابن إسحاق ، فالنون قد تبدل من الميم .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) الوَشَل : الماء القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة ولا يتصل قَطْرُه .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٥.

يا ذا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا ... مِيلادُنا أقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَا

إنِّى حَشَوْتُ النَّارَ فى فُؤَادِكَا

قال: ثُمَّ رَجَعَ إلى[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ فكان معه بالمدينةِ، حتى قَبَضَ اللَّهُ رسولَه ﷺ، فلمَّا ارْتَدَّتِ العربُ خرَج الطُّفَيْلُ مع المُسلِمِين، فسار معهم حتى فَرَغُوا مِن طُلَيْحَةَ ومِن أرضِ نَجْدٍ كُلِّها، ثُمَّ سار مع المُسلِمِين إلى اليَمامَةِ ومعه ابنُه عَمْرُو بنُ الطُّفَيْلِ، فرأى رُؤْيا وهو مُتَوَجِّهٌ إلى اليَمامَةِ، فقال لأصْحابِه: إنِّى قد رَأَيْتُ رُؤْيا فاعْبُرُوها لى؛ رَأَيْتُ أنَّ رَأْسِى حُلِق، وأنَّه خَرَج مِن فَمِى طائرٌ، وأنَّه لَقِيَتْنِى امرأةٌ فأَدْخَلَتْنِى فى فَرْجِها، وأرَى ابنى يَطْلُبُنِى طَلَبًا حَثِيثًا، ثُمَّ رَأَيْتُه حُبِس عنِّى. قالوا: خَيْرًا. قال: أمَّا أنا واللَّهِ، فقد أَوَّلْتُها. قالوا: ماذا؟ قال: أَمَّا حَلْقُ رَأْسِى فوَضْعُه، وأمَّا الطَّائِرُ الذى خَرَج منه فرُوحِى، وأمَّا المرأةُ التى أدْخَلَتْنِى فى فَرْجِها، فالأرْضُ تُحْفَرُ لى فأُغَيَّبُ فيها، وأمَّا طَلَبُ ابنِى إيَّاىَ ثُمَّ حَبْسُه عنِّى، فإنِّى أراه سيَجْهَدُ[2] أن يُصِيبَه ما أصابَنِى. فقُتِلَ، رَحِمَه اللَّهُ، شَهِيدًا باليَمامَةِ، وجُرِح ابنُه جِراحَةً شديدةً، ثُمَّ اسْتَبَلَّ[3] منها، ثُمَّ قُتِل عامَ اليَرْمُوكِ زَمَنَ عُمرَ شهيدًا، رَحِمَه اللَّهُ. هكذا ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ قِصَّةَ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو مُرْسَلَةً بلا إسْنادٍ.

ولخبَرِه شاهِدٌ فى الحديثِ الصحيحِ؛ قال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثَنا وَكِيعٌ، حَدَّثَنا سفيانُ، عن أبى الزِّنادِ، عن الأَعْرَجِ، عن أبى هُرَيْرَةَ قال: لَمَّا قَدِمَ الطُّفَيْلُ

---

(١) زيادة لازمة، سقطت من النسخ، وأثبتناها من السيرة.

(٢) فى الأصل، م: «سيجتهد».

(٣) استبل: برأ وصحَّ.

(٤) المسند ٢/ ٤٤٨. كما أخرجه فى ٢/ ٢٤٣، عن سفيان الثورى به. (إسناده صحيح).

وأصْحابُه على النبيِّ ﷺ قال: إنَّ دَوْسًا قد اسْتَعْصَتْ. قال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ». رَواه البخاريُّ عن أبي نُعَيْمٍ، عن سفيانَ الثَّوْرِيِّ به[1].

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: حَدَّثَنا يَزِيدُ، أنبأنا محمدُ بنُ عَمْرٍو، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وأصْحابُه، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ دَوْسًا قد عَصَتْ وأبَتْ، فادْعُ اللَّهَ عليها. قال أبو هُرَيْرَةَ: فرَفَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْه، فقُلْتُ: هَلَكَتْ دَوْسٌ. فقال: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بها[3]». إسنادٌ جَيِّدٌ، ولم يُخْرِجُوه.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حَدَّثَنا سُليمانُ بنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنا حَمَّادُ بنُ زيدٍ، عن حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عن أبي الزُّبَيْرِ، عن جابرٍ، أنَّ الطُّفَيْلَ بنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ أتَى النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هل لك في حِصْنٍ حَصِينٍ ومَنَعَةٍ؟ قال: حِصْنٌ كان لدَوْسٍ في الجاهِلِيَّةِ. فأبَى ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ للذي ذَخَرَ اللَّهُ للأنْصارِ، فلمَّا هاجَرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ، هاجَرَ [٢/١٠٥و] إليه الطُّفَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وهاجَرَ معه رَجُلٌ مِن قَوْمِه، فاجْتَوَوُا المدينةَ[5]، فمَرِضَ[6] فجَزِعَ فأخَذَ مَشاقِصَ[7] فقَطَعَ

---

(١) سقط من: الأصل، م. والحديث أخرجه البخارى (٤٣٩٢).

(٢) المسند ٢/ ٥٠٢.

(٣) فى الأصل، م: «بهم».

(٤) المسند ٣/ ٣٧٠، ٣٧١.

(٥) كذا فى النسخ ومسند أحمد بواو الجماعة. قال فى الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩٤: هكذا بالأصل بواو الجمع أى أصابهم الجوى، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول، وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها، والظاهر أنه أُصيب بذلك آخرون معه.

(٦) سقط من: ص.

(٧) مشاقص: جمع مِشْقَص؛ وهو نصل السهم - أى حديدته - إذا كان طويلا غير عريض. اللسان (ش ق ص).

بها بَرَاجِمَه[1] ، فَشَخَبَتْ يَداه[2] ، [3]فما رَقَأَ الدَّمُ[4][3] حتى مات ، فرآه الطُّفَيْلُ ابنُ عَمرٍو فى مَنامِه فى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ ، ورآه مُغَطِّيًا يَدَيْهِ[5] ، فقال له : ما صَنَع بك رَبُّك ؟ فقال : غَفَرَ لى بهِجْرَتِى إلى نَبِيِّه ﷺ . قال : فما لى أراك مُغَطِّيًا يَدَيْكَ[6] ؟ قال : [7]قِيل لى : لن يُصْلَحَ[7] منك ما أَفْسَدْتَ . قال : فقَصَّها الطُّفَيْلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ » . رَواه مسلمٌ[8] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ وإسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، كلاهما عن سُليمانَ ابنِ حَرْبٍ به . فإن قِيل : فما الجَمْعُ بينَ هذا الحديثِ ، وبينَ ما ثَبَتَ فى « الصَّحِيحَيْنِ »[9] مِن طريقِ الحَسَنِ ، عن جُنْدَبٍ[10] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ ، فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، فَقَالَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدِى بَادَرَنِى بِنَفْسِهِ ، فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ » . فالجوابُ مِن وُجُوهٍ ؛ أحَدُها : أنَّه قد يكونُ ذاك مُشرِكًا ، وهذا مُؤْمِنٌ ، ويكونُ قد جُعِل هذا الصَّنِيعُ سَبَبًا مُسْتَقِلًّا فى دُخُولِه النّارَ ، وإن كان شِرْكُه مُستقِلًّا ، إلَّا أنَّه نَبَّه على هذا [11]لِتَعْتَبِرَ أُمَّتُه[11] . الثّانى : قد يكونُ

---

(١) براجمه : البراجم جمع بُرْجُمَة ؛ وهى مفصل الأصبع . الوسيط (برجم) .

(٢) فشخبت يداه : سالت دماء يديه .

(٣ - ٣) ليست فى المسند .

(٤) رقأ الدم : سكن وجفَّ وانقطع بعد جريانه .

(٥) فى المسند : « يده » . ولفظة : « يديه » لفظ رواية مسلم الآتية .

(٦) فى المسند : « يدك » . ولفظة « يديك » لفظ رواية مسلم .

(٧ - ٧) فى المسند : « قال لى : لن نصلح » .

(٨) مسلم (١١٦) .

(٩) البخارى (٣٤٦٣) . ومسلم (١١٣) .

(١٠) سقط من : ص .

(١١ - ١١) سقط من : الأصل .

هذاك عالِمًا بالتَّحْرِيمِ، وهذا غيرُ عالِمٍ؛ لحَدَاثَةِ عَهْدِه بالإسلامِ. الثالثُ: قد يكونُ ذاك فَعَلَه مُسْتَحِلًّا له، وهذا لم يَكُنْ مُسْتَحِلًّا، بل مُخْطِئًا. الرَّابعُ: قد يكونُ أراد ذاك بصَنِيعِه المَذْكُورِ، أن يَقْتُلَ نَفْسَه، بخِلافِ هذا، فإنه يَجُوزُ أنَّه لم يَقْصِدْ قَتْلَ نَفْسِه، وإنَّما أرادَ غيرَ ذلك. الخَامسُ: قد يكونُ هذاك قَلِيلَ الحَسَناتِ، فلم تُقاوِمْ كِبَرَ ذَنْبِه المَذْكُورِ، فدَخَلَ النَّارَ، وهذا قد يكونُ كثيرَ الحسناتِ، فقاوَمَتِ الذنبَ، فلم يَلِجِ النَّارَ، بل غُفِر له بالهجرةِ إلى نَبِيِّه ﷺ، ولكنْ بَقِيَ الشَّيْنُ فى يَدِه فقط وحَسُنَتْ هَيْئَةُ سائِرِه، فغَطَّى الشَّيْنَ منه، فلمَّا رآه الطُّفَيْلُ بنُ عَمرٍو مُغَطِّيًا يَدَيْه قال له: ما لكَ؟ قال: قِيل لى: لن يُصْلَحَ منك ما أفْسَدْتَ. فلمَّا قَصَّها الطُّفَيْلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، دعا له فقال: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ». أى؛ فأَصْلِحْ منها ما كان فاسِدًا. والمُحَقَّقُ أنَّ اللَّهَ اسْتَجابَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى صاحِبِ الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو.

قِصَّةُ أعْشَى بنى قَيْسِ (١)بنِ ثَعْلَبَة(١)

قال ابنُ هشامٍ[٢] : حَدَّثَنِى خَلَّادُ بنُ قُرَّةَ بنِ خالِدٍ السَّدُوسِيُّ وغيرُه مِن مَشايِخِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ ، عن أهلِ العلمِ ، أنَّ أَعْشَى بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بكرِ بنِ وائِلٍ ، خَرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يُرِيدُ الإسلامَ ، فقال يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ[٣] :

ألم تَغْتَمِضْ عَيْناكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا[٤] ... وبِتَّ كما باتَ السَّلِيمُ[٥] مُسَهَّدَا[٦]

وما ذاكَ مِنْ عِشْقِ النِّساءِ وإنَّما ... تَناسَيْتَ قَبْلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْدَدَا[٧]

ولكنْ أرَى الدَّهْرَ الذى هو خائِنٌ[٨] ... إذا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عادَ فأفْسَدَا

(٩)كُهُولًا وشُبَّانًا فَقَدْتُ(٩) وثَرْوَةً ... فَلِلَّهِ هذا الدَّهْرُ كيف تَرَدَّدَا

(١ - ١) زيادة من : ص . والأعشى : اسمه ميمون .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٨٦/١ - ٣٨٨.

(٣) انظر القصيدة فى ديوان الأعشى ص ١٣٥، ١٣٧. بزيادة بيتٍ عما هنا ، والسيرة .

(٤) الأرمد : الذى رمدتْ عيناه ، أى هاجت وانتفخت . والمعنى : ألم تغتمض عيناك كلَيْلة الأرمد .

(٥) السليم : الملدوغ . وكانت تسمية العرب هذه ، على التفاؤل بنجاته ، كما سموا الصحراء مفازةً من الفوز تفاؤلا .

(٦) الشطر الثانى من هذا البيت فى الديوان هكذا :

* وعادك ما عاد السليمَ المسهدا *

والمسهد : الذى امتنع عليه النوم ليلًا .

(٧) خلَّة مهدد : الخلَّة : الصداقة والمحبة التى تخلَّلتِ القلب فصارت خلاله ؛ أى فى باطنه . ومَهْدَد : فَعْلَل من المَهْد ، ويعنى به هنا اسم امرأة .

(٨) فى الديوان : « خاتر » .

(٩ - ٩) فى الديوان : « شباب وشيب وافتقار » . والكهول : جمع كهل ؛ وهو من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين . الوسيط (ك هـ ل) .

وما زِلْتُ أبْغِى المالَ مُذ أنا يافِعٌ[1] وَلِيدًا وكَهْلًا حين شِبْتُ وأَمْرَدَا

وأَبْتَذِلُ[2] العِيسَ المَراقِيلَ[3] تَغْتَلِى[4] مَسافَةَ ما بيـنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا[5]

أَلَا أَيُّهذا السَّائِلِى أيـنَ يَمَّمَتْ[6] فإنَّ لها فى أهلِ يَثْرِبَ مَوْعِدا

[٢/١٠٥ظ] فإنْ تَسْأَلِى عَنِّى فيا رُبَّ سائِلٍ حَفِيٌّ عن الأعْشَى به[7] حيثُ أَصْعَدا[8]

أَجَدَّتْ[9] بِرِجْلَيْها نَجاءً[10] وراجَعَتْ يَداها خِنافًا[11] لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدا[12]

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ[13] عَجْرَفِيَّةٌ إذا خِلْتَ حِرْباءَ[14] الظَّهِيرَةِ أَصْيَدا[15]

---

(١) اليافع : الغلام قارب العشرين .

(٢) ابتذل الشيء : امتهنه واستعمله .

(٣) العِيس : هى الإبل التى يُخالط بياضها شُقْرة ، واحدها أعْيَس . والمراقيل : جمع مِرْقال ؛ وهو السريع .

(٤) فى الديوان والسيرة : « تغتلى » .

(٥) النُّجير : حِصن قرب حضرموت . وصرخد : بلد بالشام . القاموس المحيط (ن ج ر) ، (صرخد) .

(٦) يمَّمت : قصدت .

(٧) أصل الكلام هكذا : عن الأعشى حفِيٌّ به . وإنما حدث تقديم وتأخير لضبط الوزن . وحفِيٌّ به : مهتمٌّ به مُكرِم له .

(٨) أصعد : ارتقى . ويعنى هنا به ذهب .

(٩) أجدت : أسرعت السير .

(١٠) فى م ، ص : « النجاد » . وفى الأصل : « النجاه » . والمثبت من السيرة والديوان ؛ إذ لا يستقيم المعنى إلا به . والنجاء – ممدودًا – والنجا – مقصورًا – : السرعة فى السير .

(١١) الخناف : خَنَفت الدابة ؛ إذا مالت بيديها فى أحد شقَّيها من النشاط . اللسان (خ ن ف) .

(١٢) أحرد : من الحَرَد ؛ وهو داء فى قوائم الإبل أو فى اليدين أو يُبس عصب إحداهما من العقال فيخبط بيديه إذا مشى . اللسان (ح ر د) .

(١٣) هجرت : سارت فى الهاجرة ؛ وهى نصف النهار عند اشتداد الحر .

(١٤) الحرباء : ذكر أم حُبَين وقيل : دويبة من الفصيلة الحربائية من الزواحف على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخططة الظهر ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيف دارت ، ويتلوّن ألوانا .

(١٥) أصيد : من الصَّيَد ؛ وهو داء بالعنق لا يستطاع معه الالتفات . وهو أيضًا الكِبْر . والمعنى أنها =

وآلَيْتُ لا آوِى [١] لها مِنْ كَلالَةٍ ... ولا مِن حَفًى حتى تُلاقِى [٢] محمدَا

متى ما تُناخِى عندَ بابِ ابنِ هاشِمٍ ... تُراحِى [٣] وتَلْقَىْ مِن فَواضِلِهِ نَدَى [٤]

نَبِىٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ ... أغارَ لَعَمْرِى فى البِلادِ وأنْجَدَا

له صَدَقاتٌ ما تُغِبُّ [٥] ونائِلٌ ... فليسَ عَطاءُ اليومِ مانِعَهُ غَدَا

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصاةَ محمدٍ ... نَبِىِّ الإلَهِ حيثُ أوْصَى وأشْهَدَا

إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزادٍ مِنَ التُّقَى ... ولاقَيْتَ بَعْدَ الموتِ مَنْ قد تَزَوَّدا

نَدِمْتَ على أن لا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... [٦] فتُرْصِدَ للأمْرِ الذى [٦] كان أَرْصَدَا

فإيَّاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّها [٧] ... ولا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لتَفْصِدَا [٨]

وذا النُّصُبَ المَنْصُوبَ لا تَنْسُكَنَّهُ ... ولا تَعْبُدِ الأَوْثانَ واللَّهَ فاعْبُدا

ولا تقربنَّ حُرَّةً [٩] كان سِرُّها [١٠] ... عليكَ حَرامًا فانْكِحَنْ أو تَأَبَّدا

= تسير – أى الناقة – بشدة لا تبالى بالحر، وعبر عن عدم مبالاتها بالحرارة بلفظ عجرفية، وهو يدل على الكِبر، وعن شدة الحرارة بأن هذا الوقت هو الذى يستقبل فيه الحرباء الشمس برأسه، حتى لتظنه أصيد.

(١ – ١) فى الديوان: «فآليت لا أرثى». وآوى لها: رقَّ لها ورحمها.

(٢) فى الديوان: «تزور».

(٣) فى الديوان: «تريحى». وهما بمعنًى، من الراحة.

(٤) فى الديوان: «يدا». والندى: الجود والسخاء والخير.

(٥) ما تغب: ما تبطئ.

(٦ – ٦) فى الديوان: «وأنك لم ترصد لما».

(٧) فى الديوان: «تأكلنها».

(٨) فى الأصل: «ليقصدا». وفى م: «لتقصدا». والفَصْد: شقُّ العرق. وفصد الناقة: شقَّ عرقها ليستخرج دمه فيشربه. اللسان (ف ص د). فلعل الشاعر قصد النهى عن ذلك.

(٩) فى الأصل، م: «جارة».

(١٠) السر: النكاح.

(١وذا الرَّحِمِ القُرْبَى فلا تَقْطَعَنَّه(١) لِعاقِبَةٍ ولا الأَسِيرَ المُقَيَّدا
وسَبِّحْ(٢) على حينِ العَشِيَّةِ(٣) والضُّحَى ولا تَحْمَدِ الشَّيطانَ واللَّهَ فاحْمَدا
ولا تَسْخَرَنْ مِن بائِسٍ ذِى ضَرارَةٍ(٤) ولا تَحْسَبَنَّ (٥المالَ للمَرْءِ مُخْلِدا(٥)

قال ابنُ هشامٍ(٦) : فلمَّا كان بمكَّةَ أو قَرِيبًا منها ، اعْتَرَضَه بعضُ المُشرِكِين مِن قُرَيشٍ ، فسَأَلَه عن أمْرِه ، فأَخْبَرَه أنَّه جاءَ يُرِيدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ليُسْلِمَ ، فقال له : يا أبا بَصِيرٍ ، إنَّه يُحَرِّمُ الزِّنا . فقال الأَعْشَى : واللَّهِ إنَّ ذلك لأَمْرٌ ما لى فيه مِن أَرَبٍ . فقال : يا أبا بَصِيرٍ ، إنه يُحَرِّمُ الخَمْرَ . فقال الأَعْشَى : أمَّا هذه ، فواللَّهِ إنَّ فى النَّفْسِ منها لَعُلالاتٍ(٧) ، ولَكِنِّى مُنْصَرِفٌ فأَتَرَوَّى منها عامى هذا ، ثُمَّ آتِيه فأُسْلِمُ . فانْصَرَف فمات فى عامِه ذلك ، ولم يَعُدْ إلى النَّبىِّ ﷺ .

هكذا أَوْرَد ابنُ هشامٍ هذه القصَّةَ هلهنا ، وهو كثيرُ المُؤَاخَذاتِ لمحمدِ بنِ إسحاقَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، وهذا مِمَّا يُؤاخَذُ به ابنُ هشامٍ ، رَحِمَه اللَّهُ ؛ فإنَّ الخَمْرَ إنَّما حُرِّمَتْ بالمدينةِ ، بعدَ وَقْعةِ بنى النَّضِيرِ ، كما سيأْتى بيانُه ، فالظَّاهرُ أنَّ عَزْمَ الأَعْشَى على القُدُومِ للإسلامِ ، إنَّما كان بعدَ الهِجرةِ ، وفى شعرِه ما يَدُلُّ على ذلك ، وهو قولُه :

(١ - ١) فى الديوان :

* ولا السائل المحروم لا تتركنه *

(٢) فى الديوان : « وصل » .

(٣) فى الديوان : « العشيات » .

(٤) الضرارة : هو الضرر ، وهو النقص فى الأموال والأنفس ، وهو العمى . الوسيط (ض ر ر) .

(٥ - ٥) فى الديوان : « المرء يوما مخلدا » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٨.

(٧) العلالات : جمع عُلالة ؛ وهى بقية كل شىء . الوسيط (ع ل ل) . يعنى أنه مازال فى نفسه شىء من احتياجه للخمر ، وعدم قدرته على تركها .

أَلَا أيُّهذا السَّائِلِى أيـنَ يَمَّمَتْ فإنَّ لها فى أهلِ يَثرِبَ مَوعِدا

وكان الأَنْسَبَ والأَلْيَقَ بابنِ هشامٍ ، أن يُؤَخِّرَ ذِكْرَ هذه القصَّةِ إلى ما بعدَ الهجرةِ ، ولا يُورِدَها هـٰهنا . واللَّهُ أعلمُ . قال السُّهَيْلِىُّ[1] : وهذه غَفْلَةٌ مِن ابنِ هشامٍ ومَن تابَعَه ؛ فإنَّ الناسَ مُجْمِعُونَ على أنَّ الخمرَ لم يَنزِلْ تحريمُها إلَّا بالمدينةِ بعدَ أُحُدٍ . وقد قال[2] : وقيل : إنَّ القائلَ للأَعْشَى ، هو أبو جَهْلِ بنُ هشامٍ ، فى دارِ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ . وذَكَرَ أبو عُبيدةَ[3] أنَّ القائلَ له ذلك ، هو عامرُ بنُ الطُّفَيلِ ، فى بلادِ قَيْسٍ وهو مُقْبِلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال[4] : وقولُه : ثُمَّ آتِيه فأُسْلِمُ . لا يُخْرِجُهُ عن كُفرِه ، بلا خلافٍ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم ذَكَر ابنُ إسحـاقَ هـٰهنا قصَّةَ الإِرَاشِىِّ[5] وكيف اسْتَعْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أبى جهلٍ فى ثَمَنِ الجملِ الذى ابتاعَه منه ، وكيف أَذَلَّ [٢/١٠٦و] اللَّهُ أبا جهلٍ ، وأَرْغَم أنْفَه ، حتى أعطاه ثمنَه فى الساعةِ الرَّاهِنةِ ، وقد قَدَّمْنا ذلك[6] فى ابتداءِ الوحيِ وما كان مِن أَذِيَّةِ المُشرِكِين عندَ ذلك .

---

(١) الروض الأنف ٣/ ٣٧٨.

(٢) أى السهيلى .

(٣) انظر الروض الأنف ٣/ ٣٨٠.

(٤) انظر المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٩.

(٦) تقدم فى صفحة ١١٥.

قصَّةُ مُصارَعةِ رُكانَةَ

وكيف أراه الشجرةَ التى دَعاها فأقْبَلتْ ، ﷺ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحَدَّثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسارٍ ، قال : وكان رُكانَةُ بنُ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المُطَّلِبِ[2] بنِ عبدِ مَنافٍ أشَدَّ قُريشٍ ، فخلا يومًا برسولِ اللَّهِ فى بعضِ شعابِ مكَّةَ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا رُكانَةُ ، ألا تَتَّقى اللَّهَ وتَقْبَلُ ما أدعُوك إليه ؟ » قال : إنِّى لو أعلمُ أنَّ الذى تقولُ حقٌّ ، لَاتَّبَعْتُك . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفَرَأَيْتَ إن صَرَعْتُكَ ، أَتَعْلَمُ أنَّ ما أَقولُ حَقٌّ ؟ » . قال : نعم . قال : « فقُمْ حتَّى أُصارِعَكَ » . قال : فقام رُكانةُ إليه فصارَعَه ، فلمَّا بَطَش به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أضْجَعَه لا يَملِكُ مِن نَفْسِه شيئًا ، ثُم قال : عُدْ يا محمدُ . فعاد فصَرَعَه ، فقال : يا محمدُ ، واللَّهِ إنَّ هذا لَلْعَجَبُ ، أتَصْرَعُنى ؟! قال : « وأعْجَبُ مِن ذلك إن شِئْتَ أن أُرِيَكَه ، إن اتَّقَيْتَ اللَّهَ واتَّبَعْتَ أمرى » . قال : وما هو؟ قال : « أَدْعُو لك هذه الشَّجَرَةَ التى تَرَى فتَأْتِينِى » . قال : ادْعُها . فدعاها ، فأقبَلَتْ حتى وقفتْ بين يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لها : « ارْجِعِى إلى مكانِكِ » . فرَجَعَتْ إلى مكانِها . قال : فذَهَب رُكانةُ إلى قومِه فقال : يا بنى عبدِ مَنافٍ ، ساحِرُوا بصاحِبِكم أهلَ الأرضِ ، فواللَّهِ ما رأيتُ أَسْحَرَ منه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) فى السيرة : « عبد المطلب » . والصحيح : « المطلب » . وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٢/ ٢٣٦. والإصابة ٢/ ٤٩٧.

قَطُّ . ثُم أَخْبَرَهم بالذى رأى والذى صَنَع . هكذا رَوَى ابنُ[1] إسحاقَ هذه القِصَّةَ مُرْسَلَةً بهذا السِّياقِ . وقد رَوَى أبو داودَ ، والتِّرْمِذِيُّ مِن حديثِ أبى الحسنِ العَسْقَلانِيِّ[2] ، عن أبى جعفرِ بنِ محمدِ بنِ رُكانةَ ، عن أبيه ، أنَّ رُكانةَ صارَع النبيَّ ﷺ ، فصَرَعَه النبيُّ ﷺ . ثُم قال التِّرْمِذِيُّ : غريبٌ ، ولا نَعرِفُ أبا الحسنِ ولا ابنَ رُكانةَ .

قلتُ : وقد رَوَى أبو بكرٍ الشَّافعيُّ[3] بإسنادٍ جيِّدٍ ، عن ابنِ عباسٍ رَضِى اللَّهُ عنهما ، أنَّ يزيدَ بنَ رُكانَةَ صارَعَ النبيَّ ﷺ ، فصَرَعَه النبيُّ ﷺ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلُّ مرةٍ على مائةٍ مِن الغَنَمِ ، فلمَّا كان فى الثالثةِ قال : يا محمدُ ، ما وَضَع ظَهْرِى إلى الأرضِ أحدٌ قَبْلَك ، وما كان أحدٌ أبْغَضَ إلىَّ منك ، وأنا أشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ . فقام عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ وردَّ عليه غَنَمَه .

وأمَّا قصَّةُ دُعائِه الشجرةَ فأقبلتْ ، فسيأتِى فى كتاب « دَلائلِ النُّبوَّةِ » بعدَ السِّيرةِ ، مِن طُرُقٍ جيِّدةٍ صحيحةٍ فى مرَّاتٍ مُتعدِّدةٍ ، إن شاءَ اللَّهُ ، وبه الثِّقةُ . وقد تَقَدَّم[4] عن أبى الأَشَدَّيْن ، أنَّه صارَعَ النبيَّ ﷺ فصَرَعَه رسولُ اللَّهِ ﷺ .

ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ قِصَّةَ قُدُومِ النَّصارَى مِن أهلِ الحبشة نحوًا مِن عشرين راكبًا إلى مكَّةَ فأَسْلَموا عن آخِرِهم ، وقد تَقَدَّم ذلك[5] بعدَ قصَّةِ النَّجاشِىِّ ،

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أبو داود (٤٠٧٨) ، والترمذى (١٧٨٤) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٨٢) .

(٣) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى . والأثر ذكره الحافظ فى الإصابة ٦/ ٦٥٦، وعزاه للخطيب فى المؤتلف .

(٤) لم نجده فيما تقدم . وقد ذكره المصنف فى التفسير ٨/٢٩٤ . وانظر الروض الأنف ٣/١٩٤ ، ١٩٥.

(٥) تقدم فى صفحة ٢٠٣ .

ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا جَلَس فى المسجدِ ، فجَلَس إليه المُستَضْعَفون مِن أصحابِه ؛ خَبَّابٌ ، وعمّارٌ ، وأبو فُكَيْهةَ يَسارٌ[2] مولى صَفْوانَ بنِ أُمَيَّةَ ، وصُهَيْبٌ ، وأشباهُهم مِن المسلمين ، هَزِئَتْ بهم قُرَيشٌ ، وقال [٢/١٠٦ظ] بعضُهم لبعضٍ : هؤلاء أصحابُه كما تَرَوْن ، أهؤلاءِ مَنَّ اللَّهُ عليهم مِن بينِنا بالهُدى ودينِ الحقِّ ؟! لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سَبَقَنا هؤلاء إليه ، وما خَصَّهم اللَّهُ به دونَنا . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيهم[3] : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٥٢- ٥٤] . قال[4] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ كثيرًا ما يَجلِسُ عندَ المَرْوَةِ إلى مَبِيعَةِ[5] غُلامٍ نَصْرانِىٍّ يُقالُ له : جَبْرٌ . عَبْدٌ لبنى الحَضْرَمِىِّ ، وكانوا يقولون : واللَّهِ مَا يُعَلِّمُ محمدًا كثيرًا مِمّا يأتِى به إلّا جبرٌ . فأنْزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾[6] :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٢.
(٢) فى م ، ص : « ويسار » . وهو خطأ .
(٣) التفسير ٣/٢٥٤ - ٢٥٨.
(٤) أى ابن إسحاق .
(٥) فى ص : « بيعة » .
(٦) التفسير ٤/٥٢٣ - ٥٢٤.

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣].

ثُم ذَكَرَ نُزُولَ سورةِ «الكوثرِ»[١] فى العاصِ بنِ وائلٍ، حينَ قال عن رسولِ اللَّهِ ﷺ: إنَّه أبتَرُ لا عَقِبَ له؛ فإذا ماتَ انقَطَعَ ذِكْرُه. فقال اللَّهُ تعالى[٢]: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣]. أى المَقْطُوعُ الذِّكْرِ[٣] بعدَه، ولو خَلَف أُلُوفًا مِن النَّسْلِ والذُّرِّيَّةِ، وليس الذِّكْرُ[٣] والصِّيتُ ولسانُ الصِّدقِ بكَثْرةِ الأولادِ والأنسالِ والعَقِبِ، وقد تَكلَّمْنا على هذه السُّورةِ فى «التفسيرِ»[٤]، وللهِ الحمدُ.

وقد رُوِى عن أبى جعفرٍ الباقرِ[٥]، أنَّ العاصَ بنَ وائِلٍ إنَّما قال ذلك حينَ مات القاسمُ ابنُ النبىِّ ﷺ، وكان قد بَلَغَ أن يَرْكَبَ الدّابَّةَ وَيَسِيرَ على النَّجِيبَةِ[٦].

ثُم ذَكَر[٧] نزولَ قولِه[٨]: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأنعام: ٨]. وذلك بسببِ قولِ أُبَىِّ بنِ خَلَفٍ، وزَمْعَةَ بنِ الأَسودِ، والعاصِ بنِ وائِلٍ، والنَّضْرِ بنِ الحارِثِ: لولا أُنْزِل عليك مَلَكٌ يُكَلِّمُ الناسَ عنك.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٣.
(٢) التفسير ٨/ ٥٢٤، ٥٢٥.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) التفسير ٨/٥١٩ - ٥٢٥.
(٥) انظر الروض الأنف ٣/ ٤٠٢.
(٦) النجيبة: يعنى بها النجيبة من الإبل، وهى القوية الخفيفة السريعة.
(٧) أى ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥.
(٨) التفسير ٣/ ٢٣٧.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ومَرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بَلَغَنا ، بالوليدِ بنِ المُغيرةِ وأُميَّةَ بنِ خَلَفٍ وأبى جَهْلِ بنِ هشامٍ ، فهَمَزُوه واسْتَهْزَءُوا به ، فغاظَه ذلك ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك مِن أمرِهم[2] : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠] .

قلتُ[3] : وقال اللَّهُ تعالى[4] : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] . وقال تعالى[5] : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] . قال سُفْيانُ[6] ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : المُسْتَهْزِئون : الوليدُ بنُ المُغِيرةِ ، والأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ[7] ، والأسودُ بنُ المُطَّلِبِ أبو زَمْعَةَ[8] ، والحارثُ بنُ عَيْطَلٍ[9] السَّهْمِيُّ[10] ، والعاصُ بنُ وائِلٍ السَّهْمِيُّ ، فأتاه جبريلُ فشَكاهم إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأراه الوليدَ ، فأشار جبريلُ إلى أَبْجَلِه[11] وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٥، ٣٩٦.
(٢) التفسير ٣/ ٢٣٧.
(٣) سقط من : ص .
(٤) التفسير ٣/ ٢٤٧.
(٥) التفسير ٤/ ٤٦٩، ٤٧٠.
(٦) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٤٩٨٣) ، من طريق سفيان به .
(٧) سقط من : الأصل .
(٨) فى الأصل : « ربيعة » .
(٩) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل : « عنطل » . وفى اسمه اختلاف كبير .
(١٠) سقط من : الأصل ، م .
(١١) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، م : « أنمله » . والأبجل : عِرق فى باطن الذراع . وقيل : هو عرق غليظ فى الرِّجل فيما بين العصب والعظم . اللسان (ب ج ل) .

الأسودَ بنَ المطَّلبِ ، فأوْمَأ إلى عُنُقِه وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه الأسودَ بنَ عبدِ يَغُوثَ ، فأوْمَأ إلى رأسِه وقال : كُفِيتَه . ثُم أراه الحارِثَ بنَ عَيْطَلٍ ، فأوْمَأ إلى بطنِه . وقال : كُفِيتَه . ومَرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ ، فأوْمَأ إلى أَخْمَصِه وقال : كُفِيتَه . فأمّا الوليدُ ، فمرَّ برجلٍ مِن خُزاعَةَ وهو يَرِيشُ [١٠٧/٢و] نَبْلًا[١] له ، فأصاب أبْجَلَه فقَطَعَها ، وأمّا الأَسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ ، فخَرَج فى رأسِه قُرُوحٌ فمات منها ، وأمّا الأسودُ بنُ المُطَّلبِ فعَمِى ، وكان سببَ ذلك ، أنَّه نزَل تحتَ سَمُرَةٍ[٢] فجَعَل يقولُ : يا بَنِيَّ ، ألا تَدْفَعون عنِّى ، قد قُتِلْتُ . فجَعَلوا يقولون : ما نَرَى شيئًا . وجَعَل يقولُ : يا بَنِيَّ ، ألا تَمْنَعون عنِّى ، قد هَلَكتُ ، ها هو ذا الطَّعْنُ بالشَّوكِ فى عَيْنَيَّ . فجَعَلوا يقولون : ما نَرَى شيئًا . فلم يَزَلْ كذلك حتى عَمِيَتْ عَيْناه ، وأمّا الحارثُ بنُ عَيْطَلٍ ، فأخَذَه الماءُ الأصفرُ فى بطنِه حتى خَرَج خُرْؤُه[٣] مِن فِيهِ ، فمات منها ، وأمّا العاصُ بنُ وائلٍ ، فبينما هو كذلك يومًا ، إذ دَخَل فى رأسِه شِبْرِقَةٌ[٤] حتى امْتَلأَتْ منها ، فمات منها . وقال غيرُه فى هذا الحديثِ : فرَكِب إلى الطّائفِ على حمارٍ ، فرَبَض[٥] به على شبرقةٍ - يعنى شوكةً - فدخلتْ فى أَخْمَصِ قدمِه شوكةٌ فقَتَلَتْه . رَواه البَيْهَقِيُّ بنحوٍ مِن هذا السِّياقِ[٦] .

---

(١) النَّبل : السهام . وراش السهم : ركّب عليه الريش .

(٢) السمرة : واحدة السَّمُر ؛ وهو ضرب من شجر الطَّلح .

(٣) الخرء : العَذِرة .

(٤) الشبرقة : واحدة الشِّبْرِق ؛ وهو نبات غضّ ، وقيل : شجر منبته نجد وتهامة ، وثمرته شاكّة صغيرة الجِرْم - أى الحجم - حمراء مثل الدم ، منبتها السباخ والقيعان . اللسان (ش ب ر ق) .

(٥) ربض : طوى قوائمه ولصق بالأرض وأقام . الوسيط (ر ب ض) .

(٦) دلائل النبوة ٣١٦/٢ - ٣١٨ من طريق سفيان به .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان عُظماءُ المُسْتَهْزِئين، كما حَدَّثنى يزيدُ بنُ رُومانَ عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، خمسةَ نَفَرٍ، وكانوا ذَوِى أَسْنانٍ وشَرَفٍ فى قومِهم؛ الأسودُ بنُ المُطَّلبِ أبو زَمْعَةَ، دعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ أعْمِ بَصَرَه وأثْكِلْه وَلَدَه». والأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، والوليدُ بنُ المُغِيرةِ، والعاصُ ابنُ وائلٍ، والحارثُ بنُ الطُّلاطِلَةِ. وذَكَرَ[2] أنَّ اللَّهَ تعالى أنْزَل فيهم[3] : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٤- ٩٦]. وذَكَرَ[4] أنَّ جبريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهم يَطُوفون بالبيتِ، فقام وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى جَنْبِه، فمرَّ به الأَسودُ بنُ المُطَّلِبِ، فرَمَى فى وجهِه بورقةٍ خضراءَ فعَمِىَ، ومَرَّ به الأسودُ بنُ عبدِ يَغُوثَ، فأشار إلى بطنِه فاسْتَسْقَى بطنُه[5]، فمات منه[6] حَبَنًا[7]، ومَرَّ به الوليدُ بنُ المُغِيرةِ، فأشار إلى أثَرِ جُرْحٍ بأسفلِ كعبِه، كان أصابَه قبلَ ذلك بسنينَ، مِن مُرورِه برجلٍ يَرِيشُ نَبْلًا له من خُزاعَةَ، فتَعَلَّق سهمٌ بإزارِه فخَدَشَه خَدْشًا يسيرًا، فانْتَقَضَ[8] بعدَ ذلك فمات، ومَرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ، فأشار إلى أخْمَصِ رِجْلِه، فخَرَج على حمارٍ له يريدُ الطَّائِفَ، فرَبَض به على

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) أى ابن إسحاق.

(٣) التفسير ٤/ ٤٦٩ - ٤٧١.

(٤) أى ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١٠.

(٥) فى الأصل، م: «باطنه».

(٦) سقط من: الأصل، ص.

(٧) الحبَن، وهو الاستسقاء، داء يعظم منه البطن ويَرِم.

(٨) انتقض: أى تجدَّد عليه. وفى اللسان (ن ق ض): يقال: انتقض الجُرح بعد البرء، وانتقض الأمر بعد التئامه، وانتقض أمر الثغر بعد سدّه.

شِبْرِقَةٍ[1] ، فدخَلتْ فى أخْمَصِ رِجلِه شوكةٌ فقتَلَتْه ، ومَرَّ به الحارثُ بنُ الطُّلاطِلَةِ[2] ، فأشار إلى رأسِه فامْتَخَضَ[3] قَيْحًا فقتَلَه .

ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ[4] أنَّ الوليدَ بنَ المُغِيرةِ لمَّا حَضَرَه الموتُ أوْصَى بَنِيهِ الثلاثةَ ؛ وهم خالدٌ ، وهشامٌ ، والوليدُ ، فقال لهم : أىْ بَنِيَّ ، أُوصِيكم بثلاثٍ ، دَمِي فى خُزاعَةَ فلا تُطِلُّوه[5] ، واللّهِ إنِّى لأعْلَمُ أنَّهم منه بَراءٌ ، ولكنِّى أخْشَى أن تُسَبُّوا به بعدَ اليومِ ، ورِباىَ[6] فى ثَقِيفٍ فلا تَدَعُوه حتى تأْخُذوه ، وعُقْرِى[7] عندَ أبى أُزَيْهِرٍ الدَّوْسِيِّ فلا يَفُوتَنَّكم به . وكان أبو أُزَيْهِرٍ قد زَوَّج الوليدَ بنتًا له ، ثُم أمْسَكها عنه فلم يُدْخِلْها عليه حتى مات ، وكان قد قَبَضَ عُقْرَها منه ، وهو صَداقُها ، فلمَّا مات الوليدُ ، وَثَبَتْ بنو مَخْزُومٍ على خُزاعَةَ يَلْتَمِسون منهم عَقْلَ[8] الوليدِ ، وقالوا : إنَّما قَتَلَه سهمُ صاحِبِكم . فأبَتْ عليهم خُزاعةُ ذلك ، حتى تَقاوَلُوا أشعارًا[9] وغَلُظ بينَهم الأمرُ ، ثُم أعْطَتْهم خُزاعةُ بعضَ العَقْلِ واصْطَلَحوا وتَحاجَزوا .

---

(١) فى السيرة : « شبارقة » .

(٢) فى م : « الطلاطل » .

(٣) فى النسخ : « فامتحض » . وهو لفظ بعض نسخ السيرة ، والمثبت من السيرة ، وامتخض : أى تحرك وعمَّ رأسه .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٤١٠ - ٤١٢ .

(٥) فى الأصل : « تطلبوه » . وفى ص : « تطلبنه » . وفى السيرة : « تَطُلُّنَّه » . ولا تطلوه : أى لا تُهدروه وتُبطلوه .

(٦) رباى : يعنى الرِّبا .

(٧) عقرى : قال السهيلى فى الروض الأنف ٤/١٩: العقر : دِيَة الفرج المغصوب .

(٨) العقل : الدِّيَة .

(٩) تقاولوا : أى قال كلٌّ منهم أشعارًا يهاجم بها الآخر . وقد ذُكرت هذه الأشعار فى السيرة ، وترك المصنف إيرادها هنا .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم عَدا هشامُ بنُ الوليدِ على أبى أُزَيْهِرٍ وهو بسُوقِ ذى المَجازِ فقتَلَه ، وكان شريفًا فى قومِه ، وكانت ابنتُه[2] تحتَ أبى سُفيانَ ، وذلك بعدَ بدرٍ ، [٢/١٠٧ظ] فعَمَد يزيدُ بنُ أبى سفيانَ فجَمَع الناسَ[3] لبَنِى مَخْزُومٍ ، وكان أبوه غائبًا ، فلمَّا جاء أبو سُفيانَ غاظَه ما صَنَع ابنُه يزيدُ ، فلامَه على ذلك ، (٤)وضَرَبَه ، ووَدَى أبا أُزَيْهِرٍ ، وقال لابنِه : أَعَمَدْتَ إلى أن تَقْتُلَ قُريشٌ بعضُها بعضًا فى رَجُلٍ مِن دَوْسٍ !(٤) وكَتَبَ حسّانُ بنُ ثابتٍ قصيدةً له يُحَرِّضُ أبا سُفيانَ فى دمِ أبى أُزَيهِرٍ ، فقــال : بِئْسَ ما ظَنَّ حسانُ أن يَقْتُلَ بعضُنا بعضًا ، (٥)وقد ذهب أشرافُنا يومَ بدرٍ(٥) . ولمَّا أسْلَم خالدُ بنُ الوليدِ وشَهِد الطَّائِفَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سَألَه فى رِبا أبيه مِن أهلِ الطائفِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فذَكَر لى بعضُ أهلِ العلمِ ، أنَّ هؤلاءِ الآياتِ نَزَلْنَ فى ذلك[7] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] . وما بعدَها .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : ولم يَكُنْ فى بنى أُزَيهِرٍ ثأرٌ نَعْلَمُه حتى حَجَز الإسلامُ

(١) سيرة ابن هشام ١/٤١٣ - ٤١٤.
(٢) أى ابنة أبى أزيهر ، واسمها - كما جاء فى السيرة - عاتكة .
(٣) أى بنى عبد مناف وهم قومه ، كما جاء فى السيرة مفسرا .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥ - ٥) هذه العبارة ليست فى السيرة .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٤.
(٧) التفسير ١/ ٤٨٩، ٤٩٠.
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٤.

بينَ الناسِ، إلَّا أنَّ ضِرارَ بنَ الخطّابِ بنِ مِرْداسٍ الفِهْرِىَّ[1] خرَج فى نَفَرٍ مِن قُرَيشٍ إلى أرضِ دَوْسٍ، فنَزَلوا على امرأةٍ يُقال لها: أُمُّ غَيْلانَ. مَوْلاةٌ لدَوْسٍ، وكانت تَمْشُطُ النساءَ وتُجَهِّزُ العَرائِسَ، فأرادتْ دوسٌ قَتْلَهم بأبى أُزَيهِرٍ، فقامتْ [2] دونَه أُمُّ غَيْلانَ ونِسوةٌ كُنَّ معها حتى مَنَعَتْهم. قال السُّهَيْلِىُّ[3]: يُقالُ: إنَّها أدْخَلَتْه بينَ دِرْعِها وبَدَنِها.

قال ابنُ هشامٍ[4]: فلمَّا كانت أيامُ عُمرَ بنِ الخطّابِ أتتْه أُمُّ غَيْلانَ، وهى تَرَى أنَّ ضِرارًا أخوه، فقال لها عُمرُ: لستُ بأخيه إلَّا فى الإسلامِ[5]، وقد عَرَفتُ مِنَّتَكِ عليه. فأعْطاها على أنَّها بنتُ سبيلٍ.

قال ابنُ هشامٍ[6]: وكان ضِرارُ بنُ الخطّابِ لَحِق عمرَ بنَ الخطّابِ يومَ أُحُدٍ، فجعَل يَضرِبُه بعَرْضِ الرُّمحِ ويقولُ: انْجُ يا بنَ الخطّابِ، لا أقْتُلُك. فكان عُمرُ يَعرِفُها له بعدَ الإسلامِ، رَضِى اللَّهُ عنهما.

---

(1) فى النسخ: «الأسلمى». والمثبت من السيرة. وانظر ترجمته فى أسد الغابة ٣/ ٥٣، ٥٤. والإصابة ٣/٤٨٣ - ٤٨٥.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(3) الروض الأنف ٤/ ١٩.

(4) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٥.

(5) بعدها فى السيرة: «وهو غازٍ».

(6) المصدر السابق ١/ ٤١٥.

فصل

وذَكَر البَيْهَقِيُّ هـٰهنا دُعاءَ النبيِّ ﷺ على قُرَيشٍ ، حينَ استَعْصَتْ عليه ، بسَبْعٍ كسَبْعِ يوسفَ ، وأوْرَد[1] ما أخْرَجاه فى الصحيحَيْنِ[2] ، مِن طريقِ الأعْمَشِ ، عن مسلمِ بن صُبَيْحٍ ، عن مَسْروقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ قال : خَمْسٌ مَضَين ؛ اللِّزامُ ، والرُّومُ ، والدُّخانُ ، والبَطْشَةُ ، والقمرُ . وفى روايةٍ[3] عن ابنِ مسعودٍ قال : إنَّ قُرَيشًا لمَّا استَعْصَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبْطَئُوا عن الإسلامِ ، قال : « اللَّهُمَّ أعِنِّى عليهم بِسَبْعٍ كسبعِ يُوسُفَ » . قال : فأصابَتْهم سَنَةٌ[4] ، فَحَصَّتْ[5] كلَّ شىءٍ ، حتى أكَلُوا الجِيَفَ والمَيْتَةَ ، حتى إنَّ أحَدَهم كان يَرَى ما بينَه وبينَ السماءِ كهيئةِ الدُّخانِ مِن الجُوعِ ، ثُم دعَا[6] فكَشَف اللَّهُ عنهم . ثُم قرَأ عبدُ اللَّهِ هذه الآيـةَ : ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] . قال : فعادوا فكَفَروا [7] فأُخِّروا إلى يومِ القيامةِ ، أو قال[7] : فأُخِّروا إلى يومِ بدرٍ . قال أبو[8] عبدِ اللَّهِ : إنَّ ذلك لو كان

---

(١) البيهقى فى الدلائل ٣٢٧/٢ . من طريق الأعمش به .

(٢) البخارى (٤٨٢٥) . ومسلم (٢٧٩٨) .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٢٤، ٣٢٥، من طريقين عن جعفر بن عون عن الأعمش بنفس الإسناد السابق .

(٤) بعده فى م، ص: « حتى » .

(٥) حصَّتْ : جرَّدتْ وأذهبتْ .

(٦) فى ص : « دعوا » .

(٧ - ٧) كذا فى النسخ . وهو حكاية بالمعنى من المصنف يشير بها إلى لفظى طريقى البيهقى .

(٨) سقط من: النسخ . والمثبت من الدلائل . وأبو عبد اللَّه هو محمد بن يعقوب أحد رجال إسنادى البيهقى ، والجملة الآتية لفظه .

يومَ القيامةِ، كان لا يُكْشَفُ عنهم: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦]. قال: يومَ بدرٍ. وفي روايةٍ عنه[(١)] قال: لمَّا رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الناسِ إدْبارًا قال: «اللَّهُمَّ سبعًا كسبعِ يوسفَ». فأَخَذَتْهم سَنَةٌ، حتى أكَلوا المَيْتَةَ والجُلودَ والعظامَ، فجاءَه أبو سُفيانَ وناسٌ مِن أهلِ مكَّةَ فقالوا: يا محمدُ، إنَّك تَزْعُمُ أنَّك بُعِثْتَ رحمةً، وإنَّ قومَك قد هَلكوا، فادْعُ اللَّهَ لهم. فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ فسُقُوا الغَيْثَ، فأَطْبَقَتْ عليهم سَبعًا، فشَكا الناسُ كثرةَ المطرِ، فقال: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنا ولا عَلَيْنا». فانْحَدَرَتِ[(٢)] السَّحابةُ[(٣)] عن رأسِه فسُقِيَ الناسُ حَوْلَهم. قال: لقد مَضَتْ آيةُ الدُّخَانِ، وهو الجوعُ الذي أصابَهم، وذلك قولُه: ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾، وآيةُ الرُّومِ[(٤)]، والبَطْشةُ الكُبرى، وانشِقاقُ القمرِ، وذلك كلُّه يومَ بدرٍ. قال البَيْهَقِيُّ[(٥)]: يريدُ، واللَّهُ أعلمُ، البَطْشَةَ الكبرى، والدُّخانَ، وآيةَ اللِّزامِ[(٦)]، كلُّها حَصَلَتْ ببدرٍ. قال[(٧)]: وقد أشار البخاريُّ إلى هذه الرِّوايةِ[(٨)]. [٢/١٠٨و] ثُم أوْرَدَ[(٩)] مِن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن أيُّوبَ، عن عِكرِمَةَ، عن ابنِ

---

(١) الدلائل للبيهقي ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧.
(٢) في الأصل: «فاتحدت». وفي م: «فانجذب». وفي ص: «فانحذب». والمثبت من الدلائل.
(٣) في النسخ: «السحاب». والمثبت من الدلائل.
(٤) في الدلائل: «اللزام».
(٥) في الدلائل ٢/ ٣٢٧.
(٦) فُسِّر اللزام بيوم بدر، وبيوم القيامة. انظر التفسير ٦/ ١٤٣.
(٧) أي البيهقي، في الدلائل ٢/ ٣٢٧.
(٨) البخاري (١٠٢٠، ٢٨٢٤).
(٩) أي البيهقي، وقد أخرجه في الدلائل ٢/ ٣٢٨، ٣٢٩.

عباسٍ قال : جاء أبو سُفيانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغِيثُ مِن الجوعِ ؛ لأنَّهم لم يَجِدوا شيئًا حتى أَكَلوا العِهْنَ[1] بالدَّمِ[2] ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٦] . قال : فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى فَرَّج اللَّهُ عنهم . ثُم قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[3] : وقد رُوِيَ في قصَّةِ أبي سُفيانَ ما دَلَّ على أنَّ ذلك كان بعدَ الهجرةِ ، ولعلَّه كان مَرَّتَيْن . واللَّهُ أعلمُ .

فصــلٌ : ثُم أوْرَد البَيْهَقِيُّ[4] قصَّةَ فارسَ والرُّومِ ونُزولَ قولِهِ تعالى[5] : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١- ٥]. ثُم رَوَى[6] مِن طريقِ سُفيانَ الثَّوْرِيِّ ، عن حبيبِ بنِ[7] أبي عَمْرَةَ[8] ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان المسلمون يُحِبُّون أن يَظْهَرَ الرومُ على فارسَ ؛ لأنَّهم أهلُ كِتابٍ ، وكان المشركون يُحِبُّون أن تَظْهَرَ

---

(١) في الأصل : « العلهز » . والعهن : الصوف . والعلهز : شيء يتخذونه في سني المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . انظر النهاية ٣/ ٢٩٣.

(٢) سقط من : م .

(٣) في الدلائل ٢/ ٣٢٩.

(٤) الدلائل ٢/ ٣٣٠.

(٥) التفسير ٦/٣٠٤ - ٣١١.

(٦) الدلائل ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.

(٧) في الأصل : « عن » .

(٨) في الأصل ، م : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٨٦.

فارِسُ على الرُّومِ ؛ لأنَّهم أهلُ أوثانٍ ، فذَكَر ذلك المسلمون لأبى بكرٍ ، فذَكَره أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ فقال : « أَمَا إِنَّهُم سَيَظْهَرُونَ » . فذَكَر أبو بكرٍ ذلك للمشركين ، فقالوا : اجْعَلْ بيننا وبينَك أجلًا ، إن ظَهَرُوا كان لك كذا وكذا ، وإن ظَهَرْنا كان لنا كذا وكذا . فذَكَر ذلك أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ فقال : « أَلَا جَعَلْتَهُ - أُرَاه[1] قال - دونَ العَشْرِ » . قال[2] : فظَهَرَتِ الرومُ بعدَ ذلك .

وقد أوْرَدْنا طُرُقَ هذا الحديثِ فى « التفسيرِ »[3] ، وذَكَرْنا[4] أنَّ المُباحِثَ - أى المُراهِنَ - لأبى بكرٍ ، أُمَيَّةُ[5] بنُ خَلَفٍ ، وأنَّ الرَّهْنَ كان على خَمْسِ قَلَائِصَ[6] ، وأنه كان إلى مُدَّةٍ ، فزاد فيها الصدِّيقُ عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفى الرَّهْنِ ، وأنَّ غَلَبَةَ الرومِ على فارسَ كان يومَ بدرٍ ، أو كان يومَ الحُدَيْبِيَةِ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُم رَوَى[7] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ ، حَدَّثنا أُسَيدٌ الكِلابِيُّ ، أنَّه سَمِع العَلاءَ بنَ الزُّبيرِ الكِلابِيَّ يُحَدِّثُ عن أبيه ، قال : رأيتُ غَلَبَةَ فارسَ الرومَ ، ثُم رأيتُ غَلَبَةَ الرومِ فارسَ ، ثُم رأيتُ غَلَبَةَ المسلمين فارسَ والرومَ ، وظُهُورَهم على الشامِ والعراقِ ، كلُّ ذلك فى خمسَ عَشْرَةَ سنةً .

---

(١) فى م : « أداة » .
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) التفسير ٦/٣٠٤ - ٣٠٧.
(٤) التفسير ٦/ ٣٠٧.
(٥) كذا فى النسخ . وفى التفسير : « أبى » .
(٦) الذى فى التفسير : « عشر قلائص » . والقلائص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة .
(٧) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٣٤.

(*) فصل فى الإسراءِ برسولِ اللهِ ﷺ

مِن مكَّةَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، (١) ثم عُروجِه

مِن هُناك إلى السماواتِ وما رأى هنالك مِن الآياتِ (١)

ذَكَر ابنُ عَساكِرَ أحاديثَ الإسراءِ فى أوائلِ البِعثَةِ [٢]، وأمَّا ابنُ إسحاقَ فذَكَرها فى هذا المَوطِنِ بعدَ البِعْثةِ بِنَحْوٍ مِن عشْرِ سنينَ [٣]. ورَوَى البَيْهَقِيُّ [٤] مِن طريقِ موسى بنِ عُقْبَةَ، عن الزُّهْرِىِّ، أنَّه قال: أُسْرِىَ برسولِ اللهِ ﷺ قبلَ خُرُوجِه إلى المدينةِ بسنةٍ. قال [٥]: وكذلك ذَكَره ابنُ لَهِيعَةَ، عن أبى الأسودِ عن عُرْوةَ. ثُم روى [٦] عن [٧] الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن أَسْباطِ بنِ نصرٍ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ أنَّه قال: فُرِض على رسولِ اللهِ ﷺ الخَمْسُ ببيتِ المَقدِسِ ليلةَ أُسْرِىَ به، قبلَ مُهاجَرِه بستةَ عشَرَ شهرًا. فعلى قولِ السُّدِّىِّ، يكونُ الإسراءُ فى شهرِ ذى القَعْدَةِ، وعلى

(*) من هنا تبدأ النسخة الثالثة من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث، ويشار إليها فى الحواشى بـ (ا ١٥).

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) تاريخ دمشق ٣/٤٨٠ - ٥١٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٩٦ - ٤٠٨.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٤.

(٥) أى البيهقى.

(٦) فى الدلائل ٢/ ٣٥٥.

(٧) سقط من: ا ١٥، م.

قولِ الزُّهْرِيِّ وعُرْوَةَ[1]، يكونُ فى ربيعِ الأوَّلِ.

وقال أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[2]: حَدَّثنا عثمانُ، عن سعيدِ بنِ مِينا، عن جابرٍ وابنِ عباسٍ، قالا: وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ [۱۰۸/۲ظ] عامَ الفيلِ، يومَ الاثنين الثانىَ عَشَرَ مِن ربيعِ الأوَّلِ، وفيه بُعِث، وفيه عُرِج به إلى السماءِ، وفيه هاجَر، وفيه ماتَ. فيه انقِطاعٌ. وقد اختارَه الحافظُ عبدُ الغنىِّ بنُ سُرورٍ المَقْدِسِىُّ فى «سِيرتِه»، وقد أوْرَد حديثًا لا يَصِحُّ سَنَدُه، ذَكَرْناه فى «فضائلِ شهرِ رجبٍ»؛ أنَّ الإسراءَ كان ليلةَ السابعِ والعشرين مِن رجبٍ. واللَّهُ أعلمُ. ومِن الناسِ مَن يزْعُمُ أنَّ الإسراءَ كان أوَّلَ ليلةِ جمعةٍ مِن شهرِ رجبٍ، وهى ليلةُ الرَّغائبِ التى أُحْدِثَتْ فيها الصلاةُ المشهورةُ، ولا أصلَ لذلك. واللَّهُ أعلمُ. ويُنْشِدُ بعضُهم فى ذلك:

لَيْلَةَ الجُمُعَةِ عُرِّجَ بالنَّبِى لَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَوَّلَ رَجَبِ

وهذا الشِّعرُ عليه رَكاكَةٌ، وإنَّما ذَكَرْناه استشهادًا لِمَن يقولُ به. وقد ذَكَرْنا الأحاديثَ الوارِدةَ فى ذلك مُسْتَقْصاةً، عندَ قولِه تعالى[3]: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ۱]. فَلْتُكْتَبْ مِن هناك على ما هى عليه مِن الأسانيدِ، والعَزْوِ، والكلامِ عليها، ومعها، ففيها مَقْنَعٌ وكفايةٌ. وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

---

(۱) سقط من: ص.
(۲) تقدم فى ۳۷۵/۳.
(۳) التفسير ٤/٥ - ۳۹.

ولْنَذْكُرْ مُلخَّصَ كلامِ ابنِ إسحاقَ[1] ، رَحِمَه اللَّهُ ، فإنَّه قال بعدَ ذِكْرِ ما تَقَدَّم مِن الفُصولِ : ثُم أُسْرِىَ برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقْصَى - وهو بيتُ المَقدِسِ - مِن إيلياءَ ، وقد فَشا الإسلامُ بمكَّةَ ، فى قُريشٍ وفى القَبائلِ كلِّها . قال : وكان مِن الحديثِ - فيما بَلَغَنى عن مَسْراه ﷺ عن ابنِ مسعودٍ ، وأبى سعيدٍ ، وعائشةَ ، ومُعاويةَ ، وأُمِّ هانئٍ بنتِ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم ، والحسنِ بنِ أبى الحسنِ ، وابنِ شِهابٍ الزُّهْرِىِّ ، وقَتادةَ ، وغيرِهم مِن أهلِ العلمِ - ما اجْتَمَع فى هذا الحديثِ ، كُلٌّ يُحَدِّثُ عنه بعضَ ما ذُكِر لى مِن أمرِه وكان فى مَسْراه ﷺ ، وما ذُكِر لى منه بلاءٌ وتَمْحِيصٌ ، وأمرٌ مِن أَمرِ اللَّهِ ، فى قُدْرَتِه ، وسُلطانِه ، فيه عِبْرَةٌ لأُولى الأَلْبابِ ، وهدًى ورحمةٌ وثَباتٌ لمَن آمَن وصَدَّق وكان مِن أمرِ اللَّهِ على يقينٍ ، فأَسْرَى به كيف شاء وكما شاء ، ليُرِيَه مِن آياتِه ما أراد ، حتى عايَن ما عايَن مِن أمرِه ، وسلطانِه العظيمِ ، وقُدرتِه التى يَصْنَعُ بها ما يريدُ ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، فيما بَلَغَنى ، يقولُ : أُتِى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالبُراقِ ، وهى الدّابَّةُ التى كانت تُحْمَلُ عليها الأَنبياءُ قبلَه ، تَضَعُ حافِرَها فى مُنْتَهَى طَرْفِها ، فحُمِل عليها ، ثُم خَرَج به صاحبُه ، يَرَى الآياتِ فيما بينَ السماءِ والأرضِ ، حتى انْتَهَى إلى بيتِ المقدسِ ، فوَجَد فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى ، فى نَفَرٍ من الأَنبياءِ قد جُمِعُوا له ، فصَلَّى بهم ، ثُم أُتِىَ بثلاثةِ آنِيَةٍ ؛ مِن لبنٍ ، وخمرٍ ، وماءٍ . فذَكَر أنَّه شَرِب إناءَ اللبنِ ، « فقال لى جبريلُ : هُدِيتَ وهُدِيَتْ أُمَّتُكَ » .

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٧٤. وسيرة ابن هشام ١/ ٣٩٦، ٣٩٧.

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] فى سِياقِ الحسنِ البَصْرِىِّ مُرسَلًا ، أنَّ جبريلَ أيْقَظَه ، ثُم خرَج به إلى بابِ المسجدِ الحرامِ ، فأرْكَبه البُراقَ ، وهو « دابَّةٌ أبيضُ ، بينَ البغلِ والحمارِ ، وفى فَخِذَيْه جَناحانِ يَحْفِزُ[2] بهما رِجْلَيْه ، يَضَعُ حافِرَه فى مُنْتَهَى طَرْفِه ، ثُم حَمَلَنى عليه ، ثُم خرَج معى لا يَفُوتُنى ولا أَفُوتُه » .

قلتُ : وفى الحديثِ ، وهو عن قَتادَةَ فيما ذَكَره ابنُ إسحاقَ[3] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أراد رُكُوبَ البُراقِ ، شَمَس[4] به ، فوَضَع جبريلُ يدَه على مَعْرَفَتِه[5] ، ثُم قال : « ألا تَسْتَحِى يا براقُ مِمَّا تَصْنَعُ ! فواللَّهِ ما رَكِبك عبدٌ للَّهِ قَبْلَ محمدٍ أكرمُ عليه منه . قال : فاسْتَحَى حتى ارْفَضَّ[6] عَرَقًا ، ثُم قَرَّ حتى رَكِبْتُه » . قال الحسنُ فى حديثِه[7] : فمَضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ومضَى معه جبريلُ حتى انْتَهَى به إلى بيتِ المَقْدِسِ ، فوَجَد فيه إبراهيمَ ، وموسى ، وعيسى ، فى نَفرٍ مِن الأنبياءِ ، فأمَّهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فصَلَّى بهم . ثُم ذَكَر اخْتِيارَه إناءَ اللبنِ على إناءِ الخمرِ ، وقولَ جبريلَ له : هُدِيتَ [٢/١٠٩و] وهُدِيَتْ أُمَّتُك ، وحُرِّمَتْ عليكم الخمرُ . قال : ثُم انْصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مكَّةَ فأصبح يُخبِرُ قُرَيشًا بذلك ، فذَكَر[8] أنَّه كَذَّبَه أكثرُ الناسِ وارْتَدَّتْ طائفةٌ بعدَ إسلامِها ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧.

(٢) يحفز : يدفع .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨.

(٤) شمس : شمست الدابة : جمحت ونفرت .

(٥) المعرفة : موضع العُرف .

(٦) ارفضّ : سال وترشَّش .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٨، ٣٩٩.

وبادَر الصدِّيقُ إلى التَّصْديقِ وقال: إنِّي لأُصَدِّقُه في خَبَرِ السماءِ بُكْرَةً وعَشِيَّةً، أفَلا أُصَدِّقُه في بيتِ المَقدِسِ[1]! وذَكَر أنَّ الصدِّيقَ سَألَه عن صِفَةِ بيتِ المقدسِ، فذَكَرها له رسولُ اللَّهِ ﷺ. قال: فيومَئذٍ سُمِّي أبو بكرٍ الصِّدِّيقَ. قال الحسنُ[2]: وأنْزَل اللَّهُ في ذلك: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ الآية [الإسراء: ٦٠].

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[3]، فيما بَلَغَه عن أُمِّ هانيءٍ، أنَّها قالتْ: ما أُسْرِيَ برسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا مِن بيتي؛ نام عِندِي تلك الليلةَ بعدَ ما صَلَّى العشاءَ الآخِرَةَ، فلمَّا كان قُبَيْلَ الفجرِ، أهَبَّنا[4]، فلمَّا صَلَّى الصُّبحَ وصَلَّيْنا معه قال: «يا أُمَّ هانئٍ، لقد صَلَّيْتُ معكم العِشاءَ الآخِرَةَ في هذا الوادِي، ثُمَّ جئتُ بيتَ المَقدِسِ فصَلَّيْتُ فيه، ثُم قد صَلَّيْتُ الغَداةَ معكم الآنَ كما تَرَيْنَ». ثُم قام ليَخْرُجَ، فأَخَذتُ بطَرَفِ رِدائِه فقلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ، لا تُحَدِّثْ بهذا الحديثِ الناسَ، فيُكَذِّبوك ويُؤْذُوك. قال: «واللَّهِ لأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ». فأخْبَرَهم فكَذَّبوه، فقال: «وآيةُ ذلك، أنِّي مَرَرْتُ بعِيرِ بني فُلانٍ بوادِي كذا وكذا، فأنْفَرَهم حِسُّ الدَّابَّةِ، فَنَدَّ[5] لهم بَعِيرٌ، فدَلَلْتُهم عليه وأنا مُوَجَّهٌ[6] إلى الشّامِ، ثُم أَقْبَلْتُ

---

(١) هذه العبارة، من قوله: «إني لأصدقه» حتى «بيت المقدس». سيقت هنا بمعناها.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٠٢.

(٤) أهبنا: أيقظنا.

(٥) ندَّ: نفر وشرد.

(٦) في الأصل، م: «متوجه».

حتى إذا كنتُ بضَجْنانَ[1] مَرَرْتُ بعِيرِ بنى فُلانٍ ، فوَجَدْتُ القومَ نيامًا ولهم إناءٌ فيه ماءٌ ، قد غَطَّوْا عليه بشىءٍ ، فكَشَفْتُ غِطَاءَهُ وَشَرِبْتُ ما فيه ، ثُمَّ غَطَّيْتُ عليه كما كان ، وآيةُ ذلك أنَّ عِيرَهم يَصُوبُ[2] الآنَ مِن ثَنِيَّةِ التَّنْعِيمِ البَيْضاءِ يَقْدَمُها[3] جَمَلٌ أَوْرَقُ[4] ، عليه غِرارَتان[5] إحْداهما سَوْداءُ والأُخْرَى بَرْقاءُ[6] . قالت[7] : فابْتَدَر القومُ الثَّنِيَّةَ ، فلم يَلْقَهم أوَّلُ مِن الجملِ الذى وَصَف لهم ، وسَأَلُوهم عن الإناءِ وعن البعيرِ ، فأَخْبَرُوهم كما ذَكَر صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه .

وذَكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن أسْباطٍ ، عن إسماعيلَ السُّدِّىِّ ، أنَّ الشمسَ كادتْ أن تَغْرُبَ قبلَ أن يَقْدَمَ ذلك العِيرُ ، فدعا اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فَحبَسَها حتى قَدِمُوا كما وَصَف لهم . قال : فلم تَحْتَبِسِ الشمسُ على أحدٍ إلَّا عليه ذلك اليومَ ، وعلى يُوشَعَ بنِ نُونٍ . رَواه البَيْهَقِىُّ[8] .

قال ابنُ إسحاقَ[9] : وأَخْبَرَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن أبى سعيدٍ قال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كان فى بيتِ المَقْدِسِ ، أُتِىَ بالمِعْراجِ ، ولم أَرَ شيئًا قَطُّ أحْسَنَ منه ، وهو الذى يَمُدُّ إليه مَيِّتُكم عَيْنَيْهِ إذا حُضِرَ ،

---

(١) فى م : « بصحنان » . وضجنان : جبل بناحية تهامة ، وقيل : جُبيل على بريد من مكة . معجم البلدان ٣/ ٤٦٥.

(٢) يصوب : ينحدر وينصبّ من علو .

(٣) يقدمها : يتقدَّمها .

(٤) الأورق : ما فى لونه بياض إلى سواد .

(٥) غرارتان : مثنى غرارة ؛ وهى الجُوالِق ، وهو وعاء من الخيش ونحوه .

(٦) برقاء : برق الشىء : اجتمع فيه لونان من سواد وبياض .

(٧) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « قال » .

(٨) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٠٤. وساقه المصنف هنا بمعناه مختصرا .

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٣.

فأَصْعَدَنِى فِيه صاحِبى ، حتى انْتَهَى بى إلى بابٍ مِن أَبوابِ السَّماءِ ، يُقَالُ له : بابُ الحَفَظَةِ . عليه مَلَكٌ[1] مِن الملائكةِ يُقالُ له : إسماعيلُ . تحتَ يَدِه[2] اثنا عَشَر ألفَ مَلَكٍ ، تحتَ يَدَىْ[3] كُلِّ ملَكٍ منهم اثنا عَشَرَ ألفَ مَلَكٍ » . قال : يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إذا حَدَّثَ بهذا الحديثِ : « ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ » [المدثر: ٣١] . ثُم ذَكَر بَقِيَّةَ الحديثِ[4] ، وهو مُطَوَّلٌ جدًّا ، وقد سُقْناه بإسنادِه ولفظِه بكمالِه فى « التفسيرِ »[5] ، وتَكَلَّمْنا عليه ، فإنَّه مِن غرائبِ الأحاديثِ ، وفى إسنادِه ضَعْفٌ ، وكذا فى سِياقِ حديثِ أُمِّ هانئٍ ؛ فإنَّ الثابتَ فى « الصحيحَيْنِ »[6] ، مِن روايةِ شَرِيكٍ [7] بنِ عبدِ اللَّهِ [7] بنِ أبى نَمِرٍ[8] عن أنسٍ ، أنَّ الإسْراءَ كان مِن المسجدِ مِن عند الحِجْرِ . وفى سياقِه غَرابةٌ أيضًا مِن وجوهٍ ، قد تَكَلَّمْنا عليها هناك[9] ، ومنها قولُه : [10] وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه [10] .

والجوابُ أنَّ مَجيئَهم أوَّلَ مرَّةٍ ، كان قبلَ أن يُوحَى إليه ، فكانتْ تلك الليلةُ ولم يَكُنْ فيها شئٌ ، ثُم جاءَه الملائكةُ ليلةً أُخرَى ولم يَقُلْ فى ذلك : وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه . بل جاءَه بعدَ ما أُوحِى إليه ، فكان [٢/١٠٩ظ] الإسراءُ قَطعًا بعدَ

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « بريد » .

(٢) فى السيرة : « يديه » .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « يد » .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١/٤٠٣ - ٤٠٧ .

(٥) التفسير ٥/٢٠ - ٢٤ .

(٦) البخارى (٣٥٧٠ ، ٧٥١٧) . ومسلم (١٦٢) .

(٧ - ٧) سقط من : النسخ . والمثبت من الصحيحين .

(٨) فى الأصل : « تمر » . وفى ص : « نمير » .

(٩) يعنى فى التفسير ٥/٤ - ١٣ .

(١٠ - ١٠) سقط من : الأصل .

الإيحاءِ؛ إمّا بقليلٍ، كما زَعَمَه طائفةٌ، أو بكثيرٍ نحوِ مِن عشرِ سنينَ، كما زَعَمَه آخَرُون، وهو الأَظْهَرُ، وغُسِل صدرُه تلك الليلةَ قبلَ الإسراءِ غَسلًا ثانيًا، أو ثالثًا، على قولٍ؛ لأنَّه[1] مَطْلوبٌ إلى الملأِ الأعلَى والحَضْرةِ الإلهيَّةِ، ثُم رَكِب البُراقَ رِفْعَةً له وتعظيمًا وتكريمًا، فلمَّا جاء بيتَ المَقدِسِ رَبَطَه بالحَلَقَةِ التى كانت تَرْبِطُ بها الأنبياءُ، ثُم دَخَل بيتَ المقدسِ فصَلَّى فى قِبْلَتِه تَحِيَّةَ المسجدِ. وأنْكَرَ حُذَيْفَةُ، رَضِى اللَّه عنه، دُخُولَه إلى بيتِ المقدسِ[2] ورَبْطَه الدّابَّةَ وصَلاتَه فيه. وهذا غريبٌ، والنَّصُّ المُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النّافِى. ثُم اخْتَلَفوا فى اجْتِماعِه بالأَنبياءِ وصَلاتِه بهم؛ أكان قبلَ عُرُوجِه إلى السماءِ، كما دَلَّ عليه ما تَقَدَّمَ، أو بعدَ نُزُولِه منها، كما دلَّ عليه بعضُ السِّياقاتِ، وهو أنْسَبُ، كما سنَذْكُرُه على قولَيْنِ. فاللَّهُ أعلمُ. وقِيل: إنَّ صَلاتَه بالأنبياءِ كانت فى السماءِ. [3]وهكذا تَخَيُّرُه مِن الآنيةِ اللبنِ والخمرِ والماءِ؛ هل كانت ببيتِ المَقدِسِ، كما تقَدَّم، أو فى السماءِ[3]، كما ثَبَت فى الحديثِ الصحيحِ[4].

والمقصودُ أنَّه ﷺ لمَّا فَرَغ مِن أمرِ بيتِ المقدسِ نُصِبَ له المِعْراجُ، وهو السُّلَّمُ، فصَعِد فيه إلى السماءِ، ولم يَكُنِ الصُّعودُ على البُراقِ، كما قد يَتَوَهَّمُه بعضُ الناسِ، بل كان البُراقُ مَرْبُوطًا على بابِ مسجدِ بيتِ المَقدِسِ؛ ليَرْجِعَ عليه إلى مكَّةَ، فصَعِد مِن سماءٍ إلى سماءٍ فى المِعْراجِ حتى جاوَز السابعةَ، وكُلَّما جاء سماءً، تَلَقَّتْه منها مُقَرَّبُوها ومَن فيها مِن أكابِرِ الملائكةِ والأنبياءِ،

---

(١) فى م: «أنه».

(٢) حديث إنكار حذيفة، أخرجه الترمذى (٣١٤٧). حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذى ٢٥١٥).

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) البخارى (٣٨٨٧). ومسلم (١٦٤).

وذَكَرَ أعيانَ مَن رآه مِن المُرسَلين ؛ كآدمَ فى سماءِ الدُّنيا ، ويحيى وعيسى فى الثانيةِ ، وإدْريسَ فى الرابعةِ ، وموسى فى السادسةِ ، على الصحيحِ ، وإبراهيمَ فى السابعةِ مُسْنِدًا ظهرَه إلى البيتِ المعمورِ الذى يَدْخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفًا مِن الملائكةِ ، يَتَعَبَّدُون فيه صلاةً وطَوافًا ، ثُم لا يَعُودون إليه إلى يومِ القِيامةِ ، ثُم جاوَز مراتِبَهم كلَّهم ، حتى ظَهَر لِمُسْتَوًى يَسْمَعُ فيه صَرِيفَ[1] الأَقلامِ ، ورُفِعَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةُ المُنْتَهَى ، وإذا وَرَقُها كآذانِ الفِيَلَةِ ، ونَبْقُها كقِلالِ[2] هَجَرَ ، وغَشِيَها عندَ ذلك أُمورٌ عظيمةٌ ؛ ألوانٌ مُتَعَدِّدَةٌ باهِرةٌ ، ورَكِبَتْهَا الملائكةُ مِثْلَ الغِرْبانِ على الشَّجرِ كثرةً ، وفَراشٌ مِن ذَهَبٍ ، وغَشِيَها مِن نورِ الرَّبِّ ، جلَّ جلالُه ، ورأى هناك جبريلَ ، عليه السَّلامُ ، له سِتُّمائةِ جَناحٍ ما بينَ كلِّ جَناحَيْن كما بينَ السماءِ والأرضِ ، وهو الذى يقولُ اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٣- ١٧] . أى ؛ ما زاغ يمينًا ولا شِمالًا ، ولا ارْتَفَعَ عن المكانِ الذى حُدَّ له النَّظَرُ إليه . وهذا هو الثَّباتُ العظيمُ ، والأدبُ الكريمُ ، وهذه الرُّؤيا الثانيةُ لجبريلَ ، عليه السَّلامُ ، على الصِّفَةِ التى خَلَقَه اللَّهُ تعالى عليها ، كما نَقَلَه ابنُ مسعودٍ[4] ، وأبو هُرَيرَةَ[5] ، وأبو

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ١/ ٤٦٢: صريف الأقلام : تصويتها حالة الكتابة ، والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية اللَّه سبحانه وتعالى .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢١٣: القلال جمع قُلة وهى الجرار ، يريد أن ثمرها فى الكبر مثل القلال . وهجر : بلدة .

(٣) التفسير ٧/٤٢٦ - ٤٢٩.

(٤) أحمد فى المسند ١/ ٤١٢. (إسناده صحيح) .

(٥) مسلم (١٧٥) .

ذَرٍّ[1] ، وعائشةُ[2] ، رَضِى اللَّهُ عنهم أجمعين . والأُولَى هى قولُه تعالى[3] : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٥ - ١٠] ، وكان ذلك بالأَبْطَحِ ، تَدَلَّى جبريلُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بينَ السماءِ والأرضِ ، حتى كان بينَه وبينَه قابُ قَوْسَيْن أو أدنَى ، هذا هو الصحيحُ فى التفسيرِ ، كما دَلَّ عليه كلامُ أكابرِ الصَّحابةِ المُتَقَدِّمِ ذِكرُهم ، رَضِى اللَّهُ عنهم . فأمّا قولُ شَرِيكٍ عن أنسٍ ، فى حديثِ الإسراءِ[4] : ثُم دنا الجَبّارُ رَبُّ العِزَّةِ فتَدَلَّى ، فكان قابَ قوسَيْن أو أدنَى . فقد يكونُ مِن فَهْمِ الرّاوِى ، فأَقْحَمَه فى الحديثِ . واللَّهُ أعلمُ . وإن كان مَحْفُوظًا ، فليس بتفسيرٍ للآيةِ الكريمةِ ، بل هو شيءٌ آخرُ غيرُ ما دَلَّتْ عليه الآيةُ الكريمةُ . واللَّهُ أعلمُ .

وفَرَضَ اللَّهُ ، سبحانَه [٢/١١٠و] وتعالى ، على عبدِه محمدٍ ﷺ وعلى أُمَّتِه الصَّلواتِ لَيلَتَئِذٍ ، خمسين صلاةً فى كلِّ يومٍ وليلةٍ ، ثُم لم يَزَلْ يَخْتَلِفُ بينَ موسى وبينَ ربِّه ، عزَّ وجلَّ ، حتى وَضَعَها الرَّبُّ ، جلَّ جلالُه وله الحمدُ والمِنَّةُ ، إلى خَمْسٍ (٥وقال : « هى خَمْسٌ٥) وهى خَمْسُون : الحسنةُ بعَشْرِ أمْثالِها » . فحَصَل له التكليمُ مِن الرَّبِّ ، عزَّ وجلَّ ، لَيلَتَئِذٍ ، وأئِمَّةُ السُّنَّةِ كالمُطْبِقِين على هذا ، واخْتَلَفوا فى الرُّؤْيَةِ ؛ فقال بعضُهم : رآه بفؤادِه مرتَيْنْ . قالَه ابنُ عباسٍ

---

(١) البخارى (٣٤٩) . ومسلم (١٦٣) .

(٢) البخارى (٤٨٥٥) . ومسلم (١٧٧) .

(٣) التفسير ٧/٤١٩ - ٤٢٣ .

(٤) تقدم تخريجه صفحة ٢٧٥ .

(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥ .

وطائفةٌ[1] ، وأطْلَقَ [2]ابنُ عباسٍ[2] وغيرُه[3] الرُّؤْيَةَ وهو محمولٌ على التَّقْيِيدِ ، ومِمَّن أطْلَقَ الرؤيةَ أبو هُريرةَ ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما[4] ، وصَرَّح بعضُهم بالرُّؤْيةِ بالعَيْنَيْنِ[5] ، واخْتارَه ابنُ جريرٍ وبالَغَ فيه ، وتَبِعَه على ذلك آخَرُون مِن المُتَأَخِّرِين . ومِمَّن نَصَّ على الرُّؤْيةِ بعَيْنَىْ رأسِه ، الشيخُ أبو الحسنِ الأَشْعَرِىُّ ، فيما نَقَلَه السُّهَيْلِىُّ عنه[6] ، واخْتارَه الشيخُ أبو زكريّا النَّوَوِىُّ فى « فَتاوِيه »[7] . وقالتْ طائفةٌ : لم يَقَعْ ذلك ؛ لحديثِ أبى ذَرٍّ فى « صحيحِ مسلمٍ »[8] : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل رأيتَ ربَّك ؟ فقال : « نُورٌ ، أَنَّى أَراهُ » . وفى رِوايةٍ : « رَأيتُ نُورًا » . قالوا : ولم يُمْكِنْ[9] رؤيةُ الباقى بالعينِ الفانيةِ ، ولهذا قال اللَّهُ تعالى لموسى فيما رُوِى فى بعضِ الكتبِ الإلهيَّةِ : يا موسى ، إنَّه لا يَرانى حَىٌّ إلَّا مات ، ولا يابسٌ إلَّا تَدَهْدَهَ[10] . والخِلافُ فى هذه المسألةِ مشهورٌ بينَ السَّلَفِ والخَلَفِ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم هَبَط رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِ المَقدِسِ ، والظَّاهِرُ أنَّ الأنبياءَ هَبَطُوا معه ،

---

(١) قول ابن عباس ، أخرجه مسلم (١٧٦) . وانظر التفسير ٧/ ٤٢٢، ٤٢٣.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٧/ ٤٨، ٤٩. والتفسير ٧/٤٢٣ - ٤٢٥.
(٤) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا ١/ ٢٦٠.
(٥) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا ١/ ٢٦٠.
(٦) الروض الأنف ٣/ ٤٤٥.
(٧) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٣/ ٤ - ٦.
(٨) مسلم (١٧٨).
(٩) فى الأصل ، م ، ص : « يكن » .
(١٠) انظر ما تقدم فى ٢/ ١٤٠.

تكريمًا له وتعظيمًا ، عندَ رُجوعِه مِن الحضرةِ الإلهيَّةِ العظيمةِ ، كما هى عادةُ الوافِدِين ؛ لا يَجْتَمِعُون بأحدٍ قبلَ الذى طُلِبُوا إليه ، ولهذا كان كلَّما مرَّ على واحدٍ منهم ، يقولُ له جبريلُ ، عندَ مَقْدَمِ ذاك للسَّلامِ عليه : هذا فُلانٌ ، فسَلِّمْ عليه . فلو كان قد اجْتَمَع بهم قبلَ صُعودِه ، لَمَا احْتاج إلى تَعَرُّفٍ بهم مرَّةً ثانيةً ، ومِمَّا يَدُلُّ على ذلك ، أنَّه قال : « فلمَّا حانَتِ الصَّلاةُ أمَمْتُهم » . ولم يَحِنْ وقتٌ إذ ذاك إلَّا صَلاةُ الفجرِ ، فتَقَدَّمَهم إمامًا بهم عن أَمرِ جبريلَ فيما يَروِيه عن ربِّه ، عزَّ وجلَّ - فاسْتَفاد بعضُهم مِن هذا ، أنَّ الإمامَ الأعْظَمَ يُقَدَّمُ فى الإمامَةِ على رَبِّ المنزلِ ؛ حيثُ كان بيتُ المَقدِسِ مَحَلَّتَهم ودارَ إقامَتِهم - ثُم خَرَج منه فرَكِب البُراقَ ، وعاد إلى مكَّةَ ، فأصبح بها وهو فى غايةِ الثَّباتِ والسَّكِينةِ والوَقارِ ، وقد عايَن فى تلك الليلةِ مِن الآياتِ والأُمورِ التى لو رآها أو بعضَها غيرُه ، لَأَصْبَح مُندَهِشًا أو طائِشَ العقلِ ، ولكنَّه ﷺ أصْبَح واجِمًا ، أىْ ساكِتًا ، يَخْشَى إن بَدَأ فأَخْبَرَ قومَه بما رَأَى ، أن يُبادِرُوا إلى تكذِيبِه ، فتَلَطَّف بإخبارِهم أولًا بأنَّه جاء بيتَ المَقدِسِ فى تلك الليلةِ ، وذلك أنَّ أبا جَهلٍ ، لَعَنه اللَّهُ ، رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ فى المسجدِ الحرامِ وهو جالِسٌ واجِمٌ ، فقال له : هل مِن خَبَرٍ ؟ فقال : « نعم » . فقال : وما هو ؟ فقال : « إنِّى أُسْرِىَ بى الليلةَ إلى بيتِ المَقدِسِ » . قال : إلى بيتِ المقدسِ ؟! قال : « نعم » . قال : أرَأيتَ إن دَعَوْتُ قومَك لك لتُخْبِرَهم ، أتُخْبِرُهم بما أخْبَرْتَنى به ؟ قال : « نعم » . فأراد أبو جَهلٍ جَمْعَ قُرَيشٍ ليَسْمَعُوا منه ذلك ، وأراد رسولُ اللَّهِ ﷺ جَمْعَهم ليُخْبِرَهم ذلك ويُبَلِّغَهم ، فقال أبو جهلٍ : هَيَا[1] مَعْشَرَ قُرَيشٍ . فاجْتَمَعُوا مِن أنديَتِهم ، فقال : أَخْبِرْ قومَك بما أخْبَرْتَنى به . فقَصَّ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَ ما رأى ،

(١) هيا : من حروف النداء ، وأصلها : أيا .

وأنَّه جاء بيتَ المَقدِسِ هذه الليلةَ وصَلَّى فيه، فمِن بينِ مُصَفِّقٍ، وبينِ مُصَفِّرٍ تكذيبًا له واستِبعادًا لخبَرِه، وطار الخبرُ بمكَّةَ، وجاء الناسُ إلى أبى بكرٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، فأخْبَرُوه أنَّ محمدًا ﷺ يقولُ كذا وكذا. فقال: إنَّكم تَكْذِبُون عليه. فقالوا: واللَّهِ إنَّه ليَقُولُه. فقال: إن كان قالَه فلقد صَدَق. ثُم جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٢/١١٠ظ] وحولَه مُشْرِكو قُرَيشٍ، فسألَه عن ذلك فأخْبَرَه، فاسْتَعْلَمَه عن صفاتِ بيتِ المَقدِسِ؛ ليَسْمَعَ المُشرِكون ويَعْلَموا صِدْقَه فيما أخْبَرَهم به. وفى «الصحيحِ»[(١)]: أنَّ المُشرِكين هم الذين سَأَلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ عن ذلك. قال: «فَجَعَلْتُ أُخْبِرُهم عن آياتِه، فالْتَبَسَ عَلَيَّ بعضُ الشيءِ، فجَلَّى اللَّهُ لى بيتَ المَقدِسِ، حتى جَعَلْتُ أنْظُرُ إليه دُونَ دارِ عَقِيلٍ وأَنْعَتُه لهم». فقالوا: أمّا الصِّفَةُ فقد أصاب!

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[(٢)] ما تَقَدَّم مِن إخبارِه لهم بمُرورِه بعِيرِهم وما كان مِن شُرْبِه ماءَهم، فأقام اللَّهُ عليهم الحُجَّةَ، واسْتَنارَتْ لهم المَحَجَّةُ، فآمَن مَن آمَن على يقينٍ مِن ربِّه، وكفَر مَن كَفَر بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليه، كما قال اللَّهُ تعالى[(٣)]: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. أى؛ اخْتِبارًا لهم وامْتِحانًا. قال ابنُ عباسٍ[(٤)]: هى رُؤْيا عَيْنٍ أُرِيَها رسولُ اللَّهِ ﷺ. وهذا مذهبُ جمهورِ السَّلَفِ والخَلَفِ، مِن أنَّ الإسراءَ كان ببَدَنِه ورُوحِه، صَلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، كما دَلَّ على ذلك ظاهرُ السِّياقاتِ مِن رُكوبِه وصُعُودِه فى

---

(١) مسلم (١٧٢). والمصنف يذكره هنا بمعناه.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) التفسير ٥/ ٨٩، ٩٠.

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٨٨، ٤٧١٦، ٦٦١٣). عن ابن عباس.

المِعراجِ، وغيرِ ذلك، ولهذا قال تعالى[1]: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]. والتَّسْبيحُ إنَّما يَكُونُ عندَ الآياتِ العظيمةِ الخارقةِ، فدَلَّ على أنَّه بالرُّوحِ والجسدِ، والعبدُ عِبارةٌ عنهما، وأيضًا فلو كان منامًا لَمَا بادَر كفارُ قُريشٍ إلى التكذيبِ به والاسْتِبْعادِ له؛ إذ ليس فى ذلك كبيرُ أمرٍ، فدَلَّ على أنَّه أخبَرَهم بأنَّه أُسْرِىَ به يَقَظَةً لا مَنامًا.

وقولُه فى حديثِ شَريكٍ، عن أنسٍ[2]: «ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فإذا أنا فى الحِجْرِ». مَعْدودٌ فى غَلَطاتِ شَريكٍ، أو محمولٌ على أنَّ الانتقالَ مِن حالٍ إلى حالٍ يُسَمَّى يَقَظَةً، كما سيأْتِى فى حديثِ عائشةَ، رَضِى اللَّهُ عنها، حينَ ذَهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطَّائِفِ فكَذَّبُوه. قال: «فرَجَعْتُ مَهْمُومًا فلم أسْتَفِقْ إلَّا بِقَرْنِ الثَّعالِبِ». وفى حديثِ أبى أُسَيدٍ[3]، حينَ جاء بابنِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُحَنِّكَه، فوَضَعَه على فَخِذِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، واشْتَغَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بالحديثِ مع الناسِ، فرَفَع أبو أسيدٍ ابنَه، ثُم اسْتَيْقَظ رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]فلم يَجِدِ الصَّبِىَّ[4] فسَأَل عنه، فقالوا: رُفِع. فسَمّاه المُنذِرَ. وهذا الحَمْلُ أحسَنُ من التَّغْليطِ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد حَكَى ابنُ إسحاقَ[5] فقال: حَدَّثنى بعضُ آلِ أبى بكرٍ، عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين، أنَّها كانت تقولُ: ما فُقِد جَسَدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولكنَّ اللَّهَ أسْرَى

---

(١) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٧٥ . وانظر الشفا ١/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه البخارى، (٦١٩١)، مسلم (٢١٤٩). كلاهما من حديث سهل بن سعد .

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٩.

برُوحِه . قال[1] : وحَدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ أنَّ معاويةَ كان إذا سُئِل عن مَسْرَى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : كانتْ رُؤْيا مِن اللَّهِ صادِقةً .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فلم يُنْكَرْ ذلك مِن قولِهما ؛ لقولِ الحسنِ : إنَّ هذه الآيَةَ نَزَلَتْ فى ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . وكما قال إبراهيمُ ، عليه السَّلامُ : ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] . وفى الحديثِ[3] : « تَنَامُ عَيْنِى وَقَلْبِى يَقْظانُ » .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان قد جاءَه ، وعايَن فيه ما عايَن مِن أمرِ اللَّهِ تعالى ، على أىِّ حالَيْه[5] كان ، نائمًا أو يقظانَ ، كلُّ ذلك حقٌّ وصِدقٌ .

قلتُ : وقد تَوَقَّف ابنُ إسحاقَ فى ذلك ، وجَوَّز كُلًّا مِن الأمْرَيْن مِن حيثُ الجُملةُ ، ولكنَّ الذى لا يُشَكُّ فيه ولا يُتَمارَى ، أنَّه كان يقظانَ لا مَحالَةَ ؛ لِمَا تَقَدَّم ، وليس مُقْتَضَى كلامِ عائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، أنَّ جَسَدَه ﷺ ما فُقِد ، وإنَّما كان الإسراءُ برُوحِه ، أنْ يكون ذلك منامًا كما فَهِمَه ابنُ إسحاقَ ، بل قد يكونُ وَقَعَ [٢/١١١و] الإسراءُ برُوحِه حقيقةً ، وهو يقظانُ [6] لا نائمٌ ، ورَكِب البُراقَ ، وجاء بيتَ المَقدِسِ ، وصَعِد السماواتِ ، وعاين ما عايَن ، حقيقةً[6]

---

(١) القائل ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠.

(٣) البخارى (٣٥٦٩) بلفظ : « تنام عينى ولا ينام قلبى » . وفى سيرة ابن هشام ١/ ٤٠٠ بلفظ : « تنام عيناى وقلبى يقظان » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٩٧.

(٥) فى الأصل ، م : « حاله » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

ويَقَظةً ، لا منامًا . لعلَّ هذا مُرادُ عائشةَ أُمِّ المؤمنين ، رَضِى اللَّهُ عنها ، ومُرادُ مَن تابَعَها على ذلك ، لا ما فَهِمَه ابنُ إسحاقَ مِن أنَّهم أرادوا بذلك المنامَ . واللَّهُ أعلمُ .

تنبيهٌ : ونحن لا نُنْكِرُ وُقوعَ منامٍ قبلَ الإسراءِ ، طِبْقَ ما وَقَع بعدَ ذلك ، فإنَّه ﷺ كان لا يَرَى رُؤْيا إلَّا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ ، وقد تَقَدَّم مثلُ ذلك فى حديثِ بَدْءِ الوحيِ[1] ؛ أنَّه رَأَى مثلَ ما وَقَع له يقظةً ، منامًا قبلَه ، ليكونَ ذلك مِن بابِ الإرْهاصِ والتَّوْطِئَةِ والتَّثبيتِ والإيناسِ . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم قد اخْتَلَفَ العلماءُ فى أنَّ الإسراءَ والمعراجَ هل كانا فى ليلةٍ واحدةٍ ، أو كُلٌّ فى ليلةٍ على حِدَةٍ ؟ فمنهم مَنْ يَزْعُمُ أنَّ الإسراءَ فى اليَقَظَةِ ، والمعراجَ فى المنامِ . وقد حَكَى المُهَلَّبُ بنُ أبى صُفْرَةَ فى « شرحِه البخاريَّ »[2] عن طائفةٍ ، أنَّهم ذَهَبوا إلى أنَّ الإسراءَ مرَّتَيْنِ ؛ مرَّةً برُوحِه منامًا ، ومرَّةً ببدنِه ورُوحِه يقَظةً . وقد حَكاه الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِىُّ[3] ، عن شيخِه أبى بكرِ بنِ العَرَبِىِّ الفقيهِ المالكىِّ[4] . وهذا القولُ يَجْمَعُ الأحاديثَ ، فإنَّ فى حديثِ شَرِيكٍ عن أنسٍ : وذلك فيما يَرَى قلبُه ، وتَنامُ عَيْناه ولا يَنامُ قلبُه . وقال فى آخِرِه : « ثُم اسْتَيْقَظْتُ فإذا أنا فى الحِجْرِ » . وهذا منامٌ ، ودَلَّ غيرُه على اليَقَظَةِ . ومنهم مَن يَدَّعِى تَعَدُّدَ الإسراءِ فى اليَقَظَةِ أيضًا ، حتى قال بعضُهم : إنَّها أربعُ إسراءاتٍ . وزعَم بعضُهم أنَّ بعضَها كان بالمدينةِ . وقد حاول الشيخُ شِهابُ الدِّينِ أبو شامَةَ ، رَحِمَه اللَّهُ ،

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٥ .

(٢) ذكره عنه السهيلى فى الروض الأنف ٣/ ٤١٧. والحافظ فى الفتح ٧/ ١٩٧.

(٣) الروض الأنف ٣/ ٤١٧.

(٤) بعده فى ١ ١٥، م، ص: « قال السهيلى » .

أن يُوَفِّقَ بينَ اخْتِلافِ ما وقَع فى رواياتِ حديثِ الإسراءِ بالجَمْعِ بالتَّعَدُّدِ[1] ، فَجَعَل ثلاثَ إسراءاتٍ ؛ مرَّةً مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ فقط على البُراقِ ، ومرةً مِن مكةَ إلى السماواتِ على البُراقِ أيضًا ؛ لحديثِ حُذَيْفَةَ ، ومرةً مِن مكةَ إلى بيتِ المقدسِ ثُم إلى السماواتِ .

فنقولُ : إن كان إنَّما حمَلَه على القولِ بهذه الثلاثِ اختِلافُ الرواياتِ ، فقد اخْتَلَفَ لفظُ الحديثِ فى ذلك على أكْثَرَ مِن هذه الثلاثِ صفاتٍ ، ومَن أراد الوُقوفَ على ذلك ، فَلْيَنْظُرْ فيما جَمَعْناه مُسْتَقْصًى فى كتابِنا « التفسيرِ » ، عندَ قولِه تعالى[2] : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ . وإنْ كان إنَّما حَمَلَه ، أنَّ التَّقْسِيمَ انْحَصَرَ فى ثلاثِ صفاتٍ بالنسبةِ إلى بيتِ المَقْدِسِ وإلى السماواتِ ، فلا يَلْزَمُ مِن الحَصْرِ العَقْلِىِّ الوقوعُ[3] كذلك فى الخارجِ ، إلَّا بدليلٍ . واللَّهُ أعلمُ .

والعَجَبُ أنَّ الإمامَ أبا عبدِ اللَّهِ البخارىَّ ، رَحِمَه اللَّهُ ، ذكَر الإسراءَ بعدَ ذِكْرِه موتَ أبى طالبٍ ، [4]فوافَق ابنَ إسحاقَ فى ذكرِه المعراجَ فى أواخرِ الأمرِ ، وخالَفه فى ذكرِه بعدَ موتِ أبى طالبٍ[4] ، وابنُ إسحاقَ أخَّر ذِكْرَ موتِ أبى طالبٍ على الإسراءِ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

والمقصودُ أنَّ البخارىَّ فرَّق بينَ الإسراءِ وبينَ المعراجِ ، فبَوَّب لكلٍّ منهما بابًا على حِدَةٍ فقال[5] : بابُ حديثِ الإسراءِ وقولِ اللَّهِ ، سُبحانَه وتعالى :

---

(١) فى م ، ص : « المتعدد » . وانظر سبل الهدى والرشاد ٣/ ١٠٤، ١٠٥.

(٢) التفسير ٥/٣ - ٤٢.

(٣) فى م : « والوقوع » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) البخارى (٣٨٨٦) .

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ : حَدَّثنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ ، حَدَّثنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، حدَّثَنى أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : سَمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَمَّا كَذَّبَتْنِى قريشٌ ، كنتُ[1] فى الحِجْرِ فجَلَّى اللَّهُ لى بيتَ المَقدِسِ ، فطَفِقْتُ أُخْبِرُهم عن آياتِه ، وأنا أَنْظُرُ إليه » . [2]وقد رَواه مسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ[3] ، مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن جابرٍ به[2] . ورَواه مسلمٌ ، والنَّسائىُّ[4] ، من حديثِ عبدِ اللَّهِ ابنِ الفَضْلِ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه .

ثُم قال البخارىُّ[5] : بابُ حديثِ المِعراجِ : حدَّثَنا هُدْبَةُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا هَمَّامٌ ، حدَّثَنا قَتادَةُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ حَدَّثهم عن ليلةِ أُسْرِىَ به ، قال : « بينَما أنا فى الحَطِيمِ - ورُبَّما قال : فى الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إذ أتانِى آتٍ فقَدَّ[6] - قال : وسَمِعْتُه يقولُ : فشَقَّ - ما بينَ هذه إلى هذه » . فقلتُ للجارُودِ وهو إلى [١١١/٢ظ] جَنْبِى : ما يَعْنِى به ؟ قال : [7]مِن ثُغْرَةِ نَحْرِه[7] إلى شِعرتِه[8] . وسَمِعْتُه يقولُ : مِن قَصِّه[9]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « قمت » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) مسلم (١٧٠) ، والترمذى (٣١٣٣) ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٨٢) .

(٤) بعده فى م : « والترمذى » . وهو خطأ ، انظر تحفة الأشراف ٤٦٣/١٠ . والحديث فى مسلم (١٧٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١٢٨٤) .

(٥) البخارى (٣٨٨٧) .

(٦) سقط من : الأصل ، م . وقد الشىء : شَقَّه طولًا .

(٧ - ٧) فى الأصل : « ثغر منخره » ، وفى م ، ص : « نقرة نحره » . وثغرة النحر : الموضع المنخفض بين الترقوتين . انظر الفتح ٢٠٤/٧ .

(٨) الشعرة : شعر العانة .

(٩) القص : رأس الصدر .

إلى شِعْرَتِه . « فاسْتَخْرجَ قَلْبى ، ثُمَّ أُتِيتُ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيمانًا ، فغُسِلَ قَلْبِى ، ثُم حُشِىَ ، ثم أُعِيدَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بدابَّةٍ دُونَ البَغلِ ، وفوقَ الحِمارِ أبْيَضَ » . فقال له الجارُودُ : هو البُرَاقُ يا أبا حَمْزَةَ ؟ قال أنسٌ : نَعَمْ . « يَضَعُ خَطوَه عندَ أقْصَى طَرْفِه ، فحُمِلْتُ عليه ، فانْطَلَقَ بى جبريلُ حتى أتَى السماءَ الدُّنْيا ، فاسْتَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نعم . قِيل : مرحبًا به فنِعْمَ المجَىءُ جاء . ففَتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ ، فإذا فيها آدَمُ ، فقال : هذا أبوك آدَمُ فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ السلامَ ، ثُم قال : مرحبًا بالابنِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ ، ثُم صَعِدَ بى إلى السماءِ الثانيةِ فاستَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجَىءُ جاء . ففَتَحَ ، فلمَّا خَلَصْتُ ، إذَا يَحْيَى وعيسى ، وهما ابْنا خالةٍ ، قال : هذا يَحْيَى وعيسى فسَلِّمْ عليهما . فسلَّمْتُ [(١)] ، فرَدَّا ثُم قالا : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى إلى السماءِ الثالثةِ فاستَفْتَحَ [(٢)] ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قِيل : مرحبًا به ، فنِعمَ المجَىءُ جاء . ففَتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ ، إذا يُوسُفُ ، قال : هذا يُوسُفُ ، فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ ثُم قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبىِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بى حتى أتَى السماءَ الرابعةَ فاستَفْتَحَ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قِيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجَىءُ جاء . ففتَح ، فلمَّا خَلَصْتُ فإذا إدْريسُ ، قال : هذا إدْريسُ ، فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه فرَدَّ ، ثُم قال : مرحبًا بالأخِ

---

(١) بعده فى النسخ : « عليهما » . وليست فى البخارى .

(٢) بعده فى ا ١٥ ، م ، ص : « جبريل » .

الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بي حتى أَتَى السماءَ الخامسةَ فاستَفْتَح ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِل إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجِىءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا هارُونُ ، قال : هذا هارُونُ فسَلِّمْ عليه . فسَلَّمْتُ عليه فرَدَّ ، ثُمَّ قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم صَعِدَ بي حتى أَتَى السماءَ السادسةَ فاستَفْتَحَ ، فقِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد أُرْسِلَ إليه ؟ قال : نَعَمْ . قيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجِىءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه فرَدَّ ثُم قال : مرحبًا بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . فلمَّا تجاوَزْتُ بَكَى ، فقيلَ له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أَبْكِى لأَنَّ غلامًا بُعِثَ بعدِى ، يَدْخُلُ الجنةَ مِن أُمَّتِه أكثرُ ممَّن يَدْخُلُها مِن أُمَّتِى . ثُم صَعِدَ بي إلى السماءِ السابعةِ فاستَفْتَحَ جبريلُ ، قِيل : مَن هذا ؟ قال : جبريلُ . قِيل : ومَن معك ؟ قال : محمدٌ . قِيل : وقد بُعِثَ إليه ؟ قال : نعم . قِيل : مرحبًا به ، فنِعْمَ المجِىءُ جاء . فلمَّا خَلَصْتُ فإذا إبراهيمُ ، قال : هذا أبوك إبراهيمُ فسَلِّمْ عليه . فسلَّمْتُ عليه ، فرَدَّ السلامَ ، ثُم قال : مرحبًا بالابنِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ . ثُم رُفِعَتْ لى[1] سِدْرَةُ المُنْتَهَى ، [2]فإذا نَبِقُها مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وإذا ورقُها مِثْلُ آذانِ الفِيَلَةِ ، قال : هذه سِدْرَةُ المُنْتَهَى[2] ، وإذا أربعةُ أنهارٍ ؛ نَهَرَانِ ظاهِرانِ ، ونَهْرَان باطِنانِ ، فقلتُ : ما هذان يا جبريلُ ؟ قال : أمَّا الباطِنان فنَهْرانِ فى الجنةِ ، وأمَّا الظاهِرانِ فالنِّيلُ والفُراتُ . ثُم رُفِعَ لى البيتُ المَعْمُورُ ، يَدْخُلُه كُلَّ يومٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ، ثُم أُتِيتُ بِإناءٍ مِن خمرٍ ، وإناءٍ مِن لبنٍ ، وإناءٍ مِن عسلٍ ، فأَخَذْتُ

---

(١) فى م ، ص : «إلى» .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

اللبنَ ، فقال : هى الفِطْرَةُ التى أنتَ عليها وأُمَّتُك . ثُم فُرِضَتْ[1] علىَّ الصلواتُ خمسين صلاةً كلَّ يوم ، فَرَجَعْتُ فمَرَرْتُ على موسى فقال : بم أُمِرْتَ ؟ » قال : « أُمِرْتُ بخمسين صلاةً كلَّ يومٍ . قال : إنَّ أُمَّتَك لَا تَسْتَطِيعُ خمسِينَ صلاةً كلَّ يومٍ ، وإنِّى واللَّهِ قد جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَك وعالَجْتُ بنى إسرائيلَ أشدَّ المُعالَجَةِ ، فارْجِعْ إلى رَبِّك فسَلْه التخفيفَ لأُمَّتِك . فَرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فوضَع عنِّى عَشْرًا ، فرَجَعْتُ إلى موسى فقال مِثْلَه ، فرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بعَشْرِ صلواتٍ [١١٢/٢و] كلَّ يومٍ ، فرجَعْتُ[2] فقال مِثْلَه ، فَرَجَعْتُ فأُمِرْتُ بخَمْسِ صلواتٍ كلَّ يومٍ ، فَرَجَعْتُ إلى موسى فقال : بم أُمِرْتَ ؟ فقلتُ : أُمِرْتُ[3] بخَمْسِ صلواتٍ كُلَّ يومٍ . قال : إنَّ أُمَّتَك لا تَسْتَطِيعُ خمسَ صلواتٍ كُلَّ يومٍ ، وإنِّى قد جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَك ، وعالَجْتُ بنى إسرائيلَ أشدَّ المُعالَجَةِ ، فارْجِعْ إلى ربِّك فاسْأَلْه التخفيفَ لأُمَّتِك . قال : سأَلْتُ ربِّى حتى استَحْيَيْتُ ، ولكنْ أَرْضَى وأُسَلِّمُ . قال : فلمَّا جاوَزْتُ ، نادَانِى مُنادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِى ، وخَفَّفْتُ عن عبادِى » . هكذا رَوَى البخارىُّ هذا الحديثَ ههنا ، وقد رَواه فى مواضِعَ أُخَرَ مِن « صحيحِه » ، ومسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ[4] ، مِن طُرُقٍ عن قَتَادَةَ ، عن أنسٍ ، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ . ورَوَيْناه مِن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ عن أُبَىِّ بنِ كَعْبٍ ، ومِن حديثِ أنسٍ عن أبى ذَرٍّ ، ومِن طُرُقٍ

---

(١) فى النسخ : « فرض » . والمثبت من البخارى .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من البخارى .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) البخارى (٣٢٠٧ ، ٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠) . ومسلم (١٦٤) ، والترمذى (٣٣٤٦) ، والنسائى (٤٤٧) ، وفى الكبرى (٣١٣) .

كثيرةٍ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ، وقد ذكَرنا ذلك مُسْتَقْصًى بطُرُقِه وألفاظِه فى «التفسيرِ»[1]. ولم يَقَعْ فى هذا السياقِ ذكرُ بيتِ المقدسِ، وكان بعضُ الرواةِ يَحْذِفُ بعضَ الخبرِ للعلمِ به، أو يَنْساه أو يَذْكُرُ ما هو الأهَمُّ عندَه، أو يَبْسُطُ تارَةً فيَسُوقُه كلَّه، وتارَةً يُحَدِّثُ مُخاطَبَه بما هو الأنْفَعُ له. ومَن جعَل كلَّ روايةٍ إسراءً على حِدَةٍ - كما تَقَدَّم عن بعضِهم - فقد أبْعَدَ جدًّا؛ وذلك أنَّ كلَّ السِّياقاتِ فيها السلامُ على الأنبياءِ، وفى كلٍّ منها تَعْريفُه بهم، وفى كلِّها يُفْرَضُ عليه الصلواتُ، فكيف يُمكِنُ أن يُدَّعَى تَعَدُّدُ ذلك؟ هذا فى غايةِ البُعْدِ والاسْتِحالةِ. واللَّهُ أعلمُ.

ثُم قال البخاريُّ[2]: حدَّثَنا الحُمَيْدِيُّ، حدَّثنا سفيانُ، عن عَمْرٍو، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، فى قولِه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: هى رُؤْيا عَيْنٍ، أُرِيَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ليلةَ أُسْرِىَ به إلى بيتِ المقدسِ، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ قال: هى شجرةُ الزقومِ.

---

(١) التفسير ٣/٥ - ٤٢.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٨١ .

فصل

ولمَّا أصْبَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن صَبِيحَةِ ليلةِ الإسراءِ، جاءَه جبريلُ عندَ الزَّوالِ، فبَيَّنَ له كَيفِيَّةَ الصلاةِ وأوقاتَها، وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه فاجْتَمَعُوا، وصَلَّى به جبريلُ فى ذلك اليومِ إلى الغَدِ، والمسلمون يَأْتَمُّون بالنبىِّ ﷺ، وهو يَقْتَدِى بجبريلَ، كما جاء فى الحديثِ عن ابنِ عباسٍ وجابرٍ[1]: «أَمَّنِى جبريلُ عندَ البيتِ مَرَّتَيْنِ». فبَيَّنَ له الوَقْتَيْنِ، فهما الأولُ والآخِرُ، وما بينَهما الوقتُ المُوَسَّعُ، ولم يَذْكُرْ تَوسِعَةً فى وقتِ المَغربِ. وقد ثبَت ذلك فى حديثِ أبى موسى، وبُرَيْدَةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو، وكلُّها فى «صحيحِ مسلمٍ»[2]، ومَوضِعُ بَسْطِ ذلك فى كتابِنا «الأحكامِ». وللَّهِ الحمدُ.

فأمَّا ما ثَبَت فى «صحيحِ البخارىِّ»[3]، [4]مِن طريقِ[4] سُفيانَ[5]، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُروَةَ، عن عائشةَ قالت: فُرِضَتِ الصَّلاةُ أوَّلَ ما فُرِضَتْ ركعتَيْنِ، فأُقِرَّتْ صلاةُ السفرِ، وزِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ. وكذا رَواه الأَوْزَاعِىُّ

---

(١) حديث ابن عباس أخرجه أبو داود (٣٩٣)، والترمذى (١٤٩) حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٧). وحديث جابر أخرجه الترمذى (١٥٠) صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٨).

(٢) صحيح مسلم: حديث أبى موسى (٦١٤)، وحديث بريدة (٦١٣)، وحديث عبد الله بن عمرو (٦١٢).

(٣) البخارى (١٠٨٩).

(٤ - ٤) فى م، ص: «عن».

(٥) فى النسخ: «معمر». وهو خطأ، فالحديث فى صحيح البخارى من طريق سفيان بن عيينة به. وانظر تحفة الأشراف ١٢/٣٨.

عن الزُّهْرِيِّ، ورَواه الشَّعْبِيُّ عن مَسْروقٍ عنها[1]. وهذا مُشْكِلٌ مِن جهةِ أنَّ عائشةَ كانت تُتِمُّ الصلاةَ فى السفرِ، وكذا عثمانُ بنُ عفَّانَ، وقد تَكَلَّمْنا على ذلك عندَ قولِه تعالى[2]: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. قال البَيْهَقِيُّ[3]: وقد ذهَب الحسنُ البَصْرِيُّ إلى أنَّ صلاةَ الحَضَرِ أوَّلَ ما فُرِضَتْ أربعًا، كما ذَكَره مرسلًا مِن صلاتِه، عليه السلامُ، صَبِيحَةَ الإسراءِ، الظُّهْرَ أربعًا، والعصرَ أربعًا، والمغربَ ثلاثًا يَجْهَرُ فى الأُولَيَيْنِ، والعشاءَ أربعًا يَجْهَرُ فى الأُولَيَيْنِ، والصُّبحَ ركعتَيْن يَجْهَرُ فيهما.

قلتُ: فلعلَّ عائشةَ أرادتْ أنَّ الصلاةَ كانت قبلَ الإسراءِ تَكُونُ ركعتَيْن ركعتَيْنِ، ثُم لَمَّا فُرِضَتِ الخَمْسُ، فُرِضَتْ حَضَرًا على ما هى عليه، ورُخِّص فى السفرِ أن يُصَلَّى ركعتَيْنِ، كما كان الأمرُ عليه قديمًا، وعلى هذا لا يَبْقَى إشكالٌ بالكُلِّيَّةِ. [٢/١١٢ظ] واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) حديث الأوزاعى رواه النسائى (٤٥٣)، والبيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٣٦٣. صحيح (صحيح سنن النسائى ٤٣٨). وحديث الشعبى رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٣٦٣.

(٢) التفسير ٢/٣٤٧ - ٣٥١.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٤٠٧.

فصل فى انشقاقِ القمرِ فى زمانِ النبىّ ﷺ وجَعْلِ اللهِ له آيةً على صدقِ رسولِه ﷺ، فيما جاء به مِن الهُدَى ودينِ الحقّ، حيث كان ذلك وَفْقَ[1] إشارتِه الكريمةِ

قال اللّهُ تعالى فى مُحكَمِ كتابِه العزيزِ[2]: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ١- ٣]. وقد أَجْمَعَ المسلمون على وُقُوعِ ذلك فى زمنِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، وجاءَتْ بذلك الأحاديثُ المتواتِرةُ مِن طُرُقٍ متعددةٍ، تُفِيدُ القَطْعَ عندَ مَن أَحاطَ بها ونظَر فيها، ونحن نَذْكُرُ مِن ذلك ما تَيَسَّرَ، إنْ شاء اللّهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ، وقد تَقَصَّيْنا ذلك فى كتابِنا «التفسيرِ»، فذكَرْنا الطرقَ والألفاظَ مُحَرَّرَةً، ونحن نُشِيرُ هاهنا إلى أطرافٍ مِن طُرُقِها، ونَعْزُوها إلى الكتبِ المشهورةِ بحولِ اللّهِ وقوَّتِه، وذلك مَرْوِىٌّ عن أَنَسِ بنِ مالكٍ، وجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وحُذَيْفَةَ، وعبدِ اللّهِ بنِ عباسٍ،

---

(١) فى م: «وقت».

(٢) التفسير ٧/٤٤٥ - ٤٥٠.

وعبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين.

أما أنسٌ: فقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثَنا مَعْمَرٌ[2]، عن قَتَادَةَ، عن أَنَسِ بنِ مالكٍ قال: سأَل أهلُ مكةَ النبىَّ ﷺ آيةً، فانشَقَّ القمرُ بمكةَ مرَّتَيْنِ، فقال: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾. ورواه مُسلمٌ[3]، عن محمدِ بنِ رافعٍ، عن عبدِ الرزَّاقِ به، وهذا مِن مُرْسَلاتِ الصحابةِ، والظاهرُ أنَّه تَلَقَّاه عن الجَمِّ الغفيرِ مِن الصحابةِ، أو عن النبىِّ ﷺ، أو عن الجميعِ.

وقد روَى البخاريُّ ومسلمٌ[4] هذا الحديثَ مِن طريقِ شَيْبانَ. زادَ البخاريُّ[5]: وسعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ. وزاد مسلمٌ[6]: وشُعْبَةَ، ثلاثتُهم عن قَتَادَةَ، عن أنسٍ، أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يُرِيَهم آيةً، فأَرَاهم القمرَ شِقَّتَيْنِ، حتى رَأَوْا حِراءَ بينَهما. لفظُ البخاريِّ.

وأما جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ: فقال الإمامُ أَحمدُ[7]: حدَّثَنا محمدُ بنُ كَثِيرٍ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ كَثِيرٍ، عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ

---

(١) المسند ٣/ ١٦٥.

(٢) بعده فى المطبوع من المسند زيادة: «عن الزهرى». ولعل ما وقع فى أطراف المسند - بدون ذكر الزهرى - هو الصواب، فرواية عبد الرزاق فى صحيح مسلم، وسنن الترمذى والنسائى ليس فيها ذكر للزهرى، وفى التفسير وجامع المسانيد نقل المصنف رواية أحمد من طريق عبد الرزاق وليس فيها ذكر للزهرى أيضا. انظر تحفة الأشراف ١/ ٣٤٤، أطراف المسند ١/ ٤٧٤، التفسير ٧/ ٤٤٧. وانظر جامع المسانيد للمصنف ٢٣/ ٢١١.

(٣) مسلم (٢٨٠٢).

(٤) البخارى (٣٦٣٧، ٤٨٦٧، ٤٨٦٨)، ومسلم (٢٨٠٢).

(٥) البخارى (٣٦٣٧).

(٦) مسلم (٢٨٠٢).

(٧) المسند ٤/ ٨١، ٨٢.

مُطْعِمٍ، (١عن أبيه١) . قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فصار فِرْقَتَيْنِ؛ فِرقةٌ على هذا الجبلِ، وفِرقةٌ على هذا الجبلِ، فقالوا: سَحَرَنا محمدٌ. فقالوا: إن كان سَحَرَنا فإنه لا يَستطيعُ أنْ يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم. تفرَّدَ به أحمدُ(٢)، وهكذا رواه ابنُ جَريرٍ(٣) مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ وغيرِه، عن حُصَيْنٍ به. وقد رَواه البَيْهَقِيُّ(٤) مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ طَهْمَانَ وَهُشَيْمٍ، كِلاهما عن حُصَيْنِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن جُبَيْرِ بنِ محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جَدِّه به - فزاد رجلًا فى الإسنادِ.

وأما حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ: فروَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»(٥) مِن طرقٍ، عن عَطاءِ بنِ السائبِ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ، قال: خطَبَنا حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ بالمدائنِ(٦)، فحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليه، ثُم قال: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. أَلَا وإنَّ الساعةَ قَدِ اقترَبَتْ، أَلَا وإنَّ القمرَ قدِ انشَقَّ، أَلَا وإنَّ الدنيا قد آذَنَتْ بفِراقٍ، أَلَا وإنَّ اليومَ المِضمارُ، وغدًا السِّباقُ. فلمّا كانتِ الجُمُعَةُ الثانيةُ، انطَلَقْتُ مع أبى إلى الجُمُعةِ، فحَمِدَ اللَّهَ وقال مِثْلَه وزادَ: أَلَا وإنَّ السابقَ مَن سبَقَ إلى الجَنَّةِ(٧). فلمّا كُنا فى الطريقِ قلتُ لأبى: ما يَعْنى

(١ - ١) سقط من: «ص».

(٢) نقول: لم يتفرد به أحمد، فقد أخرجه الترمذى (٣٢٨٩) كما ذكره المصنف، رحمه الله، فى جامع المسانيد ٢/ ٦٢٤. صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٢٢).

(٣) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٨.

(٥) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٣٤ . إلى أبى نعيم وغيره، كما أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٧/ ٨٦. من طريقين، عن عطاء بن السائب به.

(٦) سقط من: الأصل، وفى ص: «بالمعاين».

(٧) فى م، ص: «الجمعة».

بقولِه : غدًا السباقُ ؟ قال : مَن سَبَقَ إلى الجنَّةِ .

وأما ابنُ عباسٍ : فقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثَنا يحيى بنُ بُكَيْرٍ[(٢)] ، حدَّثَنا بكرٌ ، عن جَعْفَرٍ ، عن عِرَاكِ بنِ مالكٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : إنَّ القمرَ انشقَّ في زمانِ النبيِّ ﷺ . ورَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ[(٣)] مِن حديثِ بكرٍ ، وهو ابنُ مُضَرَ[(٤)] ، عن جعفرٍ ، [(٥)]هو ابنُ ربيعةَ ، عن عِرَاكٍ به .

وقال ابنُ جريرٍ[(٦)] : ثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا عبدُ الأعلَى ، ثنا داودُ بنُ أبي هِنْدٍ ، [(٧)]عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ[(٧)] ، عن ابنِ عباسٍ[(٥)] قولُه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ [١١٣/٢و] وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ قال : قد مضَى ذلك ، كان قبلَ الهجرةِ ، انشقَّ القمرُ حتى رأَوْا شِقَّيْه . وهكذا رَوَاه العَوْفِيُّ[(٨)] ، عن ابنِ عباسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، وهو من مُرْسَلَاتِه .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[(٩)] : حدَّثَنا سُليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا بكرُ بنُ

---

(١) البخارى (٤٨٦٦) .

(٢) فى م ، ص : « كثير » .

(٣) البخارى (٣٦٣٨، ٣٨٧٠) ، ومسلم (٢٨٠٣) .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « نصر » . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٤/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦، وذكره المصنف فى التفسير ٧/ ٤٤٨.

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير .

(٨) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٦، ٨٧.

(٩) دلائل النبوة (٢٠٩) ، وأورده الحافظ فى الفتح ٧/ ١٨٢ وعزاه لأبى نعيم فى الدلائل ، وضعف إسناده.

سَهْلٍ[1] ، حدَّثنا عبدُ الغنىِّ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا موسَى بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُقاتلٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : اجتمَعَ المشركون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ منهم الوليدُ بنُ المُغيرَةِ ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ، والعاصُ بنُ وائلٍ ، والعاصُ بنُ هِشامٍ ، والأَسْوَدُ بنُ عبدِ يَغُوثَ ، والأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، ونُظَرَاؤُهم ، فقالوا للنبىِّ ﷺ : إنْ كنتَ صادقًا فشُقَّ لنا القمرَ فِرْقَتَيْنِ ؛ نِصْفًا على أبى قُبَيْسٍ ، ونِصْفًا على قُعَيْقِعانَ . فقال لهم النبىُّ ﷺ : « إنْ فعلتُ ، تُؤْمِنُوا ؟ » قالوا : نَعَمْ . وكانت ليلةَ بَدْرٍ ، فسأَل اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنْ يُعْطِيَه ما سأَلوا ، فأَمْسَى القمرُ[2] قد مُثِّلَ[2] نِصْفًا على أبى قُبَيْسٍ ، ونِصْفًا على قُعَيْقِعانَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُنادِى : « يا أبا سَلَمَةَ بنَ عبدِ الأَسَدِ ، والأَرقَمَ بنَ أبى الأَرْقَمِ ، اشْهَدُوا » .

ثُم قال أبو نُعَيْمٍ[3] : وحدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ العباسِ الرازىُّ ، عن الهَيْثَمِ بنِ النُّعْمانِ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ زِيادٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : انتهَى أهلُ مكةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا : هل مِن آيةٍ نَعْرِفُ بها أنَّك رسولُ اللَّهِ ؟ فهبَطَ جبريلُ فقال : يا محمدُ ، قُلْ لأهلِ مكةَ أنْ يَحْتَفِلُوا[4] هذه الليلةَ ، فسَيَرَوْن آيةً إنِ انتفَعوا بها . فأخبَرَهم رسولُ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « سهيل » . وانظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٢٥ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وفى ا ١٥ غير واضحة . وفى م ، ص : « قد سلب » . والمثبت من الدلائل .

(٣) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٣٣ لأبى نعيم .

(٤) فى الأصل والدر المنثور : « يختلفوا » . واحتفل الشىءُ : اجتمع ، ويقال : احتفل القوم فى المكان . الوسيط (ح ف ل) .

ﷺ بمقالةِ جبريلَ ، فخَرَجوا ليلةَ الشَّقِّ ؛ ليلةَ أربعَ عَشْرَةَ ، فانشَقَّ القمرُ نِصْفَيْنْ ؛ نِصْفًا على الصَّفَا ، ونِصْفًا على المَرْوَةِ ، فنَظَروا ، ثُم قالوا بأبْصارِهم[1] فمسَحوها ، ثُم أَعادوا النظرَ فنظَروا ، ثُم مسَحوا أَعْيُنَهم ثُم نظَروا ، فقالوا : يا محمدُ ، ما هذا إلّا سحرٌ ذاهبٌ[2] فأنزَلَ اللَّهُ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

ثُم روَى[3] عن[4] الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جاءَتْ أحبارُ اليهودِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : أَرِنا آيةً حتى نُؤْمِنَ بها . فسأَل ربَّه ، فأَرَاهم القمرَ قد انْشَقَّ (٥فصارَ قمَرَين٥) ، أحدُهما على الصَّفَا ، والآخرُ على المَرْوَةِ ، قَدْرَ ما بينَ العَصْرِ إلى الليلِ ينظُرونَ إليه ، ثُم غابَ . فقالوا : هذا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ[6] .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانِيُّ[7] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عمرٍو البَزَّارُ[8] ، حدَّثَنا محمدُ بنُ يَحيى القُطَعِيُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ بكرٍ ، حدَّثَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كَسَفَ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : سَحَرَ القمَرَ . فنزَلَتْ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ

---

(١) أى نظروا مرة أخرى . قال فى النهاية ٤/ ١٢٤: والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان فتقول : قال بيده ؛ أى أخذ . وقال برجله ؛ أى مشى .

(٢) فى م ، ص : « واهب » .

(٣) أى أبو نعيم ، الدلائل (٢١٠) .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فصار نصفين » . وفى ا ١٥: « فصار فرقتين » . وفى م ، ص : « بجزئين » . والمثبت من الدلائل ، وانظر فتح البارى ٧/ ١٨٣.

(٦) فى م ، ص : « مفترى » .

(٧) المعجم الكبير (١١٦٤٢) .

(٨) فى النسخ : « الرزاز » . والمثبت من المعجم الكبير . وهو الشيخ الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو ابن عبد الخالق البصرى ، صاحب المسند . سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٥٤.

ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾. وهذا إسنادٌ جيدٌ، وفيه أنَّه كَسَفَ تلك الليلةَ، فلعلَّه حصَل له انشقاقٌ فى ليلةِ كسوفِه؛ ولهذا خَفِىَ أمْرُه على كثيرٍ مِن أهلِ الأَرضِ، (١ولعلَّ ذلك فى بعضِ ليالى الشتاءِ، حيث يكونُ أكثرُ الناسِ فى البُيُوتِ، أو سَتَرَه غَيْمٌ عن كثيرٍ مِن الأرضِ١) ومع هذا، قد شُوهِدَ ذلك فى كثيرٍ مِن بقاعِ الأرضِ، ويُقالُ: إنه أُرِّخَ ذلك فى بعضِ بلادِ الهندِ، وبُنِىَ بِناءٌ تلك الليلةَ، وأُرِّخَ بليلةِ انشقاقِ القمرِ.

وأما ابنُ عُمَرَ: فقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[٢]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بَكْرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى، قالا: حدَّثَنا أبو العباسِ الأَصَمُّ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ محمدٍ الدُّورِىُّ، حدَّثَنا وهبُ بنُ جريرٍ، عن شُعْبَةَ، عن الأَعمشِ، عن مجاهدٍ، (٣عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، فى قولِه: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾. قال: وقد كان ذلك على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، انشَقَّ فِلْقَتَيْنِ؛ فِلْقَةً مِن دونِ الجبلِ، وفِلْقَةً مِن خلفِ الجبلِ، فقال النبىُّ ﷺ: «اللهُمَّ اشْهَدْ». وهكذا رَوَاه مسلمٌ [٢/١١٣ظ] والترمذىُّ[٤] مِن طرقٍ، عن الأعمشِ، عن مجاهدٍ٣) به. قال مسلمٌ كروايةِ مجاهدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن ابنِ مسعودٍ[٥]. وقال الترمذىُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٧.

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤) مسلم (٢٨٠١). والترمذى (٣٢٨٨).

(٥) مسلم (٢٨٠٠).

وأما عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ: فقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا سفيانُ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهِدٍ، عن أبي مَعْمَرٍ، عن ابنِ مسعودٍ، قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْن، حتى نظَروا إليه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا». وهكذا أخرَجاه[2] مِن حديثِ سُفيانَ، وهو ابنُ عُيَيْنَةَ، به، ومِن حديثِ الأَعمشِ[3]، عن إبراهيمَ، عن أبي مَعْمَرٍ[4] عبدِ اللَّهِ بنِ سَخْبَرَةَ[5]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: انشَقَّ القمرُ ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى، فقال النبيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا». وذهبَتْ فِرْقَةٌ نحوَ الجبلِ. لفظُ البخاريِّ.

ثُم قال البخاريُّ[6]: وقال [7]أبو الضُّحَى[7]، عن مسروقٍ، عن عبدِ اللَّهِ: بمكةَ. وتابَعَه محمدُ بنُ مسلم، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهِدٍ، عن أبي مَعْمَرٍ، عن عبدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عنه.

وقد أَسْنَدَ أبو داودَ الطَّيَالِسِيُّ[8] حديثَ أبي الضُّحَى، عن مسروقٍ [9]ذلك في «مسندِه» فقال: ثنا أبو عَوَانَةَ، عن المُغِيرَةِ، عن أبي الضُّحَى، عن مَسْرُوقٍ[9]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالت قريشٌ: هذا سِحْرُ ابنِ أبي كَبْشَةَ. فقالوا: انْظُرُوا ما يَأْتِيكم به

---

(١) المسند ١/ ٣٧٧. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٣٦٣٦، ٤٨٦٥). ومسلم (٢٨٠٠).

(٣) البخارى (٣٨٦٩، ٣٨٧١، ٤٨٦٤). ومسلم (٢٨٠٠).

(٤) بعده في م، ص: «عن». انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٦.

(٥) في م: «سمرة».

(٦) البخارى (٣٨٦٩) تعليقا.

(٧ - ٧) في ا ١٥، م، ص: «أبو الضحاك». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢٠، ٥٢١.

(٨) مسند الطيالسى (٢٩٥).

(٩ - ٩) سقط من: م، ص.

السُّفَّارُ ، فإنَّ محمدًا لا يَستَطِيعُ أنْ يَسْحَرَ الناسَ كلَّهم . قال : فجاء السُّفّارُ فقالوا ذلك .

وقال البَيْهَقِيُّ[1] : أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو العباسِ ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ محمدٍ الدُّورِيُّ ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ سُلَيمانَ ، حدَّثَنا هُشَيْمٌ ، حدَّثَنا مُغِيرَةُ ، عن أبى الضُّحَى ، عن مَسْرُوقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ قال : انشَقَّ القمرُ بمكةَ حتى صار فِرْقَتَيْنِ ، فقال كُفَّارُ قريشٍ لأهلِ مكةَ : هذا سِحْرٌ سَحَرَكم به ابنُ أبى كَبْشَةَ ، انظُروا السُّفَّارَ ، فإنْ كانوا رأَوْا ما رأَيْتُم فقد صدَق ، وإنْ كانوا لم يَرَوْا مثلَ ما رأَيْتُم فهو سِحْرٌ سَحَرَكم به . قال : فسُئِلَ السُّفَّارُ - قال : وقَدِموا مِن كلِّ وِجْهَةٍ - فقالوا : رأَيْنا . وهكذا رواه [2]ابنُ جَرِيرٍ[3] ، مِن حديثِ المغِيرَةِ ، وزاد : فأنزَلَ اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ .

ورَوَاه[2] أبو نُعَيْمٍ[4] ، مِن حديثِ جَرِيرٍ[5] ، عن الأعمشِ ، عن أبى الضُّحَى عن مسروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ به .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا مُؤَمَّلٌ ، حدَّثَنا إسرائيلُ ، عن سِمَاكٍ ، عن إبراهيمَ ، عن الأسودِ ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال : انْشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى رأيتُ الجبلَ بينَ فُرْجَتَيِ القمرِ . وهكذا رواه ابنُ

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٢٦٦.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٥.

(٤) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل . والذى فيه حديث المغيرة عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله (٢١١، ٢١٢) .

(٥) فى م ، ص : « جابر » .

(٦) المسند ١/ ٤١٣. (إسناده صحيح) .

جَرِيرٍ[١]، مِن حديثِ أَسْبَاطٍ، عن سِمَاكٍ به.

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[٢]: حدَّثَنا أبو بكرٍ الطَّلْحِيُّ، حدَّثَنا أبو حُصَيْنٍ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الوادِعِيُّ، حدَّثَنا يَحْيى الحِمَّانيُّ، حدَّثَنا يَزِيدُ، عن عَطَاءٍ، عن سِمَاكٍ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقَمَةَ، عن عبدِ اللَّهِ قال: كنا مع النبيِّ ﷺ بِمِنًى فانشَقَّ القمرُ حتى صار فِرْقَتَيْنِ، فَتَوَارَتْ[٣] فِرْقَةٌ خلْفَ الجبلِ، فقال النبيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا».

وقال أبو نُعَيْمٍ[٤]: حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا جعفرُ بنُ محمدٍ القَلَانِسِيُّ، حدَّثَنا آدمُ بنُ أبي إِيَاسٍ، ثنا اللَّيْثُ بنُ سَعْدٍ، حدَّثَنا هشامُ بنُ سَعْدٍ، عن عُتْبَةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ، عن ابنِ مسعودٍ قال: انشَقَّ القمرُ ونحن بمكةَ، فلقد رأيتُ أحدَ شِقَّيْه على الجبلِ الذى بِمِنًى ونحن بمكةَ.

وحدَّثَنا[٥] أحمدُ بنُ إسحاقَ، حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبي عاصمٍ، حدَّثَنا محمدُ ابنُ حاتمٍ أبو سَعِيدٍ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ عَمْرٍو، عن زائدةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ قال: انشقَّ القَمَرُ بمكةَ، فرأَيْتُه فِرْقَتَيْنِ.

ثُم روَى[٦] مِن حديثِ عليِّ بنِ سعيدِ بنِ مَسْرُوقٍ، حدَّثَنا موسى بنُ عُمَيْرٍ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢٧/ ٨٥.

(٢) لم نجده فى المطبوع من مختصر الدلائل، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٣٣ لأبى نعيم. وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٠٠٩) من طريق إبراهيم به.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) لم نجده بهذا السند فى مختصر الدلائل، ولا فيما بين أيدينا من مصادر.

(٥) القائل أبو نعيم، الدلائل (٢٠٧).

(٦) أى أبو نعيم، ولم نجد هذا الحديث فى مختصر الدلائل. وقد أخرجه الطبرانى فى الكبير (٩٩٩٧) من طريق على بن سعيد به.

عن منصورِ بنِ المُعْتَمِرِ، عن زيدِ بنِ وَهْبٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ قال: رأيتُ القمرَ واللَّهِ مُنْشَقًّا باثْنَتَيْنِ، بينَهما حِرَاءُ.

ورَوَى أبو نُعَيْمٍ[1] مِن طريقِ السُّدِّيِّ الصغيرِ، عن الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: انشَقَّ القمرُ فِلْقَتَيْنِ؛ فِلْقَةٌ ذهبت، وفِلْقَةٌ بَقِيَتْ.

قال ابنُ مسعودٍ[2]: لقد [١١٤/٢و] رأَيْتُ جبلَ حِرَاءَ مِن[3] بينِ فِلْقَتَي القمرِ، فذهَبَتْ فِلْقةٌ، فتعجَّبَ أهلُ مكةَ مِن ذلك وقالوا: هذا سِحْرٌ مصنوعٌ سيَذْهَبُ.

وقال لَيْثُ بنُ أبي سُلَيْمٍ[4]، عن مجاهدٍ قال: انشَقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فصارَ فِرْقَتَيْنِ، فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ: «اشْهَدْ يا أبا بَكْرٍ». وقال المشركون: سحَر القمرَ حتى انْشَقَّ.

فهذه طُرُقٌ متعددةٌ قويةُ الأَسانيدِ، تُفِيدُ القَطْعَ لِمَن تَأَمَّلَها وعرَفَ عَدالةَ رِجالِها. وما يَذْكُرُه بعضُ القُصَّاصِ مِن أنَّ القمرَ سقَط إلى الأرضِ، حتى دخَل في كُمِّ النبيِّ ﷺ وخرَجَ مِن الكُمِّ الآخرِ، فلا أصْلَ له، وهو كَذِبٌ مُفْتَرًى ليس بصحيحٍ، والقمرُ حينَ انشَقَّ لم يُزايِلِ السماءَ، غيرَ أنَّه حينَ أشارَ إليه النبيُّ ﷺ، انشَقَّ عن إشارتِه فصارَ فِرْقَتَيْنِ، فسارَتْ واحدةٌ حتى صارَتْ مِن وراءِ حِرَاءَ، ونظَرُوا إلى الجبلِ بينَ هذه وهذه، كما أخبَرَ بذلك ابنُ مسعودٍ أنَّه

---

(١) لم نجده بهذا السند في مختصر الدلائل، وذكره الزيلعي بهذا الإسناد في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ٣٩٠، وعزاه لأبي نعيم في الدلائل.

(٢) ذكره الزمخشري في تفسيره الكشاف ٤/ ٣٦، بهذا اللفظ.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) تفسير الطبري ٢٧/ ٨٧.

شاهَدَ ذلك . وما وقَع فى روايةِ أنسٍ فى « مسندِ أحمدَ »[1] : فانشَقَّ القمَرُ بمكة مرَّتَيْنْ . فيه نظرٌ ، والظاهرُ أنَّه أرادَ فِرْقَتَيْنِ[2] . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

فى[3] وَفاةِ أبى طالبِ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ ثُم مِن بعدِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلدٍ زوجةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورَضِىَ اللَّهُ عنها

وقيل : بل هى تُوُفِّيَتْ قَبْلَه[4] . والمشهورُ الأولُ . وهما المُشْفِقَانِ ؛ هذاك فى الظاهرِ ، وهذه فى الباطنِ ، هذاك كافرٌ ، وهذه مؤمنةٌ صِدِّيقَةٌ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأَرْضاها .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ثُم إنَّ خديجةَ وأبا طالبٍ هَلَكا فى عامٍ واحدٍ ، فتَتَابَعَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ المصائبُ ، بهُلْكِ خديجةَ ، وكانت له وزيرَ صِدْقٍ على الإسلامِ[6] يَسْكُنُ إليها ، وبهُلْكِ عمِّه أبى طالبٍ ، وكان له عَضُدًا وحِرْزًا فى أمرِه ، ومَنَعَةً وناصرًا على قومِه ، وذلك قبلَ مُهاجَرِه إلى المدينةِ بثلاثِ سِنِينَ ، فلمّا هلَك أبو طالبٍ ، نالَتْ قريشٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأَذَى ما لم تَكُنْ تَطْمَعُ به فى حياةِ أبى طالبٍ ، حتى اعترَضَه سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قريشٍ ، فنثَرَ

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٣ .
(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٨٣، بعد إيراده عبارة ابن كثير هذه ، مؤكدًا كلامه : وهذا الذى لا يتجه غيره ، جمعًا بين الروايات .
(٣) سقط من : م .
(٤) ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام . جزء السيرة النبوية ص ٢٣٦، وعزاه للواقدى .
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.
(٦) فى م ، ص : « الابتلاء » .

على رأسِه ترابًا ، فحدَّثنى هِشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتَه والترابُ على رأسِه ، فقامَتْ إليه إحدى بناتِه فجعَلَتْ[1] تَغْسِلُه وتَبْكِى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا تَبْكِى يا بُنَيَّةُ ؛ فإنَّ اللَّهَ مانِعٌ أباكِ » . ويقولُ بينَ ذلك : « ما نالَتْنِى قريشٌ شيئًا أَكْرَهُه حتى ماتَ أبو طالِبٍ » .

وذَكَرَ ابنُ إسحاقَ قبلَ ذلك[2] ، أنَّ أحدَهم رُبَّما طرَح الأَذَى فى بُرْمتِه[3] ﷺ إذا نُصِبَتْ له . قال : فكان إذا فعَلُوا ذلك - كما حدَّثنى عمرُ بنُ عبدِ اللَّهِ عن عُرْوةَ - يَخْرُجُ بذلك الشيءِ على العُودِ [4]فيَقِفُ به[4] على بابِه ثُم يقولُ : « يا بنى عبدِ مَنافٍ ، أىُّ جِوَارٍ هذا ؟! » . ثُم يُلْقِيه فى الطريقِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : لمَّا اشْتَكَى أبو طالبٍ ، وبلَغ قريشًا ثِقَلُه ، قالت قريشٌ بعضُها لبعضٍ : إنَّ حمزةَ وعمرَ قد أَسْلَما ، وقد فَشَا أمرُ محمدٍ فى قبائلِ قريشٍ كلِّها ، فانطَلِقُوا بنا إلى أبى طالبٍ ، فلْيَأْخُذْ لنا على ابنِ أخيه ولْيُعْطِه مِنَّا ، فإنَّا واللَّهِ ما نَأْمَنُ أنْ يَبْتَزُّونا[6] أمْرَنا .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثَنى العبَّاسُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ ، عن بعضِ أهلِه[7] ، عن ابنِ عباسٍ قال : لمَّا مَشَوْا إلى أبى طالبٍ وكَلَّموه - وهم أشرافُ

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.
(٣) البرمة : القِدر من الحجارة . الوسيط (ب ر م) .
(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ١٥ : « فيقفه » . وفى م ، ص : « فيقذفه » . والمثبت من سيرة ابن هشام .
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٧.
(٦) يبتزونا : يسلبونا .
(٧) فى الأصل : « أهل مكة » .

قومِه؛ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، وشَيْبةُ بنُ رَبِيعَةَ، وأبو جَهْلِ بنُ هشامٍ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وأبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ - فى رجالٍ من أَشْرافِهم، فقالوا: يا أبا طالبٍ، إنَّك منا حيثُ قد عَلِمْتَ، وقد حضَرَك ما تَرَى وتَخَوَّفْنَا عليك، [٢/١١٤ظ] وقد عَلِمْتَ الذى بيننا وبينَ ابنِ أخيك، فادْعُه فخُذْ لنا منه وخُذْ له منا؛ لِيَكُفَّ عنا ولِنَكُفَّ عنه، ولِيَدَعَنا ودينَنا، ولِنَدَعَه ودينَه. فبعَث إليه أبو طالبٍ، فجاءَه فقال: يا بنَ أخى، هؤلاءِ أشرافُ قومِك قد اجْتَمَعُوا لك؛ لِيُعْطوك ولِيَأْخُذوا منك. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ[1]، كلمةٌ واحدَةٌ تُعْطُونيها تَمْلِكُون بها العربَ، وتَدِينُ لكم بها العَجَمُ». فقال أبو جَهْلٍ: نَعَمْ وأَبِيك، وعَشْرَ كلماتٍ. قال: «تقولُون: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وتَخْلَعُون ما تَعْبُدُون مِن دُونِه». قال[2]: فصَفَّقُوا بأَيْدِيهم، ثُم قالوا: يا محمدُ، أَتُرِيدُ أن تَجْعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا؟ إنَّ أمْرَك لَعَجَبٌ! قال: ثُم قال بعضُهم لبعضٍ: إنه واللَّهِ ما هذا الرجلُ بمُعْطِيكم شيئًا مما تُريدون، فانْطَلِقُوا وامْضُوا على دينِ آبائِكم، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَكم وبينَه. ثُم تفرَّقوا. قال: فقال أبو طالبٍ: واللَّهِ يا بنَ أخى، ما رأَيْتُك سألْتَهم شَطَطًا. قال: فطَمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه، فجعَل يَقولُ له: «أَىْ عَمِّ، فأنتَ فقُلْها أَسْتَحِلَّ لك بها الشفاعةَ يومَ القيامةِ». قال: فلَمَّا رأى حِرْصَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: يا بنَ أخى، واللَّهِ لولا مَخافةُ السُّبَّةِ عليك وعلى بنى أبيك مِن بَعدى، وأنْ تَظُنَّ قريشٌ أنِّى إنَّما قلْتُها جَزَعًا مِن الموتِ لَقُلْتُها، لا

---

(١) فى م: «يا عم».

(٢) سقط من: م، ص.

أَقُولُها إلّا لأَسُرَّك بها . قال : فلمّا تَقَارَبَ مِن أبى طالبٍ الموتُ[1] ، نظَر العباسُ إليه يُحَرِّكُ شَفَتَيْه ، فأَصْغَى إليه بأُذُنِه . قال : فقال : يا بنَ أخى ، واللَّهِ لقد قال أخى الكلمةَ التى أمَرْتَه أنْ يقولَها . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم أَسْمَعْ » . قال : وأنزَلَ اللَّهُ تعالى فى أولئك الرَّهْطِ ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص: ١، ٢] الآيات . وقد تَكَلَّمْنا على ذلك فى « التفسيرِ »[2] . وللَّهِ الحمدُ والمِنّةُ .

وقد استدَلَّ بعضُ مَن ذهَب مِن الشِّيعَةِ وغيرِهم مِن الغُلاةِ[3] ، إلى أنَّ أبا طالبٍ مات مُسْلِمًا بقولِ العباسِ هذا الحديثَ : يا بنَ أخى ، لقد قال أخى الكلمةَ التى أَمَرْتَه أن يقولَها . يعنى لا إلهَ إلا اللَّهُ .

والجوابُ عن هذا مِن وجوهٍ ؛ أحدُها ، أنَّ فى السَّنَدِ مُبْهَمًا لا يُعْرَفُ حالُه ، وهو قولُه : عن بعضِ أهلِه . وهذا إبْهَامٌ فى الاسمِ والحالِ ، ومثلُه يُتَوَقَّفُ فيه لو انفَرَدَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ جريرٍ[4] نحوًا مِن هذا السِّياقِ ، مِن طريقِ أبى أُسامةَ ، عن الأعمشِ ، حدَّثَنا عبَّادٌ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، (٥) عن ابنِ عباسٍ (٥) ، فذكَرَه ، ولم يَذْكُرْ قولَ العباسِ . (٦) ورواه الثورىُّ أيضًا ، عن (٦)

---

(١) سقط من : الأصل ، ١ ١٥ ، ص .

(٢) التفسير ٧/٤٣ - ٤٨.

(٣) أعيان الشيعة ٣/١/٥ .

(٤) المسند ١/٢٢٨ (إسناده صحيح) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤٣٧) ، وابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٢٥.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(١الأَعْمَشِ، عن يَحْيَى بنِ عُمارَةَ الكُوفيِّ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، فذكَرَه بغيرِ زيادةِ قوْلِ العباسِ(١). رَوَاه الترمذىُّ وحَسَّنَه، والنَّسائىُّ، وابنُ جَرِيرٍ[٢] أيضًا، ولفظُ الحديثِ مِن سِياقِ البَيْهَقِيِّ[٣]، فيما رَوَاه مِن طريقِ الثَّوْرِيِّ، عن الأَعْمَشِ، عن يَحْيَى بنِ عُمارةَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: مَرِضَ أبو طالبٍ، فجاءَتْ قريشٌ وجاءَ النبيُّ ﷺ، وعندَ رأسِ أبى طالبٍ مَجلِسُ[٤] رجلٍ، فقامَ أبو جهلٍ كى يَمْنَعَه ذاك، وشكَوْه إلى أبى طالبٍ، فقال: يا بنَ أخى، ما تُرِيدُ مِن قومِك؟ فقال: «يا عَمِّ، إنَّما أُرِيدُ منهم كلمةً تَذِلُّ لهم بِها العربُ، وتُؤَدِّى إليهم بها الجِزْيَةَ العَجَمُ، كلمةً واحدةً». قال: ما هى؟ قال: «لا إلهَ إلا اللَّهُ». قال: فقالوا: أَجَعَلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا، إنَّ هذا لشىءٌ عُجَابٌ! قال: ونزَلَ فيهم: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴾ الآياتُ إلى قولِه: ﴿ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴾ [ص: ١- ٧].

ثُم قد عارَضَه - أعنى سياقَ ابنِ إسحاقَ - ما هو أصحُّ منه، وهو ما رَوَاه البخارىُّ[٥]، رَحِمَه اللَّهُ، قائلًا: حدَّثنا محمودٌ، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، أخبرَنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِىِّ، عن ابنِ المُسَيَّبِ، عن أبيه، رَضِىَ اللَّهُ عنه، أنَّ أبا طالبٍ لمَّا حضَرَتْه الوفاةُ، دخَل عليه النبىُّ ﷺ وعندَه أبو جهلٍ، فقال: «أَىْ عَمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. كلمةً أُحاجُّ لك بها عندَ اللَّهِ». فقال أبو جَهْلٍ وعبدُ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) الترمذى (٣٢٣٢). إسناده ضعيف (ضعيف سنن الترمذى ٦٣٦). والنسائى فى الكبرى (١١٤٣٦). وابن جرير فى تفسيره ٢٣/ ١٢٥.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٥.

(٤) فى م، ص: «فجلس».

(٥) البخارى (٣٨٨٤).

ابنُ أبى أُمَيَّةَ : يا أبا طالبٍ ، تَرغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ ؟ فلم يَزالا يُكلِّمانِه ، حتى قال آخِرَ شىءٍ كَلَّمَهم به : على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ . فقال النبىُّ ﷺ : « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك » [٢/١١٥و] . فنزَلَت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة : ١١٣] . ونزَلَت : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص : ٥٦] . ورَوَاه مسلمٌ[١] عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ وعَبْدٍ[٢] ، عن عبدِ الرزَّاقِ .

وأخرَجاه[٣] أيضًا مِن حديثِ الزُّهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه بنَحْوِه ، وقال فيه : فلم يَزَلْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُها عليه ، ويَعُودانِ له بتلك المقالةِ ، حتى قال آخِرَ ما قال : هو[٤] على مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ . وأبَى أنْ يقولَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقال النبىُّ ﷺ : « أمَا لَأَسْتَغْفِرَنَّ لك ، ما لم أُنْهَ عنك » . فأنزَلَ اللَّهُ - يَعْنِى بعدَ ذلك - : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ ، ونزَل فى أبى طالبٍ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ .

وهكذا رَوَى الإمامُ أحمدُ ، ومسلمٌ ، والتِّرمِذِىُّ[٥] ، مِن حديثِ يزيدَ بنِ

---

(١) مسلم (٢٤) .

(٢) سقط من الأصل . وفى م : « عبد الله » . وهو عبد بن حميد بن نصر الكِسِّىُّ ، أبو محمد المعروف بالكَشِّىِّ . تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢٤ .

(٣) البخارى (١٣٦٠ ، ٤٧٧٢) . مسلم (٢٤) .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) بعده فى م ، ص : « والنسائى » . ولم يعزه الحافظ المزى فى تحفة الأشراف ١٠/ ٩٤ إلى النسائى ، وإنما رواه النسائى (٢٠٣٤) من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه مرفوعا . والحديث فى المسند ٢/ ٤٤١ ، ومسلم (٢٥) ، والترمذى (٣١٨٨) .

كَيْسَانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : لمَّا حضَرَتْ وفاةُ أبى طالبٍ ، أَتاه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا عَمَّاه ، قُلْ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . أَشْهَدُ لك بها يومَ القيامةِ » . فقال : لولا أنْ تُعَيِّرَنى قُريشٌ ؛ يقولونَ : ما حمَلَه عليه إلا جَزَعُ[1] المَوْتِ . لَأَقْرَرْتُ بها عَيْنَك ، ولا أقولُها إلا لأُقِرَّ بها عينَك . فأنزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ .

وهكذا قال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ[2] ، وابنُ عمرَ ، ومُجَاهِدٌ ، والشَّعْبِيُّ ، وقَتَادَةُ[3] : إنَّها نزَلَتْ فى أبى طالبٍ حينَ عرَضَ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فأَبَى أن يقولَها ، وقال : هو على مِلَّةِ الأَشياخِ . وكان آخِرَ ما قال : هو على ملةِ عبدِ المُطَّلِبِ .

ويُؤَكِّدُ هذا كلَّه ما قال البخاريُّ[4] : حدَّثَنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثَنا يَحْيَى ، عن سُفيانَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ ، حدَّثَنا العباسُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ أنَّه قال : قلتُ للنبيِّ ﷺ : ما أَغْنَيْتَ عن عَمِّك ، فإنَّه كان يَحُوطُك ويَغْضَبُ لك ![5] قال : « هو فى ضَحْضَاحٍ مِن نارٍ ، ولَوْلَا أنَا لكان فى الدَّرْكِ الأسفلِ (6) مِن النارِ (6) » . ورواه مسلمٌ فى « صحيحِه »[7] مِن طُرُقٍ عن

(١) فى م ، ص : « فزع » .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٣/٥ إلى ابن مردويه من قول ابن عباس .
(٣) تفسير الطبرى ٢٠/ ٩٢، ٩٣.
(٤) البخارى (٣٨٨٣) .
(٥) فى الأصل : « لغضبك » .
(٦ - ٦) زيادة من : الأصل .
(٧) مسلم (٢٠٩) .

عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ به .

و[1] أخرجاه فى « الصحيحَيْنِ »[2] من حديثِ اللَّيْثِ ، حدَّثنى ابنُ الهادِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ خَبَّابٍ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّه سَمِعَ النبىَّ ﷺ ، و[1] ذُكِرَ عندَه عمُّه فقال : « لعلَّه تَنْفَعُه شَفَاعَتِى يومَ القيامةِ ، فيُجْعَلَ فى ضَحْضَاحٍ مِن النارِ ، يَبْلُغُ كَعْبَيْه ، يَغْلِى منه دِماغُه » . لفظُ البخارىِّ . وفى روايةٍ[3] : « تَغْلِى منه أُمُّ دِماغِه » .

وروَى مُسلمٌ[4] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن عَفَّانَ ، عن حمادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أبى عثمانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَهْوَنُ أهلِ النارِ عذابًا أبو طالبٍ ، مُنْتَعِلٌ بنَعْلَيْنِ مِن نارٍ يَغْلِى منهما دِماغُه » .

وفى « مَغَازِى » يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ[5] : « يَغْلِى منهما دِمَاغُه حتى يَسِيلَ على قَدَمَيْه » . ذكَره السُّهَيْلِىُّ[6] .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ فى « مسندِه »[7] : حدَّثَنا عُمَرُ[8] ، هو ابنُ إسماعيلَ بنِ مُجالِدٍ ، حدَّثنا أبى ، عن مُجالِدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرٍ قال :

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٣٨٨٥) ، ومسلم (٢١٠) .

(٣) البخارى (٣٨٨٥) طبعة الشعب . وقد سقطت هذه الرواية من متن فتح البارى ، إلا أن الحافظ قد أدرجها فى شرحه للبخارى . انظر الفتح ٧/ ٥٩٤ .

(٤) مسلم (٢١٢) .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢٣ ، وفيها : « قوائمه » بدلا من « قدميه » .

(٦) الروض الأنف ٤/ ٢٨ .

(٧) عزاه الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩٥ . إلى البزار وقال : وفيه من لا أعرفه .

(٨) فى م : « عمرو » . وانظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢١/ ٢٧٤ .

سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ - أو قيلَ له - : هل نفَعْتَ أبا طالبٍ ؟ قال : « أَخْرَجْتُه مِن النارِ إلى ضَحْضَاحٍ منها » . تفرَّدَ به البزَّارُ .

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : وإنَّما لم يَقْبَلِ النبيُّ ﷺ شهادةَ العباسِ لأخيه[2] ، أنَّه قال الكلمةَ وقال : « لم أَسْمَعْ » . لأنَّ العباسَ كان إذ ذاك كافرًا غيرَ مقبولِ الشهادةِ .

قلْتُ : وعندى أنَّ الخبرَ بذلك ما صَحَّ ؛ لضَعْفِ سَنَدِه كما تقدَّمَ ، ومما يَدُلُّ على ذلك ، أنَّه سأَل النبيَّ ﷺ بعدَ ذلك عن أبى طالبٍ فذكَرَ له ما تقدَّمَ . وبتَقْدِيرِ[3] صِحَّتِه ، لعلَّه قال ذلك عندَ مُعاينَةِ المَلَكِ بعدَ الغَرْغَرةِ ، حينَ لا يَنْفَعُ نفسًا إيمانُها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال أبو داودَ الطَّيَالِسِيُّ[4] : حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سَمِعْتُ ناجِيَةَ [٢/١١٥ظ] بنَ كعبٍ ، يقولُ : سمِعْتُ عليًّا يَقولُ : لمّا تُوُفِّيَ أبى ، أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : إنَّ عمَّكَ قد تُوُفِّيَ . قال : « اذْهَبْ فَوَارِه » . فقلتُ : إنَّه ماتَ مُشْرِكًا ، فقال : « اذْهَبْ فَوَارِه ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تَأْتِيَنِى[5] » . ففعَلْتُ ثُم أَتَيْتُه ، فأمَرَنى أنْ أَغْتَسِلَ . ورَواه النَّسائيُّ[6] ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ به . ورَواه أبو داودَ ، والنَّسائيُّ[7] مِن حديثِ سُفيانَ ، عن

---

(١) الروض الأنف ٤/٢٧.

(٢) فى م : « أخيه » .

(٣) فى م : « بتعليل » .

(٤) مسند الطيالسى (١٢٠) .

(٥) فى م ، ص : « تأتى » .

(٦) النسائى (١٩٠) . صحيح (صحيح سنن النسائى ١٨٤) .

(٧) أبو داود (٣٢١٤) ، والنسائى (٢٠٠٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٧٥٣) .

أبى إسحاقَ ، عن ناجِيَةَ ، عن علىٍّ : لمّا مات أبو طالبٍ قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ عمَّك الشيخَ الضالَّ قد ماتَ ، فمَن يُوارِيه ؟ قال : « اذْهَبْ فَوَارِ أباك ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تَأْتِيَنِى » . فأتَيْتُه ، فأمَرَنِى فاغتَسَلْتُ ، ثُم دعَا لى بدعَواتٍ ، ما يَسُرُّنِى أنَّ لى بهنَّ ما على الأرضِ مِن شىءٍ .

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[1] : أخبرَنا أبو سعدٍ المالِينِىُّ ، حدَّثنا أبو أحمدَ بنُ عَدِىٍّ ، حدَّثنا محمدُ بنُ هارونَ بنِ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ أبى رِزْمَةَ ، حدَّثنا الفَضْلُ ، عن إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ النبىَّ ﷺ عارَضَ جِنازَةَ أبى طالبٍ[2] فقال : « وَصَلَتْكَ رَحِمٌ وجُزِيتَ خيرًا يا عَمِّ » . قال[1] : ورُوِىَ عن أبى اليَمانِ الهَوْزَنِىِّ ، عن النبىِّ ﷺ مُرْسَلًا . وزادَ : ولم يَقُمْ على قبرِه . قال : وإبراهيمُ بنُ عبدِ الرحمنِ هذا هو الخُوارِزْمِىُّ ، تَكَلَّموا فيه .

قلتُ : قد روَى عنه غيرُ واحدٍ ؛ منهم الفضلُ بنُ موسَى السِّينَانىُّ[3] ، ومحمدُ بنُ سَلّامٍ البِيكَنْدِىُّ ، ومع هذا قال ابنُ عَدِىٍّ[4] : ليس بمعروفٍ ، وأحاديثُه عن كلِّ مَن روَى عنه ليست بمستقيمةٍ .

وقد قَدَّمْنا ما كان يَتَعَاطاه أبو طالبٍ مِن المحامَاةِ ، والمُحَاجَّةِ ، والمُمانَعةِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والدفعِ عنه وعن أصحابِه ، وما قاله فيه من المَمَادِحِ والثناءِ ،

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩.

(٢) فى م ، ص : « عاد من » . وعارض جنازة أبى طالب : أى أتاها معترضا من بعض الطريق ولم يتبعه من منزله . النهاية ٣/ ٢١١.

(٣) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « الشيبانى » . انظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(٤) الكامل ١/ ٢٥٩.

وما أظْهَرَ له ولأصحابِه مِن المودةِ والمحبةِ والشفقةِ فى أشعارِه التى أسلفْناها ، وما تَضمَّنَتْه مِن العيبِ والتَّنقُّصِ لمَن خالَفَه وكذَّبه ، بتلك العبارةِ الفصيحةِ ، البليغةِ ، الهاشميةِ ، المُطَّلِبيَّةِ ، التى لا تُدانَى ولا تُسامَى ، ولا يُمكِنُ عربيًّا مُقارَبَتُها[1] ولا مُعارَضتُها ، وهو فى ذلك كلِّه يَعْلَمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صادقٌ بارٌّ راشدٌ ، ولكنْ مع هذا لم يُؤْمِنْ قلبُه . وفَرْقٌ بينَ علمِ القلبِ وتصديقِه ، كما قرَّرْنا ذلك فى شرحِ كتابِ الإيمانِ مِن « صحيحِ البخاريِّ » ، وشاهدُ ذلك قولُه تعالى[2] : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] . وقال تَعالى فى قومِ فِرْعَونَ[3] : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: ١٤] . وقال موسى لفرعونَ[4] : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢] . وقولُ بعضِ السَّلَفِ فى قولِه تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٢٦] : إنَّها نَزَلَتْ فى أبى طالبٍ ، حيث كان يَنْهَى الناسَ عن أذيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ويَنْأَى هو عمَّا جاءَ به الرسولُ مِن الهُدَى ودينِ الحقِّ ، فقد رُوِىَ عن ابنِ عباسٍ ، والقاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ ، وحَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، وعَطَاءِ ابنِ دِينَارٍ ، ومحمدِ بنِ كعبٍ ، وغيرِهم[5] ، وفيه نظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

والأظهرُ - واللَّهُ أعلمُ - الروايةُ الأخْرَى عن ابنِ عباسٍ[6] : وهم يَنْهَوْنَ

---

(١) فى ا ١٥: « مقاومتها » .

(٢) التفسير ١/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) التفسير ٦/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) التفسير ٥/ ١٢٤.

(٥) روى الطبرى فى تفسيره ١٧٣/٧ هذه الأقوال ، إلا قول محمد بن كعب ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/٣ إلى تفسير ابن أبى حاتم .

(٦) تفسير الطبرى ٧/ ١٧٢.

الناسَ عن محمدٍ أنْ يُؤْمِنوا به . وبهذا قال مُجاهِدٌ ، وقَتادةُ ، والضَّحَّاكُ ، وغيرُ واحدٍ ، وهو اختيارُ ابنِ جَرِيرٍ[1] . وتوجيهُه ؛ أنَّ هذا الكلامَ سِيقَ لتمامِ ذَمِّ المُشْرِكين ، حيثُ كانوا يَصُدُّون الناسَ عن [2]اتِّباعِ الحقِّ[2] ، ولا يَنْتَفِعون هم أيضًا به ؛ ولهذا قال[3] : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٢٥ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ [٢/ ١١٦و] عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦] . وهذا اللفظُ وهو قولُه : ﴿ وَهُمْ ﴾ يَدُلُّ على أنَّ المرادَ بهذا جماعةٌ ، وهم المذكورونَ في سياقِ الكلامِ ، وقولُه : ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يَدُلُّ على تمامِ الذَّمِّ ، وأبو طالبٍ لم يَكُنْ بهذه المثابةِ ، بل كان يَصُدُّ الناسَ عن أذيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه مِن فَعالٍ ومقالٍ ، ونفسٍ ومالٍ ، ولكن مع هذا لم يُقَدِّرِ اللَّهُ له الإيمانَ ؛ لِمَا له تعالى في ذلك مِن الحكمةِ العظيمةِ ، والحجةِ القاطعةِ البالغةِ الدامغةِ ، التي يَجِبُ الإيمانُ بها والتسليمُ لها ، ولولا ما نَهانا اللَّهُ عنه مِن الاستغفارِ لِلْمُشركينَ ، لاسْتَغْفَرْنا لأبي طالبٍ وتَرَحَّمْنا عليه .

فصلٌ

في وفاةِ خَدِيجَةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ وذكرِ شيءٍ مِن فضائلِها ومناقِبِها ، رَضِيَ اللَّهُ عنها[4] وأَرْضاها ، وجعَل جناتِ الفِرْدَوْسِ مُنْقَلَبَها ومَثْواها ، وقد فعَل ذلك لا

---

(١) روى الطبرى هذا القول فى تفسيره ٧/ ١٧٢، ١٧٣ عن قتادة وغيره واختاره ، ولم يذكر قولى مجاهد والضحاك ، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٢.

(٢ - ٢) فى م ، ص : « اتباعه » .

(٣) التفسير ٣/ ٢٤١ - ٢٤٣.

(٤) فى م : « عنه » .

محالةَ ، بِخَبَرِ الصادقِ المصدوقِ ، حيثُ بَشَّرَها ببيتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[1] : حدَّثَنا أبو صالحٍ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، حدَّثَنى عُقَيْلٌ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : قال عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ : وقد كانت خديجةُ تُوُفِّيَتْ قبلَ أنْ تُفرَضَ الصلاةُ .

ثم روَى[2] مِن وجهٍ آخَرَ ، عن الزُّهْرِىِّ أنَّه قال : تُوُفِّيَتْ خديجةُ بمكةَ[3] ، قبلَ خروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، وقبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلاةُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : ماتَتْ خديجةُ وأبو طالبٍ فى عامٍ واحدٍ .

وقال البَيْهَقِىُّ[5] : بَلَغَنى أنَّ خديجةَ تُوُفِّيَتْ بعدَ موتِ أبى طالبٍ بثلاثةِ أيامٍ ، ذكَرَه [6]أبو عبدِ اللَّهِ[6] بنُ مَنْدَه فى كتابِ « المَعْرِفَةِ » ، وشَيْخُنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ . قال البَيْهَقِىُّ[7] : وزعَم الواقِدِىُّ أنَّ خديجةَ وأبا طالبٍ ماتا قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سِنِينَ ، عامَ خَرَجوا مِن الشِّعْبِ ، وأنَّ خديجةَ تُوُفِّيَتْ قبلَ أبى طالبٍ بخمسٍ وثلاثينَ ليلةً .

قلتُ : مُرَادُهم ؛ قبلَ أنْ تُفْرَضَ الصلواتُ الخمسُ ليلةَ الإسْراءِ ، وكان

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨.

(٢) المصدر السابق .

(٣) سقط من : ا ١٥.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢٧، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(٦ - ٦) فى ا ١٥: « أبو عبيد الله » ، وفى م ، ص : « عبد الله » . وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، أبو عبد الله . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨.

(٧) دلائل النبوة ٣/ ٣٥٣.

الأنسبَ بنا أنْ نَذْكُرَ وفاةَ أبى طالبٍ وخديجةَ قبلَ الإسراءِ، كما ذكَرَه البيهقىُّ وغيرُ واحدٍ، ولكن أَخَّرْنا ذلك عن الإسراءِ لِمَقْصِدٍ سَتَطَّلِعُ[1] عليه بعدَ ذلك، فإنَّ الكلامَ به يَنْتَظِمُ ويَتَّسِقُ السياقُ[2]، كما تَقِفُ على ذلك إنْ شاءَ اللَّهُ.

وقال البخارىُّ[3]: حدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حدَّثَنا محمدُ بنُ فُضَيْلِ بنِ غَزْوَانَ، عن عُمَارَةَ، عن أبى زُرْعَةَ، عن أبى هُرَيْرةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، قال: أَتَى جبريلُ النبىَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذه خديجةُ قد أَتَتْ معها إناءٌ فيه إِدَامٌ - أو طعامٌ، أو شرابٌ - فإذا هى أَتَتْكَ، فاقْرَأْ عليها السَّلامَ مِن ربِّها ومِنِّى، وبَشِّرْها ببيْتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ. وقد رَواه مُسْلِمٌ[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ فُضَيْلٍ به.

وقال البخارىُّ[5]: حدَّثَنا مُسَدَّدٌ، حدَّثَنا يَحْيَى، عن إسماعيلَ، قال: قلتُ لعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى، رَضِىَ اللَّه عنهما: بَشَّرَ النبىُّ ﷺ خديجةَ؟ قال: نعَمْ، ببيتٍ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ. ورَواه البخارىُّ أيضًا، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ[6]، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به.

قال السُّهَيْلِىُّ[7]: وإنما بَشَّرَها ببيتٍ فى الجنةِ مِن قَصَبٍ - يعنى: قَصَبَ اللؤلؤِ - لأنَّها حازَتْ قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمانِ، لا صخَبَ فيه ولا نصَبَ؛ لأنَّها لم تَرْفَعْ صوتَها على النبىِّ ﷺ، ولم تُتْعِبْه يومًا مِن الدهرِ، فلم تَصْخَبْ

---

(١) فى الأصل: «سيطلع»، وفى ا ١٥: «يستطلع».

(٢) فى م، ص: «الباب».

(٣) البخارى (٣٨٢٠).

(٤) مسلم (٢٤٣٢).

(٥) البخارى (٣٨١٩).

(٦) البخارى (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣).

(٧) الروض الأنف ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦.

عليه يومًا، ولا آذَتْه أبدًا.

وأخرَجاه في «الصحيحين»[1] مِن حديثِ هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِيَ اللَّهُ عنها، أنَّها قالَتْ: ما غِرْتُ على امرأةٍ للنبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجةَ - وهَلَكَتْ قبلَ أنْ يَتزَوَّجَنِي - لِمَا كنتُ أَسْمَعُه يَذْكُرُها، وأَمَرَه اللَّهُ أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ[2] مِن قَصَبٍ، وإنْ كان لَيَذْبَحُ الشاةَ فيُهْدِي في خَلَائِلِها منها ما يَسَعُهن. لفظُ البخاريِّ. [١١٦/٢ظ] وفي لفظٍ له[3] عن عائشةَ: ما غِرْتُ على امرأةٍ ما غِرْتُ على خديجةَ؛ مِن كَثْرَةِ ذكرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إيَّاها. قالت[4]: وتزوَّجَني بعدَها[5] بثلاثِ سِنِينَ، وأمَرَه ربُّه، عزَّ وجلَّ - أو جبريلُ، عليه السلامُ - أنْ يُبَشِّرَها ببيتٍ في الجنةِ مِن قَصَبٍ. وفي لفظٍ له[6] قالت: ما غِرْتُ على أحدٍ مِن نساءِ النبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجةَ، وما رأَيْتُها، ولكنْ كان يُكْثِرُ ذِكْرَها، ورُبَّما ذبَحَ الشاةَ ثُم يُقَطِّعُها أعضاءً، ثُم يَبْعَثُها في صَدَائقِ خديجةَ، فربَّما قُلْتُ له[7]: كأنَّه لم يَكُنْ في الدُّنْيا امرأَةٌ إلَّا خديجةُ! فيقولُ: «إنَّها كانت وكانت، وكان لي مِنها ولدٌ».

ثُم قال البخاريُّ[8]: حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ خَلِيلٍ، أخبَرَنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، رَضِيَ اللَّهُ عنها، قالت: استَأْذَنَتْ

---

(١) البخاري (٣٨١٦) ورواه مختصرا في (٧٤٨٤)، ومسلم (٢٤٣٥).

(٢) بعده في م، ص: «في الجنة».

(٣) البخاري (٣٨١٧).

(٤) سقط من: م.

(٥) أي بعد وفاتها، كما سيأتي.

(٦) البخاري (٣٨١٨).

(٧) سقط من: م، ص.

(٨) البخاري (٣٨٢١).

هالةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ أختُ خديجةَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعرَف استئذانَ خديجةَ، فارتاعَ فقال: «اللَّهُمَّ هَالَةَ». قالت: فغِرْتُ، فقلتُ: ما تَذْكُرُ مِن عَجُوزٍ مِن عجائزِ قريشٍ، حمراءِ الشِّدْقَيْنِ[1]، هَلَكَتْ فى الدَّهرِ، قد أَبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها. وهكذا روَاه مسلمٌ[2] عن سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ، عن عليِّ بنِ مُسْهِرٍ به.

وهذا ظاهرٌ فى التقريرِ على أنَّ عائشةَ خيرٌ مِن خديجةَ؛ إما فَضْلًا وإما عِشْرَةً، [3]إِذْ لم يُنْكِرْ[3] عليها، ولا رَدَّ عليها ذلك، كما هو ظاهرُ سِياقِ البخاريِّ، رَحِمَه اللَّهُ.

ولكنْ قال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا مُؤَمَّلٌ أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا حمّادٌ - هو ابنُ سَلَمَةَ - عن عبدِ الملكِ - هو ابنُ عُمَيْرٍ - عن موسَى بنِ طَلْحةَ، عن عائشةَ قَالَتْ: ذكَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومًا خديجةَ، فأَطْنَبَ فى الثَّناءِ عليها، فأَدْرَكَنى ما يُدْرِكُ النساءَ مِن الغَيْرَةِ، فقلتُ: لقد أَعْقَبَكَ اللَّهُ يا رسولَ اللَّهِ مِن عجوزٍ مِن عجائزِ قريشٍ حمراءِ الشِّدْقَيْنِ. قالت[5]: فتَغَيَّرَ وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ تغيرًا لم أَرَه تَغَيَّرَ عندَ شيءٍ قَطُّ، إلَّا عندَ نزولِ الوحيِ، أو عندَ المَخِيلَةِ[6]، حتى يَعْلَمَ؛ رَحْمةٌ أو عذابٌ؟

---

(1) قال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٧/ ١٤٠: والذى يتبادر أن المراد بالشدقين ما فى باطن الفم، فكَنَتْ بذلك عن سقوط أسنانها، حتى لا يبقى داخل فمها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها، وبهذا جزم النووى وغيره. انتهى.

(2) مسلم (٢٤٣٧).

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ١٥: «إذ لم يُكَنّ»، وفى م: «إذا لم ينكر».

(4) المسند ٦/ ١٥٤.

(5) فى م: «قال».

(6) المخيلة: السحابة التى تخالها ماطرة لرعدها وبرقها. الوسيط (خ ى ل).

وكذا رَوَاه[(١)] عن بَهْزِ بنِ أَسَدٍ وعثمانَ بنِ مُسْلِمٍ ، كِلاهما عن حمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن عبدِ الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ به ، وزادَ بعدَ قولِه : حمراءِ الشِّدْقَيْنِ : هَلَكَتْ في الدهرِ الأَوَلِ . قالت[(٢)] : فتمَعَّرَ وجهُه تَمَعُّرًا ما كنتُ أَراه إلا عندَ نزولِ الوَحْيِ ، أو عندَ المَخِيلةِ حتى يَنْظُرَ ؛ [(٣)]أَرَحْمَةٌ أم عذابٌ[(٣)] ؟ تفرَّدَ به أحمدُ ، وهذا إسنادٌ جيدٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[(٤)] : [(٥)]ثنا عليٌّ[(٥)] بنُ إسحاقَ ، أخبَرَنا [(٦)]عبدُ اللَّهِ ، أخبرنا[(٦)] مُجَالِدٌ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن مَسْرُوقٍ ، عن عائشةَ قالت : كان النبيُّ ﷺ إذا ذكَر خديجةَ ، أَثْنَى عليها بأحسنِ الثَّناءِ . قالت : فغِرْتُ يومًا ، فقلتُ : ما أكثَرَ ما تَذْكُرُها ، حمراءَ الشِّدْقِ[(٧)] ، قد أبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها . قال : « ما أَبْدَلَنى اللَّهُ خيرًا منها ، قد آمَنَتْ بى إذْ كفَر بى الناسُ ، وصَدَّقَتْنِى إذْ كذَّبَنِى الناسُ[(٨)] ، وواسَتْنى[(٩)] بمالِها إذْ حَرَمَنى الناسُ ، ورزَقَنى اللَّهُ وَلَدَها إذ حَرَمَنى أولادَ النِّساءِ » . تفرَّدَ به أحمدُ أيضًا ، وإسنادُه لا بأسَ به ، ومجالدٌ روَى له مسلمٌ مُتابَعَةً ، وفيه كلامٌ مشهورٌ . واللَّهُ أعلمُ .

ولعلَّ هذا - أَعْنِى قولَه : « ورزَقَنى اللَّهُ ولدَها إذْ حرَمَنى أولادَ النِّساءِ » -

---

(١) المسند ٦/ ١٥٠. دون قولها : الأول .

(٢) فى م : « قال قال » ، وفى ص : « قال » .

(٣ - ٣) فى م ، ص : « رحمة أو عذابًا » .

(٤) المسند ١١٧/٦، ١١٨. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٢٤: إسناده حسن .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وفى م ، ص : « عن » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى النسخ : « الشدقين » ، والمثبت من المسند .

(٨) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٩) فى ١ ١٥، م ، ص : « آستنى » .

كان قبلَ أنْ يُولَدَ إبراهيمُ بنُ النبيِّ ﷺ مِن ماريَةَ ، وقَبْلَ مَقْدَمِها بالكُلِّيةِ ، وهذا مُتَعَيِّنٌ ، فإنَّ جميعَ أولادِ النبيِّ ﷺ - كما تقدَّمَ[1] وكما سيأْتِى - مِن خديجةَ ، إلا إبراهيمَ ، فمِن ماريَةَ القِبْطِيةِ المصريةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها . وقد استَدَلَّ بهذا الحديثِ جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ على تفضيلِ خديجةَ على عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأرْضاهما ، وتَكَلَّمَ آخَرون فى إسنادِه ، وتأوَّله آخرون على أنَّها كانت خيرًا عِشْرَةً ، وهو مُحْتَمِلٌ أو ظاهِرٌ ، وسببُه أنَّ عائشةَ سَمَتْ[2] بشبابِها وحُسْنِها وجميلِ عِشْرتِها ، وليس مرادُها بقولِها : قد أبْدَلَكَ اللَّهُ خيرًا منها . أنَّها تُزَكِّى نفسَها وتُفَضِّلُها [٢/١١٧و] على خديجةَ ، فإنَّ هذا أمرٌ مَرْجِعُه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، كما قال : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] . وقال تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ الآيةَ [النساء: ٤٩] .

وهذه مسألةٌ وقَع النزاعُ فيها بينَ العُلماءِ قديمًا وحديثًا ، [3]وتجاذَبَها طَرَفا نَقيضٍ ؛ أهلُ التَّشَيُّعِ[3] وغيرُهم لا يَعْدِلُون بخديجةَ أحدًا مِن النساءِ ؛ لسلامِ الربِّ عليها ، وكونِ ولدِ النبيِّ ﷺ جميعِهم - إلا إبراهيمَ - منها ، وكونِه لم يَتزَوَّجْ عليها حتى ماتَتْ ؛ إكرامًا لها ، وتَقَدُّمِ[4] إسْلامِها ، وكونِها مِن الصِّديقاتِ ، ولها مَقامُ صِدْقٍ فى أولِ البِعْثَةِ ، وبذلَتْ نفسَها ومالَها لرسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) تقدم فى ٣/٤٦٣ - ٤٦٥.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « تمت » .

(٣ - ٣) فى م : « وبجانبها طرفا يقتصر عليها أهل الشيع » ، وفى ص : « وبجانبها طرفا نقيض أهل الشيع » .

(٤) فى م ، ص : « تقدير » .

وأما أهلُ السنةِ؛ فمنهم مَن يَغْلُو أيضًا، ويُثْبِتُ لكلٍّ واحدةٍ[1] منهما مِن الفضائلِ ما هو معروفٌ، ولكن تَحْمِلُهم قوةُ التَّسَنُّنِ على تفضيلِ عائشةَ؛ لكونِها ابنةَ الصِّدِّيقِ، ولكونِها أَعْلَمَ مِن خديجةَ، فإنَّه لم يَكُنْ في الأمَمِ مِثْلُ عائشةَ في حفظِها، وعلمِها، وفصاحتِها، وعقلِها، ولم يَكُنِ الرسولُ ﷺ يُحِبُّ أحدًا مِن نسائِه كمَحَبَّتِه إياها[2]، ونزَلَتْ براءَتُها مِن فوقِ سبعِ سَمَاواتٍ، وروَتْ بعدَه عنه، عليه السَّلامُ، علمًا جمًّا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، حتى قد ذكَر كثيرٌ مِن الناسِ الحديثَ المشهورَ: «خُذوا شَطْرَ دينِكم عن الحُمَيْرَاءِ»[3].

والحقُّ أن كلًّا منهما لها مِن الفضائلِ ما لو نظَرَ الناظرُ فيه لبَهَرَه وحَيَّرَه، والأحسنُ التوقفُ في ذلك، [4]ورَدُّ عِلْمِ ذلك[4] إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ، ومَن ظهَرَ له دليلٌ يَقْطَعُ به، أو يَغْلِبُ على ظنِّه في هذا البابِ، فذاك الذي يَجِبُ عليه أنْ يقولَ بما عندَه مِن العلمِ، ومَن حصَلَ له تَوَقُّفٌ في هذه المسألةِ أو في غيرِها، فالطريقُ الأَقْوَمُ والمَسْلَكُ الأسلمُ أنْ يقولَ: اللَّهُ أعلمُ.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ، والبخاريُّ، ومسلمٌ، والتِّرْمِذيُّ، والنَّسائيُّ[5] مِن

---

(١) زيادة من: م، ص.

(٢) بعده في ا ١٥: «وأباها».

(٣) ذكره المصنف، رحمه الله، في تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب ص ١٧٠ وقال: حديث غريب جدا، بل هو منكر، سألت عنه شيخنا أبا الحجاج المزى فلم يعرفه، وقال: لم أقف له على سند إلى الآن. وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: هو من الأحاديث الواهية التي لا يعرف لها إسناد.

وقال ابن القيم، رحمه الله، في المنار المنيف ص ٢٣: وكل حديث فيه «يا حميراء» أو ذكر «الحميراء» فهو كذب مختلق. وانظر كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٣٧٤.

(٤ - ٤) سقط من: م، ص.

(٥) تقدم تخريجه في ٢/ ٤٢٥.

(1 طُرُقٍ ، عن 1) هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ نسائِها مَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ ، وخيرُ نسائِها خَدِيجَةُ بنْتُ خُوَيْلِدٍ » . أى ، خيرُ نِساءِ[2] زمانِها .

ورَوَى شُعبةُ ، عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ ، عن أبيه قُرَّةَ بنِ إِيَاسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ مِن الرجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ مِن النساءِ إلَّا ثَلَاثٌ ؛ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ ، وآسِيَةُ امرأةُ فرعونَ ، وخَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وفضلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . روَاه ابنُ مَرْدَوَيْهِ فى « تفسيرِه » ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى شُعْبَةَ[3] ، وبعدَه . قالوا : والقَدْرُ المُشْتَرَكُ بينَ هذه الثلاثِ نِسْوَةٍ ؛ آسيةَ ، ومريمَ ، وخديجةَ ، أَنَّ كُلًّا مِنهنَّ كَفَلَتْ نَبِيًّا مُرْسَلًا ، وأحْسَنَتِ الصُّحْبَةَ فى كفالتِها ، وصَدَّقَتْه ؛ فآسِيَةُ رَبَّتْ موسى ، وأحْسَنَتْ إليه ، وصَدَّقَتْه حينَ بُعِثَ ، ومَرْيَمُ كفَلَتْ ولدَها أَتَمَّ كَفالةٍ وأَعْظَمَها ، وصدَّقَتْه حينَ أُرْسِلَ ، وخديجةُ رَغِبَتْ فى تَزْوِيجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بها ، وبذَلَتْ فى ذلك أموالَها كما تقدَّمَ ، وصدَّقَتْه حينَ نزَل عليه الوحىُ مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقولُه : « وفَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . هو ثابتٌ فى « الصحيحين »[4] ، مِن طريقِ شُعْبَةَ أيضًا ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ الطيِّبِ الهَمْدَانىِّ ، عن أبى موسى الأَشْعَرِىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كَمُلَ

(1 - 1) فى م ، ص : « طريق » .

(2) سقط من : م ، ص .

(3) ذكره المصنف فى تفسيره 2/ 32. وعزاه لابن مردويه فى تفسيره ، من طريق شعبة به .

(4) تقدم تخريجه فى 2/ 431.

مِن الرِّجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ مِن النساءِ إلَّا آسِيَةُ امرأةُ فِرْعَوْنَ ، ومَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ ، وإنَّ فضلَ عائشَةَ على النساءِ كفضلِ الثَّرِيدِ على سائرِ الطعامِ » . والثَّرِيدُ : هو الخبزُ واللحمُ جميعًا ، وهو أفخرُ طعامِ العربِ ، كما قال بعضُ الشعراءِ[1] :

[٢/١١٧ظ] إذا ما الخبزُ تَأْدِمُه بلحمٍ فـذاكَ أمـانـةَ الـلَّـهِ الـثَّـرِيـدُ

ويَحتمِلُ قولُه : « وفضلُ عائِشَةَ على النساءِ » . أن يَكونَ عامًّا[2] ، فيَعُمَّ النساءَ المذكوراتِ وغيرَهن ، ويحتَمِلُ أن يَكونَ عامًّا[3] فيما عَداهُنَّ ، ويَبْقَى الكَلامُ فيها وفيهن موقوفًا يَحْتَمِلُ التسويةَ بينَهن ، فيَحْتاجُ مُرَجِّحُ[4] واحدةٍ منهنَّ على غيرِها إلى دليلٍ مِن خارجٍ ، واللَّهُ أعلمُ[5] .

فصلٌ

في تزويجِه ﷺ بعدَ خديجةَ ، [6]رَضِيَ اللَّهُ عنها ، بعائشةَ بنتِ الصِّدِّيقِ وسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما[6] .

والصحيحُ أنَّ عائشةَ تزوَّجَها أوَّلًا لِمَا سيَأْتِي ؛ قال البخاريُّ في بابِ تزويجِ عائشةَ[7] : حدَّثَنا مُعَلَّى بنُ أَسَدٍ ، حدَّثَنا وُهَيْبٌ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لها : « أُرِيتُكِ في المنامِ مَرَّتَين ؛ أَرَى أنَّكِ في

---

(١) البيت من غير نسبة في كتاب سيبويه ٣/ ٦١، ٤٩٨ واللسان (أدم) .
(٢) في ا ١٥ ، م ، ص : « محفوظا » .
(٣) في الأصل : « مخصوصا » .
(٤) في الأصل : « بمرجح » ، وفي م ، ص : « من رجح » .
(٥) وانظر في تفصيل هذه المسألة ما تقدم في ٢/٤٢٥ - ٤٣٦ .
(٦ - ٦) سقط من : « م » .
(٧) البخاري (٣٨٩٥) .

سَرَقَةٍ[1] مِن حريرٍ ، ويقولُ[2] : هذه امرأتُكَ ، فاكْشِفْ عنها . فإذا هى أنتِ ، فأقُولُ : إنْ يَكُ هذا مِن عندِ اللَّهِ ، يُمْضِه » .

وقال البخاريُّ : بابُ نِكاحِ الأَبْكَارِ[3] : وقال ابنُ أبى مُلَيْكَةَ : قال ابنُ عباسٍ لعائشةَ : لَمْ يَنْكِحِ النبيُّ ﷺ بِكْرًا غيرَكِ . حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنى أخى ، عن سُليمانَ بنِ بِلالٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ لو نزَلْتَ واديًا وفيه شجرةٌ قد أُكِلَ منها ، ووجَدْتَ شجرةً لم يُؤْكَلْ منها ، فى أَيِّها كنتَ تُرْتِعُ بعيرَك ؟ قال : « فى التى لم يُرْتَعْ منها » . تَعْنِى ، أنَّ النبىَّ ﷺ لم يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غيرَها . انفرَدَ به البخارىُّ .

ثُم قال[4] : حدَّثَنا عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، حدَّثَنا أبو أُسامَةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيتُكِ فِى المنامِ (٥مرَّتين ، إذا رجلٌ يَحمِلُكِ فى سَرَقَةِ حريرٍ ، فيقولُ : هذه امرأتُك . فأَكْشِفُها ، فإذا هى أنتِ ، فأقولُ : إن يَكُنْ هذا مِن عندِ اللَّهِ ، يُمْضِه » . ورَواه مسلمٌ[6] مِن طريقِ هشامِ بنِ عروةَ به .

ورواه البخاريُّ فى بابِ النظرِ إلى المرأةِ قبلَ التزويجِ[7] ، ثنا مُسَدَّدٌ ، ثنا حمّادُ بنُ زيدٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيتُكِ فى المنامِ٥) يَجِىءُ بكِ المَلَكُ فى سَرَقَةٍ مِن حريرٍ فقال لى :

---

(١) سرقة : قطعة .
(٢) أى الملك .
(٣) البخارى (٥٠٧٧) .
(٤) البخارى (٥٠٧٨) .
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) مسلم (٢٤٣٨) .
(٧) البخارى (٥١٢٥) .

هذه امرأتُك . فكَشَفْتُ عن وَجْهِكِ الثوبَ فإذا أنتِ هى ، فقلتُ : إنْ يَكُ هذا مِن عندِ اللَّهِ يُمْضِه » . وفى رِوايةٍ[(١)] : « أُرِيتُكِ فى المنامِ ثلاثَ ليالٍ » . وعندَ الترمذىِّ[(٢)] أنَّ جبريلَ جاءَه بصورتِها فى خِرْقَةٍ مِن حريرٍ خضراءَ ، فقال : هذه زَوْجَتُك فى الدُّنْيا والآخِرَةِ .

وقال البخارىُّ[(٣)] : بابُ[(٤)] تزويجِ الصغارِ مِن الكِبارِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ يُوسُفَ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن يَزِيدَ ، عن عِرَاكٍ ، عن عُرْوَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب عائشةَ إلى أبى بَكْرٍ ، فقال له أبو بَكْرٍ : إنَّما أنا أخوك . فقال : « أنتَ أخى فى دِينِ اللَّهِ وكتابِه ، وهى لى حلالٌ » . هذا الحديثُ ظاهرُ سياقِه كأنَّه مُرْسَلٌ ، وهو عندَ البخارىِّ والمُحَقِّقِينَ مُتَّصِلٌ ؛ لأنَّه مِن حديثِ عُرْوَةَ ، عن عائشةَ رَضِىَ اللَّهُ عنها ، وهذا مِن أفرادِ البخارىِّ ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقال يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[(٥)] ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : تَزَوَّجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عائشةَ بعدَ مَوْتِ خديجةَ بثلاثِ سِنِينَ ، وعائشةُ يومَئِذٍ ابنةُ سِتِّ سِنِينَ ، وبَنَى بها وهى ابنةُ تِسْعٍ ، وماتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعائشةُ ابنةُ ثمانِىَ عَشْرَةَ سنةً . وهذا غريبٌ .

وقد روَى البُخارىُّ[(٦)] ، عن عُبَيْدِ بنِ إسماعيلَ ، [١١٨/٢و] عن أبى أُسامةَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : تُوُفِّيَتْ خديجةُ قبلَ مَخْرَجِ النبىِّ ﷺ

---

(١) مسلم (٢٤٣٨) .
(٢) الترمذى (٣٨٨٠) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٤١) .
(٣) البخارى (٥٠٨١) .
(٤) زيادة من : الأصل .
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤١٠ . من طريق يونس بن بكير به .
(٦) البخارى (٣٨٩٦) .

بثلاثِ سِنينَ ، فلَبِثَ سنتينْ ، أو قريبًا مِن ذلك ، ونكَح عائشةَ وهى بنتُ سِتٍّ سِنِينَ ، ثُم بَنَى بها وهى بنتُ تِسْعِ سِنِينَ . وهذا الذى قاله عُرْوَةُ مُرْسَلٌ فى ظاهرِ السياقِ كما قدَّمْنا ، ولكنَّه فى حُكْمِ المتصلِ فى نفسِ الأمرِ . وقولُه : تزوَّجَها وهى ابنةُ سِتٍّ سِنِين ، وبَنَى بها وهى ابنةُ تِسْعٍ . ما لا خِلافَ فيه بينَ الناسِ ، وقد ثبَتَ فى « الصِّحاحِ » وغيرِها . وكان بِناؤُه بها ، عليه السلامُ ، فى السنةِ الثانيةِ مِن الهجرةِ إلى المدينةِ .

وأمّا كَوْنُ تزويجِها كان بعدَ موتِ خديجةَ بنحوٍ مِن ثلاثِ سِنِينَ ، ففيه نظرٌ ؛ فإنَّ يعقوبَ بنَ سُفْيانَ الحافظَ قال[1] : حدَّثَنا الحجَّاجُ ، حدَّثَنا حمّادٌ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تزوَّجَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ مُتوفَّى خديجةَ ، قبلَ مَخْرَجِه مِن مكةَ ، وأنا ابنةُ سَبْعٍ - أو سِتٍّ - سِنين ، فلمّا قدِمْنا المدينةَ ، جاءَنى نِسْوَةٌ وأنا أَلْعَبُ فى أُرْجُوحَةٍ وأنا مُجَمَّمَةٌ[2] ، فهَيَّأْنَنِى وصَنَعْنَنِى ، ثُم أَتَيْنَ بى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا ابنةُ تِسْعِ سِنِينَ . فقولُه فى هذا الحديثِ : « مُتَوَفَّى خديجةَ » يَقْتَضِى أنَّه على أثرِ ذلك قريبًا ، اللهمَّ إلا أنْ يَكونَ قد سقَط مِنَ النُّسْخَةِ : بعدَ مُتَوَفَّى خديجةَ . فلا يَنْفِى ما ذكَره يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ وأبو أُسامةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيهِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخارىُّ[3] : حدَّثَنا فَرْوَةُ بنُ أبى المَغْرَاءِ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ مُسْهِرٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تَزَوَّجَنِى النبىُّ ﷺ وأنا بنتُ

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٦٨. طبعة مطبعة الإرشاد .

(٢) مجممة : أى ذات جُمَّة ، والجمة : هى ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين . الوسيط (ج م م) .

(٣) البخارى (٣٨٩٤، ٥١٥٦، ٥١٦٠) .

سِتُّ سِنِينَ، فقَدِمْنا المدينةَ، فنزَلْنا فى بنى الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فوُعِكْتُ فتَمَزَّقَ شَعْرِى فَوَفَى[1] لى جُمَيْمةً، فأَتَتْنى أمى أمُّ رُومَانَ - وإنِّى لفى أُرْجوحةٍ ومعى صواحبُ لى - فصَرَخَتْ بى، فأَتَيْتُها ما أَدْرِى ما تُرِيدُ بى[2] فأَخَذَتْ بيَدِى، حتى أوقَفَتْنى على بابِ الدارِ، وإنِّى لَأَنْهَجُ حتَّى سكَن بعضُ نَفَسِى، ثُم أخذتْ شيئًا مِن ماءٍ فَمَسَحَتْ[3] به وَجْهِى ورأْسِى، ثُم أَدْخَلَتْنى الدارَ، فإذا نسوةٌ مِن الأَنصارِ فى البيتِ، فقُلْنَ: على الخيرِ والبركةِ، وعلى خيرِ طائرٍ. فأَسْلَمَتْنى إليهنَّ، فأصلَحْنَ مِن شَأْنِى، فلَمْ يَرُعْنِى إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ ضُحًى، فأَسْلَمْنَنى إليه، وأنا يومَئِذٍ بنتُ تِسْعِ سِنِينَ.

وقال الإمامُ أحمدُ فى «مُسْنَدِ عائشةَ أمِّ المؤمِنِينَ[4]»: حدَّثَنا محمدُ بنُ بِشْرٍ[5]، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَمْرٍو، ثنا[6] أبو سَلَمَةَ ويَحْيَى قالا: لمَّا هلكَتْ خديجةُ، جاءَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ امرأةُ عثمانَ بنِ مَظْعُونٍ، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، أَلَا تَزَوَّجُ؟ قال: «مَنْ»؟ قالت: إن شِئْتَ بِكْرًا، وإنْ شِئْتَ ثَيِّبًا. قال: «فمَنِ البكرُ؟» قالت: ابنةُ[7] أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إليك، عائشةُ ابنةُ أبى بَكْرٍ. قال:

---

(١) فى الأصل: «ولى»، وفى م، ص: «وقد وفت لى». قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢٤: فوفى: أى كثر، وفى الكلام حذف تقديره: ثم فصلت من الوعك فتربى شعرى فكثر.

(٢) فى الأصل، م: «منى».

(٣) فى م: «فمست».

(٤) المسند ٦/ ٢١٠، ٢١١. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٢٧: رواه أحمد، بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) بعده فى م، ص: «حدثنا بشر».

(٦) سقط من: م، ص.

(٧) سقط من: م، ص.

« ومَنِ الثَّيِّبُ ؟ » قالت : سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، قد آمَنَتْ بك واتَّبَعَتْك [(١] على ما تقولُ [١)] . قال : « فاذْهَبِى فاذْكُرِيهما علىَّ » . فدخَلَتْ بيتَ أبى بكرٍ فقالت : يا أُمَّ رُومَانَ ، ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكم مِن الخيرِ والبركةِ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عليه عائشةَ . قالت : انْتَظِرِى أبا بكرٍ حتى يَأْتِىَ . فجاءَ أبو بكرٍ فقالت [(٢)] : يا أبا بكرٍ ، ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكم مِن الخيرِ والبركةِ ! قال : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عليه عائشةَ . قال : وهل تَصْلُحُ له ؟! إنَّما هى ابنةُ أخيه . فرجَعَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَرَتْ ذلك له ، قال : « ارْجِعِى إليه فقولِى له : أنا أخُوكَ وأنتَ أخى فى الإسلامِ ، وابنتُك تَصْلُحُ لى » . فرجَعَتْ فذكَرَت ذلك له قال : انتَظِرى . وخرَج . قالت أمُّ رُومَانَ : إنَّ مُطْعِمَ بنَ عَدِىٍّ قد كان ذكَرَها على ابنِه ، وواللَّهِ ما وعَدَ [(٣)] وعدًا قطُّ فأخْلَفَه - [(٤] لأبى بكرٍ [٤)] - فدَخَلَ أبو بكرٍ على مُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، وعندَه امْرَأَتُه أمُّ الفتَى [(٥)] . فقالت : يا بنَ أبى قُحَافَةَ ، لَعلَّك مُصْبٍ صاحِبَنا مُدْخِلُه فى دينِك الذى أنتَ عليه إن تَزَوَّجَ إليك ؟ فقال أبو بكرٍ للمُطْعِمِ ابنِ عَدِىٍّ : أَقَوْلَ هذه تقولُ [(٦)] ؟ قال [(٧)] : إنَّها تَقولُ ذلك . فخرَج مِن عندِه ، وقد أَذْهَبَ اللَّهُ ما كان [٢/١١٨ظ] فى نفسِه مِن عِدَتِه التى وعَدَه ، فرجَعَ فقال لخَوْلَةَ : ادْعِى لى رسولَ اللَّهِ ﷺ . فدَعَتْه ، فزوَّجَها إياه ، وعائشةُ يومَئذٍ بنتُ

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) فى م : « فقلت » .

(٣) بعده فى م : « أبو بكر » . والضمير فى (وعد) يعود إلى مطعم بن عدى .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) فى النسخ : « الصبى » ، والمثبت من المسند .

(٦) فى م ، ص : « يقول » .

(٧) سقط من : م ، ص .

سِتِّ سِنينَ ، ثُم خرجَتْ فدخلَتْ علىَّ سَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ فقالت : ماذا أَدْخَلَ اللَّهُ عليكِ مِن الخيرِ والبركةِ ! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أَرْسَلَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عليه[1] . قالت : وَدِدْتُ ، ادخُلِى إلى أبى[2] فاذْكُرِى ذلك له . وكان شيخًا كبيرًا قد أَدْرَكَه السِّنُّ ، قد تَخَلَّفَ عن الحَجِّ ، فدخَلَتْ عليه ، فحَيَّتْه[3] بتحيَّةِ الجاهليةِ ، فقال : مَن هذه ؟ قالت : خَوْلَةُ بنتُ حَكِيم . قال : فما شأْنُك ؟ قالت : أَرْسَلَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ أَخْطُبُ عليه سَوْدَةَ . فقال : كفؤٌ كريمٌ ، ماذا تقولُ صاحبتُكِ ؟ قالت[4] : تُحِبُّ ذاك . قال : ادْعِيها لى . فدعَتْها ، قال : أىْ بُنَيَّةُ ، إنَّ هذه تَزْعُمُ أنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ قد أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ وهو كفؤٌ كريمٌ ، أَتُحِبِّينَ أنْ أُزَوِّجَك به ؟ قالت : نَعَمْ . قال : ادْعِيه لى . فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فزوَّجَها إياه ، فجاء أخوها عبدُ بنُ زَمْعَةَ مِن الحَجِّ ، فجعَل[5] يَحْثِى فى رأسِه الترابَ ، فقال بعدَ أنْ أَسْلَمَ : لَعَمْرُك إنِّى لَسفيهٌ يومَ أَحْثِى فى رَأْسى الترابَ ؛ أنْ تَزَوَّجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَةَ بنتَ زَمْعَةَ . قالت عائشةُ : فقَدِمْنا المدينةَ ، فنزَلْنا فى بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ فى السُّنْحِ[6] . قالت : فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل بَيْتَنا ، واجتمَعَ إليه رِجالٌ مِن الأنصارِ ونساءٌ ، فجاءَتْنى أمى ، وإنِّى لَفى أُرْجوحةٍ بينَ عَذْقَيْن تَرَجَّحُ بى ، فأنزلَتْنى مِن الأُرْجوحةِ ، ولى جُمَيمةٌ ففَرَقَتْها ، ومسَحَتْ وَجْهى بشىءٍ مِن ماءٍ ، ثُم أَقْبَلَتْ تَقُودُنى ، حتى

---

(١) فى م ، ص : « إليه » .

(٢) فى م ، ص : « أبى بكر » .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فحييته » .

(٤) فى م : « قال » .

(٥) فى م ، ص : « فجاء » .

(٦) السنح : قيل : هو موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث بن الخزرج . اللسان (س ن ح) .

وقفَتْ بى عندَ البابِ ، وإنّى لأَنْهَجُ حتى سكَن مِن نَفَسِى ، ثُم دخلَتْ بى ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ على سَريرٍ فى بيتِنا ، وعندَه رجالٌ ونساءٌ مِن الأنصارِ ، فأجْلَسَتْني فى حُجْرَةٍ[1] ثُم قالت : هؤلاء أهلُكَ فبارَكَ اللَّهُ لكَ فيهم ، وبارَكَ لهم فيكَ . فوثَب الرجالُ والنساءُ فخرَجوا ، وبَنَى بى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بيتِنا ، ما نُحِرَتْ علىَّ جَزُورٌ ، ولا ذُبِحَتْ علىَّ شاةٌ ، حتى أَرْسَلَ إلينا سعدُ بنُ عُبَادَةَ بجَفْنَةٍ ، كان يُرْسِلُ بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ إذا دارَ إلى نسائِه ، وأنا يومَئِذٍ ابنةُ تِسْعِ سِنِينَ .

وهذا السِّياقُ كأنَّه مُرْسَلٌ ، وهو مُتَّصِلٌ ؛ لِما روَاه البَيْهَقِيُّ[2] ، مِن طريقِ أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ الأَوْدِيُّ[3] ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو ، عن يَحْيَى بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ ، قال : قالت عائشةُ : لمّا ماتَتْ خديجةُ ، جاءَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ [4]إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[4] ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أَلَا تَزَوَّجُ ؟ قال : « ومَن ؟ » قالت : إنْ شئتَ بِكْرًا وإنْ شِئْتَ ثَيِّبًا . قال : « ومَن البِكْرُ ومَن الثَّيِّبُ ؟ » قالت : أمّا البِكْرُ فابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إليك عائشةُ[5] ، وأما الثيِّبُ فسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ ، قد آمَنَتْ بك واتَّبَعَتْك . قال : « فاذْكُرِيهما علىَّ » . وذكَر تمامَ الحديثِ نحوَ ما تقدَّمَ . وهذا يَقْتَضِى أنَّ عقدَه على عائشةَ كان مُتَقَدِّمًا على تزويجِه بسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ ، ولكنَّ دخولَه على سَوْدَةَ كان بمكةَ ، وأما دخولُه على عائشةَ ، فتأخَّرَ إلى المدينةِ فى السنةِ الثانيةِ ،

---

(١) فى المطبوع من المسند : « حجره » . وانظر مجمع الزوائد ، والفتح الربانى ٢٠/ ٢٣٨.

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤١١.

(٣) فى م ، ص : « الأزدى » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من الدلائل.

(٥) سقط من : م ، ص .

كما تقدَّمَ وكما سيأْتى .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثَنا أَسْوَدُ ، حدَّثَنا شَرِيكٌ ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا كبِرَتْ سَوْدَةُ وهَبَتْ يومَها لى ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لى بيومِها مع نسائِه . قالت : وكانت أولَ امرأةٍ تزوَّجَها بَعْدى[(٢)] .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثَنا عبدُ الحميدِ ، [(٤)] حدَّثَنى شَهْرٌ[(٤)] ، حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَب امرأةً مِن قومِه يُقالُ لها : [١١٩/٢و] سَوْدَةُ[(٥)] . وكانت مُصْبِيَةً ، كان لها خمسةُ صِبْيَةٍ - أو سِتَّةٌ - مِن بَعْلٍ لها مات ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما يَمْنَعُكِ منِّى ؟ » . قالت : واللَّهِ يا نبىَّ اللَّهِ ، ما يَمْنَعُنى منك أنْ لا تَكونَ أحبَّ البَرِيَّةِ إلىَّ ، ولكنِّى أُكْرِمُكَ أنْ يَضْغُوَ[(٦)] هؤلاء الصبيةُ عندَ رأسِك بُكْرةً وعَشِيَّةً . قال : « فهل مَنَعَكِ منى شىءٌ[(٧)] غيرُ ذلك ؟ » قالت : لا واللَّهِ . قال لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُكِ اللَّهُ ، إنَّ خيرَ نساءٍ رَكِبْنَ أَعْجازَ الإبلِ صالِحُ نساءِ قريشٍ ؛ أَحْنَاه على ولدٍ فى صِغَرِه ، وأَرْعَاهُ على بَعْلٍ بذاتِ يدِه » .

قلتُ : وكان زوجَها قبلَه ، عليه السَّلامُ ، السَّكْرَانُ بنُ عَمْرٍو ، أخو سُهَيْلِ

---

(١) المسند ٦/ ٦٨.

(٢) كذا بالنسخ ، والذى فى المسند : « بعدها » .

(٣) المسند ١/ ٣١٨، ٣١٩. (إسناده صحيح) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، وفى ا ١٥ : « حدثنى بهز » .

(٥) قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٤/ ٢٩٢٥ : سودة هذه غير سودة بنت زمعة أم المؤمنين ، لم يعرف نسبها ؛ ولذلك ترجمها الحافظ فى الإصابة ٧٢٢/٧ باسم « سودة القرشية » .

قلت : وكذا فعل ابن الأثير قبله . انظر أسد الغابة ٧/ ١٥٩.

(٦) فى م ، ص : « يمنعوا » . ويضغو : يصيح ويضج .

(٧) سقط من : م ، ص .

ابنِ عَمْرٍو، وكان مِمَّن أسْلَمَ وهاجَرَ إلى الحبشةِ. كما تقدَّمَ[1]، ثُم رجَع إلى مكةَ فمات بها قبلَ الهجرةِ، رضِيَ اللَّهُ عنه.

فهذه السياقاتُ كلُّها دَالَّةٌ على أنَّ العقدَ على عائشةَ كان مُتَقَدِّمًا على العقدِ بسَوْدَةَ، وهو قولُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ، ورَوَاه يُونُسُ عن الزُّهْرِيِّ، واختارَ ابنُ عبدِ البَرِّ أنَّ العقدَ على سَوْدَةَ قبلَ عائشةَ[2]، وحكَاه عن قتادةَ وأبي عُبَيْدَةَ[3]. قال[4]: ورَوَاه عُقَيْلٌ عن الزُّهْرِيِّ[5].

فصلٌ: قد تقدَّمَ ذكرُ موتِ أبي طالبٍ[6] عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأنَّه كان ناصرًا له، وقائمًا في صَفِّه، ومدافعًا عنه بكلِّ ما يَقْدِرُ عليه؛ مِن نفسٍ، ومالٍ، وفَعالٍ، فلمَّا ماتَ، اجْتَرَأَ سفهاءُ قُرَيْشٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ونالوا منه ما لم يَكونوا يَصِلُون إليه، ولا يَقْدِرُون عليه.

كما قد رَوَاه البَيْهَقِيُّ[7]، عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّغَانيُّ[8]، حدَّثَنا يوسُفُ بنُ بُهْلُولٍ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ، عمَّن حدَّثَه، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) تقدم في صفحة ١٧١.

(٢) انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٦٧.

(٣) في الأصل، م، ص: «عبيد».

(٤) أي ابن عبد البر.

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) تقدم في صفحة ٣٠٥- ٣١٥.

(٧) دلائل النبوة ٢/ ٣٥٠.

(٨) في النسخ: «الصنعاني». والمثبت من الدلائل. قال السمعاني في الأنساب ٣/ ٥٤٢: هذه النسبة إلى بلاد مجتمعة وراء نهر جيحون، يقال لها: جغانيان وتعرب فيقال لها: الصغانيان،... والنسبة إليها: الصغاني والصاغاني، والمشهور بهذه النسبة أبو بكر محمد بن إسحاق بن جعفر. وانظر ترجمته في تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

جَعْفَرٍ قال : لمَّا مات أبو طالبٍ عَرَضَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ سَفِيهٌ مِن سُفَهاءِ قريشٍ ، فألْقَى عليه ترابًا ، فرجَع إلى بيتِه ، فأتَتِ امرأةٌ مِن بناتِه تَمْسَحُ عن وجهِه الترابَ وتَبْكِي ، فجعَل يقولُ : « أىْ بُنَيَّةُ ، لا تَبْكِينَّ ، فإنَّ اللَّهَ مانِعٌ أباكِ » . ويقولُ ما بينَ ذلك : « ما نالَتْ قَريشٌ شيئًا أَكْرَهُه حتى ماتَ أبو طالبٍ »[1] . وقد رَوَاه زِيادٌ البَكَّائيُّ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[2] ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، مُرْسَلًا . فاللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[3] أيضًا ، عن الحاكمِ وغيرِه ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « ما زالَتْ قريشٌ كاعَّينَ عنى[4] حتى ماتَ أبو طالبٍ » . ثُم رَواه[5] عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن عباسٍ الدُّورِيِّ ، عن يَحْيَى بنِ مَعِينٍ ، حدَّثَنا عُقْبَةُ المُجَدَّرُ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ عن النبيِّ ﷺ قال : « ما زالتْ قريشٌ كاعَّةً[6] حتى تُوُفِّىَ أبو طالبٍ » .

وقد رَوَى الحافظُ أبو الفَرَجِ بنُ الجَوْزِيِّ[7] بسندِه ، عن ثعلبةَ بنِ صُعَيْرٍ وحَكِيمِ بنِ حِزَامٍ ، أنَّهما قالا : لمَّا تُوُفِّىَ أبو طالبٍ وخديجةُ - وكان بينَهما [8]شهرٌ و[8] خمسةُ أيامٍ - اجْتَمَعَتْ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مُصِيبَتَانِ ، فلَزِمَ بيتَه ،

---

(١) بعده فى م : « ثم شرعوا » .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٦.
(٣) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩.
(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص . والكاعة : جمع كاعٍّ ، وهو الجبان . النهاية ٤/ ١٨٠.
(٥) دلائل النبوة ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠.
(٦) بعده فى الدلائل : « عنى » .
(٧) المنتظم ٣/ ١١، ١٢.
(٨ - ٨) سقط من النسخ . وأثبتناه من المنتظم .

وأَقَلَّ الخُروجَ ، ونالَتْ منه قريشٌ ما لم تَكُنْ تَنالُ ولا تَطْمَعُ فيه ، فبلَغ ذلك أبا لهبٍ ، فجاءه فقال : يا محمدُ ، امْضِ لِمَا أَرَدْتَ ، وما كنتَ صانعًا إذ كان أبو طالبٍ حَيًّا فاصْنَعْه ، لا واللاتِ ، لا يُوصَلُ إليكَ حتى أَموتَ . وسَبَّ ابنُ الغَيْطَلَةِ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأقْبَلَ إليه أبو لهبٍ فنالَ منه ، فوَلَّى يَصِيحُ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، صَبَأَ أبو عُتْبَةَ . فأَقْبَلَتْ قريشٌ حتى وقَفوا على أبى لهبٍ ، فقال : ما فارَقْتُ دينَ عبدِ المُطَّلِبِ ، ولكنِّى أَمْنَعُ ابنَ أخى أنْ يُضَامَ حتى يَمْضِىَ لِمَا يُريدُ . فقالوا : قد أحْسَنْتَ ، وأَجْمَلْتَ ، ووصَلْتَ الرَّحِمَ . فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ كذلك أيامًا يَأْتِى ويَذْهَبُ ، لا يَعْرِضُ له أحدٌ مِن قريشٍ ، وهابوا أبا لهبٍ ، إلى أنْ جاءَ عُقبةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ وأبو جهلٍ [٢/١١٩ظ] إلى أبى لهبٍ فقالا له : أَخْبَرَكَ ابنُ أخيك أينَ مَدْخَلُ أبيك ؟ فقال له أبو لهبٍ : يا محمدُ ، أينَ مَدْخَلُ عبدِ المُطَّلِبِ ؟ قال : « مع قومِه » . فخرَجَ إليهما فقال : قد سأَلْتُه فقال : « مع قومِه » . فقالا : يَزْعُمُ أنَّه فى النارِ . فقال : يا محمدُ ، أيَدْخُلُ عبدُ المُطَّلِبِ النارَ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ومَن ماتَ على ما ماتَ عليه عبدُ المُطَّلِبِ دخَل النارَ » . فقال أبو لهبٍ - لَعَنَه اللَّهُ - : واللَّهِ لا بَرِحْتُ لك إلّا عدُوًّا أبدًا وأنت تَزْعُمُ أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ فى النارِ . واشتَدَّ عندَ ذلك أبو لهبٍ وسائرُ قُرَيْشٍ عليه .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وكان النَّفَرَ الذين يُؤْذُونَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى بيتِه ؛ أبو لهبٍ ، والحكَمُ بنُ أبى العاصِ بنِ أُمَيَّةَ ، وعُقْبَةُ بنُ أبى مُعَيْطٍ ، وعَدِىُّ بنُ الحَمْراءِ ، وابنُ الأَصداءِ الهُذَلِىُّ ، وكانوا جيرانَه ، لَمْ يُسْلِمْ مِنهم أحدٌ إلّا الحكمُ ابنُ أبى العاصِ ، وكان أحدُهم - فيما ذُكِرَ لى - يَطْرَحُ عليه رَحِمَ الشاةِ وهو يُصَلِّى ، وكان أحدُهم يَطْرَحُها فى بُرْمَتِه إذا نُصِبَتْ له ، حتى اتَّخَذَ رسولُ اللَّهِ

(١) سيرة ابن هشام ١/٤١٥، ٤١٦.

ﷺ حِجْرًا[1] يَسْتَتِرُ به منهم إذا صلَّى ، فكان إذا طرَحوا شيئًا مِن ذلك ، يَحمِلُه على عُودٍ ثم يَقِفُ به على بابِه ، ثُم يقولُ : « يَا بَنِى عبدِ مَنافٍ ، أىُّ جِوَارٍ هَذَا ؟! » . ثُم يُلْقِيه فى الطريقِ .

قلت : وعندِى أنَّ غالبَ ما رُوِىَ مما تقدَّمَ - مِن طَرْحِهم سَلَى الجَزورِ بينَ كَتِفَيْه وهو يُصَلِّى ، كما روَاه ابنُ مسعودٍ[2] ، وفيه أنَّ فاطمةَ جاءَتْ فطَرَحَتْه عنه ، وأقبَلَتْ عليهم فَشَتَمَتْهم ، ثُم لمَّا انصرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَعا على سبعةٍ مِنهم كما تقدَّمَ ، وكذلك ما أخْبَرَ به عبدُ اللَّهِ[3] بنُ عمرِو بنِ العاصِ مِن خَنْقِهم له ، عليه السّلامُ ، خَنْقًا شديدًا حتى حال[4] دونَه أبو بكرٍ الصدِّيقُ قائلًا : أَتَقْتُلُونَ رجلًا أنْ يقولَ : رَبِّىَ اللَّهُ . وكذلك عزْمُ أبى جَهْلٍ ، لعَنَه اللَّهُ ، على أنْ يَطَأَ على عُنُقِه وهو يُصَلِّى ، فَحِيلَ بينَه وبينَ ذلك[5] ، وما أشْبَهَ ذلك - كان بعدَ وفاةِ أبى طالبٍ ، واللَّهُ أعلمُ ، فذِكْرُها هـٰهنا أنْسَبُ وأشْبَهُ .

---

(١) الحِجْر : كلُّ ما حَجَرْته من حائط . اللسان (ح ج ر) .
(٢) تقدم حديث ابن مسعود فى صفحة ١١٣ .
(٣) تقدم فى صفحة ١١٧ .
(٤) فى الأصل : « قام » .
(٥) تقدم فى ١١٠- ١١٢ .

فصلٌ فى ذَهابِه ﷺ إلى أهلِ الطّائِفِ، يَدْعُوهم إلى اللهِ (١)تعالى، وإلى نُصْرَةِ دينِه، فرَدُّوا عليه ذلك، ولم يَقْبَلُوه منه، فرجَع عنهم إلى مكةَ(١)

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : فلمّا هَلَك أبو طالبٍ نالَتْ قريشٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأَذَى ما لم تَكُنْ تَنالُه[٣] مِنه فى حياةِ عمِّه أبى طالبٍ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ، يَلْتَمِسُ مِن ثَقِيفٍ النُّصْرَةَ والمَنَعَةَ بهم مِن قومِه، ورجَاءَ أنْ يَقْبلوا منه ما جاءَهم به مِن اللَّهِ تعالى، فخرَج إليهم وحدَه، فحدَّثَنى يَزِيدُ بنُ أبى زِيادٍ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظِيِّ، قال: لمّا[٤] انتَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الطائفِ، عَمَدَ إلى نَفَرٍ مِن ثَقِيفٍ، هم سادةُ ثَقِيفٍ وأشرافُهم، وهم إِخوةٌ ثلاثةٌ: عبدُ يَالِيلَ، ومسعودٌ، وحَبِيبٌ، بنو عَمْرِو بنِ عُمَيْرِ بنِ عَوْفِ بنِ عُقْدَةَ ابنِ غِيَرَةَ بنِ عَوْفِ بنِ ثَقِيفٍ، وعندَ أحدِهم امرأةٌ مِن قريشٍ مِن بنى جُمَحَ، فجلَس إليهم، فدَعاهم إلى اللَّهِ، وكَلَّمَهم بما[٥] جاءَهم له مِن نُصْرتِه على

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١٩.

(٣) فى م، ص: «نالته».

(٤) سقط من: م، ص.

(٥) فى الأصل، م، ص: «لما».

الإسلامِ ، والقيامِ معه على مَن خالفَه مِن قومِه ، فقال أحدُهم : هو يَمْرُطُ[1] ثيابَ الكعبةِ إنْ كان اللَّهُ أرْسَلَكَ . وقال الآخرُ : أمَا وجَد اللَّهُ أحدًا أرْسَلَه غيْرَك ؟ وقال الثالثُ : واللَّهِ لا أُكَلِّمُك أبدًا ؛ لَئِن كُنْتَ رَسولًا مِن اللَّهِ كما تَقولُ ، لَأنْتَ أعْظَمُ خَطَرًا مِن أنْ أَرُدَّ عليك الكلامَ ، ولَئِن كنتَ تَكْذِبُ على اللَّهِ ، ما يَنْبَغِى لى أنْ أُكَلِّمَك . فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عندِهم ، وقد يَئِسَ مِن خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وقد قال لهم - فيما ذُكِرَ لى - : « إنْ فعَلْتُمْ ما فعَلْتُم ، [٢/ ١٢٠و] فاكْتُمُوا علىَّ » . وكَرِهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَبْلُغَ قومَه عنه فيُذْئِرَهم[2] ذلك عليه ، فلم يَفْعَلوا ، وأَغْرَوْا به سفهاءَهم وعبيدَهم ؛ يَسُبُّونَه ويَصِيحُون به ، حتى اجتَمَع عليه الناسُ وأَلْجَئُوه إلى حائطٍ لِعُتْبَةَ بنِ ربيعةَ وشَيْبَةَ بنِ ربيعةَ ، وهما فيه ، ورجَع عنه مِن سفهاءِ ثَقِيفٍ مَن كان يَتْبَعُه ، فعَمَدَ إلى ظِلِّ حَبَلَةٍ[3] مِن عِنَبٍ ، فجلَس فيه ، وابنا رَبيعةَ يَنْظُرانِ إليه ، ويَرَيانِ ما لَقِىَ مِن سفهاءِ أهلِ الطائفِ - وقد لَقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما ذُكِرَ لى ، المرأةَ التى مِن بنى جُمَحَ ، فقال لها : « ماذا لَقِينا مِن أحمائِك ! » - فلمَّا اطْمَأَنَّ قال ، فيما ذُكِرَ لى : « اللهُمَّ إليك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى ، [4]وقِلَّةَ حِيلَتِى[4] ، وهوَانِى على الناسِ ، يا أرحمَ الراحِمِين ، أنتَ ربُّ المُستَضْعَفِين وأنتَ ربِّى ، إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِى[5] ، أم إلى عدُوٍّ مَلَّكْتَه أمْرِى ؟ إنْ لم يَكُنْ بك غضبٌ علىَّ فلا أُبالى ، ولكِنَّ عافيَتَك هى أَوْسَعُ لى ، أَعُوذُ بنورِ وَجْهِك الذى أَشْرَقَتْ له الظلماتُ ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدُّنْيا

---

(١) مرط يمرُط : جمع . تاج العروس (م ر ط) . يعنى ينزع ثياب الكعبة .

(٢) أذأره على فلان : جرَّأه وأغضبه .

(٣) الحَبَلة : طاقٌ من قضبان الكَرْم ، والحَبَل : شجر العنب ، واحدتُه حَبَلة . اللسان (ح ب ل) .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) يتجهمنى : أى يلقانى بالغلظة والوجه الكريه . النهاية ١/ ٣٢٣ .

والآخِرَةِ ، مِن أنْ تُنْزِلَ بى غضبَك ، أو تُحِلَّ علىَّ سَخَطَك ، لك العُتْبَى[1] حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلّا بك » .[2] هكذا أَوْرَدَ ابنُ إسحاقَ فى كتابِه « السيرةِ » هذا الدعاءَ مِن غيرِ إسنادٍ ، بل ذكَرَه مُعَلَّقًا بصيغةِ البلاغِ ، فقال : فيما ذُكِرَ لى .

وقد روَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] ، فى ترجمةِ القاسمِ بنِ اللَّيْثِ الرَّسْعَنِىِّ ، شيخِ النَّسائىِّ والطَّبَرانِىِّ وغيرِ واحدٍ ، بسنَدِه مِن حديثِه ، حدَّثنى محمدُ بنُ أبى صَفْوانَ الثَّقَفِىُّ ، حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَرِيرِ بنِ حازمٍ ، حدَّثَنا أبى ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ ، قال : لمّا تُوُفِّىَ أبو طالبٍ ، خرَج النبىُّ ﷺ إلى الطائفِ ماشيًا على قدَمَيْه . قال : فدَعاهم إلى الإسلامِ ، فلم يُجِيبُوه ، فانْصَرَف إلى ظِلِّ شجرةٍ فصَلَّى ركعَتَين ، ثم قال : « اللهُمَّ إليك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتى ، وقِلَّةَ حِيلَتى ، وهَوَانِى على الناسِ ، أرحمَ الراحِمِين ، أنتَ أرحمُ بى ، إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى عدُوٍّ يَتَجَهَّمُنى ، أمْ إلى قريبٍ مَلَّكْتَه أمرى ؟ إن لم تَكُنْ غضبانَ علىَّ فلا أُبالِى ، غيرَ أنَّ عافِيَتَك هى أوسعُ لى ، أَعُوذُ بنورِ وجهِك الذى أَشْرَقَتْ له الظلماتُ ، وصلَح عليه أمرُ الدُّنْيا والآخرةِ ، مِن أنْ تُنْزِلَ بى غضبَك ، أو تُحِلَّ علىَّ سَخَطَك ، لك العُتْبَى حتى تَرْضَى ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك »[2] .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فلمَّا رآه ابنا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ وما لَقِىَ ، تحرَّكَتْ له

---

(١) العتبى : الرضا .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ١٥ .

(٣) تاريخ دمشق ١٤/ ٣٥٥، ٣٥٦ مخطوط .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢١.

رَحِمُهما ، فدعَوَا غُلامًا لهما نصرانِيًّا يُقالُ له : عَدَّاسٌ . فقالا له : خُذْ قِطْفًا مِن هذا العِنَبِ ، فضَعْه فى هذا الطبقِ ، ثُم اذْهَبْ به إلى ذلك الرجلِ ، فقُلْ له يَأْكُلْ منه . ففعَل عَدَّاسٌ ، ثُم ذهَب به حتى وضَعه بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم قال له : كُلْ . فلمَّا وضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه فيه قال : « بِسْمِ اللَّهِ » . ثُم أكَل ، فنظَرَ عَدَّاسٌ فى وجهِه ثُم قال : واللَّهِ إنَّ هذا الكلامَ ما يَقولُه أهلُ هذه البلادِ ! فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ومِن أهلِ أىِّ بلادٍ أنت يا عدَّاسُ ؟ وما دِينُك ؟ » قال : نَصْرانىٌّ ، وأنا رجلٌ مِن أهلِ نِينَوَى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِن قريةِ الرجلِ الصالحِ يُونُسَ بنِ مَتَّى ؟ » فقال له عَدَّاسٌ : وما يُدْرِيك ما يُونُسُ بنُ مَتَّى ؟! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبىٌّ » . فأَكَبَّ عَدَّاسٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رأسَه ويَدَيه وقدَمَيه . قال : يقولُ ابنا[1] ربيعةَ أحدُهما لصاحبِه : أمَّا غلامُك فقد أفسَدَه عليك ! فلمَّا جاءهما عَدَّاسٌ قالا له : ويْلَك يا عَدَّاسُ ، ما لك تُقَبِّلُ رأسَ هذا الرجلِ ويَدَيه وقدَمَيه ؟ قال : يا سيِّدى ، ما فى الأرضِ شىءٌ خيرٌ مِن هذا ، لقد أخْبَرَنى بأمرٍ ما يَعْلَمُه إلَّا نبىٌّ . قالا له : وَيْحَك يا عَدَّاسُ لا يَصْرِفَنَّك عن دينِك ، فإنَّ دينَك خيرٌ مِن دينِه .

وقد ذكَرَ موسَى بنُ عُقْبَةَ[2] نَحْوًا مِن هذا السياقِ ، إلَّا أنَّه لم يَذْكُرِ الدعاءَ وزادَ : وقعَد له أهلُ الطائفِ صَفَّيْنِ على طريقِه ، فلمَّا مَرَّ جعَلوا لا يَرْفَعُ رِجْلَيْه ولا يَضَعُهما إلَّا رَضَخوهما بالحِجارةِ ، حتى أَدْمَوْه ، فخلَصَ منهم وهما يَسِيلان الدماءَ ، فعَمَدَ إلى ظلِّ حَبَلَةٍ[3] وهو مكروبٌ ، وفى ذلك الحائطِ عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا

---

(١) فى م ، ص : « أبناء » .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٤١٤ - ٤١٦ . من طريق موسى بن عقبة .

(٣) فى النسخ : « نخلة » ، والمثبت من الدلائل .

رَبيعةَ ، فكَرِهَ مكانَهما ؛ لِعداوتِهما اللَّهَ ورسولَه . ثُم ذكَرَ قصةَ عَدَّاسٍ النَّصْرانىِّ كنحوِ ما تقدَّمَ .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا مَرْوَانُ بنُ مُعاويةَ الفَزَارِىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ الطائفىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ خالدِ بنِ أبى جَبَلٍ العَدْوانىِّ ، عن أبيه ، أنه أبْصَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى مَشْرِقِ ثَقِيفٍ ، وهو قائمٌ على قوسٍ - أو عَصًى - حينَ أَتَاهم يَبْتَغِى عندَهم النصرَ ، فسَمِعْتُه يَقْرَأُ[2] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] . حتى ختَمَها . قال : فوعَيْتُها فى الجاهليةِ وأنا مُشْرِكٌ ، ثُم قَرَأْتُها فى الإسلامِ . قال : فدعَتْنى ثَقِيفٌ [٢/ ١٢٠ظ] فقالوا : ماذا سَمِعْتَ مِن هذا الرجلِ ؟ فقَرَأْتُها عليهم ، فقال مَن معهم مِن قريشٍ : نحن أعلمُ بصاحبِنا ، لو كنا نَعْلَمُ ما يقولُ حقًّا لاتَّبَعْناه .

وثبَت فى « الصحيحَيْن »[3] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يُونُسُ ابنُ يَزِيدَ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، قال : أخبَرَنى عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، أنَّ عائشةَ حدَّثَتْه أنها قالت لرسولِ اللَّهِ ﷺ : هل أتَى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ ؟ قال : « لقد لَقِيتُ مِن قومِكِ ما لَقِيتُ ، وكان أشدَّ ما لَقِيتُ منهم يومَ العَقَبَةِ ، إذْ عَرَضْتُ نفسِى على ابنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ ، فلم يُجِبْنِى إلى ما أَرَدْتُ ، فانطَلَقْتُ وأنا مهمومٌ على وجْهِى ، فلم أَسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فرفَعْتُ رأسِى ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أَظَلَّتْنِى ، فنَظَرْتُ فإذا فيها جبريلُ ، عليه السلامُ ، فنادَانِى فقال : إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وما رَدُّوا عليك ، وقد بعَث إليك مَلَكَ الجبالِ

---

(١) المسند ٤/ ٣٣٥.

(٢) فى النسخ : « يقول » ، والمثبت من المسند .

(٣) البخارى (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥) .

لِتَأْمُرَه بما شِئْتَ فيهم. ثُم نادَانِى مَلَكُ الجبالِ، فسَلَّمَ علىَّ ثُم قال: يا محمدُ[1]، إنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وأنا مَلَكُ الجبالِ، قد بَعَثَنِى ربُّك إليك لِتَأْمُرَنِى بأمرِك، فما شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بل أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِن أصلابِهم مَن يَعْبُدُ اللَّهَ وحدَه لا يُشْرِكُ به شيئًا».

فصل

وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[2] سَماعَ الجنِّ لقراءةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وذلك مَرْجِعَه مِن الطائفِ حينَ باتَ بنَخْلَةَ، وصلَّى بأصحابِه الصبحَ فاستَمَعَ الجنُّ الذين صُرِفُوا إليه قراءتَه هنالك. قال ابنُ إسحاقَ: وكانوا سبعةَ نفرٍ، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى فيهم قولَه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قلت: وقد تكلَّمْنا على ذلك مُسْتَقْصًى فى «التفسيرِ»[3]، وتقدَّمَ قِطْعَةٌ مِن ذلك[4]. فاللَّهُ أعلمُ. ثُم دخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ مَرْجِعَه مِن الطائفِ فى جِوارِ المُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ، وازدادَ قومُه عليه حَنَقًا، وغيظًا، وجرأَةً، وتكذيبًا، وعِنادًا. واللَّهُ المستعانُ وعليه التكلانُ.

---

(١) بعده فى م، ص: «قد بعثنى اللَّه».

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) التفسير ٧/٢٧٢ - ٢٨٥.

(٤) تقدم فى ١/ ١٣٢.

وقد ذكَر الأُمَوِىُّ فى « مغازيه »[(1)] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث [(2)]عبدَ اللَّهِ بنَ أُرَيْقِطٍ إلى الأَخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، فطلَب منه أن يُجيرَه بمكةَ، فقال: إنَّ حليفَ قُرَيْشٍ لا يُجيرُ على صَمِيمِها. ثُم بعَثَه إلى سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو ليُجيرَه فقال: إنَّ بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ لا تُجيرُ على بنى كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ. فبعَثَه إلى المُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ليُجيرَه فقال: نعَمْ، قُلْ له فَلْيَأْتِ. فذهَب إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فباتَ عندَه تلك الليلةَ، فلمَّا أَصْبَحَ، خرَج معه هو وبَنوه سِتَّةٌ - أو سبعةٌ - مُتَقَلِّدِى السيوفِ جميعًا، فدخَلوا المسجدَ وقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ: طُفْ. واحتَبَوْا بحمائلِ سيوفِهم فى المَطافِ، فأقْبَلَ أبو سُفيانَ إلى مُطْعِمٍ فقال: أَمُجيرٌ أم تابعٌ؟ قال: لا بل مُجيرٌ. قال: إذًا لا تُخْفَرُ[(3)]. فجلَس معه حتى قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ طَوَافَه، فلمَّا انصرَفَ انصرَفوا معَه، وذهَب أبو سُفْيانَ إلى مجلِسِه. قال: فمكَث أيامًا ثُم أُذِنَ له فى الهجرةِ، فلمَّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ تُوُفِّىَ المُطْعِمُ بنُ عَدِىٍّ بعدَه بيسيرٍ، فقال حسانُ بنُ ثابتٍ: واللَّهِ لأُرَثِّيَنَّه. فقال فيما قال[(4)]:

فلو كانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ اليومَ واحدًا ... مِن الناسِ نَجَّى مجدُه اليومَ مُطْعِمَا

أَجَرْتَ رسولَ اللَّهِ مِنهم فأصْبَحوا ... عِبادَك ما لَبَّى مُحِلٌّ وأَحْرَمَا

[٢/١٢١و] فلو سُئِلَتْ عنه مَعَدٌّ بأَسْرِها ... وقَحْطانُ أو باقى بقيةِ جُرْهُمَا

لقالوا هو المُوفِى بخُفْرَةِ جارِه ... وذِمَّتِه يومًا إذا ما تَذَمَّمَا[(5)]

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٧، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٨١.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

(٣) لا تخفر: لا ينقض عهدك.

(٤) ديوان حسان ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٥) فى الأصل، ص: «تحتما»، وفى ١ ١٥، م: «تجشما»، والمثبت من الديوان، وتذم: طلب الذمة.

وما تَطْلُعُ الشمسُ المُنِيرَةُ فوقَهم … على مِثْلِه فيهم أَعَزَّ وأَكْرَمَا

أَبيًّا[1] إذا يَأْبَى وأَلْيَنَ شِيمَةً … وأَنْوَمَ عن جَارٍ إذا الليلُ أَظْلَمَا

قلتُ : ولهذا قال النبيُّ ﷺ يومَ أُسَارَى بَدْرٍ[2] : « لو كان المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حيًّا ثُم سأَلنى فى هؤلاء النَّتْنَى[3] لوَهَبْتُهم له » .

فصلٌ

فى عرضِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نفسَه الكريمةَ على أحياءِ العَرَبِ [4]فى مواسمِ الحجِّ ، أن يُؤْووه ويَنْصُرُوه ، ويَمْنَعوه مِمن كَذَّبه وخالَفَه ، فلَم يُجِبْه أحدٌ مِنهم ؛ لِمَا ذَخَرَه اللَّهُ تعالى للأنصارِ مِن الكرامةِ العظيمةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم[4] .

قال ابنُ إسْحاقَ[5] : ثُم قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه مِن خِلافِه وفِراقِ دينِه ، إلّا قليلًا مُسْتَضْعفينَ مِمَّن آمَن به ، فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَه فى المواسمِ - إذا كانَتْ - على قبائلِ العربِ ، يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، ويُخْبِرُهم أنَّه نبىٌّ مُرْسَلٌ ، ويَسْأَلُهم أن يُصَدِّقوه ويَمْنَعوه ، حتى يُبَيِّنَ عن اللَّهِ ما بَعَثَه به .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثَنى مِن أصحابِنا مَن لا أَتَّهِمُ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ،

---

(١) فى الأصل : « وآنًا » ، وفى ١٥ : « وإباء » ، وفى م : « إباء » ، وفى ص : « وآبى » . والمثبت من الديوان .

(٢) رواه البخارى (٣١٣٩، ٤٠٢٤) .

(٣) فى م ، ص : « النقباء » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٢.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٢، ٤٢٣.

عن ربيعةَ بنِ عِبَادٍ الدُّؤَلِىِّ، أوْ[1] مَن حدَّثَه أبو الزِّنادِ عنه. وحدَّثنى[2] حُسَيْنُ ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، قال: سَمِعْتُ ربيعةَ بنَ عِبَادٍ يُحَدِّثُه أبى، قال: إنى لَغلامٌ شابٌّ مع أبى بمِنًى، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَقِفُ على منازِلِ القبائلِ مِنَ العربِ فيَقولُ: «يا بنى فلانٍ، إنِّى رسولُ اللَّهِ إليكم، آمُرُكم أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكوا به شيئًا، وأنْ تَخْلَعوا ما تَعْبُدون مِن دونِه مِن هذه الأندادِ، وأن تُؤْمِنوا بى، وتُصَدِّقُونِى، وتَمْنَعونى، حتى أُبَيِّنَ عن اللَّهِ ما بَعَثَنى به». قال: وخَلْفَه رجلٌ أَحْوَلُ وَضِىءٌ، له غَديرتانِ[3]، عليه حُلَّةٌ عَدَنِيَّةٌ، فإذا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن قولِه وما دَعَا إليه، قال ذلك الرجلُ: يا بنى فلانٍ، إنَّ هذا إنَّما يَدْعوكم إلى أنْ تسلُخوا اللاتَ والعُزَّى مِن أعناقِكم، وحُلَفاءَكم مِن الجنِّ مِن بنى مالكِ بنِ أُقَيْشٍ، إلى ما جاءَ به مِنَ البدعةِ والضلالةِ، فلا تُطِيعوه، ولا تَسْمَعوا منه. قال: فقلتُ لأبى: يا أَبَتِ، مَن هذا الرجلُ الذى يَتْبَعُه ويَرُدُّ عليه ما يَقولُ؟ قال: هذا عمُّه عبدُ العُزَّى بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، أبو لَهَبٍ.

وقد روَى الإمامُ أحمدُ[4] هذا الحديثَ، عن إبراهيمَ بنِ أبى العباسِ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ، عن أبيه، أخبَرَنى رجلٌ يُقالُ له: ربيعةُ بنُ عِبَادٍ. مِن بنى الدُّئِلِ، وكان جاهليًّا فأَسْلَمَ، قال: رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الجاهليةِ فى سوقِ ذِى المجَازِ، وهو يَقولُ: «يا أَيُّها الناسُ، قولوا: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. تُفْلِحوا». والناسُ مُجْتَمِعون عليه، ووراءَه رجلٌ وَضِىءُ الوجهِ، أَحْوَلُ، ذو

---

(١) فى النسخ: «و». والمثبت من السيرة.

(٢) القائل ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٣. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٤٨.

(٣) الغديرة: الضفيرة.

(٤) المسند ٤/ ٣٤١.

غَدِيرَتَيْنِ يقولُ : إنَّه صابئٌ كاذبٌ . يَتْبَعُه حيثُ ذهَب ، فسأَلْتُ عنه ، (١ فذكَرُوا لى نسبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ١) ، وقالوا : هذا عمُّه أبو لهبٍ .

ورواه البَيْهَقِيُّ (٢) مِن طريقِ محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصاريِّ ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن ربيعةَ الدُّؤَلِيِّ : رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذِى المَجَازِ ، يَتْبَعُ الناسَ فى منازِلِهم يَدْعوهم إلى اللَّهِ ، ووراءَه رجلٌ أحولُ ، تَقِدُ وَجْنَتَاه ، وهو يَقولُ : أَيُّها الناسُ ، لا يَغُرَّنَّكم هذا عن دينِكم ودينِ آبائِكم . قلتُ : مَن هذا ؟ قالوا : هذا أبو لَهَبٍ . وكذا روَاه أبو نُعَيْمٍ فى « الدلائلِ » مِن طريقِ ابنِ أبى ذِئْبٍ ، وسعيدِ بنِ سلمةَ بنِ أبى الحُسَامِ ، كِلاهما عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ به نَحوَه (٣) .

ثُم روَاه البَيْهَقِيُّ (٤) مِن طريقِ [٢/ ١٢١ظ] شُعْبَةَ ، عن الأَشْعَثِ بنِ سُلَيْمٍ ، عن رجلٍ مِن كِنَانَةَ قال : رأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بسوقِ ذِى المَجَازِ وهو يَقولُ : « يا أَيُّها الناسُ ، قولوا : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . تُفْلِحُوا » . وإذا رجلٌ خَلْفَه يَسْفِى عليه الترابَ ، فإذا هو أبو جَهْلٍ ، وإذا هو يَقولُ : يا أَيُّها الناسُ ، لا يَغُرَّنَّكُم هذا عن دينِكم ، فإنما يُريدُ أنْ تَتْرُكوا عبادةَ اللَّاتِ والعُزَّى . كذا قال فى هذا السياقِ : أبو جَهْلٍ . وقد يَكونُ وَهْمًا ، ويَحْتَمِلُ أن يَكونَ تارَةً يَكونُ ذا ، وتارةً يَكونُ ذا ، وأنَّهما كانا يَتَنَاوَبانِ على إيذائِه ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ (٥) : وحدَّثَنى ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِىُّ أنَّه ، عليه السَّلامُ ، أَتَى

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .
(٢) دلائل النبوة ٢/ ١٨٥.
(٣) لم نجده فى مختصر الدلائل ، وقد رواه أحمد فى المسند ٢/ ٤٩٢. من هذين الطريقين .
(٤) دلائل النبوة ٢/ ١٨٦.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٤.

كِنْدَةَ فى منازِلهم ، وفيهم سَيِّدٌ لهم يُقالُ له : مُلَيْحٌ . فدَعاهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فأبَوْا عليه .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ [2]بنِ عبدِ اللَّهِ[2] بنِ حُصَيْنٍ ، أنَّه أتى كَلْبًا فى منازِلهم ؛ إلى بَطْنٍ منهم يُقالُ لهم : بنو عبدِ اللَّهِ . فدَعاهم إلى اللَّهِ ، وعرَضَ عليهم نفسَه ، حتى إنه لَيَقولُ لهم : « يا بَنِى عبدِ اللَّهِ ، إنَّ اللَّهَ قد أَحْسَنَ اسمَ أَبِيكم » . فلَم يَقْبَلوا منه ما عرَض عليهم .

وحدَّثَنى[1] بعضُ أصحابِنا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتى بنى حَنِيفَةَ فى منازِلهم ، فدَعاهم إلى اللَّهِ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فلم يَكُنْ أحدٌ مِن العربِ أَقْبَحَ رَدًّا عليه منهم .

وحدَّثَنى[3] الزُّهْرِىُّ ، أنه أَتَى بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، فدعاهم إلى اللَّهِ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فقال له رجلٌ منهم ، يُقالُ له : بَيْحَرَةُ[4] بنُ فِراسٍ : واللَّهِ لو أنِّى أخَذْتُ هذا الفتَى مِن قُرَيْشٍ لأَكَلْتُ به العربَ . ثُم قال له : أرأَيْتَ إنْ نحن تابَعْناك على أمْرِك ، ثُم أظْهَرَك اللَّهُ على مَن يُخالِفُك ، أيَكونُ لنا الأمرُ مِن بعدِك ؟ قال : « الأمرُ للَّهِ ، يَضَعُه حيثُ يَشَاءُ » . قال : فقال له : أفَنُهْدِفُ[5] نُحورَنا للعربِ دونَك ، فإذا أظْهَرَك اللَّهُ كان الأمرُ لغيرِنا ! لا حاجةَ لنا بأمْرِك . فأبَوْا عليه ، فلمّا صدَر الناسُ ، رجَعَتْ بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم ، قد كان أَدْرَكَه السِّنُّ ، حتى لا يَقْدِرُ أنْ يُوَافِيَ معهم الموسمَ ، فكانوا إذا رَجَعوا إليه ، حدَّثوه بما

---

(١) المصدر السابق .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة . ذكره ابن حبان فى الثقات ٧/ ٤١٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٤) فى م ، ص : « بحيرة » .

(٥) نهدف : نجعل نحورنا هدفا لسهامهم .

يَكونُ فى ذلك المَوْسِمِ ، فلمَّا قَدِموا عليه ذلك العامَ سأَلَهم عمّا كان فى مَوْسِمِهم فقالوا : جاءَنا فتًى مِن قريشٍ ، ثُمَّ ، أَحَدُ بنى عبدِ المُطَّلِبِ يَزْعُمُ أنَّه نبىٌّ ، يَدْعُونا إلى أنْ نَمْنَعَه ، ونَقُومَ معه ، ونَخْرُجَ به إلى بلادِنا . قال : فوضَع الشيخُ يدَه على رأسِهِ ثُم قال : يا بَنِى عامرٍ ، هل لها مِن تَلَافٍ[1] ؟ هل لِذُناباها مِن مَطْلَبٍ[2] ؟ والذى نفسُ فلانٍ بيدِه ما تَقَوَّلَها إسماعيلىٌّ قطُّ ، وإنَّها لَحَقٌّ ، فأينَ رأْيُكم كان عنكم !

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[3] ، عن الزُّهْرِىِّ : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى تلك السِّنينَ يَعْرِضُ نفسَه على قبائلِ العربِ فى كلِّ مَوْسِمٍ ، ويُكَلِّمُ كلَّ شَرِيفِ قومٍ ، لا يَسْأَلُهم مع ذلك إلّا أنْ يُؤْوُوه ويَمْنَعوه ، ويَقولُ : « لا أُكْرِهُ أحدًا منكم على شىءٍ ، مَن رَضِىَ منكم بالذى أَدْعُوه إليه فذلك ، ومن كَرِهَ لم أُكْرِهْه ، إنَّما أُرِيدُ أن تَحْرُزُونِى[4] مما يُرادُ بِى مِن القتلِ ، حتى أُبَلِّغَ رسالةَ رَبِّى ، وحتى يَقْضِىَ اللَّهُ لِى وَلِمَن صَحِبَنِى بما شاءَ » . فلم يَقْبَلْه أحدٌ مِنهم ، ولم يَأْتِ أحدٌ مِن تلك القبائلِ إلّا قال : قومُ الرجلِ أعلمُ به ، أَتَرَوْنَ أنَّ رجلًا يُصْلِحُنا وقد أَفْسَدَ قومَه ولَفَظُوه ؟! وكان ذلك مما ذخَرَه اللَّهُ للأَنصارِ وأَكْرَمَهم به .

وقد روَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[5] ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأَجْلَحِ ، ويَحْيَى بنِ سعيدٍ الأُمَوِىِّ ، كِلاهما عن محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن العباسِ قال : قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا أَرَى لى عندَك ولا

---

(١) تلاف : تدارُك .

(٢) قال السهيلى فى الروض الأنف ٤/ ٥٩: مَثَل ضُرِب لما فاته منها ، وأصله من : ذُنَابَى الطائر ، إذا أفلت من الحِبالة ، فطلبت الأخذ بذُناباه .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٤١٤. من طريق موسى بن عقبة به .

(٤) فى ١ ١٥: « تحوذونى » . وكلاهما بمعنى ؛ تصونونى وتحوطونى .

(٥) لم نجده فى مختصر الدلائل ، وانظر صفحة ٣٤٩ حاشية (٢) .

عندَ أخيك مَنَعَةٌ ، فهل أنتَ مُخْرِجِي إلى السوقِ غدًا ، حتى تُعَرِّفَنى[1] منازلَ قبائلِ الناسِ ؟ » - وكانت مَجْمَعَ العربِ - قال : فقلتُ : هذه كِنْدَةُ ولَفُّها[2] ، وهى أفضلُ مَن يَحُجُّ البيتَ مِن اليمنِ ، وهذه منازلُ بَكْرِ بنِ وائلٍ ، [٢/ ١٢٢و] وهذه منازلُ بنى عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، فاخْتَرْ لنفسِك . قال : فبدَأَ بكِنْدَةَ ، فأتَاهم فقالَ : « مِمَّنِ القومُ ؟ » قالوا : مِن أهلِ اليمنِ . قال : « مِن أىِّ اليمنِ ؟ » قالوا : مِن كِنْدَةَ . قال : « مِن أىِّ كِنْدَةَ ؟ » قالوا : مِن بنى عَمْرِو بنِ معاويةَ . قال : « فهل لكم إلى خيرٍ ؟ » قالوا : وما هو ؟ قال : « تَشْهَدُون أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وتُقِيمُون الصلاةَ ، وتُؤْمِنُون بما جاء مِن عندِ اللَّهِ » . قال عبدُ اللَّهِ بنُ الأَجْلَحِ : وحدَّثنى أبى عن أشياخِ قومِه ، أنَّ كِنْدَةَ قالت له : إنْ ظَفِرْتَ تَجْعَلْ لنا المُلْكَ مِن بعدِك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ المُلْكَ للَّهِ ، يَجْعَلُه حيثُ يَشَاءُ » . فقالوا : لا حاجةَ لنا فيما جِئْتَنا به . وقال الكَلْبِيُّ : فقالوا : أَجِئْتَنا لِتَصُدَّنا عن آلهتِنا ونُنَابِذَ العربَ ، الحَقْ بقومِك ، فلا حاجةَ لنا بك . فانصَرفَ مِن عندِهم ، فأتَى بكرَ بنَ وائلٍ ، فقال : « مِمَّنِ القومُ ؟ » قالوا : مِن بكرِ بنِ وائلٍ . فقال : « مِن أىِّ بكرِ بنِ وائلٍ ؟ » قالوا : مِن بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ . قال : « كيف العَدَدُ ؟ » قالوا : كثيرٌ مِثْلُ الثَّرَى . قال : « فكيف المَنَعَةُ ؟ » قالوا : لا مَنَعَةَ ، جاوَرْنا فارِسَ ، فنحن لا نَمْتَنِعُ منهم ولا نُجِيرُ عليهم . قال : « فتَجْعَلُون للَّهِ عليكم إنْ هو أَبْقَاكم حتى تَنْزِلُوا منازلَهم ، وتَسْتَنْكِحُوا نساءَهم ، وتَسْتَعْبِدُوا أبناءَهم ، أنْ تُسَبِّحُوا اللَّهَ ثلاثًا وثلاثين ، وتَحْمَدُوه ثلاثًا وثلاثين ، وتُكَبِّرُوه أربعًا وثلاثِينَ ؟ » . قالوا : ومَن أنتَ ؟ قال : « أنا رسولُ اللَّهِ » . ثُم انطَلَقَ ، فلمَّا وَلَّى عنهم . قال الكَلْبِيُّ : وكان عمُّه

---

(١) فى م ، ص : « نقر فى » .

(٢) سقط من : الأصل ، واللف : الجماعة .

أبو لَهبٍ يَتْبَعُه، فيقولُ للناسِ: لا تَقْبَلوا قولَه. ثُم مرَّ أبو لهبٍ فقالوا: هل تَعْرِفُ هذا الرجلَ؟ قال: نعم، هذا في الذُّرْوَةِ مِنا، فعن أيِّ شأنِه تَسْأَلون؟ فأخبَرُوه بما دَعاهم إليه، وقالوا: زَعَم أنَّه رسولُ اللَّهِ. قال: ألا لا تَرْفَعوا بقولِه رأسًا فإنَّه مجنونٌ يَهْذِي[1] أُمَّ رأسِه. قالوا: قد رأَيْنا ذلك حينَ ذكَر مِن أمرِ فارسَ ما ذكَر.

قال الكَلْبيُّ[2]: وأخبَرَنى عبدُ الرحمنِ العامِرىُّ[3]، عن أشياخٍ مِن قومِه قالوا: أَتانا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن بسوقِ عُكَاظٍ، فقال: «مِمَّن القومُ؟» قُلْنا: مِن بني عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ. قال: «مِن أيِّ بني عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ؟» قالوا: بنو كَعْبِ بنِ رَبِيعَةَ. قال: «كيفَ المَنَعَةُ؟» قلنا: لا يُرامُ ما قِبَلَنا، ولا يُصْطَلَى بنارِنا. قال: فقال لهم: «إنِّى رسولُ اللَّهِ وأَتَيْتُكم لِتَمْنَعُونِى حتى أُبَلِّغَ رسالةَ ربِّى، ولا أُكْرِهُ أَحَدًا منكم على شيءٍ». قالوا: ومِن أيِّ قريشٍ أنت؟ قال: مِن بني عبدِ المُطَّلِبِ. قالوا: فأَينَ أنت مِن بني عبدِ مَنَافٍ؟ قال: «هم أَوَّلُ مَن كَذَّبَنِى وطَرَدَنى». قالوا: ولكنا لا نَطْرُدُك ولا نُؤْمِنُ بك، وسنَمْنَعُك حتى تُبَلِّغَ رسالةَ ربِّك. قال: فنزَل إليهم والقومُ يَتَسَوَّقونَ، إذْ أَتاهم بَيْحَرَةُ[4] بنُ فِرَاسٍ القُشَيْرِىُّ فقال: مَن هذا الرجلُ أراه عندَكم أُنْكِرُه؟ قالوا: محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ القُرَشىُّ. قال: فما لكم وله؟ قالوا: زعَم لنا أنَّه رسولُ اللَّهِ، فطلَب إلينا أنْ

---

(١) بعده في: ا ١٥، م، ص: «من».

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم (٢١٥)، ولعله بقية للحديث المتقدم، فقد أورد هذا الجزء من الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٨ وقال: أخرجه أبو نعيم من طريق عبد اللَّه بن الأجلح عن الكلبى، وهذا مع انقطاعه ضعيف.

(٣) في م: «المعايرى».

(٤) في م، ص في هذا الموضع وما سيأتى: «بحيرة».

نَمْنَعَه حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربِّه . قال : ماذا رَدَدْتم عليه ؟ قالوا : بالرَّحْبِ والسَّعَةِ ، نُخْرِجُك إلى بلادِنا ، ونَمْنَعُكَ مما نَمْنَعُ به أَنْفُسَنا . قال بَيْحَرَةُ : ما أَعْلَمُ أحدًا مِن أهلِ هذه السوقِ يَرْجِعُ بشيءٍ أشرَّ مِن شيءٍ تَرْجِعونَ به ، بدَأْتُم[1] لِتُنَابِذُوا الناسَ وتَرْمِيَكم العربُ عن قوسٍ واحدةٍ ، قومُه أعلَمُ به ، لو آنَسُوا منه خيرًا لكانوا أسعدَ الناسِ به ، أَتَعْمِدُون إلى [2]رَهِيقِ قومٍ[2] ، قد طرَدَه قومُه وكَذَّبوه فتُؤْوُونَه وتَنْصُرُونَه ؟! فبِئْسَ الرأْيُ رأَيْتُم . ثُم أقْبَلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : قُمْ فالْحَقْ بقومِك ، فواللَّهِ لولا أنَّك عندَ قومى لَضَرَبْتُ عُنُقَك . قال : فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى ناقتِه فرَكِبَها ، فغمَزَ الخبيثُ بَيْحَرَةُ شاكِلَتَها[3] [٢/١٢٢ظ] فقَمَصَتْ[4] برسولِ اللَّهِ ﷺ فألقتْه ، وعندَ بنى عامرٍ يومئذٍ ضُباعةُ ابنةُ عامرِ بنِ قُرطٍ ، كانت مِن النسوةِ اللاتى أسلَمْنَ مع رسولِ اللَّهِ بمكةَ ، جاءَتْ زائرةً إلى بنى عَمِّها ، فقالت : يا آلَ عامرٍ ، ولا عامِرَ لى ، أَيُصْنَعُ هذا برسولِ اللَّهِ بينَ أظهُرِكُم لا يَمْنَعُه أحدٌ منكم ؟ فقامَ ثلاثةُ نَفَرٍ[5] مِن بنى عَمِّها إلى بَيْحَرَةَ واثنَيْنِ أعَانَاه ، فأخَذ كلُّ رجلٍ منهم رجلًا فجَلَدَ به الأرضَ ، ثُم جلَس على صدرِه ، ثُم علَوْا وجوهَهم لَطْمًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهُمَّ بارِكْ على هؤلاء والْعَنْ هؤلاء » . قال : فأَسْلَمَ الثلاثةُ الذين نَصَروه وقُتِلُوا شهداءَ وهم ؛ غُطَيْفٌ وغَطَفَانُ ابنا سَهْلٍ ، وعُرْوَةُ - أو عَزْرَةُ - بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَمَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، وهلَكَ الآخَرون لَعْنًا[5] وهم ؛ بَيْحَرَةُ بنُ فِرَاسٍ ، وحَزْنُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ

---

(١) فى م ، ص : « بدءًا ثم » .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « زهيق » . ورهيق القوم : سفيههم .

(٣) شاكلتها : خاصرتها .

(٤) قمصت الدابة : نفرت وضربت برجليها .

(٥) سقط من : م ، ص .

سَلَمَةَ بنِ قُشَيْرٍ ، ومعاويةُ بنُ عُبَادةَ أحَدُ بنى عَقيلٍ ، لَعَنَهم اللَّهُ لَعْنًا كبيرًا . وهذا أَثَرٌ غريبٌ كتَبْناه لغَرابتِه . واللَّهُ أعلمُ . وقد روَى هذا الحديثَ بتمامِه الحافظُ سعيدُ بنُ يحيى بنِ سعيدٍ الأُمَوِىُّ فى « مغازيه » ، عن أبيه به[1] .

وقد رَوَى أبو نُعَيْمٍ[2] له شاهدًا مِن حديثِ كَعْبِ بنِ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فى قِصةِ بنى[3] عامرِ بنِ صَعْصَعةَ ، وقبيحِ رَدِّهم عليه ، وأَغْرَبُ مِن ذلك وأَطْوَلُ ما رواه أبو نُعَيْمٍ ، والحاكمُ ، والبَيْهَقِىُّ[4] - والسِّياقُ لأبى نُعَيْمٍ - رحِمَهم اللَّهُ ، مِن حديثِ أبانِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِىِّ ، عن أبانِ بنِ تَغْلِبَ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، حدَّثَنى علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، قال : لمَّا أَمَرَ اللَّهُ رسولَه أن يَعْرِضَ نَفْسَه على قبائلِ العَرَبِ ، خرَجَ وأنا معَه وأبو بكرٍ إلى مِنًى ، حتى دَفَعْنا[5] إلى مَجْلِسٍ مِن مجالسِ العَرَبِ ، فتَقَدَّمَ أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فَسَلَّمَ ، وكانَ أبو بكرٍ مُقَدَّمًا فى كُلِّ خَيْرٍ ، وكانَ رجلًا نَسَّابَةً ، فقال : مِمَّنِ القَوْمُ ؟ قالوا : مِن ربيعةَ . قال : وأىُّ ربيعةَ أنتم ؟ أمِن هَامِها[6] أم مِن لَهازِمِها[6] ؟ قالوا : بل مِن هَامَتِها العُظْمَى . قال أبو بكرٍ : فَمِنْ أىِّ هامَتِها العُظْمَى ؟ قالوا : ذُهْلٌ الأكبرُ . قال لهم أَبو بكرٍ : منكم عَوْفٌ الذى كان

---

(١) وأشار إلى هذه الرواية أبو نعيم فى الدلائل عقب هذا الحديث بمَوْضِعه هذا .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢١٩) من حديث عبد اللَّه بن كعب بن مالك . وانظر طبقات ابن سعد ٢١٦/١ . ومنال الطالب فى شرح طِوال الغرائب . لابن الأثير ص ٢٨٦.

(٣) سقط من : ا ١٥ ، م ، ص .

(٤) الدلائل لأبى نعيم (٢١٤) ، والدلائل للبيهقى ٢/ ٤٢٢ ، ولم نجده فى المستدرك ، وقد عزاه الحافظ فى الفتح ٢٢٠/٧ إلى الحاكم . وحسن إسناده .

(٥) دفع إلى فلان : انتهى إليه . الوسيط (د ف ع) .

(٦) فى ا ١٥ : « هامه » ، وفى دلائل أبى نعيم : « هامتها » . والهامُ : جمع الهامَة ، وهى الرأس . اللسان (هـ و م) .
وقوله : أمن هامتها أم من لهازمها : أى من أشرافها أنتم أو من أوساطها . اللسان (لهزم) بتصرف .

يُقالُ : لا حُرَّ بوادى عَوْفٍ[1] ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم بِسْطَامُ بنُ قَيْسِ [2]بنِ مَسْعودٍ[2] أبو اللِّواءِ ومُنْتَهَى الأحياءِ؟ قالوا : لا . قال : فمِنكم الحَوْفَزَانُ بنُ شَرِيكٍ قاتلُ الملوكِ وسالبُها أنفُسَها ؟ قالوا : لا . قال : فمِنكم جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ بنِ ذُهْلٍ حامِى الذِّمَارِ[3] ومانعُ الجارِ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المُزْدَلِفُ صاحبُ العِمامةِ الفَرْدَةِ[4] ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أخوالُ المُلوكِ مِن كِنْدَةَ؟ قالوا : لا . قال : فأنتم أَصْهارُ الملوكِ مِن لَخْمٍ؟ قالوا : لا . قال لهم أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللّٰهُ عنه : فلستُم بذُهْلٍ الأكبرِ ، بل أنتم ذُهْلٌ الأَصغرُ . قال : فوثَبَ إليه منهم غُلامٌ يُدْعَى دَغْفَلَ [5]بنَ حَنْظَلَةَ الذُّهْلِىَّ[5] ، حينَ بَقَلَ وَجْهُه[6] ، فأخذَ بزمامِ ناقةِ أبى بكرٍ ، وهو يَقولُ[7] :

إنَّ علَى سائِلِنا أَنْ نَسْأَلَهْ   والعِبْءَ لا تَعْرِفُه أَوْ تَحْمِلَهْ

يا هذا ، إنَّك سأَلْتَنا فأخبَرْناك ولم نَكْتُمْكَ شيئًا ، ونحن نريدُ أنْ نسألَكَ مِمَّن أنت؟ قال : رَجُلٌ مِن قُرَيْشٍ . فقال الغُلامُ : بَخٍ بَخٍ أهلُ السُّؤْدُدِ والرِّئاسةِ ، [8]وأَزِمَّةُ[8] العربِ وهُداتُها[9] ، مِمَّن أنت مِن قُرَيْشٍ؟ فقال له : رَجُلٌ

---

(١) يقال ذلك للرجل يسود القوم ، فلا ينازعه أحد منهم سيادته . جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ٢/ ٤٠٦.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل : « الديار » .

(٤) الفردة : المنقطعة النظير التى لا مثيل لها فى جودتها . الوسيط (ف ر د) .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١ ١٥. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣١٩.

(٦) بقل وجه الغلام : خرج شعره . القاموس المحيط (ب ق ل) .

(٧) البيت فى العقد الفريد ٣/ ٢٤٨.

(٨ - ٨) فى م : « قادمة » .

(٩) فى النسخ : « هاديها » ، والمثبت من الدلائل لأبى نعيم .

مِن بنى تَيْمِ بنِ مُرَّةَ . فقال له الغلامُ : أمكَنْتَ واللَّهِ الرَّامِىَ مِن سَواءِ[1] الثُّغْرَةِ ؟ أفمِنكم قُصَىُّ بنُ كِلَابٍ الذى قَتَلَ بمكةَ المُتَغَلِّبينَ عليها ، وأجْلَى بقيَّتَهم ، وجمَعَ قَوْمَه مِن كلِّ أَوْبٍ حتى أَوْطَنَهم مكةَ ، ثُم استَوْلَى على الدارِ ، ونَزَّلَ قُرَيْشًا منازِلَها ، فَسَمَّتْه العربُ بذلك مجمِّعًا ، وفيه يَقولُ الشاعرُ [2] لبنى عبدِ منافٍ [2] :

[٢/١٢٣و] أليس أبُوكم كان يُدْعَى مُجَمِّعًا به جَمَعَ اللَّهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

فقال أبو بكرٍ : لا . قال : فمِنكم عبدُ مَنافٍ الذى انتهَتْ إليه الوَصايا وأبو الغَطاريفِ السادةِ ؟ فقال أبو بكرٍ : لا . قال : فمِنكم عمْرُو بنُ عبدِ مَنافٍ ، هاشمٌ الذى هَشَمَ الثَّريدَ لقومِه ولأهلِ مكةَ ، ففيه يَقولُ الشاعرُ[3] :

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِه ورِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[4]

سَنُّوا إليه الرِّحْلَتَيْنِ كليهما عندَ الشتاءِ وَرِحْلَةَ الأَصْيَافِ

كانَتْ قريشٌ بَيْضةً فتَفلَّقَتْ فالمُحُّ[5] خالِصُه لعبدِ مَنافِ

الرائِشِينَ[6] وليس يُعْرَفُ رَائِشٌ والقائلينَ هَلُمَّ للأَضْيافِ

---

(١) فى الأصل، ا ١٥: « صفاة » ، وفى ص: « صِفات » . وأمكنت من سواء الثغرة : أى وسط الثغرة . وهى نقرة النحر فوق الصدر . النهاية ١/ ٢١٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م، ص. وانظر لنسبة البيت منال الطالب ص ٢٨٨.

(٣) قال فى أنساب الأشراف ١/ ٥٨: عبد اللَّه بن الزبعرى ، وقال بعضهم : الزبعرى . والأول أصح . انتهى . وانظر ما تقدم فى فى ٣/ ٣٥٦. وانظر أيضًا الموضع السابق من منال الطالب .

(٤) كذا فى النسخ ، وأنساب الأشراف . وفى البيت عيب وهو الإقواء . وقد تقدم فى ٣/ ٣٥٦.

(٥) فى الأصل، م، ص: « فالمخ » . والمح : ما فى جوف البيضة من صفرة ، أو من صفرة وبياض . الوسيط (م ح ح) .

(٦) راش فلانا : قواه وأعانه وأصلح حاله . الوسيط (ر ى ش) .

والضاربين الكَبْشَ[1] يَبْرُقُ بَيْضُه[2] والمَانِعِينَ البَيْضَ[3] بالأَسْيَافِ

لِلَّهِ دَرُّكَ لو نزَلْتَ بِدارِهِمْ مَنَعُوك مِن أَزْلٍ[4] ومِن إقْرافِ[5]

فقال أبو بكرٍ : لا . قال : فمنكم عبدُ المُطَّلِبِ شَيْبَةُ الحَمْدِ ، وصاحبُ عِيرِ[6] مكةَ ، ومُطْعِمُ طَيْرِ[7] السماءِ والوحوشِ والسِّباعِ فى الفَلا[8] ، الذى كأنَّ وَجهَه قَمَرٌ يَتَلأْلأُ فى الليلةِ الظَّلْماءِ ؟ قال : لا . قال : أَفَمِن أهلِ الإِفَاضَةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أفمِن أهلِ الحِجابَةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أفمِن أهلِ النَّدْوَةِ[9] أنت ؟ قال : لا . قال : أفمِن أهلِ السِّقايةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أفمِن أهلِ الرِّفادَةِ أنت ؟ قال : لا . قال : أَفَمِن المُفِيضِينَ بالناسِ[10] أنت ؟ قال : لا . ثُم جذَبَ أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، زِمامَ ناقتِه مِن يَدِه ، فقال له الغلامُ :

صَادَفَ دَرْءَ السَّيْلِ دَرْءٌ يَدْفَعُهْ يَهِيضُه[11] حينًا وحينًا يَصْدَعُهْ[12]

---

(١) الكبش : سيد القوم وقائدهم ورئيسهم ، ويقال : هو كبش الكتيبة أى قائدها . تاج العروس (ك ب ش) .

(٢) البيض : جمع البيضة وهى الخوذة . الوسيط (ب ى ض) .

(٣) البيض : جمع البيضة ، وبيضة القوم : مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم . النهاية ١/ ١٧٢ .

(٤) الأزل : الشدة والضيق . النهاية ١/ ٤٦ .

(٥) أقرف فلانا : وقع فيه وذكره بسوء . القاموس المحيط (ق ر ف) .

(٦) كذا بالنسخ ، وفى الدلائل : « بئر » .

(٧) سقط من : الأصل .

(٨) الفلا : جمع فَلاة ، وهى الأرض الواسعة المُقْفِرة .

(٩) فى الأصل : « الولاية » .

(١٠) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل لأبى نعيم .

(١١) فى الدلائل لأبى نعيم ، والدلائل للبيهقى : « يهضبه » . ويهيضه حينا وحينا يصدعه : يكسره مرة ويشقه أخرى . تاج العروس (هـ ى ض) .

(١٢) فى م ، ص : « يرفعه » .

ثُم قال: أمَا واللَّهِ يا أخا قُرَيْشٍ، لو ثَبَتَّ لَخَبَّرْتُك أنَّك مِن زَمَعَاتِ[1] قُرَيْشٍ ولسْتَ مِن الذَّوائِبِ. قال: فأقبلَ إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ. قال علىٌّ: فقلتُ له: يا أبا بكرٍ، لقد وقَعْتَ مِن الأعرابىِّ على باقِعةٍ[2]. فقال: أجَلْ يا أبا الحَسَنِ، إنَّه ليس مِن طَامَّةٍ إلا وفوقَها طامَّةٌ، والبَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالقَوْلِ. قال: ثُم انتَهَيْنا إلى مَجْلِسٍ عليه السَّكِينَةُ والوَقارُ، وإذا مَشايِخُ لهم أقدارٌ وهيئاتٌ، فتقدَّمَ أبو بكرٍ فَسَلَّمَ - قال علىٌّ: وكان أبو بكرٍ مُقَدَّمًا فى كُلِّ خيرٍ - فقال لهم أبو بكرٍ: مِمَّن القومُ؟ قالوا: نحن بنو شَيْبانَ بنِ ثَعْلبةَ، فالتفتَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: بأبى أنت وأُمِّى، لَيْسَ بعدَ هؤلاءِ مِن عِزٍّ فى قَوْمِهم - وفى رِوايةٍ: ليس وراءَ هؤلاءِ غُرَرٌ[3] مِن قومِهم[4] - وهؤلاء غُرَرُ الناسِ. وكان فى القَوْمِ؛ مَفْرُوقُ[5] بنُ عمرٍو، وهانئُ بنُ قَبِيصَةَ، والمُثَنَّى بنُ حارِثَةَ، والنُّعْمَانُ بنُ شَرِيكٍ، وكانَ أقربَ القومِ إلى أبى بكرٍ مَفْرُوقُ بنُ عمرٍو، [6]وكان مفروقُ بنُ عمرٍو[6] قد غلَبَ عليهم بيانًا ولسانًا، وكانَتْ له غَدِيرتانِ تَسْقُطانِ على صَدْرِه، فكانَ أَدْنَى القومِ مَجْلِسًا مِن أبى بكرٍ، فقال له أبو بكرٍ: كيفَ العَدَدُ فيكم؟ فقال له: إنَّا لَنَزِيدُ على أَلْفٍ، ولن تُغْلَبَ ألفٌ مِن قِلَّةٍ. فقال له: فكيفَ المَنَعَةُ فيكم؟ فقال: علَيْنا الجَهْدُ ولكلِّ قومٍ جِدٌّ. فقال أبو بكرٍ: فكيفَ الحربُ [٢/١٢٣ظ] بينَكم وبينَ عدُوِّكم؟ فقال مَفروقٌ: إنَّا أَشَدُّ ما نَكونُ

---

(١) أنك من زمعات قريش: أى لست من أشرافهم. اللسان (ز م ع).

(٢) فى ا ١٥: «نافعة». وفى ص: «واقعة». والباقعة: الرجل الداهية. اللسان (ب ق ع).

(٣) فى م: «عذر». وغرة قومه: سيدهم، وهم غرر قومهم. اللسان (غ ر ر).

(٤) بعده فى م: «وهؤلاء غرر فى قومهم».

(٥) فى ا ١٥ فى هذا الموضع وما سيأتى: «مقرون».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(١غَضَبًا حينَ نَلْقى، وإنَّا أشدُّ ما نكونُ(١) لِقاءً حينَ نَغْضَبُ، وإنَّا لنُؤْثِرُ الجِيادَ على الأولادِ، والسِّلاحَ على اللِّقاحِ، والنَّصْرُ مِن عندِ اللَّهِ، يُدِيلُنا مرةً ويُدِيلُ عَلَيْنا مَرَّةً(٢)، لعلَّك أخو قريشٍ؟ فقال أبو بكرٍ: إن كانَ بَلَغكم أنَّه رسولُ اللَّهِ فها هو هذا. فقال مفروقٌ: قد بَلَغَنا أنَّه يَذْكُرُ ذلك. ثُم التَـفَتَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ (٣فقال له: إلامَ تَدْعو يا أخا قريشٍ؟ فتقَدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ(٣) فجلَسَ، وقام أبو بكرٍ يُظِلُّهُ بثَوْبِه فقال ﷺ: «أَدْعُوكم إلى شَهادَةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له وأنِّى رسولُ اللَّهِ، وأن تُؤْوُونى (٤وتَمْنَعونى(٤) وتَنْصُرونى حتى أُؤَدِّىَ عن اللَّهِ الذى أمَرَنى به، فإنَّ قريشًا قد تَظاهَرَتْ على أَمْرِ اللَّهِ وكَذَّبَتْ رسولَه واسْتَغْنَتْ بالباطِلِ عن الحقِّ، واللَّهُ هو الغَنِىُّ الحَمِيدُ». قال له: وإلامَ تَدْعو أيضًا يا أخا قريشٍ؟ فتلا رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. فقال له مفروقٌ: وإلامَ تَدْعو أيضًا يا أخا قريشٍ؟ فواللَّهِ ما هذا مِن كلامِ أهلِ الأرضِ، ولو كانَ مِن كلامِهم لعرَفْناه. فتلا رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. فقال له مَفْروقٌ: دعَوْتَ واللَّهِ يا قُرَشِىُّ إلى مكارمِ الأَخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ، ولقد

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سقط من النسخ، والمثبت من دلائل أبى نعيم. وانظر دلائل البيهقى ٢/ ٤٢٤.

(٣ - ٣) سقط من: م، ص.

(٤ - ٤) زيادة من: الأصل، ١ ١٥.

أُفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوك وظاهَروا عليك[1] - وكأنَّه أحبَّ أن يَشْرَكَهُ فى الكَلامِ هانئُ ابنُ قَبِيصةَ - فقال : وهذا هَانِئُ بنُ قَبِيصَةَ شيخُنا وصاحِبُ دِينِنا . فقال له هانئٌ : قد سمِعْتُ مَقالَتَك يا أخا قريشٍ ، وصَدَّقْتُ قولَكَ ، وإنِّى أَرَى أنَّ تَرْكَنا دينَنا واتِّباعَنا إياك على دينِك - لمجْلِسٍ جَلَسْتَه إلينا ليس له أولٌ ولا آخِرٌ ، لم نَتَفكَّرْ فى أمْرِك ، ونَنْظُرْ فى عاقبَةِ ما تَدْعو إليه - زَلَّةٌ فى الرَّأْيِ ، وَطَيْشَةٌ فى العَقْلِ ، وقِلَّةُ نَظَرٍ فى العاقبةِ ، وإنَّما تَكونُ الزَّلَّةُ مع العَجَلَةِ ، وإنَّ مِن ورائِنا قومًا نَكْرَهُ أن نَعْقِدَ عليهم عَقْدًا ، ولكن تَرْجِعُ ونَرْجِعُ ، وتَنْظُرُ ونَنْظُرُ - وكأنَّه أَحَبَّ أنْ يَشْرَكَهُ فى الكَلامِ المُثَنَّى بنُ حَارِثَةَ - فقال : وهذا المُثَنَّى شيخُنا وصاحبُ حَرْبِنا . فقال المُثَنَّى : قد سمِعْتُ مَقالَتَك واستَحْسَنْتُ قولَك يا أخا قريشٍ ، وأَعْجَبَنى ما تَكَلَّمْتَ به ، والجوابُ هو جوابُ هانئِ بنِ قَبِيصةَ ، وتَرْكُنا دينَنا واتِّباعُنا إياك [2]على دِينِك[2] لمجْلِسٍ جَلَسْتَه إلينا ، وإنَّا إنَّما نزَلْنا بينَ صِيرَيْنِ[3] ؛ أحدُهما ، اليَمامَةُ ، والآخَرُ السَّمَامَةُ[4] . فقالَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وما هذان الصِّيرانِ ؟ » فقال له : أَمَّا أحدُهما فطُفُوفُ[5] البَرِّ وأرضُ العَرَبِ ، وأما الآخَرُ فأَرْضُ فارسَ وأنْهارُ كِسْرَى ، وإنَّما نزَلْنا على عَهْدٍ أخَذَه علينا كِسْرَى أَنْ لا نُحْدِثَ حَدَثًا ، ولا نُؤْوِىَ مُحْدِثًا ، ولعلَّ هذا الأمْرَ الذى تَدْعونا إليه مما تَكْرَهُه

---

(١) لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك : صُرِفوا عن الحق ومُنِعوا منه . النهاية ١/ ٥٦.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « صَرَيين » ، وهو مثنى صَرًى ، وهو الماء المجتمع . النهاية ٣/ ٢٨. والصير : الماء الذى يحضُره الناس . النهاية ٣/ ٦٦.

(٤) فى الأصل ، ا ١٥ ، م : « السماوة » ، وفى ص : « الثمامة » ، والمثبت من حاشية ا ١٥ ودلائل أبى نعيم ودلائل البيهقى ، وكذا وقع لابن الأثير فى النهاية ٣/ ٢٨، ٦٦.

(٥) الطفوف : جمع طف ، وهو ساحل البحر وجانب البر . النهاية ٣/ ١٢٩.

المُلوكُ، فأمَّا ما كانَ مِمَّا يَلِى بلادَ العربِ فَذَنْبُ صاحبِه مَغْفُورٌ، وعُذْرُه مقبولٌ، وأمَّا ما كان يَلِى بلادَ فارسَ فَذَنْبُ صاحبِه غيرُ مغفورٍ، وعُذْرُه غيرُ مقبولٍ، فإن أرَدْتَ أن نَنْصُرَكَ ونَمْنَعَكَ مما يَلِى العربَ فَعَلْنا. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما أسأْتُمُ الرَّدَّ إذْ أفْصَحْتُم بالصِّدْقِ، إنَّه لا يَقومُ بدينِ اللَّهِ إلا مَن حاطَه مِن جميعِ جوانبِه». ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أرَأيْتُم إن لم تَلْبَثُوا إلا يَسِيرًا حتى يَمْنَحكم اللَّهُ بِلادَهم وأموالَهم [٢/١٢٤و] ويُفْرِشَكم بَناتِهم، أتُسَبِّحُونَ اللَّهَ وتُقَدِّسُونَه؟» فقال له النُّعْمانُ بنُ شَرِيكٍ: اللهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريشٍ. فتلا رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. ثُم نهَضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قابضًا على يَدَىْ أبى بكرٍ. قال علىٌّ: ثُم التَفَتَ إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا علىُّ، أيَّةُ أخْلاقٍ لِلعَرَبِ كانَتْ فى الجاهليةِ، مَا أشْرَفَها! بها يَتَحاجَزُونَ (١) فيما بينَهم (١) فى الحياةِ الدُّنيا». قال: ثُم دَفَعْنا إلى مَجْلِسِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ، فما نَهَضْنا حتَّى بايَعُوا النبىَّ ﷺ. قال علىٌّ: وكانوا صُدُقًا صُبُرًا، فَسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ (٢) بما رَأَى (٢) مِن مَعْرِفَةِ أبى بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، بأنْسابِهم. قال: فلم يَلْبَثْ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلَّا يسيرًا حتى خرَجَ إلى أصْحابِه، فقال: (٢) «ادْعُوا لإخوانِكم مِن ربيعةَ؛ فقد أحاطَتْهم اليومَ أبناءُ فارسَ». ثُم دخَل منزلَه، فلم يَلْبَثْ إلا يسيرًا حتى خرَج إلى أصحابِه، فقال (٢) لهم: «احمَدُوا اللَّهَ كثيرًا؛ فقد ظَفِرَتِ اليومَ أبناءُ رَبيعةَ بِأَهلِ فَارِسَ، قَتَلوا مُلوكَهم واسْتَباحوا عَسْكَرَهم،

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: م، ص.

وبى نُصِروا » . قال : وكانَتِ الوَقْعةُ بقُراقِرَ إلى جنبِ ذى قارٍ ، وفيها يقولُ الأَعْشَى[1] :

فِدًى لبنى ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ ناقتى ... ورَاكِبُها عندَ اللِّقاءِ وقَلَّتِ

هُمُو ضَرَبُوا بالحِنْوِ[2] حِنْوِ قُراقِرٍ ... مُقَدِّمَةَ الهامَرْزِ[3] حَتَّى تَوَلَّتِ

فللَّهِ عَيْنَا مَن رَأَى مِن فَوارِسٍ ... كَذُهْلِ بنِ شَيْبَانٍ بها حينَ[4] وَلَّتِ

فَثَارُوا وثُرْنَا والمودَّةُ بينَنَا ... وكانت علينا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

هذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا كتَبْناه ، لِمَا فيه مِن دلائلِ النبوةِ ، ومحاسنِ الأخلاقِ ، ومكارمِ الشِّيَمِ ، وفصاحةِ العَربِ ، وقد ورَدَ هذا مِن طريقٍ أُخْرَى ، وفيه أنَّهم لمَّا تَحارَبوا هم وفارسُ والتَقَوْا معهم بقُراقرَ - مَكانٍ قريبٍ مِن الفُراتِ - جعَلوا شِعارَهم اسمَ محمدٍ ﷺ ، فنُصِرُوا على فارسَ بذلك ، وقد دخَلوا بعدَ ذلك فى الإسلامِ .

وقال الواقِدِىُّ[5] : أخبرَنا عبدُ اللَّهِ بنُ وابصةَ العَبْسىُّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : جاءَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى منازِلِنا بمِنًى ، ونحن نازِلون بإزاءِ الجَمْرَةِ الأُولَى التى تَلِى مَسْجِدَ الخَيْفِ[6] ، وهو على راحلتِه مُرْدِفًا خلفَه زيدَ بنَ حارثةَ ، فدَعانا ، فواللَّهِ ما استَجَبْنا له ولا خِيرَ لنا . قال : وقد كنَّا سمِعْنا به وبدُعائِه فى

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٢٥٩.

(٢) الحنو : كل شىء فيه اعوجاج ، كمنعرج الوادى . الوسيط (ح ن و) .

(٣) الهامرز : رجل من العجم ، وهو قائد من قواد كسرى . انظر اللسان (ق ر ر) .

(٤) فى ص : « حتى » .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٠) ، من طريق الواقدى به .

(٦) قال صاحب اللسان : مسجد منى يسمى مسجد الخيف ؛ لأنه فى سفح جبلها . اللسان (خ ى ف) .

المواسمِ ، فوقَفَ علينا يَدْعونا فلم نَستَجِبْ له ، وكانَ معَنا[(1)] مَيْسَرَةُ بنُ مسروقٍ العَبْسيُّ ، فقال لنا : أَحْلِفُ باللَّهِ ، لو قد صَدَّقْنَا هذا الرجلَ وحَمَلْناه حتى نَحُلَّ به وَسْطَ بلادِنا لكانَ الرأىَ ، فأَحْلِفُ باللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ أمْرُه حتى يَبْلُغَ كُلَّ مَبْلَغٍ . فقال القومُ : دَعْنا عنك ، لا تُعَرِّضْنا لِمَا لَا قِبَلَ لنا به . وطمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَيْسَرَةَ فَكَلَّمَه ، فقال مَيْسَرَةُ : ما أَحْسَنَ كلامَك وأَنْوَرَه ، ولكنَّ قَوْمى يُخالِفونَنى ، وإنَّما الرجلُ بقومِه ، فإذا لم يَعْضُدوه فالعِدَى[(2)] أَبْعَدُ . فانصَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وخرَجَ القومُ صادِرِينَ[(3)] إلى أَهْليهم ، فقال لهم مَيْسَرَةُ : مِيلُوا (4)بنا إلى(4) فَدَكَ[(5)] ؛ فإنَّ بها يَهُودَ نُسَائِلُهم عن هذا الرجلِ . فمالوا إلى يهودَ فأَخْرَجوا سِفْرًا لهم ، فوضَعوه ثُم دَرَسوا ذِكْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ النبيِّ الأُمِّيِّ العَرَبيِّ يَرْكَبُ الحِمارَ ، ويَجْتَزِئُ [٢/ ١٢٤ظ] بالكِسْرَةِ ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ ، ولا بالجَعْدِ[(6)] ولا بالسَّبْطِ ، فى عَيْنَيْه حُمْرَةٌ ، مُشْرِقُ اللَّونِ ، فإن كان هو الذى دَعاكم فأَجِيبوه وادخُلُوا فى دينِه فإنَّا نَحْسُدُه ولا نَتَّبِعُه . (7)ولنا منه فى مواطنَ(7) بلاءٌ عظيمٌ ، ولا يَبْقَى أحدٌ مِن العرَبِ إلا اتَّبَعَه ، وإلا قاتَلَه فكونوا ممن يَتَّبِعُه . فقال مَيْسَرَةُ : يا قومِ ، ألا إنَّ[(8)] هذا الأمرَ بَيِّنٌ . فقال القَوْمُ : نَرْجِعُ إلى المَوْسِمِ فنَلْقَاه . فرجَعَوا إلى بلادِهم وأبى ذلك عليهم رجالُهم ، فلم يَتَّبِعْه أحدٌ

---

(1) سقط من : الأصل .

(2) العِدى بالكسر : الغرباء والأجانب والأعداء . النهاية ٣/ ١٩٤ .

(3) فى الأصل : « مبادرين » .

(٤ - ٤) فى م : « نأتى » . وفى ص : « نا إلى » .

(5) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان . معجم البلدان ٣/ ٨٥٥ .

(6) بعده فى الأصل : « القطط » .

(٧ - ٧) فى الأصل : « وليأتيه » . وفى ا ١٥ : « وليأتينه فى مواطن » . وفى م : « وإنا منه فى مواطن » . وفى ص : « وإنا فى مواطن » . والمثبت من الدلائل .

(8) سقط من : الأصل ، ا ١٥ ، ص .

مِنهم ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ مُهاجرًا وحَجَّ حَجَّةَ الوَداعِ ، لَقِيَه مَيْسَرَةُ فعرَفه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ مازِلْتُ حَرِيصًا على اتِّباعِك مِن يومِ أَنَخْتَ بنا حتى كانَ ما كانَ ، وأبى اللَّهُ إلَّا ما تَرَى مِن تَأَخُّرِ إسلامى ، وقد ماتَ عامةُ النفرِ الذين كانوا معى ، فأينَ مَدْخَلُهم (١ يا رسولَ اللَّهِ ١) ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلُّ مَن ماتَ على غيرِ دِينِ الإسلامِ فهو فى النارِ » . فقال : الحمدُ للَّهِ الذى أَنْقَذَنى . فأسْلَمَ وحَسُنَ إسلامُه ، وكان له عندَ أبى بكرٍ مكانٌ .

وقد اسْتَقْصَى الإمامُ محمدُ بنُ عمرَ الوَاقدىُّ[٢] قِصصَ القبائلِ واحدةً واحدةً ، فذكَرَ عَرْضَه ، عليه السلامُ ، نفسَه على بنى عامرٍ ، وغسَّانَ ، وبنى فَزَارَةَ ، (٣ وبنى مُرَّةَ ٣) ، وبنى حَنيفةَ ، وبنى سُلَيْمٍ ، وبنى عَبْسٍ ، وبنى نَضْرِ بنِ هَوازِنَ ، وبنى ثَعْلبةَ بنِ عُكابةَ ، وكِندةَ ، وكلبٍ ، وبنى الحارِثِ بنِ كعبٍ ، وبنى عُذْرَةَ ، وقيسِ بنِ الخَطيمِ[٤] ، وغيرِهم ، وسِياقَ أخبارِها مُطَوَّلةً . وقد ذَكَرْنا مِن ذلك طَرَفًا صالحًا . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدَّثَنا أسودُ بنُ عامرٍ ، أنا إسرائيلُ ، عن عُثْمانَ - يَعْنِى ابنَ المغيرةِ - عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : كان النبىُّ ﷺ يَعْرِضُ نفسَه على الناسِ بالمَوْقِفِ ، فيقولُ : « هل مِن رَجُلٍ يحمِلُنى إلى قَوْمِه ؛ فإنَّ قُرَيْشًا قد مَنَعونى أن أُبَلِّغَ كلامَ رَبِّى عزَّ وجلَّ ؟ » فأتاه رجلٌ مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢) ، وابن سعد فى الطبقات ٢١٦/١ ، كلاهما عن الواقدى به .

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥ .

(٤) فى النسخ : الحطيم . والمثبت من الدلائل . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٨١ .

(٥) المسند ٣/ ٣٩٠.

هَمْدَانَ ، فقال : « مِمَّن أنت ؟ » قال الرجلُ : مِن هَمْدَانَ . قال : « فهل عندَ قومِكَ مِن مَنَعَةٍ ؟ » قال : نَعَمْ . ثُم إنَّ الرجلَ خَشِىَ أنْ يَحْقِرَه[1] قومُه ، فأَتى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : آتِيهم فأُخْبِرُهم ثُم آتيك مِن عامٍ قابلٍ . قال : « نَعَمْ » . فانطَلَقَ ، وجاء وَفْدُ الأَنصارِ فى رجبٍ . وقد رَواه أهلُ السُّنَنِ الأربعةِ ، مِن طُرُقٍ ، عن إسرائيلَ به[2] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

---

(١) فى الأصل : « يجفوه » . وفى ا ١٥، م : « يخفره » .

(٢) أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذى (٢٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى (٧٧٢٧) ، وابن ماجه (٢٠١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٩٦٠) .

فصل

في[1] قُدومِ وفودِ الأَنصارِ عامًا بعدَ عامٍ حتى بايَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةً بَعْدَ بيعةٍ ثُم [2]بعدَ ذلك[2] تَحَوَّلَ إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ [3]فنزَل بينَ أظهرِهم، كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه، إن شاء اللَّهُ وبه الثقةُ[3]

حديثُ سُوَيْدِ بنِ صامتٍ الأَنْصارىّ، وهو سُوَيْدُ بنُ الصَّامتِ [4]بنِ خالدِ[4] ابنِ عطيَّةَ بنِ حَوْطِ بنِ حَبيبِ[5] بنِ عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ، وأُمُّه لَيْلَى بنتُ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةُ أختُ سَلْمَى بنتِ عَمْرٍو أمِّ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ. فسُوَيْدٌ هذا ابنُ خالةِ عبدِ المُطَّلِبِ جَدِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ[6]: وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على ذلك مِن أمْرِه، كُلَّما اجْتَمَعَ له[7] الناسُ بالمَوْسِمِ، أَتاهم يَدْعو القبائلَ إلى اللَّهِ وإلى الإِسْلامِ، ويَعْرِضُ عليهم نفسَه وما جاءَ به مِن الهُدَى والرَّحْمةِ، ولا يَسْمَعُ بقادمٍ يَقْدَمُ مكةَ مِن العربِ له اسمٌ وشَرَفٌ إلَّا تَصَدَّى له، وَدَعاه إلى اللَّهِ تعالى،

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٧.

(٥) بعده فى ا ١٥: «بن عوف». وانظر المصدر السابق.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٥.

(٧) سقط من: م، ص.

وعَرَضَ عليه ما عندَه .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : حدَّثني عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، [٢/١٢٥و] عن أشْياخٍ مِن قومِه ، قالوا : قدِمَ سُوَيْدُ بنُ الصامتِ أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ مكةَ حاجًّا ، أو مُعْتَمِرًا ، وكان سُوَيْدٌ إنَّما يُسَمِّيه قومُه - فيهم - الكاملَ ؛ لجَلَدِه ، وشِعْرِه ، وشَرَفِه ، ونَسَبِه ، وهو الذى يَقولُ :

ألا رُبَّ مَن تَدْعُو صَدِيقًا ولو تَرى ... مَقالَتَه بالغَيْبِ ساءَكَ ما يَفْرِى[2]

مقالتُه كالشَّهْدِ[3] ما كان شاهدًا ... وبالغَيْبِ مأْثورٌ[4] على ثُغْرَةِ النَّحرِ

يَسُرُّك باديه وتحتَ أَدِيمِه ... نميمةُ[5] غِشٍّ تَبْتَرِى[6] عَقَبَ[7] الظَّهْرِ

تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتمٌ ... مِن الغِلِّ والبغضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ[8]

فَرِشْنى[9] بخيرٍ طالما قد بَرَيْتَنى ... وخيرُ[10] الموالى مَن يَرِيشُ ولا يَبْرِى

قال : فتصدَّى له رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ سَمِعَ به ، فدَعاه إلى اللَّهِ والإسلامِ ، فقال له سُوَيْدٌ : فلعلَّ الذى معَك مِثلُ الذى معى ؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ - ٤٢٧.

(٢) يقال : فَرَى فلانٌ الكذب يَفريه ؛ إذا اختلقه . اللسان (ف ر ى) .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « كالشحم » .

(٤) مأثور : يعنى السيف . انظر الروض الأنف ٤/ ٦٥.

(٥) فى م ، ص : « تميمة » .

(٦) ابترى العود والقلم والقدح وغيرها : نحته . اللسان (ب ر ى) .

(٧) العقب من كل شيء : عَصَب المَتْنَين والساقَين والوَظِيفَين . تاج العروس (ع ق ب) .

(٨) نظر شزر : فيه إعراض كنظر المعادى المبغض . اللسان (ش ز ر) .

(٩) يقال : راشه يريشه ، إذا أحسن إليه . وكل من أوليته خيرًا فقد رِشته . اللسان (ر ى ش) .

(١٠) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « شر » .

« وما الذى معَك ؟ » قال : مَجَلَّةُ لُقْمَانَ - يَعْنِى حِكمةَ لُقْمانَ - . فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ : « اعْرِضْهَا عَلَىَّ » فعَرَضَها عليه ، فقالَ : « إِنَّ هذا الكلامَ حسنٌ ، والذى معى أفضلُ مِن هذا ؛ قرآنٌ أنْزَلَه اللَّهُ علىَّ ، هو هُدًى ونُورٌ » . فتَلا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ القرآنَ ، ودعَاه إلى الإسلامِ ، فلم يَبْعُدْ منه ، وقال : إنَّ هذا القولَ حسنٌ . ثم انصَرَفَ عنه فقَدِمَ المدينةَ على قومِه ، فلم يَلْبَثْ أنْ قتلَتْه الخَزْرَجُ ، فإن كان رجالٌ مِن قومِه لَيقولون : إنَّا لنراهُ قد قُتِلَ وهو مُسْلِمٌ ، وكان قَتْلُه قبلَ بُعَاثَ . وقد روَاه البَيْهقىُّ[1] ، عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسْحاقَ بأَخْصَرَ مِن هذا .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٤١٩.

إسلامُ إياسِ بنِ مُعاذٍ

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : وحدَّثنى الحُصَيْنُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ ابنِ مُعَاذٍ[(٢)] ، عن محمودِ بنِ لَبيدٍ قال : لَمَّا قَدِمَ أبو[(٣)] الحَيْسَرِ أنسُ بنُ رافعٍ مكةَ ، ومعَه فِتْيَةٌ مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ فيهم إياسُ بنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسون الحِلْفَ مِن قُرَيشٍ على قومِهم مِن الخَزْرَجِ ، سمِعَ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأَتاهم ، فجلَسَ إليهم فقال لهم : « هَلْ لكُمْ فِى خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ له[(٤)] ؟ » قال : فقالوا : وَمَا ذَاكَ ؟ قال : « أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إلى العِبَادِ ، أَدْعُوهُم إلى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا به شَيْئًا ، وأُنْزِلَ علىَّ الكِتابُ » . ثُم ذَكَرَ لهم الإسلامَ ، وتَلا عليهم القرآنَ . قال : فقال إياسُ ابنُ مُعاذٍ ، وكان غُلامًا حَدَثًا : يا قَوْمِ ، هذا واللَّهِ خَيْرٌ مما جِئْتُم له . قال[(٥)] : فأَخَذَ أبو الحيسرِ أنسُ بنُ رافعٍ حَفْنَةً مِن تُرَابِ البَطْحَاءِ ، فضرَبَ بها وجهَ إياسِ ابنِ مُعاذٍ وقال : دَعْنا منك فلَعَمْرِى لقد جِئْنا لغيرِ هذا . قال : فصمَتَ إياسٌ ، وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وانصَرَفوا إلى المدينةِ ، وكانَتْ وقعةُ بُعَاثَ بينَ الأوسِ والخزرجِ . قال : ثُمَّ لم يَلْبَثْ إياسُ بنُ مُعَاذٍ [(٦)]أَنْ هَلَكَ[(٦)] . قال محمودُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) بعده فى الأصل: « قال ابن إسحاق حدثنى الحصين ».

(٣) سقط من: ص. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ١٣١. وأسد الغابة ١/ ١٨٦.

(٤) فى ص: « به ».

(٥) سقط من: م، ص.

(٦ - ٦) سقط من: ١ ١٥.

ابنُ لَبيدٍ : فَأَخْبَرَنِى مَنْ حَضَره[1] مِنْ قَوْمِهِ أنهم لم يَزالوا يَسْمَعونَه يُهَلِّلُ اللَّهَ ويُكَبِّرُه ويُحَمِّدُه ويُسَبِّحُه حتى ماتَ ، فما كانوا يَشُكُّونَ أنه قد ماتَ مُسْلِمًا ، لقد كانَ اسْتَشْعَرَ الإسلامَ فى ذلك المَجْلِسِ حينَ سَمِعَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما سمِعَ .

قلت : كان يومُ بُعاثَ ، وبُعاثُ [٢/١٢٥ظ] موضعٌ بالمدينةِ ، كانَتْ فيه وَقْعَةٌ عظيمةٌ قُتِلَ فيها خَلْقٌ مِن أشرافِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ وكُبرائِهم ، ولم يَبْقَ مِن شيوخِهم إلا القليلُ .

وقد روَى البُخارِىُّ فى « صحيحِه »[2] ، عن عُبَيْدِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبى أُسامةَ[3] ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالَتْ : كان يومُ بُعَاثَ يومًا قدَّمَه اللَّهُ لرسولِه ﷺ ، قدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وقد افترَقَ مَلَؤُهم ، وقُتِلَتْ سَرَاتُهم[4] .

[5]وقال أبو زُرْعةَ الرَّازىُّ فى كتابِه « دلائلِ النبوةِ »[6] : بابُ إسْلامِ رافعِ بنِ مالكٍ ومعاذِ بن عفراءَ ، ثنا إبراهيمُ بنُ [7]يَحْيى بنِ محمدِ[7] [8]بنِ عَبّادٍ[8][5]

---

(١) فى م ، ص : « حضرنى » .
(٢) البخارى (٣٧٧٧) .
(٣) فى م : « أمامة » .
(٤) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « سرواتهم » . ولفظ النسخ ، ورد فى حديث (٣٩٣٠) . والسروات جمع سراة بفتح المهملة وتخفيف الراء ، والسراة جمع سرىّ وهو الشريف . فتح البارى ٧/ ١١١.
(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .
(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ١٤٩، عن إبراهيم بن يحيى بن محمد به ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبى : يحيى الشجرى صاحب مناكير .
(٧ - ٧) فى الأصل ، ا ١٥: « محمد بن يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٢٣٠.
(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ا ١٥. وانظر المصدر السابق .

(١ابنِ هانئٍ الشَّجَرِىُّ(٢)، ثنا أبى، (٣عن ابنِ إسحاقَ٣)، حدثنى عُبَيْدُ(٤) بنُ يحيى، عن معاذِ بنِ رِفاعةَ بنِ رافعٍ، عن أبيه، عن جدِّه(٥) أنَّه خرَج هو وابنُ خالتِه معاذُ بنُ عفراءَ حتى قدِما مكةَ، فلمّا هبَطا من الثَّنِيَّةِ رأَيا رجلًا تحتَ شجرةٍ. قال: وهذا قبلَ خروجِ الستةِ مِن الأنصارِ. قال: فلمّا رأَيْناه كلَّمناه، قلنا: نَأْتِى هذا الرجلَ نَسْتَوْدِعُه راحلَتَيْنا حتى نطوفَ بالبيتِ. فجئنا فسلَّمْنا عليه تسليمَ أهلِ الجاهليَّةِ، فردَّ علينا تسليمَ أهلِ الإسلامِ، وقد سمعتُ بالنبىِّ. قال: فأنكَرْنا، فقلنا: مَن أنت؟ قال: «انزِلُوا». فنزَلْنا فقلنا: أين هذا الرجلُ الذى يَدَّعِى ما يَدَّعِى، ويقولُ ما يقولُ؟ قال: «أنا هو». قلنا: فاعْرِضْ علينا الإسلامَ. فعرَض وقال: «مَن خلَق السماواتِ والأرضَ والجبالَ؟» قلنا: خلَقَهن اللَّهُ. قال: «مَن خلَقَكم؟» قلنا: اللَّهُ. قال: «فمَن عمِلَ هذه الأصنامَ التى تَعْبُدون؟» قلنا: نحن. قال: «الخالقُ أحقُّ بالعبادةِ أو المخلوقُ؟» (٦قلنا: الخالقُ٦). قال: «فأنتم أحقُّ أن تَعْبُدَكم(٧)، وأنتم عمِلْتُموها، واللَّهُ أحقُّ أن١)

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى ا ١٥: «السجزى». وانظر المصدر السابق.

(٣ - ٣) ليس فى المستدرك. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٢٠.

(٤) فى المستدرك: «عبد». وانظر المصدر السابق ٢٨/ ١٢١.

(٥) الحديث فى المستدرك عن رفاعة بن رافع، والظاهر أنه خطأ؛ حيث ورد فى رواية أبى زرعة ورواية الحاكم أنهما ابنا خالة، والظاهر من ترجمة معاذ ورفاعة، أن أم معاذ هى عفراء بنت عبيد، وأم رفاعة هى أم مالك بنت أبى بن سلول. وقد وقع فى اسمَىْ رافع ورفاعة الصحابيَّيْن اختلاف كثير، والراجح من خلال قول المصنف عقب الحديث: إسناد حسن وسياق حسن؛ أن الحديث من رواية رافع بن مالك أبى رفاعة. انظر أسد الغابة ٢/١٩٧ - ١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٥/١٩٧ - ٢٠٠، ٧/ ١٩٧. والأوائل للعسكرى ١/ ٢١٥، ٢١٦.

(٦ - ٦) سقط من: ا ١٥.

(٧) فى الأصل، ا ١٥: «تعبدوا ربكم». والمثبت من المستدرك.

(١) تَعْبُدوه مِن شيءٍ عمِلْتُموه ، وأنا أدعو إلى عبادةِ اللَّهِ وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنّى رسولُ اللَّهِ ، وصلةِ الرحمِ ، وتركِ العدوانِ ، وإن غضِب الناسُ » . فقالا : واللَّهِ لو كان هذا الذى تَدْعُو إليه باطلًا ، لكان مِن معالى الأمورِ ومحاسنِ الأخلاقِ ، فأَمسِكْ راحِلَتَينا حتى نأْتىَ البيتَ . فجلَس عندَه معاذُ بنُ عَفْراءَ . قال رافعٌ : وجئتُ البيتَ فطُفْتُ وأَخرَجْتُ سبعةَ قِداحٍ ، وجعَلْتُ له منها قِدْحًا فاستقبلتُ البيتَ فقلتُ : اللهم إن كان ما يَدْعُو إليه محمدٌ حقًّا فأخرِجْ قِدْحَه . سبعَ مراتٍ ، فضرَبتُ بها سبعَ مراتٍ فصِحْتُ : أشهَد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ . فاجْتَمعَ الناسُ علىَّ ، وقالوا : مجنونٌ ، رجلٌ صَبَأ . فقلتُ : بل رجلٌ مؤمنٌ . ثم جئتُ إلى النبىِّ ﷺ بأعْلى مكةَ ، فلما رَآنِى معاذُ بنُ عَفْراءَ ، قال : لقد جئْتَ بوجهٍ ما ذهبتَ به ، رافعُ . فجئتُ وآمنتُ ، وعلَّمَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ سورةَ « يوسفَ » و﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ ، ثُم خرَجْنا راجعين إلى المدينةِ ، فلمَّا كنّا بالعَقِيقِ قال معاذٌ : إنِّى لم أطْرُقْ ليلًا قطُّ ، فبِتْ بنا حتى نُصْبِحَ . فقلتُ : أبيتُ ومعى ما معى من الخيرِ ؟! ما كنتُ لِأفعلَ . وكان رافعٌ إذا خرَج سَفَرًا ثُم قدِم عَرَّضَ(٢) قومَه . إسنادٌ حسنٌ وسِياقٌ حسنٌ(١) .

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) يقال : عرَّضت الرجل ، إذا أهديتَ له ، ومنه العُراضة ، وهى هدية القادم من سفره . النهاية ٣/ ٢١٥.

بابُ بَدْءِ إسلامِ الأَنصارِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا أرادَ اللَّهُ إظْهارَ دينِه[2] ، وإعزازَ نبيِّه، وإنجازَ مَوْعِدِه له، خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المَوْسِمِ الذى لقِيَه فيه النَّفَرُ مِن الأَنصارِ، فعرَضَ نفْسَه على قبائلِ العربِ كما كانَ يَصْنَعُ فى كلِّ مَوْسِمٍ، فبَيْنا هو عندَ العَقَبَةِ لَقِىَ رَهْطًا مِن الخَزْرَجِ أرادَ اللَّهُ بهم خيْرًا؛ فحدَّثنى [٢/١٢٦و] عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ، عن أشياخٍ مِن قومِه، قالوا: لمَّا لَقِيَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لهم: «مَن أنتم؟» قالوا: نَفَرٌ مِن الخَزْرَجِ. قال: «أَمِن مَوالى يَهُودَ؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «أفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكم» قالوا: بَلى. فجلَسوا معَه فدَعاهم إلى اللَّهِ، وعرَضَ عليهم الإسلامَ، وتَلا عليهم القرآنَ. قال: وكان مما صنَعَ اللَّهُ بهم فى الإسلامِ أنَّ يَهودَ كانوا معَهم فى بِلادِهم، وكانوا أهلَ كِتابٍ وعِلْمٍ، وكانوا هم أهلَ شِرْكٍ أصحابَ أوثانٍ، وكانوا قد عَزُّوهم[3] ببلادِهم، فكانوا إذا كانَ بيْنَهم شىءٌ قالوا لهم[4] : إنَّ نبيًّا مَبْعوثٌ الآنَ قد أَظَلَّ زمانُه نَتَّبِعُه، نَقْتُلُكم معَه قَتْلَ عَادٍ وإرَمَ. فلمَّا كَلَّم رَسولُ اللَّهِ ﷺ أولئك النَّفَرَ ودَعاهم إلى اللَّهِ، قال بعضُهم لبعضٍ: يا قومِ، تَعْلَمونَ واللَّهِ إنَّه لَلنبىُّ الذى تَوَعَّدَكم به يَهودُ، فلا يَسْبِقُنَّكم إليه. فأَجابوه فيما دَعاهم إليه بأنْ صَدَّقُوه، وقَبِلُوا منه ما عرَضَ عليهم مِن الإسْلامِ، وقالوا له: إنَّا قد ترَكْنا قَوْمَنا ولا قومَ، بيْنَهم مِن العَداوةِ والشَّرِّ ما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) سقط من: ص.

(٣) فى الأصل: «عروه». وفى م: «غزوهم». وعز فلانا: غلبه وقهره. الوسيط (ع ز ز).

(٤) سقط من: م، ص.

بينَهم، وعسَى أن يَجْمَعَهم اللَّهُ بك، فسَنَقْدَمُ عليهم فنَدْعوهم إلى أمْرِك، ونَعْرِضُ عليهم الذى أجَبْناك إليه مِن هذا الدينِ، فإنْ يَجْمَعْهم اللَّهُ عليك فلا رجُلَ أَعَزُّ منك. ثُم انصَرَفوا راجِعينَ إلى بِلادِهم قد آمَنوا وصَدَّقُوا.

قال ابنُ إسحاقَ[(١)]: وَهُم فيما ذُكِرَ لى ستةُ نَفَرٍ، كلُّهم مِن الخَزْرَجِ، وهم: أبو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ بنِ عُدَسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثعلبةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النجارِ - [(٢)]قال أبو نُعَيْمٍ[(٣)]: وقد قيل: إنَّه أولُ مَن أَسْلَمَ مِن الأَنصارِ مِن الخَزْرَجِ، ومِن الأَوْسِ أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ. وقيل: إنّ أولَ مَن أَسْلَمَ رافعُ بنُ مالكٍ، ومُعاذُ بنُ عَفْراءَ. واللَّهُ أعلمُ[(٢)] - وعَوْفُ بنُ الحارثِ بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادِ ابنِ مالكِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجارِ - وهو ابنُ عَفْراءَ - النَّجّارِيّانِ، ورافعُ بنُ مالكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عمرِو بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقىُّ، وقُطْبةُ بنُ عامرِ[(٤)] بنِ حَديدةَ بنِ عمرٍو[(٥)] بنِ سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ بنِ سعدِ بنِ علىّ[(٦)] بنِ أسدِ[(٦)] بنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ[(٧)] بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ السَّلَمِىُّ، ثُم مِن بنى سَوادٍ[(٨)]، وعُقْبَةُ بنِ عامرِ بنِ نابى بنِ زيدِ بنِ حَرامِ[(٩)] بنِ كَعْبِ[(١٠)] بنِ غَنْمٍ[(١١)] السَّلَمىُّ أيضًا، ثُم

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ١٥. وهذه العبارة من كلام المصنف، يعود بعدها السياق إلى السيرة.

(٣) دلائل أبى نعيم (٢٢٦). وهذا القول جاء فى سياق الخبر.

(٤) فى ا ١٥: «عمرو». وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٠٦.

(٥) بعده فى الأصل: «بن تميم». وبعده فى ا ١٥، م، ص، سيرة ابن هشام: «بن غنم». وانظر أسد الغابة ٤/ ٤٠٦. والإصابة ٥/ ٤٤٤.

(٦ - ٦) ليست فى سيرة ابن هشام. وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٥٨.

(٧) فى الأصل، ص: «يزيد». وانظر المصدر السابق.

(٨) فى ا ١٥، ص: «سوادة».

(٩) فى ص: «حزام». وانظر أسد الغابة ٤/ ٥٤.

(١٠) بعده فى الأصل: «بن تميم بن كعب». وانظر المصدر السابق.

(١١) فى الأصل، م، ص: «سلمة». وانظر المصدر السابق.

مِن بنى حَرام ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابِ[1] بنِ النُّعْمانِ بنِ سِنانِ بنِ [2]عُبَيْدِ ابنِ[2] عَدِىِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ السَّلَمِىُّ أيضًا ، ثُم مِن بنى عبيدٍ رَضِىَ اللَّهُ عنهم . وهكذا رُوِىَ عن الشَّعْبِىِّ ، والزُّهْرِىِّ وغيرِهما[3] أنَّهم كانوا لَيْلَتَئِذٍ سِتَّةَ نَفَرٍ مِن الخَزْرَجِ .

وذَكَرَ موسَى بنُ عُقْبةَ [4]فيما روَاه عن الزُّهْرِىِّ[5][4] ، وعُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ[6] أنَّ أولَ اجتماعِه ، عليه السَّلامُ ، بهم كانوا ثمانيةً وهم : مُعَاذُ بنُ عَفْرَاءَ ، وأَسْعَدُ ابنُ زُرارةَ ، ورافِعُ بنُ مالكٍ ، وذَكْوَانُ - وهو ابنُ عبدِ قَيْسٍ - وعُبَادةُ بنُ الصَّامِتِ ، وأبو عبدِ الرحمنِ يزيدُ بنُ ثَعلبةَ ، وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ ، وعُوَيْمُ[7] بنُ ساعدةَ . فأَسْلَموا وواعَدوه إلى قابلٍ ، فرجَعوا إلى قومِهم فدَعَوْهم إلى الإسلامِ ، وأرْسَلوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ معاذَ بنَ عَفْرَاءَ ، ورافعَ بنَ مالكٍ ، أن ابْعَثْ إلينا رجلًا يُفَقِّهُنا . فبعَثَ إليهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ ، فنزَلَ على أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ ، وذَكَرَ تَمامَ القِصَّةِ كما سيُورِدُها ابنُ إسْحاقَ أَتَمَّ مِن سِياقِ موسَى بنِ عُقْبةَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسْحاقَ[8] : فلمَّا قَدِمُوا المدينةَ إلى قومِهم ، ذَكَروا لهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ودَعَوْهم إلى الإسلامِ حتى فَشَا فيهم ، فلم تَبْقَ دَارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلَّا

---

(١) فى ا ١٥: «ريان» . وانظر أسد الغابة ١/ ٣٠٦.
(٢ - ٢) سقط من: ص. وانظر المصدر السابق.
(٣) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٦) عن الشعبى والزهرى، مطولًا .
(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.
(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٣٠، عن موسى بن عقبة به .
(٦) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٢٢٧) بإسناده إلى عروة .
(٧) فى ا ١٥: «عويمر» . وانظر أسد الغابة ٤/ ٣١٥.
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣١ - ٤٣٣.

وفيها ذِكْرُ رَسولِ اللّهِ ﷺ، حتى إذا كان العامُ المُقْبِلُ، وافَى المَوْسِمَ مِن الأَنْصارِ اثْنا عَشَرَ رجلًا، [٢/١٢٦ظ] وهم: أبو أُمَامَةَ أسعدُ بنُ زُرَارَةَ المتقدمُ ذكرُه، وعَوْفُ بنُ الحارثِ المتقدِّمُ، وأخوه معاذٌ وهما ابنا عَفْرَاءَ، ورافعُ بنُ مالكٍ المتقدِّمُ أيضًا، وذَكْوَانُ بنُ عبدِ قَيْسِ بنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقيُّ - قال ابنُ هِشامٍ: وهو أنْصاريٌّ مُهاجِرِيٌّ - وعُبَادةُ بنُ الصامتِ بنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وحليفُهم أبو عبدِ الرحمنِ يَزيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمةَ[1] بنِ أَصْرَمَ البَلَوِيُّ، والعباسُ بنُ عُبَادَةَ بنِ نَضْلَةَ بنِ مالكِ بنِ العَجْلَانِ بنِ زيدِ[2] بنِ غَنْمِ بنِ سالمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ العَجْلَانِيُّ، وعُقْبةُ بنُ عامرِ بنِ نابِي المتقدِّمُ ذكْرُه[3]، وقُطْبَةُ بنُ عامرِ بنِ حَدِيدَةَ المتقدِّمُ، فهؤلاء عَشَرَةٌ مِن الخَزْرَجِ، ومِن الأَوْسِ اثنان وهما؛ عُوَيْمُ[4] بنُ ساعِدَةَ، وأبو الهَيْثَمِ مالكُ بنُ التَّيِّهانِ. قال ابنُ هِشامٍ: التَّيِّهانُ يُخَفَّفُ ويُثَقَّلُ، كمَيْتٍ ومَيِّتٍ.

قال السُّهَيْلِيُّ[5]: أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، اسمُه مالكُ بنُ مالكِ بنِ عَتِيكِ بنِ عَمرِو بنِ عبدِ الأَعْلَمِ بنِ عامرِ بنِ زَعْوَرِ[6] بنِ جُشَمَ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمرِو ابنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ. قال[7]: وقيل: إنَّه إراشِيٌّ. وقيل: بَلَوِيٌّ. ولهذا[8] لم يَنْسِبْه

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة ٦/ ٦٥٠: خزَمة: بفتح المعجمتين، ضبطه الدارقطنى، وقاله ابن إسحاق والكلبى بسكون الزاى.

(٢) فى م: «يزيد». وانظر أسد الغابة ٣/ ١٦٣.

(٣) زيادة من: ا ١٥.

(٤) فى ا ١٥: «عويمر». وانظر المصدر السابق ٤/ ٣١٥.

(٥) الروض الأنف ٤/ ٩٤، ٩٥.

(٦) فى ا ١٥: «وعر». وفى م: «زعون».

(٧) أى فى الروض ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٨) فى الأصل، م، ص: «وهذا».

ابنُ إسحاقَ ولا ابنُ هشامٍ. قال[1]: والهَيْثَمُ فرْخُ[2] العُقابِ، وضَرْبٌ مِن النباتِ.

والمقصودُ أنَّ هؤلاء الاثْنَىْ عَشَرَ رجلًا شَهِدُوا المَوْسِمَ عامَئِذٍ، وعَزَموا على الاجتماعِ برسولِ اللَّهِ ﷺ، فلَقُوه بالعَقَبَةِ، فبايَعُوه عندَها بَيْعَةَ النِّساءِ، وهى العَقبةُ الأُولى. وروَى أبو نُعَيْمٍ[3]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأ عليهم مِن قولِه تعالى فى سورةِ «إبراهيمَ»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥] إلى آخِرِها. وقال ابنُ إسحاقَ[4]: حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ، عن[5] مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنيِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عُسَيْلَةَ الصُّنابِحيِّ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ قال: كنتُ مِمَّن حَضَر العَقَبَةَ الأُولى، وكنَّا اثْنَىْ عشَرَ رجلًا، فبايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على بَيْعةِ النِّساءِ، وذلك قبلَ أن تُفْتَرَضَ الحربُ، على أن لا نُشْرِكَ باللَّهِ شيئًا، ولا نَسْرِقَ، ولا نَزْنِىَ، ولا نَقْتُلَ أولادَنا، ولا نَأْتِىَ ببُهْتانٍ نَفْتَرِيهِ بينَ أيدينا وأرجُلِنا، ولا نَعْصِيَه فى معروفٍ، «فإنْ وَفَيْتُم، فلكم الجَنَّةُ، وإن غَشِيتُم[6] مِن ذلك شيئًا، فأَمْرُكم إلى اللَّهِ، إن شاءَ عَذَّبَ، وإن شاءَ غَفَرَ». وقد روَى البُخاريُّ، ومسلمٌ[7] هذا الحديثَ مِن طريقِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ به نحوَه.

قال ابنُ إسْحاقَ[8]: وذَكَر ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عن عائذِ اللَّهِ[9] بنِ عبدِ اللَّهِ[9]

---

(١) فى الروض ٤/ ٩٦.

(٢) بعده فى الروض: «النسر أو».

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٧٢، ٣٧٣، وعنده أنهم كانوا ستة نفر.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٣.

(٥) بعده فى السيرة: «أبى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٥٧، ١٧/ ٢٨٢.

(٦) أى قصدتم وباشرتم.

(٧) البخارى (٣٨٩٣، ٦٨٧٣). ومسلم (١٧٠٩).

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤.

(٩ - ٩) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٨٨.

أبى[1] إدريسَ الخَوْلانِىِّ ، أنَّ عُبادةَ بنَ الصَّامتِ حَدَّثَه أنَّه قال : بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبةِ الأُولى ، أن لَا نُشْرِكَ باللَّهِ شيئًا ، ولا نَسْرِقَ ، ولا نَزْنِىَ ، ولا نَقْتُلَ أولادَنا ، ولا نَأْتِىَ بِبُهْتانٍ نَفْتَرِيه بينَ أَيْدِينا وأَرْجُلِنا ، ولا نَعْصِيَه فى معروفٍ ، « فإن وَفَيْتُم فلكم الجَنَّةُ ، وإن غَشِيتُم مِن ذلك شيئًا ، فَأُخِذْتم بِحَدِّه[2] فى الدنيا ، فهو كَفَّارةٌ له ، وإن سُتِرْتُم عليه إلى يومِ القِيامةِ ، فأمْرُكم إلى اللَّهِ ؛ إن شاءَ عَذَّبَ وَإن شاء غَفَرَ » . وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحَيْنِ »[3] وغيرِهما[4] مِن طُرُقٍ ، عن الزُّهْرِىِّ به نَحْوَه . وقولُه : على بَيْعةِ النِّساءِ . يعنى على وَفْقِ ما نَزَلَتْ عليه بيعةُ النِّساءِ بعدَ ذلك عامَ الحُدَيْبِيَةِ ، وكان هذا مِمَّا نَزَل على وَفْقِ ما بايَع عليه أصحابُه ليلةَ العَقَبةِ ، وليس هذا بعَجِيبٍ ؛ فإنَّ القرآنَ نَزَل بمُوافقةِ عمرَ بنِ الخطَّابِ فى غيرِ ما مَوْطِنٍ ، كما بيَّنَّاه فى « سِيرتِه » ، وفى « التفسيرِ »[5] ، وإن كانتْ هذه البَيْعةُ [٢/١٢٧و] وَقَعَتْ عن وَحْيٍ غيرِ مَتْلُوٍّ ، فهو أظْهَرُ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فلمَّا انْصَرَف عنه القومُ ، بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ عبدِ الدَّارِ بنِ قُصَىٍّ ، وأمَرَه أن يُقرِئَهم القرآنَ ، ويُعلِّمَهم الإسلامَ ، ويُفَقِّهَهم فى الدِّينِ . وقد روَى البَيْهَقِىُّ[7] ،

---

(١) فى الأصل ، ١ ١٥: « بن » . وانظر المصدر السابق .

(٢) فى الأصل : « بحد » .

(٣) سقط من: الأصل . والحديث أخرجه البخارى (١٨) . ومسلم (١٧٠٩) .

(٤) الترمذى (١٤٣٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١١٦٥) . والنسائى (٤١٨٩) . صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٩٤) .

(٥) التفسير ٣/ ٥٥٨، ٤/ ٣٢.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤.

(٧) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٧.

عن ابنِ إسحاقَ ، قال : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ إنَّما بَعَث مُصعَبًا حينَ كَتَبوا إليه أن يَبْعَثَه إليهم . وهو الذى ذَكَره موسى بنُ عُقْبَةَ ، كما تَقَدَّمَ[1] ، إلَّا أنَّه جَعَل المرَّةَ الثانيةَ هى الأُولى . قال البَيْهَقِىُّ[2] : وسِياقُ ابنِ إسحاقَ أتمُّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ يقولُ : لا أَدرِى ما العَقَبَةُ الأُولى . ثُم يقولُ ابنُ إسحاقَ[4] : بلى لَعَمْرِى قد كانتْ عَقَبَةٌ وعقبةٌ . قالوا كلُّهم[5] : فنَزَل مُصْعبٌ على أَسعدَ بنِ زُرارَةَ ، فكان يُسَمَّى بالمدينةِ المُقْرِئَ . قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عُمرَ بنِ قَتادَةَ ، أنَّه كان يُصَلِّى بهم ؛ وذلك أنَّ الأَوْسَ والخَزْرَجَ كَرِه بعضُهم أن يَؤُمَّه بعضٌ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أَجمعين . قال ابنُ إسحاقَ[7] : وحدَّثنى محمدُ بنُ أبى أُمامَةَ بنِ سَهْلِ[8] بنِ حُنَيْفٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، قال : كنتُ قائدَ أبى حينَ ذَهَب بصرُه ، فكُنتُ إذا خَرَجْتُ به إلى الجمعةِ ، فسَمِع الأذانَ بها ، صَلَّى على أبى أُمامَةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ . قال : فمَكَث حِينًا على ذلك لا يَسْمَعُ الأذانَ للجمعةِ إلَّا صَلَّى عليه واستَغْفَرَ له . قال : فقلتُ فى نفسى : واللَّهِ إنَّ هذا بى لَعَجْزٌ ؛ ألَا أَسأَلَه . فقلتُ : يا أبتِ ، مالك إذا سَمِعتَ الأذانَ للجمعةِ ، صَلَّيْتَ على أبى

---

(1) تقدم صفحة ٣٧٣.
(2) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٣.
(3) المصدر السابق ٢/ ٤٣٨.
(4) المصدر السابق.
(5) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤. والدلائل للبيهقى ٢/ ٤٣١، ٤٣٧.
(6) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٤، ٤٣٥.
(7) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٥.
(8) فى الأصل: «سهيل». وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٠١.

أُمامةَ ؟ فقال : أىْ بُنَىَّ ، كان أوَّلَ مَن جَمَّع بنا بالمدينةِ فى هَزْمِ[1] النَّبِيتِ[2] مِن حَرَّةِ بنى بَياضَةَ ، فى نَقِيعٍ[3] يُقالُ له : نقيعُ الخَضِماتِ[4] . قال : قلتُ : وكم أنتم يومَئِذٍ؟ قال : أربعونَ رجلًا . وقد روَى هذا الحديثَ أبو داودَ ، وابنُ ماجَه[5] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، رَحِمه اللَّهُ . وقد روَى الدَّارَقطنِىُّ[6] ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَتَب إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ يَأمرُه بإقامةِ الجمعةِ . وفى إسنادِه غَرابَةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسْحاقَ[7] : وحدَّثَنى عبيدُ اللَّهِ بنُ المُغيرَةِ بنِ مُعَيْقِيبٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بَكْرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، أنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرَارةَ خرَج بمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ ، يريدُ به دارَ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ودارَ بنى ظَفَرٍ ، وكان سَعْدُ بنُ مُعاذٍ ابنَ خالةِ أَسْعَدَ بنِ زُرَارةَ ، فدخَل به حائطًا مِن حوائطِ بنى ظَفَرٍ ، على بئرٍ يقالُ له :

---

(١) الهزم : ما اطمأنَّ من الأرض . القاموس المحيط (هـ ز م) .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥: « الحرة » .

(٣) هنا وفيما يأتى فى م ، ص : « بقيع » .

(٤) قال فى معجم البلدان – بعد ذكره تفصيل الخلاف بين « بقيع » و« نقيع » ، و« هزم من حرة بنى بياضة » و« هزم النبيت » – : « ثم قرأت فى كتاب الروض الأنف ... فقال : وذكر ابن إسحاق أنه جمَّع بهم أبو أمامة عند هزم النبيت ؛ جبلٍ على بريد من المدينة . فى هذا خلافان ؛ قوله : النبيت . وكلهم قال : بياضة . وقوله : جبل . والهزم ، بإجماع أهل اللغة : المنخفض من الأرض . وذكر بعض أهل المغاربة فى حاشية كتابه قولًا حسنًا جمع بين القولين ، فإن صح فهو المعمول عليه ، قال : جمع بنا فى هزم بنى النبيت من حرة بنى بياضة ، فى نقيع يقال له : نقيع الخضمات ، قلت : والنبيت بطن من الأنصار ، وهو عمرو بن مالك بن الأوس ، وبياضة أيضًا بطن من الأنصار ، وهو بياضة بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة ابن مالك بن غضب بن جُشَم بن الخزرج » . معجم البلدان ٤/ ٩٧٢، ٩٧٣. وانظر ما أشار إليه فى الروض ٤/ ٩٩، ١٠٠.

(٥) أبو داود (١٠٦٩) . وابن ماجه (١٠٨٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٩٤٤) .

(٦) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٤/ ١٠١، ١٠٢.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٥، ٤٣٦.

بئرُ مَرَقٍ . فجلَسَا فى الحائطِ ، واجْتَمَعَ إليهما رجالٌ ممَّن أَسْلَمَ ، وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ وأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ يومَئذٍ سيِّدَا قومِهما مِن بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، وكِلاهما مشركٌ على دِينِ قومِه ، فلمَّا سَمِعَا به ، قال سَعْدٌ لأُسَيْدٍ : لا أَبَا لَكَ ، انطَلِقْ إلى هذينِ الرجُلَيْنِ اللذَيْن قد أَتَيا دارَيْنا لِيُسَفِّها ضعفاءَنا فازْجُرْهما ، وانْهَهُما عن أنْ يَأْتِيا دارَيْنا ، فإنَّه لولا أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ منى حيثُ قد عَلِمْتَ ، كفَيْتُك ذلك ، هو ابنُ خالتى ولا أَجِدُ عليه مُقَدَّمًا . قال : فأخَذ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَه ثُم أَقْبَلَ إليهما ، فلمَّا رآه أَسْعَدُ بنُ زُرارةَ قال لِمُصْعَبٍ : هذا سيدُ قومِه ، وقد جاءَكَ ، فاصْدُقِ اللَّهَ فيه . قال مُصْعَبٌ : إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْه . قال : فوقَف عليهما مُتَشَتِّمًا فقال : ما جاءَ بكما إلينا تُسَفِّهان ضُعفاءَنا ؟ اعْتَزِلَانا إنْ كانت لكما [٢/١٢٧ظ] بأَنفُسِكما حاجةٌ .

وقال موسَى بنُ عُقْبَةَ[(١)] : فقال له : عَلَامَ[(٢)] أَتَيْتَنا فى دُورِنا بهذا الوحيدِ[(٣)] الغريبِ الطَّريدِ ، يُسَفِّهُ[(٤)] ضُعفاءَنا بالباطلِ ويَدْعُوهم إليه ؟! قال ابنُ إسْحاقَ[(٥)] : فقال له مُصْعَبٌ : أَوَ تَجْلِسُ فتَسْمَعَ ، فإنْ رَضِيتَ أمرًا قَبِلْتَه ، وإنْ كَرِهْتَه ، كُفَّ عنك ما تَكْرَهُ . قال : أَنْصَفْتَ . قال : ثُم ركَز حربتَه وجلَس إليهما ، فكَلَّمَه مُصْعَبٌ بالإسلامِ ، وقرَأ عليه القرآنَ ، فقالا فيما يُذْكَرُ عنهما : واللَّهِ لَعَرَفْنا فى وجهِه الإسلامَ قبلَ أنْ يَتَكَلَّمَ ، فى إشراقِه وتَسَهُّلِه ، ثُم قال : ما أحسنَ هذا وأجملَه ، كيف تَصْنَعون إذا أَرَدْتُم أنْ تَدْخُلوا فى هذا الدينِ ؟ قالا له : تَغْتَسِلُ

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) فى م ، ص : « غلام » .

(٣) فى ١ ١٥: « الرجل » . وفى م ، ص : « الرعيد » .

(٤) فى م : « ليتسفه » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٦، ٤٣٧.

فتَطَّهَّرُ ، وتُطَهِّرُ ثَوْبَيْك ، ثُم تَشْهَدُ شهادةَ الحقِّ ، ثُم تُصَلِّى . فقامَ فاغْتَسَلَ ، وطَهَّرَ ثَوْبَيْه ، وتَشَهَّدَ شهادةَ الحقِّ ، ثُم قامَ فركَع ركعتين ، ثُم قال لهما : إنَّ ورائِى رجُلًا إنِ اتَّبَعَكما لم يَتَخَلَّفْ عنه أحدٌ مِن قومِه ، وسأُرْسِلُه إليكما الآنَ ؛ سعدَ بنَ مُعَاذٍ . ثُم أخَذ حربتَه وانصَرَفَ إلى سعْدٍ وقومِه وهم جلوسٌ فى نادِيهم ، فلمَّا نظَر إليه سعدُ بنُ مُعاذٍ مُقْبِلًا قال : أَحْلِفُ باللَّهِ ، لقد جاءَكم أُسَيْدٌ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به مِن عندِكم . فلمَّا وقَف على النادى قال له سعدٌ : ما فعَلْتَ ؟ قال : كَلَّمْتُ الرجُلَيْن ، فواللَّهِ ما رأَيْتُ بهما بَأْسًا ، وقد نهَيْتُهما فقالا : نَفْعَلُ ما أحْبَبْتَ . وقد حُدِّثْتُ أنَّ بنى حارِثَةَ قد خرَجوا إلى أسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ ليَقْتُلُوه ؛ وذلك أنَّهم عرَفوا أنَّه ابنُ خالتِك ليُخْفِروكَ[(١)] . قال : فقامَ سعدُ بنُ مُعاذٍ مُغْضَبًا مُبادِرًا ؛ تَخَوُّفًا[(٢)] للذى ذُكِرَ له مِن بنى حارثةَ ، وأخَذ الحربةَ فى يدِه ثُم قال : واللَّهِ ما أَرَاك أغنَيْتَ شيئًا . ثُم خرَج إليهما ، فلمَّا رآهما سعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ ، عرَف أنَّ أُسَيْدًا إنَّما أرادَ منه[(٣)] أنْ يَسْمَعَ مِنهما ، فوقَف عليهما[(٤)] مُتَشَتِّمًا ، ثُم قال لأَسْعَدَ بنِ زُرارَةَ : يا أبا أُمامةَ ، واللَّهِ لولا ما بَيْنى وبَيْنَك مِن القرابةِ ما رُمْتَ هذا مِنى ، أتَغْشانا فى دارَيْنا بما نَكْرَهُ ؟! قال : وقد قال أَسْعَدُ لمُصْعَبٍ : جاءَك واللَّهِ سيدٌ مِن ورائِه قومُه ، إنْ يَتْبَعْك لا يَتَخَلَّفْ عنك منهم اثنانِ . قال : فقال له مُصْعَبٌ : أوَ تَقْعُدُ فتَسْمَعَ ، فإنْ رَضِيتَ أمرًا ورَغِبْتَ فيه قَبِلْتَه ، وإنْ كَرِهْتَه عَزَلْنا عنك ما تَكْرَهُ . قال سَعْدٌ : أَنْصَفْتَ . ثُم ركَزَ الحربةَ وجلَسَ ، فعرَض عليه الإسلامَ ، وقرَأ عليه القرآنَ - وذكَر موسَى بنُ عقبةَ[(٥)] أنه

---

(١) فى م : « ليحقروك » . وأخفره : نقض عهده وغدر به . الوسيط (خ ف ر) .

(٢) فى م ، ص : « مخوفا » .

(٣) سقط من النسخ . وأثبتناه من السيرة ليستقيم السياق .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٣٢ .

قرأ عليه أولَ « الزُّخْرُفِ » - قال : فعرَفْنا واللَّهِ فى وجهِه الإسلامَ قبلَ أنْ يَتَكلَّمَ ؛ لإشراقِه وتَسَهُّلِه ، ثُم قال لهما : كيف تَصْنَعون إذا أنتم أَسْلَمْتُم ودخَلْتُم فى هذا الدينِ ؟ قالا : تَغْتَسِلُ فتطَّهَّرُ وتُطَهِّرُ ثَوْبَيْك ، ثُم تَشْهَدُ شهادةَ الحقِّ ، ثُم تُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ . قال : فقامَ فاغْتَسَلَ ، وطَهَّرَ ثَوْبَيْه ، وشَهِدَ شهادةَ الحقِّ ، ثُم ركَع رَكْعَتَيْنِ ، ثُم أخَذ حربتَه ، فأقبَلَ عامدًا[1] إلى نادى قومِه ومعه أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ ، فلمّا رآه قومُه مقبِلًا قالوا : نَحْلِفُ باللَّهِ ، لقد رجَع إليكم سَعْدٌ بغيرِ الوجهِ الذى ذهَب به مِن عندِكم . فلمَّا وقَفَ عليهم قال : يا بَنِى عبدِ الأَشْهَلِ ، كيف تَعْلَمون أَمْرى فيكم ؟ قالوا : سيدُنا ، وأفضلُنا رأيًا ، وأَيْمَنُنا نَقِيبَةً . قال : فإنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم علىَّ حرامٌ حتى تُؤْمِنوا باللَّهِ ورسولِه . قال : فواللَّهِ ما أمْسَى فى دارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ رجلٌ ولا امرأةٌ إلّا مسلمًا أو مسلمةً ، ورجَع أَسْعَدُ[2] [٢/١٢٨و] ومُصْعَبٌ إلى منزلِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ ، [3]فأقامَ عندَه يَدْعُو[3] الناسَ إلى الإسلامِ ، حتى لم تَبْقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلّا وفيها رجالٌ ونساءٌ مسلمون ، إلّا ما كان مِن دارِ بنى أُمَيَّةَ بنِ زيدٍ ، وخَطْمَةَ ، ووائلٍ ، وواقِفٍ ، وتلك أَوْسٌ ، وهم مِن الأَوْسِ بنِ حارِثَةَ ، وذلك أنَّهم كان فيهم أبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ واسمُه صَيْفِيٌّ . وقال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ : اسمُه الحارِثُ ، وقيل : عبدُ اللَّهِ[4] . واسمُ أبيه الأَسْلَتِ : عامرُ بنُ جُشَمَ بنِ وائلِ بنِ زيدِ بنِ قيسِ بنِ عامرِ بنِ مُرَّةَ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ[5] . وكذا نَسَبَه ابنُ[6] الكَلْبِيِّ أيضًا[7] . وكان شاعرًا لهم ، قائدًا يَسْتَمِعون

---

(١) فى م : « عائذا » .

(٢) فى م ، ص : « سعد » .

(٣ - ٣) فى م : « فأقاما عنده يدعوان » .

(٤) فى م ، ص : « عبيد الله » .

(٥) انظر قول الزبير بتمامه فى أسد الغابة ٣/ ٤٠، ٦/ ٢٥٦.

(٦) سقط من : م، ص.

(٧) جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٦٤٦، ٦٤٧.

منه ويُطِيعُونَه ، فوقَف بهم عن الإسلامِ ، حتى كان بعدَ الخَنْدَقِ .

قلتُ : وأبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ هذا ، ذكَر له ابنُ إسْحاقَ أشْعارًا رَبَّانِيَّةً[1] حَسَنةً ، تَقْرُبُ مِن أشعارِ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ .

قال ابنُ إسحاقَ فيما تَقَدَّمَ[2] : ولمَّا انتَشَرَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى العربِ وبلَغ البُلْدانَ ، ذُكِرَ بالمدينةِ ، ولم يكنْ حيٌّ مِن العربِ أعلمَ بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - حينَ ذُكِرَ وقبلَ أنْ يُذْكَرَ - مِن هذا الحيِّ مِن الأَوْسِ والخَزْرَجِ ؛ وذلك لِمَا كانوا يَسْمَعون مِن أحبارِ يَهُودَ ، فلمَّا وقَع أمرُه بالمدينةِ وتَحَدَّثوا بما بينَ قريشٍ فيه مِن الاختلافِ ، قال أبو قَيْسِ بنُ الأَسْلَتِ أخو بنى واقِفٍ - [3]قال السُّهَيْلِىُّ[4] : هو أبو قَيْسٍ صِرْمَةُ بنُ أبى أَنَسٍ ، واسمُ أبى أَنَسٍ قَيْسُ بنُ صِرْمَةَ ابنِ مالكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجَّارِ . قال[5] : وهو الذى أُنزِلَ فيه وفى عُمَرَ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾ الآية [البقرة : ١٨٧] .

قال ابنُ إسحاقَ[6][3] : وكان يُحِبُّ قريشًا ، وكان لهم صِهْرًا ، كانت تحتَه

---

(١) فى م : « بائية » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٢.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل . وهذا الجزء مقحم من شرح السهيلى على ترجمة أبى قيس صرمة بن أبى أنس التى أوردها ابن هشام فى السيرة ١/ ٥١٠. فإن أبا قيس صرمة ليس هو المقصود فى سياق رواية ابن إسحاق التى بين أيدينا ، وإنما المقصود هو أبو قيس - صيفى - ابن الأسلت أخو بنى واقف ، واسم الأسلت : عامر ، كما ذكر ذلك السهيلى فى موضعه من الروض ٣/ ١٠٧، ١٠٨.

والسياق بدون الجزء المقحم مستقيم ، وإنما أردنا إثباته لما سيأتى من كلام المصنف حين يخلط - رحمه اللَّه - بين سياقات ابن إسحاق فى السيرة والتى ينقلها المصنف من ترجمة أبى قيس بن الأسلت فى بابنا هذا « بدء إسلام الأنصار » ، وأبى قيس صرمة بن أبى أنس .

(٤) الروض الأنف ٤/٣٨٩ .

(٥) أى السهيلى .

(٦) سيرة ابن هشام ١/٢٨٣ - ٢٨٦.

أَرْنَبُ بنتُ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ، وكان يُقِيمُ عندَهم السنينَ بامرأتِه – قال قصيدةً يُعَظِّمُ فيها الحُرْمَةَ، ويَنْهَى قريشًا فيها عن الحربِ، ويَذْكُرُ فَضْلَهم وأَحْلامَهم، ويُذَكِّرُهم بلاءَ اللَّهِ عندَهم، ودَفْعَه عنهم الفيلَ وكيدَه، ويَأْمُرُهم بالكَفِّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ:

أيا[1] راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... مُغَلْغَلَةً[2] عنى لُؤَىَّ بنَ غالِبِ

رسولَ امرئٍ قد راعَه ذاتُ بينِكم ... على النَّأْيِ محزونٍ بذلك ناصبِ

وقد كان عندى للهمومِ مُعَرَّسٌ[3] ... ولم أَقْضِ منها حاجتى ومَآربى

نُبَيِّتُكم[4] شَرْجَيْنِ كُلُّ قبيلةٍ ... لها أَزْمَلٌ مِن بينِ مُذْكٍ وحاطبِ[5]

أُعِيذُكمْ باللَّهِ مِن شَرِّ صُنْعِكمْ ... وشرِّ تَباغِيكمْ ودَسِّ العقاربِ

وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوَى سَقِيمَةٍ ... كوَخْزِ الأَشافى[6] وَقْعُها حَقٌّ صائبِ

فذَكِّرْهمُ باللَّهِ أولَ وَهْلَةٍ ... وإحلالِ إحرامِ الظِّباءِ الشَّوازِبِ[7]

---

(١) فى النسخ والسيرة: «يا». والمثبت ليستقيم الوزن.

(٢) المغلغلة: الرسالة محمولة من بلد إلى بلد. القاموس المحيط (غ ل ل).

(٣) المعرس: موضع نزول القوم فى آخر الليل للاستراحة. القاموس المحيط (ع ر س).

(٤) فى الأصل، ا ١٥: «بيينكم». وفى ص: «ينبئكم».

(٥) شرجين: فريقين مختلفين. الأزمل: الصوت. المذكى: الذى يوقد النار. الحاطب: الذى يحطب لها. ضُرِب هذا مثلا لنار الحرب. الروض الأنف ٣/ ١٠٨، ١٠٩.

(٦) الأشافى: جمع إِشْفَى، وهو مِخْرَز الإسكاف.

(٧) قال السهيلى فى قوله: وإحلال إحرام الظباء الشوازب: أى إن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بُعْد لتأمن فيه، فهى شازبة، أى ضامرة من بُعد المسافة، فإذا لم تحلوا بالظباء فيه، فأحرى ألا تحلوا بدمائكم. الروض الأنف ٣/ ١٠٩، ١١٠.

وقُلْ لهمُ واللَّهُ يَحْكُمُ حُكْمَه ... ذَرُوا الحربَ تَذْهَبْ عنكمُ فى المَرَاحِبِ[1]

متى تَبْعَثوها تَبْعَثوها ذَمِيمَةً ... هى الغُولُ[2] للأقصَيْنَ أو للأقاربِ

تُقَطِّعُ أرْحامًا وتُهْلِكُ أُمَّةً ... وتَبْرِى السَّدِيفَ مِن سَنامٍ وغارِبِ[3]

وتَسْتَبْدِلوا بالأَتْحَمِيَّةِ بعدَها ... شَلِيلًا وأَصْدَاءً ثيابَ المُحارِبِ[4]

وبالمِسْكِ والكافورِ غُبْرًا سَوابِغًا ... كأَنَّ قَتِيرَيْها عيونُ الجنادبِ[5]

[٢/١٢٨ظ] فإياكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم ... وحَوْضًا وَخِيمَ الماءِ مُرَّ المَشارِبِ

تَزَيَّنُ للأقوامِ ثُم يَرَوْنَها ... بعاقبةٍ إذ بُيِّنَتْ[6] أُمَّ صاحبِ

تُحَرِّقُ لا تُشْوِى ضَعيفًا وتَنْتَحِى ... ذوِى العزِّ منكم بالحُتُوفِ الصوائبِ[7]

ألم تَعْلَموا ما كان فى حربِ داحِسٍ ... فَتَعْتَبِروا أو كان فى حربِ حاطبِ

---

(١) فى م: «المراجب». والمراحب: من الرَّحْب والرَّحابة، أى السَّعة، ويعنى هنا بالمراحب: الأماكن الواسعة، يقول: دعوا الحرب بعيدًا عنكم، ولا تكتووا بويلاتها.

(٢) قال ابن السِّكِّيت: كل ما أهلك الإنسانَ فهو غُول. اللسان (غ و ل).

(٣) تبرى: تنحت. السديف: شحم السنام. والغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعنق. القاموس (س د ف)، (غ ر ب).

(٤) الأتحمية: ثياب رقاق تصنع باليمن. الشليل: درع قصيرة. الأصداء: جمع صدأ الحديد. الروض الأنف ٣/ ١١٠.

(٥) السوابغ: الدروع الواسعة. والمفرد سابغة. انظر اللسان (س ب غ). والقتير: مسامير الدرع. اللسان (ق ت ر). والجنادب: جمع جُنْدَب؛ وهو الذكر من الجراد. اللسان (ج د ب). يذكُرهم إن دخلوا الحرب بأنهم سيستبدلون بالمسك والكافور - تعبيرًا عن الحياة العادية والسلم - الدروع الغبر ذات المسامير التى تشبه عيون ذكر الجراد.

(٦) فى م: «بينت». وبينت: اتضحت. وأم صاحب: أى عجوزا كأم صاحب لك، إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجلٌ فى سنه. الروض الأنف ٣/ ١١١.

(٧) لا تشوى: من الشَّوَى. والشوى: إخطاء المقتل. اللسان (ش و ى). وتنتحى: أى تقصدهم. انظر اللسان (ن ح و).

وكم قد أصَابَتْ مِن شريفٍ مُسَوَّدٍ ... طويلِ العِمادِ ضَيْفُه غيرُ خائبِ

عظيمِ رَمادِ النارِ يُحمَدُ أمْرُه ... وذى شِيمةٍ مَحْضٍ كريمِ المضاربِ[1]

وماءِ هُريقَ فى الضَّلالِ كأنَّما ... أذاعَتْ به ريحُ الصَّبا والجنائبِ[2]

يُخَبِّرُكُمْ عنها امرؤٌ حَقٌّ عالمٍ ... بأيامِها والعلمُ عِلمُ التجاربِ

فبيعوا الحِرابَ مِلْمُحارِبِ واذْكُروا ... حسابَكمُ واللَّهُ خيرُ محاسِبِ

ولِيُّ امرئٍ فاختارَ دِينًا فلا يَكُنْ ... عليكم رَقيبٌ غيرُ رَبِّ الثواقبِ

أقيموا لَنا دِينًا حنيفًا فأنتمُ ... لنا غايةٌ قد يُهْتَدَى بالذوائبِ[3]

وأنتمْ لهذا الناسِ نورٌ وعِصمةٌ ... تُؤَمُّون والأحلامُ غيرُ عوازِبِ

وأنتم إذا ما حُصِّلَ[4] الناسُ جَوْهَرٌ ... لكم سُرَّةُ[5] البَطْحاءِ شُمُّ الأَرانبِ[6]

تَصُونُون أجسادًا[7] كِرامًا عَتيقَةً ... مُهَذَّبَةَ الأنْسابِ غيرَ أشائِبِ[8]

تَرَى[9] طالبَ الحاجاتِ نَحْوَ بُيُوتِكمْ ... عصائبَ[10] هَلْكَى تَهْتَدِى بعَصائِبِ

---

(١) المضارب : السيوف .

(٢) هريق : أريق . والجنائب : جمع جنوب وهى ريح تقابل ريح الصبا .

(٣) الذوائب : جمع ذُؤابة ، وهى من كل شيء أعلاه .

(٤) حصَّل الشيء والأمر : خلَّصه وميَّزه من غيره .

(٥) السُّرَّة : أكرم موضع فى المكان . يعنى أن لهم أفضل موضع فى البطحاء .

(٦) الشمُّ : جمع الأشَمّ ، وهو المرتفع . والأرانب : جمع أرنبة ، ويعنى بها هنا أرنبة الأنف وهى طرفه . يصفهم بأنهم ذوو مكانة عالية .

(٧) فى الأصل : « أجسامًا » . وفى م ، ص : « أنسابًا » .

(٨) أشائب : من شاب الشيءَ بالشيء ؛ إذا خَلَطه . يعنى أن أنسابهم نقية خالصة من الاختلاط بغيرها .

(٩) فى الأصل ، م : « يرى » .

(١٠) العصائب : جمع عِصابة ؛ وهى الجماعة من الناس .

لقد عَلِمَ الأَقوامُ أنَّ سَراتَكمْ[1] على كُلِّ حالٍ خيرُ أهلِ الجَباجِبِ[2]
وأفْضَلُه رَأْيًا وأعْلاهُ سُنَّةً وأقْوَلُه للحقِّ وَسْطَ المَواكِبِ
فقُوموا فَصَلُّوا ربَّكمْ وتَمَسَّحُوا بأرْكانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشِبِ[3]
فعِندَكُمُ منه بَلاءٌ ومَصْدَقٌ غَداةَ أبي يَكْسُومَ[4] هادى الكَتائِبِ[5]
كَتِيبَتُه بالسَّهْلِ تُمْسِى[6] ورَجْلُهُ[7] على القاذِفاتِ[8] في رُءُوسِ المَناقِبِ[9]
فلمَّا أتاكم نَصْرُ ذى العَرْشِ رَدَّهمْ جُنودُ المَلِيكِ بينَ سافٍ وحاصِبِ[10]
فوَلَّوْا سِراعًا هارِبين ولم يَؤُبْ إلى أَهْلِهِ مِلحُبْشِ[11] غيرُ عَصائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهلِكْ وتَهلِكْ مَواسِمٌ يُعاشُ بها قولُ امْرِئٍ غيرِ كاذِبِ

وحَرْبُ داحِسٍ الذى ذَكَرَها أبو قيسٍ فى شِعْرِه، كانتْ فى زمنِ الجاهِلِيَّةِ مشهورةً، وكان سببَها فيما ذكَرَه [12]أبو عُبَيْدَةَ[12] مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[13] وغيرُه، أنَّ

---

(١) سراتكم: السَّراة من السَّرْو؛ وهو المروءة والشرف. يعنى بهم سادتهم وأشرافهم.
(٢) الجباجب: منازل منى. الروض الأنف ٣/ ١١٢.
(٣) الأخاشب: جبلا مكة؛ أبو قبيس والأحمر، وجبلا منى.
(٤) أبو يكسوم هو أبرهة الحبشى.
(٥) فى الأصل: «المكاتب».
(٦) فى م: «تمشى».
(٧) الرجل: المشاة على أرجلهم.
(٨) القاذفات: أعالى الجبال ونواحيها البعيدة.
(٩) المناقب: جبل فيه ثنايا وطرق إلى اليمامة واليمن وغيرها. واسم طريق الطائف من مكة. القاموس المحيط (ن ق ب).
(١٠) السافى: هو من غطّاه السَّفى؛ أى التراب. والحاصب: من أصابته الحصبة؛ أى الحجارة.
(١١) أى: مِن الحُبْش.
(١٢ - ١٢) سقط من: ا ١٥. وفى م: «أبو عبيد».
(١٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.

فرسًا يُقالُ له : داحِسٌ . كانتْ لقَيْسِ بنِ زُهَيْرِ بنِ جَذِيمَةَ [٢/ ١٢٩و] بنِ رَواحَةَ الغَطَفَانيِّ ، أَجْراه مع فرسٍ لحُذَيْفَةَ بنِ بدرِ بنِ عَمرٍو[١] بنِ جُؤَيَّةَ[٢] الغَطَفانيِّ أيضًا ، يُقالُ لها : الغَبْراءُ . فجاءتْ داحسٌ سابِقًا ، فأمَرَ حُذَيفةُ مَن ضَرَبَ وجهَه ، فوَثَبَ مالكُ بنُ زُهَيْرٍ فلَطَم وجهَ الغَبْراءِ ، فقامَ حَمَلُ بنُ بدرٍ فلَطَم مالكًا ، ثُم إنَّ أبا جُنَيْدِبٍ العَبْسِيَّ لَقِيَ عَوفَ بنَ حُذَيْفَةَ فقتَلَه ، ثُم لَقِيَ رجلٌ مِن بنى فَزارَةَ مالكًا فقتَلَه ، فنَشَبتِ[٣] الحَرْبُ بينَ بنى عَبْسٍ وفَزارَةَ ، فقُتِلَ حُذَيفةُ ابنُ بدرٍ وأخوه حَمَلُ بنُ بدرٍ وجماعاتٌ آخَرون ، وقالوا فى ذلك أشعارًا كثيرةً يَطُولُ بَسْطُها وذِكرُها .

قال ابنُ هِشامٍ[٤] : ويقالُ[٥] : أرسَلَ قيسٌ داحِسًا والغَبْراءَ ، وأرْسَلَ حُذَيْفةُ الخَطَّارَ والحَنْفاءَ . والأَوَّلُ أَصَحُّ . قال : وأما حَرْبُ حاطِبٍ ؛ [٦]فيَعنِى حاطبَ[٦] ابنَ الحارثِ بنِ قيسِ بنِ هَيْشَةَ بنِ الحارثِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مُعاويةَ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ ابنِ عَمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ ، كان قَتَل يهوديًّا جارًا للخَزْرَجِ ، فخَرَج إليه يزيدُ[٧] بنُ الحارثِ بنِ قيسِ بنِ مالكِ بنِ أحمرَ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ [٨]بنِ مالكِ بنِ كعبِ[٨] بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ - وهو الذى

---

(١) بعده فى السيرة : « بن زيد » . وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٦ حيث ذكر اسمه كما أورده المصنف هنا .

(٢) فى ا ١٥: « جزية » . وفى م : « جؤبة » .

(٣) فى الأصل ، م : « فشبت » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٨٧.

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى م : « زيد » .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ ، وليست فى السيرة . وانظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٢، فإنه موافق لما فى السيرة .

يُقالُ له : ابنُ فُسْحُمَ - فى نَفَرٍ من بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ فقَتَلوه ، فوَقَعَتِ الحربُ بينَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، فاقْتَتَلوا قِتالًا شَديدًا وكان الظَّفَرُ للخزرَجِ ، وقُتِلَ يومَئذٍ الأسودُ بنُ الصّامِتِ الأَوْسِىُّ ، قَتَلَه المُجَذَّرُ بنُ ذَيّادٍ حَليفُ بنى عَوفِ بنِ الخَزْرَجِ ، ثُم كانتْ بينَهم حروبٌ يَطُولُ ذِكْرُها أيضًا .

والمقصودُ أنَّ أبا قَيْسِ بنَ الأَسْلَتِ ، مع عِلْمِه وفَهْمِه ، لم يَنْتَفِعْ بذلك حينَ قَدِمَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ المدينةَ ودَعا أهلَها إلى الإسلامِ ، فأَسْلَمَ مِن أهلِها بشَرٌ كثيرٌ ، ولم يبْقَ دارٌ - أىْ مَحَلَّةٌ - مِن دُورِ المدينةِ إلَّا وفيها مُسلِمون[1] ومسلماتٌ ، غيرَ دارِ بنى واقِفٍ قبيلةِ أبى قيسٍ ، ثَبَّطَهم عن الإسلامِ ، وهو القائلُ أيضًا[2] :

أَرَبَّ النَّاسِ أشياءٌ أَلَمَّتْ ... يُلَفُّ الصَّعبُ منها بالذَّلُولِ
أَرَبَّ الناسِ أمَّا إن ضَلَلْنا ... فيَسِّرْنا لمَعْروفِ السَّبيلِ
فلَوْلا ربُّنا كُنَّا يهودًا ... وما دِينُ اليهودِ بذى شُكُولِ[3]
ولولا ربُّنا كُنَّا نَصارَى ... مع الرُّهْبانِ فى جَبَلِ الجَليلِ[4]
ولكِنَّا خُلِقْنا إذْ خُلِقْنا ... حَنيفًا دِينُنا عن كلِّ جِيلِ

---

(١) فى م ، ص : « مسلم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣٨.

(٣) شكول : أراد جمع شَكْل وشكل الشىء - بالفتح - هو مثله ، والشِّكل - بالكسر - الدَّلّ والحُسن ، فكأنه أراد أن دين اليهود بِدع ، فليس له شكول ؛ أى ليس له نظير فى الحقائق ولا مثيل يعضده من الأمر المعروف المقبول . الروض الأنف ٤/ ١١٢.

(٤) جبل الجليل بالشام . القاموس المحيط (ج ل ل) .

نَسُوقُ الهَدْىَ تَرْسُفُ مُذْعِناتٍ مُكَشَّفةَ المَناكِبِ فى الجُلُولِ[(١)]

وحاصِلُ ما يقولُ، أنَّه حائرٌ فيما وَقَعَ مِن الأَمرِ الذى قد سَمِعَه مِن بِعْثةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فتَوَقَّفَ الواقِفِىُّ فى ذلك، مع علمِه ومَعرِفَتِه، وكان الذى ثَبَّطَه عن الإسلامِ أوَّلًا عبدَ اللَّهِ بنَ أُبَىٍّ بنِ سَلُولَ، بعدَما أَخْبَره أبو قيسٍ أنَّه الذى بَشَّر به[(٢)] يَهودُ، فمَنَعَه عن الإسلامِ.

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)]: ولم يُسْلِمْ إلى يومِ الفَتْحِ هو وأخوه وَحْوَحٌ[(٤)]. وأنْكَر الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[(٥)] أن يَكُونَ أبو قيسٍ أسْلَم. وكذا الواقِدِىُّ[(٦)]، قال: كان عَزَمَ [٢/ ١٢٩ظ] على الإسلامِ أوَّلَ ما دَعاه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلامَه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ، فَحَلَفَ لا يُسْلِمُ إلى حَوْلٍ، فمات فى ذى القَعْدَةِ. وقد ذَكَر غيرُه، فيما حَكاه ابنُ الأَثِيرِ فى كتابِه «أُسْدِ الغابةِ»[(٧)]، أنَّه لمَّا حَضَره الموتُ، دَعاه النبىُّ ﷺ إلى الإسلامِ فسُمِع يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[(٨)]: حَدَّثنا حسنُ بنُ موسى، حَدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابِتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عاد رجلًا مِن الأنصارِ، فقال: «يا خالِ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ». فقال: أخالٌ أم عَمٌّ؟ قال: «بل

(١) الجلول: جمع جلّ - بالضم وبالفتح - وهو ما تُلْبَسُه الدابة لتُصان به. القاموس المحيط (ج ل ل).
(٢) سقط من: م، ص.
(٣) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٤٠.
(٤) فى الأصل: «واحرح». وفى ا ١٥: «رحوح». وفى م: «وخرج». وفى ص: «وحرج». والمثبت من أسد الغابة.
(٥) انظر أسد الغابة ٣/ ٤٠، ٤١.
(٦) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٨٥. وفيه: «مات فى ذى الحجة».
(٧) أسد الغابة ٦/ ٢٥٧.
(٨) المسند ٣/ ١٥٤. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٣٠٥: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

خالٌ » . قال : فخيرٌ لى أنِ أقولَ : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعم » . تفَرَّد به أحمدُ ، رَحِمَه اللَّهُ . وذَكَر عِكْرِمَةُ وغيرُه[1] أنَّه لمَّا تُوُفِّىَ ، أراد ابنُه أن يَتزَوَّجَ امرأتَه كُبَيْشَةَ بنتَ مَعْنِ بنِ عاصمٍ ، فسألَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذلك ، فأَنْزَل اللَّهُ : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴾ الآية [النساء: ٢٢] .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] ، وسعيدُ بنُ يحيى الأُمَوِىُّ فى « مَغازِيه » : كان أبو قيسٍ هذا[3] قد تَرَهَّب فى الجاهِلِيَّةِ ولَبِس المُسُوحَ ، وفارَق الأَوثانَ ، واغْتَسَلَ من الجَنابَةِ ، وتَطَهَّر مِن الحائِضِ مِن النِّساءِ ، وهَمَّ بالنَّصْرانِيَّةِ ، ثُم أمْسَك عنها ، ودَخَل بيتًا له فاتَّخَذه مسجدًا ، لا يَدْخُلُ عليه فيه حائضٌ ولا جُنُبٌ ، وقال : أَعْبُدُ إلهَ إبراهيمَ . حينَ فارَق الأَوثانَ وكَرِهها ، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ[4] فأسْلَم فحَسُن إسلامُه ، [5]وهو شيخٌ كبيرٌ[5] ، وكان قوَّالًا بالحقِّ مُعظِّمًا للَّهِ فى جاهِلِيَّتِه ، يقولُ فى ذلك أشعارًا حِسانًا ، وهو الذى يقولُ :

يَقولُ أبو قيسٍ وأَصْبَحَ غادِيًا[6] ... أَلَا ما اسْتَطَعْتُم مِن وَصاتِىَ فافْعَلُوا

---

(١) تفسير الطبرى ٤/ ٣١٨. والتفسير ٢/ ٢١٤. والرواية عن عكرمة وغيره مضطربة ؛ فعند الطبرى من رواية عكرمة أن أبا قيس هو الذى أراد أن ينكح زوجة أبيه الأسلت ، وعند المصنف من رواية ابن أبى حاتم فى التفسير عن رجل من الأنصار أن قيسًا هو الذى أراد أن ينكح زوجة أبيه أبى قيس فاللَّه أعلم أى ذلك أراد الحافظ ابن كثير . وانظر أسد الغابة ٦/ ٢٥٦، ٧/ ٢٥٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٠.

(٣) وهو أبو قيس صرمة بن أبى أنس ، كما أشار ابن هشام . وهذا أول موضع للتداخل فى الروايات كما أشرنا سابقًا .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى م : « وكان شيخا كبيرا » . وفى ص : « وكان شيخ كبير » .

(٦) فى م ، ص : « عاديا » .

فأُوصِيكُمْ باللَّهِ والبِرِّ والتُّقَى وأَعْراضِكم والبِرُّ باللَّهِ أَوَّلُ

وإنْ قَوْمُكم سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهُمْ وإن كُنتمُ أهلَ الرِّئاسةِ فاعْدِلُوا

وإنْ نَزَلَتْ إحدَى الدَّواهى بقومِكُمْ فأَنْفُسَكم دونَ العَشِيرةِ فاجْعَلُوا

وإن نابَ غُرْمٌ فادِحٌ فارْفُقُوهمُ وما حَمَّلُوكم فى المُلِمَّاتِ فاحْمِلُوا

وإن أنتمُ أمْعَرْتُمُ[1] فتَعَفَّفُوا وإن كان فَضلُ الخيرِ فيكم فأَفْضِلُوا

وقال أبو قيسٍ أيضًا[2] :

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صباحٍ طَلَعَتْ شمسُهُ وكُلَّ هِلالِ[3]

عالِمَ السِّرِّ والبيانِ جميعًا ليس ما قال ربُّنا بضَلالِ

وله الطَّيْرُ تَسْتَرِيدُ[4] وتَأْوِى فى وُكُورٍ مِن آمِناتِ الجبالِ

وله الوَحْشُ بالفَلاةِ تَراها فى حِقافٍ[5] وفى ظِلالِ الرِّمالِ

وله هَوَّدَتْ يَهودُ ودانَتْ كُلَّ دِينٍ (٦مَخافةً مِن٦) عُضالِ

[٢/١٣٠و]وله شَمَّسَ النَّصارَى[7] وقاموا كُلَّ عِيدٍ لربِّهم واحْتِفالِ

---

(١) أمعر : افتقر وفَنِى زادُه . القاموس المحيط (م ع ر) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥١١، ٥١٢. والشعر هنا لأبى قيس صرمة بن أبى أنس . وهذا هو الموضع الثانى للتداخل .

(٣) الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضًا ، وكذلك الشرَق بفتح الراء . وكل هلال : بالنصب على الظرف ؛ أى وقتَ كلِّ هلال . الروض الأنف ٤/ ٣٩٢.

(٤) فى م : « تستزيد » . واستراد لأمره : رجع وانقاد .

(٥) الحِقاف : جمع حِقف ؛ وهو ما اعوجَّ من الرمل واستطال . اللسان (ح ق ف) .

(٦ - ٦) فى السيرة : « إذا ذكرتَ » .

(٧) شمَّس النصارى : يعنى دِين الشمامسة ، وهم الرُّهبان ؛ لأنهم يُشمِّسون أنفسهم يريدون تعذيب =

ولـه الـرَّاهـبُ الحَبِـيـسُ تَـراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان ناعِمَ[1] بالِ

يا بَنِـىَّ الأرحامَ لا تَقْطَعُوها وصِلُوها قَصِيرَةً مِن طِوالِ[2]

واتَّقُوا اللَّهَ فى ضِعافِ اليَتامَى وبما[3] يُسْتَحَلُّ غيرُ الحلالِ

واعْلَمُوا أنَّ لليتيمِ ولِيًّا عالِمًا يَهْتَدِى بغيرِ سؤالِ

ثُمَّ مالَ اليتيمِ لا تَأْكُلُوهُ إنَّ مالَ اليتيمِ يَرْعاه والى

يا بَنِىَّ التخومَ لا تَخْزِلُوها إنَّ جَزْلَ التُّخُومِ ذُو عُقَّالِ[4]

يا بَنِىَّ الأيامَ لا تَأْمَنُوها واحْذَرُوا مَكْرَها ومَرَّ الليالى

واعلموا أنَّ مَرَّها[5] لنَفادِ الـ ـخَلْقِ ما كان مِن جديدٍ وبالى

واجْمَعُوا أمرَكم على البِرِّ والتَّقْـ ـوَى وتَرْكِ الخَنا[6] وأخْذِ الحلالِ

قال ابنُ إسحاقَ[7] : وقال أبو قيسٍ صِرْمَةُ أيضًا ، يَذْكُرُ ما أَكْرَمَهم اللَّهُ به مِن الإسلامِ ، وما خَصَّهم به مِن نُزولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عندَهم :

= النفوس بذلك فى زعمهم . الروض الأنف ٤/ ٣٩٢.

(١) فى م ، ص : « أنعم » .

(٢) يعنى : صلوا قِصَرها من طولكم ، أى كونوا أنتم طوالًا بالصلة والبر وإن قصرت هى ، أو أنه يريد مدحًا لقومه بأن أرحامهم قصيرة النسب وإن كانت من قومٍ طوال . انظر الروض ٤/ ٣٩٣.

(٣) فى السيرة : « ربما » .

(٤) التخوم : جمع تَخْم ، وهو الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم . اللسان (ت خ م) . والعقال : ما يمنع الرّجل من المشى . الروض الأنف ٤/ ٣٩٤.

(٥) فى م : « أمرها » . ومرها : أى مر الليالى .

(٦) الخنا : الفُحش . ومن الكلام : قبيحه .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٢.

ثَوَى فى قُرَيشٍ بِضعَ عَشْرَةَ حِجَّةً   يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وسيأْتِى ذِكْرُها بتَمامِها فيما بعدُ ، إن شاء اللّهُ ، وبه الثِّقةُ .

قِصَّةُ بَيْعةِ العَقَبةِ الثانيةِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ مصعبَ بنَ عُمَيرٍ رَجَع إلى مكَّةَ ، وخَرَجَ مَن خَرَجَ مِن الأَنصارِ مِن المسلمينَ مع حُجَّاجِ قومِهم مِن أهلِ الشِّركِ حتى قَدِموا مكَّةَ ، فواعَدُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ العَقَبَةَ ، مِن أواسِطِ أيامِ التَّشْريقِ ، حينَ أراد اللَّهُ بهم مِن كرامتِه ، والنصرِ لنبيِّه ، وإعزازِ الإسلامِ وأهلِه ، فحدَّثنى مَعْبَدُ بنُ كَعبِ ابنِ مالكٍ ، أنَّ أخاه عبدَ اللَّهِ بنَ كعبٍ ، وكان مِن أعْلَمِ الأنصارِ ، حَدَّثه أنَّ أباه كعبًا حَدَّثه ، وكان مِمَّن شَهِد العَقَبةَ وبايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ بها ، قال : خَرَجْنا فى حُجّاجِ قومِنا مِن المُشرِكِين ، وقد صَلَّيْنا وفَقِهْنا ، ومعنا البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ سيِّدُنا وكبيرُنا ، فلمَّا وَجَّهْنا لسفرِنا ، وخَرَجْنا مِن المدينةِ ، قال البَرَاءُ : يا هؤلاءِ ، إنِّى قد رأَيْتُ رَأْيًا ، واللَّهِ ما أَدْرِى أَتُوافِقونَنى عليه أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ أن لا أَدَعَ هذه البَنِيَّةَ منِّى بظَهْرٍ - يعنى الكعبةَ - وأن أُصَلِّىَ إليها . قال : فقُلْنا : واللَّهِ ما بَلَغنا أنَّ نبيَّنا ﷺ يُصَلِّى إلَّا إلى الشامِ ، وما نُريدُ أن نُخالِفَه . فقال : إنِّى لَمُصَلٍّ إليها . قال : فقلنا له : لكنَّا لا نَفْعَلُ . قال : فكُنَّا إذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ ، صَلَّيْنا إلى الشامِ ، وصَلَّى هو إلى الكعبةِ ، حتى قَدِمْنا مكةَ . (٢قال : وقد كُنَّا عِبْنا عليه ما صَنَع ، وأبَى إلَّا الإقامةَ على ذلك ، فلمَّا قَدِمْنا مكَّةَ٢) قال لى : يا بنَ أخى ، انْطَلِقْ بنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أَسْأَلَه [٢/ ١٣٠ظ] عمَّا صَنَعتُ فى سَفَرِى هذا ، فإنَّه قد وَقَع فى نَفْسى منه شىءٌ ، لِمَا

(١) سيرة ابن هشام ٤٣٨/١ - ٤٤١.

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص.

رأيْتُ مِن خِلافِكم إيَّاىَ فيه . قال : فخَرَجْنا نسأَلُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكنَّا لا نَعرِفُه ولم نَرَه قبلَ ذلك ، فلَقِينا رجلًا مِن أهلِ مكةَ ، فسَأَلْناه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : هل تَعرِفانِه ؟ فقلنا : لا . فقال : هل تَعرِفان العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ عمَّه ؟ قال : قلنا : نعم . وقد كنَّا نَعرِفُ العباسَ ، كان لا يَزالُ يَقْدَمُ علينا تاجرًا . قال : فإذا دَخَلْتما المسجدَ ، فهو الرجلُ الجالِسُ مع العباسِ . قال : فدَخَلْنا المسجدَ وإذا العباسُ جالسٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ جالسٌ معه ، فسَلَّمْنا ثم جَلَسْنا إليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ للعباسِ : « هل تَعرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يا أبا الفَضْلِ ؟ » قال : نعم ، هذا البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ سيِّدُ قومِه ، وهذا كعبُ بنُ مالكٍ . قال : فواللَّهِ ما أَنْسَى قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « الشاعِرُ ؟ » . قال : نعم . فقال له البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنِّى خَرَجْتُ فى سَفَرِى هذا قد هَدانى اللَّهُ تعالى للإسلامِ ، فرأيتُ أن لا أَجْعَلَ هذه البَنِيَّةَ مِنِّى بظَهْرٍ ، فصَلَّيْتُ إليها ، وقد خالَفَنى أصحابى فى ذلك ، حتى وَقَع فى نَفْسى مِن ذلك شىءٌ ، فماذا تَرَى يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « قد كُنْتَ على قِبْلَةٍ لو صَبَرْتَ عليها » . قال : فرَجَعَ البَرَاءُ إلى قبلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصلَّى معنا إلى الشامِ . قال : وأهلُه يَزْعُمون أنه صلَّى إلى الكعبةِ حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلمُ به منهم . قال كعبُ بنُ مالكٍ : ثُم خَرَجْنا إلى الحَجِّ وواعَدْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ العَقَبَةَ مِن أَوْسَطِ أيامِ التَّشْرِيقِ ، فلمَّا فَرَغْنا مِن الحَجِّ ، وكانتِ الليلةُ التى واعَدْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ لها ، ومعنا عبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرامٍ أبو جابرٍ ، سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، [1]وشريفٌ مِن أشرافِنا[1] ، أخَذْناه وكُنَّا نَكْتُمُ مَن معنا مِن قومِنا مِن المُشرِكين أمْرَنا ، فكَلَّمْناه

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

وقلنا له : يا أبا جابرٍ ، إنَّك سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، وشريفٌ مِن أشرافِنا ، وإنا نَرْغَبُ بك عمَّا أنت فيه ، أن تكونَ حَطَبًا للنارِ غدًا . ثُم دَعَوْناه إلى الإسلامِ ، وأخْبَرْناه بميعادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إيّانا العَقَبَةَ . قال : فأسْلَمَ وَشَهِد معنا العَقَبَةَ ، وكان نقيبًا .

وقد روَى البُخاريُّ[1] : حَدَّثنى إبراهيمُ ، حَدَّثنا هِشامٌ أنَّ ابنَ جُرَيْجٍ أخْبَرَهم ، قال عطاءٌ : قال جابرٌ : أنا وأبى وخالَىَّ[2] مِن أصحابِ العَقَبَةِ . قال [3]عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ[3] : قال ابنُ عُيَيْنَةَ : أحدُهما[4] البَرَاءُ بنُ مَعْرورٍ .

حَدَّثنا[5] علىُّ بنُ المَدِينِىِّ ، حدَّثنا سُفيانُ ، قال : كان عَمْرٌو يقولُ : سَمِعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يَقولُ : شَهِد بى خالاىَ العَقَبَةَ .

وقال الإمامُ أَحمدُ[6] : حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ قال : مَكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكَّةَ عَشْرَ

---

(١) البخارى (٣٨٩١) .

(٢) فى البخارى : « خالاى » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢٢: ووقع عند ابن التين « وخالى » بغير ألف وتشديد التحتانية ، وقال : لعل الواو واو المعية أى مع خالىَّ ، ويحتمل أن يكون بالإفراد بكسر اللام وتخفيف الياء .

(٣ - ٣) فى البخارى : « أبو عبد اللَّه » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٢١: ونقل عن عبد اللَّه بن محمد - وهو الجعفى - أن ابن عيينة قال : أحدهما البراء بن معرور . كذا فى رواية أبى ذر ، ولغيره : قال أبو عبد اللَّه ؛ يعنى المصنف ، فعلى هذا فتفسير المبهم من كلامه ، لكنه ثبت أنه من كلام ابن عيينة من وجه آخر عند الإسماعيلى ، فترجحت رواية أبى ذر .

(٤) فى النسخ : « أحدهم » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٥) البخارى (٣٨٩٠) .

(٦) المسند ٣/ ٣٢٢، ٣٢٣. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٦: رواه أحمد والبزار ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

سنين يَتَّبِعُ الناسَ فى مَنازِلِهم بعُكاظٍ[1]، ومَجَنَّةَ[2]، وفى المواسمِ بمِنًى[3] يَقولُ: «مَنْ يُؤْوِينى؟ مَن يَنْصُرُنى حتَّى أُبَلِّغَ رِسالةَ رَبِّى وله الجَنَّةُ؟»[4]. حتى إنَّ الرجُلَ لَيَخْرُجُ مِن اليَمَنِ أو مِن مُضَرَ- كذا قال فيه- فيَأْتيه قومُهُ[5]، فيَقُولون: احْذَرْ غُلامَ قُرَيشٍ، لا يَفْتِنُك. ويَمْشِى بينَ رِحالِهِم[6] وهم يُشِيرون إليه بالأصابعِ، حتى بعَثَنا اللَّهُ إليه مِن يَثْرِبَ، فآوَيْناه وصَدَّقْناه، فيَخْرُجُ الرجُلُ منَّا، [٢/١٣١و] فيُؤْمِنُ به، ويُقرِئُه القرآنَ، فينْقَلِبُ إلى أهلِه، فيُسْلِمون بإسلامِه، حتى لم يَبْقَ دارٌ مِن دُورِ الأنصارِ إلَّا وفيها رَهْطٌ مِن المُسلِمِين يُظْهِرون الإسلامَ، ثُمَّ ائْتَمَرُوا جميعًا، فقلنا: حتى متى نَترُكُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[7] يُطْرَدُ فى جِبالِ مكةَ ويُخافُ؟ فرَحَل إليه منَّا سبعون رجلًا حتى قَدِمُوا عليه فى المَوْسِمِ، فواعَدْناه شِعْبَ العَقَبَةِ، فاجْتَمَعْنا عندَها[8] مِن رجلٍ ورجُلَين حتى تَوافَيْنا، فقلنا: يا رسولَ اللَّهِ، عَلامَ نُبايِعُك؟ قال: «تُبايِعُونى على السَّمْعِ والطاعةِ فى النَّشاطِ والكَسَلِ، والنَّفَقَةِ فى العُسرِ واليُسرِ، وعلى الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عن المُنكرِ، وأَن

---

(١) فى م، ص: «عكاظ». وعكاظ: سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة، وتستمر عشرين يوما، تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون - أى يتفاخرون - ويتناشدون. القاموس المحيط (ع ك ظ).

(٢) مجنة: بفتح الميم وكسرها موضع بأسفل مكة على أميال، وكان يُقام للعرب بها سوق. النهاية ٤/ ٣٠١.

(٣) سقط من: م، ص.

(٤) بعده فى ا ١٥، م، ص: «فلا يجد أحدًا يؤويه ولا ينصره».

(٥) بعده فى ا ١٥، م، ص: «وذوو رحمه».

(٦) فى ص، المسند: «رجالهم»، وانظر المسند ٣/ ٣٣٩.

(٧) بعده فى م: «يطوف و». وفى ص: «يطوف».

(٨) فى المسند: «عليه».

تَقُولوا فى اللَّهِ لا تَخافُون فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وعلى أَن تَنْصُرُونى، فَتَمْنَعونى إذا قَدِمتُ عليكم مِمَّا تَمْنَعُون منه أَنْفُسَكُم وأَزْوَاجَكُم وأَبْناءَكُم، ولكم الجَنَّةُ». فقُمْنا إليه[1]، وأَخَذَ بيدِه أسعدُ بنُ زُرَارَةَ، وهو مِن أَصْغرِهم - وفى رِوايةِ البَيْهَقِيِّ[2]: وهو أصغرُ السبعين[3] إلَّا أنا - فقال: رُوَيْدًا يا أهلَ يَثْرِبَ، فإنَّا لم نَضرِبْ إليه أَكبادَ الإبِلِ إلَّا ونحن نَعْلَمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ، وأنَّ إخْراجَه اليومَ مُفارَقَةُ العربِ كافَّةً، وقَتْلُ خِيارِكم، وأن[4] تَعَضَّكم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قومٌ تَصْبِرُون على ذلك فخُذُوه وأجرُكم على اللَّهِ، وإمَّا أنتم قومٌ تَخافُون مِن أنفُسِكم خِيفَةً[5]، فَبَيِّنُوا ذلك، فهو أَعْذَرُ لكم عندَ اللَّهِ. قالوا: أَمِطْ[6] عنَّا يا أسعدُ، فواللَّهِ لا نَدَعُ هذه البَيْعَةَ أبدًا، ولا نُسْلَبُها أبدًا. قال: فقُمْنا إليه فبايَعْناه، وأَخَذَ علينا وشَرَطَ، ويُعْطينا على ذلك الجَنَّةَ.

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ أيضًا، والبَيْهَقِيُّ[7]، مِن طريقِ داودَ بنِ عبدِ الرحمنِ العَطَّارِ، زادَ البَيْهَقِيُّ عن الحاكمِ بسندِه إلى يحيى بنِ سُلَيْمٍ[8] كلاهما عن

---

(١) بعده فى المسند: «وبايعناه».

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٤٢، ٤٤٣.

(٣) بعده فى الدلائل: «رجلا».

(٤) زيادة من: المسند.

(٥) سقط من: الأصل. وبعده فى م، ص: «فذروه». وفى المسند: «جبينة». والمثبت لفظ البيهقى.

(٦) فى ا ١٥: «أمظ». وفى م، ص: «أبط». وأمط عنا: معناه أمط عنا يدك، أى نحها وأبعدها عنا. انظر بلوغ الأمانى ٢٠/ ٢٧٠.

(٧) أخرجه أحمد فى المسند ٣/ ٣٢٣، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(٨) دلائل النبوة ٢/ ٤٤٣ - ٤٤٥. وعنده: «يحيى بن سليمان». وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٢٨١. والحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٦٢٤، ٦٢٥. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، جامع لبيعة العقبة، ولم يخرجاه. وقال الذهبى: صحيح.

عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن أبى الزُّبيرِ[1] به نحوَه . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجوه . [2]وقال البَزَّارُ[3] : ورَوَاه[4] غيرُ واحدٍ عن ابنِ خُثيمٍ ، ولا نَعْلَمُه يُرْوَى عن جابرٍ إلَّا مِن هذا الوجهِ[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حَدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ ، حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن موسى بنِ عُقْبَةَ[6] ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ قال : كان العباسُ آخِذًا بيدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ورسولُ اللَّهِ يُواثِقُنا ، فلمَّا فَرَغْنا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخَذْتُ وأَعْطَيتُ » .

وقال البَزَّارُ[7] : حَدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ ، حَدَّثنا قَبِيصَةُ ، حَدَّثنا سُفيانُ ، هو الثَّوْرِيُّ ، عن جابرٍ ، يَعْنى الجُعْفِيَّ ، وداودَ[8] ، هو ابنُ أبى هندٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن جابرٍ ، يَعْنِى ابنَ عبد اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للنُّقَباءِ مِن الأَنصارِ : « تُؤْوُونِى وتَمْنَعُونى ؟ » . قالوا : نعم . قالوا : فما لنا ؟ قال : « الجَنَّةُ » . ثُم قال : لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلَّا بهذا الإسنادِ عن جابرٍ .

ثُم قال ابنُ إسحاقَ[9] عن مَعْبَدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه كعبِ بنِ مالكٍ ،

---

(١) فى م ، ص : « إدريس » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) كشف الأستار ٢/ ٣٠٨.
(٤) فى م : « وروى » .
(٥) المسند ٣/ ٣٩٦.
(٦) فى م ، ص : « عبد الله » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١١٧.
(٧) كشف الأستار ٢/ ٣٠٧. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٤٨: رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح .
(٨) فى م ، ص : « عن داود » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤٦٦، ٨/ ٤٦٣.
(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤١ - ٤٤٣.

قال : فنِمْنا تلك الليلةَ مع قومِنا فى رِحالِنا ، حتى إذا مضَى ثُلُثُ الليلِ ، خَرَجْنا مِن رِحالِنا لِميعادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ القَطَا[1] مُسْتَخْفِين ، حتى اجْتَمَعْنا فى الشِّعْبِ عندَ العَقَبَةِ ونحن ثلاثةٌ وسبعون رجُلًا ، ومعنا امْرأتانِ مِن نسائِنا ، نَسِيبَةُ بنتُ كعبٍ أُمُّ عُمارَةَ ، إحدى نساءِ بنى مازِنِ بنِ النَّجَّارِ ، وأسماءُ ابنةُ عَمرِو بنِ عَدِىٍّ بنِ نابى[2] ، إحدى نساءِ بنى سَلِمَةَ وهى أُمُّ مَنِيعٍ . وقد صَرَّح ابنُ إسحاقَ[3] ، فى روايةِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ عنه ، بأسمائِهم وأَنْسابِهم[4] .

قلتُ[5] : وما وَرَد فى بعضِ الأَحاديثِ أنَّهم كانوا سَبْعِينَ[6] ؛ فالعرَبُ كثيرًا ما تَحْذِفُ الكَسْرَ . وقال عُروةُ بنُ الزُّبيرِ ، [٢/ ١٣١ظ] وموسى بنُ عُقْبَةَ[7] : كانوا سبعينَ رجُلًا وامرأةً واحدةً . قال : منهم أربعون مِن ذَوِى أَسْنانِهم ، وثلاثون مِن شبابهم . قال : وأصغرُهم أبو مسعودٍ ، وجابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ . [8]وقولُ محمدِ ابنِ إسحاقَ أنَّهم خمسةٌ وسبعون ، أَثْبَتُ . واللَّهُ أعلمُ[8] .

---

(١) قطا يقطو : ثقل مشيه ، والقطا طائر معروف ، سمى بذلك لثقل مشيه ، واحدته قطاة . اللسان (ق ط و) .

(٢) فى الأصل : « بلعا » . وفى ا ١٥ : « بلعا » . وفى ص : « تلعا » . انظر أسد الغابة ٧/ ١٤، والإصابة ٧/ ٤٨٩.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٥ عن ابن إسحاق . إلا أنه قال : وسماهم ابن إسحاق ، وذكْرهم ههنا مما يطول به الكتاب . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٤ - ٤٦٧. وتاريخ الإسلام جزء السيرة النبوية ٣٠٥ - ٣٠٨.

(٤) فى الأصل : « ونسائهم » .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ٣٩٧ .

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٣، ٤٥٤، بإسنادين عن عروة وموسى بن عقبة .

(٨ - ٨) سقط من : م ، ص .

قال كعبُ بنُ مالكٍ[1] : فاجْتَمَعْنا[2] فى الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، حتى جاءَنا ومعه العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وهو يومَئِذٍ على دينِ قومِه ، إلَّا أنَّه أَحَبَّ أن يَحْضُرَ أمرَ ابنِ أخيه ، ويَتَوَثَّقَ له ، فلمَّا جَلَس ، كان أولُ مُتَكَلِّمٍ العباسَ بنَ عبدِ المُطَّلِبِ فقال : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ - قال : وكانتِ العربُ إنَّما يُسَمُّون هذا الحيَّ مِن الأنصارِ الخَزْرَجَ ؛ خَزْرَجَها وأَوْسَها - إنَّ محمدًا منَّا حيثُ قد عَلِمْتُم ، وقد مَنَعْناه مِن قومِنا مِمَّن هو على مِثْلِ رَأْيِنا فيه ، فهو فى عِزَّةٍ مِن قومِه ، ومَنَعَةٍ فى بلَدِه ، وإنَّه قد أبَى إلا الانحِيازَ إليكم ، واللُّحوقَ بكم ، فإن كنتم تَرَوْنَ أنَّكم وافُونَ له بما دَعَوْتُموه إليه ، ومانعُوه مِمَّن خالَفَه ، فأنتم وما تَحَمَّلْتُم مِن ذلك ، وإن كنتم تَرَوْنَ أنَّكم مُسْلِمُوه وخاذِلُوه بعدَ الخُروجِ به[3] إليكم فمِن الآنَ فدَعُوه ، فإنَّه فى عِزٍّ ومَنَعَةٍ مِن قومِه وبلدِه . قال : فقُلْنا له : قد سَمِعْنا ما قلتَ ، فتَكَلَّمْ يا رسولَ اللَّهِ ، فخُذْ لنفسِك ولربِّك ما أحْبَبْتَ . قال : فتَكَلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ فتلا القرآنَ ، ودعا إلى اللَّهِ ، ورَغَّب فى الإسلامِ ، ثُم[4] قال : « أُبايِعُكم على أن تَمْنَعُونى مِمَّا تَمْنَعُون منه نِساءَكُم وأَبناءَكُم » . قال : فأخَذ البَراءُ بنُ مَعْرُورٍ بيدِه ثُم قال : نعم ، فوالذى بَعَثك بالحقِّ لَنَمْنَعَنَّك مِمَّا نَمْنَعُ منه أُزُرَنا[5] ، فبايِعْنا يا رسولَ اللَّهِ ، فنحن واللَّهِ أبناءُ الحروبِ ، [6]وأهلُ الحَلْقَةِ[6] ، وَرِثْناها كابِرًا عن كابِرٍ . قال : فاعْتَرَضَ القولَ - والبراءُ يُكَلِّمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ -

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤١.

(٢) فى م ، ص : « فلما اجتمعنا » .

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) أزرنا : نساءنا وأهلنا ، كنى عنهن بالأزر ، وقيل : أراد : أنفسنا . وقد يكنى عن النفس بالإزار . النهاية ١/ ٤٥.

(٦ - ٦) سقط من : م ، ص . والحلقة : السلاح عاما ، وقيل الدروع خاصة . النهاية ١/ ٤٢٧.

أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ بينَنا وبينَ الرِّجالِ حِبالًا، وإنَّا قاطِعُوهَا - يَعْنى اليهودَ - فهل عَسَيْتَ إن فَعَلْنا ذلك ثُم أَظْهَرَك اللَّهُ، أن تَرْجِعَ إلى قومِك وتَدَعَنا؟ قال: فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال: «بل الدَّمُ الدمُ، والهَدْمُ الهدْمُ[1]، أنا منكم وأنتم مِنِّى، أُحارِبُ مَن حارَبْتُم، وأُسالِمُ مَن سالَمْتُم». قال كعبٌ: وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إلَيَّ منكم اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا؛ يَكُونُونَ على قَوْمِهم بما فيهم». فأَخْرَجوا منهم اثْنَىْ عَشَرَ نقيبًا؛ تسعةً مِن الخَزْرَجِ، وثلاثةً مِن الأَوْسِ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وهم أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ - المتَقَدِّمُ - وسعدُ بنُ الرَّبِيعِ بنِ عَمرِو بنِ أبى زُهَيْرِ بنِ مالكِ بنِ امرئِ القَيْسِ بنِ مالكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ [3]بنِ ثَعْلَبَةَ[3] بنِ امرئِ القيسِ [4]بنِ عَمرِو بنِ امرئِ القيسِ[4] بنِ مالكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ، ورافعُ بنُ مالكِ بنِ العَجْلانِ - المتقدِّمُ - والبَراءُ ابنُ مَعْرُورِ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِىِّ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ ابنِ سَلِمَةَ بنِ سعدِ بنِ علىِّ بنِ أسدِ بنِ سارِدَةَ بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ،

(١) قال ابن الأثير فى النهاية ٥/ ٢٥١: يروى بسكون الدال وفتحها، فالهدَم بالتحريك: القبر. يعنى: إنى أُقبر حيث تُقبرون. وقيل: هو المنزل، أى منزلكم منزلى ... والهدم بالسكون وبالفتح أيضا: هو إهدار دم القتيل. يقال: دماؤهم بينهم هدم. أى مُهدَرة. والمعنى: إن طُلب دمكم فقد طُلب دمى، وإن أُهدر دمكم فقد أُهدر دمى، لاستحكام الألفة بيننا. وهو قول معروف للعرب، يقولون: دمى دمك وهدْمى هدمك. وذلك عند المعاهدة والنصرة.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٣، ٤٤٤.

(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة. وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٩٨، وأسد الغابة ٣/ ٢٣٤، والإصابة ٤/ ٨٢.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ١ ١٥، ص.

وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلبةَ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ، وعُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ - المتقدِّمُ - وسعدُ بنُ عُبادةَ بنِ دُلَيْمِ بنِ حارثةَ بنِ خُزَيْمَةَ[1] بنِ ثَعْلبةَ بنِ طَرِيفِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كعبِ بنِ الخزرجِ، [2]والمُنْذِرُ بنُ عمرِو بن خُنَيْسِ بن حارِثةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ زيدِ بنِ ثعلبةَ ابنِ الخزرجِ بنِ ساعِدَةَ بنِ كعبِ [٢/ ١٣٢و] بنِ الخزرجِ[2]. فهؤلاء تسعةٌ من الخَزْرَجِ. ومِن الأَوْسِ ثلاثةٌ، وهم: أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرِ بنِ سِماكِ بنِ عَتِيكِ بنِ رافعِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ زيدِ بنِ عبدِ الأَشْهَلِ بنِ جُشَمَ [3]بنِ الحارثِ[3] بنِ الخزرجِ بنِ عَمرِو بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ، وسعدُ بنُ خَيْثَمَةَ بنِ الحارثِ بنِ مالكِ ابنِ كعبِ بنِ النَّحَّاطِ بنِ كعبِ بنِ حارثةَ بنِ غَنْمِ بنِ السَّلْمِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ، ورِفاعَةُ بنُ عبدِ المنذِرِ بنِ زُبَيرِ[4] بنِ زيدِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمرِو بنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ.

قال ابنُ هِشامٍ[5]: وأهلُ العِلْمِ يَعُدُّونَ فيهم أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ، بَدَلَ رِفاعَةَ هذا. وهو كذلك في رِوايةِ يونسَ، عن ابنِ إسحاقَ[6]، واختارَه السُّهَيْلِيُّ[7]، وابنُ الأَثِيرِ في «الغابةِ»[8]. ثُم اسْتَشْهَدَ ابنُ هِشامٍ[9] على ذلك بما

---

(١) في السيرة: «أبي خزيمة».
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(٣ - ٣) سقط من: م، ص. وبعده في ا ١٥: «بن مالك».
(٤) في الأصل، ا ١٥: «زنبر». وفي م: «زنير».
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.
(٦) دلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٤٨ .
(٧) الروض الأنف ٤/ ٩٤، ٩٥.
(٨) أسد الغابة ٦/ ٣٢٣.
(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.

رَواه عن أبى زيدِ الأَنصارىّ، فيما ذَكَرَه مِن شعرِ كعبِ بنِ مالكٍ فى ذِكْرِ النُّقَباءِ الاثْنَىْ عشَرَ هذه الليلةَ، ليلةَ العَقَبةِ الثانيةِ، حينَ قال:

فـأَبْـلِـغْ أُبَـيًّـا أنَّـه فـالَ رَأْيُـه ... وحان غَداةَ الشِّعْبِ والحَيْنُ واقعُ[1]

أَبَى اللَّهُ ما مَنَّتْك نَفْسُك إنَّه ... بمِرصادِ أمْرِ الناسِ رَاءٍ وسامعُ

وأَبْلِغْ أبا سُفيانَ أن قد بَدا لنا ... بأَحمدَ نورٌ مِن هُدى اللَّهِ ساطعُ

فلا تُرْعِيَنْ[2] فى حَشْدِ أمرٍ تُريدُه ... وأَلِّبْ وجَمِّعْ كُلَّ ما أنت جامعُ

ودُونَك فاعلَمْ أنَّ نَقْضَ عُهُودِنا ... أَباه عليك الرَّهْطُ حينَ تَتابَعُوا[3]

أباه البَرَاءُ وابنُ عَمرٍو كلاهما ... وأسعدُ يَأْباه عليك ورافِعُ

وسعدٌ أَباه السَّاعِدِىُّ ومُنْذِرٌ ... لأنفِك إن حاوَلْتَ ذلك جادِعُ

وما ابنُ رَبِيعٍ إن تَناوَلْتَ عَهْدَه ... بمُسْلِمِه لا يَطْمَعَنْ ثَمَّ طامِعُ

وأيضًا فلا يُعطِيكَه ابنُ رَواحَةٍ ... وإخْفارُه[4] مِن دُونِه السُّمُّ ناقِعُ

وفاءً به والقَوْقَلِىُّ بنُ صامِتٍ ... بمَنْدُوحَةٍ عمَّا تُحاوِلُ يافِعُ[5]

أبو هَيْثَمٍ أيضًا وَفِىٌّ بمِثْلِها ... وفاءً بما أَعطَى من العهدِ خانِعُ[6]

---

(١) فال: أخطأ وضعُف. حان: هلك. الحين: الهلاك.

(٢) فى الأصل، ا ١٥، م: «ترغبن». وترعين: مضارع أرْعَى، أى أبقى.

(٣) فى م، ص: «تبايعوا».

(٤) الإخفار: نقض العهد والغدر.

(٥) اليافع: العالى المرتفع. يعنى هو بعيد عما تحاول.

(٦) الخانع: الخاضع. يعنى حافظا لعهده.

وما ابنُ حُضَيْرٍ إن أَرَدْتَ بمَطْمَعٍ ... فهل أنتَ عن أُحْمُوقةِ الغَيِّ نازِعُ
وسعدٌ أخو عَمرِو بنِ عوفٍ فإنَّه ... ضَرُوحٌ[1] لِمَا حاوَلْتَ مِلأَمرِ[2] مانِعُ
أُولاكَ[3] نُجُومٌ لا يُغِبُّكَ منهمُ ... عليك بنَحْسٍ فى دُجَى الليلِ طالِعُ

قال ابنُ هشامٍ[4] : فذَكَر فيهم أبا الهَيْثَمِ بنَ التَّيِّهانِ ولم يَذْكُرْ رِفاعةَ .

قلتُ : وذكَر[5] سعدَ بنَ مُعاذٍ ، وليس مِن النُّقَباءِ بالكُلِّيَّةِ فى هذه الليلةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وروَى يعقوبُ بنُ سفيانَ[6] ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلى ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن مالكٍ ، قال : كان الأنْصارُ ليلةَ العَقَبَةِ سبعين رجلًا ، وكان نُقَباؤهم اثْنَىْ عشَرَ نقيبًا ؛ [٢/ ١٣٢ظ] تسعةٌ مِن الخَزْرَجِ ، وثلاثةٌ مِن الأوْسِ .

وحدَّثنى[7] شَيْخٌ مِن الأنصارِ ، أنَّ جبريلَ كان يُشيرُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مَن يَجْعَلُه نقيبًا ليلةَ العَقَبَةِ ، وكانَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ أحدَ النُّقَباءِ تلك الليلةَ . رَواه البَيْهَقِىُّ .

---

(١) الضروح : من ضرَح الشىء ، إذا دفعه وأبعده ناحية . الوسيط (ض ر ح) .
(٢) أى : من الأمر .
(٣) أى : أولئك .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٥.
(٥) والظاهر أن سعد بن معاذ ليس مذكورا فى هذه الأبيات ، واستشهاد ابن هشام بهذه الأبيات من أجل أبى الهيثم بن التيهان ورفاعة . ومجموع ما ذكر من الصحابة فى الأبيات اثنا عشر صحابيا مع إبدال رفاعة بأبى الهيثم . والسعود - جمع سعد - المذكورون فى الأبيات ، هم بالترتيب ؛ سعد بن عبادة ، وسعد بن الربيع ، وآخرهم سعد أخو عمرو بن عوف - وهو سعد بن خيثمة - وليس سعد بن معاذ كما يظن المصنف ، لأنه لم يذكر أحدا بدلا منه . وهم اثنا عشر كما ذكرنا . وكما فى أصل الرواية السابقة . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٤٦.
(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٤٥٣ من طريق يعقوب بن سفيان به .
(٧) القائل هو الإمام مالك . انظر الدلائل .

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : فحَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال للنُّقَباءِ : « أنتم على قَوْمِكم بما فيهم كُفَلاءُ ، ككَفالَةِ الحَوارِيِّينَ لعيسى ابنِ مَرْيَمَ ، وأنا كَفِيلٌ على قَوْمِى » . قالوا : نعم . وحَدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بن قَتادَةَ ، أنَّ القومَ لمَّا اجْتَمَعوا لبَيْعَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال العباسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلَةَ الأنصارىُّ ، أخو بنى سالمِ بنِ عَوْفٍ : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ، هل تَدْرُون علامَ تُبايِعُون هذا الرجلَ؟ قالوا : نعم . قال : إنَّكم تُبايِعُونَه على حربِ الأحمرِ والأسودِ مِن الناسِ ، فإن كُنتُم تَرَوْنَ أنَّكم إذا نَهَكَتْ[2] أموالكم مُصيبةٌ ، وأشرافَكم قتْلٌ ، أسْلَمْتُمُوه ، فمِن الآنَ ، فهو واللَّهِ - إن فَعَلْتُم - خِزْىُ الدنيا والآخرةِ ، وإن كنتُم تَرَوْن أنَّكم وافُون له بما دَعَوْتُموه إليه على نَهْكَةِ الأمْوالِ ، وقَتْلِ الأَشْرافِ ، فخُذُوه ، فهو واللَّهِ خيرُ الدنيا والآخرةِ . قالوا : فإنَّا نَأْخُذُه على مصيبةِ الأموالِ ، وقَتْلِ الأَشْرافِ ، فما لنا بذلك يا رسولَ اللَّهِ إن نحن وَفَيْنا ؟ قال : « الجَنَّةُ » . قالوا : ابْسُطْ يَدَكَ . فبَسَطَ يَدَه فبايَعُوه . قال عاصمُ [3]بنُ عُمرَ[3] ابنِ قَتادةَ : وإنَّما قال العباسُ بنُ عُبادةَ ذلك ؛ لِيَشُدَّ العَقْدَ فى أعناقِهم . وزَعَم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنَّه إنَّما قال ذلك ليُؤَخِّرَ البَيْعةَ تلك الليلةَ ؛ رَجاءَ أن يَحْضُرَها عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ بنِ سَلُولَ سيِّدُ الخَزْرَجِ ؛ ليَكُونَ أقوَى لأمرِ القومِ ، فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كانَ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فبَنُو النَّجّارِ يَزْعُمون أنَّ أبا أُمامَةَ أسعدَ بنَ زُرارَةَ ، كان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٦.

(٢) فى م : « أنهكت » .

(٣ - ٣) زيادة من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧.

أَوَّلَ مَن ضَرَب على يَدِه ، وبنو عبدِ الأَشْهَلِ يَقُولون : بل أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وحدَّثنى مَعْبَدُ بنُ كعبٍ ، عن أخيه عبدِ اللَّهِ ، عن أبيه كعبِ بنِ مالكٍ قال : فكان أوَّلَ مَن ضَرَب على يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ البَراءُ بنُ مَعْرورٍ ، ثُم بايَع القومُ .

وقال ابنُ الأثيرِ فى « أُسْدِ الغابةِ »[2] : وبنو سَلِمَةَ يَزْعُمونَ أنَّ أوَّلَ مَن بايَعَه لَيْلَتَئِذٍ ، كعبُ بنُ مالكٍ . وقد ثبَت فى « صحيحِ » البخارىِّ ، ومسلمٍ[3] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبٍ ، عن أبيه ، عن كعبِ ابنِ مالكٍ ، فى حديثِه حينَ تَخَلَّف عن غزوةِ تَبُوكَ ، قال : ولقد شَهِدْتُ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبَةِ حينَ تَواثَقْنا على الإسْلامِ ، وما أُحِبُّ أنَّ لى بها مَشْهَدَ بدرٍ ، وإن كانَتْ [4]بدرٌ أذْكَرَ[4] فى الناسِ منها .

وقال البَيْهَقِىُّ[5] : أخْبَرَنا أبو الحُسينِ بنُ بِشْرانَ ، أخْبَرَنا عَمرُو بنُ السَّمَّاكِ ، حدَّثَنا حَنْبَلُ بنُ إسحاقَ ، حَدَّثَنا أبو نُعَيْمٍ ، حَدَّثنا زكريَّا بنُ أبى زائِدَةَ ، عن عامرٍ الشَّعْبِىِّ قال : انْطَلَق رسولُ اللَّهِ ﷺ مع العباسِ عمِّه إلى السبعين مِن الأنصارِ عندَ العَقَبَةِ تحتَ الشجرةِ ، فقال : « لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكم ولا يُطِلِ الخُطبةَ ؛ فإنَّ عليكم مِن المُشْرِكين عَيْنًا ، وإن يَعْلَمُوا بكم يَفْضَحُوكم » . فقال قائلُهم ، وهو أبو أُمامَةَ : سَلْ يا محمدُ لربِّك ما شِئْتَ ، ثُم سلْ لنفسِك بعدَ ذلك ما شِئتَ ، ثُم أَخْبِرْنا ما لنا مِن الثَّوابِ على اللَّهِ وعليكم إذا فعلْنا ذلك . قال :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٤٧ .

(٢) أسد الغابة ٥/ ١٤.

(٣) البخارى (٣٨٨٩) . ومسلم (٢٧٦٩) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « بدرا كثير » .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٤٥٠، ٤٥١.

« أَسْـأَلُكم لرَبِّى أَن تَعْبُدُوهُ ولا تُشْرِكُوا به شيئًا ، وأَسأَلُكم لنفسِى وأصْحَابِى ، أَن [٢/١٣٣و] تُؤْوُونا وَتَنْصُرونا وَتَمْنَعُونا مِمَّا تَمْنَعُون منه أَنْفُسَكم » . قالوا : فما لنا إذا فعلْنا ذلك ؟ قال : « لكم الجنَّةُ » . قالوا : فلك ذلك . ثُم رَواه حَنْبَلٌ[(١)] ، عن الإمامِ أحمدَ ، عن [(٢)] يَحيى بنِ[(٢)] زكريَّا ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن أبى مسعودٍ الأَنصاريِّ ، فذَكَره ، قال : وكان أبو مسعودٍ أصْغَرَهم .

وقال أحمدُ[(٣)] ، عن يَحْيَى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبِيِّ قال : فما سَمِعَ الشِّيبُ والشُّبَّانُ خُطْبَةً مِثْلَها .

وقال البَيْهَقِيُّ[(٤)] : أخْبَرَنا أبو طاهرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ ، أخْبَرَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الفَضْلِ الفَحّامُ ، أخْبَرنا محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِيُّ ، أخْبَرنا عمرُو بنُ عثمانَ الرَّقِّيُّ ، حدَّثَنا زُهَيْرٌ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عُبَيْدِ بنِ رِفاعةَ ، عن أبيه قال : قَدِمَتْ رَوايَا[(٥)] خمرٍ ، فَأَتاها عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ فَخرَقَها وقال : إنَّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ على السَّمْعِ والطاعةِ فى النَّشاطِ والكَسَلِ ، والنَّفَقةِ فى العُسرِ واليُسرِ ، وعلى الأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ ، وعلى أن نقولَ فى اللَّهِ لا تَأْخُذُنا فيه لَوْمَةُ لائمٍ ، وعلى أن نَنْصُرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ إذا قَدِم علينا يَثْرِبَ ، بما نَمْنَعُ به أنفُسَنا وأزْواجَنا[(٦)] وأبناءَنا ، ولنا الجنَّةُ . فهذه بَيْعةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى بايَعْناه عليها . وهذا إسنادٌ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥١، من طريق حنبل به .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) فى المسند ٤/١٢٠ ، وعنه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥١.

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٥١، ٤٥٢.

(٥) الروايا : جمع راوية ، وهى المزادة .

(٦) فى م ، ص : « وأرواحنا » .

جيِّدٌ قويٌّ ، ولم يُخْرِجوه . وقد روَى يُونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[1] ، حَدَّثنى عُبادةُ ابنُ الوليدِ بنِ عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ ، [2]عن أبيه ، عن جدِّه عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ[2] قال : بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةَ الحربِ على السَّمْعِ والطاعةِ فى عُسْرِنا ويُسْرِنا ، ومَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا ، وأَثَرَةٍ علينا ، وأن لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه ، وأَن نقولَ بالحقِّ أينما كُنّا ، لا نَخافُ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] فى حديثِه عن مَعْبَدِ بنِ كعبٍ ، عن أخيه عبدِ اللَّهِ ، عن[4] كعبِ بنِ مالكٍ قال : فلمَّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، صَرَخ الشيطانُ مِن رَأْسِ العَقَبَةِ بأَنْفَذِ صوتٍ سَمِعْتُه قَطُّ : يا أهلَ الجُباجِبِ - والجُباجِبُ : المنازلُ - هل لكم فى مُذَمَّمٍ والصُّباةِ[5] معه قد اجْتَمَعُوا على حربِكم . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا أَزَبُّ العَقَبَةِ[6] ، [7]هذا ابنُ أَزْيَبَ[7] » - قال ابنُ هِشامٍ : ويُقالُ : ابنُ أُزَيْبٍ - « أَتَسْمَعُ أَىْ عَدُوَّ اللَّهِ ؟ أما واللَّهِ لأَتَفَرَّغَنَّ لكَ » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَضُّوا[8] إلى رِحالِكم » . قال : فقال العباسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلَةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، والذى بَعَثَك بالحقِّ إن شِئتَ لَنَمِيلَنَّ على أهلِ مِنًى غدًا بأَسْيافِنا .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥٢، من طريق يونس به . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٤.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤٧، ٤٤٨.

(٤) فى ا ١٥، م : « بن » .

(٥) فى النسخ : « الصباء » . والمثبت من السيرة . قال ابن الأثير فى النهاية ٣/ ٣: كانت العرب تسمى النبى ﷺ : الصابئ ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ، ويسمون من يدخل فى الإسلام مَصْبُوًّا ؛ لأنهم كانوا لا يهمزون ، فأبدلوا من الهمزة واوًا ، ويسمون المسلمين : الصُّباة ، بغير همز ؛ كأنه جمع الصابئ غير مهموز ، كقاضٍ وقُضاة ، وغازٍ وغُزاة .

(٦) أزب العقبة : اسم شيطان . انظر الروض ٤/ ١٢٥.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) ارفضوا : تفرّقوا .

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم نُؤْمَرْ بذلك ، ولكنِ ارْجِعُوا إلى رِحالِكُم » .
قال : فرَجَعْنا إلى مَضاجِعِنا فنِمْنا فيها حتى أَصْبَحْنا ، فلمَّا أَصْبَحْنا غَدَتْ علينا جِلَّةُ[1] قُريشٍ حتى جاءُونا فى مَنازِلِنا فقالوا : يا مَعْشَرَ الخَزْرَجِ ، إنَّه قد بَلَغَنا أنَّكم قد جِئْتُم إلى صاحِبِنا هذا ، تَسْتَخْرِجُونَه مِن بينِ أَظْهُرِنا ، وتُبايِعُونه على حربِنا ، وإنَّه واللَّهِ ما مِن حَيٍّ مِن العَرَبِ أَبْغَضُ إلينا مِن أن تَنْشَبَ الحربُ بينَنا وبينَهم ، منكم . قال : فانْبَعَثَ مَن هناك مِن مُشْرِكى قومِنا ، يَحْلِفُون[2] : ما كان مِن هذا شىءٌ [3]وما عَلِمْناه[3] . قال : وصَدَقُوا ، لم يَعْلَموا . قال : وبعضُنا يَنْظُرُ إلى بعضٍ . قال : ثُم قام القومُ ، وفيهم الحارثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ المَخْزُومىُّ ، وعليه نَعْلان له جَديدان . قال : فقلتُ له كلمةً ، كأنِّى أُريدُ أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا : يا أبا جابرٍ ، أمَا تَسْتَطيعُ أن تَتَّخِذَ ، وأنت سيِّدٌ مِن ساداتِنا ، مِثْلَ نَعْلَىْ هذا الفَتَى مِن قُريشٍ ؟ قال : فسَمِعَها الحارثُ ، فخَلَعَهما مِن رِجْلَيْه [٢/١٣٣ظ] ثُم رَمَى بهما إلىَّ ، قال : واللَّهِ لتَنْتَعِلَنَّهما . قال : يَقولُ أبو جابرٍ : مَهْ[4] ، أَحْفَظْتَ[5] واللَّهِ الفَتَى ، فارْدُدْ إليه نَعْلَيْه . قال : قلتُ : واللَّهِ لا أَرُدُّهما ، فألْ واللَّهِ صالحٌ ، لئنْ صَدَق الفألُ لأَسْلُبَنَّه .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحَدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أنَّهم أتَوْا عبدَ اللَّهِ بنَ أُبىِّ ابنِ سَلُولَ فقالوا مِثْلَ ما ذَكَر كعبٌ مِن القولِ ، فقال لهم : إنَّ هذا الأمْرَ

---

(١) قومٌ جِلَّة : أشياخٌ مسانٌّ .
(٢) بعده فى السيرة : « باللَّه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) مه : كُفَّ .
(٥) أحفظت : أغضبت .
(٦) سيرة ابن هشام ١/٤٤٨ - ٤٥٠.

جسيمٌ ، ما كان قومى لِيَتَفرَّقوا على مِثْلِ هذا ، وما عَلِمْتُه كان . قال : فانْصَرفوا عنه . قال : ونَفَر الناسُ مِن مِنًى فتَنَطَّس[1] القومُ الخبَرَ ، فوَجدوه قد كان ، فخَرَجوا فى طَلَبِ القومِ ، فأدْرَكوا سعدَ بنَ عُبادَةَ بأذَاخِرَ[2] ، والمُنْذِرَ بنَ عَمرٍو أخا بنى ساعِدَةَ بنِ كعبِ بنِ الخزْرَجِ ، وكِلاهما كان نَقِيبًا ، فأمَّا المنذِرُ فأَعْجَز القومَ ، وأمَّا سعدُ بنُ عُبادةَ فأخَذُوه ، فربَطوا يدَيْه إلى عُنُقِه بنِسْعِ[3] رَحْلِه ، ثُم أَقْبَلوا به حتى أدْخَلوه مكةَ يَضْربُونَه ويَجْذِبُونَه بجُمَّتِه ، وكان ذا شَعْرٍ كثيرٍ ، قال سعدٌ : فواللَّهِ إنِّى لفى أيدِيهم ، إذْ طَلَع علىَّ نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ ، فيهم رجُلٌ وَضِيءٌ أبيضُ شَعْشاعٌ[4] حُلوٌ مِن الرِّجالِ ، فقلتُ فى نفسى : إن يَكُ عندَ أحَدٍ مِن القومِ خيرٌ ، فعندَ هذا . فلمَّا دَنا منِّى رَفَع يَدَه فلَكَمَنى لَكْمَةً شديدةً ، فقلتُ فى نفسى : لا واللَّهِ ، ما عِندَهم بعدَ هذا مِن خيرٍ . قال : فواللَّهِ إنِّى لفى أيدِيهم يَسْحَبُوننى ، إذ أَوَى لى[5] رجلٌ مِمَّن معهم ، فقال : وَيْحَك ، أمَا بينَك وبينَ أحدٍ مِن قُرَيشٍ جِوارٌ ولا عَهْدٌ ؟ قال : قلتُ : بلى واللَّهِ ، لقد كنتُ أُجِيرُ لجُبَيْرِ ابنِ مُطْعِمٍ تُجَّارَه وأمْنَعُهم مِمَّن أرادَ ظُلْمَهم ببِلادى ، وللحارثِ بنِ حربِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ . فقال : وَيْحَك ، فاهْتِفْ باسمِ الرَّجُلَيْنِ ، واذْكُرْ ما بينَك وبينَهما . قال : ففَعَلْتُ ، وخَرَج ذلك الرجلُ إليهما ، فوَجَدَهما فى المسجدِ عندَ الكعبةِ ، فقال لهما : إنَّ رجلًا مِن الخزْرَجِ الآنَ يُضْرَبُ بالأبْطَحِ لَيَهْتِفُ بكما .

---

(١) تنطس عن الأخبار : بحث عنها . اللسان (ن ط س) .

(٢) أذاخر : موضع قرب مكة . القاموس المحيط (ذ خ ر) .

(٣) النسع : سَيْر يُنسج عريضًا على هيئة أعنَّة - سيور - النعال ، تُشدّ به الرحال ، والقطعة منه نِسعة ، وسمّى نسعًا لطوله . المحيط (ن س ع) .

(٤) الشعشاع : الطويل الحسن الخفيف اللحم . اللسان (ش ع ع) .

(٥) أوى له : رقَّ له ورحمه .

قالا : ومَن هو ؟ قال : سعدُ بنُ عُبادةَ . قالا : صَدَق واللَّهِ ، إن كان لَيُجيرُ لنا تُجَّارَنا ويَمْنَعُهم أن يُظْلَموا ببلدِه . قال : فجاءا فَخَلَّصا سعدًا من أيديهم ، فانْطَلَق ، وكان الذى لَكَم سعدًا ، سُهَيْلُ بنُ عَمرٍو .

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وكان الذى أَوَى له ، أبو البَخْتَرِىُّ بنُ هِشامٍ .

وروَى البَيْهَقِىُّ[2] بسندِه عن [3]عبدِ الحميدِ بنِ أبى عَبْسِ بنِ جَبْرٍ[3] ، [4]عن أبيه[4] ، قال : سَمِعَتْ قُرَيشٌ قائلًا يقولُ فى الليلِ على أبى قُبَيْسٍ :

فَإِنْ يُسْلِمِ السَّعْدانِ يُصْبِحْ محمدٌ ... بمكَّةَ لا يَخْشَى خِلافَ المُخالِفِ

فلمَّا أصْبَحوا قال أبو سُفيانَ : مَنِ السَّعْدانِ ؟ أسعْدُ بنُ بكرٍ ، أم سعدُ بنُ هُذَيْمٍ ؟ فلمَّا كانَت الليلةُ الثانيةُ سَمِعوا قائلًا يَقولُ :

أيا سعدُ سعدَ الأَوسِ كُنْ أنت ناصِرًا ... ويا سعدُ سعدَ الخَزْرَجَيْنِ الغَطارِفِ[5]

أَجِيبا إلى داعى الهُدَى وَتَمَنَّيا ... على اللَّهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ[6] عارِفِ

فإنَّ ثوابَ اللَّهِ للطالِبِ الهُدَى ... جِنانٌ مِن الفِردوسِ ذاتُ رَفارِفِ

فلمَّا أصْبَحوا قال أبو سُفيانَ : هو واللَّهِ سعدُ بنُ مُعاذٍ ، وسعدُ بنُ عُبادةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٠.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣ - ٣) فى الأصل، ا ١٥: «عيسى بن أبى عيسى بن حبر». وفى م، ص: «عيسى بن أبى عيسى بن جبير». وفى الدلائل: «عبد الحميد بن أبى عبس بن محمد بن خير». والمثبت من الدلائل مع تصحيح اسم خير إلى جبر من مصدر الترجمة. انظر تهذيب الكمال ٣٤/ ٤٦. والاستيعاب ٤/ ١٧٠٨.

(٤ - ٤) سقط من: النسخ. وأثبتناه من الدلائل.

(٥) الغطاريف: جمع غِطريف، وهو السيد الكريم. وحذفت الياء للضرورة الشعرية.

(٦) المُنية: الأُمنيَّة.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلمَّا رَجَعَ الأنصارُ الذين بايَعُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبَةِ الثانيةِ إلى المدينةِ ، أظْهَرُوا الإسلامَ بها ، وفى قومِهم بَقايا مِن شُيوخٍ لهم ، على دينِهم مِن الشِّرْكِ ، منهم عَمرُو بنُ الجَمُوحِ بنِ زيدِ بنِ حَرامِ بنِ كعبِ بنِ غَنْمِ بنِ كعبِ بنِ سَلِمَةَ ، وكان ابنُه معاذُ بنُ عمرٍو مِمَّن شَهِد العَقَبَةَ ، وكان عمرُو بنُ الجَمُوحِ مِن ساداتِ بنى سَلِمَةَ وأَشْرافِهم ، وكان قد اتَّخَذَ صَنَمًا مِن خَشَبٍ فى دارِه يُقالُ [٢/١٣٤و] له : مَناةُ . كما كانتِ الأَشْرافُ يَصْنَعون ، يَتَّخِذُه إلهًا يُعَظِّمُه ويُطَهِّرُه ، فلمَّا أَسْلَمَ فِتيانُ بنى سَلِمَةَ ؛ ابنُه معاذٌ ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ ، كانوا يُدْلِجُون بالليلِ على صنمِ عَمرٍو ذلك ، فيَحْمِلُونَه فيَطْرَحُونَه فى بعضِ حُفَرِ بنى سَلِمَةَ ، وفيها عِذَرُ الناسِ ، مُنَكَّسًا على رأْسِه ، فإذا أصْبَحَ عَمرٌو قال : وَيْلَكم ، مَن عَدا على إلهِنا هذه الليلةَ ؟ ثُم يَغْدو يَلْتَمِسُه ، حتى إذا وَجَده غَسَلَه وطَهَّرَه ، وطَيَّبَه ، ثُم قال : أمَا واللَّهِ لو أَعلمُ مَن فَعَل هذا بك ، لَأُخْزِيَنَّه . فإذا أمْسَى ونامَ عَمرٌو ، عَدَوْا عليه ففَعَلوا مِثْلَ ذلك ، فيَغْدُو فيَجِدُه فى مِثْلِ ما كان فيه مِن الأذى ، فيَغْسِلُه ويُطَهِّرُه ويُطَيِّبُه ، ثُم يَغْدُون عليه إذا أمْسَى ، فيَفْعَلون به مِثْلَ ذلك ، فلمَّا أَكْثَرُوا عليه اسْتَخْرَجَه مِن حيثُ أَلْقَوْه يَوْمًا ، فغَسَلَه وطَهَّرَه وطَيَّبَه ، ثُم جاء بسيفِه فعَلَّقَه عليه ، ثُم قال له : إنِّى واللَّهِ ما أعلمُ مَن يَصْنَعُ بك ما أَرَى ، فإن كان فيك خيرٌ فامْتَنِعْ ، فهذا السيفُ معك . فلمَّا أمْسَى ونام عمرٌو ، عَدَوْا عليه فأَخَذوا السيفَ مِن عُنُقِه ، ثُم أخَذوا كلْبًا مَيِّتًا فقَرَنوه به

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٢.

بحبلٍ ، ثُم أَلْقَوْه فى بِئْرٍ مِن آبارِ بنى سَلِمَةَ فيها عِذَرٌ مِن عِذَرِ الناسِ ، وغَدا عَمرُو بنُ الجَمُوحِ فلم يَجِدْه فى مكانِه الذى كان به ، فَخَرَج يَتَّبِعُه ، حتى إذا وَجَده فى تلك البئرِ مُنَكَّسًا مَقْرونًا بكلبٍ مَيِّتٍ ، [1]فلمَّا رآه[1] ، أَبْصَر شَأْنَه ، وكَلَّمَه مَن أَسْلَم مِن قومِه ، فأَسْلَمَ برحمةِ اللَّهِ ، وحَسُن إسلامُه، فقال حينَ أَسْلَم ، وعَرَف مِن اللَّهِ ما عَرَف ، وهو يَذْكُرُ صنمَه ذلك ، وما أَبْصَر مِن أَمرِه ، ويَشْكُرُ اللَّهَ الذى أَنْقَذَه مِمَّا كان فيه مِن العَمَى والضَّلالةِ :

والـلَّهِ لـو كـنـتَ إلـهًـا لم تَـكُـنْ ... أنتَ وكلبٌ وَسْطَ بئرٍ فى قَرَنْ[2]

أُفٍّ لـمَـلْـقـاك إلـهًـا مُـسْـتَـدَنْ[3] ... الآنَ فَتَّشْناك عن سُوءِ الغَبَنْ[4]

الحمدُ لـلَّـهِ الـعَـلِـيِّ ذِى المِنَنْ ... الـواهـبِ الـرَّزَّاقِ دَيَّـانِ الـدِّيَـنْ[5]

هو الذى أَنْقَذَنى مِن قَبْلِ أن ... أَكُونَ فى ظُلْمةِ قبرٍ مُرْتَهَنْ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) القرن : الحبل يُقرن به البعيران .

(٣) أى مخدوم .

(٤) الغبن : يقال : غبن رأيَه ، كما يقال : سَفِه نفسه . الروض الأنف ٤/ ١٥٤.

(٥) الدِّيَن : جمع دِينة وهى العادة ، ويقال لها دِين أيضًا . ويجوز أن يكون أراد بالدِّيَن : الأديان ، أى هو ديّان أهل الأديان . المصدر السابق ٤/ ١٥٤، ١٥٥.

فصلٌ يَتَضَمَّنُ أسماءَ مَنْ

شَهِد بَيْعةَ العَقَبَةِ الثانيةِ

(١) وجُملتُهم على ما ذَكَره ابنُ إسحاقَ (١) ثلاثةٌ وسبعون رجلًا وامْرأتانِ؛ فمِن الأَوْسِ أحدَ عشَرَ رجُلًا؛ أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ أحَدُ النُّقَباءِ، وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، بَدْرِيٌّ أيضًا، وسَلَمَةُ بنُ سَلامةَ بنِ وَقْشٍ، بَدرِيٌّ أيضًا، وظُهَيْرُ بنُ رافعٍ، وأبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ، بَدرِيٌّ، ونُهَيْرُ بنُ الهَيْثَمِ بنِ نابى بنِ مَجْدَعَةَ بنِ حارثةَ، وسعدُ بنُ خَيْثَمَةَ أحَدُ النُّقَباءِ، بَدْرِيٌّ، وقُتِل بها شَهيدًا، ورِفاعةُ بنُ عبدِ المُنذِرِ بنِ زَنْبَرٍ (٢)، نقيبٌ بَدْرِيٌّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ البُرَكِ، بَدْرِيٌّ، وقُتِل يومَ أُحُدٍ شَهيدًا أميرًا على الرُّماةِ، ومَعْنُ بنُ عَدِيٍّ بنِ الجَدِّ ابنِ عَجْلانَ بنِ الحارثِ بنِ ضُبَيْعَةَ البَلَوِيُّ، حَليفٌ للأَوْسِ، شَهِد بَدْرًا وما بعدَها وقُتِل باليمامَةِ (٣) شَهيدًا، وعُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ، شَهِد بدرًا وما بعدَها (٣)، ومِن الخَزْرَجِ اثنان وستون رجُلًا؛ أبو أيُّوبَ خالدُ بنُ زيدٍ، وشهِدَ بدرًا وما بعدَها، وماتَ بأرضِ الرُّومِ زمنَ مُعاوِيةَ شهيدًا، ومُعاذُ بنُ الحارثِ، وأخَواه عَوفٌ، ومُعَوِّذٌ، وهم بنو عَفْراءَ، بَدْرِيُّون، وعُمارةُ بنُ حَزْمٍ، شهِدَ بدرًا وما بعدَها وقُتِلَ باليمامةِ، وأَسعدُ بنُ زُرارَةَ أبو أُمامةَ، أحَدُ النُّقَباءِ، مات قبلَ بدرٍ، وسَهْلُ بنُ

(١ - ١) سقط من: م. وانظر عدة أسماء من شهد بيعة العقبة الثانية، فى سيرة ابن هشام ٤٥٤/١ - ٤٦٧.

(٢) فى الأصل، ص: «زير». وفى م: «زنير».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

عَتيكٍ ، بَدْرِيٌّ ، وأَوْسُ بنُ ثابتِ بنِ المُنْذِرِ ، بَدْرِيٌّ ، وأبو طَلْحَةَ زيدُ بنُ سَهْلٍ ، بَدْرِيٌّ ، وقيسُ بنُ أبي صَعْصَعَةَ عَمرِو بنِ زيدِ بنِ عوفِ بنِ مَبْذولِ بنِ عَمرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ ، كان أميرًا على السَّاقةِ يومَ بَدْرٍ ، وعمرُو بنُ غَزيَّةَ ، وسعدُ بنُ الرَّبيعِ أحَدُ النُّقَباءِ ، شَهِد بدرًا وقُتِل يومَ أُحُدٍ ، وخارِجَةُ بنُ زيدٍ ، شَهِد بدرًا وقُتِلَ يومَ أُحُدٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ أحَدُ النُّقَباءِ ، شَهِد بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ ، وقُتِل يومَ مُؤْتَةَ أميرًا ، وبَشِيرُ بنُ سعدٍ ، بَدْرِيٌّ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ ربِّه ، الذى أُرِىَ النِّداءَ ، وهو بَدْرِيٌّ ، وخَلَّادُ بنُ سُوَيْدٍ ، بدرىٌّ أُحُدىٌّ خَنْدَقيٌّ ، وقُتِل يومَ بنى قُرَيْظَةَ شهيدًا ، طُرِحَتْ عليه رَحًى فشَدَخَتْه ، فيُقالُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ له لأَجْرَ شَهِيدَيْن » . وأبو مسعودٍ عُقْبَةُ بنُ عَمرٍو البدرىُّ – قال ابنُ إسْحاقَ[1] : وهو أحْدَثُ مَن شَهِد العَقَبَةَ سِنًّا ولم يَشْهَدْ بدرًا – وزِيادُ بنُ لَبِيدٍ ، بدرىٌّ ، وفَرْوَةُ بنُ عَمرِو بنِ وَدْفَةَ[2] ، بدرىٌّ[3] ، وخالدُ ابنُ قيسِ بنِ مالكٍ ، بدرىٌّ ، ورافعُ بنُ مالكٍ أحَدُ النُّقَباءِ ، وذَكْوانُ بنُ عبدِ قَيْسِ ابنِ خَلْدَةَ بنِ مُخَلَّدِ بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ ، وهو الذى يُقالُ له : مُهاجرىٌّ أَنصارىٌّ . لأنَّه أقام عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ [١٣٤/٢ظ] بمكَّةَ حتى هاجَر منها ، وهو بدرىٌّ ، قُتِل يومَ أُحُدٍ ، وعَبَّادُ بنُ قيسِ بنِ عامِر بنِ خالدِ[4] بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ ، بدرىٌّ ، وأخوه الحارثُ بنُ قيسِ بنِ عامرٍ[5] ، بدرىٌّ أيضًا ، والبَراءُ بنُ مَعْرُورٍ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥٩.

(٢) فى ا ١٥: « وذقة » . وفى ص : « وفدة » . وفى السيرة : « وذفة » . بالذال . وبعده ذكَر ابن هشام أنه يُقال فيه : « ودفة » . بالدال . وهو ما صححه السهيلى فى الروض ٤/ ١٥٧.

(٣) سقط من : ا ١٥، م .

(٤) فى السيرة : « خلدة بن مخلد » .

(٥) فى السيرة : « خالد » .

أحدُ النُّقَباءِ وأولُ مَن بايَعَ فيما تَزْعُمُ بنو سَلِمَةَ، وقد مات قبلَ مَقْدَمِ النبيِّ ﷺ المدينةَ، وأوْصَى له بثُلُثِ مالِه، فرَدَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ على وَرَثَتِه، وابنُه بِشْرُ بنُ البَرَاءِ، وقد شَهِدَ بدرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ، ومات بخَيْبَرَ شَهيدًا مِن أَكْلِهِ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن تلك الشَّاةِ المسمومةِ، رَضِى اللَّهُ عنه، وسِنانُ بنُ صَيْفِيِّ بنِ صَخْرٍ، بدريٌّ، والطُّفَيْلُ بنُ النُّعمانِ بنِ خَنْساءَ، بدريٌّ قُتِل يومَ الخَنْدَقِ، ومَعْقِلُ بنُ المُنذرِ بنِ سَرْحٍ، بدريٌّ، وأخوه يزيدُ بنُ المنذرِ، بدريٌّ، ومسعودُ بنُ زيدِ بنِ سُبَيْعٍ، والضَّحَّاكُ بنُ حارثةَ بنِ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ، بدريٌّ، ويزيدُ بنُ خِذامِ ابنِ سُبَيْعٍ، وجُبَارُ بنُ صَخْرِ [(1)]بنِ أُمَيَّةَ[(1)] بنِ خَنْساءَ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ، بدرىٌّ، والطُّفَيْلُ بنُ مالكِ بنِ خَنْساءَ، بدريٌّ، وكعبُ بنُ مالكٍ، وسُلَيْمُ بنُ عَمْرٍو[(2)] ابنِ حَدِيدةَ، بدريٌّ، وقُطْبَةُ بنُ عامرِ بنِ حَدِيدةَ، بدريٌّ، وأخوه أبو المُنذِرِ يزيدُ، بدريٌّ أيضًا، وأبو اليَسَرِ كعبُ بنُ عمرٍو، بدريٌّ، وصَيْفِيُّ بنُ سَوادِ[(3)] ابنِ عَبَّادٍ، وثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمَةَ بنِ عَدِيِّ بنِ نابى، بدريٌّ واسْتُشْهِد بالخَنْدَقِ، وأخوه عَمْرُو بنُ غنمةَ بنِ عَدِيٍّ، وعَبْسُ بنُ عامرِ بنِ عَدِيٍّ، بدرِيٌّ، وخالدُ بنُ عمرِو بنِ عَدِيِّ بنِ نابى، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ، حليفٌ لهم مِن قُضاعَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عَمرِو بنِ حَرامٍ أحَدُ النُّقَباءِ، بدريٌّ واستُشْهِد يومَ أُحُدٍ، وابنُه جابرُ ابنُ عبدِ اللَّهِ، ومُعاذُ بنُ عَمرِو بنِ الجَمُوحِ، بدريٌّ، وثابتُ بنُ الجِذْعِ، بدريٌّ وقُتِل شَهيدًا بالطَّائفِ، وعُمَيْرُ بنُ الحارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ، بدريٌّ، وخَدِيجُ بنُ سَلامةَ، حَليفٌ لهم مِن بَلِيٍّ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ، شَهِد بدرًا وما بعدَها، ومات بطاعونِ عِمْواسَ فى خِلافةِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ، وعُبادةُ بنُ الصَّامتِ أحَدُ النُّقَباءِ،

(1 - 1) سقط من: الأصل، ا ١٥، ص.

(2) فى م: «عامر». وهو أحد أقوال ثلاث عند ابن الأثير. أسد الغابة ٢/ ٤٤٧.

(3) فى الأصل، ا ١٥: «أسود».

شَهِد بدرًا وما بعدَها ، والعباسُ بنُ عُبادَةَ بنِ نَضْلَةَ ، وقد أقامَ بمكةَ حتى هاجَر منها ، فكان يُقالُ له : مُهاجرىٌّ أنصارىٌّ أيضًا ، وقُتِل يومَ أُحُدٍ شهيدًا ، وأبو عبدِ الرحمنِ يزيدُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ خَزْمَةَ[1] بنِ أَصْرَمَ ، حليفٌ لهم مِن بَلِىٍّ ، وعمرُو ابنُ الحارثِ بنِ لَبْدَةَ ، ورِفاعَةُ بنُ عَمرِو بنِ زيدٍ ، بَدْرىٌّ ، وعُقْبَةُ بنُ وَهْبِ بنِ كَلْدَةَ ، حليفٌ لهم بَدْرىٌّ ، وكان ممَّن خرَج إلى مكةَ ، فأقامَ بها حتى هاجَرَ منها ، فهو مِمَّن يُقالُ له : مُهاجِرِىٌّ أنصارىٌّ أيضًا . وسعدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمٍ ، أحدُ النُّقَباءِ ، والمُنْذِرُ بنُ عَمرٍو ، نَقِيبٌ بَدْرىٌّ أُحُدِىٌّ ، وقُتِلَ يومَ بئرِ مَعُونَةَ أميرًا ، وهو الذى يُقالُ له : أَعْنَقَ[2] لِيَمُوتَ .

وأما المرأتانِ ؛ فأمُّ عُمَارَةَ نَسِيبَةُ بنتُ كَعْبِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفِ بنِ مَبْذولِ ابنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنِ بنِ النَّجَّارِ المازِنِيةُ النجّاريةُ . قال ابنُ إسْحاقَ[3] : وقد كانت شَهِدَتِ الحربَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وشَهِدَتْ معها أختُها ، وزوجُها زيدُ بنُ عاصمِ [4]بنِ كَعْبٍ ، وابناها حَبِيبٌ[5] وعبدُ اللَّهِ ، وابنُها حَبِيبٌ[5] هذا هو الذى قَتَلَه مُسَيْلِمَةُ الكذابُ[4] ، حينَ جَعَل يقولُ له : أَتَشْهَدُ أَنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ؟ فيقولُ : نَعَمْ . فيقولُ : أَتَشْهَدُ أَنِّى رسولُ اللَّهِ ؟ فيَقولُ : لا أَسْمَعُ . فجعَل يُقَطِّعُه عُضْوًا عُضْوًا ، حتى مات فى يَدَيْه ، لا يَزيدُه على ذلك ، فكانت أمُّ عُمَارَةَ ممَّن خرَج إلى اليَمَامةِ مع المسلمين حينَ قُتِلَ مُسَيْلِمةُ ، ورجعَتْ وبها اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا ، مِن بينِ طعنةٍ وضربةٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها وأَرْضَاها ، والأُخْرَى أمُّ

---

(١) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « خزيمة » .

(٢) فى م ، ص : « أعتق » . وأعنق : أسرع . الوسيط (ع ن ق) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٨.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) فى م : « خبيب » .

مَنِيعٍ أسماءُ بنتُ عَمْرِو بنِ عَدِيٍّ بنِ نابى بنِ عَمْرِو بنِ سَوَادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ
ابنِ سَلَمَةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها .

(١) باب بَدْءِ (٢) الهجرةِ مِن مكةَ إلى المدينةِ (١)

قال الزُّهْرِيُّ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ ، قالَتْ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو يَوْمَئِذٍ بمكةَ ، لِلمُسْلِمِينَ : « قد أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكم ، أُرِيتُ سَبْخَةً [٣] ذاتَ نَخْلٍ بينَ لابَتَيْنِ » . فهاجَرَ مَن هاجَرَ قِبَلَ المدينةِ حينَ ذكَرَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ورجَعَ إلى المدينةِ مَن كانَ هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشَةِ مِن المسلمينَ . رواه البُخاريُّ [٤] .

وقال أبو موسَى [٥] ، عن النبيِّ ﷺ : « رأيتُ فِي المَنامِ أَنِّي أُهاجِرُ مِن مكَّةَ إلى أرضٍ بِها نخلٌ ، فذهَبَ وَهْلِي [٦] إلى أَنَّها اليَمامَةُ أو هَجَرُ ، فإذا هِي المدينَةُ يَثرِبُ » . وهذا الحديثُ قد أسنَدَه البخاريُّ [٧] في مواضِعَ أُخَرَ بِطُولِه ، ورواه مسلمٌ [٨] ، كِلاهما [٩] عن أبي كُرَيْبٍ . زاد مُسْلمٌ : وعبدِ اللَّهِ بنِ بَرَّادٍ [١٠] ، كِلاهما عن أبي أُسامةَ ، عن بُرَيْدِ [١١] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي بُرْدَةَ ، عن جدِّه أبي

(١ - ١) سقط من : ١ ١٥ .

(٢) سقط من : م .

(٣) السبخة : أرض ذات نَزٍّ وملح . تاج العروس (س ب خ) .

(٤) البخارى (٢٢٩٧) .

(٥) علقه البخارى بصيغة الجزم عن أبي موسى . انظر الفتح ٧/ ٢٢٦ .

(٦) وَهَل إلى الشيء يهِل وَهْلا : إذا ذهب وهمه إليه . النهاية ٥/ ٢٣٣ .

(٧) البخارى (٣٦٢٢، ٤٠٨١، ٧٠٣٥، ٧٠٤١) .

(٨) مسلم (٢٢٧٢) .

(٩) سقط من : ١ ١٥ .

(١٠) في النسخ : « مراد » . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٢٧ .

(١١) في النسخ : « يزيد » . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠ .

بُرْدَةَ ، عن أبي موسى عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ الأشعريِّ ، عن النبيِّ ﷺ ، الحديثَ بِطوله .

و[1] قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ[2] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إملاءً[3] ، أخبرَنا أبو العباسِ القاسمُ بنُ القاسمِ السَّيَّاريُّ بمَرْوَ[4] ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ هِلالٍ ، حدَّثَنا عليُّ بنُ الحَسَنِ بنِ شَقيقٍ ، حدَّثَنا عيسَى بنُ عُبَيْدٍ الكِنْديُّ ، عن غَيْلانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ العامريِّ ، عن أبي زُرْعَةَ بنِ عمرِو بنِ جريرٍ ، [5]عن جريرٍ[5] ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إليَّ : أَيَّ هؤلاءِ البِلادِ الثَّلاثِ نَزَلْتَ فهى دارُ هِجْرَتِك ؛ المَدِينَةَ ، أو البَحْرَيْنِ ، أو قِنَّسْرِينَ[6] » . قال أَهْلُ العِلْمِ : ثُم عزَمَ له على المدينةِ [٢/ ١٣٥و] فأَمَرَ أصحابَه بالهِجْرةِ إليها . هذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا .

وقد روَاه التِّرْمِذيُّ فى المناقِبِ مِن « جامِعِه »[7] مُنْفَرِدًا به ، عن أبي عمَّارٍ[8] الحُسَيْنِ بنِ حُرَيْثٍ[9] ، عن الفَضْلِ بنِ مُوسَى ، عن عِيسَى بنِ عُبَيْدٍ ، عن غَيْلانَ ابنِ عبدِ اللَّهِ العامرِيِّ ، عن أَبِي زُرْعَةَ [10]بنِ عمرٍو[10] بنِ جريرٍ ، عن جريرٍ[11] قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إليَّ : أَيَّ هؤلاء الثَّلاثةِ نَزَلْتَ ، فهى

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤٥٨.

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) مرو : مدينة بفارس معروفة . معجم ما استعجم ٤/ ١٢١٦.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٣٤، ٣٣/ ٣٢٣.

(٦) قنسرين : بلد بالشام . اللسان (قنسر) .

(٧) الترمذى (٣٩٢٣) . موضوع (ضعيف سنن الترمذى ٨٢٢) .

(٨) فى ا ١٥ : « عمارة » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٩) فى ص : « الحارث » . وانظر المصدر السابق ٦/ ٣٥٨.

(١٠ - ١٠) سقط من : ا ١٥، وفى م : « بن عمر » . وانظر المصدر السابق ٣٣/ ٣٢٣.

(١١) بعده فى ا ١٥ : « ابن عمرو » . وانظر المصدر السابق ٤/ ٥٣٣.

دارُ هِجْرَتِك ؛ المدينةَ ، أو البَحْرَيْنِ ، أو قِنَّسْرِينَ » . ثم قال : غريبٌ لا نَعْرِفُه إلا مِن حديثِ الفَضْلِ . تفرَّدَ به أبو عمَّارٍ . قلتُ : وغَيْلانُ بنُ عبدِ اللَّهِ العامريُّ هذا ، ذكَرَه ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ »[1] ، إلَّا أنَّه قال : رَوَى عن أبى زُرْعَةَ حديثًا مُنْكَرًا فى الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ إسْحاقَ[2] : لمّا أَذِنَ اللَّهُ تعالى فى الحَرْبِ بقولِه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ الآيةَ [الحج: ٣٩، ٤٠] . فلمَّا أَذِنَ اللَّهُ فى الحَرْبِ ، وبايعَه[3] هذا الحيُّ مِن الأنصارِ على الإسلامِ والنُّصْرَةِ له ولِمَن اتَّبَعَه وأوَى إليهم مِن المسلمينَ ، أمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه[4] مِن المهاجرين مِن قومِه ومَن معَه بمكةَ مِن المسلمينَ بالخُروجِ إلى المدينةِ ، والهِجْرَةِ إليها ، واللُّحوقِ بإخوانِهم مِن الأنصارِ ، وقال : « إنَّ اللَّهَ قد جعَلَ لكم إخْوَانًا ودَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا » . فخَرجوا[5] أَرْسَالًا[6] ، وأقامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ يَنْتَظِرُ أن يَأْذَنَ له رَبُّه فى الخروجِ مِن مكةَ والهجرةِ إلى المدينةِ ، فكانَ أولَ مَن هاجَرَ إلى المدينةِ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن المهاجرينَ مِن قُرَيْشٍ مِن بَنى مَخْزومٍ ، أبو سَلَمَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الأَسَدِ بنِ هلالِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ،

---

(١) الثقات ٧/ ٣١١.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٧، ٤٦٨.
(٣) فى الأصل ، م ، ص : « تابعه » .
(٤) سقط من : ص .
(٥) بعده فى الأصل ، م ، ص : « إليها » .
(٦) أرسالا : أى أفواجا وفِرَقا منقطعة ، يتبع بعضهم بعضا . النهاية ٢/ ٢٢٢.

وكانَتْ هِجْرتُه إليها قبلَ بَيْعةِ[1] العَقَبَةِ بِسَنَةٍ ، حيـنَ آذَتْه قُرَيْشٌ مَرْجِعَهُ مِن الحَبَشَةِ ، فعزَمَ على الرُّجوعِ إليها ، ثُم بلَغَه أنَّ بالمدينةِ لهم إخوانًا فعزَمَ إليها .

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : فحدَّثَنى [3]أبى ، عن[3] سَلَمَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[4] بنِ أبى سَلَمَةَ ، عن جدَّتِه أمِّ سَلَمَةَ ، قالَتْ : لمَّا أجْمَعَ أبو سَلَمَةَ الخروجَ إلى المدينةِ ، رَحَّلَ[5] لى بعيرَه ، ثُم حمَلَنى عليه وجعَلَ معى ابنى سَلَمَةَ بنَ أبى سلمةَ فى حِجْرِى ، ثُم خرَجَ يَقودُ بى بعيرَه ، فلمَّا رأَتْه رِجالُ بنى المُغيرةِ قاموا إليه فقالوا : هذه نفسُك غَلَبْتَنا عليها ، أرأَيْتَ صاحبتَنا هذه عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بها فى البِلادِ ؟ قالَتْ : فنَزَعوا خِطامَ البعيرِ مِن يدِه وأَخَذونى منه . قالَتْ : وغضِبَ عندَ ذلك بنو عبدِ الأسدِ رَهْطُ أبى سَلَمَةَ ، فقالوا : واللَّهِ لا نَتْرُكُ ابنَنا عندَها إذ نَزَعْتُموها مِن صاحبِنا . قالَتْ : فتَجاذبوا ابنى سَلَمَةَ بينَهم حتى خَلَعُوا يدَه ، وانطلَقَ به بنو عبدِ الأَسدِ ، وحبَسنى بنو المغيرةِ عندَهم ، وانطَلَقَ زوجى أبو سَلَمَةَ إلى المدينةِ . قالَتْ : فَفُرِّقَ بينى وبيـنَ ابنى وبيـنَ زوجى . قالَتْ : فكنتُ أَخْرُجُ كلَّ غداةٍ فأَجْلِسُ فى الأَبْطَحِ ، فما أَزالُ أَبْكِى حتَّى أُمْسِىَ – سنةً أو قريبًا منها – حتى مَرَّ بى رجلٌ مِن بنى عَمِّى أحدُ بنى المغيرةِ ، فرأَى ما بى فرحِمَنى ، فقال لبنى المغيرةِ : ألا تُخْرِجونَ[6] هذه المِسْكينةَ ؟ فَرَّقْتُم بينَها وبيـنَ زوجِها

(١) فى ص : « بعثة » .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٩، ٤٧٠.
(٣ - ٣) فى ص : « أبو » . وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٩٥.
(٤) فى ص : « عمرو » . وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠٣.
(٥) رحل الإبل : وضع عليها رحالها . الوسيط (ر ح ل) .
(٦) بعده فى النسخ : « من » . والمثبت من السيرة .

وبينَ ولَدِها ؟ قالَتْ : فقالوا لى : الحَقى بزَوْجِك إن شِئْتِ . قالَتْ : فَرَدَّ بنو عبدِ الأسدِ إلىَّ عندَ ذلك ابنى . قالَتْ : فارْتَحَلْتُ بعيرى ، ثُم أخذْتُ ابنى فوضَعْتُه فى حِجْرِى ، ثُم خرَجْتُ أُريدُ زوجى بالمدينةِ . قالَتْ : وما مَعى أحدٌ مِن خَلْقِ اللَّهِ ، حتى إذا كنتُ بالتَّنْعِيمِ[1] لَقِيتُ عُثْمانَ بنَ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ أخا بنى عبدِ الدارِ ، فقال : إلى أينَ يا بنةَ أبى أُمَيَّةَ ؟ قلْتُ : أريدُ زوجى بالمدينةِ . قال : أوَ ما معَكِ أحَدٌ ؟ قلْتُ : ما معى أحدٌ إلا اللَّهُ وابنى هذا . فقال : واللَّهِ ما لَكِ من مَتْرَكٍ . فأخَذَ بخِطامِ البعيرِ ، فانطَلَقَ معى يَهْوِى بى ، فواللَّهِ ما صَحِبْتُ رجلًا مِن العَرَبِ قطُّ أرَى أنَّه كانَ أكْرَمَ منه ؛ كان إذا بَلَغَ المَنْزِلَ أناخَ بى ، ثُم استأخَرَ عنى ، حتى إذا نزَلْتُ ، اسْتَأْخَرَ ببعيرى فَحَطَّ عنه ، ثُم قَيَّدَه فى الشَّجَرِ ، ثُم تَنَحَّى إلى شجرةٍ فاضطَجَعَ تحْتَها ، فإذا دَنا الرَّواحُ[2] قامَ إلى بعيرى فقدَّمَه فرَحَّلَه ، ثُم اسْتَأْخَرَ عَنى ، وقال : اركَبى . فإذا رَكِبْتُ فاستَوَيْتُ على بَعيرى ، أَتَى فأخَذَ بخِطامِه فقادَنى حتى يَنْزِلَ بى ، فلم يَزَلْ يَصْنَعُ ذلك بى حتى أقْدَمَنى المدينةَ ، فلمَّا نظَرَ إلى قريةِ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بِقُباءٍ ، قال : زوجُك فى هذه القريةِ - وكان أبو سَلَمَةَ بها نازلًا - فادْخُليها على بركةِ اللَّهِ . ثُم انصَرَفَ راجعًا إلى مكةَ ، فكانَتْ تَقولُ : ما أَعْلَمُ أهْلَ بيتٍ فى الإسلامِ أصابَهم[3] ما أصابَ آلَ أبى سَلَمَةَ ، وما رأيْتُ صاحبًا قطُّ كان أكْرَمَ مِن عثمانَ بنِ طَلْحَةَ .

أسلَمَ عثمانُ بنُ طَلْحةَ بنِ أبى طَلْحةَ العَبْدَرِىُّ هذا بعدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وهاجَرَ هو وخالدُ بنُ الوليدِ معًا ، وقُتِلَ يومَ أُحُدٍ أبوه وإخوتُه ؛ الحارثُ ، وكِلابٌ ،

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة . معجم البلدان ١/ ٨٧٩.

(٢) الرواح : اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل ، ويقابله الصباح . الوسيط (ر و ح) .

(٣) سقط من : الأصل .

ومُسَافِعٌ ، وعمُّه عثمانُ بنُ أبى طَلْحةَ ، ودفَعَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفَتْحِ وإلى ابنِ عمِّه شَيْبَةَ ، (١) والدِ بنى شَيْبَةَ (١) ، مفاتيحَ الكَعْبةِ ، أَقَرَّهَا عليهم فى الإسلامِ كما كانَتْ فى الجاهليةِ (٢) . ونزَلَ فى ذلك قولُه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ الآية [النساء: ٥٨] .

قال ابنُ إسْحاقَ (٣) : ثُم كانَ أولَ مَن قَدِمَها مِن المهاجرين بعدَ أبى سَلَمَةَ ، عامرُ بنُ رَبيعةَ حليفُ بنى عَدِىٍّ ، معَه امرأتُه لَيْلَى بنتُ أبى حَثْمَةَ (٤) العَدَوِيَّةُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِيابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كثيرِ (٥) بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدِ [٢/ ١٣٥ظ] بنِ خُزَيْمةَ ، حليفُ بنى أميةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ ، احتَمَلَ بأهْلِه ، وبأخيه عبدٍ (٦) أبى أحمدَ - (٧) اسمُه عَبْدٌ كما ذكَرَه ابنُ إسْحاقَ ، وقيل : ثُمامةُ . قال السُّهَيْلِىُّ (٨) : والأولُ أَصَحُّ (٧) - وكان أبو أحمدَ رجلًا (٩) ضريرَ البَصَرِ (٩) وكان يَطوفُ مكةَ أعْلاها وأسْفَلَها بغيرِ قائدٍ ، وكان شاعرًا ، وكانَتْ عندَه الفارِعةُ (١٠) بنتُ أبى سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ، وكانَتْ أُمُّه أُمَيْمةَ بنتَ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ ، فغُلِقَتْ دَارُ بنى جَحْشٍ هجرةً ، فمرَّ بها عُتبةُ بنُ ربيعة

(١ - ١) سقط من : الأصل . وانظر الروض الأنف ٤/ ١٦٢، وأسد الغابة ٢/ ٥٣٥.
(٢) انظر : الروض الأنف ٤/ ١٦٢.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٠، ٤٧١.
(٤) فى ا ١٥: « حتمة » . وانظر أسد الغابة ٧/ ٢٥٦.
(٥) فى ا ١٥، م: « كبير » . وانظر أسد الغابة ٣/ ١٩٤.
(٦) فى الأصل : « عند » . وانظر أسد الغابة ٣/ ٥١٣.
(٧ - ٧) سقط من : الأصل . وهذه العبارة الطويلة كلام المصنف ، يعود السياق بعدها إلى السيرة .
(٨) الروض الأنف ١٦٢/٤ ، وفيه ذكر اسم عبدٍ فقط ، ولم يذكر السهيلى اسمين ويصحح أحدهما . وقد ذكر اسم « ثمامة » ابن عبد البر فى الاستيعاب ١٥٩٣/٤ . وقال : ولا يصح .
(٩ - ٩) سقط من : ا ١٥. وانظر أسد الغابة ٦/ ٧.
(١٠) فى ا ١٥، ص: « الفرعة » . وانظر أسد الغابة ٦/ ٧، ٧/ ٢١٥، والإصابة ٨/ ٤٩.

والعباسُ بنُ عبدِ المطلبِ وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ ، وهم مُصْعِدُون إلى أعلى مَكَّةَ ، فنظَرَ إليها عُتْبةُ تَخْفِقُ أبوابُها يَبابًا[1] ليسَ بها ساكنٌ ، فلمَّا رآها كذلك تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ وقال :

وكُلُّ دارٍ وإنْ طَالَتْ سلامتُها يومًا ستُدْرِكُها النَّكْباءُ والحُوبُ[2]

قال ابنُ هِشامٍ : وهذا البيتُ لأبي دُوَادٍ الإياديِّ في قصيدةٍ له . [3]قال السُّهَيْليُّ[4] : واسمُ أبي دُوَادٍ حَنْظَلَةُ بنُ شَرْقِيٍّ . وقيل : جاريةُ[5][3] . ثُم قال عُتْبَةُ : أَصْبَحَتْ دَارُ بني جَحْشٍ خَلاءً مِن أهلِها . فقال أبو جَهْلٍ : وما تَبْكِي عليه مِن [6]قُلِّ بنِ قُلٍّ[6] . ثُم قالَ - يعني للعباسِ - : هذا مِن عَمَلِ ابنِ أخيك هذا ، فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وشَتَّتَ أَمْرَنَا ، وقطَّعَ بَيْنَنا .

قال ابنُ إسْحاقَ[7] : فنزَلَ أبو سَلَمَةَ ، وعامرُ بنُ رَبيعةَ ، وبنو جَحْشٍ بِقُبَاءٍ على مُبَشِّرِ بنِ عبدِ المنذرِ ، ثُم قدِمَ المهاجرون أَرْسالًا . قال : وكان بنو غَنْمِ بنِ دُودَانَ أهلَ إسلامٍ قد أَوْعَبوا[8] إلى المدينةِ هجرةً رجالُهم ونِساؤُهم[9] ؛ عبدُ اللَّهِ ابنُ جَحْشٍ ، وأخوه أبو أَحْمَدَ ، وعُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ ، وشُجاعٌ وعُقْبَةُ[10] ابنا

---

(١) اليباب : الخراب . اللسان (ى ب ب) .

(٢) قال ابن هشام : والحوب : التوجع ، وهو في موضع آخر : الحاجة ، ويقال : الحوبُ الإثمُ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ١٥ .

(٤) الروض الأنف ٤/ ١٦٣ .

(٥) في م ، ص : « حارثة » . والمثبت من الروض الأنف .

(٦ - ٦) في م ، ص : « فل بن فل » . وهو قُلُّ بن قُلٍّ ، وضُلُّ بنُ ضُلٍّ : لا يُعرف هو ولا أبوه . اللسان (ق ل ل) .

(٧) سيرة ابن هشام ١/٤٧١ - ٤٧٤ .

(٨) أوعبوا : لم يتخلف منهم أحد .

(٩) بعده في ا ١٥ ، م : « وهم » .

(١٠) في الأصل : « عتبة » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٦١ .

وَهْبٍ ، (١ وأَرْبَدُ بنُ حُمَيِّرَةَ(٢)(١) ، ومُنقِذُ بنُ نُباتَةَ ، وسَعيدُ بنُ رُقَيْشٍ(٣) ، ومُحْرِزُ ابنُ نَضْلَةَ ، ويَزيدُ(٤) بنُ رُقَيْشٍ(٥) ، وقَيْسُ بنُ جابرٍ ، وعمرُو بنُ مِحْصَنٍ ، ومالكُ ابنُ عَمْرٍو ، وصفوانُ بنُ عمرٍو ، وثَقْفُ(٦) بنُ عمرٍو ، وربيعةُ بنُ أَكْثَمَ ، والزُّبَيْرُ ابنُ عُبَيْدةَ ، وتَمَّامُ بنُ عُبَيْدَةَ ، (٧ وسَخْبَرَةُ بنُ عُبَيْدةَ(٧) ، ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ ، ومِن نِسائِهم زينبُ بنتُ جَحْشٍ ، وحَمْنَةُ(٨) بنتُ جَحْشٍ ، وأُمُّ حَبِيبٍ(٩) بنتُ جَحْشٍ ، وجُذَامةُ(١٠) بنتُ جَنْدَلٍ ، وأُمُّ قَيْسٍ بنتُ مِحْصَنٍ ، وأُمُّ حَبيبٍ بنتُ ثُمامةَ ، وآمنةُ بنتُ رُقَيْشٍ ، وسَخْبَرَةُ بنتُ تَميمٍ . قال أبو أحمدَ بنُ جَحْشٍ فى هِجْرتِهم إلى المدينةِ :

و(١١)لَمَّا رَأَتْنِى أُمُّ أحمدَ غاديًا ... بذِمَّةِ مَنْ أَخْشَى بغَيْبٍ وأرهَبُ

تَقولُ فإمَّا كنتَ لابُدَّ فاعلًا ... فيَمِّمْ(١٢) بنا البُلْدانَ ولْتَنْأَ يَثْرِبُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ا ١٥، م، ص : « جميرة » . والمثبت من السيرة . وانظر أسد الغابة ١/ ٧٢، والإصابة ١/ ٤٢.

(٣) فى ا ١٥: « قيس » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٨٦.

(٤) فى النسخ : « زيد » . والمثبت من السيرة . وانظر المصدر السابق ٥/ ٤٨٧.

(٥) فى ا ١٥: « قيس » . وانظر المصدر السابق .

(٦) فى ص : « يقف » . وانظر المصدر السابق ١/ ٢٩٣.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ص .

(٨) فى ا ١٥: « حمينة » . وانظر المصدر السابق ٧/ ٦٩.

(٩) فى الأصل ، ا ١٥، م : « حبيبة » . وانظر المصدر السابق ٧/ ٣١٤. والإصابة ٨/ ١٨٨.

(١٠) فى الأصل : « حدامة » . وفى ا ١٥، م : « جدامة » . وانظر أسد الغابة ٧/ ٤٧. والإصابة ٧/ ٥٥١.

(١١) سقط من : ا ١٥، ص .

(١٢) يمم : اقصد .

فقلتُ لها [١]ما يَثْرِبٌ بِمَظِنَّةٍ[١] وما يَشَأْ الرَّحْمنُ فالعبدُ يَرْكَبُ

إلى اللَّهِ وجْهى والرسولِ ومَنْ يُقِمْ إلى اللَّهِ يومًا وجْهَه لا يُخَيَّبُ

فكَمْ قد ترَكْنا مِن حَمِيمٍ مُنَاصِحٍ وناصحةٍ تَبْكِى بِدَمْعٍ وتَنْدُبُ

تَرى أنَّ وِترًا[٢] نَأْيُنا[٣] عن بلادِنا ونحن نَرى أنَّ الرَّغائبَ نَطْلُبُ

دَعَوْتُ بنى غَنْمٍ لحَقْنِ دمائِهِم وللحَقِّ لمّا لاحَ للناس مَلْحَبُ[٤]

أَجابوا بحمدِ اللَّهِ لمّا دَعَاهُمُ إلى الحقِّ دَاعٍ والنَّجاحِ فأَوْعَبوا

وكنّا وأصحابٌ لنا فارَقوا الهُدَى أَعانوا علينا بالسلاحِ وأَجْلَبوا

كفوجَيْـن أمَّا مِنهما فمُوَفَّقٌ على الحَقِّ مَهْدِىٌّ وفوجٌ مُعَذَّبُ

طَغَـوْا وتمـنَّـوا كِـذْبـةً وأزلَّـهـم عن الحقِّ إبليسٌ فخابوا وخَيَّبوا

ورِعْنا[٥] إلى قولِ النبىِّ محمدٍ فـطابَ وُلاةُ الحقِّ منا وطَيَّبـوا

نَمُـتُّ بـأرحـامٍ إلـيـهـم قَـريـبَـةٍ ولا قُرْبَ بالأَرحامِ إذ لا تُقَرَّبُ

فأىُّ ابنِ أختٍ بعدَنا يَأْمَنَنَّكم وأيَّةُ صِهْرٍ بعدَ صِهْرِىَ تُرْقَبُ

(١ - ١) فى السيرة : « بل يثرب اليوم وجهُنا » .

(٢) الوتر : الثأر ، والحقد . يعنى أنها ترى أن تغرُّبهم عن بلادهم أمرٌ يُطلب الثأر لأجله .

(٣) فى ا ١٥ ، م : « نائيًا » .

(٤) الملحب : الطريق الواضحة .

(٥) راع : رجع وعاد . اللسان (ر ى ع) .

سَتَعْلَمُ يومًا أيُّنا إذ تَزَيَّلوا[1] وزُيِّلَ أمرُ الناسِ لِلحَقِّ أصْوَبُ

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : ثُم خرَجَ عمرُ بنُ الخَطّابِ ، وعَيّاشُ بنُ أبى ربيعةَ حتى قَدِما المدينةَ ، فحدَّثنى نافعٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن أبيه قال : اتَّعَدْتُ[3] ، لَمّا أَرَدْنا الهِجْرةَ إلى المدينةِ ، أنا وعيّاشُ بنُ أبى رَبيعةَ وهِشامُ بنُ العاصِ ، التَّناضِبَ[4] مِن أضاةِ بنى غِفَارٍ[5] فوقَ سَرِفَ ، وقلنا : أيُّنا لم يُصْبِحْ عندَها ؛ فقد حُبِسَ ، فَلْيَمْضِ صاحِباه . قال : فأصْبَحْتُ أنا وعيّاشٌ عندَ التَّناضِبِ ، وحُبِسَ هِشامٌ وفُتِنَ فافْتَتَنَ ، فلمّا قدِمْنا المدينةَ نزَلْنا فى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بِقُباءٍ ، وخرَجَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ والحارثُ بنُ هِشامٍ إلى عَيّاشٍ - وكان ابنَ عمِّهما وأخاهما لأُمِّهما - حتى قدِما المدينةَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، فكلَّماه وقالا له : إنَّ أُمَّك قد نَذَرَتْ أنْ لا يَمَسَّ رأسَها مُشْطٌ حتى تَرَاك ، ولا تَسْتَظِلَّ مِن شَمْسٍ حتى تَرَاك . فَرَقَّ لها ، فقلْتُ له : إنَّه واللَّهِ إن يُرِيدُك القَوْمُ إلا لِيَفْتِنوك[6] عن دينِك فاحْذَرْهم ، فواللَّهِ لو قد آذَى أمَّك القَمْلُ لامْتَشَطَتْ ، ولو قد اشتَدَّ عليها حرُّ مكةَ لاسْتَظَلَّتْ . قال : فقال : أبَرُّ قَسَمَ أُمِّى ، ولى هنالك مَالٌ فآخُذُه . قال : قلتُ : واللَّهِ إنَّك لَتَعْلَمُ أنِّى لَمِن أكثرِ قُرَيْشٍ مالًا ، فلك نِصْفُ مالى ولا تَذْهَبْ معَهما . قال : فأبَى علىَّ إلا أنْ يَخْرُجَ معَهما ، فلمّا أَبَى

---

(١) تزيلوا : تباينوا وتفرقوا . الوسيط (ز ى ل) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٤ - ٤٧٦.

(٣) أى تواعدت .

(٤) التناضب : أماكن معلومة تنبت التَّنْضُب ، والتنضب نبات برى معمر . معجم ما استعجم ١/ ٣٢٠، ٢/ ٦٧٢.

(٥) الأضاءة : الماء المستنقع من سيل أو غيره . وغفار : قبيلة من كنانة موضع قريب من مكة فوق سَرِف قرب التناضب . معجم البلدان ١/ ٣٠٤.

(٦) سقط من : الأصل ، ا ١٥، ص .

إلا ذلك قلتُ : أَمَا إذْ قد فعَلْتَ ما فعَلْتَ ، فَخُذْ ناقتى هذه فإنَّها ناقةٌ نجيبةٌ ذَلولٌ ، فالزَمْ ظَهْرَها ، فإنْ رَابَك مِن[1] القومِ رَيْبٌ فَانْجُ عليها . فخرَجَ عليها معَهما ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ قال له أبو جَهْلٍ : يا أخى ، واللَّهِ لقد استَغْلَظْتُ بَعيرى هذا ، أفلا تُعْقِبُنى على ناقتِك هذه . قال : بلى . فأناخ وأَناخا لِيَتَحوَّلَ عليها ، فلما اسْتَوَوْا بالأرضِ عَدَوا عليه فأَوْثَقاه رِباطًا ، ثُم دخَلا به مكةَ وفتَناه فافتَتَنَ . قال عمرُ : فكنّا نَقولُ : لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِمَّن افتَتَنَ تَوْبةً . وكانوا يَقولون ذلك لأنفسِهم ، حتى قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وأنزَلَ اللَّهُ : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ [٢/١٣٦و] أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الزمر : ٥٣- ٥٥] . قال عمرُ : فكتَبْتُها بيدى[2] ، وبعَثْتُ بها إلى هِشامِ بنِ العاصِ . قال هِشامٌ : فلمَّا أَتَتْنى جعَلْتُ أَقْرَؤُها بذى طُوًى[3] ، أُصَعِّدُ بها فيه[4] وأُصوِّبُ[5] ، ولا أَفْهَمُها ، حتى قلتُ : اللهم فَهِّمْنيها . فأَلْقَى اللَّهُ فى قَلْبى أنَّها إنَّما أُنْزِلَتْ فينا وفيما كنّا نَقولُ فى أنفُسِنا ويُقالُ فينا . قال : فرجَعْتُ إلى بعيرى فجلَسْتُ عليه ، فلحِقْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ . وذكَرَ ابنُ هِشامٍ[6] أنَّ الذى قَدِمَ بهِشامِ بنِ العاصِ ، وعيَّاشِ بنِ أبى ربيعةَ إلى المدينةِ

---

(١) بعده فى ١ ١٥، م، ص : «أمر» .

(٢) سقط من : م، ص .

(٣) ذو طوى : مقصور منون، واد بمكة . معجم ما استعجم ٣/ ٨٩٦.

(٤) سقط من : م .

(٥) صوب : خفض . والتصويب : خلاف التصعيد . تاج العروس (ص و ب) .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٦.

الوليدُ (١ بنُ الوليدِ ١) بنِ المغيرةِ ، سرَقَهما مِن مكةَ وقدِمَ بهما يَحْمِلُهما على بعيرِه وهو ماشٍ معَهما ، فعثَرَ فدَمِيَتْ أُصْبُعُه فقال :

هـل أنـتِ إلا أُصْبُـعٌ دَمِـيـتِ وفـى سـبـيـلِ اللّـهِ مـا لَـقِـيـتِ

وقال البخاريُّ[٢] : حدَّثَنا أبو الوليدِ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، أَنْبَأَنا أبو إسحاقَ ، سمِعَ البَرَاءَ قال : أولُ مَنْ قَدِمَ علينا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، وابنُ أمِّ مَكْتُومٍ ، ثُم قَدِمَ علينا[٣] عمَّارٌ وبِلَالٌ .

وحدَّثَنى[٤] محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثَنا غُنْدَرٌ ، حدَّثَنا شُعْبةُ ، عن أبى إِسْحاقَ ، سمِعْتُ البراءَ بنَ عازبٍ قال : أولُ مَنْ قَدِمَ علينا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ[٥] ، وابنُ أمِّ مَكْتومٍ ، وكانا يُقْرِئَانِ الناسَ ، فقدِمَ بِلالٌ وسعدٌ وعمَّارُ بنُ ياسرٍ ، ثُم قدِمَ عمرُ ابنُ الخطابِ فى عِشْرينَ[٦] مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ ، ثُم قَدِمَ النبىُّ ﷺ ، فما رأَيْتُ أهلَ المدينةِ فَرِحُوا بشىءٍ فَرَحَهُم برسولِ اللّهِ ﷺ ، حتى جعَلَ الإماءُ يَقُلْنَ[٧] : قَدِم رسولُ اللّهِ ﷺ . فما قَدِمَ حتى قَرَأْتُ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ فى سُوَرٍ مِن المُفَصَّلِ . ورواه مسلمٌ[٨] فى « صحيحِه » مِن حديثِ إِسْرائيلَ ، عن

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٣٩٢٤) .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ١٥ .

(٤) القائل البخارى ، صحيح البخارى (٣٩٢٥) .

(٥) فى ص : « الزبير » .

(٦) بعده فى م ، ص : « نفرا » .

(٧) سقط من : ص .

(٨) لم نجده فى صحيح مسلم بهذا الإسناد . انظر تحفة الأشراف ٣٧/٢ - ٤٢ . ولعل المصنف تابع البيهقى فى الدلائل ٤٦٤/٢ حين أخرج الحديث بإسناده من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء ، ثم قال - أى البيهقى - أخرجه مسلم فى الصحيح من حديث إسرائيل .

أبى إسْحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ بنحوِه ، وفيه التَّصْريحُ بأنَّ سعدَ بنَ أبى وَقَّاصٍ هاجَرَ قبلَ قُدُومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، وقد زعَمَ موسَى بنُ عُقْبةَ[1] ، عن الزُّهْرِىِّ ، أنَّه إنَّما هاجَرَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، والصوابُ ما تَقدَّمَ .

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : ولمَّا قدِمَ عمرُ بنُ الخطابِ المدينةَ هو ومَن لَحِقَ به مِن أهلِه وقومِه ، وأخوه زيدُ بنُ الخطابِ ، وعمرٌو[3] ، وعبدُ اللَّهِ ابنا سُرَاقةَ بنِ المُعْتَمِرِ ، وخُنَيْسُ بنُ حُذَافَةَ السَّهْمِىُّ زوجُ ابنتِه حَفْصةَ ، وابنُ عمِّه سعيدُ بنُ زيدِ ابنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وواقدُ بنُ عبدِ اللَّهِ التَّميمىُّ ، حَليفٌ لهم ، وخَوْلِىُّ بنُ أبى خَوْلىٍّ[4] ، ومالكُ بنُ أبى خَوْلِىٍّ ، حَليفانِ لهم من بنى عِجْلٍ ، وبنو البُكَيْرِ إياسٌ ، وخالدٌ ، وعاقلٌ ، وعامرٌ ، وحلفاؤُهم مِن بَنى سعدِ بنِ لَيْثٍ فنزَلوا على رِفاعةَ بنِ عبدِ المنذرِ بنِ زَنْبَرٍ[5] فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ بقُباء .

قال ابنُ إسْحاقَ[6] : ثُم تَتابَعَ المهاجِرونَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، فنزَلَ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وصُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ ، على خُبَيبِ[7] بنِ إسافٍ أخى بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بالسُّنْحِ[8] . ويُقالُ : بل نزَلَ طَلْحَةُ على أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦١، عن موسى بن عقبة به .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٣) فى ص : « عمر » . وانظر أسد الغابة ٤/ ٢٢٧.

(٤) فى ا ١٥: « خلولى » . وانظر المصدر السابق ٢/ ١٥٠.

(٥) فى الأصل : « زبير » . وفى ا ١٥، م ، ص : « زنير » . والمثبت من السيرة .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٧.

(٧) فى ا ١٥، ص : « حبيب » . وانظر أسد الغابة ١/ ٤٤٠، ٢/ ١١٨.

(٨) السنح : إحدى محال المدينة كان بها منزل أبى بكر الصديق حين تزوج مُلَيْكَة ، وهى بعوالى المدينة ، وبينها وبين منزل النبى ﷺ ميل . معجم البلدان ٣/ ١٦٣.

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وذُكِرَ لى ، عن أبى عُثْمانَ النَّهْدِيِّ أنَّه قال : بَلَغَنى أنَّ صُهَيْبًا حينَ أرادَ الهِجْرةَ قال له كفَّارُ قُرَيْشٍ : أتيْتَنا صُعْلُوكًا حقيرًا ، فَكَثُرَ مالُك عندَنا وبلَغْتَ الذى بلَغْتَ ، ثُم تريدُ أنْ تَخْرُجَ بمالِك ونفسِك ؟ ! واللَّهِ لا يَكونُ ذلك . فقال لهم صُهَيْبٌ : أرأيتُم إنْ جعَلْتُ لكم مالى ، أتُخَلُّونَ سبيلى ؟ [٢/ ١٣٦ظ] قالوا : نعَمْ . قال : فإنِّى قد جعَلْتُ لكم مالى . فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « رَبِحَ صُهَيْبٌ ، رَبِحَ صُهَيْبٌ » .

وقد قال البيهقىُّ[2] : حدَّثَنا الحافظُ أبو عبدِ اللَّهِ إمْلاءً ، أخبَرَنا أبو العباسِ إسْماعيلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ مِيكالَ ، أخبَرَنا عَبْدَانُ الأَهْوازىُّ ، حدَّثَنا زيدُ بنُ الحَرِيشِ[3] ، حدَّثَنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزُّهرىُّ ، حدَّثَنا حُصَيْنُ بنُ حُذَيْفةَ بنِ صَيْفِىٍّ بنِ صُهَيْبٍ ، حدَّثَنى أبى وعُمومَتى ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن صُهَيْبٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكم سَبْخَةً بيْنَ ظَهْرانَىْ حَرَّتَيْنِ ، فإمَّا أنْ تكونَ هَجَرَ أَوْ تكونَ يَثْرِبَ » . قال : وخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وخرَجَ معَه أبو بكرٍ ، وكنتُ قد هَمَمْتُ معه بالخُروجِ فَصَدَّنى فِتْيانٌ مِن قُرَيْشٍ ، فجعَلْتُ لَيْلَتى تلك [4]أَقُومُ لا أَقْعُدُ[4] ، فقالوا : قد شغَلَه[5] اللَّهُ عنكم[6] ببطْنِه . ولم أكنْ شاكيًا . فناموا فخرَجْتُ ولحِقَنى منهم ناسٌ بعدَما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٧.
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥٢٢، ٥٢٣. كما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٧٢٩٦) عن زيد بن الحريش به . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٦٠: رواه الطبرانى وفيه جماعة لم أعرفهم .
(٣) فى م ، ص : « الجريش » . وانظر الثقات لابن حبان ٨/ ٢٥١، والإكمال ٢/ ٤٢٢.
(٤ - ٤) فى الأصل : « لا أقوم ولا أقعد » .
(٥) فى ص : « يفعله » .
(٦) فى ص : « فيكم » .

سِرْتُ بَرِيدًا[١] لِيَرُدُّونى ، فقلْتُ لهم : [٢]هل لكم[٢] أنْ أُعْطِيَكم أواقِيَ[٣] مِن ذَهَبٍ ، وتُخَلُّوا سَبيلى وتُوفُوا لى . ففعَلوا فتَبِعْتُهم إلى مكةَ فقلتُ : احفِروا تحتَ أُسْكُفَّةِ[٤] البابِ فإنَّ تحتَها[٥] أواقِيَ ، واذهَبوا إلى فُلانةَ فخُذوا الحُلَّتَيْنِ . وخرَجْتُ حتى قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بقُبَاء ، قبلَ أنْ يَتَحَوَّلَ منها ، فلمَّا رآنى قال : « يَا أَبَا يَحْيَى ، رَبِحَ البَيْعُ » . ثلاثًا[٦] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما سبَقَنى إليك أحَدٌ ، وما أَخْبَرَك إلا جبريلُ ، عليه السلامُ .

قال ابنُ إسْحاقَ[٧] : ونزَلَ حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وزيدُ بنُ حارِثَةَ ، وأبو مَرْثَدٍ كَنَّازُ[٨] بنُ الحُصَيْنِ[٩] وابنُه مَرْثَدٌ الغَنَوِيّانِ ، حَليفا حمزةَ ، وأَنَسةُ وأبو كَبْشَةَ مَوْلَيَا رسولِ اللَّهِ ﷺ على كُلْثومِ بنِ الهِدْمِ أخى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ بقُبَاء ، وقيل : على سعدِ بنِ[١٠] خَيْثَمَةَ . وقيل : بل نزَلَ حمزةُ على أسعدَ بنِ زُرارةَ . واللَّهُ أعلمُ . قال[١١] : ونزَل عُبَيْدةُ بنُ الحارثِ ، وأخَواه الطُّفَيْلُ ،

---

(١) فى الأصل : « يريدا » . وفى م ، ص : « يريدوا » . والبريد : هو المسافة بين كل منزلين من منازل الطريق ، وهى أميال اختلف فى عددها . الوسيط (ب ر د) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ : « أوانى » . وفى ص : « أفاقى » .

(٤) الأسكفة : عتبة الباب .

(٥) فى م ، ص : « بها » .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٨.

(٨) فى ص : « كبار » . وانظر الإصابة ٧/ ٣٦٩.

(٩) قال ابن إسحاق : « حصن » . أما « حصين » فهو لفظ ابن هشام ، قال : « ويقال : ابن حصين » . راجع السيرة . وانظر المصدر السابق .

(١٠) بعده فى ا ١٥: « أبى » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٤٦.

(١١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٨، ٤٧٩.

وحُصَيْنٌ ، ومِسْطَحُ بنُ أُثاثَةَ ، وسُوَيْبِطُ[1] بنُ سَعْدِ بنِ حُرَيْمِلَةَ أخو بنى عبدِ الدارِ ، وطُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ أخو بنى عبدِ بنِ قُصَىٍّ ، وخَبَّابٌ مولى عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ ، على عبدِ اللَّهِ بنِ سَلِمَةَ أخى بَلْعَجْلانَ بقُباء ، ونزَلَ عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ فى رِجالٍ مِن المهاجرينَ على سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ ، ونزَلَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ ، وأبو سَبْرَةَ بنُ أبى رُهْمٍ على مُنْذِرِ بنِ محمدِ بنِ عُقْبَةَ بنِ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ بالعُصْبَةِ[2] دارِ بنى جَحْجَبَى ، ونزلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ على سعدِ بنِ مُعَاذٍ ، ونزَلَ أبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ ، وسالمٌ مولاه على[3] - شكَّ[4] ابنُ إسْحاقَ ، وقال الأُمويُّ : على خُبَيْبِ بنِ إسافٍ[5] أخى بنى حارثةَ - ونزَلَ[6] عُتْبةُ بنُ غَزْوانَ على عبَّادِ بنِ بِشْرِ بنِ وَقْشٍ فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، ونزَلَ عثمانُ بنُ عفَّانَ على أَوْسِ بنِ ثابتِ [7] بنِ المنذرِ [7] أخى حسانَ بنِ ثابتٍ فى دارِ بنى النجَّارِ . قال ابنُ إسْحاقَ[8] : ونزَلَ العُزَّابُ مِن المهاجرين على سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ ، وذلك أنه كان عَزَبًا . واللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[9] : حدَّثنى أَحمدُ بنُ أبى بكرِ بنِ الحارثِ بنِ زُرَارَةَ

---

(١) فى ا ١٥ : « سبيط » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٤٨٧.

(٢) العصبة : موضع بقباء . معجم البلدان ٣/ ٦٨٣.

(٣) من هنا اعترض ابن هشام فى السيرة سياق رواية ابن إسحاق ؛ ليعرِّف بنسب سالم مولى أبى حذيفة ، مما يُشعِر بانقطاع الرواية أو شك ابن إسحاق - على ما قد يكون ظنه المصنف - فى من نزل عليه أبو حذيفة ومولاه .

(٤) فى الأصل ، م : « سلمة قال » .

(٥) بعده فى ص : « بن أبى » . وانظر الإصابة ٢/ ٢٦١.

(٦) من هنا عاد السياق إلى السيرة . وتوضيحًا للسياق ؛ أى نزل أبو حذيفة ومولاه وعتبة ثلاثتهم على عباد بن بشر . وهو ما صرح به ابن سيد الناس فى ذكره لرواية ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٩ . وعيون الأثر ١/١٧٦ .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠.

(٩) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٧٣.

ابنِ مُصْعَبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عن عُبَيْدِ[1] اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ أنه قال : قدِمْنا مِن[2] مكةَ فنزَلْنا العُصْبةَ[3] ؛ عمرُ بنُ الخطابِ ، وأبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرَّاحِ ، وسالمٌ مولَى أبي حُذَيْفةَ ، فكان يَؤُمُّهم سالمٌ مولى أبي حُذَيْفةَ ؛ لأنَّه كان أكثرَهم قُرْآنًا .

---

(١) في المعرفة والتاريخ : « عبد » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٢٤.

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) بعده في الأصل : « ونزل » .

فصلٌ فى سببِ هجرةِ رسولِ اللهِ ﷺ بنفسِه الكريمةِ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠]. أرشَدَه اللَّهُ وأَلْهَمَه أنْ يَدْعُوَ بهذا الدُّعاءِ[2] ، أنْ يَجْعَلَ له مما هو فيه فَرَجًا قريبًا ومَخْرَجًا عاجلًا ، فأذِنَ له تعالى فى الهِجْرةِ إلى المدينةِ النبويةِ حيثُ الأنصارُ والأحبابُ ، [٢/١٣٧و] فصارَتْ له دارًا وقرارًا ، وأهلُها له أَنْصارًا .

قال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ[3] ، وعثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ[4] ، عن جريرٍ[5] ، عن قابوسَ ابنِ أبى ظَبْيانَ[6] ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، فأُمِرَ بالهجرةِ وأُنْزِلَ عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ .

قال قَتادةُ[7] : ﴿ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ : المدينةَ ، ﴿ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ : الهجرةَ مِن مكةَ ، ﴿ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾ :

---

(١) التفسير ٥/١٠٨، ١٠٩.
(٢) بعده فى م : « و » .
(٣) المسند ١/ ٢٢٣. (إسناده صحيح) .
(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/٥١٦، من طريق عثمان بن أبى شيبة به .
(٥) فى الأصل : « جبير » . وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٤٠.
(٦) فى الأصل : « طهمان » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٢٧.
(٧) أخرجه ابن جرير فى تفسيره ١٥/١٤٩ - ١٥١ عن قتادة .

كتابَ اللَّهِ وفرائضَه وحدودَه .

قال ابنُ إسْحاقَ[(١)] : وأقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ بعدَ أصحابِه مِن المهاجِرينَ يَنْتَظِرُ أنْ يُؤذَنَ له فى الهِجرةِ ، ولم يَتَخَلَّفْ معَه بمكةَ إلَّا مَنْ حُبِسَ أو فُتِنَ ، إلَّا عليٌّ بنُ أبى طالبٍ وأبو بكرِ بنُ أبى قُحافةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، وكان أبو بكرٍ كثيرًا ما يَسْتَأْذِنُ رسولَ اللَّهِ ﷺ (٢)فى الهِجرةِ(٢) فيقولُ له : « لَا تَعْجَلْ ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِبًا » . فيَطْمَعُ أبو بكرٍ أنْ يَكونَه ، فلمّا رأَتْ قُرَيْشٌ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد صارَ له شِيعَةٌ وأصحابٌ مِن غيرِهم بغيرِ بلَدِهم ، ورأَوْا خُروجَ أصحابِه مِن المهاجرين إليهم ، عرَفوا أنهم قد نزَلوا دارًا وأصابوا منهم مَنَعَةً ، فحَذِروا خروجَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم ، وعرَفوا أنه قد أجْمَعَ لحَرْبِهم ، فاجتَمَعوا له فى دارِ النَّدْوَةِ - وهى دارُ قُصَىِّ بنِ كِلَابٍ ، التى كانَتْ قُرَيْشٌ لا تَقْضِى أمْرًا إلا فيها - يَتشاوَرونَ فيما يَصْنَعونَ فى أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ خافوه .

قال ابنُ إسْحاقَ[(٣)] : فحدَّثَنى مَنْ لا أَتَّهِمُ مِن أصحابِنا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدِ بنِ جَبْرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وغيرُه مِمَّن لا أَتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال : لمَّا اجْتَمَعُوا لذلك واتَّعَدوا أنْ يَدْخُلُوا فى دارِ النَّدْوةِ ؛ لِيَتَشاوروا فيها فى أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، غدَوْا فى اليومِ الذى اتَّعَدوا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٨٠ - ٤٨٣.

كما أخرجه من الطريق الأول أبو نعيم فى الدلائل (١٥٤) ، وأخرجه من الطريق الثانى المختصر ، الطبرى فى تاريخه ٢/٣٧٠ ، وأبو نعيم فى الموضع السابق ، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٨، ٤٦٩، كلهم من طريق محمد بن إسحاق عن الكلبى عن أبى صالح به . كما زاد الطبرى وأبو نعيم والبيهقى فى المواضع السابقة طريقاً ثالثا عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى نجيح - دون واسطة - بإسناده الأول .

والحديث متصل الإسناد وفى بعض رجاله كلام .

له ، وكانَ ذلكَ اليومُ يُسَمَّى يومَ الزَّحْمةِ ، فاعتَرَضَهم إبليسُ ، لعَنَه اللَّهُ ، فى هَيئةِ شيخٍ جليلٍ عليه [(١] بَتٌّ له [١)] ، فوقفَ على بابِ الدارِ ، فلمَّا رأَوْه واقِفًا على بابِها قالوا : مَن الشيخُ ؟ قال : شيخٌ مِن أهلِ نَجْدٍ سَمِعَ بالذى اتَّعَدْتُم له ، فحضَرَ معَكم ليَسْمَعَ ما تَقولون ، وعَسَى أن لا يُعْدِمَكم [(٢)] منه رأْيًا ونُصْحًا . قالوا : أَجَلْ فادخُلْ . فدخَلَ معهم وقد اجتَمَعَ فيها أَشْرافُ قُرَيْشٍ ؛ عُتْبةُ ، وشَيْبةُ ، وأبو سُفيانَ ، وطُعَيمةُ بنُ عَدىٍّ ، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمِ بنِ عَدِىٍّ ، والحارثُ بنُ عامرِ بنِ نَوْفَلٍ ، والنَّضْرُ بنُ الحارثِ ، وأبو البَخْتَرِىِّ بنُ هِشامٍ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ ، وحَكيمُ بنُ حِزَامٍ ، وأبو جَهْلِ بنُ هشامٍ ، ونُبَيهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجَّاجِ ، وأميةُ بنُ خلَفٍ ، و [(٣)] مَن كان منهم وغيرُهم ممن لا يُعَدُّ مِن قُرَيْشٍ ، فقال بعضُهم لبعضٍ : إنَّ هذا الرجلَ قد كان مِن أمْرِه ما قد رأَيْتم ، وإنَّنا واللَّهِ ما نأْمَنُه على الوُثُوبِ علينا بمَن قد اتَّبَعَه مِن غيرِنا ، فأجْمِعُوا فيه رأْيًا . قال : فتَشاوَروا ، ثُم قال قائلٌ منهم - [(٤] قيل : إنه أبو البَخْتَرِىِّ بنُ هشامٍ [٤)] - : احبِسوه فى الحديدِ ، وأَغْلِقوا عليه بابًا ، ثُم تَرَبَّصوا به ما أصابَ أَشْباهَه مِن الشُّعَراءِ الذين كانوا قبلَه ؛ زُهَيْرًا والنابغةَ ومَنْ مضَى منهم ، مِن هذا الموتِ ؛ حتى يُصيبَه ما أَصابَهم . فقال الشيخُ النَّجْدِىُّ : لا واللَّهِ ما هذا لكم برأْيٍ ، واللَّهِ لئن حبَسْتُموه كما تقولونَ ،

(١ - ١) فى م ، والسيرة : « بتلة » . وأثبت محققو السيرة بالحاشية ، أنه فى إحدى نسخهم « بت » . وما أثبتناه هنا هو ما أورده - فى ذات الحديث - ابن الأثير فى النهاية ٩٢/١ وقال : أى كساء غليظ مربع . وقيل : طيلسان من خزّ ، ويجمع على بتوت . وكذا أورده بما أثبتناه مصنّفا تاج العروس ، ولسان العرب (ب ت ت) من نفس الحديث .

(٢) أى عسى أن تجدوا عنده رأيًا ونصحًا . وأعدمنى الشىء : لم أجده . وأعدمه : منعه . اللسان (ع د م) .

(٣) فى الأصل ، ا ١٥ : « أو » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل . وهذه العبارة ليست من سياق السيرة ، وهى فى الروض الأنف ٢٠١/٤ .

لَيَخْرُجَنَّ أمْرُه مِن وَرَاءِ البابِ الذى أغلقْتُم دونَه إلى أصحابِه ، فلَأَوشَكوا أنْ يَثِبُوا عليكم فيَنْتَزِعوه من أيديكم ، ثُم يُكاثِروكم به حتى يَغْلِبوكم على أمْرِكم ، ما هذا لكم برأْيٍ . فتَشاوَروا ثُم قال قائلٌ منهم : نُخْرِجُهُ مِن بينِ أَظْهُرِنا فننفيه مِن بلادِنا ، فإذا خرَجَ عنا ، فواللَّهِ ما نُبَالِى أينَ ذهَبَ ولا حيثُ وقَعَ(1) إذا غابَ عنَّا وفرَغْنا منه ، فأصلَحْنا أمْرَنا وأُلْفَتنا كما كانَتْ . قال الشيخُ النَّجْدىُّ : لا واللَّهِ ما هذا لكم برأْيٍ ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حديثِه [١٣٧/٢ظ] وحَلَاوَةَ مَنْطِقِه وغلَبَتَه على قلوبِ الرِّجالِ بما يَأْتِى به ؟ واللَّهِ لو فعَلْتُم ذلك ، ما أَمِنْتُ أنْ يَحِلَّ على حَىٍّ مِن العربِ ، فيَغْلِبَ عليهم بذلك مِن قولِه وحديثِه حتى يُتابِعوه(2) عليه ، ثُم يَسيرَ بهم إليكم حتى يَطَأَكم بهم ، فيَأْخُذَ أمْرَكم مِن أيديكم ، ثُم يَفْعَلَ بكم ما أَرادَ ، أدِيرُوا(3) فيه رأْيًا غيْرَ هذا . فقال أبو جهلِ بنُ هشامٍ : واللَّهِ إنَّ لى فيه لرَأْيًا ما أَراكم وقَعْتُم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكَمِ ؟ قال : أرَى أنْ نَأْخُذَ مِن كُلِّ قبيلةٍ فَتًى شابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا(4) فينا ، ثُم نُعْطِىَ كُلَّ فتًى منهم سيفًا صارمًا ، ثُم يَعْمِدوا إليه فيَضْرِبوه بها ضَرْبَةَ رجلٍ واحدٍ ، فيَقْتُلوه فنَسْتَريحَ منه ، فإنَّهم إذا فعَلوا ذلك تَفَرَّقَ دَمُه فى القبائلِ جميعِها ، فلم يَقْدِرْ بنو عبدِ مَنافٍ على حرْبِ قومِهم جميعًا ، فرَضُوا منا بالعَقْلِ(5) فعقَلْناه لهم . قال : يَقولُ الشيخُ النَّجْدىُّ : القولُ ما قال الرجلُ ، هذا الرأْىُ ولا رَأْىَ غيرُه . فتفرَّقَ القومُ على ذلك وهم مُجْمِعُونَ له ، فأتى جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال له : لا

---

(١) فى الأصل : « دفع » .

(٢) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « يبايعوه » .

(٣) فى الأصل : « أوتروا » . وفى السيرة : « دبروا » .

(٤) فلان وسيط فى قومه : إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . اللسان (و س ط) .

(٥) العقل : الدية .

تَبِتْ هذه الليلةَ على فِراشِك الذى كنتَ تَبيتُ عليه . قال : فلمَّا كانَتْ عَتَمَةٌ مِن الليلِ اجتَمَعُوا على بابِه يَرْصُدونَه متى[1] يَنامُ فَيَثِبُون عليه ، فلمَّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ مَكانَهم ، قال لعليِّ بنِ أبى طالبٍ : « نَمْ عَلَى فِراشِى ، وتَسَجَّ بِبُرْدِى هَذَا الحَضْرَمِىِّ الأَخْضَرِ فَنَمْ فِيهِ ، فَإِنَّه لَنْ يَخْلُصَ إِلَيكَ شَىْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنامُ فى بُرْدِه ذلك إذا نامَ .

وهذه القِصَّةُ التى ذكَرَها ابنُ إسْحاقَ قد روَاها الواقدىُّ[2] بأسانيدِه عن عائشةَ ، وابنِ عباسٍ ، وعلىٍّ ، [3]وسُراقَةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ[3] ، وغيرِهم ، دخَلَ حديثُ بعضِهم فى بعضٍ ، فذكَرَ نحوَ ما تقدَّمَ .

قال ابنُ إسْحاقَ[4] : فحدَّثَنى يزيدُ[5] [6]بنُ أبى[6] زيادٍ ، عن محمدِ بنِ كعْبٍ القُرَظىِّ قال : لَمَّا اجْتَمَعوا له وفيهم أبو جَهْلٍ قال ، وهم على بابِه : إنَّ محمدًا يَزْعُمُ أنكم إن تابَعْتُموه [7]على أمْرِه ، كنتُم مُلوكَ العَرَبِ والعَجَمِ ، ثم بُعِثْتُم مِن بعدِ مَوتِكم[7] ، فَجُعِلَتْ [8]لكم جِنَانٌ كجِنانِ الأُرْدُنِّ ، وإنْ لم تَفْعَلوا ، كان فيكم ذَبْحٌ ثُم بُعِثْتُم بَعْدَ موتِكم ، ثُم جُعِلَتْ[8] لكم نارٌ تُحْرَقُونَ فيها ! قال : فخرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأخَذَ حَفْنَةً مِن تُرابٍ فى يدِه ثم قال : « نَعَمْ أَنَا أَقُولُ

---

(١) فى النسخ : « حتى » . والمثبت من السيرة .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٢٢٧، عن الواقدى به .
(٣ - ٣) فى طبقات ابن سعد : « سراقة بن جعشم » . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٣١، وتهذيب الكمال ١٠/ ٢١٤، ١٧/ ٣٧٩.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٣.
(٥) فى ا ١٥: « زياد » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٣٢.
(٦ - ٦) فى السيرة : « بن » . وانظر المصدر السابق .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .
(٨ - ٨) سقط من : ص .

ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُم » . وأخذَ اللَّهُ على أَبْصارِهِم عنه فلا يَرَوْنَه ، فجعَلَ يَنْثُرُ ذلك الترابَ على رءُوسِهم وهو يَتْلو هذه الآياتِ ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ولم يَبْقَ منهم رجلٌ إلَّا وقد وضَعَ على رأْسِه ترابًا ، ثُم انصَرَفَ إلى حيثُ أرادَ أَنْ يَذْهَبَ ، فأَتاهم آتٍ مِمَّنْ لم يَكُنْ معَهم فقال : ما تَنْتَظِرون هـٰهنا ؟ قالوا : محمدًا . فقال : خَيَّبَكم اللَّهُ ، قد واللَّهِ خَرَجَ عليكم محمدٌ ، ثُم ما ترَكَ منكم رجلًا[1] إلَّا وقد وضَعَ على رأْسِه تُرابًا وانطَلَقَ لحاجتِه ، أفما ترَوْن ما بكم ؟! قال : فوضَعَ كُلُّ رجلٍ منهم يَدَهُ على رأْسِه ، فإذا عليه ترابٌ ، ثُم جعَلوا يَتَطَلَّعونَ فيرَوْن عَلِيًّا على الفِراشِ مُتَسَجِّيًا ببُرْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيقولون : واللَّهِ إنَّ هذا لَمحمدٌ نائمًا عليه بُرْدُهُ . فلم يَبْرَحوا كذلك حتى أصْبَحوا ، فقامَ عليٌّ عن الفِراشِ فقالوا : واللَّهِ لقد كان صَدَقَنا الذى كان حَدَّثَنا .

قال ابنُ إسْحاقَ[2] : فكان مما أنزَلَ اللَّهُ فى ذلك اليومِ وما كانوا أجْمَعُوا له ، قولُه تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، وقولُه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور : ٣٠، ٣١] قال ابنُ إسْحاقَ : فأَذِنَ اللَّهُ لنبيِّه ﷺ عندَ ذلك بالهِجْرةِ .

---

(١) سقط من : ا ١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤.

بـابُ

هِجْرةِ رسولِ اللّهِ ﷺ [١٣٨/٢و] بنفسِه الكريمةِ (١)مِن مكةَ(١) إلى المدينةِ ومعَه أبو بكرٍ الصديقُ، رضِى اللّهُ عنه

وذلك أولُ التاريخِ الإسلاميِّ كما اتَّفَقَ عليه الصَّحابةُ فى الدَّوْلةِ العُمَرِيَّةِ، كما بَيَّنَّاه فى «سيرةِ عمرَ»، رَضِىَ اللّهُ عنه وعنهم أجْمعينَ.

قال البخارىُّ[٢]: حدَّثَنا مَطَرُ بنُ الفضلِ، ثنا رَوْحٌ، ثنا[٣] هِشامٌ، ثنا عِكْرِمةُ، عن ابنِ عباسٍ، قال: بُعِثَ النبىُّ ﷺ لأربعينَ سنَةً، فمكَثَ بمكةَ[٤] ثلاثَ عشْرَةَ يُوحَى إليه، ثُم أُمِرَ بالهِجْرَةِ فهاجَرَ عشْرَ سِنِينَ، وماتَ وهو ابنُ ثلاثٍ وسِتِّينَ. وقد كانَتْ هِجْرتُه، عليه السلامُ، فى شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ثَلاثَ عشْرَةَ مِن بِعْثَتِه، عليه السَّلامُ، وذلك فى يومِ الاثنيْنِ كما روَاه الإمامُ أحمدُ[٥]، عن ابنِ عباسٍ، أنه قال: وُلِدَ نَبِيُّكم يومَ الاثنيْنِ، وخرَجَ مِن مكةَ يومَ

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) البخارى (٣٩٠٢).

(٣) فى الأصل: «بن».

(٤) فى م، ص: «فيها».

(٥) المسند ١/ ٢٧٧. (إسناده صحيح).

الاثنيـنِ ، (١ ونُبِّئَ يومَ الاثنيْنِ ١) ، ودخَل المدينةَ يومَ الاثنيْنِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنيْـنِ .

قال محمدُ بنُ إسْحاقَ(٢) : وكان أبو بكرٍ حيـنَ استأْذَنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرَةِ فقال له : « لَا تَعْجَلْ ، لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَجْعَلَ لَكَ صَاحِبًا » . قد طَمِعَ بأنْ يَكونَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إنما يَعْنِى نَفْسه ، فابتاعَ راحِلتَيْن فحبَسَهما فى دارِه يَعْلِفُهما إِعدادًا لذلك . قال الواقدىُّ(٣) : اشتراهما بثمانِمائةِ دِرْهَمٍ .

قال ابنُ إِسْحاقَ(٤) : فحدَّثَنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ، أنَّها قالَتْ : كان لا يُخْطِئُ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَأْتِىَ بيتَ أبى بكرٍ أحدَ طَرَفَيِ النَّهارِ ، إمَّا بُكْرةً ، وإمَّا عَشيَّةً ، حتى إذا كانَ اليومُ الذى أَذِنَ اللَّهُ فيه لِرسولِه ﷺ فى الهِجْرَةِ والخُروجِ مِن مكةَ مِن بينِ ظَهْرَىْ قومِه ، أتانا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجِرةِ(٥) فى ساعةٍ كان لا يَأْتِى فيها ، قالَتْ : فلمَّا رآه أبو بَكْرٍ ، قال : ما جاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ (٦ هذه الساعةَ ٦) إلا لأمْرٍ حَدَثَ . قالَتْ(٧) : فلمَّا دخَلَ تَأَخَّرَ له أبو بكرٍ عن سريرِه ، فجلَسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وليس عندَ (٨ أبى بكرٍ ٨) أحدٌ إلا أنا وأختى أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَخْرِجْ عنى مَنْ عندَكَ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّما هما ابْنَتاىَ ، وما ذاك ، فِداكَ أبى وأمِّى ؟ قال : « إِنَّ اللَّهَ قد أَذِنَ لى فى الخُرُوجِ والهجرةِ » . قالَتْ : فقال أبو بكرٍ :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤.

(٣) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/٢٢٨ عن الواقدى .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٤، ٤٨٥.

(٥) الهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر .

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

(٧) سقط من : الأصل .

(٨ - ٨) فى النسخ : « رسول الله » . والمثبت من مصدر التخريج .

الصُّحْبَةَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «الصُّحْبَةَ». قالَتْ: فواللَّهِ ما شَعَرْتُ قطُّ قبلَ ذلك اليومِ أنَّ أحدًا يَبْكِى مِن الفَرَحِ حتى رأَيْتُ أبا بكرٍ يومئذٍ يَبْكِى. ثُم قال: يا نَبىَّ اللَّهِ، إنَّ هاتَيْنِ راحِلتانِ كنتُ أعدَدْتُهما لهذا. فاستأجَرا عبدَ اللَّهِ بنَ أَرْقَطَ[1] - قال ابنُ هِشامٍ[2]: ويُقالُ: عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ. رجلًا مِن بنى الدِّيلِ ابنِ بَكرٍ، وكانت أمُّه مِن بنى سَهْمِ بنِ عمرٍو، وكان مُشْرِكًا - يدُلُّهما على الطريقِ، ودفَعا إليه راحِلَتَيْهما، فكانَتا عندَه يَرْعاهما لـميعادِهما.

قال ابنُ إسْحاقَ[3]: ولم يَعْلَمْ - فيما بلَغَنى - بخروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحدٌ حينَ خرَجَ إلا علىُّ بنُ أبى طالبٍ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ، وآلُ أبى بكرٍ، أما علىٌّ فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَه أنْ يَتَخَلَّفَ؛ حتى يُؤَدِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الودائعَ التى كانَتْ عندَه للناسِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ليس بمكةَ أحدٌ عندَه شىءٌ يَخْشَى عليه إلا وضَعَه عندَه؛ لِمَا يَعْلَمُ مِن صِدْقِهِ وأمانَتِه. قال ابنُ إسْحاقَ[4]: فلمَّا أجْمَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الخُروجَ[5]، أَتَى أبا بكرِ بنَ أبى قُحافةَ فخرَجا مِن خَوْخةٍ[6] لأبى بكرٍ فى ظَهْرِ بيتِه.

وقد رَوَى أبو نُعَيْمٍ[7] مِن طريقِ إبْراهيمَ بنِ سعدٍ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ، قال: بلَغَنى أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا خرَجَ مِن مكةَ مُهاجِرًا إلى اللَّهِ يُريدُ المدينةَ

---

(١) فى ١ ١٥، م، ص: «أرقد».
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) سقط من: ص.
(٦) الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين، ينصب عليها باب. النهاية (خ و خ).
(٧) ليس فى نسخة الدلائل التى بين أيدينا. والحديث أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٢٣٤)، عن طاوس مرسلا.

قال : « الحمدُ للّهِ الذى خلقَنِى ولم أَكُ شَيْئًا ، اللهم أَعِنِّى على هَوْلِ الدُّنيا ، وبوائقِ الدَّهْرِ ، ومصائِبِ الليالى والأيامِ ، اللهم اصْحَبْنِى فى سَفَرِى ، واخْلُفْنِى فى أَهْلِى ، وبارِكْ لى فيما رَزَقْتَنى ، ولك فذلِّلْنى ، وعلى صَالِحِ خُلُقى فَقَوِّمْنِى ، وإليك رَبِّ فَحَبِّبْنِى ، وإلى النَّاسِ فلا تَكِلْنى ، رَبُّ المُسْتَضعَفين وأنت ربى ، أعوذُ بِوجهِك الكَرِيمِ الذى أَشْرَقَت له السَّماواتُ والأرضُ ، وكُشِفَت به الظُّلُماتُ ، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ ، أَنْ تُحِلَّ [٢/١٣٨ظ] علىَّ غَضَبَك ، وَتُنْزِلَ بى سَخَطَك ، [(١)]أَعُوذُ بك مِن زَوالِ نِعْمَتِك ، وفَجْأَةِ نِقْمَتِك ، وتَحَوُّلِ عافيتِك وَجَمِيعِ سَخَطِك [(١)] ، لك العُتْبَى[(٢)] عندى خيرَ ما استَطَعْتُ ، لا حولَ ولا قوةَ إلا بك » .

قال ابنُ إسْحاقَ[(٣)] : ثُم عَمَدا إلى غارٍ بثَوْرٍ - جبلٍ بأسفلِ مكةَ - فدخَلاه ، وأمَرَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ابنه عبدَ اللّهِ أن يَتَسَمَّعَ لهما ما يَقولُ الناسُ فيهما نهارَه ، ثُم يَأْتِيَهما إذا أَمْسَى بما يَكونُ فى ذلك اليومِ مِن الخبرِ ، وأمرَ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ مَوْلاه أنْ يَرْعَى غَنَمَه نهارَه ، ثُم يُرِيحَها عليهما ، إذَا أَمْسَى فى الغارِ ، فكانَ عبدُ اللّهِ بنُ أبى بكرٍ يَكونُ فى قُرَيْشٍ نَهارَه معَهم ، يَسْمَعُ ما يَأْتَمِرونَ به ، وما يَقولونَ فى شأنِ رسولِ اللّهِ ﷺ وأبى بكرٍ ، ثُم يَأْتِيهما إذا أَمْسَى فيُخْبِرُهما الخَبَرَ ، وكان عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يَرْعَى فى رُعْيانِ[(٤)] أهلِ مكةَ ، فإذا أمْسَى ، أراحَ عليهما غَنَمَ أبى بكرٍ فاحتَلَبا وذَبَحا ، فإذا غَدا عبدُ اللّهِ بنُ أبى بكرٍ مِن عندِهما إلى مكةَ ، اتَّبَعَ عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ أَثَرَه بالغنمِ يُعَفِّى عليه . وسيَأْتى فى سِياقِ البُخارىِّ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى م ، ص : « العقبى » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٥، ٤٨٦.

(٤) الرعيان : جمع راعٍ .

ما يَشْهَدُ لهذا .

[(1)]وقد حكَى ابنُ جَرِيرٍ[(2)] عن بعضِهم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سبَقَ الصِّدِّيقَ فى الذَّهابِ إلى غارِ ثَوْرٍ ، وأمرَ عَلِيًّا أن يَدُلَّه على مَسيرِه لِيَلْحَقَه ، فلحِقَه فى أثناءِ الطريقِ . وهذا غريبٌ جِدًّا ، وخِلافُ المشهورِ مِن أنَّهما خرَجا معًا[(1)] .

قال ابنُ إِسْحاقَ[(3)] : وكانت أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، تَأْتيهما مِن الطَّعامِ إذا أمْسَت بما يُصْلِحُهما . قالَتْ أسماءُ : ولمَّا خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، أتانا نَفَرٌ مِن قريشٍ فيهم أبو جهلِ بنُ هِشامٍ ، فوقَفوا على بابِ أبى بكرٍ ، فخرَجْتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوكِ يا ابنةَ أبى بكرٍ؟ قالَتْ : قلتُ : لا أَدْرِى واللَّهِ أينَ أبى . قالَتْ : فرفَعَ أبو جهلٍ يدَه - وكان فاحشًا خبيثًا - فلطَمَ خدِّى لَطْمةً طَرَحَ منها قُرْطِى ، ثُم انصَرَفوا .

قال ابنُ إِسْحاقَ[(4)] : وحدَّثَنى يَحْيَى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، أنَّ أباه حدَّثَه عن جدَّتِه أسماءَ ، قالَتْ : لمَّا خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وخرَج أبو بكرٍ معَه ، احتَمَلَ أبو بكرٍ مالَه كلَّه معَه ؛ خمسةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، أو سِتةَ آلافِ دِرْهَمٍ ، فانطَلَقَ بها معَه . قالَتْ : فدخَل علينا جَدِّى أبو قُحَافَةَ - وقد ذَهَب بصَرُه - فقال : واللَّهِ إنِّى لَأَرَاه قد فجَعَكم بمالِه مع نفسِه . قالَتْ : قلتُ : كَلَّا يا أَبَتِ ، إنَّه قد ترَك لنا خيرًا كثيرًا . قالَتْ : وأخذْتُ أحْجارًا فوضَعْتُها فى كُوَّةٍ فى البيتِ[(5)] ، كان أبى يَضَعُ مالَه فيها ، ثُم وضَعْتُ عليها ثوبًا ، ثُم أخَذْتُ بيدِه

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ا 15 .

(2) تاريخ الطبرى 2/ 374 .

(3) سيرة ابن هشام 1/ 486 ، 487 .

(4) المصدر السابق 1/ 488 .

(5) بعده فى م : « الذى » .

فقُلْتُ : يا أَبَتِ ضَعْ يدَك على هذا المالِ . قالَتْ : فوضَع يدَه عليه ، فقال : لا بأْسَ ، (١)إذا كان(١) ترَك لكم هذا فقد أَحْسَنَ ، وفى هذا بلاغٌ لكم . ولا واللَّهِ ما ترَك لنا شيئًا ، ولكن أرَدْتُ أنْ أُسَكِّنَ الشَّيْخَ بذلك .

وقال ابنُ هِشامٍ(٢) : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ ، أنَّ الحَسَنَ بنَ أبى(٣) الحَسَنِ البَصْرِىَّ قال : انتَهى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ إلى الغارِ ليلًا ، فدخَل أبو بكرٍ قبلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَسَ الغارَ لِيَنْظُرَ أفيه سَبُعٌ أو حَيَّةٌ ، يَقِى رسولَ اللَّهِ ﷺ بنفسِه . وهذا فيه انقطاعٌ مِن طَرَفَيْه .

وقد قال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ(٤) : حدَّثَنا داودُ بنُ عمرٍو الضَّبِّىُّ ، ثَنا نافعُ بنُ عمرَ الجُمَحِىُّ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، أنَّ النبىَّ ﷺ لمَّا خرَج هو وأبو بكرٍ إلى ثَوْرٍ ، فجعَل أبو بكرٍ يَكونُ أمامَ النبىِّ ﷺ مرَّةً ، وخلْفَه مرَّةً ، فسأَله النبىُّ ﷺ عن ذلك فقال : إذا كنْتُ خلفَك خشِيتُ أن تُؤْتَى مِن أمامِك ، وإذا كنتُ أمامَك خشِيتُ أن تُؤْتَى مِن خلفِك . حتى إذا انتَهى إلى الغارِ مِن ثَوْرٍ ، قال أبو بكرٍ : كما أنت حتى أُدْخِلَ يَدى فأُحِسَّه وأقُصَّه ، فإنْ كانَتْ فيه دابةٌ أصابَتْنِى قبلَك . قال نافعٌ : فبلَغَنى أنَّه كان فى الغارِ جُحْرٌ ، فألْقَمَ أبو بكرٍ رِجْلَه ذلك الجُحْرَ ؛ تخوُّفًا أنْ يَخْرُجَ منه دابَّةٌ أو شَىْءٌ يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ . وهذا مُرْسَلٌ ، وقد ذكَرْنا له شواهدَ أُخَرَ فى « سيرةِ الصِّدِّيقِ » ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

(١ - ١) فى م ، ص : « إذ كان قد » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦.

(٣) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٩٥.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/ ٨١، عن عبد اللَّه بن محمد أبى القاسم البغوى به .

وقال البَيْهَقِىُّ[1] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إِسْحاقَ ، أنا موسَى بنُ الحَسَنِ بنِ[2] عبَّادٍ ، ثنا عَفَّانُ بنُ مُسْلمٍ ، ثَنا السَّرِىُّ بنُ يَحْيَى ، ثَنا محمدُ بنُ سِيرِينَ قال : ذَكَرَ رِجالٌ على عهدِ عمرَ ، فكأنَّهم فضَّلوا عمرَ على أبى بكرٍ ، فبلَغَ ذلك عمرَ فقال : واللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِن أبى بكرٍ خيرٌ مِن آلِ عمرَ ، ولَيَوْمٌ مِن أبى بكرٍ خيرٌ مِن آلِ عمرَ ؛ لقد خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/ ١٣٩و] ليلةَ انطلَقَ إلى الغَارِ ومعَه أبو بكرٍ ، فجعَل يَمْشِى ساعةً بينَ يدَيْه وساعةً خلْفَه ، حتى فَطِنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا لَكَ تَمْشِى سَاعَةً بَيْنَ يَدَىَّ وَسَاعَةً خَلْفِى ؟! » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أَذْكُرُ الطَّلَبَ فأَمْشِى خلْفَك ، ثُم أَذْكُرُ الرَّصَدَ[3] فأمْشِى بينَ يَدَيْك . فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَوْ كَانَ شَىْءٌ لَأَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِى ؟ » قال : نَعَمْ والذى بعثَك بالحقِّ . فلمّا انتهَيَا إلى الغارِ . قال أبو بكرٍ : مكانَك يا رسولَ اللَّهِ حتى أَسْتَبْرِئَ لك الغارَ . فدخلَ فاستَبْرَأَه ، حتى إذا كان [4]فى أعلاه[4] ، ذَكَرَ أنه لم يَسْتَبْرِئِ الجِحَرَةَ[5] فقال : مكانَك يا رسولَ اللَّهِ حتى أَسْتَبْرِئَ . فدخَل فاسْتَبْرَأَ ثُم قال : انْزِلْ يا رسولَ اللَّهِ . فنزَلَ . ثُم قال عمرُ : والذى نَفْسى بيدِه لتلك الليلةُ خيرٌ مِن آلِ عمرَ .

وقد روَاه البيهقىُّ[6] مِن وَجْهٍ آخَرَ عن عمرَ ، وفيه أنَّ أبا بكرٍ جعَل يَمْشِى بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تارةً ، وخلْفَه أُخرَى ، وعن يمينِه ، وعن شمالِه .

---

(١) دلائل النبوة ٢/ ٤٧٦، ورواه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦. وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، لولا إرسال فيه . ووافقه الذهبى .

(٢) فى م ، ص : « ثنا » .

(٣) الرصد : الترقب ، والرَّصَد : المرتصِدون ، وهو اسم للجمع . اللسان (ر ص د) .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .

(٥) الجحرة : جمع جُحْر ، والجحر : كل شىء تحتفره الهوام والسباع لأنفسها . اللسان (ج ح ر) .

(٦) دلائل النبوة ٢/ ٤٧٦، ٤٧٧.

وفيه أنّه لمَّا حَفِيَتْ[1] رجْلَا رسولِ اللَّهِ ﷺ حَمَلَه الصدِّيقُ على كَاهِلِه، وأنّه لمَّا دَخَلَ الغارَ، سدَّدَ تلك الجِحَرةَ كلَّها وبَقِيَ منها جُحْرٌ واحدٌ، فألقَمَه كَعْبَهُ، فجعَلَتِ الأَفاعِي تَنْهَشُه ودُموعُه تَسيلُ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». وفى هذا السِّياقِ غَرابةٌ ونَكارةٌ.

ثُم قال البَيْهقِيُّ[2]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالا: ثَنا أبو العبَّاسِ الأَصَمُّ، ثَنا عباسٌ الدُّورِيُّ، ثنا أسودُ بنُ عامرٍ شاذانُ، ثنا إسرائيلُ، عن الأسودِ، عن جُنْدُبِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: كان أبو بكرٍ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الغارِ، فأصابَ يدَه حَجَرٌ فقال:

إنْ أَنْتِ إلَّا أُصْبُعٌ دَمِيتِ وفى سَبيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ، أخبرَنا مَعْمَرٌ، أخبرنى عُثمانُ الجَزَرِىُّ، أنَّ مِقْسَمًا مولى ابنِ عباسٍ أخبرَه عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال: تَشاوَرَت قُرَيْشٌ ليلةً بمكةَ، فقال بعضُهم: إذا أصبحَ فأَثْبِتوه بالوَثاقِ. يُريدونَ النبيَّ ﷺ، وقال بعضُهم: بل اقتُلوه. وقال بعضُهم: بل أَخرِجوه. فأَطْلَعَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ على ذلك، فبات عليٌّ على فِرَاشِ النبيِّ ﷺ تلك الليلةَ، وخرَج النبيُّ ﷺ حتى لَحِقَ بالغارِ، وباتَ المشركون يَحْرُسون عليًّا يَحْسَبونَه النبيَّ ﷺ، فلمَّا أصْبَحوا ثاروا إليه[4]، فلمّا

---

(١) حفى القدم: رق من كثرة المشى. الوسيط (ح ف ى).

(٢) دلائل النبوة ٢/ ٤٨٠.

(٣) المسند ١/ ٣٤٨. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٧: رواه أحمد والطبرانى وفيه عثمان بن عمرو الجزرى وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٥/ ٨٧: فى إسناده نظر؛ من أجل عثمان الجزرى. وانظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٥/ ٣٠١.

(٤) فى الأصل، م: «عليه».

رأَوْا عليًّا ردَّ اللَّهُ[1] مَكْرَهم ، فقالوا : أينَ صاحبُك هذا ؟ فقال : لا أَدْرى . فاقْتَصُّوا[2] أثَرَه ، فلمَّا بلَغوا الجبَلَ اخْتلطَ عليهم ، فصَعِدُوا الجبلَ فمرُّوا بالغارِ ، فرأَوْا على بابِه نَسْجَ العنكبُوتِ ، فقالوا : لو دخَل هـٰهنا[3] ، لم يكنْ نَسْجُ العنكبوتِ على بابِه . فمكَثَ فيه ثلاثَ ليالٍ . وهذا إسنادٌ حَسَنٌ . وهو مِن أجْوَدِ ما رُوِىَ فى قِصَّةِ نَسْجِ العَنْكَبُوتِ على فَمِ الغارِ ، وذلك مِن حمايةِ اللَّهِ رسولَه ﷺ .

[4]وقال الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ علىٍّ بنِ سعيدٍ القاضى فى « مُسْنَدِ أبى بكرٍ »[5] : حدَّثَنا بَشَّارٌ الخَفَّافُ ، ثنا جَعْفَرُ بنُ[6] سليمانَ ، ثنا أبو عِمْرانَ الجَوْنِىُّ ، حدَّثَنا المُعَلَّى بنُ زِيادٍ ، عن الحَسَنِ البَصْرِىِّ ، قال : انطَلَقَ النبىُّ ﷺ وأبو بكرٍ إلى الغارِ ، وجاءَتْ قُرَيْشٌ يَطْلُبونَ النبىَّ ﷺ ، وكانوا إذا رأَوْا على بابِ الغارِ نَسْجَ العنكبوتِ قالوا : لم يَدْخُلْ أحدٌ . وكان النبىُّ ﷺ قائمًا يُصَلِّى وأبو بكرٍ يَرْتَقِبُ ، فقالَ أبو بكرٍ للنبىِّ ﷺ : هؤلاءِ قومُك يَطْلُبونَك ، أمَا واللَّهِ ما على نَفْسى أبْكِى[7] ، ولكن مخافَةَ أنْ أَرَى فيكَ ما أَكْرَهُ . فقال له النبىُّ ﷺ : « يا أَبَا بَكْرٍ ، لَا تَخَفْ[8] إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » . وهـذا مُرْسَلٌ عن الحسنِ ، وهو[4]

---

(١) بعده فى م ، ص : « عليهم » .

(٢) فى م : « فاقتفوا » .

(٣) بعده فى م ، ص : « أحد » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) مسند أبى بكر الصديق (٧٣) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن ، إلا أنه مرسل بشار بن موسى الخفاف .

(٦) فى الأصل ، م : « و » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٣.

(٧) فى الأصل ، م : « أئل » .

(٨) فى مسند أبى بكر : « تحزن » .

(1) حَسَنٌ بحالِه مِن الشاهدِ ، وفيه زيادةُ صلاةِ النبىِّ ﷺ [٢/ ١٣٩ظ] فى الغارِ . وقد كان ، عليه السَّلامُ ، إذا حزَبَه[2] أمرٌ صلَّى[3] . وروَى هذا الرجلُ[4] - أعنى أبا بكرٍ أحمدَ بنَ علىٍّ القاضىَ - عن عمرٍو الناقِدِ ، عن خلَفِ[5] بنِ تَميمٍ ، عن موسَى بنِ مُطَيْرٍ[6] ، عن أبيه ، عن أبى هُرَيْرَةَ أنَّ أبا بكرٍ قال لابنِه : يا بُنَىَّ ، إذا حَدَثَ فى الناسِ حَدَثٌ فأْتِ الغارَ الذى اختبَأْتُ فيه أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، فكُنْ فيه ؛ فإنه سيَأتيك رِزقُك فيه بُكْرةً وعَشيًّا(1) .

وقد نظمَ بعضُهم هذا فى شِعْرِه حيث يَقولُ :

نسْجُ داودَ ما حمَى صاحبَ الغا ... رِ وكان الفَخارُ للعنكبوتِ

وقد ورَد أنَّ حمامتَيْن عشَّشَتا على بابِه أيضًا ، وقد نظَم ذلك الصَّرْصَرىُّ فى شِعْرِه حيث يقولُ :

فغمَّى عليه العنكبوتُ بنَسْجِه ... وظلَّ على البابِ الحَمامُ يَبِيضُ

والحديثُ بذلك روَاه الحافظُ ابنُ عَساكرَ[7] مِن طريقِ يَحْيَى بنِ محمدِ بنِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « أحزنه » . وحزبه : نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غم . النهاية ١/ ٣٧٧ .

(٣) أخرجه أبو داود (١٣١٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١١٧١) .

(٤) مسند أبى بكر (٥٦) .

(٥) فى الأصل : « طيف » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٧٦ .

(٦) فى الأصل ، م : « مطر » . وانظر لسان الميزان ٦/ ١٣٠ .

(٧) عزاه فى سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٣٩ إلى ابن عساكر وغيره . كما أخرجه من طريق عون بن عمرو ، ابن سعد فى طبقاته ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ مطولًا . وأورد الحافظ ابن حجر الحديث فى لسان الميزان ٤/ ٣٨٨ عن عون به ، وقال فى عون : « قال يحيى بن معين : لا شىء . وقال البخارى : عون جليس لمعتمر منكر الحديث مجهول » . وقال الحافظ عقب إيراد الحديث : « وأبو مصعب لا يُعرف » . اهـ .

صاعدٍ ، حدَّثَنا عمرُو بنُ عليٍّ ، ثنا عَوْنُ[1] بنُ عمرٍو أبو عمرٍو القَيْسيُّ - ويُلَقَّبُ عُوَيْنًا - حدَّثنى أبو مُصْعَبٍ المكِّيُّ قال : أدرَكْتُ زيدَ بنَ أرْقَمَ والمغيرةَ بنَ شُعْبَةَ وأنسَ بنَ مالكٍ ، يَذْكُرونَ أنَّ النبيَّ ﷺ [2]ليلةَ الغارِ[2] أمرَ اللَّهُ شجرةً فخرَجَتْ فى وجهِ النبيِّ ﷺ تَسْتُرُه ، وأنَّ اللَّهَ بَعَثَ العَنْكَبوتَ فنَسَجَتْ ما بينَهما فستَرَتْ وجهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأمَرَ اللَّهُ حمامتَيْن وَحْشيَّتَين ، فأقبلَتا تدُفَّانِ[3] حتى وقَعتا بينَ العَنْكَبوتِ وبينَ الشجَرَةِ ، وأقبَلَتْ فِتْيانُ قريشٍ مِن كُلِّ بطنٍ منهم رَجُلٌ ، معَهم عِصِيُّهم وقِسِيُّهم وهِرَاواتُهم ، حتى إذا كانوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ قَدْرَ مائتَىْ ذِراعٍ قال الدَّليلُ - وهو سُرَاقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجِيُّ -: هذا الحجرُ ، ثُم لا أدْرِى أينَ وضَعَ رِجْلَه . فقال الفِتْيانُ : أنت لم تُخْطِئْ منذُ الليلةِ . [4]حتى إذا أصْبَحْنا[5] قال : انظُروا فى الغارِ[4] . فاسْتَقْدَمَ[6] القومَ ، حتى إذا كانوا مِن النبيِّ ﷺ قَدْرَ خمسين ذراعًا ، فإذا الحمامَتانِ ، فرَجَع[7] فقالوا : ما رَدَّكَ أنْ تَنْظُرَ فى الغارِ ؟ قال : رأَيْتُ حمامَتَيْنِ وحْشِيَّتَيْن بفَمِ الغارِ ، فعرَفْتُ أنْ ليس فيه أحدٌ . فسمِعَها النبيُّ ﷺ فعرَف أنَّ اللَّهَ قد دَرَأَ عنهما بهما ، فسَمَّتَ[8] عليهما - أى بَرَّكَ عليهما - وأحْدَرهما اللَّهُ إلى الحَرَمِ فأفرَخا كما

---

(١) فى الأصل : « عوف » . وانظر لسان الميزان ٤/ ٣٨٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥.

(٣) فى ا ١٥: « يدقان » . ودفَّ الطائر : ضرب جنبيه بجناحيه ، أو حرك جناحيه ، ورجلاه فى الأرض . الوسيط (د ف ف) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) فى م : « أصبحن » .

(٦) فى الأصل ، م : « فاستبقه » . واستقدم القوم : سبقهم فصار قُدَّامهم . الوسيط (ق د م) .

(٧) فى ا ١٥، م : « ترجع » .

(٨) فى ا ١٥: « فشمت » .

تَرى. وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ. و[1] قد رواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[2]، مِن حديثِ مُسلمِ بنِ إبراهيمَ وغيرِه، عن [3]عَوْنِ بنِ[3] عمرٍو - وهو الملقَّبُ بعُوَيْنٍ - بإسنادِه مثلَه، وفيه أنَّ جميعَ حَمَامِ مكةَ مِن نَسْلِ تَيْنِكَ الحَمامتَيْنِ، وفى هذا الحديثِ أنَّ القائفَ الذى اقتفَى لهم الأثرَ؛ سُرَاقةُ بنُ مالكٍ المُدْلِجِيُّ.

وقد روَى الوَاقِدِيُّ، عن موسَى بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ، عن أبيه أنَّ الذى اقتفَى لهم الأَثرَ كُرْزُ بنُ عَلْقمةَ.

قلتُ: ويَحْتمِلُ أنْ يَكونا جميعًا اقْتَفَيا الأَثَرَ. واللَّهُ أعلمُ. وقد قال اللَّهُ تعالى[4]: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، يَقولُ تعالى مُؤَنِّبًا لمَن تَخَلَّفَ عن الجِهادِ مَعَ الرسولِ ﷺ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أنتم، فإنَّ اللَّهَ ناصرُه ومُؤَيِّدُه ومُظْفِرُه كما نصرَه ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن أهلِ مكةَ هاربًا ليس معَه غيرُ صاحبِه وصديقِه أبى بكرٍ، ليس معه[5] غيرُه ولهذا قال: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ أى؛ وقد لجأ

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الدلائل (٢٢٩).

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) التفسير ٤/ ٩٥، ٩٦.

(٥) سقط من: م.

إلى الغارِ فأقاما فيه ثلاثةَ أيامٍ، ليَسْكُنَ الطَّلَبُ عنهما؛ وذلك لأنَّ المشركين حينَ فقَدوهما، كما تقدَّمَ، ذهبوا فى طلبِهما كلَّ مَذْهَبٍ مِن سائرِ الجِهاتِ، وجعَلوا لمن ردَّهما أو أحدَهما، مائةً مِن الإبِلِ، واقتصُّوا [٢/١٤٠و] آثارَهما حتى اخْتلطَ عليهم، وكان الذى يَقْتَصُّ الأثرَ لقُرَيْشٍ سُرَاقةَ بنَ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ، كما تقدَّم، فصعِدوا الجبلَ الذى هما فيه، وجعَلوا يمُرُّونَ على بابِ الغارِ، فتُحاذِى أرجُلُهم لبابِ الغارِ ولا يَرَوْنَهما؛ حِفْظًا مِن اللَّهِ لهما، كما قال الإمامُ أحمدُ[1]: حدَّثَنا عفَّانُ، ثنا همَّامٌ، أنا ثابتٌ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، أنَّ أبا بكرٍ حدَّثَه قال: قلت للنبيِّ ﷺ ونحن فى الغارِ: لو أنَّ أحدَهم نظَر إلى قدمَيْه لأَبْصَرَنا تحتَ قدَمَيْه. فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا». وأخرَجَه البخاريُّ ومسلمٌ فى «صحيحَيْهما»[2] مِن حديثِ همَّامٍ به. وقد ذكَرَ بعضُ أهلِ السِّيَرِ، أنَّ أبا بكرٍ لمَّا[3] قال ذلك، قال النبيُّ ﷺ: «لَو جَاءونَا مِن هاهنا لَذَهَبْنَا مِن هاهنا». فنظَرَ الصدِّيقُ إلى الغارِ قد انفرجَ مِن الجانبِ الآخَرِ، وإذا البحرُ قد اتَّصَلَ به، وسفينةٌ مشدودةٌ إلى جانبِه. وهذا ليس بمُنْكَرٍ مِن حيثُ القُدْرَةُ العظيمةُ، ولكن لم يَرِدْ ذلك بإسنادٍ قوىٍّ ولا ضعيفٍ، ولَسنا نُثْبِتُ شيئًا مِن تِلْقَاءِ أنفسِنا، ولكن ما صَحَّ أو حَسُنَ سَنَدُه قُلْنَا به. واللَّهُ أعلمُ.

وقد قال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[4]: حدَّثَنا الفضلُ بنُ سهلٍ، ثنا خلَفُ بنُ تميمٍ، ثنا موسَى بنُ مُطَيْرٍ القُرَشىُّ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، أنَّ أبا بكرٍ قال

---

(١) المسند ١/ ٤. (إسناده صحيح).

(٢) البخارى (٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣). ومسلم (٢٣٨١).

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) كشف الأستار (١١٧٨). قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٩٧: فيه موسى بن مطير، وهو كذاب. وانظر كلام المصنف عقب الأثر.

لابنِه : يا بُنَيَّ ، إنْ حَدَثَ في الناسِ حَدَثٌ فأْتِ الغارَ الذى رأَيْتَنى اختَبَأْتُ فيه أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ فكُنْ فيه ، فإنه سيأْتيك فيه رِزْقُكَ غُدْوَةً وعَشِيَّةً . ثُم قال البزَّارُ : لا نَعْلَمُ يَرْويه غيرَ خلَفِ بنِ تَميمٍ .

قلت : وموسى بنُ مُطَيْرٍ هذا ضعيفٌ متروكٌ ، كذَّبه يَحْيَى بنُ مَعِينٍ[1] ؛ فلا يُقْبَلُ حديثُه . واللَّهُ أعلمُ . وقد ذكَرَ يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[2] عن محمدِ بنِ إسْحاقَ ، أنَّ الصدِّيقَ قال فى دُخولِهما الغارَ ، وسيْرِهما بعدَ ذلك ، وما كان مِن قصةِ سُراقةَ ، كما سيأْتى ، شِعرًا ، فمنه قولُه :

قال النبيُّ ولم أَجْزَعْ يُوَقِّرُنى ... ونحنُ فى سُدَفٍ[3] مِن ظُلمةِ الغارِ

لا تَخْشَ شيئًا فإنَّ اللَّهَ ثالِثُنا ... وَقَد تَوَكَّلَ لى منهُ بإظْهارِ

وقد روَى أبو نُعَيْمٍ[4] هذه القصيدةَ مِن طريقِ زِيادٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ ، فذكَرَها مُطَوَّلةً جِدًّا ، وذكَر معَها قصيدةً أُخْرَى ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد روَى ابنُ لَهِيعَةَ[5] عن أبى الأسودِ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ قال : فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ الحَجِّ - يَعْنِى الذى بايَعَ فيه الأَنْصارَ - بقيةَ ذى الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصفَرًا ، ثُم إنَّ مُشركى قُرَيْشٍ أجْمَعوا أمْرَهم ومكْرَهم على أنْ يَقْتُلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أو يَحْبِسوه ، أو يُخْرِجوه فأطْلَعَه اللَّهُ على ذلك فأنزَل عليه : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيةَ [الأنفال : ٣٠] . فأمَر عليًّا فنامَ على فِراشِه ،

---

(١) التاريخ ليحيى بن معين ٢/٥٩٦ .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠/٨٥ - ٨٧، عن يونس به مطولا .

(٣) السدف : جمع سدفة ، وهى الظلمة .

(٤) فى الدلائل (٢٣٧) .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٥، عن ابن لهيعة به .

وذَهَب هو وأبو بكرٍ ، فلمَّا أَصْبَحوا ذهَبوا فى طلبِهما فى كلِّ وجهٍ يَطْلُبونَهما . وهكذا ذكَره موسَى بنُ عُقْبةَ[1] فى « مَغازِيه » ، وأنَّ خروجَه هو وأَبى بكرٍ إلى الغارِ كان ليلًا ، وقد تقدَّمَ[2] عن الحسنِ البَصْرىِّ - فيما ذكَره [3]ابنُ هِشامٍ[3] - التَّصْريحُ بذلك أيضًا .

وقد قال البخارىُّ[4] : حدَّثَنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ ، ثنا اللَّيْثُ ، عن عُقَيْلٍ ، قال ابنُ شِهابٍ : فأخبَرَنى عُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالَتْ : لم أَعْقِلْ أبوىَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدِّينَ ، ولم يَمُرَّ علينا يومٌ إلا يَأْتينا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ طرفَيِ النهارِ بُكْرةً وعشيَّةً ، فلمَّا ابْتُلِىَ المسلمون خرَجَ أبو بكرٍ مُهاجِرًا نحوَ أرضِ الحبشةِ ، حتى إذا بلَغَ بَرْكَ الغِمادِ[5] لَقِيَه ابنُ الدَّغِنَةِ ، وهو سيدُ القارَةِ[6] . فذَكَرَتْ ما كانَ من رَدِّهِ لأبى بكرٍ إلى مكةَ وجوارِه له ، كما قدَّمْناه[7] [٢/ ١٤٠ظ] عندَ هِجْرَةِ الحَبَشةِ ، إلى قولِه : فقال أبو بكرٍ : فإنى أَرُدُّ عليك جِوارَك وأرضَى بجوارِ اللَّهِ . قالتْ : والنبىُّ ﷺ يومَئذٍ بمكةَ ، فقال النبىُّ ﷺ للمسلمين : « إنِّى أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكُم ذاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ » . وهما الحَرَّتانِ[8] ، فهاجَرَ مَنْ هاجَرَ قِبَلَ المدينةِ ، ورجَعَ بعضُ مَن كان هاجَرَ قِبَلَ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٦، عن موسى بن عقبة عن الزهرى .

(٢) تقدم فى صفحة ٤٤٨ .

(٣ - ٣) فى ص : « مسلم » .

(٤) البخارى (٣٩٠٥) .

(٥) برك الغماد : موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن . انظر الفتح ٧/ ٢٣٢ .

(٦) القارة : قبيلة مشهورة من بنى الهُون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكانوا حلفاء بنى زهرة من قريش . انظر المصدر السابق ٧/ ٢٣٣ .

(٧) تقدم فى صفحة ٢٣٢ .

(٨) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٣٤: قوله : وهما الحرتان . مدرج فى الخبر ، وهو من تفسير الزهرى ، والحرة : أرض حجارتها سود .

الحبشةِ إلى المدينةِ ، وتجهَّزَ أبو بكرٍ مُهاجرًا قِبَلَ المدينةِ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَى رِسْلِكِ ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي » . فقال أبو بكرٍ : وهل تَرْجُو ذلك بأبى أنت وأمِّى ؟ قال : « نعَمْ » . فحبَسَ أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَه ، وعلَفَ راحلتَيْن كانَتا عندَه ، ورَقَ السَّمُرِ - وهو الخَبَطُ[1] - أربعةَ أشْهرٍ ، [2]وذكَر بعضُهم[3] أنَّه علَفَهما ستةَ أَشْهُرٍ[2] .

قال ابنُ شِهابٍ[4] ؛ قال عُرْوةُ : قالَتْ عائشةُ : فبينَما نحن يومًا جُلُوسٌ فى بيتِ أبى بكرٍ فى نَحْرِ الظَّهيرةِ[5] . فقال قائلٌ لأبى بكرٍ : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[6] فى ساعةٍ لم يَكنْ يَأْتينا فيها . فقال أبو بكرٍ : فداءٌ له أبى وأمِّى ، واللَّهِ ما جاءَ به فى هذه الساعةِ إلا أمْرٌ . قالَتْ : فجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فاسْتَأْذَنَ فأُذِنَ له ، فدخَل فقال النبىُّ ﷺ : « أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ » . فقال أبو بكرٍ : إنما هم أهلُك ، بأبى أنت يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فإنَّه قد أُذِنَ لى فى الخروجِ » . فقال أبو بكرٍ : الصَّحابةَ[7] ، بأبى أنت وأمى . قال النبىُّ ﷺ : « نَعَمْ » . قال أبو بكرٍ : فَخُذْ ، بأبى أنت يا رسولَ اللَّهِ ، إحدى راحِلَتَيَّ هاتَيْنِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بالثَّمَنِ » . قالَتْ عائشةُ : فجهَّزْناهما

---

(١) قال الحافظ : وهو الخبط ، مدرج أيضا فى الخبر ، وهو من تفسير الزهرى . ويقال : السمر شجرة أم غيلان . وقيل : كل ما له ظل ثخين . وقيل : السمر ورق الطلح . والخبط : ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر . المصدر السابق .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وهذه العبارة من كلام المصنف .

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣٠/ ٧٩.

(٤) من هنا عودٌ إلى سياق حديث البخارى . قال الحافظ : هو بالإسناد المذكور أولًا .

(٥) فى الأصل ، م : « حر » . قال الحافظ : فى نحر الظهيرة . أى أول الزوال وهو أشد ما يكون فى حرارة النهار . الفتح ٧/٢٣٥ .

(٦) متقنعا : مغطيا رأسه .

(٧) أى أريد المُصاحَبَة . المصدر السابق .

أَحَثَّ الجَهازِ[1] ، فصنَعْنا لهما سُفْرةً فى جِرَابٍ ، فقطَعتْ أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ قِطْعةً مِن نِطاقِها ، فربَطَتْ به على فمِ الجِرَابِ ، فلذلك سُمِّيَتْ ذاتَ النِّطَاقَيْنِ . قالتْ : ثُم لحِقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ بغارٍ فى جبلِ ثَوْرٍ ، فمكَثا فيه ثلاثَ ليالٍ يَبيتُ عندَهما عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ[2] لَقِنٌ[3] ، فيَدَّلِجُ[4] مِن عندِهما بسَحَرٍ فيُصْبِحُ معَ قُرَيْشٍ بمكةَ كبائتٍ ، لا يَسْمَعُ أمرًا يُكْتادان به[5] إلا وعَاه ، حتى يَأْتِيَهما بخبرِ ذلك حينَ يَخْتَلِطُ الظلامُ ، ويَرْعَى عليهما عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولَى أبى بكرٍ مِنْحةً مِن غنمٍ ، فيُرِيحُها عليهما حينَ يَذْهَبُ ساعةٌ مِن العِشاءِ ، فيَبِيتانِ فى رِسْلٍ - وهو لبنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفِهما[6] - حتى يَنْعِقَ[7] بها عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ بغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذلك فى كلِّ ليلةٍ مِن تلك الليالى الثَّلاثِ ، واسْتَأْجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ رجلًا مِن بنى الدِّيلِ ، وهو مِن بنى عبدِ بنِ عَدِىٍّ هاديًا خِرِّيتًا - والخِرِّيتُ : الماهرُ بالهِدايةِ[8] - قد غمَسَ حِلْفًا[9] فى آلِ العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمِىِّ وهو على دينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ ، فأَمِنَاه فدفَعا إليه

---

(١) قال الحافظ : أحث أفعل تفضيل من الحث ، وهو الإسراع ... والجهاز : هو ما يحتاج إليه فى السفر . المصدر السابق .

(٢) بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز إسكانها وفتحها ، وبعدها فاء : الحاذق ، تقول : ثقفت الشىء . إذا أقمت عوجه . المصدر السابق ٢٣٧/٧ .

(٣) اللقن : السريع الفهم .

(٤) يدلج : يخرج بسَحَر إلى مكة .

(٥) أى يطلب لهما فيه المكروه .

(٦) فى م : « رضيعهما » . قال الحافظ : أى اللبن المرضوف أى التى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس أو النار ، لينعقد وتزول رخاوته . المصدر السابق .

(٧) قال الحافظ : أى يصيح بغنمه ، والنعيق صوت الراعى إذا زجر الغنم . المصدر السابق .

(٨) قال الحافظ : والخريت : الماهر بالهداية . هو مدرج فى الخبر من كلام الزهرى . المصدر السابق ٢٣٨/٧ .

(٩) قال الحافظ : أى كان حليفا ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم أو خلوق أو فى شىء يكون فيه تلويث ، فيكون ذلك تأكيدًا للحلف . المصدر السابق .

راحِلَتَيْهما ، وواعَدَاه غارَ ثَوْرٍ بعدَ ثلاثِ ليالٍ ، براحِلَتَيْهِما صُبْحَ ثلاثِ ليالٍ ، وانطلَقَ معَهما عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ والدليلُ ، فأخَذَ بهم طريقَ السَّواحلِ .

قال ابنُ شِهابٍ[(١)] : فأخبرَنى عبدُ الرحمنِ بنُ مالكٍ المُدْلجِىُّ - وهو ابنُ أخى سُراقةَ - أنَّ أباه أخبرَه أنه سمِع سُراقةَ بنَ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ يقولُ : جاءَنا رسُلُ كُفّارِ قريشٍ يَجْعَلون فى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبى بكرٍ ديةَ[(٢)] كلٌّ واحدٍ منهما لمَن قتلَه أو أسَرَه ، فبينَما أنا جالسٌ فى مَجْلِسٍ مِن مجالسِ قَوْمى بنى مُدْلِجٍ[(٣)] ، أقبَلَ رجلٌ منهم حتى قامَ علينا ونحن جلوسٌ ، فقال : يا سُرَاقَةُ ، إنى رأَيْتُ آنِفًا أَسْودةً بالساحلِ أُرَاها محمدًا وأَصْحَابَه . قال سُرَاقةُ : فعرَفْتُ أَنَّهم هم فقلْتُ له : إنَّهم ليْسوا بهم ، ولكنَّك رأَيْتَ فلانًا وفلانًا انطلَقُوا بأعيننا . ثُم لَبِثْتُ فى المجْلِسِ ساعةً ثُم قمْتُ فدخَلْتُ ، فأَمَرْتُ جارِيَتِى أَنْ تَخْرُجَ بفرَسى وهى مِن وراءِ أَكَمَةٍ فتَحْبِسَها علىَّ ، وأخَذْتُ رُمْحِى ، فخَرَجْتُ مِن ظَهْرِ البيتِ ، فخطَطْتُ بزُجِّه[(٤)] الأرضَ وخفَضْتُ[(٥)] عاليَه ، حتى أَتَيْتُ فرَسى فركِبْتُها ، [(٦)]فرَفعْتُها تُقَرِّبُ[(٦)] بى حتى دنَوْتُ منهم ، فعثَرَتْ بى فَرَسِى فخرَرْتُ عنها ، فقُمْتُ فأهوَيْتُ يَدَىَّ إلى كِنانَتِى فاستخرَجْتُ منها الأَزْلامَ ، [٢/ ١٤١و] فاستَقْسَمْتُ بها أَضُرُّهم أمْ لا ، فخرَج الذى أَكْرَهُ ، فرَكِبْتُ فرَسى - وعصَيْتُ

---

(١) البخارى (٣٩٠٦) معلقا . قال الحافظ : هو موصول بإسناد حديث عائشة (٣٩٠٥) . الفتح ٧/ ٢٤٠ .

(٢) قال الحافظ : دية كل واحد . أى مائة من الإبل . المصدر السابق .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « إذ » .

(٤) الزج : الحديدة التى فى أسفل الرمح . الوسيط (ز ج ج) .

(٥) قال الحافظ : « وخفضت » : أى أمسكه بيده وجَرَّ زُجّه على الأرض لئلا يظهر بَرِيقُه لمن بعد منه ؛ لأنه كره أن يتبعه منهم أحد فيشركوه فى الجعالة . المصدر السابق ٧/ ٢٤١ .

(٦ - ٦) فى م : « فدفعتها ففرت » . قال الحافظ : قوله : فرفعتها : أى أسرعت بها السير . قوله : « تقرب بى » : التقريب السير دون العدو وفوق العادة . وقيل : أن ترفع الفرس يديها معا وتضعهما معا . المصدر السابق .

الأَزْلامَ[1] - تُقَرِّبُ بى ، حتى إذا سمِعْتُ قِراءةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو لا يَلْتَفِتُ وأبو بكرٍ يُكْثِرُ الالتِفاتَ ، ساخَتْ[2] يَدَا فَرَسِى فى الأَرْضِ حتى بلَغَتا الرُّكْبَتَيْنِ ، فخَرَرْتُ عنها[3] ، ثُم زجَرْتُها فنهَضَتْ ، فلم تكَدْ تُخْرِجُ يدَيْها ، فلمَّا استَوَتْ قائمةً إذا لِأَثَرِ يدَيْها غُبارٌ ساطِعٌ فى السماءِ مثلُ الدُّخانِ ، فاسْتَقْسَمْتُ الأَزْلامَ فخرَجَ الذى أَكْرَهُ ، فنادَيْتُهم بِالأمانِ ، فوقَفوا ، فرَكِبْتُ فرَسى حتى جِئْتُهم ، ووقَع فى نفسى حينَ لقِيتُ ما لَقِيتُ مِن الحَبْسِ عنهم أنْ سيَظْهَرُ أَمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقلْتُ له : إنَّ قومَك قد جعَلوا فيك الديةَ . وأخبرْتُهم أخبارَ ما يريدُ الناسُ بهم ، وعرَضْتُ عليهم الزادَ والمتاعَ ، فلم يَرْزَآنِى[4] ولم يَسْأَلانى إلَّا أنْ قال[5] : « أخْفِ عَنَّا » . فسأَلْتُه أنْ يَكْتُبَ لى كتابَ أَمْنٍ ، فأمرَ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ فكتَبَ فى[6] رُقْعةٍ مِن أدَمٍ ، ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ .

[7]وقد روَى محمدُ بنُ إسْحاقَ[8] ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ ، عن أبيه ، عن عمِّه سُراقةَ ، فذكَر هذه القِصَّةَ ، إلا أنَّه ذكَرَ أنه استَقْسَمَ بالأَزْلامِ أولَ ما خرَجَ مِن مَنْزِلِه ، فخرَجَ السَّهْمُ الذى يَكْرَهُ ؛ لا يضُرُّه ، وذكَرَ أنه عثَرَ به فرسُه أربعَ مرّاتٍ ، وكلُّ ذلك يَسْتَقْسِمُ بالأزلامِ ويَخْرُجُ الذى يَكْرَهُ ؛ لا يَضُرُّه ، حتَّى ناداهم بالأَمانِ ، وسأل أن يَكْتُبَ له كِتابًا[7]

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « فجعل فرسى » .

(٢) ساخت : غاصت .

(٣) بعده فى الأصل : « فقمت فأهويت » ، وبعده فى م : « فأهويت » .

(٤) قال الحافظ : فلم يرزآنى . أى لم ينقصانى مما معى شيئا . المصدر السابق ٢٤٢/٧ .

(٥) فى م : « قالا » .

(٦) فى الأصل ، م : « لى » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) سيرة ابن هشام ٤٨٩/١ ، ٤٩٠ .

(1) يَكونُ أَمارةَ ما بيْنَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: فكتَبَ لى كتابًا فى عَظْمٍ، أو رُقْعةٍ أو خِرْقةٍ. وذكَرَ أنَّه جاءَ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بالجِعْرَانَةِ مَرْجِعَه مِن الطائفِ، فقال له: «يَوْمُ وَفَاءٍ وَبِرٍّ، ادْنُهْ». فدنَوْتُ منه وأسلَمْتُ.

قال ابنُ هِشامٍ[2]: هو عبدُ الرحمنِ بنُ الحارثِ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ. وهذا الذى قاله جيِّدٌ[3].

ولمَّا رجَع سُراقةُ، جعَل لا يَلْقَى أحدًا مِن الطَّلَبِ إلَّا رَدَّه وقال: كُفِيتُم هذا الوجْهَ. فلمَّا ظهرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد وصَل إلى المدينةِ، جعَل سُراقةُ يَقُصُّ على الناسِ ما رأَى وما شاهَدَ مِن أمرِ النبيِّ ﷺ، وما كان مِن قضيةِ جَوادِه، واشْتُهِر هذا عنه، فخافَ رؤساءُ قُرَيْشٍ مَعَرَّتَه، وخشُوا أنْ يَكونَ ذلك سببًا لإسْلامِ كثيرٍ منهم، وكان سُراقةُ أميرَ[4] بنى مُدْلِجٍ ورئيسَهم، فكتَبَ أبو جهلٍ، لعَنه اللَّهُ، إليهم:

بنى مُدْلِجٍ إنى أَخافُ سفيهَكُمْ ... سُراقَةَ مُسْتَغْوٍ لنَصْرِ محمدِ

عليكم به ألَّا يُفَرِّقَ جَمْعَكم ... فيُصْبِحَ شتَّى بعدَ عِزٍّ وسُؤْدُدِ

قال: فقال سُرَاقةُ بنُ مالكٍ يُجيبُ أبا جهلٍ فى قولِه هذا:

أبا حَكَمٍ واللَّهِ لو كنتَ شاهدًا ... لأمْرِ جَوادى إذ تَسُوخُ قوائِمُهْ (1)

(1 - 1) سقط من: الأصل.

(2) سيرة ابن هشام 1/ 491.

(3) الصحيح أنه عبد الرحمن بن مالك بن مالك بن جعشم، وهو الذى يروى عن عمه سراقة بن مالك، وعن أبيه مالك بن مالك، وأخرج الحافظ المزى هذا الخبر مطولًا بإسناده إلى عبد الرحمن هذا، فى ترجمته، تهذيب الكمال 17/379 - 381. وانظر التقريب 1/496.

(4) فى ا 15: «من».

(١ عجِبْتَ ولم تَشْكُكْ بأنَّ محمدًا رسولٌ وبرهانٌ فمَن ذا يُقاوِمُهْ[٢]

عليكَ بكفِّ القومِ عنه فإنَّنى إخالُ لنا يومًا ستَبْدو معالـمُهْ

بأمرٍ تَوَدُّ النَّصْرَ فيه فإنَّهـم وإنَّ جميعَ الناسِ طُرًّا[٣] مُسالـمُهْ

وذكَر هذا الشِّعرَ الأُمويُّ فى «مَغازيه» بسندِه، عن ابنِ[٤] إسْحاقَ.

وقد روَاه أبو نُعَيْم[٥] بسنَدِه مِن طريقِ زِيادٍ، عن ابنِ إسْحاقَ، وزادَ فى شِعْرِ أبى جَهْلٍ، لعَنه اللّٰهُ، أبْياتًا تتَضَمَّنُ كُفْرًا بليغًا ١).

وقال البخاريُّ[٦] بسنَدِه إلى ابنِ شِهابٍ، فأخبَرَنى عُرْوةُ بنُ الزُّبَيْرِ أنَّ رسولَ اللّٰهِ ﷺ لَقِىَ الزبيرَ فى رَكْبٍ مِن المسلمين، كانوا تُجَّارًا قافِلينَ مِن الشامِ، فكسَا الزبيرُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ وأبا بكرٍ ثيابَ بَياضٍ، وسَمِع المسلمون بالمدينةِ بمَخْرَجِ رسولِ اللّٰهِ ﷺ مِن مكَّةَ، فكانوا يَغْدُونَ كلَّ غَداةٍ إلى الحَرَّةِ، فيَنْتَظِرونه حتى يَرُدَّهم حَرُّ الظَّهيرةِ، فانقَلَبوا يومًا بعدَما أَطالوا انتِظارَهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتِهم، أَوْفَى[٧] رجلٌ مِن اليهودِ على أُطُمٍ[٨] مِن آطامِهم لأمْرٍ يَنْظُرُ إليه، فبَصُر برسولِ اللّٰهِ ﷺ وأصحابِه مُبَيِّضين يَزولُ بهم السَّرابُ[٩]، فلم يَمْلِكِ اليهوديُّ أنْ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ا ١٥، ص: «يكاتمه».

(٣) الطر: الجماعة. اللسان (ط ر ر).

(٤) فى م، ص: «أبى».

(٥) فى دلائل النبوة (٢٣٧).

(٦) البخارى (٣٩٠٦).

(٧) أوفى: طلع إلى مكان عال فأشرف منه. الفتح ٧/ ٢٤٣.

(٨) الأطم: حصن مبنى بحجارة. اللسان (أ ط م).

(٩) قال الحافظ: مبيضين: أى عليهم الثياب البيض. ويزول بهم السراب. أى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له، وقيل: معناه ظهرت حركتهم للعين. الفتح ٧/٢٤٣.

قال بأعْلَى صوتِه : يا مَعْشَرَ العرَبِ ، هذا جَدُّكم[1] الذى تَنْتَظِرون . فثارَ المسْلمون إلى السِّلاحِ ، فتلَقَّوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ بظَهْرِ الحَرَّةِ ، فعدَلَ بهم ذاتَ اليمينِ ، حتى نزلَ بهم فى بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ ، وذلك يومَ الاثْنَيْنِ مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ ، فقامَ أبو بكرٍ للناسِ ، وجلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ صامِتًا ، فطَفِقَ مَن جاءَ مِن الأَنْصارِ مِمَّن لم يرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّى أبا بكرٍ ، حتى أصابَتِ الشمسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأَقبَلَ أبو بكرٍ حتى ظَلَّلَ عليه بردائِه ، فعرَف الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عندَ ذلك ، فلَبِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ بِضْعَ عشْرةَ ليلةً ، وأَسَّسَ المَسْجِدَ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى ، وصلَّى فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُم رَكِبَ راحلتَه وسار يَمْشِى معَه الناسُ ، حتى بَرَكَتْ عندَ مَسْجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ، وهو يُصَلِّى فيه يومَئِذٍ رِجالٌ مِن المسْلمين ، وكان مِرْبَدًا[2] للتَّمْرِ لسُهَيْلٍ وسَهْلٍ ، غلامَيْن يَتيمَيْن فى حِجْرِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ بَرَكَتْ به راحلتُه : « هَذَا إنْ شَاءَ اللَّهُ المنزِلُ » . ثُم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الغلامَيْن فساوَمَهما بالمِرْبَدِ ليَتَّخِذَه مَسْجِدًا ، فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللَّهِ . فأَبَى رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَقْبَلَهُ منهما هِبةً ، حتى ابتاعَه مِنهما ، ثُم بَناه مَسْجِدًا ، فطفِقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ معَهم اللَّبِنَ فى بُنْيانِه ، ويَقولُ وهو يَنْقُلُ اللبِنَ :

« هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ[3] ... هَـذا أَبَـرُّ ربَّـنـا وأَطْـهَـرْ »

---

(١) هذا جدكم : أى حظكم وصاحب دولتكم الذى تتوقعونه . انظر المصدر السابق .

(٢) المربد : ما يجفف فيه التمر . الوسيط (ر ب د) .

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٤٦ : قوله : « هذا الحمال » ... أى هذا المحمول من اللبنِ ... ، وحمال خيبر : أى التى يحمل منها التمر والزبيب ونحو ذلك .

[٢/١٤١ظ] ويقولُ :

« اللَّهُمَّ[(١)] إنَّ الأَجْرَ أجرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنصارَ والمُهَاجِرَهْ »

فتَمَثَّلَ بشِعْرِ رجلٍ مِن المسلمين لم يُسَمَّ لى . قال ابنُ شِهابٍ : ولم يَبْلُغْنا فى الأَحاديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ ببيتِ شِعْرٍ تامٍّ غيرِ هذه الأَبياتِ . هذا لفظُ البخاريِّ ، وقد تفرَّدَ بروايتِه دونَ مُسْلِمٍ ، وله شواهدُ مِن وجوهٍ أُخَرَ ، وليس فيه قِصَّةُ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعيَّةِ ، ولْنَذْكُرْ هنا ما يُناسِبُ ذلك مُرَتَّبًا أولًا فأولًا :

قال الإمامُ أَحمدُ[(٢)] : حدَّثَنا عمرُو بنُ محمدٍ أبو سعيدٍ العَنْقَزِيُّ[(٣)] ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ قال : اشترَى أبو بكرٍ [(٤)] مِن عَازِبٍ [(٤)] سَرْجًا بثلاثةَ عشَرَ دِرهمًا ، فقال أبو بكرٍ لعَازِبٍ : مُرِ البَراءَ فلْيَحْمِلْه إلى منزِلى . فقال : لا حتى تُحَدِّثَنا كَيفَ صنَعْتَ حينَ خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنت معَه . فقال أبو بكرٍ : خرَجْنا فأدْلَجْنا فأَحثَثْنا[(٥)] يومَنا وليلتَنا ، حتى أظهَرْنا وقام قائمُ الظَّهيرةِ ، فضرَبْتُ بصَرى هل أرى ظِلًّا نأْوِى إليه ، فإذا أنا بصَخْرةٍ ، فأهوَيْتُ إليها ، فإذا بقيةُ ظِلِّها ، فسوَّيْتُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ وفرَشْتُ له فَرْوةً وقلتُ : اضطجِعْ يا رسولَ اللَّه . فاضطَجَعَ ، ثُم[(٦)] خَرَجْتُ أَنْظُرُ هل أرَى أحدًا

---

(١) فى النسخ : « لاهم » . والمثبت من البخارى .

(٢) المسند ١/ ٢، ٣. (إسناده صحيح) .

(٣) فى ا ١٥: « العبقرى » ، وفى ص : « العنفرى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٢٠.

(٤ - ٤) سقط من : ا ١٥.

(٥) فى ا ١٥: « فأحيينا » . وأحثثنا : أسرعنا السير .

(٦) فى الأصل : « حتى » .

مِن الطَّلَبِ ، فإذا أنا براعى غَنَمٍ ، فقلت : لِمَن أنت يا غُلامُ ؟ فقال : لرجلٍ مِن قريشٍ . فسمَّاه فعرَفْتُه ، فقلتُ : هل فى غَنمِك مِن لَبَنٍ ؟ قال : نعَمْ . قلت : هل أنت حالبٌ لى ؟ قال : نعَمْ . فأمَرْتُه فاعتَقَلَ شاةً منها ، ثُم أمَرْتُه فنفَضَ ضَرْعَها مِن الغُبارِ ، ثُم أمَرْتُه فنفَضَ كفَّيْه مِن الغُبارِ ، ومعى إداوةٌ على فمِها خِرقةٌ ، فحلَبَ لى كُثْبةً[1] مِن اللَّبَنِ فصببْتُ - [2]يَعْنى الماءَ[2] - على القَدَحِ حتى برَدَ أسفلُه ، ثُم أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فوافَيْتُه وقد استيقَظ ، فقلت : اشرَبْ يا رسولَ اللَّهِ . فشَرِبَ حتى رضِيتُ ، ثُم قلْت : هل آنَ الرحيلُ ؟ فارتحَلْنا والقومُ يَطْلُبونَنا ، فلم يُدْرِكْنا أحدٌ منهم إلا سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعْشُمٍ على فَرَسٍ له ، فقلت : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا الطلَبُ قد لحِقَنا . قال : « لا تَحْزَنْ ، إنَّ اللَّهَ معَنا » . حتى إذا دَنا منا فكان بينَنا وبينَه قَدْرُ رُمحٍ أو رُمْحَيْن - أو قال : رُمْحَيْن أو ثلاثةً - قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا الطَّلَبُ قد لحِقَنا . وبكَيْتُ ، قال : لِمَ تَبْكِى ؟ قال[3] : قلت : أمَا واللَّهِ ما على نفْسى أَبْكِى ، ولكن أَبْكِى عليك . فدَعا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بمَا شِئْتَ » . فساخَتْ قوائمُ فَرَسِهِ إلى بطنِها فى أرضٍ صَلْدٍ ، ووثَب عنها وقال : يا محمدُ ، قد علِمْتُ أنَّ هذا عملُك ، فادعُ اللَّهَ أن يُنجِيَنى مِمَّا أنا فيه ، فواللَّهِ لأُعَمِّيَنَّ على مَن وَرائى مِن الطَّلَبِ ، وهذه كِنانتى فَخُذْ منها سَهْمًا ، فإنك ستَمُرُّ بإبِلِى وغَنَمى بمَوْضِعِ كذا وكذا ، فَخُذْ منها حاجتَك . قال[4] : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا حاجةَ لى

---

(١) الكثبة من اللبن : القليل منه . اللسان (ك ث ب) .

(٢ - ٢) سقط من : النسخ . والمثبت من المسند .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فيها » . قال[1] : ودَعا له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأُطْلِقَ ورجَع إلى أَصْحابِه ، ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا معَه ، حتى قَدِمْنا المدينةَ وتلقَّاه الناسُ ، فخرَجوا فى الطُّرُقِ وعلى الأجاجِيرِ[2] ، واشتدَّ الخَدَمُ والصِّبْيانُ فى الطريقِ يقولون[3] : اللَّهُ أكبرُ ، [4]جاءَ رسولُ اللَّهِ[4] ، جاءَ محمدٌ . قال : وتَنازَعَ القومُ أيُّهم يَنْزِلُ عليه . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْزِلُ اللَّيْلَةَ عَلَى بَنِى النَّجَّارِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ لأُكْرِمَهُم بِذَلِكَ » . فلمَّا أَصْبحَ غدا حيث أُمِرَ . قال البَراءُ : أولُ مَنْ قدِمَ علينا مِن المهاجرين مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ ، أخو بنى عبدِ الدَّارِ ، ثُم قَدِمَ علينا ابنُ أمِّ مَكْتُومٍ الأعْمَى ، أحدُ بنى فِهْرٍ ، ثُم قدِمَ علينا عمرُ بنُ الخطابِ فى عِشْرِينَ راكبًا ، فقلْنا : ما فعلَ [٢/١٤٢و] رسولُ اللَّهِ ؟ قال : هو على أَثَرِى . ثُم قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ معَه . قال البَراءُ : ولم يَقْدَمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى قرأْتُ سُوَرًا مِن المُفَصَّلِ . أخرَجاه فى « الصحيحَيْن »[5] مِن حديثِ إسْرائيلَ بدونِ قَوْلِ البراءِ : أولُ مَن قدِمَ علينا ... إلخ . فقد انفرَدَ به مسلمٌ ، فروَاه مِن طريقِ إسْرائيلَ به .

وقال ابنُ إسْحاقَ[6] : فأقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الغارِ ثلاثًا ومعَه أبو بكرٍ ، وجعَلَتْ قريشٌ فيه حينَ فقَدوه مائةَ ناقةٍ لِمَن رَدَّه عليهم ، فلمّا مضَتِ الثلاثُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) أجاجير : جمع إجّار ، وهو السطح ، بلغة الشام والحجاز . اللسان (أ ج ر) .

(٣) سقط من : ا ١٥ ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) البخارى (٣٦٥٢) ، ومسلم ٤/٢٣٠٩ (٢٠٠٩) ، ولم نجد فى صحيح مسلم الزيادة التى أشار إليها المصنف أنه انفرد بها دون البخارى ، ولعل المصنف تابع فى ذلك الحافظ البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٦٤، ٤٦٥ .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦.

وسكَنَ عنهما الناسُ ، أتاهما صاحبُهما الذى استأْجَراه ببعيرَيْهما وبعيرٍ له ، وأتَتْهما أسماءُ بنتُ أبى بكرٍ بسُفْرتِهما ، ونَسِيَتْ أنْ تَجْعَلَ لها عِصَامًا[1] ، فلمّا ارتحَلا ذهبَتْ لتُعَلِّقَ السُّفْرَةَ فإذا ليس لها[2] عِصامٌ ، [3]فحَلَّتْ نِطَاقَهَا فجعَلَتْه[3] عِصامًا ، ثُم علَّقَتْها به ، فكان يُقالُ لها : ذاتُ النِّطَاقِ . لذلك .

قال ابنُ إسْحاقَ[4] : فلمَّا قَرَّبَ أبو بكرٍ الراحلتَيْن إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قَدَّمَ له أفضلَهما ثُم قال : ارْكَبْ فِدَاكَ أبى وأمِّى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّى لَا أَرْكَبُ بَعِيرًا لَيْسَ لِى » . قال : فهى لك يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأمى . قال : « لَا وَلَكِنْ مَا الثَّمَنُ الَّذِى ابْتَعْتَهَا بِهِ ؟ » قال : كذا وكذا . قال : « أَخَذْتُهَا بِذَلِكَ » . قال : هى لك يا رسولَ اللَّهِ .

وروَى الواقدىُّ[5] بأسانيدِه ، أنه عليه السلامُ أخذَ القَصْوَاءَ . قال : وكان أبو بكرٍ اشتَرَاهما بثمانِمائةِ دِرْهَمٍ . وروَى ابنُ عَسَاكِرَ[6] مِن طريقِ أبى أُسامةَ ، [7]عن هشامٍ ، عن أبيه[7] ، عن عائشةَ قالَتْ : وهى الجَدْعَاءُ . [8]وهكذا حكى السُّهَيْلِىُّ[9] ، عن ابنِ إسْحاقَ أنها الجَدْعاءُ . واللَّهُ أعلمُ[8] .

---

(١) العصام : جمع عُصُم : وهو رباط كل شيء . اللسان (ع ص م) .
(٢) فى الأصل ، م ، ص : « فيها » .
(٣ - ٣) فى النسخ والسيرة : « فتحل نطاقها فتجعل » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٢/ ٣٧٩ من رواية محمد بن إسحاق .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٦.
(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.
(٦) أخرجه البخارى (٤٠٩٣) من طريق أبى أسامة به .
(٧ - ٧) سقط من : الأصل .
(٨ - ٨) سقط من : الأصل .
(٩) الروض الأنف ٤/ ٢٠٥.

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : فركِبا وانطلَقا ، وأردَفَ أبو بكرٍ عامرَ بنَ فُهَيْرَةَ مولاه خلْفَه ؛ ليَخْدِمَهما في الطريقِ ، فحُدِّثْتُ عن أسماءَ أنها قالَتْ : لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، أتانا نَفَرٌ [2]مِن قريشٍ[2] فيهم أبو جهلٍ . فذكَر ضَرْبَه لها على خدِّها لَطْمةً ، طرَح منها قُرْطَها مِن أُذُنِها كما تقدَّمَ[3] . قالَتْ : فمكَثْنا[4] ثلاثَ ليالٍ ما نَدْرِى أينَ وَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى أقبلَ رَجُلٌ مِن الجنِّ مِن أسفلِ مكةَ يَتَغَنَّى بأبياتٍ مِن شِعْرِ غِناءَ العربِ ، وإنَّ الناسَ لَيَتْبَعونَه ، يَسْمَعُون صوتَه وما يرَوْنه ، حتى خرَج مِن أعْلَى مكةَ وهو يَقولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جزائِه رفيقَيْن حَلَّا خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلَا بالبِرِّ ثُم تَرَوَّحا فأَفلحَ مَن أمسى رفيقَ محمدِ

لِيَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فَتاتِهم ومَقْعَدُها للمؤمنينَ بمَرْصَدِ[5]

قالتْ أسماءُ : فلمَّا سمِعْنا قولَه عرَفْنا حيث وَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأنَّ وجْهَه إلى المدينةِ .

قال ابنُ إسْحاقَ[6] : وكانوا أربعةً ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيرةَ مولى أبى بكرٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أَرْقَدَ[7] . كذا يَقولُ ابنُ إسْحاقَ ، والمشهورُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) تقدم فى صفحة ٤٤٧ .
(٤) فى ا ١٥ : « فمكثا » .
(٥) المرصد : الطريق . اللسان (ر ص د) .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٨.
(٧) كذا فى النسخ ، وفى السيرة : « أرقط » . وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٠، وفتح البارى ٧/ ٢٣٧، ٢٣٨.

عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطِ الدُّئِليُّ ، وكان إذ ذاك مُشْرِكًا .

قال ابنُ إسْحاقَ[1] : ولمّا خرَجَ بهما دليلُهما عبدُ اللَّهِ بنُ أَرْقَدَ ، سلَكَ بهما أسفلَ مكةَ ، ثُم مضَى بهما على الساحلِ ، حتى عارَضَ الطريقَ أسفلَ مِن عُسْفانَ ، ثُم سلَكَ بهما على أسفلِ أَمَجَ ، ثُم استجازَ بهما حتى عارَضَ الطريقَ بعدَ أن أجاز قُدَيْدًا ، ثُم أجاز بهما مِن مكانِه ذلك فسلَك بهما الخَرَّارَ[2] ثم أجاز بهما ثَنِيَّةَ المَرَةِ ، ثُم سلَك بهما لَقْفًا ، ثُم أجازَ بهما مَدْلَجَةَ لَقْفٍ ، ثُم استَبْطَن بهما مَدْلَجَةَ مِجاحٍ ، ثُم سلَك بهما مَرْجِحَ مجاجٍ ، ثُم تَبَطَّنَ بهما مَرْجِحَ مِن ذى الغَضَوَيْنِ ، ثُم بطنَ [٢/١٤٢ظ] ذى كَشْرٍ[3] ، ثُم أخَذ بهما على الجداجِدِ[4] ، ثُم على الأَجْردِ ، ثُم سلَك بهما ذا سَلَمٍ مِن بطنِ أعداءِ مَدْلَجَةِ تِعْهِنَ ، ثُم على العبابيدِ ، ثُم أجاز بهما القاحةَ ، ثُم هبَطَ بهما العَرْجَ ، وقد أبْطَأَ عليهم بعضُ ظَهْرِهم ، فحمَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ رجلٌ مِن أَسْلَمَ يقالُ له : أَوْسُ بنُ حُجْرٍ على جَمَلٍ يُقالُ له : ابنُ الرداءِ . إلى المدينةِ وبعَث معَه غلامًا له[5] يُقالُ له : مسعودُ بنُ هُنَيْدَةَ . ثُم[6] خرَجَ بهما [7]دليلُهما مِن العَرْجِ ،[7]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩١.

(٢) فى الأصل ، ا ١٥، ص : « الحرار » . والخرار موضع قرب الجحفة . وقيل غير ذلك . انظر معجم البلدان ٢/ ٤٠٨.

(٣) فى النسخ : « كشد » . والمثبت من السيرة ، وانظر معجم البلدان ٤/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) فى ا ١٥: « الجداد » . قال السهيلى فى الروض ٤/ ٢٥٠: الجداجد : جمع جُدْجُد ، وأحسبها آبارا .

(٥) سقط من : م ، ص .

(٦) سقط من : م .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(1) فسلَك بهما ثَنِيَّةَ العائرِ عن يمينِ رَكوبة - (2) ويقالُ : ثَنِيَّةُ الغائرِ فيما قال ابنُ هِشامٍ (2) - حتى هبَطَ بهما بطنَ رِيمٍ ، ثُم قدِمَ بهما (1) قُباءً على بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، لاثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً خلَتْ مِن شهرِ ربيعٍ الأولِ يومَ الاثنيْنِ ، حينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ وكادَتِ الشمسُ تَعْتَدِلُ .

وقد روَى أبو نُعَيْمٍ (3) (4) مِن طريقِ الواقديِّ نحوًا مِن ذِكْرِ هذه المنازلِ ، وخالَفَه فى بعضِها . واللَّهُ أعلمُ .

قال أبو نُعَيْمٍ (4)(5) : حدَّثَنا أبو حامدِ (6) بنُ جَبَلَةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إِسْحاقَ هو (7) السَّرّاجُ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَبّادِ (8) بنِ موسى العِجْلِيُّ ، حدَّثَنى أخى موسَى ابنُ عَبّادٍ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ سَيّارٍ ، حدَّثنى إياسُ بنُ مالكِ بنِ الأَوْسِ الأَسْلَمِيُّ (9) ، عن أبيه قال : لَمّا هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، مَرُّوا بإبلٍ لنا بالجُحْفَةِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لِمَنْ هَذِهِ الإِبِلُ ؟ » فقالوا : لرجلٍ مِن أَسْلَمَ . (10) فالتفَتَ إلى أبِى بكرٍ فقال : « سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . فقال : « ما اسمُك ؟ » قال : مسعودٌ (10) .

(1 - 1) سقط من : ص .

(2 - 2) سقط من : ا 15 .

(3) أخرجه ابن سعد فى الطبقات 1/ 232، 233 ، من طريق الواقدى .

(4 - 4) سقط من : ص .

(5) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة 5/ 12، والحافظ فى الإصابة 5/ 708، 709، من طريق أبى العباس محمد بن إسحاق السراج به . وعزواه إلى أبى نعيم .

(6) فى الأصل، ا 15: «أبو جابر» .

(7) فى م، ص : «عن» . انظر سير أعلام النبلاء 14/ 388.

(8) فى م ، ص : «عبادة» .

(9) فى ص : «السلمى» . وانظر أسد الغابة 5/ 12.

(10 - 10) سقط من : ص .

فالتفتَ إلى أبى بكرٍ فقال : « سَعِدْتَ إنْ شَاءَ اللَّهُ » . قال : فأَتاه أبى فحمَلَه على جَمَلٍ يُقالُ له : ابنُ الرداءِ .

قلتُ : وقد تقدَّمَ[1] عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج مِن مكةَ يومَ الاثنينِ ، ودخَل المدينةَ يومَ الاثنَينْ . والظَّاهرُ أنَّ بَيْنَ خروجِه ، عليه السلامُ ، مِن مكةَ ودخولِه المدينةَ خَمْسَةَ عشَرَ يومًا ؛ لأنه أقامَ بغارِ ثَوْرٍ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم سلَك طريقَ الساحلِ ، وهى أَبْعَدُ مِن الطريقِ الجادَّةِ ، واجتاز فى مُرُورِه على أمِّ مَعْبَدٍ بنتِ كعبٍ مِن بنى كَعْبِ بنِ خُزاعَةَ ، قاله ابنُ هِشامٍ[2] . وقال يونسُ عن ابنِ إسْحَاقَ[3] : اسمُها عَاتِكَةُ بنتُ [4]خالدِ بنِ مُنْقِذٍ[4] بنِ ربيعةَ بنِ أَصْرَمَ . وقال الأُمويُّ : هى عَاتِكَةُ بنتُ تبيعٍ حليفِ بنى مُنْقِذِ بنِ ربيعةَ بنِ أَصْرَمَ بنِ ضَبِيسِ[5] ابن حَرامِ بنِ حُبْشِيَّةَ[6] بنِ كعبِ بنِ عمرٍو ، ولهذه المرأةِ مِن الولدِ ؛ مَعْبَدٌ ، ونضرةُ ، وحُنيدةُ ، بنو أبى مَعْبدٍ ، واسمُه أَكْثَمُ بنُ عبدِ العُزَّى بنِ مُنْقِذِ[7] بنِ رَبيعةَ بنِ أَصْرَمَ بن ضَبِيسٍ[5] ، وقصتُها مشهورةٌ مرويَّةٌ مِن طُرُقٍ يَشُدُّ بعضُها بعضًا .

وهذه قصةُ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعيَّةِ : قال يونسُ ، عن ابنِ إسْحاقَ[8] : فنزَل رسولُ

---

(١) صفحة ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٧.

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٩٣ ، من طريق يونس بن بكير به .

(٤ - ٤) فى النسخ : « خلف بن معبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الاستيعاب ٤/ ١٨٧٦، وأسد الغابة ٧/ ١٨٢.

(٥) فى الأصل ، ا ١٥: « صبيش » . وفى م ، ص : « صنبيس » . والمثبت من أسد الغابة ٧/ ١٨٢.

(٦) فى الأصل ، ا ١٥: « محبسة » . وفى م ، ص : « خيسة » . والمثبت من المصدر السابق .

(٧) فى النسخ : « معبد » . والمثبت من أسد الغابة ١/ ١٣٣ .

(٨) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٩٣ ، عن يونس به .

اللَّهِ ﷺ بخَيْمةِ أمِّ مَعْبَدٍ، واسمُها عاتكةُ بنتُ خالدِ بنِ مُنْقِذِ بنِ ربيعةَ بنِ أَصْرَمَ، فأَرادوا القِرَى فقالَتْ: واللَّهِ ما عندَنَا طعامٌ، ولا لنا مِنْحةٌ، ولا لنا شاةٌ إلا حائلٌ[1]. فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ ببعضِ غنمِها، فمسَح ضَرْعَها بيدِه، ودعا اللَّهَ، وحلَبَ فى العُسِّ[2] حتى أَرْغَى وقال: «اشْرَبِى يَا أُمَّ مَعْبَدٍ». فقالت: اشرَبْ فأَنْتَ أحَقُّ به. فردَّه عليها فشرِبَتْ، ثُم دعا بحائلٍ أخرى، ففعل بها مثلَ ذلك فشرِبه، ثُم دعا بحائلٍ أخرى، ففعَل بها مِثْلَ ذلك فسقَى دليلَه، ثُم دَعا بحائلٍ أُخْرَى ففعَل بها مثلَ ذلك فسقَى عامِرًا، ثُم تَرَوَّحَ، وطلَبَتْ قُرَيْشٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ، حتى بلَغوا أُمَّ مَعْبَدٍ فسأَلوا عنه، فقالوا: أرأَيْتِ محمدًا؟ [3]مِن حِلْيَتِه[3] كذا كذا، فوصَفوه لها، فقالت: [4]ما أَدْرى[4] ما تَقولونَ، [5]قد ضَافَنى[5] حالبُ الحائلِ. قالَتْ قُرَيْشٌ: فذاك الذى نُريدُ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[6]: حدَّثَنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ، حدَّثَنا يعقوبُ بنُ محمدٍ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عُقْبَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ جابرِ [١٤٣/٢و] بنِ عبدِ اللَّهِ، ثنا أبى، عن أبيه، عن جابرٍ قال: لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ مُهاجرَيْن فدخَلا الغارَ، إذا فى الغارِ جُحْرٌ، فأَلْقَمَه أبو بكرٍ عَقِبَه حتى أصْبَحَ؛ مخافةَ أنْ يَخْرُجَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منه شىءٌ، فأَقاما فى الغارِ ثلاثَ ليالٍ ثُم

(١) الحائل: هى التى لم تحمل. النهاية ٣/ ٢٢٧.
(٢) العس: القدح العظيم.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤ - ٤) سقط من: ١ ١٥.
(٥ - ٥) فى م: «قدمنا فتى».
(٦) كشف الأستار (١٧٤٢). قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/ ٥٥: رواه البزار، وفيه من لم أعرفه.

خرَجا ، حتى نزَلا بخيماتِ أمِّ مَعْبَدٍ ، فأرسلَتْ إليه أمُّ مَعْبَدٍ : إنى أَرَى وُجُوهًا حِسَانًا ، وإنَّ الحيَّ أقوَى على كرامتِكم منى . فلما أَمْسَوا عندَها ، بعَثَتْ مع ابنٍ لها صغيرٍ بشَفْرةٍ[1] وشاةٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْدُدِ الشَّفْرَةَ وهاتِ لى فَرَقًا » . - يعنى القَدَحَ - فأرسَلَتْ إليه أن لا لَبَنَ فيها ولا وَلَدَ . قال : « هاتِ لى فَرَقًا » . فجاءَتْ بفرَقٍ ، فضرَب ظهْرَهَا ، فاجْتَرَّتْ[2] ودَرَّتْ فحلَب فملأَ القَدَحَ ، فشَرِب وسقَى أبا بكرٍ ، ثُم حلَب فبعَث به[3] إلى أمِّ مَعْبَدٍ . ثُم قال البزَّارُ : لا نَعْلَمُه يُرْوَى إلا بهذا الإسنادِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عُقْبَةَ لا نَعْلَمُ أحدًا حَدَّثَ عنه إلا يَعْقُوبَ بنَ محمدٍ ، وإنْ كان مَعْروفًا فى النَّسَبِ .

وروى الحافظُ البَيْهَقِيُّ[4] مِن حديثِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيّا بنِ أبى زائدةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، ثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ الأَصْبِهانيِّ ، سمِعْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ أبى لَيْلَى يُحَدِّثُ[5] عن أبى بكرٍ الصديقِ قال : خرجْتُ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ ، فانتَهَيْنا إلى حَىٍّ مِن أحياءِ العربِ ، فنظَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بَيْتٍ مُنْتَحِيًا ، فقصَدَ إليه ، فلمَّا نزَلْنا لم يَكُنْ فيه إلا امرأةٌ فقالَتْ : يا عبدَ اللَّهِ ، إنما أنا امرأةٌ وليس معى أحدٌ ، فعلَيْكما بعظيمِ الحَىِّ إنْ أرَدْتُمُ القِرَى . قال : فلم يُجِبْهَا ، وذلك عندَ المساءِ ، فجاء ابنٌ لها بأَعْنُزٍ يَسُوقُها فقالَتْ : يا بُنَيَّ ، انطلِقْ بهذه العَنْزِ والشَّفْرةِ إلى هذين الرجُلين فَقُل لهما : تَقولُ لكما أُمِّى :

---

(١) الشفرة : السكين العريضة . النهاية ٢/ ٤٨٤.

(٢) الجِرّة : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه ، واجتر البعير : أخرج جرته . الوسيط (ج ر ر) .

(٣) فى م ، ص : « فيه » .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٤٩١.

(٥) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

اذبحا هذه وكُلَا وأَطْعِمانا . فلمَّا جاءَ قال له النبيُّ ﷺ : « انْطَلِقْ بِالشَّفْرَةِ وَجِئْنِى بِالقَدَحِ » . قال : إنَّها قد عزَبَتْ وليس بها لَبَنٌ . قال : « انطلِقْ » . فجاءَ بقَدَحٍ فمسَحَ النبيُّ ﷺ ضَرْعَها ، ثم حلب حتى ملأَ القَدَحَ ، ثُم قال : « انطَلِقْ به إلى أُمِّك » . فشرِبَتْ حتى رَوِيَتْ ، ثُم جاءَ به فقال : « انطلِقْ بهذه وجِئْنِى بأُخْرَى » . ففعَل بها كذلك ثُم سقَى أبا بكرٍ ، ثُم جاء بأُخْرَى ففعَلَ بها كذلك ، ثُم شرِبَ النبيُّ ﷺ ، فبِتْنا لَيْلتَنا ثُم انطلَقْنا ، فكانت تُسَمِّيه المُبارَكَ ، وكثُرَتْ غنَمُها حتى[*] جلَبَتْ [(١] جَلَبًا[(٢)] إلى المدينةِ ، فمَرَّ أبو بكرٍ فرآه[(٣)] ابنُها فعرَفه فقال : يا أُمَّهْ ، هذا الرجلُ الذى كان معَ المُبَارَكِ[١)] . فقامَتْ إليه فقالَتْ : يا عبدَ اللَّهِ ، مَن الرجلُ الذى كان معَك ؟ قال : أو ما تَدْرِينَ مَن هو ! قالَتْ : لا . قال : هو نبيُّ اللَّهِ . قالَتْ : فأَدْخِلْنِى عليه . قال : فأَدْخَلَها ، فأَطْعَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ وأَعْطاها . زادَ ابنُ عَبْدانَ فى رِوايتِه : قالتْ : فدُلَّنى عليه . فانطَلَقَتْ معى ، وأَهْدَتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا من أَقِطٍ ومَتاعِ الأعرابِ . قال : فكساها وأَعْطاها . قال : ولا أَعْلَمُه إلَّا قال : وأَسْلَمَتْ . إسنادٌ حسنٌ . وقال البَيْهَقِيُّ[(٤)] : هذه القِصَّةُ شبيهةٌ بقِصَّةِ أُمِّ مَعْبَدٍ ، والظاهِرُ أنَّها هى . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ[(٥)] : أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ

(*) إلى هنا انتهت النسخة السادسة من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث والمشار إليها بـ ا ١٥.

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الجلب : ما جُلِب من إبل وغنم ومتاع للتجارة . الوسيط (ج ل ب) .

(٣) فى الأصل : « فرأى » ، والمثبت من الدلائل .

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٤٩٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٣١٩ - ٣٢٢ من طريق أبى بكر أحمد بن الحسن القاضى به ، والحاكم فى المستدرك ٣/٩ - ١١ من طريقه به وطرق أخرى ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد . ولم يوافقه الذهبى ، فقال : ما فى هذه الطرق شىء على شرط الصحيح .

القاضى ، قالا : ثنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، ثنا الحسنُ بنُ مُكْرَمٍ ، حدَّثنى أبو أحمدَ بِشْرُ بنُ محمدٍ السُّكَّرِىُّ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ وهبٍ المَذْحِجِىُّ ، ثنا (١ الحرُّ بنُ الصَّبَّاحِ ١) ، عن أبى مَعْبَدٍ الخُزاعِىِّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَجَ ليلةَ هاجَر مِن مكةَ إلى المدينةِ هو وأبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أبى بَكرٍ ، ودليلُهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِىُّ ، فمرُّوا بخَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعِيَّةِ ، وكانت أُمُّ مَعْبدٍ امرأةً بَرْزةً جَلْدَةً[٢] ، تَحْتَبى وتَجْلِسُ [٢/١٤٣ظ] بفِناءِ الخيمةِ ، فتُطْعِمُ وتَسْقِى ، فسَألُوها هل عندَها لحمٌ أو لبنٌ يَشْتَرُونَه منها ؟ فلم يَجِدوا عندَها شيئًا مِن ذلك . وقالت : لو كان عندَنا شىءٌ ما أَعْوَزَكم[٣] القِرَى . وإذا القومُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون[٤] ، فنَظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فإذا شاةٌ فى كَسْرِ خيمتِها[٥] فقال : « ما هذه الشَّاةُ يا أُمَّ مَعْبَدٍ ؟ » . فقالت : شاةٌ خَلَّفَها الجَهْدُ عن الغنمِ . قال : « فهل بها من لبنٍ ؟ » . قالت : هى أَجْهَدُ مِن ذلك . قال : « تَأْذَنين لى أن أَحْلُبَها ؟ » قالت : إنْ كان بها حَلْبٌ فاحْلُبْها . فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالشاةِ فمَسَحها ، وذكر اسمَ اللَّهِ

(١ - ١) فى الأصل : « الحر بن الصباح » . وفى م : « أبجر بن الصباح » . وفى ص : « أبحر بن الصباح » . والمثبت من تاريخ دمشق ، وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥١٤، ٥١٥.

(٢) يقال : امرأة برزة ، إذا كانت كَهْلة لا تحتجب احتجاب الشَّوابِّ ، وهى مع ذلك عفيفة عاقلة ، تجلس للناس وتُحدِّثهم ، من البروز وهو الظهور والخروج . النهاية لابن الأثير ١/ ١١٧. وجَلْدة : من الجلد ، وهو القوة ، والصبر على المكروه . انظر الوسيط (ج ل د) .

(٣) فى الأصل ، م : « أعوذكم » .

(٤) مرملون : أى نَفِد زادهم ، وأصله من الرَّمْل ؛ كأنهم لصقوا بالرمل ، كما قيل للفقير : التَّرِب . النهاية ٢/ ٢٦٥. ومسنتون : أى مُجْدِبون ، أصابتهم السَّنَة ، وهى القحط والجدب ، يقال : أَسْنَت فهو مُسنِت ، إذا أجدب . النهاية ٢/ ٤٠٧.

(٥) كسر خيمتها : أى جانبها ، ولكل بيتٍ كسران عن يمين وشمال ، وتفتح الكاف وتُكسر . النهاية ٤/ ١٧٢.

ومَسَح ضَرْعَها ، وذَكَر اسمَ اللّهِ ودَعا بإناءٍ لها يُرْبِضُ الرَّهْطَ[(١)] ، فتَفَاجَّتْ[(٢)] واجْتَرَّتْ ، فحَلَب فيه ثَجًّا[(٣)] ، حتى [(٤)]عَلَاه البَهاءُ[(٤)] ، فسقاها وسَقَى أصحابَه ، فشرِبُوا عَلَلًا بعدَ نَهَلٍ[(٥)] ، حتى إذا رَوُوا شَرِب آخِرَهم وقال : « ساقى القومِ آخِرُهم » . ثُم حَلَب فيه ثانيًا عَوْدًا على بَدْءٍ ، فغادَرَه عندَها ، ثُم ارْتَحَلوا . قال : فقَلَّ ما لَبِثَتْ[(٦)] أن جاء زوجُها أبو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزًا عجافًا يَتَساوَكْنَ[(٧)] ، هَزْلَى لا نِقْيَ[(٨)] بهن ، مُخُّهُنَّ قليلٌ ، فلمَّا رَأَى اللبنَ عجِب وقال : مِن أينَ هذا اللبنُ يا أُمَّ مَعْبَدٍ ، ولا حَلُوبَةَ فى البيتِ ، والشاءُ عازبٌ[(٩)] ؟ فقالَتْ : لا واللّهِ ، إنه مَرَّ بنا رجلٌ مُبارَكٌ ، كان مِن حديثِه كَيْتَ وكيتَ . فقال : صِفِيهِ لى ، فواللّهِ إنِّى لَأَراه صاحبَ قُرَيشٍ الذى تَطْلُبُ . فقالتْ : رأَيْتُ رجلًا ظاهرَ الوَضَاءَةِ ، حَسَنَ الخَلْقِ ، مَلِيحَ الوجهِ ، لم تَعِبْه ثُجْلَةٌ[(١٠)] ، ولم تُزْرِ به صَعْلَةٌ[(١١)] ، قَسِيمٌ وَسيمٌ ، فى عينَيه

---

(١) يُربض الرَّهط : أى يُرْوِيهم ويُثقِلهم حتى يناموا ويمتدُّوا على الأرض ، مِن رَبَض فى المكان يربض ، إذا لصق به وأقام ملازمًا له . النهاية ٢/ ١٨٤.

(٢) تفاجَّت : من التَّفاجِّ ، وهو المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين . انظر النهاية ٣/ ٤١٢.

(٣) ثجًّا : أى لبنًا سائلًا كثيرًا . النهاية ١/ ٢٠٧.

(٤ - ٤) فى م : « ملأه وأرسله إليها » . وبهاء اللبن : وبيص رغوته . النهاية ١/ ١٦٩.

(٥) عللًا بعد نهل : العلل : الشَّربة الثانية ، وقيل : الشُّرب بعد الشُّرب تباعًا . والنهل : الشُّرب الأول . اللسان (ع ل ل) ، (ن هـ ل) .

(٦) فى النسخ : « لبث » ، والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل : « يبسًا وكن » . ويتساوكن : يتمايلن من الهزال والضعف فى مشيها . انظر اللسان (س و ك) .

(٨) النِّقْى : المخ ، والنِّقْى : الشَّحْم . يُقال : ناقة مُنْقِية . إذا كانت سمينة . اللسان (ن ق و) .

(٩) عازب : أى بعيدة المرعى لا تأوى إلى المنزل فى الليل . النهاية ٣/ ٢٢٧.

(١٠) الثجلة : ضِخَم البطن . انظر النهاية ١/ ٢٠٨.

(١١) الصعلة : صِغَر الرأس . وهى أيضا : الدقة والنحول فى البدن . انظر النهاية ٣/ ٣٢.

دَعَجٌ ، وفى أشْفارِه وَطَفٌ[1] ، وفى صوتِه صَحَلٌ[2] ، أحْوَرُ[3] أكْحَلُ[4] ، أزَجُّ أقْرَنُ[5] ، فى عُنُقِه سَطَعٌ[6] ، وفى لِحْيَتِه كَثافَةٌ[7] ، إذا صَمَت فعليه الوَقارُ ، وإذا تكلَّمَ سَمَا وعَلَاه البَهاءُ ، حُلْوُ المَنْطِقِ ، فَصْلٌ ؛ (8)لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ(8) ، كأنَّ مَنطِقَه خَرَزاتُ نَظْمٍ يَنْحَدِرْنَ ، أبْهَى الناسِ وأجمَلُه مِن بعيدٍ ، وأحْلاهُ[9] وأحسَنُه مِن قريبٍ ، رَبْعَةٌ[10] ، لا تَشْنَؤُه[11] عينٌ مِن طُولٍ ، ولا تَقْتَحِمُه عينٌ مِن قِصَرٍ ، غُصنٌ بينَ غُصْنَيْن ، فهو أنْضَرُ الثلاثةِ مَنْظَرًا ، وأحْسَنُهم قَدًّا ، له رُفَقاءُ يَحُفُّونَ به ، إن قال اسْتَمَعوا لقولِه ، وإن أمَر تَبادَروا لأمرِه ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ[12] ، لا

---

(١) فى أشفاره وطفٌ : أى فى شعر أجفانه طُولٌ . النهاية ٥/ ٢٠٤.

(٢) الصحل : كالبُحّة ، وألا يكون حادّ الصوت . انظر النهاية ٣/ ١٣.

(٣) فى م : « أحول » . وأحور : من الحَوَر ؛ وهو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حَدَقتها ، وترقّ جفونها ، ويبيضّ ما حواليها . وقيل : الحور شدة سواد المُقلة فى شدة بياضها فى شدة بياض الجسد . اللسان (ح و ر).

(٤) أكْحَل : من الكَحَل ؛ وهو سواد فى أجفان العين خِلْقةً . انظر النهاية ٤/ ١٥٤.

(٥) أزجّ : من الزَّجَج ؛ وهو تقوُّس فى الحاجب ، مع طُول فى طرَفه وامتداده . النهاية ٢/ ٢٩٦. وأقرن : أى مقرون الحاجبين . النهاية ٤/ ٥٤. وقال ابن الأثير بعد ذلك : وفى صفته عليه الصلاة والسلام : « سوابغ فى غير قَرَن » . القرن - بالتحريك - التقاء الحاجبين ، وهذا خلاف ما روت أم معبد ... والأوّلُ الصحيحُ فى صفته . اهـ كلام ابن الأثير .

(٦) سطع : أى ارتفاع وطول . انظر النهاية ٢/ ٣٦٥.

(٧) فى م : « كثاثة » .

(٨ - ٨) فى الأصل : « لا نزر قليل ولا هذر كبير » . لا نزر ولا هذر : أى لا قليل ولا كثير . انظر النهاية ٥/ ٢٥٦.

(٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) ربعة : أى مربوع الخَلْق ، لا بالطويل ولا بالقصير . اللسان (ر ب ع).

(١١) فى م ، ص : « تنساه » . ولا تشنؤه : أى لا يُبغَض لفَرْط طوله . النهاية ٢/ ٥٠٣.

(١٢) محفود محشود : أى أن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه . والمحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظّمونه ويُسرعون فى طاعته . النهاية ١/ ٣٨٨، ٤٠٦.

عابسٌ ولا مُفَنِّدٌ[1] . فقال - يَعْنِى بَعْلَها - : هذا واللَّهِ صاحبُ قُرَيْشٍ الذى تَطْلُبُ ، ولو صادَفْتُه لَالْتَمَسْتُ أن أَصْحَبَه ، ولَأَجْهَدَنَّ إن وَجَدْتُ إلى ذلك سبيلًا . قال : وأصْبَح صوتٌ بمكةَ عالٍ بينَ السماءِ والأَرضِ ، يَسْمَعُونَه ولا يَرَوْنَ مَن يقولُ ، وهو يَقولُ :

جزى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خيرَ جَزائِه ... رَفِيقَين حَلَّا خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ

هما نَزَلا بالبِرِّ وارْتَحَلا به ... فأَفْلَحَ مَن أَمْسَى رَفِيقَ محمدِ

فيالَ قُصَىٍّ ما زَوَى[2] اللَّهُ عنكمُ ... به مِن فِعَالٍ لا تُجارَى وسُؤْدُدِ

سَلُوا أُخْتَكم عن شاتِها وإنائِها ... فإنَّكمُ إنْ تَسْأَلوا الشاةَ تَشْهَدِ

دَعاها بشاةٍ حائِلٍ فتَحَلَّبَتْ ... له بصَرِيحٍ[3] ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ

فغادَرَه رَهْنًا لدَيْها لحالِبٍ ... يَدُرُّ لها فى مَصْدَرٍ ثُم مَوْرِدِ

قال : وأَصْبَحَ الناسُ - يَعنِى بمكةَ - وقد فَقَدُوا نبيَّهم ، فأخَذُوا على خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدٍ ، [٢/ ١٤٤و] حتى لَحِقُوا برسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : وأجابَه حَسَّانُ بنُ ثابتٍ[4] :

لقد خابَ قومٌ زال عنهم نبيُّهمْ ... وقُدِّسَ[5] مَن يَسْرِى إليهم ويَغْتَدِى[6]

---

(١) فى م : « معتد » . والمفنَّد : الذى لا فائدة فى كلامه لكِبَرٍ أصابه . انظر النهاية ٣/ ٤٧٥.

(٢) زوى الشىء عنه : صرَفه ونحَّاه . الوسيط (ز و ى) .

(٣) بصريح : أى لبن خالص لم يُمذَق . اللسان (ص ر ح) .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٧٦، ٣٧٧.

(٥) فى الأصل ، م : « وقد سر » .

(٦) فى ص : « ويقتدى » .

تَرَحَّلَ عن قومٍ فزالتْ عقولُهمْ وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدَّدِ[1]

وهل يَسْتَوِى ضُلَّالُ قومٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وهُداةٌ يَهْتَدون بمُهْتَدِ

نَبِىٌّ يَرَى ما لا يَرى الناسُ حَوْلَه ويَتْلُو كتابَ اللَّهِ فى كلِّ مَشْهَدِ

وإن قال فى يومٍ مَقالةَ غائِبٍ فتَصْدِيقُها فى [2]اليومِ أو فى ضُحَى الغدِ[2]

لِيَهْنِ[3] أبا بكرٍ سعادةُ جَدِّه[4] بصُحْبَتِه مَن يُسْعِدِ اللَّهُ يَسْعَدِ

ويَهْنِ بنى كَعْبٍ مكانُ فَتاتِهِمْ ومَقْعَدُها للمُسلِمِينَ بمَرْصَدِ

قال - يَعنِى عبدَ الملكِ بنَ وَهْبٍ - : فبَلَغنى أنَّ أبا مَعْبَدٍ أَسْلَمَ وهاجَر إلى النبىِّ ﷺ. وهكذا رواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ، مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ وَهْبٍ المَذْحِجِىِّ، فذَكَرَ مِثْلَه سواءً، وزادَ فى آخِرِه: قال عبدُ الملكِ: بلَغنى أنَّ أمَّ مَعْبَدٍ هاجَرَتْ وأسلَمَتْ ولَحِقَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ[5].

ثُم رَواه أبو نُعَيْمٍ[5] مِن طُرُقٍ، عن [6]مُكَرَّمِ بنِ مُحْرِزٍ الكَعْبِىِّ[6] الخُزاعىِّ، عن أبيه مُحْرِزِ بنِ مَهْدِىٍّ، عن حِزامِ[7] بنِ هِشامِ بنِ حُبَيْشِ بنِ خالدٍ، عن أبيه،

---

(١) بعده فى م:

هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد

(٢ - ٢) فى ص: «ضحوة اليوم أو غد». وانظر الديوان.

(٣) ليهن: أصلها لِيَهْنِئْ، وحُذفت الهمزة، وهنأه يَهْنِئُه ويهنَؤُه: سَرَّه.

(٤) الجد: الحظّ.

(٥) دلائل النبوة لأبى نعيم (٢٣٨).

(٦ - ٦) فى الأصل، م: «بكر بن محرز الكلبى». انظر الأنساب للسمعانى ٥/ ٧٩.

(٧) فى الأصل، م: «حرام».

عن جدِّه حُبَيْشِ بنِ خالدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ أُخرِجَ مِن مكَّةَ، خرَج منها مُهاجِرًا هو وأبو بكرٍ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ، ودليلُهما عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ، فمرُّوا بخَيْمةِ أُمِّ مَعْبَدٍ، وكانَتِ امرأةً بَرْزةً جَلْدَةً تَحْتَبى بفِناءِ القُبَّةِ. وذكَر مِثْلَ ما تَقَدَّم سواءً. قال[1]: وحَدَّثَناه، فيما أَظُنُّ، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ مَخْلدٍ، ثنا محمدُ بنُ يونسَ بنِ موسى، يَعْنى الكُدَيْمِىَّ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ يحيى بنِ عبدِ العزيزِ مولى العباسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، ثنا محمدُ بنُ سُلَيْمانَ بنِ سَليطٍ الأَنْصارىُّ، حدَّثَنى أبى، عن أبيه سَليطٍ البَدْرىِّ، قال: لمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الهِجْرةِ، ومعه أبو بكرٍ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ، وابنُ أُرَيْقِطٍ يَدُلُّهم على الطريقِ، مَرَّ بأُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ وهى لا تَعْرِفُه، فقال لها: «يا أُمَّ مَعْبَدٍ، هل عِنْدَكِ مِن لَبَنٍ؟» قالتْ: لا واللَّهِ، إنَّ الغَنَمَ لَعازِبَةٌ. قال: «فما هذه الشاةُ؟» قالَتْ: خَلَّفَهَا الجَهْدُ عن الغنمِ. ثُم ذَكَرَ تَمامَ الحديثِ كنَحْوِ ما تَقَدَّم.

ثُم قال البَيْهَقِىُّ[2]: يَحْتَمِلُ أنَّ هذه القِصَصَ كلَّها واحدةٌ. ثُم ذكَر قِصَّةً شبيهةً بقِصَّةِ شاةِ أمِّ مَعْبَدٍ الخُزاعيَّةِ، فقال[3]: حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إمْلاءً، حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ أيوبَ، أخبَرَنا محمدُ بنُ غالبٍ، ثنا أبو الوليدِ، ثَنا عُبَيْدُ[4] اللَّهِ بنُ إيادِ بنِ لَقِيطٍ، ثنا إيادُ بنُ لَقيطٍ، عن قيسِ بنِ النُّعْمانِ

---

(١) أى أبو نعيم، والرواية ليست فى مختصر أبى نعيم، وأخرجها الطبرانى فى الكبير (٦٥١٠)، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٣١٤ - ٣١٦ كلاهما من طريق عبد العزيز بن يحيى به. وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٧٩: فيه عبد العزيز بن يحيى المدينى، ونسبه البخارى وغيره إلى الكذب، وقال الحاكم: صدوق. فالعجب منه، وفيه مجاهيل أيضا.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٩٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٩٧.

(٤) فى النسخ: «عبد». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١.

قال : لمَّا انطلَقَ النبىُّ ﷺ وأبو بكرٍ مُسْتَخْفِينَ، مرُّوا بعبدٍ يَرْعَى غنمًا، فاسْتَسْقَياه اللبنَ فقال : ما عندى شاةٌ تُحْلَبُ، غيرَ أنَّ هـٰهنا عَنَاقًا[1] حَمَلَتْ أولَ الشِّتاءِ، [2]وقد أَخْدَجَتْ[2] وما بَقِىَ لها لبنٌ. فقال : «ادْعُ بها». فدَعا بها، فاعتَقَلَها النبىُّ ﷺ ومَسَح ضَرْعَها، ودَعا حتى أَنْزَلَتْ، وجاءَ أبو بكرٍ بمِجَنٍّ، فحَلَب فسقَى أبا بكرٍ، ثُم حلَب فسقَى الراعىَ، ثُم حلَب فشَرِب، فقال الراعى : باللَّهِ مَنْ [٢/ ١٤٤ظ] أنتَ؟ فواللَّهِ ما رأَيْتُ مِثْلَك قَطُّ. قال : «أَوَ تُراكَ تَكْتُمُ علىَّ حتى أُخْبِرَك؟» قال : نعَمْ. قال : «فإِنِّى محمدٌ رسولُ اللَّهِ». فقال : أنتَ الذى تَزْعُمُ قُرَيْشٌ أنَّه صابئٌ؟ قال : «إِنَّهم لَيَقُولُون ذلك». قال : فأشْهَدُ أنَّك نبىٌّ، وأَشْهَدُ أنَّ ما جِئْتَ به حَقٌّ، وأنه لا يَفْعَلُ ما فَعَلْتَ إلَّا نبىٌّ، وأنا مُتَّبِعُك. قال : «إِنَّك لا تَسْتَطِيعُ ذلك يومَك هذا، فإذا بَلَغَك أنِّى قد ظَهَرْتُ فأْتِنا». ورَواه أبو يَعْلَى المَوْصِلىُّ[3]، عن جعفرِ بنِ حُمَيْدٍ الكُوفىِّ، عن عُبيدِ[4] اللَّهِ بنِ إيادِ بنِ لَقِيطٍ به.

وقد ذكَرَ أبو نُعَيْمٍ[5] هـٰهنا قصةَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فقال : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ابنُ جعفرٍ، ثنا يونسُ بنُ حَبيبٍ، ثنا أبو داودَ، ثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال : كنتُ غلامًا يافِعًا أَرْعَى غَنَمًا

---

(١) العناق : الأنثى من المعز.

(٢ - ٢) سقط من : ص. وأخدجت : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمام الأيام وإن كان تامّ الخلْق. انظر النهاية ٢/ ١٢.

(٣) عزاه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية ٤/ ٢٠٨ إلى أبى يعلى.

(٤) فى النسخ : «عبد». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١١.

(٥) الدلائل لأبى نعيم (٢٣٣).

لعُقْبَةَ[1] بنِ أبى مُعَيْطٍ بمكَّةَ، فأتى رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ، وقد فرَّا مِن المشركين، فقال: «يا غُلامُ، عِندَك لَبَنٌ تَسْقِينا؟». فقلتُ: إنِّى مُؤْتَمَنٌ، ولستُ بساقِيكما. فقالا: هل عندَك مِن جَذَعَةٍ لم يَنْزُ عليها الفَحْلُ بعدُ؟ قلتُ: نعم. فأتَيْتُهما بها، فاعْتَقَلها أبو بكرٍ وأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الضَّرْعَ فدَعا، فحفَلَ[2] الضَّرْعُ، وجاء أبو بكرٍ بصَخْرةٍ مُنْقَعِرةٍ فحلَب فيها، ثُم شَرِب هو وأبو بكرٍ وسَقَيانى، ثُم قال للضَّرْعِ: «اقْلِصْ». فقَلَصَ. فلمَّا كان بعدُ، أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: عَلِّمْنِى مِن هذا القولِ الطَّيِّبِ - يَعنِى القُرْآنَ - . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّك غُلامٌ مُعَلَّمٌ». فأخَذْتُ مِن فِيهِ سبعين سورةً ما يُنازِعُنى فيها أحَدٌ. فقولُه فى هذا السِّياقِ: وقد فرَّا مِن المشركين. ليسَ المرادُ منه وقتَ الهِجْرةِ، إنَّما ذلك فى بعضِ الأَحْوالِ قبلَ الهِجْرةِ؛ فإنَّ ابنَ مسعودٍ ممن أَسْلَم قديمًا، وهاجَرَ إلى الحَبَشَةِ ورجَع إلى مكَّةَ، كما تقدَّمَ[3]، وقِصَّتُه هذه صحيحةٌ ثابتةٌ فى «الصِّحاحِ» وغيرِها[4]. واللَّهُ أَعْلَمُ.

(5) وَقال الإمامُ أحمدُ[6]: حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ، هو الزُّبَيْرِىُّ، حَدَّثنى أبى، عن فائِدٍ مَوْلَى عَبادِلَ قال: خَرَجْتُ مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ سعدٍ، حتى إذا كنَّا بالعَرْجِ أتى ابنُ سعدٍ، وسعدٌ هو الذى دَلَّ (5)

---

(1) فى م: «لعتبة».

(2) حفل الضرع: امتلأ باللبن.

(3) تقدم فى صفحة ١٧٣.

(4) البخارى (٢٤٣٩، ٣٦١٥، ٣٩١٧)، ومسلم (٢٠٠٩/٧٥)، المسند ٣٧٩/١، ٤٦٢.

(5 - 5) سقط من: ص.

(6) المسند ٤/ ٧٤. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ٥٩: ابن سعد اسمه عبد الله ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(1) رسولَ اللَّهِ ﷺ على طَريقِ رَكُوبَةَ ، فقال إبراهيمُ : أَخْبِرْنِى ما حَدَّثَك أبوك ؟ قال ابنُ سعدٍ : حَدَّثنى أبى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتاهم ومعه أبو بكرٍ ، وكانَتْ لأبى بكرٍ عندَنا بنتٌ مُسْتَرْضَعَةٌ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أرادَ الاخْتِصارَ فى الطريقِ إلى المدينةِ ، فقال له سعْدٌ : هذا الغائِرُ[2] مِن رَكُوبَةَ وبه لِصَّانِ مِن أَسْلَمَ ، يُقالُ لهما : المُهانانِ . فإن شِئْتَ أخَذْنا عليهما . فقال النبىُّ ﷺ : « خُذْ بنا عليهما » . قال سعدٌ : فخرَجْنا ، حتى إذا أشْرَفْنا ، إذا أحدُهُما يقولُ لِصاحِبِه : هذا اليَمَانِىُّ . فدَعاهما رسولُ اللَّهِ ﷺ فعَرَض عليهما الإسلامَ ، فأَسْلَما ، ثُم سأَلَهما عن أسمائِهما فقالا : نحن المُهانانِ . فقال : « بل أنتما المُكْرَمَان » . وأمرَهما أن يَقْدَما عليه المدينةَ ، فخَرَجْنا حتى إذا أتينا ظاهِرَ قُبَاءٍ ، فَتَلَقَّاه بنو عَمرِو بنِ عَوْفٍ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أين أَبُو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ ؟ » . فقال سعدُ بنُ خَيْثَمَةَ : إنَّه أصابَ قِبْلى[3] يا رسولَ اللَّهِ ، أفلا أُخْبِرُه ذلك ؟ ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا طَلَعَ (1) على النَّخْلِ ، فإذا الشَّرْبُ[4] مَمْلُوءٌ ، فالْتَفَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى بكرٍ فقال : « يا أبا بكرٍ ، هذا المَنزِلُ ، [٢/ ١٤٥و] رَأَيْتُنِى أَنْزِلُ إلى حِياضٍ كحِياضِ بنى مُدْلِجٍ » . انْفَرَد به أحمدُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل : « العامر » . وفى م : « الغامر » . والمثبت من المسند . والغائر : بالغين المعجمة ، جبل بالمدينة . الفتح الربانى ٢٠/ ٢٨٩.

(٣) أصاب قبلى : أى أخذ طريقه إلى الجهة القبلية ، والظاهر أن هذه الجهة كانت معلومة عندهم بالمدينة ، والله أعلم . الفتح الربانى ٢٠/ ٢٨٩.

(٤) الشرب : جمع شَرَبَة ، وهى كالحويض يُحفر حول النخلة والشجرة ويُملأ ماءً فيكون رَيُّها فتتروَّى منه . اللسان (ش ر ب) .

فصلٌ فى دخولِه، عليه السلامُ، المدينةَ وأيـن اسْتَقرَّ مَنزِلُه (١) بها، وما يَـتعَلَّقُ بذلك (١)

قد تَقَدَّمَ فيما رواه البخارىُّ [٢]، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوَةَ، أنَّ النبىَّ ﷺ دخَل المدينةَ عندَ الظَّهِيرَةِ.

قلتُ: ولعلَّ ذلك كان بعدَ الزَّوالِ؛ لِما ثَبَت فى «الصحيحَين» [٣]، مِن حديثِ إسرائيلَ، عن أبى إسحاقَ، عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ، عن أبى بكرٍ، فى حديثِ الهجرةِ قال: فقَدِمْنا ليلًا، فتنازَعَه القومُ أيُّهم يَنْزِلُ عليه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْزِلُ على بنِى النَّجّارِ، أَخْوَالِ عبدِ المُطَّلِبِ؛ أُكْرِمُهم بذلك». وهذا، واللَّهُ أعلمُ، إمَّا أنْ يكونَ يومَ قُدومِه إلى قُبَاءٍ، فيكونَ حالَ وصولِه إلى قُرْبِ المدينةِ كان فى حَرِّ الظهيرةِ، وأقام تحتَ تلك النخلةِ، ثُم سارَ بالمسلمِين، فنَزَل قُبَاءَ، وذلك ليلًا، وأنه أَطْلَق على ما بعدَ الزَّوالِ ليلًا، فإنَّ العَشِىَّ مِن الزوالِ. وإمَّا أنْ يكونَ المرادُ بذلك لمّا رحَل مِن قُبَاءٍ - كما سيَأْتِى - فسارَ، فما انْتَهى إلى بنى النَّجّارِ إلَّا عِشَاءً، كما سيَأْتِى بيانُه. واللَّهُ أعلمُ.

وذكَر البخارىُّ [٤]، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوَةَ، أنَّه نزَل فى بنى عَمْرِو بنِ

(١ - ١) سقط من: م، ص.

(٢) فى صفحة ٤٦٣، ٤٦٤.

(٣) البخارى (٢٤٣٩، ٣٦٥٢). ومسلم (٢٠٠٩) باب فى حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرحل، من كتاب الزهد والرقائق. واللفظ لمسلم.

(٤) البخارى (٣٩٠٦).

عَوفٍ بقُبَاءٍ ، وأقام فيهم بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً ، وأَسَّسَ مسجدَ قُبَاءٍ فى تلك الأيامِ ، ثُم رَكِبَ ومعه الناسُ ، حتى بَرَكَتْ به راحلتُه فى مكانِ مسجدِه ، وكان مِرْبَدًا لغلامَيْن يتيمَيْنْ ، وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ، فابتاعه منهما ، واتَّخَذَه مسجدًا ، وذلك فى دارِ بنى النَّجّارِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثَنى محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ ، [2]عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[2] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عُوَيْمِ[3] بنِ ساعِدَةَ قال : حدَّثَنى رجالٌ مِن قومِى مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ قالوا : لمّا بلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ مِن مكةَ وتَوَكَّفْنا[4] قُدومَه ، كنا نَخْرُجُ إذا صَلَّيْنا الصبحَ إلى ظاهرِ حَرَّتِنا ، نَنْتَظِرُ النبىَّ ﷺ ، فواللَّهِ ما نَبْرَحُ حتى تَغْلِبَنا الشمسُ على الظِّلالِ ، فإذا لم نَجِدْ ظِلًّا دخَلْنا ، وذلك فى أيامٍ حَارَّةٍ ، حتى إذا كان اليومُ الذى قَدِمَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، جَلَسْنا كما كنا نَجْلِسُ ، حتى إذا لم يَبْقَ ظِلٌّ دخَلْنا بُيوتَنا ، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ دخَلْنا البيوتَ ، فكان أولَ مَن رآه رجُلٌ مِن اليهودِ ، فصرَخ بأَعْلَى صوتِه : يا بَنِى قَيْلَةَ ، هذا جَدُّكم قد جاء . فَخَرَجْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى ظلِّ نخلةٍ ، ومعه أبو بكرٍ فى مثلِ سِنِّه ، وأكثرُنا لم يكنْ رأى رسولَ اللَّهِ ﷺ قبلَ ذلك ؛ ورَكِبَه الناسُ[5] ، وما يَعْرِفُونه مِن أبى بكرٍ ، حتى زال الظِّلُّ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقام أبو بكرٍ فأظَلَّه بردائِه ، فعَرَفناه عندَ ذلك . وقد تَقَدَّم مثلُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى السيرة : « عويمر » . وهو تصحيف . وعويم هو ابن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان الأنصارى الأوسى الصحابى . انظر أسد الغابة ٤/ ٣١٥، ٣١٦. وانظر هذه الرواية فى تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨١، ٣٨٢. ودلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٠٢، ٥٠٣.

(٤) توكفنا قدومه : انتظرنا وكفه أى وقوعه . النهاية ٥/ ٢٢١ .

(٥) ركبه الناس : تبعوه وجاءوا على أثره . انظر النهاية ٢/ ٢٥٧.

ذلك فى سياقِ البخاريِّ[١]، وكذا ذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ فى « مغازِيه »[٢].

وقال الإمامُ أحمدُ[٣]: حدثنا هاشمٌ، ثنا سليمانُ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: إنِّى لَأَسْعَى فى الغِلْمانِ يقولون: جاء محمدٌ. فأَسْعَى ولا أرَى شيئًا، ثُم يقولون: جاء محمدٌ. فأَسْعَى ولا أرَى شيئًا. قال: حتى جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه أبو بكرٍ، فكَمَنّا[٤] فى بعضِ حِرَارِ[٥] المدينةِ، ثُم [٦]بَعَثا رجلًا[٦] مِن أهلِ الباديةِ ليُؤْذِنَ بهما الأنصارَ، فاستقبلَهما زُهَاءُ خَمْسِمائةٍ مِن الأنصارِ، حتى انتَهَوْا إليهما، فقالتِ الأَنصارُ: انطلِقَا آمِنَيْن مُطاعَيْن. فأقبلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وصاحبُه بينَ أظهرِهم، فخرَج أهلُ المدينةِ، حتى إنَّ العواتِقَ لَفَوْقَ البُيوتِ يَتَرَاءَيْنَه، يَقُلْن: أيُّهم هو؟ أيُّهم هو؟ فما رَأَيْنَا مَنْظَرًا [٢/ ١٤٥ظ] شَبِيهًا به يومَئذٍ[٧]. قال أنسٌ: فلقد رأيْتُه يومَ دخَل علينا ويومَ قُبِضَ، فلم أَرَ يومَيْن مُشَبَّهًا[٨] بهما. ورواه البَيْهَقِىُّ[٩]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ الصَّغانِىِّ[١٠]، عن

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٨٥ .

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٩٨، ٤٩٩.

(٣) المسند ٣/ ٢٢٢.

(٤) فى المسند: « فكنا ».

(٥) فى النسخ: « خراب ». والمثبت من المسند. وحرار: جمع حرة، بفتح المهملة وتشديد الراء؛ والحرة الأرض ذات الحجارة السود، وهى بضواحى المدينة. انظر الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩١.

(٦ - ٦) فى ص: « بعثنا رجلًا ». وفى المسند: « بعثنا رجل ». والمثبت هنا يوافق رواية المسند للحديث من طريق حماد عن ثابت به. المسند ٣/٢٨٧ .

(٧) سقط من النسخ، وأثبتناه من المسند.

(٨) فى النسخ: « شبيها ». والمثبت من المسند. قال الساعاتى فى بلوغ الأمانى: معناه لم ير يوما يشبه فى الفرح والسرور يوم دخوله المدينة، ولم ير يوما يشبه فى الحزن والغم يوم وفاته ﷺ. الفتح الربانى ٢٠/ ٢٩٢.

(٩) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٧.

(١٠) فى النسخ، والدلائل: « الصنعانى ». وقد تقدم تعريفه فى صفحة ٣٣٣ حاشية رقم (٨).

أبى النَّضْرِ هاشمِ بنِ القاسمِ ، عن سليمانَ بنِ المغِيرَةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ بنحوِه ، أو مثلِه .

وفى « الصحيحَيْن »[(1)] ، مِن طريقِ إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ ، عن أبى بكرٍ فى حديثِ الهجرةِ ، قال : وخرَج الناسُ حينَ قَدِمْنا المدينةَ فى الطرقِ وعلى البُيوتِ ، والغلمانُ والخدمُ يقولون : اللَّهُ أكبرُ ، جاء رسولُ اللَّهِ ، اللَّهُ أكبرُ ، جاء محمدٌ ، اللَّهُ أكبرُ ، جاء محمدٌ ، اللَّهُ أكبرُ ، جاء رسولُ اللَّهِ . فلمّا أَصبَحَ انطَلَق وذهَب حيثُ أُمِرَ .

وقال البَيْهَقِىُّ[(2)] : أخبرَنا أبو عمرٍو الأديبُ ، أخبرَنا أبو بكرٍ الإسماعيلىُّ ، سَمِعْتُ أبا خَلِيفَةَ يقولُ : سَمِعْتُ ابنَ عائشةَ يقولُ : لمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، جعَل النساءُ والصبيانُ يَقُلْنَ :

طَلَعَ البَدْرُ علينا مِن ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وجَب الشكرُ علينا ما دَعَا للَّهِ داعْ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(3)] : فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما يَذْكُرون - يَعْنِى حينَ نزَل بقُبَاءٍ - على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ ، أخى بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، ثُم أحدِ بنى عُبَيْدٍ ، ويقالُ : بل نزَل على سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ . ويقولُ مَن [(4)] يَذْكُرُ أنّه [(4)] نزلَ على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ : إنّما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا خرَج مِن منزِلِ كُلْثُومِ بنِ

(1) تقدم تخريجه صفحة ٤٨٥. واللفظ الذى ساقه المصنف هنا هو لفظ البيهقى فى الدلائل ٢/٥٠٦ من طريق إسرائيل به .
(2) دلائل النبوة ٢/٥٠٦، ٥٠٧.
(3) سيرة ابن هشام ١/٤٩٣.
(4 - 4) سقط من : الأصل، ص.

الهِدْمِ ، جلَس للناسِ فى بيتِ سعدِ بنِ خَيْثَمَةَ . وذلك أنّه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان يقالُ لبيتِه : بيتُ العُزَّابِ . واللَّهُ أعلمُ . ونزَل أبو بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، على خُبَيْبِ بنِ إِسَافٍ ، أحدِ بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ بالسُّنْحِ ، وقيل : على خارِجَةَ بنِ زَيْدِ بنِ أبى زُهَيْرٍ ، أخى بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وأقام علىُّ بنُ أبى طالبٍ بمكةَ ثلاثَ ليالٍ وأيامَها ، حتى أَدَّى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الودائعَ التى كانت عندَه ، ثُم لَحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزَل معه على كُلْثُومِ بنِ الهِدْمِ ، فكان علىُّ بنُ أبى طالبٍ - وإنّما كانت إقامتُه بقُبَاءٍ ليلةً أو ليلتَيْنِ - يقولُ : كانت بقُبَاءٍ امرأةٌ لا زوجَ لها ، مُسْلِمةٌ ، فرأيتُ إنسانًا يَأْتِيها مِن جَوْفِ الليلِ ، فيَضْرِبُ عليها بابَها فتَخْرُجُ إليه ، فيُعْطِيها شيئًا معه فتَأْخُذُه ، فاستَرَبْتُ بشأنِه ، فقلتُ لها : يا أَمَةَ اللَّهِ ، مَن هذا الذى يَضْرِبُ عليكِ بابَكِ كلَّ ليلةٍ ، فتَخْرُجين إليه ، فيُعْطِيكِ شيئًا لا أَدْرِى ما هو ، وأنتِ امرأةٌ مسلمةٌ لا زوجَ لك ؟ قالت : هذا سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ ، وقد عَرَف أنّى امرأةٌ لا أحدَ لى ، فإذا أَمْسَى عَدَا[2] على أوثانِ قومِه فكَسَرَها ، ثُم جاءنى بها ، فقال : احْتَطِبِى بهذا . فكان علىٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يَأْثُرُ ذلك[3] مِن شأنِ سَهْلِ ابنِ حُنَيْفٍ حينَ هلَك عندَه بالعراقِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بقُبَاءٍ فى بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ يومَ الاثنَيْنِ ، ويومَ الثُّلاثاءِ ، ويومَ الأَرْبعاءِ ، ويومَ الخميسِ ، وأَسَّسَ مسجدَه ، ثُم

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٩٣، ٤٩٤.
(٢) فى الأصل ، ص : « غدا » .
(٣) أى يذكره ويحدِّث به .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤.

أخرجَه اللَّهُ مِن بينِ أظهرِهم يومَ الجُمُعةِ ، وبنو عَمْرِو بنِ عوفٍ يَزْعُمُون أنّه مَكَث فيهم أكثرَ مِن ذلك .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ[1] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال : وبنو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ يَزْعُمون أنّه ، عليه السلامُ ، أقام فيهم ثمانىَ عَشْرَةَ ليلةً .

قلتُ : وقد تقدَّم فيما رواه البخاريُّ[2] مِن طريقِ الزُّهْرِيِّ ، عن عُرْوَةَ ، أنّه عليه السلامُ ، أقام فيهم بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً .

وحَكَى موسى بنُ عُقْبَةَ[3] ، عن مُجَمِّعِ بنِ يَزِيدَ بنِ جارِيَةَ[4] أنه قال : أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا - يَعْنِى فى بنى عَمْرِو [٢/١٤٦و] بنِ عَوْفٍ بقُباءٍ - اثنتَيْن وعشرين ليلةً . وقال الواقِدِيُّ[5] : ويقالُ : أقام فيهم أربعَ عَشْرَةَ ليلةً .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فأَدْرَكَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ الجُمُعَةُ فى بنى سالمِ بنِ عوفٍ ، فصَلَّاها فى المسجدِ الذى فى بطنِ الوادى ؛ وادى رانُونَاءَ[7] ، فكانت أوَّلَ جمعةٍ صلّاها بالمدينةِ ، فأَتاه عِتْبانُ بنُ مالكٍ وعباسُ بنُ عُبادَةَ بنِ نَضْلَةَ فى رجالٍ مِن بنى سالمٍ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أَقِمْ عندَنا فى العَدَدِ والعُدَّةِ

---

(١) أورده المصنف مختصرا من رواية البيهقى فى الدلائل . من طريق عبد اللَّه بن إدريس عند ابن إسحاق عن محمد بن جعفر عن عروة عن عبد الرحمن بن عويم قال : أخبرنى بعض قومى . ثم ذكره .

(٢) تقدم فى صفحة ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٠١.

(٤) فى النسخ : « حارثة » . وهو تصحيف . وانظر أسد الغابة ٥/ ٦٨. وتهذيب الكمال ٢٧/ ٢٥٠.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٦.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٧) قال فى معجم البلدان ٧٤١/٢ بعد أن ذكر كلام ابن إسحاق : وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحاق الذى لخصه ابن هشام ، وكلٌّ يقول : صلى بهم فى بطن الوادى فى بنى سالم . ورانوناء بوزن عاشوراء وخابوراء . اهـ .

والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . لِناقتِه . فخلَّوْا سبيلَها ، فانطلقَتْ حتى إذا وازَتْ[1] دارَ بنى بَيَاضَةَ ، تَلَقّاه زِيادُ بنُ لَبِيدٍ وفَرْوَةُ بنُ عَمْرٍو ، فى رجالٍ مِن بنى بَيَاضةَ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا مَرَّتْ بدارِ بنى ساعِدَةَ ، اعترضَه سعدُ بنُ عُبَادَةَ والمُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو ، فى رجالٍ مِن بنى ساعِدَةَ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مَأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا وازَتْ دارَ بنى الحارثِ ابنِ الخَزْرَجِ ، اعترَضَه سعدُ بنُ الرَّبيعِ ، وخارجةُ بنُ زيدٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحة ، فى رجالٍ مِن بنى الحارثِ بنِ الخَزْرَجِ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلينا ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا مَرَّتْ بدارِ عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ - وهم أخوالُه دِنْيًا[2] ، أُمُّ عبدِ المُطَّلِبِ سَلْمَى بنتُ عَمْرٍو إحدَى نسائِهم - اعترضَه سَلِيطُ بنُ قَيْسٍ وأبو سَلِيطٍ أُسَيْرَةُ ابنُ أبى[3] خارِجةَ ، فى رجالٍ مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هَلُمَّ إلى أخوالِك ، إلى العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعَةِ . قال : « خَلُّوا سبيلَها فإنَّها مأمورةٌ » . فخلَّوْا سبيلَها فانطَلَقَتْ ، حتى إذا أتتْ دارَ بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ ، بَرَكَتْ على بابِ مسجدِه عليه السلامُ ، اليومَ ، وكان يومَئِذٍ مِرْبَدًا لغلامَيْن يتيمَيْن مِن بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ ، وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ابنا عمرٍو ، وكانا فى حِجْرِ مُعَاذِ ابنِ عَفْرَاءَ .

---

(١) هنا وفيما يأتى ، فى ص : « دارت » . وفى السيرة : « وازنت » .

(٢) أى لصيقو النسب . انظر الوسيط (د ن و) .

(٣) سقط من النسخ . وأثبتناه من السيرة . وانظر أسد الغابة ١/ ١١٦، ٦/ ١٥٥.

قلتُ : وقد تَقَدَّم فى روايةِ البخاريِّ[1] ، مِن طريقِ الزُّهْرِيِّ ، عن عُرْوَةَ ، أنَّهما كانا فى حِجْرِ أسعدَ بنِ زُرَارَةَ . فاللَّهُ أعلمُ .

وذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[2] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ فى طريقِه بعبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ وهو فى بيتٍ ، فوقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُ أنْ يَدْعُوَه إلى المنزِلِ ، وهو يومَئذٍ سيدُ الخَزْرَجِ فى أنفُسِهم ، فقال عبدُ اللَّهِ : انْظُرِ الذين دَعَوْك فانْزِلْ عليهم . فذكَر ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ لنَفَرٍ مِن الأنصارِ ، فقال سعدُ بنُ عُبادةَ [3]يَعْتَذِرُ عنه[3] : لقد مَنَّ اللَّهُ علينا بك يا رسولَ اللَّهِ وإنَّا نُرِيدُ أن نَعْقِدَ على رأسِه التاجَ ونُمَلِّكَه علينا .

قال موسى بنُ عُقْبَةَ[4] : وكانتِ الأنصارُ قد اجتمعُوا قبلَ أنْ يَرْكَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن بنى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، فمَشَوْا حولَ ناقتِه ، لا يَزالُ أحدُهم يُنازِعُ صاحبَه زِمَامَ الناقةِ ؛ شُحًّا على كرامةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وتعظيمًا له ، وكلَّما مَرَّ بدارٍ مِن دُورِ الأنصارِ دَعَوْه إلى المنزِلِ ، فيقولُ ﷺ : « دَعُوها فإنَّها مأمورةٌ ، فإنَّما أَنزِلُ حيثُ أَنْزَلَنِى اللَّهُ » . فلمّا انتهتْ به إلى بابِ أبى أيوبَ ، بَرَكَتْ به على البابِ ، فنزَل فدَخَل بيتَ أبى أيوبَ ، حتى ابْتَنَى مسجدَه ومساكنَه .

وقال [٢/ ١٤٦ظ] ابنُ إسحاقَ[5] : لمَّا بَرَكَتِ النّاقَةُ برسولِ اللَّهِ ﷺ لم يَنْزِلْ عنها ، حتى وثَبَتْ فسارتْ غيرَ بعيدٍ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ واضِعٌ لها زِمَامَها لا

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٦٤ .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/٤٩٩ ، ٥٠٠ . من حديث موسى بن عقبة .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٥٠١.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٥، ٤٩٦.

يَثْنِيها به ، ثُم الْتَفَتَتْ خَلْفَها ، فرجَعَتْ إلى مَبْرَكِها أولَ مرةٍ فبرَكَتْ فيه ، ثُم تَحَلْحَلَتْ[1] ورزَمَتْ[2] ووَضَعَتْ جِرانَها[3] ، فنَزَل عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [4]فاحْتَمَلَ أبو أيوبَ خالدُ بنُ زيدٍ رَحْلَه ، فوضَعَه فى بيتِه ، ونزَل عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] ، وسأَل عن المِرْبَدِ : « لمَنْ هو ؟ » فقال له مُعاذُ ابنُ عَفْرَاءَ : هو يا رسولَ اللَّهِ ، لسَهْلٍ وسُهَيْلٍ ابْنَىْ عَمْرٍو ، وهما يَتِيمان لى ، وسأُرْضِيهما منه ، فاتَّخِذْه مسجدًا . فأمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يُبْنَى ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى دارِ أبى أيوبَ ، حتى بَنَى مسجدَه ومساكنَه ، فعَمِلَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون مِن المهاجرين والأنصارِ . وستأتى قصةُ بناءِ المسجدِ قريبًا إنْ شاءَ اللَّهُ .

وقال البَيْهَقِىُّ فى « الدلائلِ »[5] : وقال أبو عبدِ اللَّهِ : أخبرَنا أبو الحسنِ علىُّ ابنُ عُمَرَ[6] الحافظُ ، ثنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ مَخْلَدٍ الدُّورِىُّ ، ثنا محمدُ بنُ سليمانَ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى الوَرْدِ ، ثنا إبراهيمُ بنُ صِرْمَةَ ، ثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طَلْحَةَ ، عن أنسٍ قال : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلمّا دَخَلْنا ، جاءَ الأَنصارُ برجالِها ونسائِها ، فقالوا : إلينا يا رسولَ اللَّهِ . فقال : « دَعُوا الناقةَ فإنَّها مأمورةٌ » . فبرَكَتْ على بابِ أبى أيوبَ ، فخرَجَتْ جَوارٍ مِن بنى النَّجّارِ يَضْرِبْنَ بالدُّفوفِ وهُنَّ يَقُلْنَ :

---

(١) تحلحل : تحرك وزال عن موضعه . الوسيط (حلحل) .

(٢) رزمت الناقة رزوما : إذا قامت من الكَلال . أى الإعياء . انظر الروض الأنف ٤/ ٢٦١.

(٣) الجران : باطن العنق من البعير وغيره . الوسيط (ج ر ن) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٨.

(٦) فى الأصل ، م : « عمرو » . وهو أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى الحافظ . انظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩.

نحن جَوارٍ مِن بنى النَّجّارِ　　　يا حَبَّذا محمدٌ مِن جارِ

فخرَج إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَتُحِبُّونِى؟» فقالوا: إى واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم، وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم، وأنا واللَّهِ أُحِبُّكم».

هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، لم يَرْوِه أحدٌ مِن أصحابِ السُّنَنِ، وقد خَرَّجه الحاكمُ فى «مُسْتَدْرَكِه» كما تَرَى[1].

ثُم قال البيهقىُّ[2]: أخبرَنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىُّ، أخبرَنا أبو القاسمِ [3]عبدُ اللَّهِ[3] بنُ سليمانَ النَّحّاسُ المُقْرِئُ ببَغْدادَ، ثنا عُمَرُ بنُ الحسنِ الحَلَبِىُّ، حدّثنا أبو خَيْثَمَةَ المِصِّيصِىُّ، ثنا عيسى بنُ يونُسَ، عن عَوْفٍ الأعرابىِّ، عن ثُمَامَةَ، عن أنسٍ قال: مَرَّ النبىُّ ﷺ بحَىٍّ مِن بنى النَّجّارِ، وإذا جَوارٍ يَضْرِبْنَ بالدُّفُوفِ يَقُلْنَ:

نحن جَوَارٍ مِن بَنِى النَّجّارِ　　　يا حَبَّذَا محمدٌ مِن جارِ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَعْلَمُ اللَّهُ أنَّ قَلْبِى يُحِبُّكُنَّ». ورواه ابنُ مَاجَه[4]، عن هشامِ بنِ عمّارٍ، عن عيسى بنِ يونُسَ به.

وفى «صحيحِ البخارىِّ»[5] عن أبى[6] مَعْمَرٍ، عن عبدِ الوارثِ، عن عبدِ

---

(1) فى م: «يروى». والحديث لم نجده فى المستدرك، ولعل لفظة «المستدرك» مقحمة بيد أحد النساخ. وعزاه السيوطى فى الخصائص ١٩٠/١ إلى البيهقى فقط.

(2) دلائل النبوة ٥٠٨/٢.

(3 - 3) فى الأصل، م: «عبد الرحمن».

(4) ابن ماجه (١٨٩٩). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٤١).

(5) البخارى (٣٧٨٥).

(6) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٣٥٣/١٥.

العزيزِ ، عن أنسٍ قال : رأَى النبىُّ ﷺ النساءَ والصِّبيانَ مُقْبِلِين - حَسِبْتُ أنّه قال : مِن عُرْسٍ - فقام النبىُّ ﷺ مُمْثِلًا[1] فقال : « اللهُمَّ ، أَنْتم مِنْ أَحَبِّ الناسِ إلىَّ » . قالها ثلاثَ مِرَارٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدّثنا عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ الوارثِ ، حدّثنى أبى ، حدّثنى عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ ، ثنا أنسُ بنُ مالكٍ قال : أَقْبَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بكرٍ ، وأبو بكرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ شابٌّ لا يُعْرَفُ . قال : فيَلْقَى الرجلُ أبا بكرٍ فيقولُ : يا أبا بكرٍ ، مَن هذا الرجلُ الذى بينَ يَدَيْك ؟ فيقولُ : هذا الرجلُ يَهْدِينِى السبيلَ . فيَحْسَبُ الحاسِبُ [٢/ ١٤٧و] أنّه إنَّما يَهْدِيه الطريقَ ، وإنما يَعْنِى سبيلَ الخيرِ ، فالْتَفَتَ أبو بكرٍ ، فإذا هو بفارسٍ قد لَحِقَهم ، فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، هذا فارسٌ قد لَحِقَ بنا . فالْتَفَتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « اللهُمَّ اصْرَعْه » . فصَرَعَتْه فَرَسُه ثُم قامت تُحَمْحِمُ[3] ، ثُم قال : يا نبىَّ اللَّهِ ، مُرْنِى بما شئتَ . قال : « قِفْ مكانَك ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بنا » . قال : فكان أولَ النهارِ جاهِدًا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان آخرَ النهارِ مَسْلَحَةً[4] له . قال : فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ جانبَ الحَرَّةِ ، ثُم بعَث إلى الأنصارِ ، فجاءُوا فسَلَّمُوا عليهما ، وقالوا : ارْكَبا آمنَيْن مُطْمَئِنَّين[5] . فرَكِبَ رسولُ اللَّهِ

---

(١) قال فى النهاية ٤/ ٢٩٥: يُروى بكسر الثاء وفتحها ؛ أى منتصبًا قائمًا ، هكذا شُرح .

(٢) المسند ٣/ ٢١١.

(٣) الحمحمة : صوت البِرْذَوْن دون الصوت العالى ، وصوت الفرس دون الصهيل . اللسان (ح م م) .

(٤) والمسلحة : القوم الذين يحفظون الثغور من العدو ، وسموا مسلحة ؛ لأنهم يكونون ذوى سلاح ، أو لأنهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب ، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة . النهاية ٢/ ٣٨٨. يعنى أنه كان يدفع عنهم من يريد ملاحقتهم .

(٥) فى النسخ : « مطاعين » . وهو لفظ رواية البخارى الآتى تخريجها . والمثبت من المسند . وانظر =

ﷺ وأبو بكرٍ، وحَفُّوا حولَهما بالسلاحِ، فقيل فى المدينةِ: جاء نبىُّ اللَّهِ ﷺ. فاستَشْرَفُوا نبىَّ اللَّهِ يَنْظُرُون إليه ويقولون: جاء نبىُّ اللَّهِ. قال: فأقبلَ يَسِيرُ حتى نزَل إلى جانبِ دارِ أبى أيوبَ. قال: فإنّه ليُحَدِّثُ أهْلَه، إذ سَمِعَ به عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ وهو فى نخلٍ لأهلِه يَخْتَرِفُ[1] لهم، فعَجَّل أنْ يَضَعَ الذي يَخْتَرِفُ فيها فجاء وهى معه، فسَمِعَ مِن نبىِّ اللَّهِ ﷺ ورجَع إلى أهلِه، وقال نبىُّ اللَّهِ: «أىُّ بُيوتِ أهلِنا أقربُ؟» فقال أبو أيوبَ: أنا يا نبىَّ اللَّهِ، هذه دارى وهذا بابى. قال: «فانْطَلِقْ فهَيِّئْ لنا مَقِيلًا». فذهَب فهَيَّأَ [2]لهما مَقِيلًا[2]، ثُم جاء فقال: يارسولَ اللَّهِ، قد هَيَّأْتُ لكما مَقِيلًا؛ قُومَا على بَرَكةِ اللَّهِ فقِيلَا. فلمّا جاء نبىُّ اللَّهِ ﷺ جاء عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ فقال: أَشْهَدُ أنَّك نبىُّ اللَّهِ حقًّا، وأنّك جئتَ بحقٍّ، ولقد عَلِمَتْ يَهُودُ أنِّى سيدُهم وابنُ سيدِهم، وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم، فادْعُهم فاسْأَلْهم. فدَخلوا عليه، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا معشرَ اليهودِ، وَيْلَكم، اتَّقُوا اللَّهَ، فواللَّهِ الذى لا إلَهَ إلَّا هو، إنَّكم لَتَعْلَمُون أنِّى رسَولُ اللَّهِ حقًّا، وأنّى جِئْتُ بحقٍّ، أَسْلِمُوا». فقالوا: ما نَعْلَمُه. ثلاثًا. وكذا رواه البخاريُّ مُنْفَرِدًا به[3]، عن محمدٍ غيرِ منسوبٍ، عن عبدِ الصَّمَدِ به.

وقال ابنُ إسحاقَ[4]: وحدّثنى يَزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ، عن مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنِىِّ، عن أبى رُهْمٍ السَّمَاعِىِّ، حدَّثَنى أبو أيوبَ قال: لمّا نزَل علىَّ رسولُ اللَّهِ

= جامع المسانيد للمصنف ٢٢/ ٤٨٧.

(١) هنا وفيما يأتى، فى م: «يحترف». وخرَف النخلَ واخترفه: صرمه - أى قطعه وجزّه - واجتناه.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. وأثبتناه من المسند.

(٣) البخارى (٣٩١١).

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٨، ٤٩٩.

ﷺ فى بيتى نزَل فى السُّفْلِ، وأنا وأُمُّ أيوبَ فى العُلْوِ، فقلت له: بأبى أنت وأمِّى يا رسولَ اللَّهِ، إنِّى أَكْرَهُ وأُعْظِمُ أنْ أَكُونَ فوقَك وتكونَ تحتى، فاظْهَرْ أنتَ فكُنْ فى العُلْوِ، ونَنْزِلُ نحن فنكونُ فى السُّفْلِ، فقال: «يا أبا أَيُّوبَ، إنَّ أَرْفَقَ بِنا وبِمَن يَغْشَانا أنْ أَكُونَ فى سُفْلِ البيتِ». فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سُفْلِه، وكنّا فوقَه فى المسكنِ، فلقد انْكَسَر حُبٌّ[1] لنا فيه ماءٌ، فقُمْتُ أنا وأُمُّ أيوبَ بقَطيفةٍ لنا - ما لنا لِحافٌ غيرَها - نَنْشُفُ بها الماءَ؛ تَخَوُّفًا أنْ يَقْطُرَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ منه شىءٌ فيُؤْذِيَه. قال: وكنّا نَصْنَعُ له العَشاءَ ثُم نَبْعَثُ إليه، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَةً، تَيَمَّمْتُ أنا وأُمُّ أيوبَ مَوْضِعَ يَدِه فأَكَلْنا منه، نَبْتَغِى بذلك البركةَ، حتى بَعَثْنا إليه ليلةً بعَشائِه، وقد جعَلْنا له فيه بَصَلًا أو ثُومًا، فرَدَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلم أَرَ ليَدِه فيه أَثَرًا. قال: فجِئْتُه فَزِعًا فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، بأبى أنت وأمِّى، رَدَدْتَ عَشاءَك، ولم أَرَ فيه موضعَ يدِك؟ فقال: «إنِّى وجَدْتُ فيه ريحَ هذه الشجرةِ، وأنا رجلٌ أُناجَى، فأَمّا أنتم فكُلُوه». قال: فأَكَلْناه ولم نَصْنَعْ له تلك الشجرةَ بعدُ. وكذلك رواه البَيْهَقِىُّ[2] مِن طريقِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ، عن يَزيدَ ابنِ أبى حَبِيبٍ، عن أبى الحسنِ [٢/١٤٧ظ] - أو أبى الخَيْرِ - مَرْثَدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنِىِّ، عن أبى رُهْمٍ، عن أبى أيوبَ، فذَكَرَه. ورواه أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[3]، عن يونُسَ بنِ محمدٍ المؤدِّبِ، عن اللَّيثِ.

وقال البيهقىُّ[4]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أخبرَنا أبو عَمْرٍو الحِيرِىُّ، ثنا

---

(١) الحُب: الجَرّة، أو الضخمة منها. القاموس المحيط (ح ب ب).
(٢) دلائل النبوة ٢/ ٥١٠.
(٣) مصنف ابن أبى شيبة (٤٥٤١).
(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٩.

عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا أحمدُ بنُ سعيدٍ الدارِمِيُّ ، ثنا أبو النُّعْمَانِ ، ثنا ثابتُ بنُ يَزيدَ ، ثنا عاصمٌ الأَحْوَلُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن أَفْلَحَ مولَى أبى أيوبَ ، عن أبى أيوبَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نزَل عليه ، فنزَل فى السُّفْلِ وأبو أيوبَ فى العُلْوِ ، فانْتَبَهَ أبو أيوبَ لَيْلَتَه[1] فقال : نَمْشِى فوقَ رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! فتَنَحَّوْا فباتُوا فى جانبٍ ، ثُم قال للنبىِّ ﷺ - يَعْنِى فى ذلك - فقال : « السُّفْلُ أَرْفَقُ بنا » . فقال : لا أَعْلُو سَقِيفَةً أنتَ تحتَها . فتَحَوَّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى العُلْوِ ، وأبو أيوبَ فى السُّفْلِ ، فكان يَصْنَعُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ طعامًا ، فإذا جِيءَ به سأَل عن مَوْضِعِ أصابعِه ، فيَتَتَبَّعُ موضعَ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فصنَع له طعامًا فيه ثُومٌ ، فلمّا رُدَّ إليه سأَل عن موضِعِ أصابعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقيل له : لَم يَأْكُلْ . ففَزِعَ وصَعِدَ إليه ، فقال : أحرامٌ ؟ فقال النبىُّ ﷺ : « لا ، ولكنِّى أَكْرَهُه » . قال : فإنِّى أَكْرَهُ ما تَكْرَهُ - أوْ ما كَرِهْتَ - . قال : وكان النبىُّ ﷺ [2]يُؤْتَى . يَعْنِى[2] يَأْتِيه المَلَكُ . ورواه مسلمٌ[3] عن أحمدَ بنِ سعيدٍ به .

وثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[4] ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : جِيءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ببَدْرٍ[5] - وفى روايةٍ : بقِدْرٍ[6] - فيه خَضِرَاتٌ مِن بُقُولٍ . قال : فسأَلَ

---

(١) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . وأثبتناه من الدلائل .

(٣) مسلم (٢٠٥٣) .

(٤) البخارى (٧٣٥٩) ، ومسلم (٥٦٤) . والحديث ليس من رواية أنس ، وإنما من رواية جابر بن عبد اللَّه ، رضى اللَّه عنهم ، فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة .

(٥) قال فى النهاية ١/ ١٠٦: أى طَبَق . شُبِّه بالبدر لاستدارته .

(٦) البخارى (٨٥٥) . ومسلم (٥٦٤) . عن جابر كذلك .

فأُخْبِرَ بما فيها (١ مِن البُقُولِ ١) ، فلمّا رَآه (٢) كَرِهَ أَكْلَها ، قال : « كُلْ ، فإنِّى أُنَاجِى مَن لا تُنَاجِى » .

وقد روَى الواقِدِىُّ (٣) ، أنَّ أسعدَ بنَ زُرَارَةَ - لمّا نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى دارِ أبى أيوبَ - أخَذ بخِطامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكانت عندَه .

وروَى (٤) عن زيدِ بنِ ثابتٍ أنَّه قال : أولُ هَدِيَّةٍ أُهْدِيَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ نزَل دارَ أبى أيوبَ أنا جِئْتُ بها ؛ قَصْعَةٌ فيها خبزٌ مَثْرودٌ بلبنٍ وسَمْنٍ ، فقلتُ : أَرْسَلَتْ بهذه القَصْعَةِ أُمِّى . فقال : « بارَكَ اللَّهُ فيك » . ودَعا أصحابَه فأكَلُوا ، ثُم جاءتْ قَصْعَةُ سعدِ بنِ عُبَادَةَ ؛ ثَرِيدٌ وعِرَاقُ (٥) لحمٍ ، وما كانت مِن ليلةٍ ، إلّا وعلى بابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الثلاثةُ والأربعةُ يَحْمِلُون الطعامَ يَتَنَاوَبُون ، وكان مُقامُه فى دارِ أبى أيوبَ سبعةَ أشهرٍ . قال : وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ - وهو نازلٌ فى دارِ أبى أيوبَ - مولاه زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ ، ومعهما بَعِيران وخمسُمِائةِ دِرْهَمٍ ليَجِيئَا بفاطمةَ ، وأمِّ كُلْثُومٍ ابنَتَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسَوْدَةَ بنتِ زَمْعَةَ زوجتِه ، وأسامةَ بنِ زيدٍ ، وكانت رُقَيَّةُ قد (٦) هاجَرَتْ مع زوجِها عثمانَ ، وزينبُ عندَ زوجِها بمكةَ أبى العاصِ بنِ الرَّبيعِ ، وجاءتْ معهم أمُّ أيمنَ امرأةُ زيدِ بنِ حارثةَ ، وخرَج معهم عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ بعيالِ أبى بكرٍ ، وفيهم

(١ - ١) سقط من النسخ . وأثبتناه من الصحيحين .

(٢) فى م : « رآها » .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧.

(٤) أى الواقدى ، انظر المصدر السابق ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.

(٥) العراق : جمع عَرْق ، وهو العظم أُخِذ عنه معظم اللحم ، وبقى عليه لحوم رقيقة طيبة . الوسيط (ع ر ق).

(٦) فى ص : « قديما » .

عائشةُ أمُّ المؤمنين ولم يَدْخُلْ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وقال البَيْهَقِيُّ[1]: أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، حدّثنا خَلَفُ بنُ عَمْرٍو العُكْبَرِيُّ، ثنا سعيدُ بنُ منصورٍ، ثنا عَطَّافُ بنُ خالدٍ، ثنا صِدِّيقُ بنُ موسى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ المدينةَ، فاستناخَتْ به راحلتُه بينَ دارِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ وبينَ دارِ الحسنِ [٢/١٤٨و] بنِ زيدٍ، فأتاه الناسُ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، المَنْزِلُ. فانبَعَثَتْ به راحلتُه فقال: «دَعُوها فإنَّها مأمورةٌ». ثُم خرَجَتْ به حتى جاءَتْ موضعَ المنبرِ، فاستناخَتْ ثُم تَخَلَّلَتِ[2] الناسَ[3]، وثَمَّ عَرِيشٌ كانوا يَرُشُّونه[4] ويَعْمُرُونه ويَتَبَرَّدُون فيه، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن راحلتِه فيه، فأوَى إلى الظلِّ، فأتاه أبو أيوبَ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ مَنزِلى أقربُ المنازلِ إليك، فانْقُلْ رَحْلَك إليَّ. قال: «نَعَمْ». فذهَب برَحْلِه إلى المنزلِ، ثُم أتاه رجلٌ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، أينَ تَحِلُّ؟ قال: «إنَّ الرَّجُلَ مع رحلِه حيثُ كان». وثبَت رسولُ اللَّهِ ﷺ فى العريشِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً حتى بُنِىَ المسجدُ. وهذه مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ لأبى أيوبَ خالدِ بنِ زيدٍ، رَضِىَ اللَّه عنه، حيثُ نزَل فى دارِه رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد رُوِّينا[5] مِن طريقِ (٦)يَزيدَ بنِ أبى حبيبٍ(٦)، عن محمدِ بنِ عليٍّ بنِ

(١) دلائل النبوة ٢/ ٥٠٩.

(٢) فى النسخ: «تحللت». والمثبت من الدلائل.

(٣) سقط من النسخ. وأثبتناه من الدلائل.

(٤) فى م، ص: «يعرشونه».

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٦١، ٤٦٢. وصححه ووافقه الذهبى. والطبرانى فى الكبير (٣٨٧٦). وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/ ٥٥. ثلاثتهم من طريق حبيب بن أبى ثابت به.

(٦ - ٦) كذا فى النسخ. ولعله حبيب بن أبى ثابت، كما فى مصادر التخريج. وانظر تهذيب الكمال ٣٥٨/٥، ١٠٢/٣٢.

عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أنّه لمّا قَدِم أبو أيوبَ البَصْرَةَ - وكان ابنُ عباسٍ نائبًا عليها مِن جهةِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه - فخرَج له ابنُ عباسٍ عن دارِه حتى أنزلَه فيها ، كما أَنْزَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى دارِه ، وملَّكه كلَّ ما أَغْلَقَ عليه[1] بابَها ، ولمّا أراد الانصرافَ ، أَعْطاه ابنُ عباسٍ عشرين ألفًا ، وأربعين عبدًا . وقد صارتْ دارُ أبى أيوبَ بعدَه إلى مولاه أفلحَ ، فاشْتَراها منه المغيرةُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ بألفِ دينارٍ ، وصَلَّحَ ما وَهَى مِن بُنْيانِها ، ووهَبَها لأهلِ بيتٍ فقراءَ مِن أهلِ المدينةِ .

وكذلك نزولُه ، عليه السلامُ ، فى دارِ بنى النَّجّارِ ، واختيارُ اللَّهِ له ذلك ، مَنْقَبَةٌ عظيمةٌ لهم[2] ، وقد كان فى المدينةِ دُورٌ كثيرةٌ تَبْلُغُ تِسعًا ، كلُّ دارٍ مَحَلَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ بمساكنِها ، ونخيلِها ، وزروعِها ، وأهلِها ، كلُّ قبيلةٍ مِن قبائِلِهم قد اجتَمَعوا فى مَحَلَّتِهم ، وهى كالقُرَى المتلاصقةِ ، فاخْتار اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ دارَ بنى مالكِ بنِ النَّجّارِ .

وقد ثَبَت فى « الصحيحَيْن »[3] ، مِن حديثِ شُعْبَةَ ، سمِعْتُ قَتَادَةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، [4]عن أبى أُسَيْدٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه[4] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ دُورِ الأنصارِ بنو النَّجّارِ ، ثُم بنو عبدِ الأَشْهَلِ ، ثُم بنو الحارثِ بنِ

---

(١) فى الأصل ، م : « عليها » .
(٢) سقط من : م ، ص .
(٣) البخارى (٣٧٨٩، ٣٨٠٧) ، ومسلم (٢٥١١) .
(٤ - ٤) سقط من النسخ ، وأثبتناه من الصحيحين . والظاهر أن المصنف غلط ، فألحق هذا الحديث بمسند أنس - استدراكا على شيخه المزى فى تحفة الأشراف - وإنما هو من مسند أبى أسيد ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف متعقبا له على ذلك . انظر تحفة الأشراف مع النكت الظراف ١/ ٣٣٣، ٨/ ٣٤٠، ٣٤١.

الخَزْرَجِ ، ثُم بنو ساعِدَةَ ، وفى كُلِّ دُورِ الأنصارِ خيرٌ » . فقال سعدُ بنُ عُبَادَةَ : ما أَرَى النبيَّ ﷺ إلّا قد فَضَّلَ علينا . فقيل : قد فَضَّلَكم على كثيرٍ . هذا لفظُ البخاريِّ .

وكذلك رواه البخاريُّ ومسلمٌ ، مِن حديثِ أنسٍ وأبى سَلَمَةَ ، عن أبى أُسَيْدٍ[1] مالكِ بنِ رَبيعةَ ، ومِن حديثِ عباسٍ[2] بنِ سَهْلٍ ، عن أبى حُمَيْدٍ ، عن النبيِّ ﷺ بمثلِه سواءً . زاد فى حديثِ أبى حُمَيْدٍ : فقال أبو أُسَيْدٍ لسعدِ بنِ عُبادَةَ : أَلَمْ تَرَ أنَّ النبيَّ ﷺ خَيَّرَ الأنصارَ فجعَلَنا آخِرًا ؟ فأدْرَك سعدٌ النبيَّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ ، خَيَّرْتَ دُورَ الأنصارِ فجعَلْتنا آخِرًا ! قال : « أَوَ ليس بحَسْبِكم أنْ تَكونوا مِن الخِيارِ ؟[3] » .

بل[4] قد ثَبَت لجميعِ مَن أسْلَمَ مِن أهلِ المدينةِ - وهم الأنصارُ - الشرفُ والرِّفْعَةُ فى الدنيا والآخرةِ . قال اللَّهُ تعالى[5] : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] . وقال تعالى[6] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن

---

(١) حديث أنس عن أبى أسيد ، تقدم تخريجنا له فى الحاشية السابقة . وانظر حديث أبى سلمة عن أنس فى البخارى (٣٧٩٠، ٦٠٥٣) ، ومسلم (٢٥١١) .

(٢) فى الأصل ، م : « عبادة » . وهو تصحيف . وهو عباس بن سهل بن سعد الأنصارى الساعدى . تهذيب الكمال ١٤/ ٢١٢. وحديث عباس هذا ، فى البخارى (٣٧٩١) . ومسلم (١٣٩٢) باب فى معجزات النبى ﷺ ، من كتاب الفضائل .

(٣) فى النسخ : « الأخيار » . والمثبت من الصحيحين .

(٤) سقط من : م ، ص .

(٥) التفسير ٤/ ١٤١، ١٤٢.

(٦) التفسير ٨/٩٤ - ٩٨.

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لولا الهجرةُ [٢/١٤٨ظ] لكُنْتُ امْرَأً مِن الأنصارِ، ولو سلَك الناسُ واديًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِىَ الأنصارِ وشِعْبَهم، الأَنصارُ شِعارٌ والناسُ دِثَارٌ»[١]. وقال[٢]: «الأنصارُ كَرِشِى وعَيْبَتِى[٣]». وقال[٤]: «أنا سِلْمٌ لمن سالَمَهم، وحَرْبٌ لمَن حارَبَهم».

وقال البخاريُّ[٥]: حدّثنا حَجّاجُ بنُ مِنْهَالٍ، ثنا شُعْبَةُ، حدثنى عَدِىُّ بنُ ثابتٍ، قال: سَمِعْتُ البَرَاءَ بنَ عازِبٍ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ - أو قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ -: «الأَنصارُ لا يُحِبُّهم إلَّا مؤمنٌ، ولا يُبْغِضُهم إلَّا منافقٌ، فمَن أَحَبَّهم أَحَبَّه اللَّهُ، ومَن أَبْغَضَهم أَبْغَضَه اللَّهُ». وقد أخرَجه بقيةُ الجماعةِ، إلّا أبا داودَ، مِن حديثِ شُعْبَةَ به[٦].

وقال البخاريُّ أيضًا[٧]: حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، ثنا شُعْبَةُ، عن

---

(١) البخارى (٤٣٣٠). قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٥٢: الشعار: الثوب الذى يلى الجلد من الجسد. والدثار: الذى فوقه. وهى استعارة لطيفة لفرط قُربهم منه، وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم.

(٢) البخارى (٣٨٠١).

(٣) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٢١: أى بطانتى وخاصتى، قال القزاز: ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثورة؛ أى عيال كثيرة. والعيبة: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده. يريد أنهم موضع سره وأمانته.

(٤) المسند ٣/ ٤٦٢، ودلائل البيهقى ٢/ ٤٤٧. وعندهما: «أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

(٥) البخارى (٣٧٨٣).

(٦) مسلم (٧٥)، والترمذى (٣٩٠٠)، والنسائى فى الكبرى (٨٣٣٤). وابن ماجه (١٦٣).

(٧) البخارى (٣٧٨٤).

(١عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ جَبْرٍ١) ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأَنصارِ ، وآيةُ النفاقِ بغضُ الأنصارِ » . ورواه البخاريُّ أيضًا(٢) ، عن أبي الوليدِ الطَّيالِسِيِّ(٣) ، ومسلمٌ(٤) مِن حديثِ خالدِ بنِ الحارثِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ مَهْدِيٍّ ، أَرْبَعَتُهم عن شعبةَ به .

والآياتُ والأحاديثُ في فضائلِ الأَنْصارِ كثيرةٌ جِدًّا ، وما أحسنَ ما قال أبو قيسٍ صِرْمَةُ بنُ أبي أنسٍ - المتقدِّمُ ذِكْرُه(٥) ، أحدُ شعراءِ الأنصارِ - في قُدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم ، ونصرِهم إيّاه ، ومواساتِهم له ولأصحابِه ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم أجمعينَ .

قال ابنُ إسحاقَ(٦) : وقال أبو قيسٍ صِرْمَةُ بنُ أبي أنسٍ أيضًا ، يَذْكُرُ ما أَكْرَمَهم اللَّهُ به مِن الإسلامِ ، وما خَصَّهم به مِن رسولِه ، عليه السلامُ :

ثَوَى في قريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مُواتِيَا

ويَعْرِضُ في أَهلِ(٧) المواسمِ نَفْسَه ... فلم يَرَ مَن يُؤْوِي ولم يَرَ داعِيَا

فلمّا أتانا (٨أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَه٨) ... وأَصْبَحَ مَسْرُورًا بطَيْبَةَ راضِيَا

وأَلْفَى صديقًا واطْمَأَنَّتْ به النَّوَى ... وكان له عَوْنًا مِن اللَّهِ بادِيَا

(١ - ١) في م : « عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن جبير » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ١٧١.
(٢) البخارى (١٧) .
(٣) في م : « والطيالسى » . وهو هشام بن عبد الملك الباهلى ، أبو الوليد الطيالسى البصرى . تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٢٦.
(٤) مسلم (٧٤) .
(٥) تقدم في صفحة ٣٨٢ .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥١٢.
(٧) في الأصل : « كل » .
(٨ - ٨) في النسخ : « واطمأنت به النوى » . والمثبت من السيرة .

يَقُصُّ لنا ما قال نوحٌ لقومِه — وما قال موسى إذْ أجابَ المُنادِيَا

فأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِن الناسِ واحِدًا — قَرِيبًا ولا يَخْشَى مِن الناس نائِيَا[1]

بَذَلْنا له الأموالَ مِن حِلٍّ[2] مالِنا — وأنفُسَنا عندَ الوَغَى والتَّآسِيَا

نُعادِي الذى عادَى مِن الناسِ كلَّهمْ — جميعًا ولو كان الحَبِيبَ المُواسِيَا[3]

ونَعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه — [4]وأنَّ كتابَ اللَّهِ أصبحَ هادِيَا[4]

أَقولُ إذا صلَّيْتُ فى كلِّ بِيعَةٍ[5] — حَنانَيْكَ لا تُظهِرْ علينا الأعادِيَا

أقولُ إذا جاوَزْتُ أرضًا مُخِيفَةً — تبارَكْتَ إسمَ اللَّهِ أنتَ المُوالِيَا

فَطَأْ مُعْرِضًا إنَّ الحُتُوفَ كثيرةٌ — وإنَّك لا تُبْقِى لنفسِك باقِيَا

فواللَّهِ ما يَدْرِى الفتَى كيف سَعْيُه — إذا هو لم يَجْعَلْ له اللَّهَ واقِيَا

ولا [6]تَحْفِلُ النخلُ المُعِيمَةُ[6] ربَّها — إذا أصبَحَتْ رِيًّا وأَصْبَحَ ثاوِيَا

ذكَرها ابنُ إسحاقَ وغيرُه[7] . ورواها عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْدِيُّ وغيرُه ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأَنصارىِّ ، عن عجوزٍ مِن الأنصارِ ،

---

(١) فى الأصل : « باغيا » .

(٢) فى م ، ص : « جل » .

(٣) فى السيرة : « المصافيا » .

(٤ - ٤) فى السيرة : « ونعلم أن اللَّه أفضل هاديا » .

(٥) البيعة : معبد النصارى . ويعنى بها هنا المسجد .

(٦ - ٦) فى الأصل : « نجعل النحل المقيمة » . وفى ص : « يجعل النخل المقيمة » . والعَيْمة : العطش . اللسان (ع ى م) . والمعيمة : العطشى .

(٧) أورد بعضها ابن عبد البر فى الاستيعاب ٢/ ٧٣٨، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ١٨ .

قالت : رأيْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ يَخْتَلِفُ إلى صِرْمَةَ بنِ قَيْسٍ يَرْوِى هذه الأَبياتَ . [٢/١٤٩و] رواه البَيْهَقِيُّ[١] .

فصلٌ

وقد شُرِّفَتِ المدينةُ أيضًا بهجرتِه ، عليه السلامُ ، إليها ، وصارتْ كَهْفًا لأولياءِ اللَّهِ وعبادِه الصالِحين ، ومَعْقِلًا وحصنًا مَنيعًا للمسلمين ، ودارَ هدًى للعالَمِين ، والأحاديثُ فى فضلِها كثيرةٌ جِدًّا ، لها مَوْضِعٌ آخرُ نُورِدُها فيه إنْ شاء اللَّهُ .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْن »[٢] مِن طريقِ [٣]خُبَيْبِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خُبَيْبِ بنِ يِسَافٍ[٣] ، عن حَفْصِ[٤] بنِ عاصمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِها » . ورَواه مسلمٌ أيضًا[٥] ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن شَبَابَةَ ، عن عاصمِ بنِ محمدِ بنِ زيدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عُمَرَ ، عن النبىِّ ﷺ نحوَه .

وفى « الصحيحَيْن » أيضًا[٦] ، مِن حديثِ مالكٍ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، أنَّه

---

(١) دلائل النبوة ٢/٥١٣، ٥١٤.

(٢) البخارى (١٨٧٦) ، ومسلم (١٤٧) .

(٣ - ٣) فى الأصل : « عبد الرحمن بن يساف » ، وفى م : « حبيب بن يساف » ، وفى ص : « حبيب ابن عبد الرحمن بن يساف » . وانظر تهذيب الكمال ٨/٢٢٧.

(٤) فى النسخ : « جعفر » . وهو تصحيف . انظر تهذيب الكمال ١٧/٧.

(٥) مسلم (١٤٦) .

(٦) البخارى (١٨٧١) ، ومسلم (١٣٨٢) .

سَمِعَ أبا الحُبَابِ سعيدَ بنَ يَسَارٍ، سَمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ بقريةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يقولون: يَثْرِبُ. وهى المدينةُ، تَنْفِى[1] النّاسَ كما يَنْفِى[2] الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ». وقد انْفَرَدَ الإمامُ مالكٌ عن بَقِيَّةِ الأئمةِ الأربعةِ بتَفْضِيلِها على مكةَ[3].

وقد قال البَيْهَقِىُّ[4]: أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أخبرَنى أبو الوليدِ وأبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ قالا: ثنا الحسنُ بنُ سفيانَ، ثنا أبو موسى الأنصارىُّ، ثنا سعيدُ بنُ سعيدٍ، حدَّثنى أخى، عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللهُمَّ إنَّكَ أَخْرَجْتَنِى مِن أَحَبِّ البِلادِ إلىَّ، فأَسْكِنِّى أَحَبَّ البلادِ إليك». فأَسْكَنَه اللَّهُ المدينةَ. وهذا حديثٌ غريبٌ جِدًّا.

والمشهورُ عن الجمهورِ أنَّ مكةَ أفضلُ مِن المدينةِ، إلّا المكانَ الذى ضَمَّ جَسَدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقد استدلَّ الجمهورُ على ذلك بأدلةٍ يَطُولُ ذكرُها هلهنا، ومحَلُّها[5] فى كتابِ المناسكِ مِن «الأَحكامِ» إنْ شاء اللَّهُ تعالى.

وأشهرُ دليلٍ لهم فى ذلك، ما قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا أبو اليَمَانِ، ثنا شُعَيْبٌ، عن الزُّهْرِىِّ، أخبرَنا أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عَدِىِّ ابنِ الحَمْرَاءِ أخبرَه، أنَّه سَمِعَ النبىَّ ﷺ وهو واقفٌ بالحَزْوَرَةِ[7] فى سوقِ مكةَ

---

(١) فى م: «تنقى».

(٢) فى م: «ينقى».

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووى ٩/ ١٦٣، ١٦٤.

(٤) دلائل النبوة ٢/ ٥١٩.

(٥) بعده فى الأصل، م: «ذكرناها».

(٦) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٧) قيل: إن الحزورة هى سوق مكة، وقيل إنها بفناء دار الأرقم يعنى دار الخيزران التى عند الصفاء، =

يقولُ : « واللَّهِ إنَّكِ لخَيْرُ أرضِ اللَّهِ ، وأحَبُّ أرضِ اللَّهِ [(1] إلى اللَّهِ [1)] ، ولولا أنِّى أُخْرِجْتُ منكِ ما خَرَجْتُ » . وكذا رواه أحمدُ[(2)] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن صالحِ بنِ كَيْسَانَ ، عن الزُّهْرِىِّ به . وهكذا رواه التِّرْمِذِىُّ ، والنَّسَائِىُّ ، وابنُ ماجَه[(3)] ، مِن حديثِ اللَّيْثِ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ به . وقال التِّرْمِذِىُّ : حسنٌ صحيحٌ ، وقد رواه يونُسُ عن الزهرىِّ به ، ورَوَاه محمدُ ابنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، [(4] عن أبى هريرةَ ، وحديثُ الزُّهْرِىِّ عندى أَصَحُّ .

قال الإمامُ أحمدُ[(5)] : حَدَّثنا عبدُ الرَّزّاقِ ، ثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ [4)] ، عن أبى هريرةَ قال : وَقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ على الحَزْوَرَةِ فقال : « عَلِمْتُ أنَّكِ خيرُ أَرضِ اللَّهِ ، وأَحَبُّ الأرضِ إلى اللَّهِ ، ولولا أَنَّ أهلَكِ أَخْرَجُونى منكِ ما خَرَجْتُ » . وكذا رَواه النَّسائىُّ[(6)] مِن حديثِ مَعْمَرٍ به . قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[(7)] : وهذا وَهْمٌ مِن مَعْمَرٍ ، وقد رَواه بعضُهم عن محمدِ ابنِ عَمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، وهو أيضًا وَهْمٌ ، والصحيحُ رِوايةُ

= ونُقل عن بعضهم أنها بحذاء الردم فى الوادى ، وقيل : إنها كانت بالقرب من باب الوداع ثم دخلت فى المسجد . الفتح الربانى ٢٣/ ٢٤٥.

(١ - ١) فى النسخ : « إلىَّ » . والمثبت من المسند .

(٢) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٣) الترمذى (٣٩٢٥) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢٥٢) ، وابن ماجه (٣١٠٨) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٣٠٨٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٦) النسائى فى الكبرى (٤٢٥٤) .

(٧) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥١٨.

الجماعةِ .

وقال أحمدُ[1] أيضًا : حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ خالدٍ ، ثنا رَباحٌ ، عن مَعْمَرٍ ، عن محمدِ بنِ مسلمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيِّ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن بعضِهم ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وهو فى سوقِ الحَزْوَرَةِ : « واللَّهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرضِ اللَّهِ ، وأَحَبُّ الأرضِ إلى اللَّهِ ، ولولا أنِّى أُخْرِجْتُ منكِ ما خَرَجْتُ » . ورَواه الطبرانِيُّ[2] عن أحمدَ بنِ خُلَيْدٍ الحَلَبِيِّ ، عن الحُمَيْدِيِّ ، عن الدَّراوَرْدِيِّ ، عن ابنِ أخى الزُّهْرِيِّ ، (3)عن الزُّهْرِيِّ(3) ، [١٤٩/٢ظ] عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَدِيِّ بنِ الحمراءِ به . فهذه طرقُ هذا الحديثِ ، وأصحُّها ما تَقَدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٤/ ٣٠٥.

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٤٥٧) .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

ذِكْرُ[1] ما وقع فى السَّنةِ الأُولَى مِن الهِجْرَةِ

[2]النَّبَوِيَّةِ ، مِن الحوادثِ والوقائعِ العظيمةِ[2]

اتَّفَق الصَّحابةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، فى سنةِ ستَّ عَشْرَةَ - وقيل : سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، أو ثمانىَ عَشْرَةَ - فى الدولةِ العُمَرِيَّةِ ، على جَعْلِ ابْتداءِ التَّأْريخِ الإسلامِىِّ مِن سنةِ الهجرةِ ؛ وذلك أنَّ أميرَ المؤْمِنِين عُمرَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، رُفِع إليه صَكٌّ ، أَىْ حُجَّةٌ ، لرجلٍ على آخَرَ ، وفيه أنَّه يَحِلُّ عليه فى شعبانَ ، فقال عُمرُ : أَىُّ شعبانَ ؟ أشعبانُ هذه السنةِ التى نحنُ فيها ، أو السنةِ الماضيةِ ، أو الآتيةِ ؟ ثُم جَمَع الصَّحابةَ ، فاسْتَشارَهم فى وَضْعِ تأْريخٍ يَتَعَرَّفُون به حُلُولَ الدُّيُون وغيرَ ذلك ، فقال قائلٌ : أَرِّخُوا كتأْرِيخِ الفُرْسِ . فكَرِه ذلك ، وكانتِ الفرسُ يُؤَرِّخُون بملوكِهم واحدًا بعدَ واحدٍ . وقال قائلٌ : أَرِّخُوا بتأْرِيخِ الرُّومِ . وكانوا يُؤَرِّخون بمُلْكِ إسْكَنْدَرَ بنِ فِيلِيبُّسَ المَقْدُونِىِّ ، فكَرِه ذلك ، وقال آخرُون : أَرِّخُوا بمولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال آخرُون : بل بمَبْعَثِه . وقال آخرُونَ : بل بهِجْرَتِه . وقال آخرُونَ : بل بوفاتِه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ . فمال عمرُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، إلى التَّأْريخِ بالهجرةِ ؛ لظُهورِه واشْتِهارِه ، واتَّفَقُوا معه على ذلك[3] .

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.

وقال البخاريُّ في « صحيحِه »[(١)] : التَّارِيخُ ومتى[(٢)] أَرَّخُوا التَّاريخَ : حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ[(٣)] ، ثنا عبدُ العزيزِ ، عن أبيه ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ قال : ما عَدُّوا مِن مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ ولا مِن وفاتِه ، ما عَدُّوا إلَّا مِن مَقْدَمِه المدينةَ .

وقال الواقِدِيُّ : حدَّثنا ابنُ أبي الزِّنادِ ، عن أبيه قال : اسْتَشار عُمرُ في التأْريخِ ، فأَجْمَعُوا على الهِجرةِ .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ[(٤)] عن قُرَّةَ[(٥)] بنِ خالدٍ السَّدُوسِيِّ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ قال : قام رجلٌ إلى عمرَ ، فقال : أَرِّخُوا . فقال : ما أَرِّخُوا ؟ فقال : شيءٌ تَفْعَلُه الأَعاجِمُ ، يَكْتُبُون : في شهرِ كذا مِن سنةِ كذا . فقال عمرُ : حَسَنٌ ، فأَرِّخُوا . فقالوا : مِن أيِّ السنينَ نَبْدَأُ ؟ فقالوا : مِن مَبْعَثِه . وقالوا : مِن وفاتِه . ثُم أَجْمَعُوا على الهجرةِ ، ثُم قالوا : وأيَّ الشهورِ نَبْدَأُ ؟ فقالوا : رمضانَ . ثُم قالوا : المُحَرَّمَ ؛ فهو مُنْصَرَفُ[(٦)] الناسِ من حَجِّهم ، [(٧)]وهو شهرٌ حرامٌ[(٧)] . فاجْتَمَعُوا على المُحَرَّمِ .

وقال ابنُ جَرِيرٍ[(٨)] : [(٩)]حدَّثَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ[(٩)] ، حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا نوحُ ابنُ قيسٍ الطَّاحِيُّ[(١٠)] ، عن عثمانَ بنِ مِحْصَنٍ ، أنَّ ابنَ عباسٍ كان يقولُ في

---

(١) البخاري (٣٩٣٤) .

(٢) عند البخاري : « من أين » .

(٣) في الأصل ، م : « مسلم » .

(٤) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٣٨٩، من طريق الطيالسي به .

(٥) في الأصل ، ص : « فروة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٦) في النسخ : « مصرف » . والمثبت من تاريخ الطبري .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) تاريخ الطبري ٢/ ٣٩٠.

(٩ - ٩) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبري .

(١٠) في م : « الطائي » .

قولِه تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ [الفجر: ١، ٢]. هو المحرَّمُ ، فَجرُ السَّنَةِ . (١ ورَوَى(٢) عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ قال : إنَّ المحرَّمَ شهرُ اللَّهِ ، وهو رَأْسُ ١) السنةِ ، يُكْسَى به(٣) البيتُ ، ويُؤَرَّخُ به الناسُ ، ويُضْرَبُ فيه الوَرِقُ .

وقال أحمدُ(٤) : حدَّثنا رَوْحُ بنُ عُبادةَ ، ثنا زكريّا بنُ إسحاقَ ، عن عَمرِو ابنِ دِينارٍ قال : إنَّ أوَّلَ مَن أرَّخَ الكُتُبَ يَعْلَى بنُ أُمَيَّةَ باليمنِ ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ المدينةَ فى ربيعٍ الأوَّلِ ، وإنَّ الناسَ أرَّخُوا لأوَّلِ السنةِ .

ورَوَى محمدُ بنُ إسحاقَ(٥) ، عن الزُّهْرِيِّ ، وعن محمدِ بنِ صالحٍ عن الشَّعْبِيِّ ، أنَّهما قالا : أَرَّخَ بنو إسماعيلَ مِن نارِ إبراهيمَ ، ثُم أَرَّخُوا مِن بُنْيانِ إبراهيمَ وإسماعيلَ البيتَ ، ثُم أَرَّخُوا مِن موتِ كعبِ بنِ لُؤَىٍّ ، ثُم أَرَّخُوا مِن الفيلِ ، ثُم أَرَّخَ عمرُ بنُ الخطابِ مِن الهجرةِ ، وذلك سنةَ سَبْعَ عَشْرَةَ أو ثمانىَ عَشْرَةَ . وقد ذكَرْنا هذا الفصلَ مُحَرَّرًا بأسانيدِه وطُرُقِه فى « السيرةِ العُمَرِيَّةِ » . [٢/ ١٥٠و] وللَّهِ الحمدُ .

والمقصودُ أنَّهم جَعَلوا ابتداءَ التاريخِ الإسلامىِّ مِن سنةِ الهجرةِ ، وجَعَلوا أوَّلَها مِن المحرَّمِ ، فيما اشْتَهَر عنهم ، وهذا هو قولُ جُمهورِ الأئمةِ .

وحَكَى السُّهَيْلِىُّ وغيرُه ، عن الإمامِ مالكٍ ، أنَّه قال : أَوَّلُ السنةِ الإسلاميَّةِ

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٠، وذكره بأطول من هذا .
(٣) سقط من : م ، ص .
(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٣٩٠/٢ من طريق أحمد به ، بزيادة يسيرة عما هنا . وصحح الحافظ فى الفتح ٢٦٨/٧ إسناده ، إلا أنه قال : فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى .
(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٩٠، معلقا من طريقى محمد بن إسحاق ومحمد بن صالح بهما .

ربيعُ الأوَّلُ ؛ لأنَّه الشهرُ الذى هاجَر فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ . [1]وقد اسْتَدَلَّ السُّهَيْلِىُّ[2] على ذلك ، فى موضعٍ آخرَ ، بقولِه تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة : ١٠٨] أىْ ؛ مِن أوَّلِ يومِ حُلولِ النبىِّ ﷺ المدينةَ ، وهو أوَّلُ يومٍ مِن التاريخِ ، كما اتَّفَقَ الصحابةُ على أوَّلِ سِنِىِّ التاريخِ عامَ الهجرةِ[1] . ولا شَكَّ أنَّ هذا الذى قاله الإمامُ مالكٌ ، رَحِمه اللَّهُ ، مُناسِبٌ ، ولكنَّ العملَ على خلافِه ؛ وذلك لأنَّ أوَّلَ شُهورِ العربِ المُحَرَّمُ ، فجَعَلوا السنةَ الأُولى سنةَ الهجرةِ ، وجَعَلوا أوَّلَها المُحَرَّمَ كما هو المعروفُ ؛ لِئَلَّا يَخْتَلِطَ النِّظامُ . واللَّهُ أعلمُ .

فنقولُ وباللَّهِ المُسْتَعانُ : اسْتَهَلَّتْ سنةُ الهجرةِ المباركةِ ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقيمٌ بمكةَ ، وقد بايَع الأَنصارُ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثانيةَ ، كما قَدَّمْنا[3] ، فى أَوْسَطِ أيامِ التَّشْرِيقِ ، وهى ليلةُ الثانِى عَشَرَ مِن ذى الحِجَّةِ قبلَ سنةِ الهجرةِ ، ثُم رَجَع الأَنصارُ ، وأَذِن رسولُ اللَّهِ ﷺ للمُسلِمين فى الهجرةِ إلى المدينةِ ، فهاجَر مَن هاجَر مِن أصحابِه إلى المدينةِ ، حتى لم يَبْقَ بمكةَ مَن يُمْكِنُه الخُروجُ إلَّا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وحَبَس أبو بكرٍ نفسَه على رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليَصْحَبَه فى الطريقِ ، كما قَدَّمْنا[4] ، ثُم خَرَجا على الوَجْهِ الذى تَقَدَّمَ بَسْطُه[5] ، وتَأَخَّر علىُّ بنُ أبى طالبٍ بعدَ النبىِّ ﷺ بأَمْرِه ؛ ليُؤَدِّىَ ما كان عندَه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) الروض الأنف ٤/٢٥٤ - ٢٥٧.
(٣) تقدم فى صفحة ٣٩٥ .
(٤) تقدم فى صفحة ٤٥٨ .
(٥) تقدم فى صفحة ٤٤٥ - ٤٨٤ .

الوَدائِعِ ، ثُم لَحِقَهم بقباءٍ ، فقَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الاثنينِ ، قريبًا مِن الزَّوالِ وقد اشْتَدَّ الضَّحاءُ[(١)] .

قال الواقِدِىُّ وغيرُه[(٢)] : وذلك لِلَيْلَتَيْن خَلَتا مِن شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ . وحكاه ابنُ إسحاقَ[(٣)] ، إلّا أنّه لم يُعَرِّجْ عليه ، ورَجَّح أنَّه لثِنْتَىْ عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ منه . وهذا هو المشهورُ الذى عليه الجمهورُ .

وقد كانتْ مُدَّةُ إقامتِه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، بمكةَ بعدَ البِعْثَةِ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً ، فى أَصَحِّ الأَقوالِ ، وهو رِوايةُ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ[(٤)] ، عن أبى [(٥)] جَمْرَةَ الضُّبَعِىِّ [(٥)] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَربعينَ سنةً ، وأقام بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ سنةً .

وهكذا رَوَى ابنُ جريرٍ[(٦)] ، عن محمدِ بنِ مَعْمَرٍ ، عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ ، عن زكريّا بنِ إسحاقَ ، عن عَمرِو بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنّه قال : مَكَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ثلاثَ عَشْرَةَ . وتَقَدَّم[(٧)] أنَّ ابنَ عباسٍ كَتَب أبياتَ صِرْمَةَ بنِ أبى أنسِ بنِ قيسٍ :

---

(١) الضحاء : إذا قرُب انتصاف النهار .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام - السيرة النبوية للحافظ الذهبى ص ٣٣٦، وانظر الفتح ٧/ ٢٤٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٢.

(٤) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٨٤، من طريق حماد بن سلمة به .

(٥ - ٥) فى الأصل ، م ، ص : « حمزة الضبى » . وهو نصر بن عمران بن عصام ، وقيل : ابن عاصم بن واسع . تهذيب الكمال ٣٦٢، ٣٦٣.

(٦) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٥.

(٧) تقدم فى صفحة ٥٠٥ ، ٥٠٦ . ولكن بلفظة : « يروى » بدلا من : « كتب » .

ثَوَى فِى قُرَيشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً   يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وقال الواقِدِىُّ، عن إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّه اسْتَشْهَد بقولِ صِرْمَةَ:

ثَوَى فى قُريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً   يُذَكِّرُ لو يَلْقَى صديقًا مُواتِيا

وهكذا رَواه ابنُ جَريرٍ[1] عن الحارثِ، عن محمدِ بنِ سعدٍ، عن الواقِدِىِّ: خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً. وهو قولٌ غريبٌ جِدًّا. وأَغْرَبُ منه ما قال ابنُ جريرٍ[2]: حُدِّثْتُ عن رَوْحِ بنِ عُبادَةَ، ثنا سعيدٌ، عن قَتادَةَ قال: نَزَل القرآنُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانِىَ سنينَ بمكةَ، وعَشْرًا بالمدينةِ. [3]وكان الحسنُ يقولُ: عَشْرًا بمكةَ، وعَشْرًا بالمدينةِ[3]. وهذا القولُ الآخِرُ الذى ذَهَب إليه الحسنُ البَصْرِىُّ، مِن أنَّه أقام بمكةَ عَشْرَ سنينَ، ذهَب إليه أنسُ بنُ مالكٍ، وعائشةُ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ، [٢/ ١٥٠ظ] وعمرُو بنُ دِينارٍ، فيما رَواه ابنُ جريرٍ[4] عنهم. وهو روايةٌ عن ابنِ عباسٍ؛ رواها أحمدُ بنُ حنبلٍ[5]، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن هشامٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: أُنْزِل على النبىِّ ﷺ وهو ابنُ ثلاثٍ وأربعينَ، فمَكَث بمكَّةَ عَشْرًا. وقد قَدَّمْنَا[6] عن الشَّعْبِىِّ أنَّه قال: قُرِن إسْرافِيلُ برسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ سنينَ، يُلْقِى إليه الكلمةَ والشىءَ. وفى رِوايةٍ[7]: يَسْمَعُ حِسَّه ولا

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٦.
(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٧.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٣، ٣٨٤.
(٥) تقدم تخريجه صفحة ١٠ حاشية (٤).
(٦) تقدم فى صفحة ١٠.
(٧) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٨٦.

يَرَى شَخْصَه ، ثُم كان بعدَ ذلك جِبْرِيلُ . وقد حَكى الواقِدِيُّ[1] عن بعضِ مشايخِه ، أنَّه أَنْكَر قولَ الشَّعْبِيِّ هذا . وحاوَل ابنُ جريرٍ أنْ يَجْمَعَ بينَ قولِ مَن قال : إنَّه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، أقام بمكةَ عَشْرًا . وقولِ مَن قال : ثلاثَ عَشْرَةَ . بهذا الذى ذَكَره الشَّعْبِيُّ . واللَّهُ أعلمُ .

فصلٌ

ولمَّا حَلَّ الرِّكابُ النبويُّ بالمدينةِ ، كان[2] أَوَّلُ نزولِه بها فى دارِ بنى عَمرِو ابنِ عوفٍ ، وهى قُبَاءٌ كما تَقَدَّم[3] ، فأقام بها ، أَكْثَرَ ما قِيل ، ثِنْتَيْن وعشرينَ ليلةً ، وقِيل : ثمانِىَ عَشْرَةَ ليلةً . وقيل : بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً[4] . وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[5] : ثلاثَ ليالٍ . والأَشْهَرُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه[6] ، أنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، أقام فيهم بقُباءٍ مِن يوم الاثنينِ إلى يومِ الجمعةِ . وقد أسَّسَ فى هذه المدَّةِ المُختلَفِ فى مِقدارِها - على ما ذَكَرْناه - مسجدَ قُباءٍ ، [7]وقد ادَّعَى السُّهَيْلِىُّ[8] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أسَّسَه فى أوَّلِ يومِ قَدِم إلى قُباءٍ ، وحَمَل على ذلك قولَه[7]

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) فى م ، ص : « وكان » .

(٣) تقدم فى صفحة ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٤) تقدمت هذه الأقوال الثلاثة فى صفحة ٤٩٠ .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٠٠ من حديث موسى بن عقبة .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٤، وانظر تاريخ الإسلام - السيرة النبوية ص ٣٣٦.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(٨) الروض الأنف ٤/ ٢٥٤، ٢٥٥.

(1) تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ . وردَّ قولَ مَن أغْرَبَها : مِن تأْسِيسِ أوَّلِ يومٍ (1) . وهو مسجدٌ شريفٌ فاضلٌ ، نَزَل فيه قولُه تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] . كما تَكَلَّمْنا على تقريرِ ذلك فى « التَّفْسيرِ »[2] ، وذَكَرْنا الحديثَ الذى (3) فى « صحيحِ مسلمٍ »[4] ؛ أنَّه مسجدُ المدينةِ ، والجوابَ عنه .

وذَكَرْنا الحديثَ الذى (3) رواه الإمامُ أحمدُ[5] : حَدَّثنا حسينُ[6] بنُ محمدٍ ، ثنا أبو أُوَيْسٍ[7] ، ثنا شُرَحْبِيلٌ ، عن عُوَيْمِ بنِ ساعِدَةَ ، أنَّه حَدَّثه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتاهم فى مسجدِ قُباءٍ فقال : « إنَّ اللَّهَ قد أَحْسَنَ عليكم الثَّناء فى الطُّهُورِ ، فى قِصَّةِ مسجدِكُم ، فما هذا الطُّهُورُ الذى تَطَّهَّرُونَ به ؟ » . قالوا : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ما نعلمُ شيئًا ، إلَّا أنَّه كان لنا جيرانٌ مِن اليهودِ ، فكانوا يَغْسِلون أدبارَهم مِن الغائطِ ، فغَسَلْنا كما غَسَلُوا . وأخْرَجَه ابنُ خُزَيْمَةَ فى « صحيحِه »[8] ، وله شواهدُ أُخَرُ . ورُوِى عن خُزَيْمَةَ بنِ ثابتٍ ، ومحمدِ بنِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) التفسير ٤/١٥٠ - ١٥٤ .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) مسلم (١٣٩٨) .
(٥) المسند ٣/ ٤٢٢ . قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢١٢ : رواه أحمد والطبرانى فى الثلاثة ، وفيه شرحبيل ابن سعد ؛ ضعفه مالك وابن معين وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان .
(٦) فى النسخ : « حسن » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٧١، ٤٧٢ .
(٧) فى النسخ : « إدريس » . والمثبت من المسند . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ١٦٧ .
(٨) صحيح ابن خزيمة (٨٣) . وقال محققه : إسناده ضعيف .

عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ، وابنِ عباسٍ[1].

وقد رَوَى أبو داودَ، والتِّرمِذِىُّ، وابنُ ماجه[2]، مِن حديثِ يونسَ بنِ الحارثِ، عن إبراهيمَ بنِ أبى مَيْمُونَةَ[3]، [4]عن أبى صالحٍ[4]، عن أبى هُريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: نزَلَتْ هذه الآيةُ فى أهلِ قُباءٍ: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ قال: كانوا يَسْتَنْجُون بالماءِ، فنزَلَتْ فيهم هذه الآيةُ. ثُم قال التِّرمِذِىُّ: غريبٌ مِن هذا الوجهِ.

قلتُ: ويونُسُ بنُ الحارثِ هذا ضعيفٌ. واللَّهُ أعلمُ. ومِمَّن قال بأنَّه المسجدُ الذى أُسِّسَ على التقوى؛ ما رَواه عبدُ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، ورَواه علىُّ بنُ أبى طَلْحَةَ، عن ابنِ عباسٍ، وحُكِى عن الشَّعْبِىِّ، والحسنِ البَصْرِىِّ، وقَتادَةَ، وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، وعَطِيَّةَ العَوْفِىِّ، وعبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ، وغيرِهم[5]. وقد كان النبىُّ ﷺ يَزُورُه فيما بعدُ ويُصَلِّى فيه، وكان يَأْتِى قُباءً كلَّ سبتٍ، تارةً راكِبًا وتارةً ماشِيًا[6]. وفى الحديثِ[7]: «صلاةٌ فى مسجدِ قُباءٍ كَعُمْرَةٍ». وقد وَرَدَ فى حديثٍ[8] أنَّ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١١/ ٢٩، ٣٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٥١.

(٢) أبو داود (٤٤)، والترمذى (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤).

(٣) فى الأصل: «معاوية».

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من مصادر التخريج.

(٥) انظر هذه الأقوال فى التفسير ٤/ ١٥٢، وتفسير الطبرى ١١/ ٢٧، ٢٨.

(٦) مسلم (١٣٩٩).

(٧) الترمذى (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٧).

(٨) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ٣١٧، ٣١٨ (٨٠١، ٨٠٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١١: رجاله ثقات.

جبريلَ ، عليه السَّلامُ ، هو الذى أشارَ للنبىِّ ﷺ إلى مَوضِعِ قِبلةِ مسجدِ قُباءٍ . فكان هذا المسجدُ أَوَّلَ مسجدٍ [٢/ ١٥١و] بُنِى فى الإسلامِ بالمدينةِ ، بل أَوَّلَ مسجدٍ جُعِل لعُمومِ الناسِ فى هذه المِلَّةِ . واحْتَرَزْنا بهذا عن المسجدِ الذى بناه الصِّدِّيقُ بمكةَ عندَ بابِ دارِه ، يَتَعَبَّدُ فيه ويُصَلِّى ؛ لأنَّ ذاك كان لخاصَّةِ نفسِه ، لم يَكُنْ للناسِ عامَّةً . واللَّهُ أعلمُ .

وقد تَقَدَّمَ إسلامُ سَلمانَ فى البِشاراتِ(١) ؛ أنَّ سلمانَ الفارسىَّ لمَّا سَمِع بقُدُومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ذَهَب إليه وأخذَ معه شيئًا ، فوَضَعه بينَ يَدَيْه وهو بقُباءٍ ، قال : هذا صَدَقَةٌ . فكَفَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يَأْكُلْه ، وأمَرَ أصحابَه فأَكَلُوا منه ، ثُم جاء مرَّةً أُخرَى ومعه شىءٌ ، فوَضَعه وقال : هذه هديةٌ . فأَكَل منه ، وأمَرَ أصحابَه فأَكَلُوا . تَقَدَّم الحديثُ بطُولِه .

---

(١) تقدم فى ٣/٥٠٨ - ٥٢١.

فصلٌ فى إسلامِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ

قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا عَوْفٌ ، عن زُرارَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ قال : لمّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ انْجَفَلَ[(٢)] الناسُ إليه[(٣)] ، فكُنتُ فيمَن انْجَفَل ، فلمَّا تَبَيَّنْتُ وجهَه ، عرَفْتُ أنَّه ليس بوجهِ كَذَّابٍ ، فكان أَوَّلُ شىءٍ سَمِعْتُه يقولُ : « أَفْشُوا السَّلامَ ، وأَطْعِمُوا الطَّعامَ ، [(٤)]وصِلُوا الأرحامَ[(٤)] ، وصَلُّوا بالليلِ[(٥)] والنَّاسُ نِيامٌ ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بسلامٍ » . ورَواه التِّرْمِذِىُّ ، وابنُ مَاجَه[(٦)] ، مِن طُرُقٍ عن عَوْفٍ الأَعْرابىِّ ، عن زُرارةَ بنِ أبى أَوْفَى به عنه ، وقال التِّرْمِذِىُّ : صحيحٌ . ومُقْتَضَى هذا السياقِ ، يَقْتَضِى أنَّه سَمِع بالنبىِّ ﷺ ورآه أَوَّلَ قُدومِه ، حينَ أناخَ بقُباءٍ فى بنى عَمرِو بنِ عَوفٍ ، وتَقَدَّم[(٧)] فى رِوايةِ عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ أنَّه اجْتَمَعَ به حينَ أناخ عندَ دارِ أبى أيوبَ ، بعدَ[(٨)] ارْتِحالِه مِن قُباءٍ إلى دارِ بنى النَّجّارِ كما تَقَدَّم ، فلَعَلَّه رآه أَوَّلَ ما رآه بقُباءٍ ، واجْتَمَعَ به بعدَما صار إلى دارِ بنى النَّجّارِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٥/ ٤٥١.

(٢) أى ذهبوا مسرعين نحوه . اللسان (ج ف ل) .

(٣) سقط من : م ، ص . وفى المسند : « عليه » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) ليس فى المسند .

(٦) الترمذى (٢٤٨٥) ، وابن ماجه (١٣٣٤، ٣٢٥١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٠١٩) .

(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩٥ .

(٨) فى م ، ص : « عند » .

وفى سياقِ البخاريِّ[1] مِن طريقِ عبدِ العزيزِ، عن أنسٍ قال: فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ جاء عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ فقال: أَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ، وأنَّكَ جِئتَ بحقٍّ، وقد عَلِمَتْ يهودُ أنِّى سَيِّدُهم وابنُ سيدِهم، وأَعْلَمُهم وابنُ أعلمِهم، فادْعُهم فَسَلْهم عنِّى قبلَ أن يَعْلَمُوا أنِّى قد أَسلمتُ، فإنَّهم إن يَعْلَمُوا أنِّى قد أَسلمتُ، قالوا فىَّ ما ليس فىَّ. فأَرْسَل نبىُّ اللَّهِ ﷺ إلى اليهودِ فدَخَلُوا عليه، فقال لهم: «يا مَعْشَرَ اليهودِ، وَيْلَكم، اتَّقُوا اللَّهَ، فواللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو إنَّكم لَتَعْلَمُونَ أنِّى رسولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّى جِئْتُكم بحقٍّ فأَسْلِمُوا». قالوا: ما نَعْلَمُه. قالوا للنبىِّ ﷺ، قالها ثلاثَ مرارٍ. قال: «فأَىُّ رَجُلٍ فيكم عبدُ اللَّهِ ابنُ سَلَامٍ؟» قالوا: ذاك سَيِّدُنا وابنُ سيدِنا، وأَعْلَمُنا وابنُ أَعلمِنا. قال: «أَفَرَأَيْتُم إن أَسْلَمَ؟» قالوا: حاشَ للَّهِ، ما كان ليُسْلِمَ. قال: «يا بنَ سَلَامٍ، اخْرُجْ عليهم». فَخَرَج فقال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ، فواللَّهِ الذى لا إلهَ إلَّا هو، إنَّكم لَتَعْلَمُون أنَّه رسولُ اللَّهِ، وَأَنَّه جاء بالحقِّ. فقالوا: كَذَبْتَ. فأَخْرَجَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ. هذا لفظُه. وفى رِوايةٍ[2]: فلمَّا خَرَج عليهم شَهِد شَهادَةَ الحقِّ، قالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنَا. وتَنَقَّصُوه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذا الذى كنتُ أَخافُ.

وقال البَيْهَقِىُّ[3]: أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، أَخْبَرَنا الأَصَمُّ، حَدَّثنا محمدُ

---

(١) البخارى (٣٩١١).

(٢) البخارى (٣٩٣٨)، والنسائى فى الكبرى (٩٠٧٤).

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/٥٢٨، ٥٢٩.

ابنُ إسحاقَ الصَّغَانِيُّ[(١)] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ[(٢)] بكرٍ ، ثنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ قال : سَمِع عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ بقُدُومِ النبيِّ ﷺ ، وهو فى أرضٍ له ، فأتَى النبيَّ ﷺ ، فقال : إنِّى سائِلُك عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهنَّ إلَّا نبيٌّ ؛ ما أَوَّلُ أَشْراطِ الساعةِ ؟ وما أَوَّلُ طعامٍ يَأْكُلُه أهلُ الجَنَّةِ ؟ وما يَنْزِعُ[(٣)] [٢/ ١٥١ظ] الولدَ إلى أبيه أو إلى أُمِّه ؟ قال : « أَخْبَرَنِى بِهِنَّ جِبرِيلُ آنِفًا » . قال : جبريلُ ؟ قال : « نعم » . قال : عَدُوُّ اليهودِ مِن الملائكةِ . ثُم قَرَأ : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٩٧] . « أَمَّا أَوَّلُ أَشْراطِ السّاعَةِ ، فنارٌ تَحْرُجُ على النَّاسِ مِن المَشْرِقِ[(٤)] إلى المَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طعامٍ يَأْكُلُه أهلُ الجَنَّةِ ، فزِيادَةُ كَبِدِ حُوتٍ[(٥)] ، وإذا[(٦)] سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ ماءَ المرأةِ نَزَع الوَلَدَ[(٧)] ، وإذا سَبَق ماءُ المَرْأَةِ ماءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الولدَ[(٨)] » . قال : أَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ ، يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهُتٌ[(٩)] ، وإنَّهم إن يَعْلَمُوا بإسلامى قبلَ أن تسأَلَهم عنِّى بَهَتُونِى . فجاءتِ اليهودُ ، فقال : « أَىُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكم ؟ » قالوا : خَيْرُنا

---

(١) فى النسخ : « الصنعانى » . والمثبت من الدلائل . وانظر الأنساب ٣/ ٥٤٢. وتهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٨.

(٢) بعده فى م ، ص : « أبى » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٣٥٧.

(٣) فى م : « بال » . وينزع الولد : يجذبه إليه فى الشبه .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « تسوقهم » .

(٥) بعده فى م : « وأما الولد » .

(٦) فى م : « فإذا » .

(٧) بعده فى الدلائل : « إلى أبيه » .

(٨) سقط من : الأصل ، ص .

(٩) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٧٣ : قوم بهت ، بضم الموحدة والهاء ، ويجوز إسكانها : جمع بَهيت ، كقَضيب وقُضُب ، وقَليب وقُلُب ، وهو الذى يبهت السامع بما يفتريه عليه من الكذب ، ونقل الكرمانى أن مفرده : بهوت ، بفتح أوله .

وابنُ خيرِنا، وسَيِّدُنا وابنُ سيدِنا. قال: «أَرَأَيْتُم إِنْ أَسْلَمَ؟» قالوا: أعاذَه اللَّهُ مِن ذلك. فَخَرَج عبدُ اللَّهِ، فقال: أَشْهَدُ أن لَّا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ. قالوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنا. وانْتَقَصُوه، قال: هذا الذى كنتُ أَخافُ يا رسولَ اللَّهِ. ورَواه البخاريُّ[1] عن [2]عبدِ اللَّهِ[2] بنِ مُنِيرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ[3] بكرٍ به، ورَواه[4] عن حامِدِ بنِ عُمرَ، عن بِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ، عن حُمَيْدٍ به.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ، عن رجلٍ مِن آلِ عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ قال: كان مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ حينَ أَسْلَمَ، وكان حَبْرًا عالِمًا، قال: لمَّا سَمِعتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ، وعَرَفْتُ صِفَتَه، واسمَه، وهَيْئَتَه، والذى[6] كُنَّا نَتَوَكَّفُ[7] له، فكنتُ[8] مُسِرًّا لذلك صامِتًا عليه، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، فلمَّا قَدِم نَزَل بقُباءٍ فى بنى عمرِو بنِ عوفٍ، فأَقْبَلَ رجلٌ حتى أَخْبَرَ بقُدومِه، وأنا فى رأسِ نخلةٍ لى أَعْمَلُ فيها، وعَمَّتى خالدةُ بنتُ الحارثِ تحتى جالسةٌ، فلمّا سَمِعتُ الخبرَ بقُدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كَبَّرْتُ، فقالتْ عَمَّتى حينَ سَمِعَتْ تَكبِيرى: لو كنتَ

---

(١) البخارى (٤٤٨٠).
(٢ - ٢) فى م: «عبد».
(٣) بعده فى م: «أبى».
(٤) البخارى (٣٩٣٨).
(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٣٠، ٥٣١.
(٦) فى م: «وزمانه الذى».
(٧) فى الأصل، ص: «نتوقف».
(٨) بعده فى الأصل، م: «بقباء».

سَمِعتَ بموسى بنِ عِمْرانَ ما زِدْتَ ! قال : قلتُ لها : أَىْ عَمَّةُ ، هو واللَّهِ أخو موسى بنِ عِمرانَ وعلى دِينِه ، بُعِث بما بُعِث به . قال : فقالتْ له : يا بنَ أخى ، أهو الذى كُنّا نُخْبَرُ أنَّه يُبْعَثُ مع نفَسِ الساعةِ ؟ قال : قلتُ لها : نعم . قالتْ : فذاك إذًا . قال : فخَرَجْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأَسْلَمتُ ثُم رَجَعْتُ إلى أهلِ بيتى ، فأَمَرْتُهم فأَسْلَمُوا ، وكَتَمتُ إسلامى مِن اليهودِ ، وقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ اليهودَ قَوْمٌ بُهتٌ ، وإنِّى أُحِبُّ أن تُدْخِلَنِى فى بعضِ بُيوتِك ، فتُغَيِّبَنى عنهم ، ثُم تسأَلَهم عنِّى ، فيُخْبِرُوك كيفَ أنا فيهم قبلَ أن يَعْلَمُوا بإسلامى ، (١) فإنَّهم إن يَعْلَمُوا بذلك ، بَهَتُونى وعابُونى . وذَكَر نحوَ ما تَقَدَّمَ . قال : فأَظْهَرتُ إسلامِى (١) وإسلامَ أهلِ بيتى ، وأَسْلَمَتْ عَمَّتِى خالدةُ بنتُ الحارثِ .

وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[٢] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنى مُحَدِّثٌ عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَىٍّ قالتْ : لم يَكُنْ أحدٌ مِن وَلَدِ أبى وعَمِّى أحبَّ إليهما منِّى ، لم أَلْقَهما فى وَلَدٍ لهما قَطُّ أَهِشُّ[٣] إليهما إلَّا أَخَذانى دونَه ، فلمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ قُباءَ - قريةَ بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ - غَدا إليه أبى وعَمِّى أبو ياسرِ بنُ أَخْطَبَ مُغَلِّسَين[٤] ، فواللَّهِ ما جاءَانا إلَّا مع مَغِيبِ الشمسِ ، فجاءانا فاتِرَيْن كَسْلانَيْن ساقِطَيْن يَمْشِيان الهُوَيْنَى ، فهَشِشْتُ إليهما كما كنتُ أَصْنَعُ ، فواللَّهِ ما نَظَر إلىَّ واحدٌ منهما ، فسَمِعتُ عمِّى أبا ياسرٍ يقولُ لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم واللَّهِ . قال : تَعْرِفُه بعَيْنِه[٥] وصِفَتِه ؟ قال : نعم واللَّهِ . قال :

(١ - ١) سقط من : ص.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥٣٣/٢ من طريق يونس بن بكير به .

(٣) هش به : انشرح صدره سرورا به . الوسيط (هـ ش ش) .

(٤) مغلسين : أى سائرين بغلس ، وهو آخر الليل .

(٥) فى الأصل ، م : « بنعته » .

فماذا فى نفسِك منه ؟ قال : عَداوتُه واللَّهِ ما بَقِيتُ .

وذَكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[1] عن الزُّهْرِىِّ ، أنَّ أبا ياسرِ بنَ أَخْطَبَ حينَ قَدِم رسولُ اللَّهِ [٢/١٥٢و] ﷺ المدينةَ ، ذَهَب إليه وسَمِع منه وحادَثَه ، ثُم رَجَعَ إلى قومِه فقال : يا قومِ ، أطيعونى ، فإنَّ اللَّهَ قد جاءَكم بالذى كُنتُم تَنْتَظِرُون ، فاتَّبِعُوه ولا تُخالِفُوه . فانْطَلَق أخوه حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ - وهو يومَئذٍ سَيِّدُ اليهودِ ، وهما مِن بنى النَّضِيرِ - فجلَس إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وسَمِع منه ، ثُم رَجَع إلى قومِه ، وكان فيهم مُطاعًا ، فقال : أتيتُ مِن عندِ رَجُلٍ واللَّهِ لا أزالُ له عَدُوًّا أَبدًا . فقال له أخوه أبو ياسرٍ : يا بنَ أُمٍّ ، أَطِعْنى فى هذا الأمرِ واعْصِنى فيما شِئْتَ بعدَه ؛ لا تَهْلِكْ . قال : لا واللَّهِ ، لا أُطِيعُكَ أبدًا . واسْتَحْوَذ عليه الشيطانُ واتَّبَعَه قومُه على رَأْيِه .

قلتُ : أمّا أبو ياسرِ[2] بنُ أَخْطَبَ ، فلا أَدْرِى ما آلَ إليه أمْرُه ، وأَمَّا حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ والدُ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَىٍّ ، فشَرِب عداوةَ النبىِّ ﷺ وأصحابِه ، ولم يَزَلْ ذلك دَأْبَه ، لَعَنه اللَّهُ ، حتى قُتِلَ صَبْرًا[3] بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ قَتَل مُقاتِلَةَ بَنِى قُرَيْظَةَ ، كما سيأتِى ، إن شاءَ اللَّهُ .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٥٣٢، ٥٣٣ من حديث موسى بن عقبة .

(٢) بعده فى الأصل : « واسمه جُدَىّ » . وفى م ، ص : « واسمه حيى » . وكلاهما خطأ ، فجدى وحيى أخوا أبى ياسر ، ولا يعرف أبو ياسر فى كتب السيرة التى بين أيدينا إلا بكنيته هذه ، ولم يصرح أحد باسمه .

(٣) القتل صبرا : أن يُمْسَك شيءٌ من ذوات الأرواح حيا ، ثم يرمى بشيءٍ حتى يموت . وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأٍ ، فإنه مقتول صبرا . النهاية ٣/ ٨.

فصلٌ

ولمَّا ارْتَحَل ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، مِن قُباءٍ وهو راكِبٌ ناقتَه القَصْواءَ ، وذلك يومَ الجمعــةِ ، أَدْرَكَه وقتُ الزَّوالِ وهو فى دارِ بنى سالمِ بنِ عَوْفٍ ، فصَلَّى بالمسلِمين الجمعةَ هُنالك ، فى وادٍ يُقالُ له : وادى رَانُوناءَ . فكانت أَوَّلَ جُمُعَةٍ[(1] صَلَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ[1)] بالمسلِمين بالمدينةِ ، أو مُطْلَقًا ؛ لأنَّه - واللَّهُ أعلمُ - لم يَكُنْ يَتَمَكَّنُ هو وأصحابُه بمكةَ مِن الاجتماعِ ، حتى يُقِيمُوا بها جُمُعَةً ذاتَ خُطْبةٍ وإعلانٍ بمَوْعِظَةٍ ، وما ذاك إلا لشِدَّةِ مُخالَفَةِ المشرِكين له ، وأَذِيَّتِهم إيّاه .

ذِكْرُ خُطْبَةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئِذٍ

قال ابنُ جريرٍ[(2)] : حَدَّثنى يونسُ بنُ عبدِ الأَعْلَى ، أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الجُمَحِيِّ ، أنَّه بَلَغَه عن خُطبةِ النبىِّ ﷺ فى أَوَّلِ جمعةٍ صَلَّاها بالمدينةِ فى بنى سالمِ[(3)] بنِ عوفٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهم : « الحمدُ لِلَّهِ ، أَحْمَدُه وأَسْتَعِينُه ، وأَسْتَغْفِرُه وَأَسْتَهْدِيهِ ، وَأُومِنُ به ولا أَكْفُرُه ، وأُعادِى مَن يَكْفُرُه ، وأَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ له ، وأَنَّ محمدًا عَبْدُه

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تاريخ الطبرى ٢/٣٩٤ - ٣٩٦ .

(٣) بعده فى م ، ص : « بن عمرو » .

ورسولُه ، أَرْسَلَه بالهُدَى[(1)] والنُّورِ والمَوْعِظةِ ، على فَتْرَةٍ مِن الرُّسُلِ ، وقِلَّةٍ مِن العِلْمِ ، وضَلالةٍ مِن النَّاسِ ، وانْقِطاعٍ مِن الزمانِ ، ودُنُوٍّ مِن السَّاعَةِ ، وقُرْبٍ مِن الأَجَلِ ، مَن يُطِعِ اللَّهَ ورسولَه فقد رَشَدَ ، ومَن يَعْصِهما فقد غَوَى وفَرَّطَ ، وضَلَّ ضَلالًا بعيدًا ، وأُوصِيكُم بتَقْوَى اللَّهِ ، فإنَّه خَيْرُ مَا أَوْصَى به المسلِمُ المُسلمَ أَن يَحُضَّه على الآخِرَةِ ، وأن يَأْمُرَه بِتَقْوَى اللَّهِ ، فاحْذَرُوا ما حَذَّرَكُم اللَّهُ مِن نَفْسِه ، ولا أَفْضَلَ مِن ذلك نَصِيحَةً ، ولا أفضلَ مِن ذلك ذِكْرَى ، (2)وَإِنَّه تَقْوَى(2) لِمَنْ عَمِلَ به على وَجَلٍ ومَخافَةٍ ، وعَوْنُ صِدْقٍ على ما تَبْتَغُونَ مِن أَمْرِ الآخِرَةِ ، ومَن يُصْلِحِ الَّذِى بينَه وبينَ اللَّهِ مِن أَمرِ السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، لا يَنْوِى بذلك إلَّا وَجْهَ اللَّهِ ، يَكُنْ لَه ذِكْرًا فِى عَاجِلِ أَمْرِه ، وَذُخْرًا فِيما بعدَ الموتِ ، حينَ يَفْتَقِرُ المَرْءُ إلى ما قَدَّمَ ، وما كانَ مِن سِوَى ذلك ، يَوَدُّ لَو أنَّ بينَه وبينَه أَمَدًا بَعِيدًا ، ويُحَذِّرُكُم اللَّهُ نَفْسَه ، واللَّهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ . والذى صَدَقَ قَوْلُه ، وَأَنْجَزَ وَعْدَه ، لا خُلْفَ لذلك ، فإنَّه يَقُولُ تَعالَى : ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ واتَّقُوا اللَّهَ فِى عاجِلِ أَمْرِكُم وآجِلِه ، فى السِّرِّ والعَلَانِيَةِ ، فإنَّه مَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عنه سيئاتِه ويُعْظِمْ له أجرًا ، وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ فقد فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُوَقِّى مَقْتَه ، وتُوَقِّى عُقُوبَتَه ، وتُوَقِّى سَخَطَه . وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُبَيِّضُ الوَجْهَ ، وتُرْضِى الرَّبَّ ، وتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، خُذُوا بحَظِّكُم ، ولا تُفَرِّطُوا فِى جَنْبِ اللَّهِ ، قد عَلَّمَكُم اللَّهُ كِتابَه ، ونَهَجَ لكم سَبِيلَه ؛ لِيَعْلَمَ الذين صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَ الكَاذِبِين ، فَأَحْسِنُوا كما أَحْسَنَ اللَّهُ إليكم ، [٢/١٥٢ظ] وعادُوا أعْداءَه ،

---

(1) بعده فى الأصل ، م : « ودين الحق » .

(2 - 2) فى التاريخ : « وإن تقوى الله » .

وجاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِه ، هو اجْتَباكُم وَسمَّاكُم المُسْلِمِين ، لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ، ويَحْيَا مَن حَىَّ عن بَيِّنَةٍ ، ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ ، فأكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ ، واعْمَلُوا لِمَا بعدَ الموتِ[1] ، فإنَّه مَن أَصْلَحَ ما بينَه وبينَ اللَّهِ ، يَكْفِه ما بينَه وبينَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِى على النّاسِ ولا يَقْضُونَ عليه ، ويَمْلِكُ مِن النّاسِ ولا يَمْلِكُونَ منه ، اللَّهُ أكبرُ ، ولا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ العَلِىِّ العَظِيمِ » . هكذا أَوْرَدَها ابنُ جريرٍ ، وفى السَّنَدِ إرْسالٌ .

وقال البَيْهَقِىُّ[2] : بابٌ ، أَوَّلُ خُطبةٍ خَطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِم المدينةَ : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو العباسِ الأَصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبّارِ ، ثنا يونُسُ [3]بنُ بُكَيْرٍ[3] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حَدَّثنى المُغِيرَةُ بنُ عثمانَ ابنِ محمدِ بنِ عثمانَ [4]بنِ الأَخْنَسِ[4] بنِ شَرِيقٍ ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ عَوْفٍ قال : كانت أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ، أن قام فيهم فحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنى عليه بما هو أهلُه ، ثُم قال : « أمَّا بعدُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، فقَدِّمُوا لأَنْفُسِكم ، تَعْلَمُنَّ واللَّهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكم ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَه ليس لها راعٍ ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ له رَبُّهُ - ليس له تُرْجُمانٌ ولا حاجِبٌ يَحْجُبُه دُونَه - : أَلم يَأْتِك رَسُولِى فبَلَّغَك ، وآتَيْتُكَ مَالًا ، وَأَفْضَلْتُ عليك[5] ، فما قَدَّمْتَ لنفسِك؟ فيَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمالًا فلا يَرَى شيئًا ، ثُمَّ يَنْظُرُ قُدَّامَه فلا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ ، فمنِ اسْتَطَاعَ أَن

---

(١) فى التاريخ : « اليوم » .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.
(٣ - ٣) فى الأصل : « أبو بكر » .
(٤ - ٤) فى م ، ص : « والأخنس » .
(٥) سقط من : الأصل .

يَقِيَ وجهَه مِن النَّارِ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ ، ومَنْ لم يَجِدْ فبكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ[1] ، فإنَّ بها تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أَمْثالِها إلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّلامُ على رسولِ اللَّهِ ورَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه » . ثُم خَطَب رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً أُخْرَى فقال : « إنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ ، أَحْمَدُه وَأَسْتَعِينُه ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنا وسَيِّئاتِ أَعْمَالِنا ، مَن يَهْدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له ، وأَشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ (٢ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه ٢) ، إنَّ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، قد أَفْلَحَ مَن زَيَّنَه اللَّهُ في قَلْبِه ، وَأَدْخَلَهُ فِي الإسْلامِ بعدَ الكفرِ ، وَاخْتارَه على ما سواه مِن أَحادِيثِ النَّاسِ ، إنَّه أَحْسَنُ الحَدِيثِ وأَبْلَغُه ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُم (٢ ولا تَمَلُّوا كلامَ اللَّهِ وَذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قُلُوبُكم ٢) ، فَإِنَّه مِنْ كلِّ[3] يَختارُ اللَّهُ ويَصْطَفِي ، فقد سَمَّاه خِيَرَتَه مِن الأَعْمالِ ، وخِيَرَتَه مِن العِبادِ ، والصَّالحَ مِن الحديثِ ، ومِن كُلِّ ما أوتِيَ النَّاسُ مِن الحَلالِ والحَرامِ ، فاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا به شيئًا ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِه ، واصْدُقُوا اللَّهَ صالِحَ ما تَقُولُونَ بِأَفواهِكُم ، وتَحابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُم ، إنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أن يُنْكَثَ عَهْدُه ، والسَّلامُ عَلَيْكم ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكاتُه » .

وهذه الطَّرِيقُ أيضًا مُرْسَلَةٌ ، إلَّا أَنَّها مُقَوِّيَةٌ لِمَا قبلَها ، وإنِ اخْتَلَفَتِ الأَلْفاظُ .

---

(١) سقط من : ص .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) سقط من : م .

فصلٌ فى بناءِ مسجدِه الشريفِ

(١فى مُدَّةِ مُقامِه١) بدارِ أبى أَيوبَ رضى اللَّهُ عنه

وقد اخْتُلِف فى مُدَّةِ مُقامِه بها ؛ فقال الواقِدِىُّ[٢] : سبعةُ أشهُرٍ . وقال غيرُه : أقَلُّ مِن شهرٍ[٣] . واللَّهُ أعلمُ .

قال البخارىُّ[٤] : حَدَّثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، أَخْبَرَنا عبدُ الصَّمَدِ ، قال : سَمِعتُ أبى يُحَدِّثُ : حدَّثنا أبو التَّيَّاحِ يزيدُ بنُ حُمَيْدٍ الضُّبَعِىُّ[٥] ، حَدَّثنا أنسُ ابنُ مالكٍ قال : لمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، نزَل فى عُلْوِ[٦] المدينةِ ، فى حَىٍّ يُقالُ لهم : بنو عمرِو بنِ عَوفٍ ، فأقام فيهم أربعَ عَشْرَةَ ليلةً ، ثُم أَرْسَل إلى مَلَأٍ بنى النَّجّارِ ، فجاءُوا مُتَقَلِّدِى سيوفِهم . قال : وكَأَنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ على راحِلَتِه ، وأبو بكرٍ رِدْفُه ، ومَلَأُ بنى النَّجّارِ حولَه ، حتى أَلْقَى بفِناءِ أبى أيوبَ . قال : فكان يُصَلِّى حيثُ أَدْرَكَتْه الصَّلاةُ ، ويُصَلِّى فى مَرابِضِ

(١ - ١) فى م : « ومقامه » .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ٢٣٧. والهاء فى « بها » تعود على دار أبى أيوب ، كما يبين من السياق عند ابن سعد .

(٣) عزاه السمهودى فى وفاء الوفا ١/٢٦٤ إلى الدولابى .

(٤) البخارى (٣٩٣٢) .

(٥) فى م : « الضبى » .

(٦) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٦٦: كل ما فى جهة نجد يُسمَّى العالية ، وما فى جهة تهامة يسمّى السافلة ، وقباء من عوالى المدينة ، وأُخذ من نزول النبى ﷺ التفاؤل له ولدينه بالعلوّ .

[١٥٣/٢و] الغَنَمِ ، قال : ثُم إنَّه أمَرَ ببناءِ المَسجِدِ ، فأرْسَلَ إلى مَلأٍ بنى النَّجّارِ فجاءُوا ، فقال : « يا بنى النَّجَّارِ ، ثامِنُونى بحائِطِكُم هذا » . فقالوا : لا واللَّهِ ، لا نَطْلُبُ ثَمَنَه إلَّا إلى اللَّهِ ، عزَّ وجَلَّ . قال : فكان فيه ما أقولُ لكم ، كانت فيه قبورُ المشرِكِين ، وكانت فيه خِرَبٌ ، وكان فيه نَخْلٌ ، فأَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقبورِ الـمُشرِكِين فنُبِشَتْ ، وبالخِرَبِ فسُوِّيَتْ ، وبالنَّخْلِ فقُطِعَ . قال : فصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ المسجدِ ، وجَعَلوا عِضادَتَيهِ[(١)] حِجارةً . قال : فجعَلوا يَنْقُلُون ذلك الصَّخْرَ وهم يَرْتَجِزُون ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ معهم يقولُ[(٢)] :

« اللَّهُمَّ إِنَّه لا خيرَ إِلَّا خيرُ الآخِرَهْ ۞ فـانْـصُـرِ الأَنـصـارَ والمُهـاجِـرَهْ »

وقد رَواه البخاريُّ فى مَواضِعَ أُخَرَ[(٣)] ، ومسلمٌ مِن حديثِ أبى عبدِ الصَّمَدِ[(٤)] عبدِ الوارِثِ بنِ سعيدٍ[(٥)] ، وقد تَقَدَّم[(٦)] فى « صحيحِ البخاريِّ » عن الزُّهرِيِّ ، عن عُروةَ ، أنَّ المسجدَ[(٧)] كان مِرْبَدًا - وهو يَبْدَرُ التَّمرِ - لِيَتِيمَيْنِ كانا فى حِجْرِ أَسعدَ بنِ زُرارَةَ ؛ وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ، فساوَمَهما فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالا : بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللَّهِ . فأَبَى حتى ابْتاعَه منهما ، وبناه مسجدًا . قال : وجَعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو يَنْقُلُ معهم التُّرابَ يقولُ :

---

(١) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٦٦: تثنية عضادة ، وهى الخشبة التى على كتف الباب ، ولكل بابٍ عضادتان ، وأعضاد كل شيءٍ ما يشدُّ جوانبه .

(٢) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يقولون » .

(٣) البخارى (٤٢٨، ١٨٦٨، ٢١٠٦، ٢٧٧١، ٢٧٧٤، ٢٧٧٩) .

(٤) بعده فى م ، ص : « و » . انظر تهذيب الكمال ٨/ ٤٧٨.

(٥) مسلم (٥٢٤) .

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٨٥ ، ٤٨٦ .

(٧) بعده فى م ، ص : « الذى » .

« هذا الحِمالُ لا حِمالَ خَيْبَرْ   هـذا أَبَـرُّ رَبَّـنـا وأَطْـهَـرْ »

ويقولُ :

« اللَّهمَّ[1] إنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ   فارْحَمِ الأَنْصارَ والـمُـهاجِرَهْ »

وذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ[2] أنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرارَةَ عَوَّضَهُما منه نَخْلًا له فى بنى[3] بَياضَةَ ، قال[4] : وقيل : ابْتاعَه منهما رسولُ اللَّهِ ﷺ .

قلتُ : وذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[5] ، أنَّ المِرْبَدَ كان لغُلامَيْن يَتِيمَيْن فى حِجْرِ مُعاذِ ابنِ عَفْراءَ ؛ وهما سَهْلٌ وسُهَيْلٌ ابنا عَمرٍو . فاللَّهُ أعلمُ .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[6] مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ أبى الدُّنيا ، حدَّثنا الحسنُ بنُ حَمَّادٍ الضَّبِّيُّ ، ثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ ، عن الحسنِ قال : لـمَّا بَنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، أعانَه عليه أصحابُه ، وهو معهم يَتَناوَلُ اللَّبِنَ ، حتى اغْبَرَّ صدرُه فقال : « ابْنُوهُ عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى » . فقلتُ للحسنِ : ما عريشُ موسى ؟ قال : إذا رَفَع يَدَيْه بَلَغ العريشَ . يَعنِى السَّقْفَ . وهذا مُرْسَلٌ .

ورَوَى[7] مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن أبى سِنانٍ ، عن يَعْلَى بنِ شَدّادِ

---

(١) فى النسخ : « لاهم » . والمثبت من البخارى .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٣٨/٢ من حديث موسى بن عقبة . وعنده : « عرض عليهما » ، بدل : « عوضهما منه » .

(٣) سقط من : م . وبنو بياضة : قبيلة من الأنصار . القاموس المحيط (ب ى ض) .

(٤) أى موسى بن عقبة .

(٥) سيرة ابن هشام ٤٩٥/١ وتقدم فى صفحة ٤٩٣ .

(٦) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤١، ٥٤٢.

(٧) المصدر السابق ٢/ ٥٤٢.

ابنِ أَوْسٍ ، عن عُبادةَ ، أنَّ الأنصارَ جَمَعُوا مالًا ، فأَتَوْا به النبيَّ ﷺ ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ابنِ هذا المسجدَ وزَيِّنْه ، إلى متى نُصَلِّى تحتَ هذا الجَرِيدِ ؟ فقال : « ما بى رَغْبَةٌ عن أخى موسى ، عَرِيشٌ كعريشِ موسى » . وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ .

وقال أبو داودَ[(١)] : حدَّثنا محمدُ بنُ حاتمٍ ، حدَّثنا عُبَيْدُ[(٢)] اللَّهِ بنُ موسى ، عن شَيْبانَ[(٣)] ، عن فِراسٍ ، عن عَطِيَّةَ العَوْفِىِّ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ مسجدَ النبىِّ ﷺ كانت سَوارِيه ، على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، مِن جُذُوعِ النَّخْلِ ، أَعْلاه مُظَلَّلٌ بجَرِيدِ النخلِ ، ثُم إنَّها نَخِرَتْ[(٤)] فى خِلافةِ أبى بكرٍ ، فبناها بجُذوعِ وبجريدِ النخلِ ، ثُم إنَّها نَخِرَتْ[(٤)] فى خلافةِ عثمانَ فبناها بالآجُرِّ ، فما زالَتْ ثابتةً حتى الآنَ . وهذا غريبٌ .

وقد قال أبو داودَ[(٥)] أيضًا : حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنى أبى ، عن[(٦)] صالحٍ ، ثنا نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ ، أخبَرَه أنَّ المسجدَ كان على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مَبْنِيًّا باللَّبِنِ ، وسَقْفُه الجَرِيدَ ، وعُمُدُه خشبَ النخلِ ، فلم يَزِدْ فيه أبو بكرٍ شيئًا ، وزاد فيه عمرُ ، وبناه على بِنائِه [١٥٣/٢ظ] فى عهدِ النبىِّ ﷺ باللبنِ والجريدِ ، وأعاد عُمُدَه خَشَبًا ، وغَيَّرَه عثمانُ ، رَضِىَ

---

(١) أبو داود (٤٥٢) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٨٤) .
(٢) فى م : « عبد » . انظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٥.
(٣) فى الأصل ، م : « سنان » . انظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٩٣، ٥٩٤.
(٤) فى م : « تخربت » .
(٥) أبو داود (٤٥١) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٣) .
(٦) بعده فى النسخ : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٨٠.

اللَّهُ عنه ، وزاد فيه زيادةً كثيرةً ، وبنى جِدارَه بالحِجارةِ الـمَنْقُوشةِ والقَصَّةِ[1] ، وجعلَ عُمُدَه مِن حجارةٍ مَنْقُوشةٍ ، وسَقَفَه بالسَّاجِ[2] . وهكذا رَواه البخاريُّ[3] عن عليِّ بنِ الـمَدِينيِّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ به .

قلتُ : زادَه عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، مُتَأَوِّلًا قولَه ﷺ : « مَنْ بَنَى للَّهِ مسجدًا ولو كمفْحَصِ قَطَاةٍ ، بَنَى اللَّهُ له بيتًا فى الجَنَّةِ »[4] . ووافَقَه الصحابةُ المَوْجُودون على ذلك ، ولم يُغَيِّرُوه بعدَه ، فيُسْتَدَلُّ بذلك على الرّاجِحِ مِن قولَيِ[5] العلماءِ ، أنَّ حُكْمَ الزِّيادَةِ حُكْمُ الـمَزِيدِ ، فتَدْخُلُ الزِّيادةُ فى حُكْمِ سائرِ المسجدِ ؛ مِن تَضْعِيفِ الصَّلاةِ فيه ، وشَدِّ الرِّحالِ إليه ، وقد زِيدَ فى زمانِ الوليدِ ابنِ عبدِ الـمَلِكِ بانِى جامعِ دِمَشْقَ ، زادَه له بأَمْرِه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ حيـنَ كان نائبَه على المدينةِ ، وأَدْخَلَ الحُجْرةَ النبويَّةَ فيه ، كما سيَأْتِى بيانُه فى وقتِه ، ثُم زِيد زيادةً كثيرةً فيما بعدُ ، وزِيد مِن جِهَةِ القِبلةِ ، حتى صارتِ الرَّوْضَةُ والمِنبرُ بعدَ الصُّفوفِ الـمُقَدَّمَةِ ، كما هو الـمُشاهَدُ اليومَ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ونَزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على أبى أيوبَ ، حتى بَنَى مسجدَه ومَساكِنَه ، وعَمِل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ليُرَغِّبَ المسلِمين فى العَمَلِ فيه ، فعَمِل فيه الـمُهاجِرُون والأَنصارُ ، ودَأَبُوا فيه ، فقال قائلٌ من المسلِمين :

---

(١) القَصَّة والقِصَّة والقَصُّ : الجَصُّ ، لغة حجازية ، وقيل : الحجارة من الجصّ . اللسان (ق ص ص) .

(٢) الساج : خشب يجلب من الهند ، واحدته ساجة . اللسان (س و ج) .

(٣) البخارى (٤٤٦) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) وابن خزيمة فى صحيحه (١٢٩٢) من حديث جابر بن عبد اللَّه . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٦٠٣) .

(٥) فى م : « قول » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٤٩٦، ٤٩٧.

لَئِنْ قَعَدْنا والنبيُّ يَعْمَلُ   لَذاكَ مِنَّا العملُ المُضَلِّلُ

وارْتجزَ المُسلِمون وهم يَبْنُونه، يقولُون:

لا عَيْشَ إلَّا عيشُ الآخِرَهْ   اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنصارَ والمُهاجِرَهْ

فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا عيشَ إلَّا عيشُ الآخِرَةِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُهاجِرِينَ والأَنْصارَ». قال: فدَخَل عَمّارُ بنُ ياسرٍ، وقد أَثْقَلُوه باللَّبِنِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، قَتَلُونى؛ يَحْمِلُون علىَّ ما لا يَحْمِلُون. قالتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فرَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَنْفُضُ وَفْرَتَه[1] بيَدِه، وكان رجلًا جَعْدًا، وهو يقولُ: «وَيْحَ ابنِ سُمَيَّةَ، لَيْسُوا بالَّذِينَ يَقْتُلُونَك، إنَّما تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيَةُ». وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوجهِ، بل هو مُعْضَلٌ بينَ محمدِ بنِ إسحاقَ وبينَ أُمِّ سَلَمَةَ، وقد وَصَله مسلمٌ فى «صحيحِه»[2] مِن حديثِ شُعْبَةَ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ، عن سعيدٍ والحسنِ، يَعنى ابْنَىْ أبى الحسنِ البَصْرِىِّ، عن أُمِّهما خَيْرَةَ مَوْلاةِ أُمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُ عَمّارًا الفِئَةُ الباغِيَةُ».

ورَواه[3] مِن حديثِ ابنِ عُلَيَّةَ، عن ابنِ عَوْنٍ، عن الحسنِ، عن أُمِّه، عن أُمِّ سَلَمَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمَّارٍ وهو يَنْقُلُ الحِجارَةَ: «ويْحٌ لك يابنَ سُمَيَّةَ، تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيةُ».

وقال عبدُ الرَّزّاقِ[4]: أخبَرَنا مَعْمَرٌ، عن الحسنِ يُحَدِّثُ عن أُمِّه، عن أُمِّ

---

(١) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما جاوز شحمة الأذن. الوسيط (و ف ر).
(٢) مسلم ٧٢/(٢٩١٦).
(٣) مسلم ٧٣/(٢٩١٦).
(٤) مصنف عبد الرزاق (٢٠٤٢٦).

سَلَمَةَ قالت : لـمَّا كان رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابه يَبْنُون المسجدَ ، جَعَل أصحابُ النبيِّ ﷺ يَحْمِلُ كلُّ واحدٍ لَبِنَةً لبنةً ، وعَمّارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنِ ؛ لبنةً عنه ، ولَبِنةً عن النبيِّ ﷺ ، فمَسَح ظَهْرَه ، وقال : « ابنَ سُمَيَّةَ ، للنَّاسِ أجْرٌ ، ولك أجْرانِ ، وآخِرُ زادِك شَرْبَةٌ مِن لَبَنٍ ، وتَقْتُلُك الفِئَةُ الباغيةُ » . وهذا إسنادٌ على شرطِ « الصحيحَيْن » .

وقد أَوْرَدَ البَيْهَقِيُّ وغيرُه[(1)] ، مِن طريقِ جماعةٍ ، عن خالدٍ الحَذَّاءِ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ، قال : كُنَّا نَحْمِلُ فى بناءِ المسجدِ لَبِنَةً لبِنةً ، [١٥٤/٢و] وعَمّارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْن لبنتَيْن ، فرآه النبيُّ ﷺ ، فجَعَل يَنْفُضُ التُّرابَ عنه ويقولُ : « وَيْحَ عَمَّارٍ ، تَقْتُلُه الفِئَةُ الباغِيةُ ، يَدْعُوهُم إلى الجَنَّةِ ويَدْعُونَه إلى النَّارِ » . قال : يقولُ عمَّارٌ : أعُوذُ باللَّهِ مِن الفتَنِ . لكنْ رَوى هذا الحديثَ الإمامُ البخاريُّ[(2)] ، عن مُسَدَّدٍ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ الـمُخْتارِ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، وعن إبراهيمَ بنِ موسى[(3)] ، عن عبدِ الوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ به ، إلَّا أنَّه لم يَذْكُرْ قولَه : « تَقْتُلُك الفِئَةُ الباغِيَةُ »[(4)] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤٦، ومسند أحمد ٣/ ٩٠، ٩١.

(٢) البخارى (٤٤٧) .

(٣) البخارى (٢٨١٢) .

(٤) هذه العبارة وقعت فى صحيح البخارى طبعة دار الشعب ومشار فى حاشيتها أنها سقطت من نسختين مخطوطتين ، ووقعت أيضا فى متن فتح البارى ولم تقع فى الشرح ، وقال الحافظ بعد أن أورد أقوال العلماء فى هذه الزيادة : قلت : ويظهر لى أن البخارى حذفها عمدا ، وذلك لنكتة خفية ، وهى أن أبا سعيد الخدرى اعترف أنه لم يسمع هذه الزيادة من النبى ﷺ ، فدل على أنها فى هذه الرواية مدرجة ، والرواية التى بينت ذلك ليست على شرط البخارى . فتح البارى ١/ ٥٤٢.

قال البَيْهَقِيُّ[1] : وكأنَّه إنَّما تَرَكَها لِمَا رَواه مسلمٌ[2] ، مِن طريقٍ عن أبى نَضرةَ ، عن أبى سعيدٍ [3]قال : أخْبَرَنى مَن هو خيرٌ منِّى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمَّارٍ حينَ جعَل يَحْفِرُ الخندقَ ، جعَل يَمْسَحُ رَأْسَه ويقولُ : « بُؤْسَ ابنِ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُه فِئةٌ باغِيةٌ » .

وقد رَواه مسلمٌ[4] أيضًا مِن حديثِ شعبةَ ، عن أبى مَسْلَمَةَ[5] ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ[3] ، قال : حَدَّثنى مَن هو خيرٌ منِّى ؛ أبو قَتادَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لعَمّارِ بنِ ياسرٍ : « بُؤْسًا لك يا بنَ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُك الفِئةُ الباغيةُ » .

وقال أبو داودَ الطَّيالِسِىُّ[6] : حدَّثنا وُهَيْبٌ ، عن داودَ بنِ أبى هِنْدٍ ، عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لـمّا حَفَر الخندقَ ، كان الناسُ يَحْمِلُون لَبِنَةً لبنةً ، وعمَّارٌ ناقِهٌ[7] مِن وَجَعٍ كان به ، فجَعَل يَحْمِلُ لَبِنَتَيْن لبنتَين . قال أبو سعيدٍ : فحدَّثنى بعضُ أصحابى ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَنْفُضُ التُّرابَ عن رَأْسِه ويقولُ : « وَيْحَكَ ابنَ سُمَيَّةَ ، تَقْتُلُكَ الفِئةُ الباغِيةُ » . قال البيهقىُّ[8] : فقد فَرَّقَ بينَ ما سَمِعَه بنفسِه ، وما سَمِعه مِن أصحابِه . قال :

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٥٤٨.

(٢) مسلم ٧٠/(٢٩١٥) .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) مسلم ٧١/(٢٩١٥) .

(٥) فى النسخ : « مسلم » . والمثبت من صحيح مسلم . وهو سعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدى . تهذيب الكمال ١١/ ١١٤.

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٤٨، ٥٤٩ من طريق الطيالسى به .

(٧) نقه من مرضه : برئ ولا يزال به ضعف . الوسيط (ن ق هـ) .

(٨) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٤٩.

ويُشْبِهُ أن يكونَ قولُه : الخندقَ . وَهْمًا ، أو أنَّه قال له ذلك فى بِناءِ المسجدِ وفى حَفْرِ الخندقِ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : حَمْلُ اللَّبِنِ فى حَفْرِ الخندقِ لا معنًى له ، والظَّاهِرُ أنَّه اشْتَبَه على النَّاقِلِ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا الحديثُ مِن دَلائلِ النُّبُوَّةِ ؛ حيثُ أخْبَر ، صَلَواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه ، عن عَمَّارٍ ، أنَّه تَقْتُلُه الفِئَةُ الباغِيَةُ ، وقد قَتَلَه أهلُ الشّامِ فى وَقْعَةِ صِفِّينَ ، وعَمّارٌ مع علىٍّ وأهلِ العِراقِ ، كما سيَأْتِى بيانُه وتفصيلُه فى موضعِه . وقد كان علىٌّ أحَقَّ بالأمرِ مِن معاويةَ ، ولا يَلْزَمُ مِن تسميةِ أصحابِ معاويةَ بُغاةً تَكْفِيرُهم ، كما يُحاوِلُه جَهَلَةُ الفِرْقَةِ الضّالَّةِ مِن الشِّيعَةِ وغيرِهم ؛ لأنَّهم وإن كانوا بُغاةً فى نفسِ الأَمرِ ، فإنَّهم كانوا مُجْتَهِدِين فيما تَعاطَوْه مِن القِتالِ ، وليس كلُّ مُجتَهِدٍ مُصِيبًا ، بل المُصيبُ له أَجْران ، والمُخْطِئُ له أَجرٌ ، ومَن زادَ فى هذا الحديثِ بعدَ قولِه[1] : « تَقْتُلُكَ الفِئَةُ الباغِيَةُ » : لا أنالَها اللَّهُ شَفاعَتِى يومَ القِيامةِ . فقد افْتَرَى فى هذه الزِّيادَةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنَّه لم يَقُلْها ، إذ لم تُنْقَلْ مِن طريقٍ تُقْبَلُ . واللَّهُ أعلمُ . وأمّا قولُه : « يَدْعُوهم إلى الجنَّةِ ويَدْعُونَه إلى النَّارِ » . فإنَّ عَمّارًا وأصحابَه يَدْعُون أهلَ الشَّامِ إلى الأُلْفَةِ واجتماعِ الكلمةِ ، وأهلَ الشامِ يُرِيدُون أن يَسْتَأْثِرُوا بالأَمرِ دون مَن هو أحَقُّ به ، وأن يكونَ الناسُ أَوْزاعًا[2] ، على كلِّ قُطْرٍ إمامٌ برَأْسِه ، وهذا يُؤَدِّى إلى افْتِراقِ الكلمةِ واخْتِلافِ الأُمَّةِ ، فهو لازمُ مَذْهَبِهم ، وناشِئٌ عن مَسْلَكِهم ، وإن كانوا لا يَقْصِدُونه . واللَّهُ أعلمُ . وسيَأْتِى تقريرُ هذه المَباحِثِ إذا انْتَهَيْنا إلى وَقْعَةِ صِفِّينَ مِن كتابِنا

---

(١) سقط من : م .

(٢) الأوزاع : الفِرَق من الناس ، يقال : أتيتهم وهم أوزاع . أى متفرقون . اللسان (و ز ع) .

هذا ، بحَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِه ، وحُسنِ تأييدِه وتوفيقِه .

والمقصودُ هاهنا إنَّما هو قِصَّةُ بِناءِ المسجدِ النَّبَوِىِّ ، على بانِيهِ أفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ .

وقد قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ فى « الدّلائِلِ »(١) : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إمْلاءً ، ثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرَنا عُبَيدُ بنُ شَرِيكٍ ، ثنا نُعَيْمُ بنُ حَمَّادٍ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ المُبارَكِ ، [٢/١٥٤ظ] أخْبَرَنا حَشْرَجُ بنُ نُباتَةَ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، عن سَفِينَةَ مولى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال : جاء أبو بكرٍ بحَجَرٍ فوَضَعَه ، ثُم جاء عمرُ بحجرٍ فوَضَعه ، ثُم جاء عثمانُ بحجرٍ فوَضَعَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَؤُلاءِ ولاةُ الأمرِ بَعْدِى » .

ثُم رَواه(٢) مِن حديثِ يحيى بنِ عبدِ الحميدِ الحِمّانىِّ ، عن حَشْرَجٍ ، عن سعيدٍ ، عن سَفِينَةَ قال : لـمَّا بَنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ ، وَضَع حَجَرًا ، ثُم قال : « لِيَضَعْ أبو بكرٍ حَجَرًا(٣) إلى جَنْبِ حَجَرِى ، ثُمَّ لْيَضَعْ عُمرُ حجرَه إلى جنبِ حجرِ أبى بكرٍ ، ثُمَّ لْيَضَعْ عثمانُ حجرَه إلى جنبِ حجرِ عُمرَ » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَؤُلَاءِ الخُلَفاءُ مِن بعدى » . وهذا الحديثُ بهذا السِّياقِ غريبٌ جِدًّا .

والمعروفُ ما رَواه الإمامُ أَحمدُ(٤) ، عن أبى النَّضْرِ ، عن حَشْرَجِ بنِ نُباتَةَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٥٣.

(٢) المصدر السابق .

(٣) فى الدلائل : « حجره » .

(٤) المسند ٥/ ٢٢٠، ٢٢١.

العَبْسِيِّ ، وعن بَهْزٍ وزيدِ بنِ الحُبابِ وعبدِ الصمدِ ، عن[1] حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ كلاهما عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، عن سَفِينَةَ قال : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الخِلافَةُ ثلاثونَ عامًا ، ثُمَّ يكونُ مِنْ بعدِ ذلك المُلْكُ » . ثُم قال سَفِينةُ : أَمْسِكْ ؛ خلافةَ أبي بكرٍ سنتَيْنِ ، وخلافةَ عُمرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وخلافةَ عثمانَ اثنتَيْ عَشْرَةَ سنةً ، وخلافةَ عليٍّ سِتَّ سنينَ . هذا لفظُ أحمدَ . ورواه أبو داودَ ، والتِّرْمِذِيُّ ، والنَّسائِيُّ[2] مِن طُرُقٍ ، عن سعيدِ بنِ جُمْهانَ ، وقال التِّرْمِذِيُّ : حسنٌ ، لا نَعْرِفُهُ إلَّا مِن حديثِه ، ولفظُه[3] : « الخِلَافَةُ بَعْدِى ثلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يكونُ مُلْكًا عَضُوضًا » . وذَكَر بَقِيَّتَه .

قلتُ : ولم يَكُنْ في مسجدِ النبيِّ ﷺ ، أَوَّلَ ما بُنِيَ ، مِنْبرٌ يَخْطُبُ الناسَ عليه ، بل كان النبيُّ ﷺ يَخْطُبُ الناسَ وهو مُسْتَنِدٌ إلى جِذْعٍ عندَ مُصَلَّاه في الحائِطِ القِبْلِيِّ ، فلمَّا اتُّخِذ له ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، المِنْبرُ ، كما سيأْتِي بيانُه في موضِعِه ، وعَدَل إليه ليَخْطُبَ عليه ، [4]وجاوَزَ[4] ذلك الجِذْعَ ، خارَ ذلك الجِذْعُ وحَنَّ حَنِينَ النُّوقِ العِشارِ[5] ؛ لِمَا كان يَسْمَعُ مِن خُطَبِ الرسولِ ، عليه السَّلامُ ، عندَه ، فرَجَع إليه النبيُّ ﷺ فاحْتَضَنَه حتى سَكَن ، كما يَسْكُنُ المولودُ الذى يَسْكُتُ ، كما سيأْتِي تَفْصِيلُ ذلك مِن طُرُقٍ ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ

---

(١) في م ، ص : « و » .

(٢) أبو داود (٤٦٤٦) . حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٨٨٢ - ٣٨٨٤) ، والترمذى (٢٢٢٦) ، والنسائي في الكبرى (٨١٥٥) . وانظر السلسلة الصحيحة (٤٦٠) .

(٣) لفظ الترمذى : « ثم ملك بعد ذلك » . وملك عضوض : شديد فيه عسف وعنف . اللسان (ع ض ض) .

(٤ - ٤) في م ، ص : « فلما جاوز » .

(٥) النوق العشار : جمع عُشَراء ، وهى التى مضى على حملها عشرة أشهر . الوسيط (ع ش ر) .

السّاعِدِىٌّ ، وجابرٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، وأنسِ بنِ مالكٍ ، وأُمِّ سَلَمَةَ ، رَضِى اللَّهُ عنهم . وما أَحْسَنَ ما قال الحسنُ البَصْرِىُّ ، بعدَما رَوَى هذا الحديثَ عن أنسِ بنِ مالكٍ[1] : يامَعْشَرَ المسلمِين ، الخَشَبَةُ تَحِنُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شَوْقًا إليه ، أَوَ ليسَ الرجالُ الَّذين يَرْجُون لِقاءَه أَحَقَّ أن يَشْتاقُوا إليه ؟!

تَنْبِيهٌ على فَضْلِ هذا المسجدِ الشَّرِيفِ [2]والمحَلِّ المُنِيفِ[2] :

قال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى ، عن[4] أُنَيْسِ بنِ أبى يَحْيَى ، حدَّثنى أبى قال : سَمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ قال : اخْتَلَفَ رجلانِ[5] - رجلٌ مِن بنى خُدْرَةَ ورجلٌ مِن بنى عَمْرِو بنِ عوفٍ - فى المسجدِ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى ؛ فقال الخُدْرِىُّ : هو مسجدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وقال العَمْرِىُّ : هو مسجدُ قُبَاءٍ . فأَتَيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَأَلاه عن ذلك ، فقال : « هو هذا المسجدُ » . لِمَسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقال : « فى ذلك خيرٌ كثيرٌ » . يَعْنِى مسجدَ قُبَاءٍ . ورَوَاه الترمذىُّ[6] عن قُتَيْبَةَ ، عن حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، عن أُنَيْسِ بنِ أبى يَحْيَى الأَسْلَمِىِّ به ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[7] ، عن إسحاقَ بنِ عيسى ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ،

---

(١) الإحسان (٦٥٠٧) وصححه الشيخ شعيب ، والجعديات لأبى قاسم البغوى (٣٢٥٥) .
(٢ - ٢) سقط من : م .
(٣) المسند ٣/ ٢٣.
(٤) فى م : « بن » . ويحيى هو ابن سعيد بن فروخ القطان التميمى . تهذيب الكمال ١/ ٣٢٩، ٣/ ٣٨٢.
(٥) بعده فى المسند : « أو امتريا » .
(٦) الترمذى (٣٢٣) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦) .
(٧) المسند ٣/ ٨.

والترمذىُّ والنسائىُّ[1] جميعًا عن قُتَيْبَةَ، عن اللَّيْثِ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ[2]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ، عن أبيه، قال: تَمارَى رجلان فى المسجدِ الذى أُسِّس على التَّقْوَى. وذكَر نحوَ ما تقدَم.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3] مِن حديثِ حُمَيْدٍ الخَرَّاطِ، عن أبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، أنَّه سأَل عبدَ الرحمنِ بنَ أبى سعيدٍ: كيف سَمِعْتَ أباكَ يَذْكُرُ[4] فى المسجدِ [١٥٥/٢و] الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى قال: (٥قال أبى: أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسأَلتُه عن المسجدِ الذى أُسِّسَ على التَّقْوَى٥)، فأَخَذ كَفًّا مِن حَصْبَاءَ، فضَرَب به الأرضَ، ثُم قال: «هو مسجدُكُم هذا».

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا رَبِيعَةُ بنُ عثمانَ التَّيْمِىُّ[7] عن عِمْرانَ بنِ أبى أنسٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: اختلَفَ رجلان على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فى المسجدِ الذى أُسِّس على التَّقْوَى؛ فقال أحدُهما: هو مسجدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقال الآخرُ: هو مسجدُ قُباءٍ. فأَتَيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَأَلاه فقال: «هو مَسْجِدى هذا».

---

(١) الترمذى (٣٠٩٩)، والنسائى (٦٩٦). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٤٧٥).
(٢) فى المسند: «قيس». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٣٠٩.
(٣) مسلم (١٣٩٨). بلفظ يختلف عما أورده المصنف.
(٤) سقط من: م، ص. وفى الأصل: «يقول». والمثبت من صحيح مسلم.
(٥ - ٥) سقط من: ص.
(٦) المسند ٥/ ٣٣١. وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٠: رواه أحمد والطبرانى باختصار ورجالهما رجال الصحيح.
(٧) فى م: «التميمى». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ١٣٢.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو نُعَيْمٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عامرٍ الأَسْلَمِيُّ ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنَسٍ ، عن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « المَسْجِدُ الذى أُسِّس على التَّقْوَى مسجِدِى هذا » .

فهذه طرقٌ متعدِّدةٌ لعلَّها تَقْرُبُ مِن إفادةِ القَطْعِ بأنَّه مسجدُ الرسولِ ﷺ ، وإلى هذا ذَهَب عُمَرُ ، وابنُه عبدُ اللَّهِ ، وزيدُ بنُ ثابتٍ ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ ، واختارَه ابنُ جَرِيرٍ[2] . وقال آخَرون[3] : لا منافاةَ بينَ نُزولِ الآيةِ فى مسجدِ قُباءٍ - كما تَقَدَّمَ بيانُه[4] - وبينَ هذه الأحاديثِ ؛ لأَنَّ هذا المسجدَ أَوْلَى بهذه الصِّفَةِ مِن ذلك ، لأنَّ هذا أَحَدُ المساجدِ الثلاثةِ التى تُشَدُّ الرِّحالُ إليها ، كما ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[5] مِن حديثِ أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ ؛ مسجدى هذا ، والمسجدِ الحَرامِ ، ومسجدِ [6]بَيْتِ المَقْدِسِ[6] » . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[7] عن أبى سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لا تَشُدُّوا[8] الرِّحَالَ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجِدَ » . وذكَرَها . وثَبَت فى « الصحيحَيْنِ »[9] أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « صلاةٌ فى مَسْجِدِى هذا خيرٌ

---

(١) المسند ٥/ ١١٦. وقال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٠: رواه أحمد وفيه عبد اللَّه بن عامر الأسلمى ، وهو ضعيف .

(٢) تفسير الطبرى ١١/ ٢٨.

(٣) التفسير ٤/ ١٥٢.

(٤) تقدم صفحة ٥١٨ .

(٥) البخارى (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) ، واللفظ لمسلم .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى الصحيحين : « الأقصى » .

(٧) مسلم فى الحج ٢/ ٩٧٥، ٩٧٦، (٨٢٧) .

(٨) فى الأصل ، م : « تشد » .

(٩) البخارى (١١٩٠) ، ومسلم (١٣٩٤) .

مِن أَلْفِ صلاةٍ فيما سِواه ، إلَّا المسجدَ الحرامَ » . وفى « مسندِ أحمدَ »[1] بإسنادٍ حسنٍ زيادةٌ حسنةٌ وهى قولُه : « فَإِنَّ ذلك أَفْضَلُ » .

وفى « الصحيحَيْنِ »[2] مِن حديثِ يَحْيَى القَطّانِ ، [3]عن عُبيدِ اللَّهِ[3] ، عن خُبَيْبٍ[4] ، عن حفصِ بنِ عاصمٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما بينَ بَيْتى ومِنبَرِى رَوْضَةٌ مِن رياضِ الجنةِ ، ومِنْبَرِى على حَوْضِى » . والأحاديثُ فى فضائلِ هذا المسجدِ الشريفِ كثيرةٌ جِدًّا ، وسنُورِدُها فى كتابِ المناسِكِ مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » إنْ شاءَ اللَّهُ ، وبه الثِّقَةُ ، وعليه التُّكْلانُ ، ولا حَوْلَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكِيمِ .

وقد ذهَب الإمامُ مالكٌ وأصحابُه إلى أنَّ مسجدَ المدينةِ أفضلُ مِن المسجدِ الحرامِ ؛ لأنَّ ذاك بناه إبراهيمُ ، وهذا بناه محمدٌ ﷺ ، ومعلومٌ أنَّ محمدًا ﷺ ، أفضلُ من إبراهيمَ ، عليه السلامُ ، وقد ذهَب الجمهورُ إلى خِلافِ ذلك ، وقَرَّرُوا أنَّ المسجدَ الحرامَ أفضلُ ؛ لأنَّه فى بلدٍ حَرَّمَه اللَّهُ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، وحَرَّمه إبراهيمُ الخليلُ ، عليه السلامُ ، ومحمدٌ خاتَمُ المُرْسَلين ، فاجْتَمَع فيه مِن الصفاتِ ما ليس فى غيرِه[5] ، ولِبَسْطِ هذه المسألةِ موضعٌ آخَرُ . وباللَّهِ المستعانُ .

---

(١) المسند ٢/ ٢٩ (إسناده صحيح) ، بلفظ : « فهو أفضل » .

(٢) البخارى (١١٩٦، ١٨٨٨) ، ومسلم (١٣٩١) .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) فى الأصل ، م : « حبيب » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٢٢٧.

(٥) انظر شرح صحيح مسلم للإمام النووى ٩/ ١٦٣، ١٦٤.

فصلٌ

وبُنِىَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، حولَ مسجدِه الشريفِ حُجَرٌ؛ لتكونَ مساكنَ له ولأهلِه، وكانت مساكنَ قصيرةَ البناءِ، قريبةَ الفِناءِ، قال الحسنُ بنُ أبى الحسنِ البَصْرِىُّ[1] - وكان غلامًا مع أُمِّه خَيْرَةَ مولاةِ أمِّ سَلَمَةَ - : لقد كنتُ أنالُ أَطْوَلَ سَقْفٍ فى حُجَرِ النبىِّ ﷺ بيَدِى. قلتُ: إلَّا أنَّه قد كان الحسنُ البَصْرِىُّ شَكِلًا[2] ضَخْمًا طُوَالًا، رَحِمه اللَّهُ.

وقال السُّهَيْلِىُّ فى «الرَّوْضِ[3]»: كانتْ مساكِنُه، عليه الصلاةُ والسلامُ، مَبْنِيَّةً مِن جَرِيدٍ عليه طِينٌ، بعضُها مِن حِجارةٍ مَرْضومةٍ[4]، وسقُوفُها كلُّها مِن جَرِيدٍ. وقد حَكَى[5] عن الحسنِ البَصْرِىِّ ما تَقَدَّم، وقال[6]: وكانت حُجَرُه مِن شعَرٍ مربوطةً بخشبٍ مِن عَرْعَرٍ[7]. قال: وفى «تاريخِ البخارىِّ»[8] أنَّ بابَه، عليه الصلاةُ والسلامُ، كان يُقْرَعُ بالأَظافيرِ. فدَلَّ على أنَّه [١٥٥/٢ظ] لم يَكُنْ

---

(١) انظر الروض الأنف ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) يعنى حسن الهيئة والمنظر.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٦٧.

(٤) مرضومة: أى جُعل بعضها على بعض. والمرضومة: الرِّضام، وهو حجارةٌ تُجمع.

(٥) أى السهيلى.

(٦) الروض الأنف ٤/ ٢٦٨.

(٧) العرعر: جنس أشجار وجنبات من الصَّنَوْبريات، فيه أنواع كثيرة. الوسيط (ع ر ع ر).

(٨) القول للسهيلى، فى الروض ٤/ ٢٦٨. والخبر أخرجه البخارى فى تاريخه الكبير ١/ ٢٢٨. صحيح (الصحيحة ٢٠٩٢).

لأبْوابِه حَلَقٌ[1] . قال[2] : وقد أُضِيفَتِ الحُجَرُ كلُّها بعدَ موتِ أزواجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى المسجدِ .

قال الواقِدِيُّ ، وابنُ جَرِيرٍ[3] ، وغيرُهما : ولمّا رجَع عبدُ اللَّهِ بنُ أُرَيْقِطٍ الدِّيليُّ إلى مكةَ ، بعَث معه رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ ، زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ مَوْلَيَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليَأْتُوا بأهالِيهم مِن مكةَ ، وبعَثا معهم بحِمْلَين وخمسِمائةِ درهمٍ ؛ ليَشْتَرُوا بها إبلًا مِن قُدَيْدٍ[4] ، فذهَبوا فجاءُوا بِبِنْتَي النبيِّ ﷺ فاطمةَ وأمِّ كُلْثُومٍ ، وزَوْجَتَيْه سَوْدَةَ وعائشةَ ، وأمِّها أمِّ رُومَانَ ، وأهلِ النبيِّ ﷺ ، وآلِ أبي بكرٍ ، صُحْبَةَ عبدِ اللَّهِ بنِ أبي بكرٍ ، وقد شرَد بعائشةَ وأمِّها أمِّ رُومَانَ الجملُ في أثناءِ الطريقِ ، فجعَلَت أمُّ رومانَ تقولُ : واعَرُوساهُ ، وابنَتاهُ . قالت عائشةُ : فسَمِعْتُ قائلًا يقولُ : أَرْسِلي خِطامَه . فأَرْسَلْتُ خِطامَه ، فوقَف بإذنِ اللَّهِ ، وسَلَّمَنا اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ . فتَقَدَّمُوا ، فنزَلوا بالسُّنْحِ ، ثُم دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بعائشةَ في شَوّالٍ بعدَ ثمانيةِ أشهرٍ ، كما سيَأْتِي ، وقَدِمَتْ معهم أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ امرأةُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ [5]وهي حَامِلٌ[5] مُتِمٌّ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ ، كما سيَأْتِي بيانُه في موضعِه مِن آخرِ هذه السنةِ .

---

(١) الحلق : بفتح الحاء وكسرها : جمع حلْقة ، وحلقة الباب : التي تعلَّق عليه ليُقرع بها . الوسيط (ح ل ق) .
(٢) أي السهيلي ، الروض الأنف ٤/ ٢٦٨.
(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٢، ٦٣، ١٦٥، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٠٠.
(٤) قديد : موضع قرب مكة . معجم البلدان ٤/ ٤٢.
(٥ - ٥) سقط من : ص .

فصلٌ فيما أصاب المُهاجِرِين مِن حُمَّى المدينةِ، (١رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين، وقد سَلِمَ الرسولُ ﷺ منها بحولِ اللَّهِ وقوَّتِه، ودعا اللَّهَ فأزاحها عن المدينةِ١)

قال البخاريُّ[٢]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ[٣] بنُ يوسفَ، ثنا مالكٌ، عن[٤] هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ أنَّها قالت: لمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وُعِكَ أبو بكرٍ وبلالٌ. قالت: فدخَلْتُ عليهما فقلْتُ: يا أَبَهْ، كيف تَجِدُك؟ ويا بلالُ، كيف تَجِدُك؟ قالت: وكان أبو بكرٍ إذا أخَذَتْه الحُمَّى يقولُ:

كُلُّ امرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أَدْنَى مِن شِراكِ نَعْلِهِ

وكان بلالٌ إذا أَقْلَعَ عنه الحُمَّى يَرْفَعُ عقِيرَتَه[٥]، ويقولُ:

أَلَا ليتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولى إِذْخِرٌ وجَليلُ[٦]

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) البخارى (٣٩٢٦).

(٣) بعده فى م: «بن وهب».

(٤) فى م: «بن».

(٥) قال الحافظ: يرفع عقيرته: أى صوته ببكاء. انظر الفتح ٢٦٣/٧.

(٦) جليل: نبت ضعيف يحشى به - أى خروق - البيوت وغيرها. المصدر السابق.

وهل أَرِدَنْ يومًا مِياهَ مَجَنَّةٍ وهَلْ يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطَفِيلُ[1]

قالت عائشةُ : فجِئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرْتُه ، فقال : « اللَّهُم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ ، وصَحِّحْها ، وبارِكْ لنا فى صاعِها ومُدِّها ، وانقُلْ حُمّاها فاجعَلْها بالجُحْفَةِ » . ورواه مسلمٌ[2] ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن [3]عُبَيْدَةَ ، عن هشامٍ[3] مُخْتَصَرًا .

وفى روايةِ البخاريِّ[4] له عن أبى أُسامَةَ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائِشةَ ، فذكَره ، وزاد بعدَ شِعْرِ بلالٍ : ثم يقولُ : اللهمَّ الْعَنْ عُتْبَةَ بنَ رَبيعَةَ ، وشَيْبَةَ بنَ رَبيعَةَ ، وأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ ، كما أَخْرَجونا إلى أرضِ الوَباءِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مكةَ أو أشدَّ ، اللهمَّ بارِكْ لنا فى صاعِها وفى مُدِّها ، وصَحِّحْها لنا ، وانقُلْ حُمّاها إلى الجُحْفَةِ » . وقَدِمْنا إلى المدينةِ وهى أَوْبَأُ أرضِ اللَّهِ ، وكان بُطْحانُ[5] يَجْرِى نَجْلًا . تَعْنِى ماءً آجِنًا[6] .

وقال زيادٌ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[7] ، حدَّثنى هشامُ بنُ عُرْوَةَ وعُمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[8] عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عائشةَ قالتْ : لـمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(1) قال الأصمعى : مجنة : جبل لبنى الديل خاصة بتهامة بجنب طفيل ، وإياه أراد بلال . معجم البلدان ٤/ ٤٢١. وشامة وطفيل : جبلان على نحو من عشرة فراسخ من مكة . معجم البلدان ٣/ ٥٤٠.

(2) مسلم (١٣٧٦) .

(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « هشام » . وفى ص : « عبيدة » . والمثبت من صحيح مسلم .

(4) البخارى (١٨٨٩) .

(5) بطحان : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة . معجم البلدان ١/ ٦٦٢.

(6) قال الحافظ فى الفتح ٤/ ١٠١: آجنًا ؛ أى متغيِّرًا .

(7) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٨، ٥٨٩.

(8) فى النسخ : « بن » . والمثبت من السيرة .

المدينةَ ، قَدِمَها وهى أَوْبَأُ أرضِ اللّهِ ، مِن الحُمَّى ، [١٥٦/٢و] فأصابَ أصحابَه مِنها بَلاءٌ وسَقَمٌ ، وصَرَف اللّهُ ذلك عن نَبِيِّه ﷺ . قالت : فكان أبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ وبلالٌ ؛ مَوْلَيَا أبى بكرٍ ، فى بيتٍ واحدٍ ، فأصابَتْهم الحُمَّى ، فدَخَلْتُ عليهم أَعُودُهم[(١)] ، وذلك قبلَ أنْ يُضْرَبَ علينا الحجابُ، وبهم ما لا يَعْلَمُه إلّا اللّهُ مِن شدةِ الوَعْكِ ، فدَنَوْتُ مِن أبى بكرٍ ، فقلتُ : كيفَ تَجِدُكَ يا أَبَهْ ؟ فقال :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ والموتُ أَدْنَى مِن شِراكِ نعلِهِ

قالت : فقلتُ : واللّهِ ما يَدْرِى أبى ما يقولُ . قالت : ثُم دَنَوْتُ إلى عامرِ بنِ فُهَيْرَةَ . فقلتُ : كيف تَجِدُك يا عامرُ ؟ قال :

لقد وجَدْتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ إنَّ الجَبانَ حَتْفُه مِن فوقِهِ

كُلُّ امرِئٍ مُجاهِدٌ بطَوْقِهِ كالثَّوْرِ يَحْمِى جِلْدَه بِرَوْقِهِ[(٢)]

قالت[(٣)] : فقلتُ : واللّهِ ما يَدْرِى عامرٌ[(٤)] ما يقولُ . قالت : وكان بلالٌ إذا أَدْرَكَتْه الحُمَّى ، اضْطَجَع بفِناءِ البيتِ ، ثُم رفَع عَقِيرَتَه ، فقال :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً بفَخٍّ[(٥)] وحَوْلِى إِذْخِرٌ وجَلِيلُ

---

(١) فى م : « أدعوهم » .
(٢) الروق : قرن الدابة . الوسيط (ر و ق) .
(٣) فى م : « قال » .
(٤) سقط من : م ، ص .
(٥) فى الأصل ، ص : « فج » . وهى تروى بالجيم أيضا ، فيما سيذكره المصنف من الحديث المروى فى مسند أحمد . وفخ : وادٍ بمكة . معجم البلدان ٣/ ٨٥٤.

وهل أرِدَنْ يومًا مِياهَ مَجَنَّةٍ　　وهل يَبْدُوَنْ لى شامَةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشةُ : فذكَرْتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ما سَمِعْتُ منهم ، وقلت : إنَّهم ليَهْذُون وما يَعْقِلُون مِن شِدَّةِ الحُمَّى . فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ ، كما حبَّبتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ ، وبارِكْ لنا فى مُدِّها وصاعِها ، وانقُلْ وبَاءَها إلى مَهْيَعَةَ » . ومَهْيَعَةُ هى الجُحْفَةُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدّثنا يونُسُ ، ثنا لَيْثٌ ، عن يَزِيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن أبى بكرِ بنِ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُروةَ ، [2]عن عُروةَ[2] ، عن عائشةَ قالت : لمّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، المدينةَ [3]اشتَكَى أصحابُه و[3] اشْتَكَى أبو بكرٍ ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولى أبى بكرٍ ، وبلالٌ ، فاسْتَأْذَنَتْ عائشةُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى عيادتِهم ، فأَذِن لها ، فقالتْ لأبى بكرٍ : كيف تَجِدُك ؟ فقال :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فى أهلِهِ　　والموتُ أَدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وسأَلَتْ عامِرًا فقال :

إنِّى وَجَدْتُ الموتَ قبلَ ذَوْقِهِ　　إنَّ الجَبانَ حَتْفُه مِن فوقِهِ

وسأَلَتْ بِلالًا فقال :

يا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً　　بفَجٍّ[4] وحَوْلِى إذْخِرٌ وجَلِيلُ

---

(١) المسند ٦/ ٦٥.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) فى م : « بفخ » .

فأتتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرَتْه ، فنظَر إلى السماءِ وقال : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلينا المدينةَ كما حَبَّبْتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ ، اللهُمَّ بارِكْ لنا فى صاعِها وفى مُدِّها ، وانْقُلْ وبَاءَها إلى مَهْيَعَةَ » . وهى الجُحْفَةُ فيما زَعَموا . وكذا رواه النَّسَائِىُّ[1] ، عن قُتَيْبَةَ ، عن اللَّيْثِ به . ورَوَاه الإمامُ أحمدُ[2] ، مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ عنها مثلَه .

وقال البَيْهَقِىُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عَمْرٍو ، قالا : ثنا أبو العباسِ الأَصَمُّ ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبّارِ ، ثنا يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى أَوْبَأُ أرضِ اللَّهِ ، ووادِيها بُطْحَانُ نَجْلٌ[4] . قال هشامٌ : وكان وباؤُها معروفًا فى الجاهليةِ ، وكان إذا كان الوادى وَبِيئًا ، فأَشْرَفَ عليه[5] الإنسانُ ، قِيل له أنْ يَنْهَقَ نَهِيقَ الحِمارِ ؛ فإذا فعَل ذلك لم يَضُرَّه وبَاءُ ذلك الوادى ، وقد قال الشاعرُ حينَ أَشْرَفَ على المدينةِ[6] :

لَعَمْرِى لَئِنْ عَشَّرْتُ[7] من خِيفةِ الرَّدَى نَهِيقَ الحِمارِ إنَّنى لَجَزوعُ

---

(١) النسائى فى الكبرى (٧٥١٩) .

(٢) المسند ٦/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٣) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٧.

(٤) بعده فى الدلائل : « يجرى عليه الأثل » .

(٥) فى النسخ : « عليها » . والمثبت من الدلائل .

(٦) البيت لعروة ابن الورد فى ديوانه ص ٩٥.

(٧) فى الأصل ، م : « عبرت » . وفى ص : « عرت » . والمثبت من الدلائل والديوان . وعشّر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . ومعناه أنهم يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء ، وضع يده خلف أذنه ، فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ، ثم دخلها ، أَمِن من الوباء . اللسان (ع ش ر) .

ورَوَى البخاريُّ[1] ، من حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « رَأَيْتُ كأَنَّ امرأةً سوداءَ ثائِرَةَ الرأسِ ، خرجتْ مِن المدينةِ حتى قامَتْ بمَهْيَعَةَ – وهى الجُحْفَةُ[2] – [3]فأَوَّلْتُ أنَّ وبَاءَ المدينةِ نُقِلَ إليها[3] » . [١٥٦/٢ظ] هذا لفظُ البخاريِّ ، ولم يُخْرِجْه مسلمٌ . ورَوَاه التِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَه ، والنَّسائيُّ ، وابنُ ماجَهْ[4] مِن حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ .

وقد رَوَى حمادُ بنُ زيدٍ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى وَبِيئَةٌ . فذكَر الحديثَ بطُولِه إلى قولِه : « وانْقُلْ حُمّاها إلى الجُحْفَةِ » . قال هشامٌ : فكان المولودُ يُولَدُ بالجُحْفَةِ ، فلا يَبْلُغُ الحُلُمَ حتى تَصْرَعَه الحُمَّى . رَوَاه البَيْهَقِيُّ فى « دلائلِ النبوةِ »[5] . وقال يونُسُ ، عن ابنِ إسحاقَ[6] : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ وهى وَبِيئَةٌ ، فأصاب أصحابَه منها[7] بلاءٌ وسَقَمٌ حتى أجْهَدَهُم ذلك ، وصرَف اللَّهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ .

وقد ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[8] ، عن ابنِ عباسٍ قال : قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) البخارى (٧٠٣٨) .

(٢) قال ابن حجر فى الفتح ١٢/ ٤٢٥، ٤٢٦. وأظن قوله : وهى الجحفة . مدرجًا من قول موسى بن عقبة ، فإن أكثر الروايات خلا عن هذه الزيادة وثبتت فى رواية سليمان وابن جريج .

(٣ - ٣) فى النسخ : « فأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيعة ، وهى الجحفة » . والمثبت من صحيح البخارى .

(٤) الترمذى (٢٢٩٠) . والنسائى فى الكبرى (٧٦٥١) . وابن ماجه (٣٩٢٤) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٨٦٦) .

(٥) دلائل النبوة ٢/ ٥٦٨.

(٦) المصدر السابق .

(٧) فى الأصل ، م : « بها » .

(٨) البخارى (١٦٠٢، ٤٢٥٦) ، ومسلم (١٢٦٦) . وليس فى الصحيحين : « صبيحة رابعة - يعنى مكة - عام عمرة القضاء » .

وأصحابُه - صَبِيحَةَ رابِعةٍ ، يَعْنِى مكةَ - عامَ عُمْرَةِ القضاءِ ، فقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفدٌ قد وَهَنَهم حُمَّى يَثْرِبَ . فأَمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَرْمُلُوا ، وأَنْ يَمْشُوا ما بينَ الرُّكنَيْنِ ، ولم يَمْنَعْه أنْ يَرْمُلُوا الأَشْواطَ كلَّها إلَّا الإبْقَاءُ عليهم .

قلتُ : وعُمْرَةُ القضاءِ كانت فى سنةِ سبعٍ فى ذى القَعْدَةِ ؛ فإمّا أنْ يكونَ تأخَّرَ دعاؤُه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بنقلِ الوباءِ إلى قريبٍ مِن ذلك ، أو أنَّه رُفِعَ وبَقِىَ آثارٌ منه قليلٌ ، أو أنَّهم بَقُوا فى خُمَارٍ[1] ما كان أصابَهم مِن ذلك إلى تلك المدةِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال زِيَادٌ ، عن ابنِ إسحاقَ[2] : وذكَر ابنُ شِهَابٍ الزُّهْرِىُّ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لما قَدِمَ المدينةَ هو وأصحابُه ، أصابَتْهم حُمَّى المدينةِ ، حتى جَهَدوا مرضًا ، وصرَف اللَّهُ ذلك عن نبيِّه ﷺ ، حتى كانوا ما يُصَلُّون إلَّا وهم قُعُودٌ . قال : فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وهم يُصَلُّون كذلك فقال لهم : « اعْلَمُوا أنَّ صلاةَ القاعدِ على النِّصْفِ مِن صلاةِ القائمِ » . فتَجَشَّمَ المسلمون القيامَ ، على ما بهم مِن الضَّعْفِ والسَّقَمِ ؛ الْتماسَ الفضلِ .

---

(١) بعده فى م : « خمارو » . وفى ص : « حما و » . والخُمار : ما يصيب من أذى الحمى وصداعها . تاج العروس (خ م ر) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٩٠.

فصلٌ

فى عقدِه ، عليه السلامُ ، الأُلْفَةَ بيـنَ المُهاجرِيـنَ والأنصارِ بالكتابِ الذى أمَر به فكُتِبَ بينَهم ، والمؤاخاةِ التى أمَرَهم بها وقَرَّرَهم عليها ، وموادعتِه اليهودَ الذين كانوا بالمدينةِ

وكان بها من أحياءِ اليهودِ بنو قَيْنُقَاعَ وبنو النَّضِيرِ وبنو قُرَيْظَةَ ، وكان نزولُهم بالحجازِ قبلَ الأنصارِ أيامَ بُخْتُ نَصَّرَ ، حيـنَ دَوَّخَ[1] بلادَ المَقْدِسِ ، فيما ذكَرَه الطَّبَرِىُّ[2] ، ثُم لمّا كان سيلُ العَرِمِ وتَفرَّقَتْ سَبأٌ[3] شَذَرَ مَذَرَ ، نزَل الأوسُ والخَزْرَجُ المدينةَ عندَ اليهودِ ، فحالَفُوهم وصاروا يَتَشَبَّهون بهم ؛ لِمَا يَرَوْن لهم عليهم مِن الفضلِ فى العلمِ المأثورِ عن الأنبياءِ ، لكنْ مَنَّ اللَّهُ على هؤلاءِ ، الذين كانوا مشركِينَ ، بالهُدَى والإسلامِ ، وخذَل أولئك ؛ لحسدِهم وبَغْيِهم ، واستكبارِهم عن اتباعِ الحقِّ .

قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَثَّنا عَفَّانُ ، ثنا حمادُ بنُ سَلَمَةَ ، ثنا عاصمٌ الأَحْوَلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : حالَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيـنَ المهاجرِيـنَ والأنصارِ فى دارِ أنسِ بنِ مالكٍ .

---

(١) داخ البلاد ودوَّخها : قهرها واستولى عليها . ودوَّخ البلاد : إذا مشى فيها حتى عرفها ولم يخف عليه طرقها . تاج العروس (د و خ) .

(٢) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٩.

(٣) سقط من : م ، ص .

(٤) المسند ٣/ ٢٨١.

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ أيضًا ، والبخاريُّ ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ[(١)] ، مِن طُرُقٍ متعددةٍ ، عن عاصمِ بنِ سليمانَ الأحْوَلِ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : حالَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ قريشٍ والأنصارِ فى دارِى .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثَنا نَصْرُ بنُ بابٍ ، عن حَجّاجٍ ، هو ابنُ أَرْطَاةَ . قال[(٣)] : وحدَّثَنا سُرَيْجٌ ، ثنا عَبّادٌ ، عن حَجّاجٍ ، عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه أنَّ النبىَّ ﷺ كتَب كتابًا بينَ المهاجِرِينَ والأنصارِ ؛ أنْ يَعْقِلُوا مَعَاقِلَهم[(٤)] ، وأنْ يَفْدُوا عانِيَهم[(٥)] بالمعروفِ والإصلاحِ بينَ المسلِمِين .

قال أحمدُ[(٦)] : وحدَّثَنا سُرَيْجٌ ، ثنا عَبّادٌ ، عن حَجّاجٍ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ[(٧)] ، عن ابنِ عباسٍ مِثْلَه . تَفَرَّدَ به الإمامُ أحمدُ . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[(٨)] ، عن جابرٍ قال : كتَب رسولُ اللَّهِ [٢/١٥٧و] ﷺ على كلِّ بَطْنٍ عُقُولَه[(٩)] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١٠)] : وكتَب رسولُ اللَّهِ ﷺ كتابًا بينَ المهاجِرِينَ والأنصارِ ، وادَعَ فيه اليهودَ وعاهَدَهم وأَقَرَّهم على دينِهم وأموالِهم ، واشترَط

---

(١) المسند ٣/ ١١١، ١٤٥، ٢٨١. والبخارى (٢٢٩٤، ٦٠٨٣، ٧٣٤٠) . ومسلم (٢٥٢٩) . وأبو داود (٢٩٢٦) .

(٢) المسند ٢/ ٢٠٤. (إسناده صحيح) .

(٣) القائل الإمام أحمد ، المسند ١/ ٢٧١. (إسناده صحيح) .

(٤) المعاقل : جمع مَعْقُلَة ، وهى الدية . المحيط (ع ق ل) .

(٥) العانى : الأسير .

(٦) المسند ١/ ٢٧١. (إسناده صحيح) .

(٧) فى م : « القاسم » . وهو مقسم بن بُجْرَة ، ويقال : ابن بَجَرَة . ويقال : ابن نَجْدَة . أبو القاسم ، ويقال : أبو العباس . تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١.

(٨) مسلم (١٥٠٧) .

(٩) فى م ، ص : « عقولة » . والعقول : جمع عَقْل ، وهى الدية . الوسيط (ع ق ل) .

(١٠) سيرة ابن هشام ٥٠١/١ - ٥٠٤.

عليهم وشرَط لهم : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، هذا كتابٌ مِن محمدٍ النبيِّ[١] ، بينَ المؤمنِين والمسلِمِين ، مِن قريشٍ ويَثْرِبَ ومَن تَبِعَهم فلَحِقَ بهم وجاهَدَ معهم : إنَّهم أُمَّةٌ واحدةٌ مِن دونِ الناسِ ، المهاجِرون مِن قريشٍ على رِبْعَتِهم[٢] ، يَتَعاقَلُون بَيْنَهم ، وهم يَفْدُون عانِيَهم بالمعروفِ والقِسطِ ، وبنو عَوْفٍ على رِبْعَتِهم ، يَتَعاقَلُون مَعَاقِلَهم الأُولى ، وكلُّ طائفةٍ تَفْدِى عانِيَها بالمعروفِ والقِسطِ بينَ المؤمنِينَ » . ثُم ذكَر كلَّ بطنٍ مِن بطونِ الأنصارِ ، وأهلَ كلِّ دارٍ ؛ بنى ساعِدَةَ ، وبَنِى جُشَمَ ، وبنى النَّجّارِ ، وبَنِى عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ، وبَنِى النَّبِيتِ ، إلى أنْ قال : « وإنَّ المؤمنِينَ لا يَتركونُ مُفْرَحًا[٣] بينَهم أنْ يُعْطُوه بالمعروفِ فى فِداءٍ وعَقْلٍ ، ولا يُحَالِفُ مؤمنٌ مولَى مؤمنٍ دونَه ، وإنَّ المؤمنِينَ المُتَّقِين على مَن بَغَى منهم ، أو ابْتَغَى دَسِيعَةَ[٤] ظلمٍ ، أو إثمٍ أو عُدوَانٍ ، أو فسادٍ بينَ المؤمنِينَ ، وإنَّ أيْدِيَهم عليهِ جميعِهم ولو كان ولدَ أحدِهم ، ولا يَقْتُلُ مؤمنٌ مؤمنًا فى كافرٍ ، ولا يُنْصَرُ كافرٌ على مؤمنٍ ، وإنَّ ذمةَ اللَّهِ واحدةٌ ؛ يُجِيرُ عليهم أَدْنَاهم ، وإنَّ المؤمنِينَ بعضُهم موالِى بعضٍ دونَ الناسِ ، وإنَّه مَن تَبِعَنا مِن يهودَ ، فإنَّ له النصرَ والأُسْوَةَ[٥] ؛ غيرَ مظلومِين ولا مُتَنَاصَرٍ عليهم ، وإنَّ سِلْمَ المؤمنِينَ واحدةٌ ؛ لا يُسَالِمُ مؤمنٌ دونَ مؤمنٍ فى قتالٍ فى سبيلِ اللَّهِ ، إلَّا على سواءٍ وعدلٍ بينَهم ، وإنَّ كلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ معنا يُعْقِبُ بعضُها بعضًا ، [٦]وإنَّ المؤمنِينَ يُبِيءُ بَعْضُهم على بعضٍ[٦] بما نالَ

---

(١) بعده فى م ، ص : « الأمى » .

(٢) ربعتهم : أمرهم الذى كانوا عليه . المحيط (ر ب ع) .

(٣) قال ابن هشام فى السيرة : المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال .

(٤) فى م : « دسيسة » . والدسيعة : العطيَّة . اللسان (د س ع) .

(٥) يعنى المواساة والمشاركة فى المعاش والرزق .

(٦ - ٦) سقط من : ص . وفى الأصل ، م : « وإن المؤمنين يبيء بعضهم بعضا » . والمثبت من السيرة . قال السهيلى فى الروض ٤/ ٢٩٥: يبيء ؛ هو من البَوَاء أى المساواة .

دماءَهم فى سبيلِ اللَّهِ ، وإنَّ المؤمنين المُتَّقِين على أحسنِ هُدًى وأقومِه ، وإنه لا يُجيرُ مشركٌ مالًا لقريشٍ ولا نفسًا ، ولا يَحُولُ دونَه على مؤمنٍ ، وإنَّه مَنِ اعْتَبَطَ[1] مؤمِنًا قتلًا عن بيِّنةٍ ، فإنه قَوَدٌ به إلَّا[2] أنْ يَرْضَى وَلِيُّ المقتولِ ، وإنَّ المؤمنِينَ عليه كافةً ، ولا يَحِلُّ لهم إلَّا قيامٌ عليه ، وإنَّه لَا يَحِلُّ لمؤمنٍ أَقَرَّ بما فى هذه الصحيفةِ ، وآمَن باللَّهِ واليومِ الآخرِ ، أنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا ولا يُؤْوِيَه ، وإنَّه مَن نصَرَه أو آوَاه ، فإنَّ عليه لعنةَ اللَّهِ وَغضبَه يومَ القيامةِ ، ولا يُؤْخَذُ مِنه صَرْفٌ ولا عدلٌ ، وإنَّكم مَهْمَا اختلَفْتم فيه مِن شيءٍ ، فإنَّ مَرَدَّه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وإلى محمدٍ ﷺ ، وإنَّ اليهودَ يُنْفِقُون[3] مع المؤمنِينَ ما داموا محارِبِينَ ، وإنَّ يهودَ بنى عَوْفٍ أمَّةٌ مع المؤمنِينَ ؛ لليهودِ دينُهم ولِلمُسْلِمينَ دِينُهُم ، مواليِهم وأنفُسِهم ، إلَّا مَن ظَلَمَ وأَثِمَ ؛ فإنَّه لا يُوتِغُ[4] إلا نَفْسَه وأهلَ بَيْتِه ، وإنَّ ليهودِ بَنِى النَّجَّارِ وبَنِى الحارِثِ ، وبنى ساعِدَةَ ، وبنِى جُشَمَ ، وبَنِى الأوسِ ، وبنى ثَعْلَبَةَ وجَفْنَةَ ، وبنى الشُّطَيْبَةِ[5] ، مِثْلَ ما ليهودِ بَنِى عَوْفٍ ، وإنَّ بِطانَةَ يهودَ كأنفسِهم ، وإنَّه لا يَخْرُجُ منهم أحدٌ إلَّا بإذنِ محمدٍ ﷺ ، ولا يَنْحَجِزُ[6] على ثأرِ جُرْحٍ ، وإنَّه مَن فتَكَ[7] ، فبنفسِه [8]فتَكَ وأهلِ بيتِه[8] ، إلَّا مَن ظُلِمَ ، وإنَّ اللَّهَ عَلَى أَبَرِّ[9] هذا ،

---

(١) فى الأصل ، م : « اغتبط » . واعتبطه : قتله بلا جنايةٍ كانت منه ، ولا جريرةٍ تُوجب قتله . اللسان (ع ب ط) .

(٢) فى م : « إلى » .

(٣) فى النسخ : « يتفقون » . والمثبت من السيرة .

(٤) يوتغ : يُفسد ويُهلك .

(٥) فى الأصل : « السطنة » . وفى م : « الشطنة » . وفى ص : « الشطبة » . والمثبت من السيرة .

(٦) فى النسخ : « ينحجر » . والمثبت من السيرة . وينحجز : يكفُّ عن القَوَد . النهاية ١/ ٣٤٥.

(٧) فى ص : « قتل » .

(٨ - ٨) سقط من النسخ . وأثبتناه من السيرة .

(٩) فى الأصل ، م : « أثر » .

وإنَّ على اليهودِ نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتَهم ، وإنَّ بينَهم النصرَ على مَن حارَبَ أهلَ هذه الصحيفةِ ، وإنَّ بينَهم النصحَ والنصيحةَ ، والبِرَّ دونَ الإثْم[1] ، وإنَّه لم يَأْثَمِ امرُؤٌ بحَليفِه ، وإنَّ النصرَ للمظلومِ ، وإنَّ يَثْرِبَ حرامٌ جَوْفُها[2] لأهلِ هذه الصحيفةِ ، وإنَّ الجارَ كالنفسِ غيرَ مُضارٍّ ولا آثمٍ ، وإنَّه لا تُجَارُ حُرْمةٌ إلَّا بإذنِ أهلِها ، وإنَّه ما كان بينَ أهلِ هذه الصحيفةِ مِن حَدَثٍ أو اشتجارٍ يُخَافُ فسادُه ، فإنَّ مَرَدَّه إلى اللَّهِ وإلى محمدٍ رسولِ اللَّه ﷺ ، وإنَّ اللَّهَ [3]على أَتْقَى[3] ما فى هذه الصحيفةِ وأبَرِّه ، وإنَّه لا تُجَارُ قريشٌ ولا مَن نصَرَها ، وإنَّ بينَهم النصرَ على مَن دهَم يَثْرِبَ ، وإذا دَعَوْا إلى صلحٍ يُصَالِحُونه ويَلْبَسُونَه [٢/١٥٧ظ] فإنَّهم يُصَالِحُونه ، وإنَّهم إذا دُعُوا إلى مِثْلِ ذلك ، فإنَّه لهم على المؤمنين ، إلَّا مَن حارَبَ فى الدينِ ؛ على كلِّ أُناسٍ حِصَّتُهم مِن جانِبِهم الذى قِبَلَهم ، وإنَّه لا يَحُولُ هذا الكتابُ دونَ ظالمٍ أو آثمٍ ، وإنه مَن خرَج آمِنٌ ، ومَن قعدَ آمنٌ بالمدينةِ ، إلَّا مَن ظَلَم أو أَثِمَ ، وَإنَّ اللَّهَ جارٌ لِمَن برَّ واتَّقَى » . كذا أورَدَه ابنُ إسحاقَ بنحوِه ، وقد تكلَّم عليه أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَامٍ ، رَحِمَه اللَّهُ ، فى كتابِ « الغريبِ » وغيرِه[4] بما يَطُولُ ذكرُه[5] .

---

(١) قال فى النهاية ١/ ١١٧: أى أن الوفاء بما جعَل على نفسه دون الغدر والنكث .

(٢) فى الأصل : « خوفها » . وفى م : « حرفها » .

(٣ - ٣) فى م : « على من اتقى » . وفى ص : « أتقى على » .

(٤) لم نجده فى المطبوع من كتاب الغريب . وهو فى كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢٦٠ - ٢٦٦.

(٥) سقط من : م ، ص .

فصلٌ فى مؤاخاةِ النَّبىِّ ﷺ

بيـــنَ المُهاجِـرين والأَنصـارِ

كما قال تعالى[1] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]. وقال تعالى[2] : (وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ[3] أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا) [النساء: ٣٣].

قال البخارىُّ[4] : حَدَّثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ، ثنا أبو أُسامَةَ، عن إدريسَ، عن طَلْحةَ بنِ مُصَرِّفٍ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾، قال: وَرثَةً: (وَٱلَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ): كان المُهاجِرُون لمَّا قَدِمُوا المدينةَ، يَرِثُ المُهاجِرِىُّ الأَنصارِىَّ دونَ ذَوِى رَحِمِه؛ لِلأُخُوَّةِ التى آخَى النبىُّ ﷺ بينَهم، فلمَّا نَزَلَتْ: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ ﴾ نُسِخَتْ. ثُم قال: (وَٱلَّذِينَ عاقدت أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ مِن النَّصْرِ والرِّفادةِ والنَّصيحةِ، وقد ذَهَبَ الميراثُ، ويُوصِى له.

---

(١) التفسير ٨/٩٤ - ٩٨.

(٢) التفسير ٢/٢٥٢ - ٢٥٥.

(٣) قال أبو حيان فى تفسيره: قرأ الكوفيون عقدت بتخفيف القاف من غير ألف، وشدد القاف حمزة من رواية على بن كبشة، والباقون عاقدت بألف. البحر المحيط ٣/٢٣٨.

(٤) البخارى (٤٥٨٠).

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : قُرِئَ على سفيانَ : سَمِعْتُ عاصمًا ، عن أنسٍ قال : حالَفَ النبيُّ ﷺ بينَ المُهاجِرين والأنصارِ فى دارِنا . قال سفيانُ : كأنَّه يقولُ : آخَى .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٢)] : وآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أصحابِه مِن المُهَاجِرين والأَنصارِ ، فقال - فيما بَلَغنا ، ونَعُوذُ باللَّهِ أن نقولَ عليه ما لم يَقُلْ -: « تآخَوا فى اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ » . ثُم أخَذ بيدِ علىٍّ بنِ أبى طالبٍ فقال : « هذا أخى » . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ - سيِّدُ المُرسَلِين ، وإمامُ المُتَّقِين ، ورسولُ ربِّ العالَمِين ، الذى ليس له خَطِيرٌ[(٣)] ولا نظيرٌ مِن العِبادِ - وعلىُّ بنُ أبى طالبٍ أخَوَيْنِ ، وكان حمزةُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ - أسدُ اللَّهِ ، وأسدُ رسولِه ، وعمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وزيدُ بنُ حارثةَ مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أخَوَيْن ، وإليه أَوْصَى حمزةُ يومَ أُحُدٍ ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ ذو الجَناحَيْنِ ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ أخَوَيْن . قال ابنُ هِشامٍ[(٤)] : كان جعفرٌ يومَئذٍ غائبًا بأرضِ الحبَشَةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : وكان أبو بكرٍ وخارِجَةُ بنُ زيدٍ الخَزْرَجِىُّ أخَوَيْن ، وعمرُ بنُ الخَطّابِ وعِتْبانُ بنُ مالكٍ أخَوَيْن ، (٦)وأبو عُبَيْدَةَ وسعدُ بنُ معاذٍ أخَوَيْن ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ وسعدُ بنُ الربيعِ أخَوَيْن(٦) ، والزُّبَيرُ بنُ العَوّامِ

(١) المسند ٣/ ١١١.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٤، ٥٠٥.
(٣) فلان ليس له خطير : أى ليس له نظير ولا مِثل . اللسان (خ ط ر) .
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥.
(٥) المصدر السابق ١/ ٥٠٥، ٥٠٦.
(٦ - ٦) سقط من : ص .

وسَلَمَةُ بنُ سَلَامَةَ (١ بنِ وَقْشٍ ١) أخَوَيْن ، ويُقالُ : بل كان الزُّبيرُ وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ أخَوَيْن . وعثمانُ بنُ عفانَ وأوْسُ بنُ ثابتِ بنِ المُنْذِرِ النَّجّارِيُّ أخَوَيْن ، وطلحةُ (٢ بنُ عُبَيدِ اللَّهِ ٢) وكعبُ بنُ مالكٍ أخَوَيْنِ ، وسعيدُ بنُ زيدٍ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ أخوَيْن ، ومُصْعَبُ بنُ عُمَيرٍ وأبو أيوبَ أخَوَيْن ، وأبو حُذَيفةَ بنُ عُتْبَةَ وعَبّادُ بنُ بِشرٍ أخَوَيْنِ ، وعمّارٌ وحُذَيفةُ بنُ اليَمانِ العَبْسِيُّ حليفُ عبدِ الأَشْهَلِ أخَوَيْن ، ويُقالُ : بل كان عمّارٌ وثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمّاسٍ أخوَيْن .

قلتُ : وهذا أَنْسَبُ(٣) مِن وجهَيْنْ .

قال(٤) : وأبو ذَرٍّ بُرَيْرُ(٥) بنُ جُنادَةَ ، والمُنْذِرُ بنُ عَمرٍو المُعْنِقُ(٦) لِيَمُوتَ أخَوَيْن ، وحاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ وعُوَيْمُ بنُ ساعِدَةَ أخوَيْن ، وسَلْمانُ وأبو الدَّرْداءِ أخوَيْن ، وبلالٌ وأبو رُوَيْحَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ [١٥٨/٢و] الخَثْعَمِيُّ ثم أَحدُ الفَزَعِ أخوَيْن . قال : فهؤلاءِ مِمَّن سُمِّىَ لنا مِمَّن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ آخَى بينَهم مِن أصحابِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم .

قلتُ : وفي بعضِ ما ذَكَره نظرٌ ، أمّا مُؤاخاةُ النبيِّ ﷺ وعليٍّ ، فإنَّ مِن

(١ - ١) فى ص : « من قريش » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى م : « السند » . وانظر سبل الهدى والرشاد ٥٣٠/٣ .

(٤) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٥٠٦/١، ٥٠٧.

(٥) اختلف فى اسم أبى ذر اختلافا كبيرًا ، والمشهور : جندب بن جنادة ، انظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٢٩٤، وأسد الغابة ٦/ ٩٩، والإصابة ٧/ ١٢٥.

(٦) فى الأصل ، م : « المعتق » . وفى ص : غير منقوطة . والمثبت من السيرة . وانظر الإصابة ٢١٧/٦، ٢١٨. وأسد الغابة ٥/ ٢٦٩. والمعنق ليموت لقب هذا الصحابى ، من أعنق ، إذا سارع وأسرع . اللسان (ع ن ق) .

العلماءِ مِن يُنْكِرُ ذلك ويَمْنَعُ صِحَّته ، ومُسْتَنَدُه فى ذلك أنَّ هذه المُؤاخاةَ إنَّما شُرِعَتْ لأَجلِ ارْتِفاقِ[1] بعضِهم مِن بعضٍ ، ولِيَتَأَلَّفَ قلوبَ بعضِهم على بعضٍ ، فلا معنَى لمُؤاخاةِ النبىِّ ﷺ لأحدٍ منهم ، ولا مُهاجِرِىٍّ لمُهاجرىٍّ آخَرَ ، كما ذَكَره مِن مؤاخاةِ حمزةَ وزيدِ بنِ حارثةَ ، اللهُمَّ إلَّا أن يكونَ النبىُّ ﷺ لم يَجْعَلْ مصلحةَ علىٍّ إلى غيرِه ، فإنَّه كان مِمَّن يُنْفِقُ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن صِغَرِه فى حياةِ أبيه أبى طالبٍ ، كما تَقَدَّم[2] عن مجاهدٍ وغيرِه . وكذلك يكونُ حمزةُ قد الْتَزَم بمصالحِ مَوْلاهم زيدِ بنِ حارثةَ ، فآخاه بهذا الاعتبارِ . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا ذِكْرُه لمؤاخاةِ جعفرٍ ومُعاذِ بنِ جبلٍ فيه نظرٌ ، كما أشار إليه عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ ، فإنَّ جعفرَ بنَ أبى طالبٍ إنَّما قَدِم فى فتحِ خَيْبَرَ ، فى أولِ سنةِ سَبْعٍ ، كما سيَأْتِى بيانُه ، فكيف يُؤاخِى بينَه وبينَ مُعاذِ بنِ جبلٍ أولَ مَقْدَمِه ، عليه السَّلامُ ، إلى المدينةِ ، اللهمَّ إلَّا أن يُقالَ : إنَّه أُرْصِد لأُخُوَّتِه إذا قَدِم ، حينَ يَقْدَمُ .

وقولُه : وكان أبو عبيدةَ وسعدُ بنُ معاذٍ أخوَيْن . مُخالِفٌ لِمَا رَواه الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، حدَّثنا حمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بينَ أبى عُبَيْدَةَ بنِ الجرَّاحِ وبينَ أبى طلحةَ . وكذا رَواه مسلمٌ[4] مُنْفَرِدًا به ، عن حَجَّاجِ بنِ الشَّاعِرِ ، عن عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ

---

(١) أى انتفاع واستعانة . وارتفق القوم : صاروا رُفَقاء . الوسيط (ر ف ق) .

(٢) تقدم فى صفحة ٦٢ .

(٣) المسند ٣/ ١٥٢.

(٤) مسلم (٢٥٢٨) .

به . وهذا أَصَحُّ مِمَّا ذَكَره ابنُ إسحاقَ مِن مُؤاخاةِ أبى عُبيدةَ وسعدِ بنِ مُعاذٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخارىُّ[1] : بابُ كيفَ آخَى النبىُّ ﷺ بينَ أصحابِه ، وقال عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ : آخَى النبىُّ ﷺ بينى وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ لَمَّا قَدِمْنا المدينةَ . وقال أبو جُحَيْفَةَ : آخَى النبىُّ ﷺ بينَ سلمانَ الفارِسِىِّ وأبى الدرداءِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . حدَّثنا محمدُ بنُ يوسفَ ، ثنا سفيانُ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ قال : قَدِم عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، فآخَى النبىُّ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ الأنصارىِّ ، فعَرَض عليه أن يُناصِفَه أهلَه ومالَه ، فقال عبدُ الرحمنِ : بارَك اللَّهُ لك فى أَهلِك ومالِك ، دُلَّنِى على السُّوقِ . فرَبِح شيئًا مِن أَقِطٍ وسَمْنٍ ، فرآه النبىُّ ﷺ بعدَ أيامٍ وعليه وَضَرٌ[2] مِن صُفْرَةٍ ، فقال النبىُّ ﷺ : « مَهْيَمْ[3] يا عبدَ الرحمنِ ؟ » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، تَزَوَّجْتُ امرأةً مِن الأنصارِ . قال : « فما سُقْتَ فيها ؟ » . قال : وَزْنَ نَواةٍ مِن ذهبٍ . قال النبىُّ ﷺ : « أَوْلِمْ ولو بشاةٍ » . تفرَّدَ به مِن هذا الوجهِ . وقد رَواه أيضًا فى مواضعَ أُخَرَ ومسلمٌ[4] مِن طرقٍ عن حُميدٍ به[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا حمَّادٌ ، ثنا ثابتٌ وحُمَيْدٌ ، عن

---

(١) فتح البارى ٧/ ٢٧٠. والحديث بعده فى البخارى (٣٩٣٧) .

(٢) الوضر يكون من الصُّفرة والحُمرة والطِّيب . والمعنى أنه رأى به لَطْخًا من خَلُوق أو طِيب له لون . اللسان (و ض ر) .

(٣) مهيم : كلمة استفهام ، أى : ما حالك ، وما شأنك ، أو ما وراءك .

(٤) البخارى (٢٠٤٩، ٢٢٩٣، ٣٧٨١، ٥٠٧٢، ٥١٥٣، ٥١٦٧، ٦٠٨٢) ، ومسلم (١٤٢٧) .

(٥) سقط من : ص .

(٦) المسند ٣/ ٢٧١.

أنسٍ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ قَدِم المدينةَ ، فآخَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ الأنصاريِّ ، فقال له سعدٌ : أىْ أخى ، أنا أكثرُ أهلِ المدينةِ مالًا ، فانظُرْ شَطْرَ مالى فخُذْه ، وتحتى امْرأتانِ ، فانظُرْ أيُّهما أَعْجَبُ إليك حتى أُطَلِّقَها . فقال عبدُ الرحمنِ : بارَك اللَّهُ لك فى أهلِك ومالِك ، دُلُّونى على السُّوقِ . فدَلُّوه ، فذَهَب فاشْتَرَى وباع فرَبِح ، فجاء بشىءٍ مِن أَقِطٍ وسَمْنٍ ، ثُم لَبِث ما شاء اللَّهُ أن يَلْبَثَ ، فجاء وعليه رَدْعُ[1] زَعْفَرانٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهْيَمْ ؟ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، تَزَوَّجْتُ امرأةً . قال : « ما أَصْدَقْتَها ؟ » . قال : وَزْنَ نَواةٍ مِن ذهبٍ . قال : « أَوْلِمْ ولو بشاةٍ » . قال عبدُ الرحمنِ : فلقد رَأَيْتُنى ولو رَفَعْتُ حَجَرًا ، لَرَجَوْتُ أَن أُصِيبَ ذهبًا وفِضةً .

وتَعْليقُ البخاريِّ [٢/١٥٨ظ] هذا الحديثَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ غريبٌ ؛ فإنَّه لا يُعْرَفُ مُسنَدًا إلَّا عن أنسٍ ، اللَّهُمَّ إلَّا أن يكونَ أنسٌ تَلَقَّاه عنه[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يزيدُ ، أخْبَرَنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ ، قال : قال المُهاجِرُون : يا رسولَ اللَّهِ ، ما رَأَيْنا مِثْلَ قومٍ قَدِمْنا عليهم أحْسَنَ مُواساةً فى

---

(١) فى الأصل : « ردغ » . وفى م ، ص : « ودع » . والمثبت من المسند . والرَّدْع : اللَّطْخ بالزعفران ، وقيل : الردع : أثر الخلوق والطيب فى الجسد . اللسان (ر د ع) .

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٢٧٢: وظن الشيخ عماد الدين ابن كثير أن البخارى أشار بهذا التعليق إلى حديث أنس ، فقال : قصة عبد الرحمن لا تُعرف مسندة عنه ، وإنما أسندها البخارى وغيره عن أنس . قال : فلعل البخارى أراد أن أنسًا حملها عن عبد الرحمن . انتهى . أى انتهى كلام الحافظ ابن كثير . ويعلق الحافظ ابن حجر قائلا : والذى ادعاه مردودٌ لثبوته فى الصحيح . انتهى .

قلت : يشير الحافظ إلى الحديث الموصول عند البخارى فى كتاب البيوع (٢٠٤٨) .

(٣) المسند ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

قليلٍ، ولا أحسنَ بَذْلًا مِن كثيرٍ، لقد كَفَوْنا المَئُونَةَ، وأَشْرَكونا فى المَهْنَإِ، حتى لقد خَشِينا أن يَذْهَبوا بالأجرِ كلِّه. قال: «لا، ما أَثْنَيْتُم عليهم، ودَعَوْتُم اللَّهَ لهم». هذا حديثٌ ثُلاثيُّ الإسنادِ، على شرطِ «الصحيحين»، ولم يُخرِجْه أحدٌ مِن أَصحابِ الكتبِ السِّتَّةِ مِن هذا الوجهِ، وهو ثابتٌ فى «الصحيحِ» مِن (١ وَجْهٍ آخرَ ١).

وقال البخارىُّ[٢]: أخبرَنا الحكَمُ بنُ نافعٍ، أخْبَرَنا شُعَيْبٌ، ثنا أبو الزِّنادِ، عن الأَعْرَجِ، عن أبى هُرَيْرَةَ قال: قالتِ الأَنصارُ (٣ للنبىِّ ﷺ ٣): اقْسِمْ بينَنا وبينَ إخْوانِنا النَّخِيلَ. قال: «لا». قالوا: تَكْفُونا[٤] المَئُونَةَ ونَشْرَكْكُم فى الثَّمَرةِ. قالوا: سَمِعْنا وأَطَعْنا. تَفَرَّد به. وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ[٥]: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للأنصارِ: «إنَّ إخْوانَكُم قد تَرَكُوا الأموالَ والأولادَ وخَرَجُوا إليكم». فقالوا: أموالُنا بينَنا قَطائعُ[٦]. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ غَيْرَ ذلك؟». قالوا: وما ذاك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «هم قومٌ لا يَعْرِفُون العَمَلَ، فتَكْفُونَهم وتُقاسِمُونَهم الثَّمَرَ». قالوا: نعم. وقد ذَكَرْنا ما وَرَد مِن الأحاديثِ

(١ - ١) مكانه بياض فى النسخ، ولعل تمام الكلام ما أثبتناه. ويدل لتقديرنا هذا ما ذكره المصنف عقب ذلك من حديث البخارى. والحديث عند الترمذى (٢٤٨٧) عن حميد عن أنس، ولكنه ليس ثلاثى الإسناد. (صحيح سنن الترمذى ٢٠٢٠). وعند أبى داود مختصرًا (٤٨١٢) عن ثابت عن أنس، غير ثلاثىّ أيضا. (صحيح أبى داود ٤٠٢٧). وعزاه فى تحفة الأشراف ١/١٢٣ إلى النسائى فى «اليوم والليلة» عن محمد بن معمر عن يحيى بن حماد، كلاهما عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس.

(٢) البخارى (٢٣٢٥).

(٣ - ٣) سقط من النسخ. وأثبتناه من صحيح البخارى.

(٤) فى م، ص: «أفتكفوننا».

(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٨/ ٤١، ٤٢.

(٦) القطائع: جمع قطيعة، والقطيعة من الشىء: ما قطعته منه.

والآثارِ، فى فضائلِ الأنصارِ وحُسنِ سَجاياهم، عندَ قولِه تعالى[1] : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية [الحشر: ٩].

فصلٌ: فى موتِ أبى أُمامةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ بنِ عُدَسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ، أحَدِ النُّقَباءِ الاثْنَىْ عَشَرَ ليلةَ العَقَبَةِ على قومِه بنى النَّجّارِ، وقد شَهِد العَقَباتِ الثلاثَ، وكان أوَّلَ مَن بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ ليلةَ العَقَبةِ الثانيةِ فى قولٍ، وكان شابًّا، وهو أولُ من جَمَّع بالمدينةِ فى نَقِيعِ الخَضِماتِ فى هَزْمِ النَّبِيتِ، كما تَقَدَّم[2].

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : وهَلَك فى تلك الأَشْهُرِ أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ والمسجدُ يُبْنَى، أَخَذَتْه الذُّبْحَةُ[4]، أو الشَّهْقَةُ. وقال ابنُ جريرٍ فى «التاريخِ»[5] : أخْبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ الأعْلَى، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِىِّ، عن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَوَى أسعدَ بنَ زُرارَةَ مِن[6] الشَّوْكَةِ[7]. رجالُه ثقاتٌ.

قال ابنُ إسحاقَ[8] : حَدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عَمرِو بنِ

---

(١) التفسير ٨/ ٩٤ - ٩٨.
(٢) تقدم فى صفحة ٣٧٧، ٣٧٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٧.
(٤) الذُّبَاح والذِّبَحَة والذُّبَحة: وجع فى الحلق، كأنه يُذْبَح، ولم يعرف الذَّبْحة بالتسكين - مع فتح الذال - الذى عليه العامة. انظر اللسان (ذ ب ح).
(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٨.
(٦) فى الأصل، م: «فى».
(٧) الشوكة: حُمرة تعلو الوجه والجسد. انظر النهاية لابن الأثير ٢/ ٥١٠.
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٧.

حَزْمٍ، عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أَسْعدَ بنِ زُرارَةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بِئْسَ الميِّتُ أَبو أُمامَةَ لِيَهُودَ ومُنافِقِى العربِ؛ يَقُولونَ: لو كان نَبِيًّا، لم يَمُتْ صاحِبُه. ولا أَمْلِكُ لنفسى ولا لصاحبى مِن اللَّهِ شيئًا». وهذا يَقْتَضِى أنَّه أوَّلُ مَن مات بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ، وقد زَعَم أبو الحسنِ بنُ الأَثيرِ فى «أُسْدِ الغابةِ»[(١)]: أنَّه مات فى شَوَّالٍ، بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ بسبعةِ أَشْهُرٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

وذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[(٢)]، عن عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ قَتادَةَ، أنَّ بنى النَّجّارِ سَأَلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُقِيمَ لهم نقيبًا بعدَ أبى أُمامَةَ أسعدَ بنِ زُرارَةَ، فقال: «أنتم أَخْوالى، وأنا بما فيكم، وأنا نَقِيبُكم». وكَرِه أن يَخُصَّ بها بعضَهم دونَ بعضٍ. فكان مِن فضلِ بنى النَّجّارِ الذى يَعْتَدُّون به على قومِهم، أن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ نقيبَهم. قال ابنُ الأَثيرِ[(٣)]: وهذا يَرُدُّ قولَ أبى نُعَيْمٍ وابنِ مَنْدَه، فى قولِهما: إنَّ أسعدَ بنَ زُرارَةَ كان نقيبًا على بنى ساعِدَةَ. إنَّما كان على بنى النَّجّارِ. وصَدَق ابنُ الأثيرِ فيما قال. وقد قال أبو جعفرِ بنُ جريرٍ فى «التاريخِ»[(٤)]: كان أوَّلَ مَن تُوُفِّى بعدَ مَقْدَمِه، عليه السلامُ، [١٥٩/٢و] المدينةَ مِن المُسْلِمِين - فيما ذُكِر - صاحبُ منزلِه كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ، لم يَلْبَثْ بعدَ مَقْدَمِه إلَّا يسيرًا حتى مات، ثم تُوُفِّىَ بعدَه أسعدُ بنُ زُرارَةَ، وكانت وفاتُه فى سنةِ مَقْدَمِه، قبلَ أن يَفْرَغَ بِناءُ المسجدِ، بالذُّبْحَةِ أو الشَّهْقَةِ.

---

(١) أسد الغابة ١/ ٨٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٧، ٥٠٨.

(٣) أسد الغابة ١/ ٨٧.

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٧.

قلت : وكُلثومُ بنُ الهِدْمِ بنِ امرئِ القيسِ بنِ الحارثِ بنِ زيدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمرِو بنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأَوْسِ الأَنصاريُّ الأَوْسيُّ ، وهو مِن بنى عَمرِو بنِ عوفٍ ، وكان شيخًا كبيرًا أَسْلَم قبلَ مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، ولـمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ونَزَل بقُباءٍ ، نَزَل فى منزلِ هذا فى الليلِ ، وكان يَتَحَدَّثُ بالنهارِ مع أَصحابِه فى منزلِ سعدِ بنِ الربيعِ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، إلى أن ارْتَحَل إلى دارِ بنى النَّجّارِ ، كما تَقَدَّم[1] . قال ابنُ الأثيرِ[2] : وقد قيل : إنَّه أولُ من مات مِن المُسلِمين بعدَ مَقْدَمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم بعدَه أسعدُ بنُ زُرارَةَ . ذَكَره الطبريُّ[3] .

فصلٌ : فى ميلادِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ فى شوالِ سنةَ الهجرةِ فكان أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ مِن المهاجرين ، كما أَنَّ النُّعْمانَ بنَ بَشِيرٍ أولُ مولودٍ وُلِدَ للأنصارِ بعدَ الهجرةِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . وقد زعَم بعضُهم[4] أَنَّ ابن الزُّبَيْرِ وُلِدَ بعدَ الهجرةِ بعشرين شهرًا . قاله أبو الأَسْوَدِ . ورواه الواقِدِيُّ[5] عن محمدِ بنِ يحيى بنِ سَهْلِ بن أبى حَثْمةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه . وزعَمُوا[6] أَنَّ النُّعمانَ وُلِدَ قبلَ الزُّبَيْرِ بستةِ أشهرٍ ، على رأسِ أربعةَ عَشَرَ شهرًا مِن الهجرةِ . والصحيحُ ما قَدَّمْناه .

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٨٨ ، ٤٨٩. والذى هناك سعد بن خيثمة ، وليس سعد بن الربيع . وانظر الإصابة ٣/ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩.

(٢) أسد الغابة ٤/ ٤٩٥.

(٣) هذا من كلام ابن الأثير فى الأسد . وقد ذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٣٩٧.

(٤) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١.

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١، ٤٠٢.

قال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا زكريَّا بنُ يَحْيَى ، ثنا أبو أَسَامَةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، أنَّها حمَلَتْ بعبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ قالت : فخرَجْتُ وأنا مُتِمٌّ ، فأتَيْتُ المدينةَ ، فنزَلْتُ بقُبَاءٍ فولَدْتُه بُقباءٍ ، ثم أتَيْتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فوضَعه في حِجْرِه ، ثُم دعَا بتَمْرةٍ ، فمضَغَها ثُم تَفَل في فِيه ، فكان أولَ شيءٍ دخَل جوفَه ، رِيقُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم حَنَّكَه بتَمْرةٍ ، ثُم دعَا له وبَرَّك عليه، وكان أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسْلامِ . تابَعَه خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، عن عليِّ بنِ مُسْهِرٍ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ أنَّها هاجَرَتْ إلى النبيِّ ﷺ ، وهى حُبْلَى .

حدَّثَنا[2] قُتَيْبَةُ ، عن أبى أسامةَ ، عن هِشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : أولُ مولودٍ وُلِدَ فى الإسلامِ عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، أتَوْا به النبيَّ ﷺ ، فأخَذ النبيُّ ﷺ ، تَمْرةً فلاكَها[3] ، ثُم أَدْخَلَها فى فِيه ، فأولُ ما دخَل بطنَه رِيقُ النبيِّ ﷺ . فهذا حُجَّةٌ على الواقدىِّ وغيرِه ؛ لأنَّه ذكَر أنَّ النبيَّ ﷺ بعَث مع عبدِ اللَّهِ بنِ أُرَيْقِطٍ - لمَّا رجَع إلى مكةَ - زيدَ بنَ حارثةَ وأبا رافعٍ ؛ لِيَأْتوا بعيالِه وعيالِ أبى بكرٍ ، فقَدِموا بهم أثَرَ هجرةِ النبيِّ ﷺ ، وأسماءُ حاملٌ مُتِمٌّ أى مُقْرِبٌ ، قد دَنَا وَضْعُها لولدِها ، فلمَّا ولَدَتْه كَبَّرَ المسلمون تَكْبيرةً عظيمةً ؛ فرحًا بمولدِه ؛ لأنَّه كان قد بلَغَهم عن اليهودِ أنَّهم سحَروهم ، حتى لا يُولَدَ لهم بعدَ هجرتِهم ولدٌ ، فأَكْذَبَ اللَّهُ اليهودَ فيما زَعَموا[4] .

---

(١) البخارى (٣٩٠٩) .

(٢) الكلام للبخارى ، فى صحيحه (٣٩١٠) .

(٣) لاكها : مضغها . واللوك : إدارة الشىء فى الفم .

(٤) الظاهر أن المصنف قد جمع بين رواية الواقدى فى بعث النبى ﷺ عبد اللَّه بن أريقط وأبا =

فصلٌ : وبنَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بعائشةَ فى شَوَّالٍ مِن هذه السنةِ .

قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثَنا وَكِيعٌ ، ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ بنِ أُمَيَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : تَزَوَّجَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شوَّالٍ ، وبَنَى بى فى شَوَّالٍ ، فأىُّ نساءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كان أحْظَى عندَه منى ؟ وكانت عائشةُ تَسْتَحِبُّ أنْ تُدْخِلَ نساءَها فى شَوَّالٍ . ورواه مسلمٌ ، والترمذىُّ ، والنَّسائىُّ ، وابنُ ماجه[(٢)] ، مِن طرقٍ عن سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ به . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِ سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ .

فعلى هذا يكونُ دخولُه بها ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بعدَ الهجرةِ بسبعةِ أشهرٍ ، أو ثمانيةِ أشهرٍ . وقد حكَى القَوْلَيْن [٢/١٥٩ظ] ابنُ جَرِيرٍ[(٣)] . وقد تَقَدَّمَ[(٤)] فى تَزْويجِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بسَوْدَةَ ، كيفيةُ تزويجِه ودخولِه بعائشةَ ، بعدَما قَدِمُوا المدينةَ ، وأنَّ دخولَه بها كان بالسُّنْحِ نهارًا . وهذا خلافُ ما يَعْتَادُه الناسُ اليومَ . وفى دخولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، بها فى شَوَّالٍ ، رَدٌّ لِمَا يَتَوَهَّمُه بعضُ الناسِ مِن كراهيةِ الدخولِ بينَ العيدَيْنِ ، خشيةَ المفارَقةِ بينَ

= رافع ... إلخ ، وما وقع عند البخارى فى «صحيحه» (٥٤٦٩) وغيره ، من فرح المسلمين فرحًا شديدًا ، إلى آخر كلام المصنف . وبذلك الجمع يحتج على الواقدى ، بأن أسماء - رضى اللَّه عنها - حملت بعبد اللَّه بن الزبير بمكة فخرجت وهى متمٌّ ، فأتت قباء فولدته ثم أتت المدينة ، فأتت به رسول اللَّه ﷺ ليحنكه ، وكان ذلك بعد استقرار النبى ﷺ بالمدينة ، فالمسافة قريبة جدا لا تحتمل عشرين شهرا ، بل ولا عشرة أشهر . انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠١. وطبقات ابن سعد ٨/ ٦٢، ٦٣. وفتح البارى ٧/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٩/ ٥٨٩.

(١) المسند ٦/ ٢٠٦.

(٢) مسلم (١٤٢٣) . والترمذى (١٠٩٣) . والنسائى (٣٢٣٦، ٣٣٧٧) . وابن ماجه (١٩٩٠) .

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٨.

(٤) تقدم فى صفحة ٣٢٤ - ٣٣١ .

الزوجين ، وهذا ليس بشيءٍ ؛ لِمَا قالَتْه عائشةُ ، رادَّةً على مَن تَوَهَّمَه مِن الناسِ في ذلك الوقتِ : تَزَوَّجَنِى فى شَوَّالٍ ، وبَنَى بى - أى دخَل بى - فى شوَّالٍ ، فأىُّ نسائِه كان أَحْظَى عندَه مِنّى . فدلَّ هذا على أنَّها فَهِمَتْ منه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أنَّها أَحَبُّ نسائِه إليه ، وهذا الفَهمُ منها صحيحٌ ؛ لِمَا دَلَّ على ذلك مِن الدلائلِ الواضحةِ ، ولو لم يَكُنْ إلَّا الحديثُ الثابتُ فى « صحيحِ البخاريِّ »[1] ، عن عمرِو بنِ العاصِ ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : مِن الرجالِ ؟ قال : « أَبُوها » .

---

(١) البخارى (٣٦٦٢، ٤٣٥٨).

فصلٌ

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وفى هذه السنةِ - يَعْنِى السنةَ الأُولَى مِن الهجرةِ - زِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ ، فيما قيل ، ركْعتانِ ، وكانتْ صلاةُ الحَضَرِ والسفرِ رَكْعَتَيْنِ ، وذلك بعدَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ المدينة بشهرٍ ، فى ربيعٍ الآخِرِ لمُضِىِّ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ ليلةً منه[2] . وقال : وزعَم الواقِدِىُّ أنّه لا خلافَ بينَ أهلِ الحجازِ فيه .

قلتُ : قد تقدَّمَ[3] الحديثُ الذى روَاه البُخارىُّ ، مِن طريقِ مَعْمَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : فُرِضَتِ الصلاةُ أولَ ما فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ ، فأُقِرَّتْ صلاةُ السفرِ ، وزِيدَ فى صلاةِ الحَضَرِ . ورُوِىَ[4] مِن طريقِ الشَّعْبِىِّ ، عن مَسْرُوقٍ ، عنها .

وقد حكَى البَيْهَقِىُّ[5] ، عن الحَسَنِ البصرىِّ ، أنَّ صلاةَ الحَضَرِ أولَ ما فُرِضَتْ ، فُرِضَتْ أربعًا . واللَّهُ أعلمُ . وقد تكلَّمْنا على ذلك فى تفسيرِ سورةِ « النساءِ » ، عندَ قولِه تعالى[6] : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ الآية [النساء: ١٠١] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٠.

(٢) سقط من : م .

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩١ حاشية (٥) .

(٤) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٢ حاشية (١) .

(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٩٢ حاشية (٣) .

(٦) التفسير ٢/٢٤٧ - ٢٥١.

فصلٌ فى الأذانِ ومشروعيَّتِه

(١عندَ مَقْدَمِ النبىِّ ﷺ، المدينةَ النبويةَ١)

قال ابنُ إسْحاقَ[٢] : فلمَّا اطْمَأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، واجْتَمَعَ إليه إخْوانُه مِن المهاجرين، واجْتَمعَ أمرُ الأَنْصارِ، استَحْكَم أمرُ الإسلامِ[٣]، فقامَتِ الصلاةُ، وفُرِضَتِ الزكاةُ والصيامُ، وقامَتِ الحدودُ، وفُرِضَ الحلالُ والحرامُ، وتَبَوَّأَ الإسلامُ بينَ أظْهُرِهم، وكان هذا الحىُّ مِن الأنصارِ هم الذين تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ قَدِمَها، إنما يَجْتَمِعُ الناسُ إليه للصَّلاةِ لحِينِ مواقيتِها بغيرِ دَعْوةٍ، فَهَمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَجْعَلَ بُوقًا كَبُوقِ يَهودَ الذى يَدْعُونَ به لصلاتِهم، ثُم كرِهَه، ثُم أمَرَ بالنَّاقُوسِ فَنُحِتَ لِيُضْرَبَ به للمُسْلمينَ للصَّلاةِ، فبَيْنا هم على ذلك، رأَى عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ رَبِّه أخو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، النِّداءَ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّه طَافَ بى هذه الليلةَ طائفٌ؛ مَرَّ بى رَجُلٌ عليه ثَوْبان أخْضَرانِ، يَحْمِلُ ناقوسًا فى يدِه، فقلت: يا عبدَ اللَّهِ، أتَبيعُ هذا الناقوسَ؟ فقال: وما تَصْنَعُ به؟ قال: قلتُ: نَدْعُو به إلى الصَّلاةِ. قال: ألا أَدُلُّك على خيرٍ مِن ذلك؟ قلتُ: وما هو؟ قال: تَقولُ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٠٨، ٥٠٩.

(٣) فى ص: «الصلاة».

اللَّهُ ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللّه ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمدًا رسولُ اللَّهِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، اللَّهُ أكبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ . فلمَّا أَخبرَ بها رسولَ اللَّهِ ﷺ [٢/١٦٠و] قال : « إنَّها لَرُؤْيا حَقٌّ إن شاءَ اللَّهُ ، فَقُمْ مع بِلالٍ فَأَلْقِها عليه فَلْيُؤَذِّنْ بها ؛ فإنَّه أَنْدَى[١] صَوْتًا منك » . فلمَّا أَذَّنَ بها بلالٌ سمِعَه عمرُ بنُ الخَطَّابِ وهو فى بيتِه ، فخرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يَجُرُّ رِداءَه وهو يقولُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، والذى بَعَثَكَ بالحقِّ ، لقد رأيتُ مثلَ الذى رأَى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فللهِ الحمدُ » .

قال ابنُ إسْحاقَ[٢] : فحدَّثَنى بهذا الحديثِ محمدُ بنُ إبْراهيمَ بنِ الحارثِ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عبدِ ربِّه ، عن أبيه .

وقد رَوَى هذا الحديثَ أبو داودَ ، والتِّرْمِذىُّ ، وابنُ ماجه ، وابنُ خزيمةَ ، مِن طُرُقٍ ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ به[٣] . وصحَّحَه التِّرْمذىُّ ، وابنُ خُزَيْمةَ ، وغيرُهما[٤] . وعندَ أبى داودَ[٥] أنَّه علَّمَه الإقامةَ ؛ قال : ثُم تَقولُ إذا أَقَمْتَ الصَّلاةَ : اللَّهُ أكبرُ اللَّهُ أكبرُ ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ ، حيَّ على الصَّلاةِ ، حيَّ على الفَلاحِ ، قد قَامَتِ الصَّلاةُ قد قامَتِ الصلاةُ ،

---

(١) أندى : أرفع وأعلى . وقيل : أحسن وأعذب . وقيل : أبعد . النهاية ٥/ ٣٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٣) أبو داود (٤٩٩) . والترمذى (١٨٩) مختصرا . وابن ماجه (٧٠٦) . وابن خزيمة فى صحيحه (٣٦٣) مختصرا . حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٦٩) .

(٤) انظر الإرواء ١/ ٢٦٥.

(٥) أبو داود (٤٩٩) .

اللَّهُ أكبرُ اللَّهُ أكبرُ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ . وقد رَوَى ابنُ ماجَه[1] هذا الحديثَ ، عن أبى عُبَيْدٍ محمدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ مَيْمُونٍ ، عن محمدِ بنِ سَلَمةَ الحَرَّانىِّ ، عن ابنِ إسْحاقَ كما تَقَدَّمَ . ثُم قال[2] : قال أبو عُبَيْدٍ : وأَخْبَرَنى أبو بكرٍ الحكَمىُّ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ زَيْدٍ الأنصارىَّ قال فى ذلك :

[3]أَحْمَدُ اللَّهَ ذا الجلالِ وذا[3] الإكْـ ـرامِ حَمْدًا على الأذانِ كثيرا

إِذْ أَتَانِى به البَشِيرُ مِن اللَّـ ـهِ فأكْرِمْ به لَدَىَّ بَشِيرا

[٢/ ١٦٠ظ] فى ليالٍ والَى بهن ثلاثٍ كلَّما جاءَ زادَنى تَوْقيرا

قلتُ : وهذا الشعرُ غريبٌ ، وهو يَقْتَضى أنَّه رَأَى ذلك ثلاثَ ليالٍ حتى أَخْبَرَ به رسولَ اللَّهِ ﷺ . فاللَّهُ أَعْلَمُ .

ورَواه الإمامُ أَحْمَدُ[4] مِن حَدِيثِ محمدِ بنِ إسْحاقَ . قال[5] : وذكَر الزُّهْرِىُّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ به ، نحوَ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمِىِّ ، ولم يَذْكُرِ الشِّعْرَ .

وقال ابنُ ماجَه[6] : حدَّثَنا محمدُ بنُ خالدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الواسِطِىُّ ، ثنا أبى ،

---

(١) ابن ماجه (٧٠٦) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٥٨٠) .

(٢) سكت الشيخ الألبانى عن هذه الزيادة فلم يحكم عليها . انظر ضعيف سنن ابن ماجه (١٤٧) ، وصحيح سنن ابن ماجه (٥٨٠) .

(٣ - ٣) فى النسخ : « الحمد للَّه ذى الجلال وذى » . والمثبت من سنن ابن ماجه (٧٠٦) . وهو الموافق للوزن .

(٤) المسند ٤/ ٤٢، ٤٣.

(٥) أى الإمام أحمد، المصدر السابق .

(٦) ابن ماجه (٧٠٧) . ضعيف ، وبعضه صحيح . (ضعيف سنن ابن ماجه ١٤٨. وصحيح سنن ابن ماجه ٥٨٠/ ١) .

عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسْحَاقَ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سالم ، عن أبيه ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَشَارَ الناسَ لِمَا يُهِمُّهم إلى[1] الصلاةِ ، فذَكَروا البُوقَ ، فكَرِهه مِن أجْلِ اليَهودِ ، ثُم ذَكَروا الناقوسَ ، فكَرِهَه مِن أجْلِ النَّصارَى ، فأُرِىَ النداءَ تلك الليلةَ رجلٌ مِن الأَنصارِ يُقالُ له : عبدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ . وعمرُ بنُ الخَطَّابِ ، فطرَق الأنصاريُّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا ، فأمرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بِلالًا فأذَّنَ به . قال الزُّهْرِيُّ : وزاد بلالٌ فى نِداءِ صَلاةِ الغَداةِ : الصلاةُ خيرٌ مِن النومِ . مرَّتَيْن ، فأقرَّها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال عُمَرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، رأَيْتُ مِثْلَ الذى رَأَى ، ولكنَّه سَبَقَنِى . وسيأْتِى تَحريرُ هذا الفَصْلِ فى بابِ الأَذانِ مِن كِتابِ « الأَحْكامِ الكبيرِ » ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى وبه الثِّقةُ ، فأمَّا الحديثُ الذى أوردَه السُّهَيْلِىُّ[2] بسنَدِه ، مِن طريقِ البَزَّارِ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ عُثْمانَ بنِ مَخْلَدٍ ، ثنا أبى ، عن زِيادِ ابنِ المُنْذِرِ ، عن محمدِ بنِ علىِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ . فذكَرَ حديثَ الإِسْرَاءِ ، وفيه : فخرَج مَلَكٌ مِن وَراءِ الحِجَابِ فأَذَّنَ بهذا الأَذانِ ، وكلما قال كلمةً صَدَّقَه اللَّهُ تعالى ، ثُم أخذَ المَلَكُ بيدِ محمدٍ ﷺ ، فقدَّمَه فأمَّ بأهلِ السَّماءِ ، وفيهم آدَمُ ونوحٌ . ثُم قال السهيلىُّ : وأَخْلِقْ[3] بهذا الحديثِ أن يَكونَ صحيحًا ؛ لِما يَعْضُدُه ويُشاكِلُه مِن حديثِ الإِسْراءِ . فهذا الحديثُ ليس كما زعمَ السُّهيلىُّ أنَّه صحيحٌ ، بل هو مُنْكرٌ ؛ تَفرَّدَ به زيادُ ابنُ المُنْذِرِ أبو الجارُودِ الذى تُنْسَبُ إليه الفِرْقَةُ الجارودِيةُ ، وهو مِن المُتَّهمِينَ . ثُم لو كان هذا قد سَمِعَه رسولُ اللَّه ﷺ ليلةَ الإسراءِ ؛ لأَوْشَك أنْ يَأْمُرَ به بعدَ

(١) فى النسخ : « من » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٢) الروض الأنف ٤/ ٣٨٤، ٣٨٥.
(٣) أَخْلِقْ به : ما أجدرَه وأولاه . الوسيط (خ ل ق) .

الهجرةِ فى الدَّعْوَةِ إلى الصلاةِ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هِشامٍ[1] : وذكَر ابنُ جُرَيجٍ قالَ : قال لى عَطاءٌ : سمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ ، يَقولُ : ائْتَمَرَ[2] النبىُّ ﷺ وأصْحابُه بالناقوسِ للاجْتماعِ للصَّلاةِ ، فبَيْنا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ يُريدُ أن يَشْتَرِىَ خشبتَيْن للناقوسِ ، إذ رَأَى عمرُ فى المنامِ : لا تَجْعَلوا الناقوسَ ، بل أَذِّنُوا للصلاةِ . فذهَب عمرُ إلى النبىِّ ﷺ لِيُخْبِرَه بما رَأى ، وقد جاءَ النبىَّ ﷺ الوحْىُ بذلك فما راعَ عُمَرَ إلا بلالٌ يُؤَذِّنُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ أخْبَرَه بذلك : « قد سَبَقَك بذلك الوَحْىُ » . وهذا يَدُلُّ على أنَّه قد جاءَ الوَحْىُ بتقريرِ ما رآه عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ رَبِّه كما صرَّحَ به بعضُهم . واللَّهُ تَعالى أَعْلَمُ .

قال ابنُ إسْحاقَ[3] : وحدَّثَنى محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، عن امرأةٍ مِن بنى النجَّارِ قالَتْ : كان بَيْتى مِن أطْوَلِ بيتٍ حَوْلَ المَسْجِدِ ، فكان بِلالٌ يُؤَذِّنُ عليه للفَجْرِ كلَّ غداةٍ فيَأْتِى بسَحَرٍ ، فيَجْلِسُ على البيْتِ يَنْتَظِرُ الفَجرَ ، فإذا رآه تَمَطَّى[4] ، ثُم قال : اللهمَّ أَحْمَدُك وأَسْتَعينُك على قُرَيْشٍ أن يُقِيموا دينَك . قالَتْ : ثُم يُؤَذِّنُ . قالَتْ : واللَّهِ ما علِمْتُه كان ترَكَها ليلةً واحدةً . يَعْنِى هذه الكَلِماتِ . ورواه أبو داودَ[5] مِن حديثِه منفرِدًا به .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٢) ائتمر القوم : تشاوروا . الوسيط (أ م ر) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٩.

(٤) تمطى الرجل : تمدد . اللسان (م ط و) .

(٥) أبو داود (٥١٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٨٧) .

فصل: فى سَرِيَّةِ حمزةَ بن عبدِ المُطَّلِبِ، رضِىَ اللَّهُ عنه.

قال ابنُ جَرِيرٍ[1]: وزعَم الواقدىُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عَقَدَ فى هذه السنةِ، فى شَهْرِ رمضانَ، على رأسِ سَبْعةِ أَشْهُرٍ مِن مُهاجَرِه، لحمزةَ بنِ عبد المُطَّلِبِ لِواءً أبْيَضَ فى ثلاثينَ رَجُلًا مِن المُهاجِرينَ؛ لِيَعْتَرِضَ لعِيراتِ[2] قُرَيْشٍ، وأَنَّ حَمْزَةَ لَقِىَ أبا جهلٍ فى ثلاثِمائةِ رَجُلٍ مِن قُرَيْشٍ، فحَجَزَ بينَهم مَجْدِىُّ بنُ عمرٍو[3]، ولم يَكُنْ بينَهم قِتَالٌ. قال: وكان الذى يَحْمِلُ لِواءَ حمزةَ؛ أبو مَرْثَدٍ الغَنَوِىُّ.

فصلٌ: فى سَرِيَّةِ عُبَيْدةَ بنِ الحارثِ بنِ[4] المُطَّلِبِ.

قال ابنُ جريرٍ[5]: وزعَمَ الواقِدِىُّ أيْضًا، أنَّ النبىَّ ﷺ عقَدَ فى هذه السنةِ على رَأْسِ ثمانيةِ أَشْهُرٍ فى شَوَّالٍ لعُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ لواءً أبْيَضَ، وأمَره بالمسيرِ إلى بطنِ رابغٍ[6]، وكان لِواؤُه مع مِسْطَحِ بن أُثاثَةَ، فبلغ ثَنِيَّةَ المَرَةِ، وهى بناحيةِ الجُحْفَةِ، فى سِتِّين مِن المهاجرين، ليس فيهم أَنْصارِىٌّ، وأنَّهم التَقَوْا هُم والمشركون على ماءٍ يُقال له: أَحْيَاءٌ. وكان بينَهم الرَّمْىُ دونَ المُسايَفَةِ[7]. قال الواقدىُّ: وكان المشركون مائتَيْن عليهم أبو سُفْيانَ صَخْرُ بنُ حَرْبٍ. وهو المُثْبَتُ عندَنا[8]. وقيل: كان عليهم مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ.

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢. وانظره مطولًا فى مغازى الواقدى ١/ ٩.

(٢) العيرات: جمع عِير، يريد إبلهم ودوابَّهم التى كانوا يتاجرون عليها. النهاية ٣/ ٣٢٩.

(٣) فى ص: «عمر».

(٤) بعده فى النسخ: «عبد». وانظر أسد الغابة ٣/ ٥٥٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢.

(٦) رابغ: وادٍ يقطعه الحاج بين البَزْواء والجُحفة دون عَزْوَر. معجم البلدان ٢/ ٧٢٧.

(٧) فى م، ص: «المسابقة». والمسايفة: التضارب بالسيوف. الوسيط (س ى ف).

(٨) أى عند الواقدى، انظر مغازى الواقدى ١/ ١٠.

فصلٌ

قال الواقِدِيُّ[1] : وفيها - يَعْنِى فى السنةِ الأولى فى ذى القَعْدةِ - عَقَدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لسَعْدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ إلى الخَرَّارِ[2] لواءً أبْيَضَ يَحْمِلُهُ المِقْدَادُ بنُ الأسْوَدِ ، فحدَّثَنى أبو بكرِ بنُ إسْماعيلَ ، عن أبيه ، عن عامرِ[3] بنِ سَعْدٍ ، [4]عن أبيه[4] ، قال : خرَجْتُ فى عِشْرين رجلًا على [١٦١/٢و] أقْدامِنا - أو قال : أحدٍ وعِشْرينَ رجُلًا - فكُنّا نَكْمُنُ النهارَ ونسيرُ اللَّيْلَ ، حتى صبَّحْنا الخَرَّارَ صُبْحَ خامسةٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد عَهِدَ إلَيَّ أن لا أُجاوِزَ الخَرَّارَ ، وكانت العِيرُ قد سبَقَتْنى قبلَ ذلك بيَوْمٍ . قال الواقِدِيُّ[5] : كانت العِيرُ سِتِّينَ ، وكان مَن مع سعدٍ كلُّهم مِن المُهَاجِرينَ . قال أبو جَعْفَرِ بنُ جَرِيرٍ[6] : وعندَ ابنِ إسْحاقَ ؛ أنَّ هذه السَّرايا الثلاثَ - التى ذكَرها الواقدىُّ - كلَّها ، فى السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرَةِ مِن وَقْتِ التاريخِ .

قلتُ : كلامُ ابنِ إسْحاقَ ليس بصريحٍ - فيما قاله أبو جَعْفَرٍ ، لِمَن تأمَّلَه - كما سنُوردُه فى أولِ كتابِ المَغازِى ، فى أولِ السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرةِ ،

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٠٣، عن الواقدى، وانظر مغازى الواقدى ١/ ١١.

(٢) فى ص : « الحربان » . والخرار : ماء لبنى زهير وبنى بدر ابنىْ ضمرة ، قال الزبير : هو وادى الحجاز ، يصب على الجحفة . معجم ما استعجم ٢/ ٤٩٢.

(٣) فى الأصل، ص: « عاصم » . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ص.

(٥) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٤٠٣، عن الواقدى.

(٦) المصدر السابق.

وذلك تِلوَ ما نحن فيه إنْ شاء اللَّهُ ، إذ[1] يَحْتَمِلُ أن يكونَ مُرادُه أنها وَقَعَتْ هذه السَّرايا فى السنةِ الأولى ، وسنَزيدُها بَسْطًا وشَرْحًا إذا انتهَيْنا إليها ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى . والواقدىُّ عندَه زياداتٌ حَسَنَةٌ ، وتاريخٌ مُحَرَّرٌ غالبًا ؛ فإنَّه مِن أئمةِ هذا الشأنِ الكِبارِ ، وهو صَدُوقٌ فى نفسِهِ مِكْثَارٌ ، كما بَسَطْنا القَوْلَ فى عدالتِه وجَرْحِه فى كتابِنا الموسومِ بـ« التَّكْميلِ فى مَعْرِفةِ الثِّقاتِ والضُّعَفاءِ والمجاهيلِ » . وللَّهِ الحمدُ والـمِنَّةُ .

فصلٌ

وممَّن وُلِدَ فى هذه السنةِ المبارَكةِ - وهى الأُولى مِن الهِجْرةِ - عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ ، فكانَ أولَ مولودٍ وُلِدَ فى الإسْلامِ بعدَ الهِجْرةِ ، كما رواه البُخارىُّ[2] ، عن أمِّه أسماءَ وخالتِه عائشةَ أمِّ المؤمنين ابنتي الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما . ومِن الناسِ مَن يَقولُ : وُلِدَ النُّعْمانُ بنُ بَشيرٍ قبلَه بستةِ أشْهُرٍ[3] . فعلَى هذا يَكُونُ ابنُ الزُّبَيْرِ أولَ مولودٍ وُلِدَ بعدَ الهِجْرةِ مِن المهاجرين . ومِن الناسِ مَن يَقولُ : إنَّهما وُلِدا فى السنةِ الثانيةِ مِن الهِجْرةِ[3] . والظاهرُ الأولُ كما قدَّمْنا بيانَه[2] ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وسنُشِيرُ فى آخِرِ السنةِ الثانيةِ إلى القَوْلِ الثانى ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

---

(١) فى الأصل : « أو » . وفى م : « و » .

(٢) تقدم تخريجه صفحة ٥٦٩ .

(٣) تقدم تخريج هذا القول صفحة ٥٦٨ .

قال ابنُ جَرِيرٍ[1] : وقد قيل : إنَّ المُخْتارَ بنَ أبى عُبَيْدٍ ، وزِيادَ بنَ سُمَيَّةَ وُلِدَا فى هذه السنةِ الأُولَى[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وممن تُوُفِّىَ فى هذه السنةِ الأولى مِن الصَّحابةِ ، كُلْثُومُ بنُ الهِدْمِ الأوسىُّ ، الذى نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مَسْكَنِه بقُباءٍ إلى حينَ ارْتَحَلَ منها إلى دَارِ بنى النَّجّارِ ، كما تقدَّمَ[3] ، وبعدَه فيها أبو أُمامَةَ أسعدُ بنُ زُرارةَ ، نقيبُ بنى النَّجّارِ ، تُوُفِّىَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْنِى المسجدَ ، كما تقدَّم[3] ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأَرْضاهما .

قال ابنُ جَرِيرٍ[4] : وفى هذه السنةِ - يَعْنِى الأولى مِن الهِجْرةِ - ماتَ أبو أُحَيْحَةَ بمالِه بالطائفِ ، وماتَ الوليدُ بنُ المُغيرةِ ، والعاصُ بنُ وائلٍ السَّهْمىُّ فيها بمكةَ .

قلتُ : وهؤلاءِ ماتوا على شِرْكِهم ، لم يُسْلِمُوا للَّهِ عزَّ وجلَّ .

---

(١) تاريخ الطبرى ٢/ ٤٠٢.

(٢) سقط من : الأصل . وفى ص : « الثانية » .

(٣) تقدم فى صفحة ٥٦٧ .

(٤) تاريخ الطبرى ٢/ ٣٩٨.

فهرس الجزء الرابع

مـن البدايــة والنهايــة

الموضوع | الصفحة

تمَّ بحمد اللهِ وتوفيقِه الجزءُ الرابع

ويليه الجزء الخامس، وأوله :

ذكر ما وقع فى السنة الثانية

من الهجرة من الحوادث